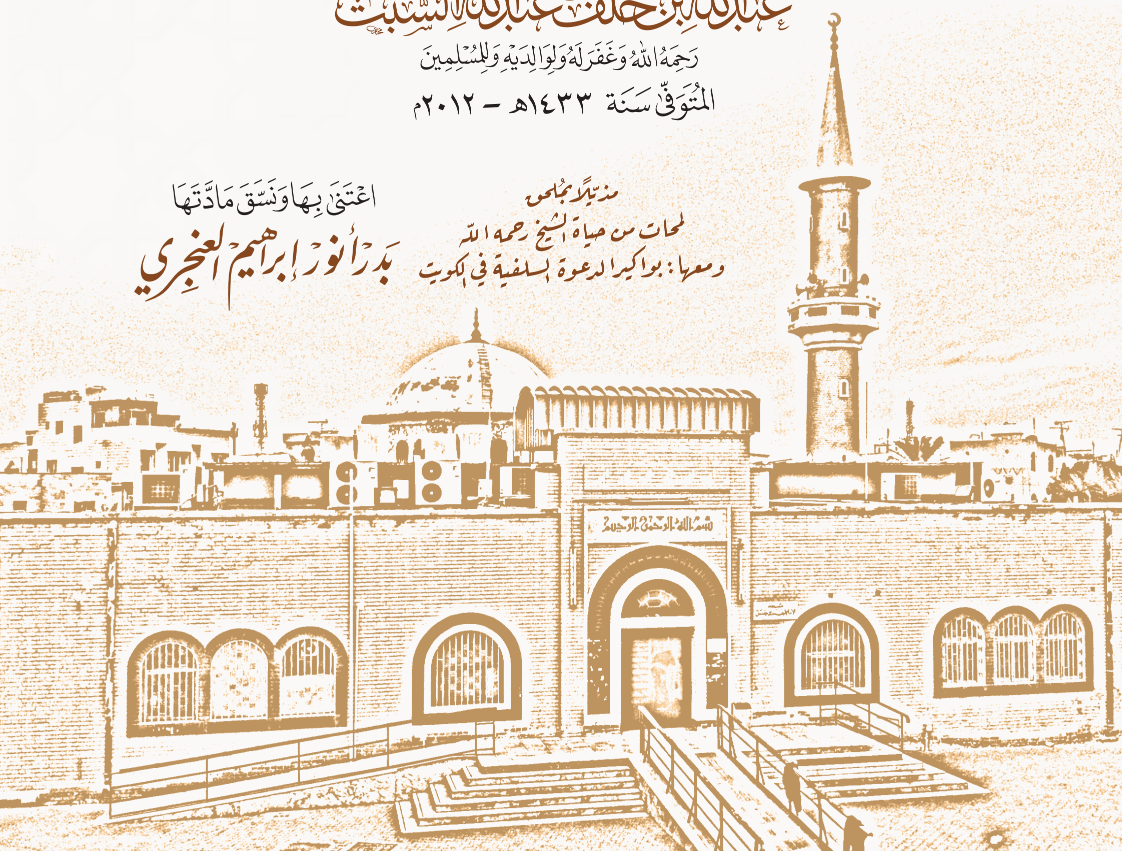
ملامح أهل الحديث

مُحاضَراتٌ في تَصحيحِ المفَاهِيمِ حولَ المنهَجِ السَّلفيّ

خلاصة (١٢٥) محاضرة منهجيّة
منتقىً منها (٤٩) محاضرة مفرغة عن تسجيل صوتي

أَلقاهَا فَضِيلَةُ الشَّيخ
عبدالله بن خلف عبدالله السبت
رَحِمَهُ اللهُ وَغفَرَلَهُ وَلِوَالِدَيهِ وَلِلمُسلِمِين
المُتَوَفّى سَنَة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



اعتَنَى بِهَا وَنَسَّقَ مَادَّتَهَا
بدر أنور إبراهيم العنجري

مذيّلًا بملحق
لمحات من حياة الشيخ رحمه الله
ومعها: بواكير الدعوة السلفية في الكويت

ملامح أهل الحديث
محاضرات في تصحيح المفاهيم حول المنهج السلفي
ألقاها فضيلة الشيخ
عبدالله بن خلف عبدالله السبت
رحمه الله وغفر له ولوالديه وللمسلمين
اعتنى بها ونسق مادتها
بدر أنور إبراهيم العنجري







هذا الكِتاب

محاضراتٌ ألقاها الشيخ رحمه الله على أوقاتٍ مُتفرِّقة ومجالس متنوِّعة، دارت حول بيان وإيضاح مَفهوم المنهج السَّلَفيّ الصَّافي، وكَشفِ عُوار الدَّعوات المشوِّهةِ له، أثراها بالأمثلةِ الحَيَّة التي تُلامِس الواقِع، مع إيجازٍ بالعِبارة، وأسلوبٍ مُباشرٍ لا حَشوَ فيه، بقُوةِ حُجَّة، واطلاعٍ تامٍّ بحالِ الجَماعاتِ الإسلاميَّة المعاصِرة.

تميَّزَت هذه المحاضرات بأسلوبِ الشيخ السَهل المُيَسَّر، واستعمال لغة الحِوار والنِّقاش، والرَّد العَقلي المنطِقي بجانب الشَّرعي، فهو مُوجَّهٌ إلى أفهامِ عُمومِ النّاس، ومَن فَوقهم مِنَ المثقَّفين، غير مُختصٍّ بنُخبةٍ معينة.

وفي الربع الأخير من الكتاب ذيلته بملحق؛ عرضتُ فيه شيئاً مِن سيرتهِ وحياتِهِ مما لم تُذكَر -غالباً- قبلَ ذلك، مع بيان مُقتطَفات مِن بواكير وبدايات الجَماعة السَّلفيَّة في الكُوَيت.

مَلامِحُ أهلِ الحديث

مُحاضَراتٌ في تَصحِيحِ المفَاهِيمِ حَولَ المنهَجِ السَّلَفِيّ

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ-٢٠٢١م

مَلامِحُ أَهْلِ الحَدِيثِ

مُحاضَراتٌ فِي تَصْحِيحِ المَفَاهِيمِ حَوْلَ المَنْهَجِ السَّلَفِيّ

خلاصة (١٢٥) محاضرة منهجيّة
منتقىً منها (٤٩) محاضرة مفرغة عن تسجيل صوتي

أَلْقَاهَا فَضِيلَةُ الشَّيْخ

عبدالله بن خلف بن عبدالله السبت

رَحِمَهُ اللهُ وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُسْلِمِين

المُتَوَفَّى سَنَة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

مذيّلًا بملحق
لمحات من حياة الشيخ رحمه الله
ومعها: بواكير الدعوة السلفية في الكويت

اعْتَنَى بِهَا وَنَسَّقَ مَادَّتَهَا

بدر أنور إبراهيم العنجري

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة عبدالله السبت

مكتبة خاصة لتلبية احتياجات طلاب العلم

مدينة الشارقة

تفويض

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي رسوله الأمين وصحابته الكرام.

وبعد:-

فقد فوضت الأخ الكريم / بدر العنجري بطباعة كتبي ونسخ أشرطتي وتوزيعها وبيعها كما يريد.

هذا والله أسأل التوفيق والسداد،،،

كتبه

عبد الله بن خلف السبت

٥/٢/٢٠٠٩م

ص. ب : ٦٢٧٩ الشارقة – دولة الإمارات العربية المتحدة

الهاتف الدولي : ٦٤٦٥٢٤٥ – ٥٠ – ٠٠٩٧١ تليفون : ٥٢٧٤٧٢١ – ٦ – ٠٠٩٧١ فاكس : ٥٢٢٨١٥١ – ٦ – ٠٠٩٧١

www.alsalafe.com, webmaster@alsalafe.com

كتاب تفويض من الشيخ رحمه الله لي بطباعة كتبه (سنة ٢٠٠٩م)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا عَيبَ على مَن أظهرَ مذهب السَّلَف، وانتَسَبَ إليه، واعتَزى إليه، **بل يجب قَبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مَذهبَ السَّلفِ لا يكونُ إلا حقاً**، فإن كان موافِقاً له باطناً وظاهراً: فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحقِّ باطناً وظاهراً، وإن كان موافِقاً له في الظاهر فقط دون الباطن: فهو بمنزلة المنافق، فتُقبَلُ منه عَلانيته، وتوْكَل سَريرته إلى الله، **فإنَّا لَمْ نُؤمَر أن نُنَقب عن قلوب الناس، ولا نَشُقَّ بُطونَهم**.

مجموع الفتاوى (٤/ ١٤٩)

ويقول أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا كانت سعادة الدُّنيا والآخرة هي باتباع المرسلين، فمِنَ المعلوم أن أحق الناس بذلك: هُم أعلمهم بآثار المرسلين، وأتبعهم لذلك، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم، المتَّبِعون لها، هُم أهل السعادة في كل زمان ومكان، وهم الطائفة الناجية مِن أهل كلّ مِلة، **وهُم أهل السُّنة والحديث مِن هذه الأمة**، فإنهم يُشاركون سائر الأمة فيما عندهم مِن أمور الرسالة، ويمتازون عنهم بما اختُصُّوا به مِن العِلم الموروث عن الرسول، مما يَجهله غيرهم أو يُكذِّب به.

مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦)

مُقدّمة المُعتَني

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ..

أصل الكتاب

فأصل هذا الكتاب هو سلسلة دروس ومحاضرات ألقاها الشيخ الوالد أبومعاوية عبدالله بن خلف السَّبت رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ابتدأها بتاريخ ١٩ جمادى الأولى ١٤١٨هـ، واختَتَمَها في ١٤ محرم ١٤١٩هـ، الموافق ٢١/ ٩/ ١٩٩٧م إلى ١٠/ ٥/ ١٩٩٨م، في مَنطقة الفيحاء بدولة الكويت، بعنوان (**أهلُ الحديث**)، وكانت كل يوم أحدٍ بعد صلاة العِشاء[١]، بواقع سبعة عشر مَجلِساً.

مما تميّز به الشيخ

والتي دارت حول بيان **وإيضاح مفهوم المنهج السَّلَفي الصَّافي، وكَشف عُوار الدَّعوات المشوِّهة له**، وأتذَكَّرُ في تلك الفَترة حِرصَ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ واهتمامه بالإعداد والتحضير لها، وإثراءها بالأمثلة الحيّة التي تُلامِس الواقع، مما جعلها ذات فائدة كبيرة، علاوة على **ما تميّز به** في دروسه بقوة الحجة، وإيجازِ العبارة، والأسلوبِ السَّهلِ المباشر، مع دقة وسعة معرفته واطلاعه بحال الجماعات المعاصرة، وهو **الأمر الذي شَجَّعني وحرَّك هِمَّتي** لجمع مادتها وإعدادها للنشر.

وفي الحقيقة كان الشيخ يَحُثُّني ويسألني عنها مِراراً، **بعدما أخبرتُه بِقَطعِ شَوطٍ في ترتيبها**، فوافته المَنِيَّة قبل إتمامِها، فرحَمَه الله رحمةً واسعة.

---

(١) وقد قام بتسجيل هذه الدروس آنذاك الأخ الفاضل أحمد الشَرَّف، فجزاه الله خيراً على بذله ونشره للعلم.

وبعدها أتتني فكرة ضم وجمع محاضرات ودُروس الشيخ المتفرِّقَة -سواءً التي ألقاها داخل الكويت أو خارجها- التي بيّن ووضّح فيها معالم المنهج السَّلفي، من تصحيح للمفاهيم وبيان الموقف السلفي من المخالفين، وذلك من خلال الاستماع إلى كل هذه المحاضَرات -حسب علمي-، ليكون كتابنا هذا «**مَلامِحُ أهلِ الحَديث**» **جامِعاً خُلاصَة ما طَرَحَه الشيخ** من مفاهيم حول ذلك، أثناء مسيرة حياته.

ويتلخَّصُ عَمَلي في الآتي:

عمل المعتني

١- **تفريغُ** دروس سلسلة (أهل الحديث) وعددها (١٧) مجلساً، وقد أعانني على ذلك بعض إخواني في **مَنطقة الفيحاء** حَرَسها الله - فجزاهم الله كل خير ورَفَع قَدْرهم-، ثم طابقتُ المَسموع بالمَقروء، وصحّحتُه وراجعتُه أكثَر مِن مرَّة.

٢- **أضفتُ نُصوصاً** مِن محاضرات الشيخ الأخرى، مرتبطة بمواضيع هذه السلسلة، وفرَّغتُها إما كاملة أو أجزاءً منها، وعددها (٣٢) محاضرة[(١)]، ووضَعتُها بعناوين مستَقِلَّة، أو أدرَجتُها في ثنايا الدروس في

(١) وقد استمعتُ إلى أغلب محاضرات الشيخ التي تَدور حول مفهوم المنهج السلفي -وهي تربو على المائة والعشرين محاضرة- ، **فانتَقَيتُ منها عناوين هذه المحاضرات**: [مَن هُم السلفيون/ الخلاف المشروع والممنوع/ الدعوة إلى التمايز لا التجانس/ هل التصوف منهج تزكية/ لماذا فهم السلف/ الخطوط الرئيسية التي تُميز السلفيين عن غيرهم/ ضوابط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ الدعوة السلفية/ كن سلفياً ولا تَخجَل/ السلفيون والجهاد/ التَّمَذهُب/ مسائل مهمة في الدعوة السلفية/ نظرة السلفيين إلى واقع الأمة/ تحقيق الولاء والبراء/ المنهج الذي يُدعى إليه/ لماذا اخترنا السلفية/ الانهزامية في فكر الأمة/ المذاهب والجماعات بعد سقوط الدولة العثمانية/ نظرات في واقع الجماعات الإسلامية المعاصرة ج١،ج٢/ نصيحة للشباب ج١،ج٢/ الدعوة بين الثوابت والمتغيرات/ كيف نفهم الإسلام/ كيف الأمر إذا لم تكن جماعة/ أسئلة وأجوبة ج٢/ لقاء شباب القرين/ أسئلة منوعة من رحلة القرين/ لقاء في بريطانيا/ سؤال وجواب/ المَذهبية = الموقف من العلماء/ الدعوة السلفية منهج وعقيدة = المفهوم السلفي للمنهج السلفي

مَظانِّها، أو في الحاشية وهو الغالب؛ مع التنبيه والإشارة إلى كل ذلك، حِرصاً مِنّي على جَمعِ شَتات تُراث الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- **قمتُ بتفريغ الأسئلة** الموجّهة للشيخ وإجابتها، في نهاية كل مَجلس، ووضعتها في الحاشية.

٤- الإبقاء على عبارة الشيخ والمحافظة على نصِّها **قَدْرَ المُستَطاع**، إلا ما دَعَت الحاجة إلى تغييره وتعديله: مِن تصحيح لُغَوي، أو إبدال كلمة عامِّيّة بفَصيحَة، وأحياناً أنقل كلامه في الحاشيةً حال الاستطراد؛ كي تصِل الفِكرة مترابطة للقارئ.

٥- **حذف التَّكرار** من الكلام[(١)]، **وترتيب موضوعات** هذه السلسلة، مُقارنة بأصلها يومَ أُلقيت، **وربط الفَقَرات بعضها**، بإضافة كلمة أو اثنتين للربط بينها، لأن أصل المادة هي دروس ومحاضرات؛ فيعتريها التكرار، وتَغيرُّ العبارة أو ضَعفُها أحياناً، فعَلى القارئ مُراعاة ذلك.[(٢)]

٦- **جمعُ ما اتّفَقَ مَوضوعاً وافتَرَق مَوْضِعاً**، تقديماً وتأخيراً، لِيَخرج النّصُّ مُتَّسِقاً ضِمن وحدَة موضوعية، وسياقٍ متكامل الصورة مترابط الأفكار.

٧- اجتهدتُ في **تنسيق النّص** والفقرات، من خلال: وضعِ علاماتِ

= المنهج السلفي في الدعوة إلى الله/ السلفية هي العلاج = السلفية علاج واقعنا المعاصر]. وعلامة (=) تَعني تعدُّد عناوين المحاضرة ذاتها، فكثير منها يضع ناشروها لها عُنواناً باجتهادهم.

(١) مثل تكرار كلمة (يا إخواني) مخاطِباً بها الحُضور، وكذلك بعض الجُمَل التي يُعيد تَكرارها حرفياً أو بمعنى مُقارب، وغالباً تكون نهاية الدرس للتذكير.

(٢) وكما ذكر الشيخ د. صالح آل الشيخ حفظه الله في مقدمة كتابه (التمهيد في شرح كتاب التوحيد) يُوضِّح فيها **الفرق بين التّصنيف والتّفريغ**، فقال: (ومنها هذا الكتاب، فهو من الدُّروس المفرّغة التي لا بُدّ أن يكون بعض مواضعه مخالفاً لما يقصده واضعو التصانيف، **لأن الكلام الملفوظ ابنٌ لِلَحظته**، والكلام المكتوب ابنٌ لساعته ويومه وليلته، وربما شهره وسنته، يقدَّم فيه ويؤخّر، ويُبدأ فيه ويُعاد، وقد جعل الله لكل شيء قدراً).

الترقيم، **وضبطِ وتَشكيلِ** ما أَشْكَلَ من كلمات، وتمييزِ **النصِّ المُهمّ** وزُبدَةِ القول **بالخطِّ العريض**؛ إبرازاً للفائدة.

٨- وضَعتُ **العناوين الرئيسة** والفرعية، لخلو السلسلة منها، وتداخلها مع المحاضرات المُضافة - كما ذكرتُ سابقاً -، ووَضَعتُ **هَوامش جانبية**؛ تسهيلاً للقِراءة.

٩- كتابةُ **الآيات القرآنية** بالرَّسم العثماني، مع بيان اسم السورة ورقم الآية، في مَتن الكتاب.

١٠- تخريج **الأحاديث النبوية** والآثار، وعَزوُها إلى مصادِرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بهما غالباً، وإلا فأذكر مَن خرّجه من أئمة السُّنن أو غيرهم، واستَعنت ببرامج الحاسب لتُسهِّل عَملي، وإن تكرَّر الحديثُ في موضعٍ آخر؛ أنقل التَّخريج نفسه، فلا يلجأ القارئ للرجوع والبحث عنه.

١١- **التعريفُ ببعضِ الأعلام** والشَّخصِيات المذكورة؛ والتي يَستدعي سِياق كلام الشيخ التعريفَ بها، أو ببعض الجوانب المتعلقة بها[(١)].

١٢- قد يَجِدُ القارئ بعضَ المصطَلحات والعبارات التي تَحتاج مَزيدَ شرحٍ وتفسير، **فبعضها أُوَضِّحه بالحاشية**، والبعض أتركه نظراً لتوسع الشيخ في بيانه، في صفحاتٍ لاحقة من الكتاب.

١٣- ما كان في الحاشية من كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رَمَزتُ له عند نهايته **بحرف (ش)**.

---

(١) وغالب ما نقلته -في الكتاب والملحق- من ميلاد الأعلام ووفياتهم والحوادث بالتأريخ الميلادي لا الهجري، لأن أغلب المصادر التي نقلتُ منها تذكر ذلك، وهذا مما شاع في العصر الحاضر، فأبقيتها كما هي -تقصيراً مني- لكثرتها وصعوبة تحويلها بدِقَّة، مع العلم التام أن التأريخ الهجري هو الأصل وأن علينا الاعتزاز به.

١٤- أضفتُ **مَدخلاً** بتنبيهاتٍ قبل الشُّروع في قراءة الكتاب؛ تُساعد في فَهم طريقة تَناول الشيخ وطرحه للموضوعات.

١٥- **ذيّلتُ بملحقٍ** عَنونته بـ: «لمحاتٌ مِن حياة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومعها: بواكير الدَّعوة السلفية في الكويت».

هذا وأسأل الله عز وجل أن يكتب الأجر والمثوبة للشيخ أبي معاوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، على ما بَذَله طول سِنين عُمره، في سبيل نشر الخَير والسُّنة والدِّين المُصفّى، وتربية الناس عليه، والدعوة لإرجاعهم إلى الأمر الأول: قرون الصحابة والتابعين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ. والسَّعي لترسيخ المَفهوم الصحيح «للسَّلَفيّة الحَقَّه»، ونبذِ ما أُلصِقَ بها زُوراً، أو تَسَمَّى بها من دَعواتٍ وهي على خِلافها، وكان ذلك بالنسبة للشيخ كالهواء الذي يتَنَفَّسُه، ودَيدَن حديثه في غالبِ مجالِسه، مُسَخِّراً كل جهده وماله وأهله لنشره في أقطار الأرض.

فالله أسأل أن يغفر له ويتجاوز عنه، ويحشرنا معه في مُستقرِّ رحمته مع النَّبيين والصالحين، وأن يُبارك في هذا الكتاب، ويعفوَ عنا الخطأ والسَّهو والزَّلل، فهو سُبحانه خَير الغافرين.

والشُّكر موصول لكلِّ الإخوة الكرام الذين تَفضَّلوا عليَّ وأكرَموني بمراجعة النَّص وإبداء الملاحظات الفَنِّية واللُّغويّة، والتي ساهَمت في إخراج الكتاب بصورةٍ أفضل، فجزاهم الله خير الجزاء.

المُعتَني

بدر أنور إبراهيم العنجري

عضو هيئة التدريب بكلية التربية الأساسية

B_alanjery@hotmail.com

١٧ ربيع الآخر ١٤٤٢هـ - ٢/ ١٢/ ٢٠٢٠م

مَدخَـــل

تنبيهاتٌ لا بد منها

قبل الشُّروع في قراءة الكتاب، لا بد من بيان بعض الأمور المهمّة، التي يجب على القارئ أن يتنبَّه لها، ويستحضرها أثناء قراءته:

- هذا الكتاب **يُبيِّن بعضَ الملامح العامَّة والإشارات** التي يَستضيء بها **مَن أراد فَهم واقِع الجماعات الإسلامية**، وسبب اختلافهم، ومنشأهم، وأبرز مُفكِّريهم[١]، وبُعدهم أو قُربهم من منهج السَّلف الصالح.[٢]

---

(١) وقد يجد القارئ التصريح بأسماء مُفكري ومشايخ هذه الجماعات؛ وذلك بغرض النقد العِلمي الفِكري لا الشَّخصي، قياماً بواجب النصيحة للأمة، ولكي لا يَغتر الناس بأفكار هؤلاء من خلال كتبهم بعد وفاتهم.

(٢) جاء في مادة (سَلَفَ) في **تاج العروس**: قال: للسَّلَفِ مَعنَيان آخَرانِ: أحدُهما: كُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ قَدَّمْتَهُ، أو فَرَطٍ فَرَطَ لَكَ فهو لَكَ سَلَفٌ وقد سَلَفَ لهُ عَمَلٌ صَالِحٌ.

الثاني: كُلُّ مَن تَقَدَّمَكَ مِن آبَائِكَ وذَوِي قَرَابَتِكَ الذين هم فَوْقَكَ في السِّنِّ والفَضْلِ واحِدُهم سَالِفٌ، ومنه حديثُ الدُّعَاءِ للمَيِّتِ: (وَاجْعَلْهُ سَلَفاً لنا) **ولهذا سُمِّيَ الصَّدْرُ الأَوَّلُ مِن التَّابعين السَّلَفَ الصَّالِحَ** ومنه حديثُ مَذْحِجٍ: (نَحْنُ عُبَابُ سَلَفِهَا). وجاء أيضاً: والسَّلَفُ: القَومُ المُتَقَدِّمُون في السَّيْرِ ومنه قَوْلُ قَيسِ بنِ الخَطِيمِ: لَوْ عَرَّجُوا سَاعَةً نُسَائِلُهُمْ ... رَيْثَ يُضَحِّي جِمَالَهُ السَّلَفُ.

وقال ابن فارس في **(معجم مقاييس اللغة)**: (سَلَفَ) السين واللام والفاء أصلٌ **يدل على تقدم وسبْق**. من ذلك السَّلَفَ: الذين مضوا. والقوم السُّلاف: المتقدِّمون.

ومعنى السلفية فقد أجاب عنها فضيلة **الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: [السلفية: هي اتباع منهج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه؛ لأنهم هم الذين سلفونا وتقدموا علينا، فاتباعهم هو السلفية.

وأما اتخاذ السلفية كمنهج خاصٍّ ينفرد به الإنسان، ويضلل مَن خالفه من المسلمين ولو كانوا على حق! واتخاذ السلفية كمنهجٍ حزبي، فلا شك أن هذا خلافُ السلفية، فالسلف كلهم

فهـو لا يُعتـبر كتابـاً يـشرح عقيـدة السـلف وأدلتهـم في مختلـف قضايـا الاعتقـاد أو العمـل، وإنـما يُحيـل ويشـير إلى بعضهـا، والكتـب التـي تناولتهـا، **وَيَحكـي منهجهـم العـام في الفَهـم والاسـتِدلال.**

- أصل الكتـاب -كما سـبق وبيَّنا- أنـه دروسٌ ألقاهـا الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عِدَّة مَجالـس، ومـن عـادة تلـك المجالـس تـداول اسـتعمال اللَّهجـة العامِّيّـة -مع الحـرص عـلى تعديـلِ مـا أمكـن -، ولكـن عـلى القـارئ التَّنَبُّهُ إلى ذلـك، واسـتحضارُه حـال قراءتـه للكتـاب كأنـه يسـتمع إلى الشـيخ وقتـذاك.

- أُلقِيَـت **دُروس** سِلسـلة (أهـل الحديـث) في فـترات متقاربـة خـلال ثمانيـة شـهورٍ تقريبـاً، أمـا **المحـاضرات** الأخـرى التـي أضيفـت لهـا فكانـت **عـلى فـتراتٍ متباعـدة**، فبعضهـا ألقاهـا في حقبـة السَّـبعينيّات، مـرورا بالثمانينيّـات والتسـعينيّات، إلى مـا بعـد الألفـين الميلاديـة، فتجـد أن العبـارة قـد تَتَغـيَّر، وتَصـوّر بعـض الأمـور كذلـك يَسـتجد، بأحـداثِ ومتغـيراتِ الواقـع آنـذاك.

- قـد يجـد القـارئ أسـماءَ شـخصياتٍ أو أحـداثٍ وَقَعَـت، فيتسـاءل عـن فائـدة ذكرِهـا الآن! **فيعـود ذلـك لثلاثـة أسـباب:**

١) أن **أحـداثَ التاريـخ تتكـرر** أسـبابها ودواعيهـا، بأسـماءٍ جديـدة وأماكـن

=يَدعُـون إلى الاتفـاق والالتئـام حـول سُـنَّة الرسـول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولا يضللـون مـن خالفهـم عـن تأويـل، اللهـم إلا في العقائـد، فإنهـم يَـرون أن مـن خالفهـم فيهـا فهـو ضـال، أما في المسـائل العمليـة فإنهـم يُخَفِّفـون فيهـا كثـيراً.

فالسـلفية بمعنـى أن تكـون حِزبـاً خاصـاً لـه ميزاتـه ويضلـل أفـراده مـن سـواهم، فهـؤلاء ليسـوا مـن السـلفية في شيء. **وأمـا السـلفية** اتبـاع منهـج السـلف عقيـدة وقـولاً وعمـلاً وائتلافـاً واختلافـاً واتفاقـاً وتراحُمـاً وتَواداً، كـما قـال النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: (مثـلُ المؤمنـين في توادِّهـم وتراحُمِهـم وتعاطُفِهـم، كمَثَلِ الجَسَـد الواحـد، إذا اشـتكى منـه عضـو؛ تَداعـى لـه سـائر الجسـد بالحُمّـى والسَّـهَر) فهـذه هـي السَّـلَفية الحقَّة].ا.هــ مـن (لقـاء البـاب المفتـوح، رقـم٥٧ ص١٠).

مختلفـة، ولكـن طريقـة التعامـل معهـا هـي واحـدة، فيأخـذ منهـا اللَّبيـبُ العِـبرة والعِظـة، بربـطِ مـا مـضى بـما يَجـري.

٢) **معرفـةُ مَنشَـأ الجماعـات الإسـلامية المعـاصِرة**، ومـن أيـن اسـتَمدَّت فِكرهـا، وكيـف استفادت مـن أفـكارِ مَـن سَـبَقَها، ولكنهـم ألبسـوها لباسـاً واسـماً آخـر، وعَرَضوهـا وكأنَّهـا منهـم وإليهـم.

٣) **توثيـقُ تـراثِ الشـيخ وآرائـه** في مختلـفِ مراحـلِ حياتـه، مـن بدايـة معرفتـه بالمنهـج السـلفي إلى وفاتـه، بـما يزيـد عـن الأربعـين عامـاً، فتجـد أن فِكـره وطريقتـه لم تتغَـيَّر، وهـذا مـا سـيتَّضِح لـكَ عـبر هـذه المحـاضرات.

- يُكثِـر الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مـن **أسـلوبِ الحِـوار والنِّقـاش** في دروسـه، **والـرَّد العقلي المنطِقـي** بجانـب الشَّرعـي، مثـل قولـه: (وأنـت اسـأل إمام المسـجد عـن مذهبـه، فـإن قـال أنـا شـافعيٌّ -مثـلاً-، فقـل لـه: لمـاذا لم تكـن حنبليـاً؟ فلديـه جوابـان لا ثالـث لهـما)، وهكـذا، وذلـك لتقريـبِ المعلومـة أكثـر لـدى المستَمِع حينهـا.
- يُلاحَـظُ أن أسـلوب الشـيخ في الكتـاب **سَـهلٌ مُيَـسَّر**، بعبـارةٍ مبـاشِرةٍ، لا حَشـوَ فيهـا، مـليءٌ بذكـرِ الأمثلـة الواضِحـة، مـع الرَّبـطِ بالواقـع، فهـو **مُوجَّـهٌ إلى أفهـام عُمـوم النّـاس**، ومَـن فَوقهـم مِـنَ المثقَّفـين، غـير مُختَـصٍّ بنُخبـةٍ معينـة أو للمشـتَغلين بالعِلـم الشرعـي - مـع اشـتِمالهم ولا شـك -، وهـذا مما امتـاز بـه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- عـاشَ الشـيخ بدايـات انتشـار الجماعـات الإسـلامية وظهورهـا، وكانـت لـه **لقـاءاتٌ وحـواراتٌ مـع كثـيرٍ مـن قادَتِهـم ومُفَكِّريهـم**، إمـا مواجَهـةً، أو

عبرَ الصُّحف والرسائل، مما كوَّن لديه الخِبرة والاطلاع على أحوالها وأفكارها، علاوة على قراءاتهِ الكثيرةِ في مجالِ التاريخ الإسلامي، وسِيرَ الأعلام، وكتب المفكِّرين الإسلاميين وجماعاتهم، وحتى الاتجاهات غير الإسلامية أمثال الماركسِيّة والعَلمانية والقَومِيّة وغيرها، **مما أتاح له وضوحَ الرُّؤية بخطرِ هذه المناهج والجَماعات ، والرَّبط بين ماضيهم وحاضِرهم.**

قال الإمام قوام السُّنة إسماعيل الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

غـير أن الله أبـى أن يكـون الحـقّ والعقيـدة الصحيحـة إلا مـع **أهـل الحديـث والآثـار**؛ لأنهـم أَخَـذوا دينهـم وعقائدهـم خَلفًـا عـن سَـلَف، وقرنًـا عـن قـرن، إلى أن انتهـوا إلى التابعـين، وأخـذه التابعـون مِـن أصحـاب رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وأخـذه أصحـاب رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عـن رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولا طريـق إلى معرفـة مـا دَعـا إليـه رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ النـاسِ مِـن الديـن المسـتقيم، والـصِّراط القويـم، **إلا هـذا الطريـق الـذي سَـلَكَه أصحـاب الحديـث**.

الحُجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ٢٢٣)

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً:

وممـا يـدل عـلى أن أهـلَ الحديـث هُـم عـلى الحـقِّ، أنـك لـو طالعـتَ جميـع كتبهـم المصنَّفـة مِـن أولهـم إلى آخرهـم، قديمهـم وحديثهـم، مـع اختـلاف بُلدانهـم وزمانهـم، وتَباعُـد مـا بينهـم في الديـار، وسـكون كل واحـد منهـم قطـرًا مِـن الأقطـار، **وَجدتَهـم في بيـان الاعتقـاد عـلى وَتـيرةٍ واحـدة، ونمـط واحـد، يجـرون فيـه عـلى طريقـةٍ لا يَحيـدون عنهـا**، ولا يَميلـون فيهـا، قولهـم في ذلـك واحـد، ونَقلهـم واحـد، لا تَـرى بينهـم اختلافًـا ولا تَفرقـاً في شيء وإن قَـل، بـل لـو جَمعـتَ جميـع مـا جـرى عـلى ألسـنتهم، ونقلـوه عـن سَـلَفهم، وجدتَـه كأنـه جـاء مِـن قلـبٍ واحـد، وجَـرى عـلى لسـانٍ واحـد، وهـل عـلى الحـقِّ دليـل أَبـين مِـن هـذا؟!

الحُجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ٢٢٤)

المُقدِّمَـــة

إنَّ الحَمدَ لله نَحمُده ونستَعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وبارك وعلى آلِه وصحبه وسلَّم، أما بعد؛

نُحاول في هذه الصَّفَحات[1] وضعَ الملامحِ العامة للطائفة النَّاجِية المنصورة، مع التَّيسير والتَّسهيل قدر الاستطاعة، وإلا لو أخذنا كلَّ مَلمَح لنَدْرُسه أكاديمياً؛ لاحتاج مِنّا أوقاتاً كثيرة، **وهو في حقيقته ليس من عَقلي أو من جُهدي، وإنما هو نَقلٌ وتصوّرٌ لما ذَكره الأئمة رضوان الله عليهم**، فإن المرء لا يكون سَلَفِيّاً إلا إذا التَزَم ما كان عليه السَّلف رضوان الله عليهم أجمعين.

(١) وهي في الأصل دروسٌ ومحُاضراتٌ، ولكن جرى التغيير لتُناسِب الكتاب، وهذه الفَقرة أُخِذَت مِن مُقدمة المجلس «الثاني عشر» بهذه السلسلة، وهذا يُعطي القارئ تَصَوُّراً لطريقة العمل في هذا الكتاب.

١

المحـــــاضرة الأولـــــــى:

لِمَ هذا الحَديـث؟

المحاضرة الأولى

لِمَ هذا الحَديث ؟

موضوعُنا -والذي نَسألُ الله عز وجل أن يُعيننا عليه- هو موضوعٌ مُهم، ذلكم أن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قد أخبر عن انقسام الأمَّة إلى ثلاثٍ وسَبعين فِرقة، وقد جاءت الكتب الكثيرة التي فَصَّلتْ في الثّنتين والسبعين فِرقة، وأنا أحاولُ أن أجْمَع ما كتبه أهل العلم، وأُفَصِّل في الفرقة الناجية: أهل الحَديث، السَّلَفيّون، أهل السُّنّة والجَماعة، الطَّائفة المنصورة، وهذه كلها أسماء وأَوْصافٌ أُطْلِقت على هذه الفِرقة، التي عَدَّها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأنها ناجية.

الدافع لهذا البيان والحديث

والدافعُ لنا هو حُب الخَير للناس، وهذه هي الصفة التي امتاز بها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أنه كان يحب الخير للناس، وقعّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هذا بالحديث المشهور: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يُحب لنفسه)[(١)]، فمن منطلق حب الخير للناس حرص أهل الحديث السلفيين **على أن يُرشدوا النّاسَ إلى طريق الجنة**، ويبعدوهم عن بقية الطرق التي لا توصِل إليها.

السبب الثاني: أن الإسلام الآن - المطروح في الساحة - لم يبق هو الإسلام الأول، وإنما تحقق فيه وصف النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ له **بالافتراق**،

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

والافتراق حصل في المسلمين، ودليله الواقع، فلَسْنا نزعم أن الأمة افترقت، بل الواقع يشهد أن المسلمين منذ فتنة مقتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وإلى يومنا هذا وهُم في خِلافٍ وفُرقةٍ وشِقاق.

هذا الاختلاف جرَّهم أن ينحازوا عن الصراط المستقيم الذي أمرنا ربنا جل وعلا أن نسلكه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، **فالإسلام طرأ عليه تشويه في فَهمِه،** مُتمثِّلٌ في مذاهب الثنتين والسَّبعين فِرقة، التي أخبر عنها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

دور السَّلفِيين أهل الحديث يقومُ بأمرين اثنين:

بيان الحق والباطل

الأول: تبصير الناس بالدرب الصحيح، وهذا لا يكفي، لأن الناس إذا عرفوا الصواب فليس بالضَّرورة أنهم قد عَرفوا الخطأ، بل قد يلتبس الأمر عليهم، لأن النظرية التي عند البعض أنه: إذا عَرف الناس الخير فهُم يعرفون الشر! وهذا ليس صحيحاً، ولذلك جاء في الحديث الصحيح: (من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه)[1]، فلا بد من إيمان بالله وكفر بالطاغوت: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ هذه هي القاعدة ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦].

فالطائفة الناجية عبر تاريخها منذ أن بدأ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دعوته وإلى أن تقوم الساعة **يقوم دورها ببيان الحق، وبيان الباطل**، فبِضِدِّها تتميزُ الأشياء، **وهذا الأمر الثاني**.

(١) أخرجه مسلم (٢٣).

تصفية الدين

إذاً وظيفتهم تَصفِيَة دين الإسلام من الشوائب وتَقديمه للناس، وهذا عمل عظيم لا يقوم به فيما نعلم إلا السلفيون عبر تاريخهم، ولذلك انظروا إلى كل مُفكري الدنيا منذ أن بدأت الفتنة وإلى يومنا هذا، مَنْ سعى إلى محاربة الشرك؟ لا تَجِد للمعتزلة ولا للأشاعرة ولا حتى للخوارج ولا حتى للرافضة ولا لغيرهم صراع ضد شركيات القبور! وإلا فمَن حَرص على تصفية عقيدة الأسماء والصفات، وإظهارها للناس، وتحقيق الإيمان الكامل بها إلا السَّلفيون، وإلا فأولئك لا يوجد عندهم شيء، بل الذي عندهم هو تدمير للأسماء والصفات.

فوظيفة المؤمنين والمؤمنات هي الإيمان الصَّحيح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **ولا نعتقد أن هناك منكراً أكبر من الشِّرك، ولا أن هناك معروفاً أكبر من أن يُدعى إلى توحيد الله سبحانه وتعالى.**

لأن هذه المَزِيَّة وهي **التطبيق العملي** للأمر والنهي، لَم تُتح لدينٍ من الأديان إلا لهذا الدين، في وجود النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك في عهد الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، ولذلك جعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مذهب الخلفاء الأربعة امتداداً لِسُنَّته كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ)[1]، إذاً هذه القضية أساسٌ، فرَّطت فيها الطوائف؛ فانحرفت.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وأبوداود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦).

يوضِّحُ الشيخ في موضع آخر: [أن الأديان الأخرى كاليهودية والنصرانية ما أتيحت لها فرصة **التطبيق العملي**، يعني في التوراة والإنجيل ما استطاع الرسل الذين سبقوا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقيموا عليها دولة، فالأمر مختلف عندنا، الدين الذي أُنزل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استمر معه في حَربه وسِلمِه، وقوته وضعفه، وفي جميع أحواله، حتى كيف يتعامل الرجل مع زوجته إذا غضبت عليه من أجل طعام، وهذا غير موجود في الأمم الأخرى، لا قانون فرنسي ولا قانون إنجليزي ولا قانون مصري، ما عندهم هذه الدقائق الموجودة في دين الله عز وجل.

التَّسَمّي بها تزكية أم لا؟

القضِيَة الثانية: أن بعض الناس يظنون أننا عندما نقول: هناك فرقة ناجية وأنهم أتباع السَّلف، أن ذلك نوعٌ من التزكية، ويستدلون جهلاً بقول الله جلّ وعلا: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝٣٢﴾ [النجم:٣٢].

وهذا في الحقيقة استدلالٌ فاسد، والأمر ليس كما ذهبوا إليه، ذلكم أن الوصف لأهل الخير لازم، والوصف لأهل الشر لازم.

=نحن في ديننا كلُّ ما فيه من تشريع؛ طُبّق على البشر، طُبِّق على الأغنياء وعلى الفقراء وعلى المتعلمين وعلى العوام، ولم يتح هذا التطبيق للرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقط، حتى لا يأتي أحدهم ويقول: هذا الرسول يأتيه الوحي فهو مَن طَبَّق الإسلام، أما نحن حُكاماً ومحكومين بشرٌ غير معصومين! نقول لا، طَبَّقه أبو بكر وطبقه عُمَر وطبقه عثمان وطبقه عَلِي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين، طبَّقوه كاملاً، بل حتى الصِّراع على السُّلطة والحُكم ليس بعبثٍ أن الله ساق الناس تتقاتل مع عثمان أو تتقاتل مع علي في ذلك الجيل الفاضل، لأن هذا تشريع، وحتى تَعرِفَ الأمةُ إذا اختلف الناس فيها على حكامها ماذا يفعلون، فهل تعتقدون عبثاً أن الله عز وجل يُعرِّضُ أولياءه إلى أن يأتيهم سَفَلَةَ الأرض فيَقتُلوا عثمان!! **فحتى تعرف الأمة والعقلاء من الناس بعد ذلك كيف يتعاملون في الفتن** إذا وقعت عليهم.

ولذلك أنا قلت -في دروسٍ قديمة- أن أكبرَ درسٍ هو كيف أن الصحابة ضَبَطوا أعصابهم فما قاتلوا، امتثالاً لأمر الحاكم، فعثمان نهاهم عن القتال، ويقول بعض المؤرِّخين: أنه لو حَصَل قتالٌ ما بَقي أحدٌ من الصحابة، فهم بالمدينة وهؤلاء كانوا جيشاً من الأفّاكين مختَلَطين، فكانت الحِكمة والإلهام الذي ألهمه الله لعثمان أن يكفوا أيديهم، فهذا درس لنعرف كيف نفعل في الفتن.

إذاً ديننا طُبِّق جهاداً وطُبق سِلْماً، طُبِّق في أعماله كلها، **فلا توجد صورة من صور الحُكم والعلاقة مع الكفار والمسلمين لم تكن موجودة قديماً** أبداً، ثم جاءت دولة بني أمية ثم دولة بني العباس وصارت الفتوح واختلطت الدنيا، إذاً نحن لا نعيش أمةً مبتورة، فيأتي أحدهم ويضع النظام الاقتصادي في الإسلام! فإذا به يبحث في الربا والبيوع والإجارة وأحكام المعاملات، هو نفسه موجودٌ عندنا! ولكن الناس تظن أن هذه الجماعات أتت لهم بتقنين جديد للشريعة الإسلامية! هذا عَبَثٌ في العقول.

إذاً ديننا طُبِّق على أرض الواقع بجميع الظروف، طَبَّقه حاكمٌ قوي مُجمَعٌ عليه، وطَبَّقه حاكم ليس بِمُجمَع عليه، وطُبِّق بتعدد الأمراء، وطُبِّق بوجود أميرٍ واحد، كله موجود، إذاً ما الذي علينا؟ ألا نأخُذَ عِلمَنا من العجائز والعَوام، وإنما علينا إذا أردنا أن نكون أمة مُهتدية أن **نأخذ العلم من أهله**، أن يكون في الأمة أمراء يَحْكُمون بدين الله، وعلماء يَدُلّونَهم على دين الله، فإذا ضاعت هذه القضية، ضاعت معالمُ الدِّين]. من محاضرة بعنوان: (نظرة السلفيين إلى واقع الأمة).

فلا بـد مـن أن تُعـرف الرايـة التـي ينضَـوي تحتهـا أهـل الحـق، والرايـات التـي ينضـوي تحتهـا أهـل الباطـل، وهـذا كـما نقـول: نحـن أهـل الإسـلام، وهـذه تزكيـة لازمـة.

إذاً **المنـوع في التزكيـة هـو التزكيـة الغَيبيـة**، يعنـي نقـول: فـلانٌ مـن أهـل التقـوى والـورع، فـلان مؤمـن، هـذا أمـر لا تعرفـه أنـت، فالنهـي جـاء عـن التزكيـة فيـما لا يسـتطيع الإنسـان أن يعرفـه أو يسـتدل عليـه، وأمـا إذا كان الأمر يُعـرف ويُسـتدَل عليـه فهـذا لا يُعـدُّ تزكيـة، ولذلـك نقول: فـلان مـن المصلِّين، لأننـا نـراه يُصَـلي، فـلان مـن أهـل الإسـلام، فـلان مـن الحُجّـاج والمعتمريـن، هـذا كلـه وصـفٌ بطاعـة، لكنـه وصـفٌ منظـور، لكـن لـو قلنـا: فـلان مـن المتقـين! نحتـاج إلى دليـل، ولذلـك بهـذه نسـتثني فنقـول: هـو مُتـقٍ إن شـاء الله، فنحـن لا نَعـرف باطنـه.

فـإذاً الوصـفُ بالهدايـة وصـفٌ لازم، وهـذه تزكيـةٌ لازمـة، نقـول: فـلان مـن أهـل التوحيـد، لأن هـذا ظاهـر أمـره، فـلانٌ مـن أهـلِ السـنة، هـذا ظاهـر أمـرِه، فـلان مـن أهـل البـدع، هـذا ظاهـر، فـلان مـن أهـلِ الانحـراف، فـلان مـن أهـل الاعتـزال، فـلان مـن أهـل الـكلام، هـذا كلـه أيضـاً ظاهـر.(١)

---

(١) **سـائل يسـأل الشـيخ: هـل مـن التزكيـة التسـمي باسـم السـلفية وأنهـم الفرقـة الناجيـة أو الطائفـة المنصـورة، حيـث جعلتـم أنفسـكم أنتـم في الجنـة وغيركـم في النـار؟ كيـف حكمتـم بذلـك؟**

الجـواب: الله حكـم بذلـك، مثلـما تقـول: المسـلمون في الجنـة والكفـار في النـار فهـذه تزكيـة، لا نقـول إن السـلفيين لا يعذَّبـون، وإنـما نقـول هـؤلاء عملهـم ينجيهـم عنـد ربهـم وهـو عقيدتهـم وسـلوكهم، وأولئـك عملهـم لا ينجيهـم عنـد ربهـم لأنهـم خلطـوا باطـلاً بحـق وتوحيـداً بـشرك، فليـس كل مـن يقـول: أنـا سـلفي، هـو في الجنـة! حاشـا لله، لكـن نقـول هـذا المنهـج مـن سـلكه يُعـدّ ناجيـاً، كـما نقـول **مـن سـلك منهـج التوحيـد نجـا عنـد الله**، لكـن الإنسـان الموحّـد الـذي يـزني يعاقبـه الله عـلى معصيتـه.

وآخر يسأل: هل نَحكم على بعض الجماعات أنهم في النار؟

الجـواب: لا، نحـن مـا نقـول أنهـم في النـار مخلَّـدون، أو أنهـم كفـار، إلاّ مـن وقـع بالكفـر منهـم –

فإذاً الوصف الذي وصف به النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الطائفة بأنها ناجية وأنها ظاهرة وأنها منصورة، **بيَّن أنها التي تمسَّكت بما كان هو صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه وصحابته رضوان الله عليهم**.

السؤال الذي يُطْرَح في البحث قبل أن نَبدأ:

هل بيانُ منهج السَّلف وتمييزه وذِكر مَن خالفه، يُعَدُّ مِن لوازم هذا العصر؟

نقول نعم، طَرحُ هذه المسألة في هذا الوقت نراه من أوجب الواجبات، لأن المسلمين وَقَعوا في عصرنا هذا في عدة أمور؛ منها:

أسباب الحَديث عن ذلك

الأول: انتشار الجهل بحقيقة الفِرَق، ففي العصور القديمة كان الناس يعرفون أن هؤلاء معتزلة، وهؤلاء خوارج، وهؤلاء أَشاعِرة، وهؤلاء رافضة، أما في عصرنا هذا تداخلتِ الفرق، وذلك أن المكر الشيطاني قد ألبَسَ الفِرق لِباساً متجانساً وهو **اللِّباس العَقلاني**[(١)]، فبالتالي الآن لم

=وهناك رسالة في شرح وتخريج حديث الافتراق للصنعاني صاحب سبل السلام، مع تعليقات الأخ سعد السعيدان عليها، جميلة جداً-، لكن نقول أن من سلك هذا الدَّرب أي اتبع غير سبيل السلف فهو غير ناج، لكن يمكن أن يكون فرداً من الناس ينجيه الله لسببٍ، الله أعلم به، لكن من حيث الحكم الشرعي هو هذا، وإلاّ يَلزمك على هذا أنك ما تَقدِر أن تقول إن الموحدين في الجنة والمشركين في النار.

وكيف تُزكي الموحدين وأنتَ مُوَحِّد، فأنت زكيت نفسك؟! ولو قلنا كل الموحدين في الجنة ناجون، وكل من وقع في الشرك يعاقب وليس بناج، يأتي إنسان يقول: لماذا أنتم زكيتُم أنفسهم؟! إذاً نحذفها ولا يبقى لنا شيء نتمسك به!!

(١) [الآن تغيرت الأسماء، فما نرى واحداً الآن يقول أنا معتزلي، لكن كم من الناس -حتى من بعض العوام المصلين- تسمعه يقول إذا أتيته بمسألة شرعية: هذه ما دَخَلت عَقلي!! **وما الاعتزال إلا هذا، تقديم العقل على النَّقل**، الأولون إذا جاءهم أمرٌ من الله سبحانه وتعالى قالوا: سَمِعنا وأطعنا، والعقلانيّون يريدوننا أن نُقدِّم العقل! يقولون هذه كلمة صغيرة، لكنها جُرأة على الدين عظيمة، إذاً تغيَّرت الأسماء لكنّ الواقع هو الواقع، والفِكر هو هو نفسه يَنتشر] من محاضرة للشيخ بعنوان: (الخلاف المشروع والممنوع).

يصبح المرء يميّز بين أئمة الفِكر في الدنيا، فلا يعرف من هو الأشْعَري ومن هو المُعتزلي، ولا يُميز ذلك إلا المُطَّلع البَصير، وأمّا عوام الناس -بل عوام أبناء الصحوة كما يقولون-[(١)] ما أصبَحوا يُميّزون، لأن الطَّرحَ الذي تَطرحه جماعة الفكر المُسْتَنير[(٢)] كـ: محمد عمارة، وفهمي هويدي[(٣)]؛ هو

---

(١) قد يُطلق مصطلح «الصَّحوَة» ويُقصد بها التَّدين بشكل عام، والانتباه من غفلة المعصية، وتحقيق مرضاة الله، وقد تُطلق أيضاً ويُراد بها تلك الجماعات التي تدعو لنهضة الأمة شَكلاً لا مضموناً، ودونَ فهم صحيح للدين، ودون ربطه بفهم السلف في القرون الأولى، وهذا ما عَبَّر عنه الشيخ كثيراً في كلامه، كما ستجده في هذا الكتاب.

(٢) يقول د.عبدالرحمن الزنيدي في كتابه (السلفية وقضايا العصر) ص٢٤: [لقد كان من آثار خَبو وَهَج العلمانية في البيئات الإسلامية، أن **تقمَّص بعض أتباعها رداء الإسلام؛ ليتحركوا تحت رايته بعلمانيتهم** بأسماء مختلفة؛ كالإسلام التَّقَدمي، **وفكر الاستنارة الإسلامي**، أو اليسار الإسلامي.
وصار هؤلاء الاستناريون الملقبون بـ «**المُفكِّرين الإسلاميين**»، يُفسرون الإسلام على أنه قومية، أو مجرد قيم عليا - عدالة وجلباً للمصلحة ودرءاً للمفسدة - **للمسلم أن يُنظِّم حياته على أساسها كيف شاء!!**] وعرّف قبلها مصطلح **العصرانيون** فقال: [من يرفضون جزئياً أو كلياً اعتماد التعاليم الإسلامية في الحياة، سواء كانوا ملاحدة أم علمانيين أم من يسمون أنفسهم: يساراً إسلامياً].ا.هـ

و«**جماعة الفِكر المستنير**» ويسمونهم كذلك (العصرانيين) و(التنويريين) و(المعتزلة الجُدد) يَدْعُون إلى تقديم العقل على النص الشرعي، ويتَّهمون السلف أنهم حَرْفِيّون نَصِّيون جامِدون، ويرون بالاجتهاد المطلق ومواكبة العصر حتى في أصول الإسلام ولو خالفَ النَّصَّ الصَّريح، لأن الواقع يُعتبرُ مصدراً من مصادر التشريع عندهم، ويرون بتمييع الحواجز الدينية بين المسلم والكافر، والسعي لوحدة الأديان، وتبرز لديهم الاستهانة بأحكام الله وشَرعه، وتعطيل أغلب السُّنة النبوية، والجرأة على إثارة الشبهات والآراء الشاذة باسم التسامح الديني وحرية الفكر، ويرون بإنكار «حَدِّ الرِّدّة»، وحصْرِ الجهاد بالدفع، وإباحة زواج المرأة المسلمة من الكتابي، ومساواة المرأة بالرجل في الشهادة، وتهوين أمر حجاب المرأة، واستباحة الاختلاط بين الجنسين، وتمجيد الحضارة الغربية، وغيرها من أفكار، تَقِلّ أو تَزيد عند أفرادها كلٌّ بحَسَبه.

(٣) **محمد عمارة** مصطفى عمارة: ولد سنة ١٩٣١م في قرية (صرورة) بمحافظة كَفْر الشيخ، بعد تخرجه من الثانوية الأزهرية دَرَسَ في كلية دار العلوم تخصص اللغة العربية والعلوم الإسلامية، انضم إلى حزب (مصر الفتاة)، ثم تحول من الاشتراكية والماركسية إلى التوجه الإسلامي، له مؤلفات عِدة منها: (التحرير الإسلامي للمرأة)، (تجديد الدنيا بتجديد الدين)، (الثوابت والمتغيرات في فكر اليقظة الإسلامية الحديثة)، (الاسلام بين التنوير والتزوير)، وعُني بإخراج ونشرِ الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورفاعة الطهطاوي، وعبد الرحمن الكواكبي، وقاسم

=أمين، وعلي مبارك، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٢٠٢٠م، ونَعَته رسمياً جماعة الإخوان في مصر. [من موقع إخوان أونلاين]

ومن المفيد أن أنقل كلاماً قاله **العلامة الأستاذ محمود محمد شاكر** - سنة ١٩٨٤م وهي السَّنَة التي استلم فيها جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي - عندما سأله الأستاذ حُسين أحمد أمين في كتابه (شخصيّات عرفتُها ص١٥٨): [قلتُ في دَهشَةٍ: قرأتَ سيادتك (دليل المسلم الحزين) - وهو كتاب لحُسين - ؟ فأجاب شاكر: أيوه يا سيدي. قال حسين: وما رأيك فيه؟ فقال شاكر: فَوّت (أي لا داعي للحديث عنه). فرد عليه حسين: اسمح لي بأن أصرّ على سَماعِ رأيك مهما كان.

اعتدل في مجلسه ليواجهني، ثم قال: أتحسبُني غافلاً يا سيد حسين عما تفعله؟ أتحسبني غافلاً عن نواياك وخططك من وراء مقالاتك في (مجلة المُصَوّر)، أو كتابك هذا؟ لا يا سيد حسين! لا أنا بالغافل، ولا أنا بالأبله، حتى أُسَمّيك كما أسماك عبدالعظيم أنيس منذ أسبوع في (جريدة الأهالي) بالكاتب الإسلامي المستنير! ما معنى (الإسلام المستنير) بالله عليك؟ أهناك إسلام مستنير وإسلام غير مستنير؟ أم أن الإسلام كله نور، ومن لم يستنر به لا يجوز وصفه بأنه مسلم؟ **الكاتب الإسلامي المستنير حسين أمين! محمد عمارة! فهمي هويدي! حَسَن حَنَفي!!**

دعني أقول لك إن كل ما تكتُبونه هو عبث أطفال. نعم، مجرد لعب عيال! كلكم أطفال، يقرأ أحدكم كتابين أو ثلاثة، فيحسب نفسه مجتهداً، ومؤهلاً للكتابة عن الإسلام والإصلاح والاستنارة!!

محمد عمارة هذا تبلغ به الصَّفاقة والادِّعاء والجهل مَبلغاً يجعله يصف كتاب محمد عبده (رسالة التوحيد) بأنه من أهمِّ ما كُتب في التراث الإسلامي في علم الكلام! لا يا شيخ؟!! هل قَرأتَ يا سيد عمارة كلّ ما كُتب في التراث الإسلامي في عِلم الكلام، ثم وصَلتَ إلى اقتناع بأن هذا الكتاب الهزيل الحقير الغَثّ لمؤلفه ضَحل الثَّقافة، مِن أهمِّ الكتب في الموضوع؟!! ما هذا العَبَث وهذا الاستغلال لجهل الناس؟! لا، الأمر أخطر من ذلك إنها مؤامرة. - مؤامرة؟!

- مؤامرة تَستهدف تَمجيد رَجُلين من أخطرِ عُملاء الاستعمار في تاريخ أمة الإسلام: جمال الدين الأفغاني الماسوني، ومحمد عبدُه الصَّدِيق الصَّدُوق للورد كرومر.

إن المسؤولية عن مُعظم ما يُعاني منه الإسلام اليوم تقع على عاتق هذين الخبيثين، خاصة الأفغاني الذي هو أُسّ الفَسادِ كلِّه، وقد تَعجَبان إن قلتُ لكم إنني متفق مع «لُويس عوض» في الرأي بأن الأفغاني كان مُجرَّد متآمر، وأنه لم يكن صَحيح الإسلام. وعلى أي حال فإن رأي لُويس ليس جديداً، وكل هذه الأمور كانت معروفة عن الأفغاني حتى أثناء حياته].ا.هـ

فهمي هويدي: هو محمود فهمي عبد الرازق هويدي، كاتب صحفي، ولد سنة ١٩٣٧م، في الصف محافظة الجيزة بمصر، درس في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، تأثر بأحمد بهاء الدين ومحمد حسنين هيكل، ينتمي في الأصل إلى عائلة إخوانية، حيث كان والده عبد الرازق هويدي

نفسه صار مثل الذي يطرحه -مَن يُسَمَّون- بروّادِ الصَّحوة كمحمد الغَزَالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ والقَرضاوي[1]، وتداخلت الأمور واختلطت الأوراق في الطرح، وفي الرجوع إلى الكتاب والسنة، وفي الأخذ منها والترك، وهذه في الحقيقة لا أعلم أنه مَرّ على المسلمين عصرٌ ضاعت فيه معالم الفِرَق -وهي موجودة وتعمل بقوة- كما هو في عصرنا هذا.

أطروحاتهم متقاربة

في هذا العصر ما أصبحت الرايات مرفوعة وواضحة، لكن ترى مذهب الاعتزال له كتبه ورجاله ويُدَرَّس، ومذهب الأشاعرة له كتبه ورجاله ويُدَرَّس ويَسود، ومذهب الخرافيين الشيء نفسه ، ومذهب الباطنيين الشيء نفسه، **لكن** عندما تَقْرأ استدلالات ما يكتبه المستدلون، سواء كانوا رافضة، أو من أصحاب الفكر المُسْتَنير، أو كما يُقال من (مُوجّهي الصَّحوة!)، ترى الأطروحاتِ متقاربةً جدّاً، **فأصْبَح لزاماً على من بَصّرهُ الله سبحانه وتعالى أن يُبَصِّر الناس، حتى لا نُورِّث للجيل**

=أحد مؤسسي الجماعة، من مؤلفاته: (القرآن والسُّلطان)، (مواطِنون لا ذِمّيون)، (الإسلام والديمقراطية)، (أزمة الفِكر الديني).

(١) **الغَزَالي**: هو محمد الغزالي بن أحمد السقا، ولد (١٩١٧م) بمحافظة الجيزة بمصر، انضم لجماعة الإخوان وعمل سكرتيراً لمجلتهم، ودرَّس في كليات الشريعة بالأزهر ومكة المكة وقَطَر والجزائر، وعُيّن وكيلاً لوزارة الأوقاف بمصر، له مؤلفات كثيرة منها: (فقه السيرة)، (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث)، (تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل)، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالرياض ودُفِن بالبقيع (١٩٩٦م). [ذيل الأعلام للعلاونة ١/ ١٩٣]. وللشيخ د.صالح آل الشيخ رسالة في الرد عليه بعنوان: (المعيار لِعِلْم الغَزَالي في كتَابِه السُّنّة النَّبويّة).

د.**يوسف القرضاوي**: ولد سنة ١٩٢٩م بقرية صفت تراب بالمحلة الكبرى بمصر، كُلِّف من قِبل المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين حسن الهضيبي بالدعوة في عدة مناطق بمصر، له مكانة كبيرة في جماعته، ويشغل حالياً مديراً لمركز بحوث السنة في دولة قطر، له عِدة مؤلفات منها: (الحلال والحرام في الإسلام)، (فقه الزكاة) في جزئين، (الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف). [من موقعه الإلكتروني الرسمي]. وقد ردَّ الشيخ د.صالح الفوزان عليه بكتاب أسماه: (الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام).

القادم هذا الخَلط، الذي لا يستطيعون من بعده أن يميّزوا بين الهُدى والضلال، فكان من مُميزات السلف عبر تاريخهم جميعاً أنهم يُصْلِحون ما أفْسَدَ الناس، وأنهم يظهرون الحق إذا أريد له أن يختلط بالباطل.

تجتمع على حربها لمذهب السلف

لذلك اقرءوا ما يكتبهُ محمد عمارة أو فهمي هويدي أو عبدالحليم عويس[1] أو القرضاوي أو الغزالي، أو ما يَطرَحُه مُفكّرو الإخوان عبر جرائدهم، تجدها متقاربة جداً، وهي الأطروحات نفسها التي يطرحها الوائلي[2] وغيره أيضاً من كُتّاب الرافضة، فتداخلت الأمور، **وأصبَحَت الفِرَق كلها تدور في حَلَقة واحدة، لكن الذي يجمعها هو محاربتها لمذهب السَّلف رضوان الله عليهم.**

إذاً هذا سببٌ جَوهري يجعلُنا نُميِّز أيضاً ونَفرز الدُّعاة، ولذلك نحن نُنادي دائماً **بالتَّمايز لا التَّجانس**[3]، فالتجانس يُضَيّع الهوية، وقد شَرحتُ هذا مِراراً ونُدَنْدِن حوله من أنهم يَدْعون إلى التجانس، أي أن كل شيءٍ يُصبح في قالبٍ واحد، وأمَا نحن فنرى على قاعدة سَلَفِنا **أنه لا بد من**

(١) هو **عبدالحليم عبد الفتاح محمد عويس**: ولد سنة ١٩٤٣م بقرية سندسيس، مركز المحلة الكبرى بمصر، دَرَس بجامعة القاهرة، وصار أستاذاً بالتاريخ والحضارة الإسلامية، وعمل مدة (١٧) سنة أستاذاً بجامعة الإمام ابن سعود بالرياض، له مؤلفات عدة منها: (بديع الزمان سعيد النورسي: رجل الإيمان والتجديد)، (فتح الله كولن: رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة)، (الفقه الإسلامي بين التطور والثبات)، (الوحي والعقل والعدل في ميزان الإسلام)، (ثوابت ضرورية في فقه الصحوة الإسلامية)، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٢٠١٢م. [من صفحته الرسمية بالفيسبوك وموقع الألوكة].

(٢) **الوائلي**: هو أحمد بن حسون بن سعيد، عالم شيعي عراقي، ولد في النجف سنة ١٩٢٨م، دَرَس بجامعة بغداد، والدكتوراه من كلية دار العلوم بالقاهرة، هاجر إلى دمشق مدة (٢٤ سنة) إلى قبيل وفاته بأيام. ومن مؤلفاته: (هوية التَّشَيّع)، (دفاع عن الحقيقة)، (حجية ظواهر القرآن) وتُوفي سنة ٢٠٠٣م. [من موقعه الإلكتروني الرسمي].

(٣) وسيُفصله الشيخ أكثر في عنوانٍ قادم.

أن نُميّز بين الناس، كما هو وَصْفُ المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(ومُحمدٌ فرْقٌ بين الناس)**(١)، ومعنى ذلك أن نُميِّز أنفسنا عقيدةً ومنهجاً وسلوكاً وهيئةً وشكلاً، وهذا لا بُدّ منه، حتى إذا رُئي الشخص من بعيد؛ عُلِمَ أن هذا من أهل التوحيد.

يزعمون أنهم سلفيون

السبب الثاني الذي يجعلنا نُصِرُّ على وُجوب طَرح وبيان منهج السلف وتمييزه هو: أننا ابتُلينا في عصرنا هذا بأُناسٍ يحملون راية التكفير، ويزعُمون أنهم سَلفِيّون! وهذه من آفة العصر أيضاً، وما عَهِدنا في الخوارج وجماعة الحاكِمية والتكفير قديماً أنها نُسِبَتْ للسلفية كما في هذا العصر، **فاختلَطت الأوراق على الكثير من الناس**(٢)، بل حتى

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨١).

(٢) [أتت جماعة في القرن العشرين فنازعوا أيضا في مُسَمَّى السَّلفية، فأخرجوا لنا (سلفية جِهادية) و(سلفية حَركية) و(سلفية عِلمية) و(سلفية نِضالية) ما الفرق؟ المسمى يُربط مع فعل، ننظر في هذه المسميات فإذا بها **تميل إلى مذهب الخوارج**، وإن أخَذت مذهب السلفية لأنهم يرون الآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] فيرون هذا كفراً مُخرجاً من الملة، ويرى أتباع (السلفية العِلمِية): بأن كل الحركات التي جرت في عهد المسلمين الأوائل هي حركات تعبيرٍ عن الرأي، حتى ظهور المنافقين في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَدُّوا هذا نوعاً من أنواع إظهار الرأي، ونوع من المخالفة، حتى الذين قتلوا عثمان جعلوه نوعاً من الديمقراطية، التي أدت إلى هذا، حتى الخوارج عُدوا من ذلك!!

إذاً **هذا المنهج هو منهج الخوارج نفسه**، تَسَمّى سَلَفي، تَسمى أهل حديث، تَسمى أهل سنة وجماعة، **لا يُغيّر من واقعه شيء**، و(السلفية الجهادية) نفسها تدعو إلى قَتلِ المسلمين وقِتالهم، بل كما جرى في الجزائر؛ مِن تقتيلِ أطفال المسلمين، وهم يسمونها بالسلفية الجهادية! **إذاً هذه مسميات لا تخدم ولا تتفق مع المنهج الصحيح**، كيف نُميِّز بين السلفية التي أُمرنا باتباعها، وبين هذه السلفيات؟! نقول كما قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يا حارث، اعرف الحق تَعرف أهله) [تلبيس إبليس ص٧٤، ط. دار الفكر]، **فالاسم أحيانا يَضيع، لكن نَرى المضمون**.

فلا بد أن تُميّز وتَعرف ما هي السلفية، وبالإمكان تَفهَمها في دقائق، **ليست عِلماً يُدرَس، فهي عبارة عن منهج لفهم الدين قائم على الكتاب والسنة كما فهمه السَّلف في كل شيء**، فتعتقد ما اعتقده الصحابة، وتعتقد في الأعمال ما كان عليه الصحابة، هل الصحابة قاتلوا هكذا عبثا؟ الجواب لا، هل الصحابة خرجوا على ولاتهم؟ الجواب لا، هل الصحابة أخذ كلٌّ عَصاه وذَهب

على المفكرين، بل حتى على كثير ممن يشتغلون في الصَّحوَة، فلذلك نُسبَت الجماعات الإسلامية كجماعة الجهاد، والجماعة المُسَلَّحة، وجماعات الإصلاحيين، وجماعات القُطبيين، وغيرها نُسبَتْ إلى السّلفيين!! وكلهم يرفعون -كما تقرأ بيانات الخليفة المَوْتور[(١)] في أفغانستان- شعار الكتاب والسنة! ولو قرأتَ البيانات التي تُصدِرها الجماعات المسلَّحة كلّها باسم الكتاب والسنة وفقهِ السلف!!

=ليَنهى عن المنكر؟ الجواب لا، إذاً يَسَعُنا ما وَسِعَهم.

هؤلاء نَظَروا في النصوص التي جاءت عن أهل البدع فأخذوها بوجه واحد، لم يأخذوها بالوجه الثاني، أيضاً جاءت نصوص كثيرة جداً في اللين مع النصارى، في اللين مع اليهود، في اللين مع أهل البدع في دعوتهم، فلماذا لا نعمل بها!، وهؤلاء (الجهاديون) أيضا جاءت نصوص في أن الصحابة تركوا الجهاد وهادنوا الكفار فلماذا لا نأخذ بها!

السلفيون يأخذون الوسط، فلا مع المُبدِّعة ولا مع المُكفِّرة، وعلينا -بعد أن نلتَفَّ حول علمائنا- **أن نُجاهد الطرفين جهاداً كبيراً**، ما نَسكُت حتى تَضيع معالم الدعوة السلفية، ما نُجاهدهم بمعنى نَحمِل عليهم العِصِي، **بل نتحصن بالعلم ونُجاهِدهم به**، ما نتركهم يغزوننا، لا المُبدِّعَة أحسنوا الدَّرب، ولا المُكفِّرَة أحسنوا، بل شَوَّهوا سُمعة الدعوة السلفية في السَّب والشتم وتضليل الناس، كما جرى في الجزائر وفي العراق وفي غيرها باسم الجهاد.. وما جرى عندنا بالكويت، وما جرى في السعودية، فهؤلاء شَوَّهوا السُّمعة، ويأتي أحدهم ويقول: ما بَقِي أحدٌ لم تبدعوه! ويقول آخر: ما بقي أحدٌ ما قاتلوه! لماذا؟ **لأن السلفيين الخُلَّص لم يقوموا بواجبهم**، علينا أن نقوم بواجبنا ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤]، نحن مأمورون بأن نصدع بهذا الحق الذي عندنا، أن نكون جريئين في إظهاره للناس.

ونحن -يا إخواني- لا تنقُصنا المعلومات، **وإنما تنقصنا الجُرأة والجُهد في إظهار هذا الحق للناس**، إذا أظهرناه: سَكتَ هذا، وسَكتَ هذا، لكن -كما تعلمنا من أصولنا- **بالرفق واللطف والدفع بالحسنى** ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤]، نجادل المُبدِّعة ونجادل المُكفِّرة بالحسنى، ولذلك لما ذَهب ابن عباس إلى الخوارج يجادِلهم، فلما عجز عنهم، وعجز عنهم كذلك عمر بن عبدالعزيز؛ قاتلهم، يجادَلون فإن عُجِزَ عنهم؛ حوصِروا] من محاضرة للشيخ بعنوان: (مَن هُم السلفيون).

(١) لعل الشيخ يقصد أسامه بن لادن ومن حذى حذوه، وجاء في تاج العروس: (المَوْتُور: **من قُتِل له قتيلٌ فلم يُدرِك بدَمِه**، ومنه حديث محمد بن مَسْلَمة: «أَنَا المَوْتور الثائرُ» أي صاحبُ الوَتْر الطالب بالثَّأْر. والمَوْتور المفعول، وتقول منه: وَتَره يَتِرَه تِرَةً ووَتْراً إذا قَتَلَ حَميمَه فَأَفْرده منه).

فإذاً، أصبح الانحراف يُطرح للناس على أنه هو منهج السلف وطريقتهم! ولذلك صار البعض يُسميهم (سلفيين خارجين من السلفية)! وهذا ليس صحيحاً، لأن السلفية منهج وأساس، وهؤلاء فكرهم فِكر الخوارج لُبّس بِلِباس عَصْري، ووسائل الإعلام العالمية لها دور في هذا التَّلبيس، كما في مرحلة السبعينيّات والثمانينيّات لمّا اشتهرت جماعة جهيمان[1] ونُسبت للسلفية زوراً! فبعض الناس يكون أصله ومنشأه سلفياً، ولكن الواقع الذي يمارسه ليس واقعاً سَلفياً، فبالتالي لو تقرأ ما كُتب عن جماعات التكفير، وعن أصولهم وفروعهم، وما جمعوه من مُذكّرات، وما طَرَحوه مِن أُطروحات في تحقيقاتٍ معهم، كلها تدور في ظاهرها على أنها سَلفية! فمن الذي يُميز؟!

فلا بُدّ أن يُعلِنَ السَّلفِيّون عن رايتهم ويَرفعوها؛ حتى لا يَضِل الناس من ناحية، ولا يشوِّهوا منهج السلف وعقيدتهم من ناحية أخرى، وبالتالي

(١) وهو **جهيمان** بن محمد بن سيف الضان العتيبي، موظف في الحرس الوطني السعودي لمدة ١٨ سنة، وكان يحضر مجالس العلم والمشايخ كالشيخ أبوبكر الجزائري وابن باز رحمهم الله وغيرهم، ولكنه طعن فيهم بعد ذلك واتهمهم بأنهم علماء سُلطة، وفي غرّة محرّم سَنة ١٤٠٠هـ دخل جهيمان وجماعته المسجد الحرام، وبعد صلاة الفجر قام هو وصِهره (محمد بن عبدالله القحطاني) أمام المصلين ليُعلِن عن نبأ ظهور المهدي المنتظر (وهو صِهره) في الحَرَم، وأن عليهم مُبايعته!

وسبب ذلك اعتقادهم من خلال الرّؤى والأحلام الشيطانية بأن هذا وقت خروج المهدي وتحديده، فأسقطوا أحاديث الفتن على غير وجهها.. تَدافعت قوات الأمن السعودية مدة ١٤ يوم، وتبادل الطَّرَفان النيران الكثيفة، وأصيب المسجد الحرام بضرر بالغ جرّاء القَصف، فسُفكت فيه الدماء، وتوفّي فيها من الجيش (١٢٧) وأُدخل المستشفى (٤٥١) بين ضابط وجندي. [نشرت ذلك جريدة الرياض في ٢٢ صفر ١٤٠٠هـ، الموافق ١٠/ ١/ ١٩٨٠م]. **وللشيخ عبدالله ردود نُشرت في الصحف** آنذاك للرد على فكر جهيمان، وله مناقشات وحوارات مع بعض المتأثرين بهذا الفكر الخارجي المنحرف. راجع مجموع كتبه ومقالاته (٤/ ١٧٧) مقالة بعنوان: (مَن هم مقتحمو المسجد الحرام؟) نشرها بعد دخولهم بـ ١١ يوم. ولمعرفة المزيد حول نشأتهم؛ انظر كتاب ناصر الحزيمي «أيام مع جهيمان: الجماعة السلفية المحتسبة».

لا بُدّ من التَّمايُز الصريح في الطَّرح، فهذا هو السبب الثاني الذي يجعلنا نحرص على إظهار منهج وطريقة الفرقة الناجية، وبيان موقفها من كل هذا، وتصورها لما يجري في الدنيا.

ولذلك اشتهر عند الناس كتاب (معالم الانطلاقة الكبرى عند أهل السنة والجماعة)[(١)] فقرأه الكثير على أنه كتاب يُمثِّل التَّيار السَّلَفي المُعاصر، والكتاب ٩٠٪ منه جميل، لكن فيه بلاء في آخره، بأنه ينادي لتجميع الجماعات، وأنه الطريق إلى إيجاد الأمة!! فعُدنا عوداً إلى بدء كما قالوا.

إذاً الذي يُطْرَح من قِبَل كثير من التيارات المعاصرة، مثل كتابات (الصاوي)[(٢)] أنها تَطرَح الطَّرح السَّلفي ويستدل بالدليل لكن ليس على مُراد السلف بل على مُراده هو، ولذلك عندما تقرأ كتابه (الثوابت والمتغيرات) ولديك ٦٠٪ من المنهج السلفي تنخدع به، لأنه يأتي بكلامٍ جميل ومنقولات عن ابن تيمية، **فينقل منه ما يشتهي، ويُؤَخّر بعض الجُمل عن بعضها الآخر**، فيتحقق له ما يُريد!

(١) وهو من تأليف (محمد عبدالهادي المصري) ولا أدري هل هو اسم مستعار! (ش)

(٢) **وكتابه المشهور (الثوابت والمتغيرات) هو أسوأ كتابٍ مُتداول**، لأنه جعل كل شيء قابلًا للاجتهاد ومتغيراً، حتى تقسيم التوحيد، ومَسألة الحُكم، ومسألة الكفر وأنواعه، بل تَجِدُ كثيراً من المعاصرين وأطروحاتِ بعض الجماعات التي تتكلم عن الحاكمية، تراها كلها منقولةً من كتب الصاوي، حتى أحياناً ترى نُصوصاً بكاملها!. وعقدوا مرَّة مؤتمراً في أمريكا بأن (الطريق إلى وحدةِ الأمة: هو توحيد الجماعات)، وهذا فصلٌ كاملٌ موجودٌ في كتابه (الثوابت والمتغيرات). (ش)

د.صلاح الصَّاوي: أزهري مِصري، ولد سنة ١٩٥٤م، بقرية فزارة بمحافظة أسيوط، يترأس حالياً (مركز مشكاة) في هيوستن، تكساس، وأمين عام بما يسمى مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، ومن مؤلفاته: (ما لا يسع المسلم جهله)، (الوجيز في فقه الخلافة)، (نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية)، (التعددية السياسية في الدولة الإسلامية)، وكتاب الثوابت هذا. [من صفحته الشخصية بموقع الفيسبوك، وموقع الألوكة]

تشويه اسم السلفية

الأمـر الثالـث: الـذي يجعلنا أيضـاً نُنْشِـئ هـذا البَحْـث هـو أنهـم يقولـون دائـماً: إن النـاسَ أعـداءُ مـا جَهلـوا، فصـارت تُطـرَح **السَّـلَفية للنـاس طَرحـاً مُشَــوَّهاً، خَاصـةً مـن قِبَـلِ خُصومِهـا**، فمـرَّةً يطرحونهـا لهـم عـلى أنهـم تكفيريـون [١]، فالعـوام مـن النـاس يروننـا نحـن نقـول: الكتـاب والسـنة، والذيـن يَقتُلـونَ المسـلمين في الجزائـر يُخْرِجـون بَيانـاً باسـم الكتـاب والسـنة وفقـه السـلف! والذيـن يذبَحُـون المسلمين في مـصر يقولـون: الكتـاب والسـنة وفقـه السـلف! [٢] والذيـن يَخْرجـون للمظاهـرات يقولـون: الكتـاب والسـنة، إذاً قالـوا: كل هـؤلاء جماعـة واحـدة وخـط واحـد، لكـن كـما يقـول بعضهـم: تَختَلِـف وجهـات نَظَرِهـم.

فـإذاً النـاسُ قـد يُعـادون دعوتَنـا ويُحاربـون مَنهَجَنـا؛ ظانِّـين جَهـلاً أنَّ هـذا الـذي يَرَونـه كلَّـه هـو مَنهـجُ السَّـلف!

ولذلـك تـرى كثـيراً مـن الكُتّـاب في مـصر، وكثـيراً أيضـاً مـن الكُتَّـاب الرافضـة يُصـوِّرون للنـاس أن هـذه هـي قضيـة السَّـلفية، تُصّـور السـلفية عـلى أنهـا مَـدٌّ ثـوري، والنـاس يَسـمَعون ويُصَدِّقـون! ثـم تُصَـوّر السـلفية في العـالم أيضـاً عـلى أنهـا مذهـبٌ مُتَحـرِّرٌ لهـدم المذاهـب الإسـلامية، وهـذا الـذي دَنْـدَن حولـه (البوطـي) كثـيراً في كتاباتـه، وخاصـة كتابـه (السـلفية

(١) كـما حصـل مَـرّةً أنْ طَـرَح في (جريـدة الوطـن الكويتيـة) الداعيـة **جاسـم مهلهـل الياسـين**: أن السـلفيين في المغـرب صفتهـم أنهـم يُكفِّـرون النـاس!! صَحيـحٌ أنـه تراجـع، لكـن هـذا الطَّـرح طُـرِحَ، ويُطْـرَح مـراراً. (ش) وكان ردُّ الشـيخ عليهـا بمقالـة عَنوَنهـا بــ: (مـا هكـذا يـؤرَّخ للجماعـات)، نـشرت بجريدة الوطـن سـنة ١٩٩٥م، انظـر المجمـوع (٤/ ٢٩٨).

(٢) وكأن الحـال يتكـرر، فنجـد الآن مـن يُسـمون بــ (داعِـش)، يَظهـرون بهـذا الـزي نفسـه، ويُعلنـون انتمائهـم للمنهـج السـلفي وتبنـي آراء ابـن تيميـة!! والحقيقـة أنهـم بَعيـدون أشـدَّ البُعـد عنـهُ وعـن منهجـه.

مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي)[١]، ودَنْدن حوله غيره في مصر وفي سورية وفي العالم العربي، تُصوِّر للناس أن الدعوة السلفية هي ضد المذاهب، ويأتون بكلام لمحمود الحداد[٢]، ومرة للظواهري وغيرهم، ومن أراد تَجميع الأسماء سَهُلَ عليه، فتُقَدّم للناس على أن هذه هي السلفية!!

ثم بعد ذلك ممّا تُشَوّه به الدعوة في أيامنا هذه هو **قول بعضهم**: بأنه ليس عندكم اهتمامات بأحوال المسلمين! وهذه شُبهٌ تُطرَح كل يوم، فوجب أيضاً أن يُبيَّن للناس جهاد السلفيين عَبرَ التاريخ، وأن هذه الدعوة المباركة تدعو إلى الجهاد الشرعي، وتدعو إلى الله سبحانه وتعالى على بصيرةٍ وبيان.

فإذا عَرَف الناس جهاد السلفيين الشَّرعي عَبرَ تاريخهم كله، ووقوفَهم أيضاً أمام الانحِراف الموجود في العالم الإسلامي قديماً وحديثاً،

---

(١) **البوطي**: هو محمد سعيد رمضان، ولد سنة ١٩٢٩م في قرية بجزيرة بوطان الحدودية بين سورية وتركيا، ونشأ بدمشق، ودَرَس في جامع الأزهر، وتولى إمامة الجامع الأموي، وكان رئيس اتحاد علماء بلاد الشام، ومن مؤلفاته: (الحكم العطائية شرح وتحليل) و(فقه السيرة النبوية) والكتاب الذي أوردناه، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إثر تفجير وهو بالمسجد سنة ٢٠١٣م. **ورَدَّ الشيخ صالح الفوزان عليه** بكتاب أسماه (تعقيبات على كتاب السلفية ليست مذهباً) سنة ١٤١١هـ ط. الثانية.

(٢) **محمود الحداد**: مِصري النَّشأة، ولد سنة ١٩٥٥م، دَرَس بكلية الزراعة، ثم انتقل إلى الرياض محاسِباً في جامعة الإمام، ثم انتقل إلى المدينة النبوية، ولم يُعرف عنه أنه تتلمذ على أحد شيوخها، فأظهر اتباعه للمنهج السلفي، واستقطب بعض طلاب العلم إليه، وأثار الفتن، فطَعَن بالعلماء وتتبع أخطاءهم ومنهم ابن تيمية، وغَلا بالتبديع والهجر، وبدأ بتبديع الإمامين ابن حجر والنووي، وإحراق كتبهما، علاوة عن غيرهما، وجماعته تُعرف بالحدادية، وخاصة بعد أزمة الخليج (احتلال العراق للكويت)، وردَّ عليه العلماء وبينوا عَوار طريقته، وبُعدَها عن منهج السلف، وممن رد عليه الشيخ محمد بن هادي، وقد نشر الشيخ عبدالله رداً عليه من تأليف د.صالح سندي (التحقيق والكشف والإيراد في بيان أخطاء الحداد) وطبعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمكتبته دار الفتح بالشارقة، سنة ١٩٩٣م تقريباً.

عند ذلك تَظهر هذه الدعوة بالمظهر الذي يجب أن تَسود فيه الدنيا.

فإذاً هذه الأسباب -وغيرها مما سَنُعَرِّجُ عليه- هي التي دفعتنا، ويجب أن تدفع كل مُطَّلِع على هذه العقيدة وعلى هذا المنهج؛ أنْ نُبَيِّن ذلك للناس، وأن نقول لهم: هذا هو الدَّرب الذي أُمِرنَا أن نَسير عليه، ومَن سار على غيره فهو هالكٌ لا محالة، كما أخبر بذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (١)

(١) **سائل يسأل: هل يحق لنا في الوقت المعاصر تخصيص اسم معين أو تغيير اسم كلمة (سلفي) فنجعل كلمة بديلة لها مثل كلمة (أصولي) حتى يتميز اسمها عن بقية الجماعات الأخرى؟**

الجواب: لا والله، نرى الاستمرار على الاسم السلفي، ومع الوقت هم يهربون منه، وكلهم يضعون شيئاً جديداً، هذا من جماعة الإنقاذ، وهذا من الجماعة المسلحة.. إلخ، لكن نقول: نتبع السلف، وكلهم لو رأيت حاولوا الإتيان باسم فرعي، ونرى أن هذا اسم مبارك قاله الأولون، فنستمر عليه إن شاء الله تعالى، لكن ننفي ما أُلْصِق به باطلاً، فننزعه ونحذفه.

٢ المحـــــاضرة الثـــانيـــة:

الاختـلافُ والموقِف مِنه

المحاضرة الثانية

الاختلافُ والموقِف مِنه

ذَكَرنا بأنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر خبراً -وهو من علامات نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنّ هذه الأمة سيقع فيها الاختلاف والفُرقة، وأنّ هذا الأمر قدّره الله سبحانه وتعالى، وإن كان سبحانهُ وتعالى لا يحبّه شرعاً، لكنّه أراده إرادة كونية أن يَقَعَ في مُلكه لحِكمَة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:١١٨،١١٩].

هذا خبرٌ من الله عز وجل أنّ الأمة ستبقى مُختلفة منذ أن خلق الله عز وجل الناس، وإلى أن يرِث الله سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها، لهذا الاختلاف ذكر ربنا سبحانه وتعالى أموراً تُبيّن الحِكمة التي من أجلها خلق الله هذا الشيء، منها؛ ليميز الحق من الباطل.(١)

كما هو مُقرر عندنا أننا نؤمن بكل ما جاء عن ربنا سبحانه وتعالى، وما جاء عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونُسلِّم لذلك؛ سواء عقَلناه أو لم نعقِله، ولكن نقول كما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مُراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مُراد

(١) من أراد التَّوسّع يرجع إلى ما ذكره العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة كتابه (مفتاح دار السعادة) فذكر أموراً كثيرةً نافعة. (ش)

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

فنحن نُؤمِن ونُصدّق ونُسلّم ونوقِن، ولكن لا مانع من أن نتلمس الحِكَم من ذلك، ومما يدل أيضاً على أن هذا الخلاف سيقع، حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي رواه مسلم: (**سَألتُ ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومَنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسَّنَة، فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق، فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فمنعنيها**)[٢] السَّنَة: القَحط.

وهذا من نعم الله عز وجل على هذه الأمة ألا تموت جوعاً مطلقاً كلها، لكن قد يقع القحط في بعضها ولا يقع في الآخر.[٣]

قال: (**وسألته أن لا يُهلك أُمَّتي بالغَرَق، فأعطانيها**) يعني أنّ الأمة الإسلامية لا تُهلك بالغرق.

---

(١) نقله الإمام ابن قدامة المقدسي في (لُمعة الاعتقاد ص٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٩٠)، وأحمد (١٥١٦).

(٣) بمناسبة الهلاك من الجوع نحن نعتقد بعقيدة الإسلام الصحيحة بأن الأقوات المقدرة في الأرض تكفي البشر، ولذلك هناك تناسب مطلقاً بين الخيرات التي في هذه الأرض وبين البشر، وكلّما زاد البشر كلّما زاد الله عز وجل من فَضْلِه ومَنِّهِ في هذه الأرض.

الكفّار يعتقدون عكس هذه العقيدة التي يسمّونها (النُّدرة النِّسبِية)، يعني الناس تزيد وموارد الكون تَقِل، فإذاً هناك ندرة وقِلة لا تتناسب مع كثرة البشر، ولذلك يحرصون كل الحرص على ما يسمّونه بـ(تحديد النسل)! وأمّا عقيدتنا (تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم) أخرجه أبوداود (٢٠٥٠).

فإذاً الناس يهلكون جوعاً بما كسبت أيديهم، وبها يعاقبهم به ربّنا جل وعلا، فإذا رأينا مجاعة في أفريقيا أو مجاعة في الهند أو غيرها لا نعتقد -كما يقولون الآن في وسائل الإعلام ومؤتمرات الإسكان والجرائد- أنّ البشر أكثر من الطعام، لأن الله عز وجل خلق الأرض وقدَّر فيها أقْواتها. فإذاً في الكون وَفْرة نسبية، ولكن بسبب فساد البشر والمسائل السياسية والحروب وما إلى ذلك يحصل هذا الذي يحصل بالناس. (ش)

قال: (**وسألته أن لا يجعل بأسَهُم بينهم فمنعنيها**) إذاً هذه الأمة واقعٌ فيها الفُرقة والخلاف بل القِتال، كما أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض الروايات أنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**هذه أهوَن**)(١) يعني أهْون الشَّرَّين أي أهون ما مضى.

سؤال: كيف يُريد الله أمراً لا يحبّه؟

أولاً نحن نؤمن بكل ما جاء عن الله عز وجل من غير أنْ نسأل عن العِلَّة، ولذلك أكْبر مساوئ هذا العصر أنّهم يسألون ما هي الحِكمَة؟ وما عِلّةُ هذا الشيء؟ لماذا الله فعل كذا؟ وهذا يخالف الإيمان، ويخالف التَّسليم، فسواءٌ عَرَفنا لماذا حرَّمَ الله لحم الخنزير أو لم نَعرف، فلا يعنينا الأمر، عَرَفنا عِلّة تحريم الرِّبا أو لم نَعرف، لا يَعنينا الأمر، لماذا هذا الطعام حرام، وهذا الطعام حلال، لا ندري، إذاً لا يجوز للمسلم أن يُعلِّق إيمانه بالحِكمةِ أو العِلّة، وإنما يقول: سَمِعنا وأَطعنا، كلٌّ مِن عِند ربنا.

لكن من تَمام اطمئنان القلب فلا مانع من تَلمُّس الحِكمة ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة:٢٦٠].

وهنا سُؤال: كيف يقع في مُلكِ الله شيء لا يُريده؟

التفريق بين المحبة والإرادة

نقول نعم هناك فَرْقٌ بين المحبة والإرادة، فالله عز وجل الذي لا يريده لا يقع، لأنه متصرف في الكون سبحانه وتعالى، لكن هل الذي لا يحبه وقع؟ نقول نعم سمح بذلك.

قال الطحاوي: (اعلم أن المراد نوعان مُراد لنفسه ومراد لغيره، فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته، وأمّا لغيره فقد يكون المقصود أمراً

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٨)، وأحمد (١٤٣١٦).

آخـر)[١]. فإجمـال المعنـى أنّ الله سـبحانه وتعـالى سـمح بـأن يحصـل في هـذا الكـون مـا لا يحـب سـبحانه وتعـالى ولكنـه يريـده، **فـإذاً يقـع في الكـون مـا لا يحبـه الله، ولكـن لا يقـع في الكـون مـا لا يريـده جل وعـلا، فـكل مـا هـو موجـود مـن خـير وشر هـو مُـراد وهـو مخلـوق لله سـبحانه وتعـالى.**

الافتراق واقع والحذر واجب

إذاً الله عــز وجــل لا يحــبّ الافــتراق وحــذّر منــه النبــي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحــذَّر الصحابــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، **فـإذا كان الأمـر سـيحصُل فـما فائـدة التحذيـر؟**

الجـواب: أنـك لا تـدري مِـن أي الفِـرق سـتكون، أنـتَ مأمـور أن تلـزَم الفرقـة الناجيـة، لكـن لِمَ تَحكـم عـلى نفسـك أنّـك مـن أهـل الهـلاك؟! مثلـه تمامـاً قـول: أن الله مُقـدِّر الأرزاق فلـماذا نسـعى؟ نقـول سَـعْيُنا أيضـاً مُقـدَّر.

إذاً الفُرقـة سـتحصل فلـماذا نحاربهـا؟ **لأننـا نريـد أن نكثـر سـواد أهـل الجنـة ونقلِّـلَ سـواد أهـل النـار**، نريـد أن نكثّـر سـواد المهتديـن، ونقلـل مـن سـواد المضلِّـين المنكريـن للجـادّة، فـإذاً الأحاديـث والآيـات، وكلام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومـا يفعلـه الدعـاة، في التحذيـر مـن الفُرقـة والاختـلاف؛ لا لأنهـا لـن تقـع، ولا لأن غـير المسـلمين غـير مُختَلفـين، **وإنّـما ليَمنعـوا النَّـاس مـن أن يَدخلـوا في هـذه المتاهـات، ويكثـروا مـن السـواد الأعظـم لهـذه الأمـة**، لأن النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخـبر عـن هـذه الأمـة أنّهـا سـتكون إن شـاء الله (نصـف أهـل الجنـة)[٢].

إذاً الشـاهد أنـه **لا تعـارض بـين إقرارنـا بـأن الفُرقـة حاصلـة**، وبـين دعوتنا

(١) (شرح العقيدة الطحاوية ص٣٢٨) لابن أبي العز، تحقيق الأرناؤوط والتركي.

(٢) قـال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أترضـون أن تكونـوا ربـع أهـل الجنـة؟ قلنـا: نعـم، فقـال: أترضـون أن تكونـوا ثلـث أهـل الجنـة؟ فقلنـا: نعـم، فقـال: أترضـون أن تكونـوا شـطر أهـل الجنـة؟ قلنـا: نعـم، قـال: والـذي نفـس محمـد بيـده إني لأرجـو أن تكونـوا **نصـف أهـل الجنـة**، وذلـك أن الجنـة لا يدخلهـا إلا نفـس مسـلمة، ومـا أنتـم في أهـل الـشرك إلا **كالشـعرة البيضـاء في جلـد الثـور الأسـود** أو كالشـعرة السـوداء في جلـد الثـور الأحمـر) أخرجـه البخـاري (٦٥٢٨)، ومسـلم (٢٢١).

للناس إلى أن يكونوا على الجادة وعلى الطريق المستقيم، لا يوجد تعارض مطلقاً، بل هذا من تمام النصح لله عز وجل ولعموم المسلمين.

لكن ما المحذور في دعوتنا إلى عدم التَّفرّق؟

التجميع دون تمييز

المحذور ما يقوم به غير السَّلَفِيين مِن مُحاولةِ جمع الثلاث والسبعين فرقة في إطارٍ واحد، نقول هذا يُخالِف الحديث، فمن سَعى إلى أن يلملم كل الثلاث والسبعين فرقة أو كل طوائف الأرض الموجودة الآن، ويجعلها كلّها على ملَّة واحدة وطريقة واحدة، وأن الخلاف بينها خلاف بسيط وتَنوّع! نقول له: أخطأتَ الدَّرب وأخطأت الطريق، وخالفتَ أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن مَن يقول: يا قوم هذه جادةٌ مستقيمةٌ اسلكوها، وهناك طرق تؤدي بكم إلى الهَلَكة فاحذروها، فهذا قد حَقَّق حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذاً الذين يُحذِّرون من الاختلاف على نوعين:

الأول: تحذير بمعنى أن نجتمع لغاية الاجتماع، بغَضِّ النَّظر عن المُهتدي والضال، وهذا الذي تقوم به كل الدعوات ما عدا السَّلفية.

قد تكون فرقة الحق أكثر عدداً

الثاني: تحذير بأن نجتمع على غير الجادة المستقيمة، حتى نُقلِّل الروافد الهالكة، لأنه كما قال بعض العلماء: قد يَكثُر عدد الفِرَق، لكنّ عدد أتباعها في الدنيا أقلّ عدداً من الفِرقة الناجية الواحدة. وهذا الذي جاءت به الآثار.

وليس هناكَ تلازم بين كثرة الفِرَق وبين كثرة البشر، وإنما هذا يخضع في أزمنة معينة، وأماكن معينة، وفي زمان يقوى أهل السنة ويكونون الأكثر، وفي زمان يَضعف أهل السنة ويكونون الأقل.

إذاً نُحـذّر مـن الاختـلاف ونُحـذّر مـن الفُرقـة، وندعـو إلى الوحـدة وإلى التآلـف، لكـن -كـما ذكرنـاه في قاعـدة التمايـز لا التجانـس- أننـا ندعـو إلى توحيـد المسـلمين المميزيـن عـن غيرهـم، ولا ندعـو إلى تجميـع المسـلمين متجانسـين عـلى اختـلاف مِلَلِهـم، فـإذاً الفرقـة الواحـدة هـي التـي تكـون مميـزةً في سـلوكها ومنهجهـا وطريقتهـا، عـن بقيـة الفِـرق التـي يُـراد بهـا أن تَضيـع في أوسـاطها، فَهُـم كـما قـال النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: (كالشـعرة البيضـاء في جِلـد الثـور الأسـود)[١].

إذا فُهِـمَ هـذا فيبقـى أن الاختـلاف الموجـود الآن في دُنيـا النـاس -بغَـضِّ النظـر عمـن يُذكيـه ويَدعَمُـه، هـل هـو إنتـاجٌ يهـودي أو إنتـاجٌ رافـضي-، فإنـما هـو في غالبيتـه إمّـا للشـياطين، أو أن بعـض النـاس قـد تحوَّلـوا إلى شـياطين، قـد وسـوس إليهـم، فوصلـوا إلى أن جعلـوا أهواءَهـم آلهـةً تُعبـد مـن دون الله.

علاج الاختلاف

عـلاج ذلـك -كـما ذَكَـرَ عُلماءنـا- بـأن يُعَلَّـم النـاس تجريـد التوحيـد لله رب العالمـين، لا يمكـن أن يـزال الخـلاف الـذي عنـد النـاس إلّا إذا عَلِـمَ النـاس عِلْـماً يقينيّـاً أن هـذا يُخالـف حقيقـةَ عبادتهـم لله تبـارك وتعـالى، وإلا فإنـه يصـير تجميعـاً سياسـياً!

قـد تجمـع النـاس عـلى مصلحـة طعـام، عـلى مصلحـة سياسـة، عـلى مصالـح الدنيـا، فيكونـوا كـما وصفهـم الله تبـارك وتعـالى: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ﴾ [الحشر:١٤].

وهـذا يحصـل بـين أمـم الكفـر عـلى اختـلاف مـا بينهـا ومـا فيهـا، وكلٌّ مختلـف قلبـه وعقيدتـه عـن الآخـر، ولكـن جَمَعهـم إمّـا الخـوف وإمّـا الرجـاء،

---

(١) كما ذكرناه في الحاشية السابقة.

نحن لا نريد هذا، نريد أن يَجمعهم حبهم لله عز وجل وخوفه ورجاؤه.

إذاً علاج الهوى[١] هو دعوة الناس إلى أن يكونوا مسلمين على الحقيقة، مُتّبعين لدين الله سبحانه وتعالى.

من أسباب الاختلاف والفتنة:

علاقة العرب بالدين

الأمة بدأت في عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بداية صحيحة عند العرب، والعرب لم يكن لديهم كما يُسمى في لغة العصر (حضارة دينية)، فَهُم حديثي عهدٍ بجاهلية، لأنهم كانوا على دين إبراهيم[٢]، لم يكن عندهم كما كان عند الروم والفرس واليونانيين تأصيل حضاري للآلهة، وإنما كانوا على دين إبراهيم عليه السلام حتى ذهب زعيمهم -كما تَعلمون- إلى العلاج في الشام وهو عمرو بن لحي الخزاعي[٣]، فلما شُفي رأى ما عندهم من أصنام وأنهم يتبركون ويعالجون بها أمراضهم، فأخذها معه، فهو أوّل من أدخل الشرك في جزيرة العرب.

ولذلك تَتَبَّعوا الشعر الجاهلي ترونه مجّد الناقة بل مجّد الخمر أكثر من تمجيد الآلهة، بل إن في أشعارهم الكثير مما يستنكرونه على الآلهة، بل يعلمون أنها لا تضر ولا تنفع، وإذا مجدوا اللات والعزى تجدها أشعاراً

(١) لا أظن أحداً اشتغل في إصلاح القلوب وعلاجها وأحوالها وأمراضها كما اشتغل الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، فمن أراد أن يعالج نفسه فعليه بكتبه وخاصة كتاب (إغاثة اللهفان) فهو عظيم النفع. (ش)

(٢) من أراد الاستزادة فليرجع إلى كتاب محمود الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب) يقع في مجلدين لطيفين في مآثر العرب. (ش)

(٣) أخرج البخاري في صحيحه (٣٥٢١) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يَجُرُّ قُصبَه في النار، وكان أول من سَيَّب السوائب). وأخرجه مسلم (٢٨٥٦).

غير عميقة، كما في الفرس والرومان في تمجيد آلهتهم.

وفائدة ذلك أنه لمّا جاء الإسلام **لم يجد عندهم شيء قديم يتعلقون به،** عندهم آلهة إما من حجارة فرموها، وإما من تمر كانوا يأكلونه، ولذلك كانوا في الشِّدَة كما جاء في دعائهم المعروف: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:٦١].

فالعرب إذاً لم يكونوا على تأصيلٍ حضاري في آلهتهم، فلمّا جاء الإسلام نسوا الماضي كله، فما حَنّوا إلى ماضٍ لهم، فليس عندهم مُلك يحنّون إليه، فيقولوا أملاكنا ذهبت، ولا دين يحنّون إليه.

الفرق بين إسلام العرب والفرس

هذا المعنى غير موجودٍ عند الفُرس، وغير موجودٍ أيضاً عند اليهود، فاليهود أمة لها تاريخ في التحريف، والفرس أمة لها مُلك وتاريخ ودولة وسَدَنة وعبدة نار، فلما جاء الإسلام واستقر الأمر لعمر بن الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأقنَعَه الأحنف بن قيس التميمي في غزو بلاد فارس، وإلا فعُمَر كان يقول: (ودِدْتُ لو أنَّ بيني وبينها جَبلٌ مِن نار)[1]، ما كان يريد أن يتعدى العِراق، فلما أقنَعَه الأحنف دَخَل، ثم بعد ذلك دوَّخ الفُرس

(١) أورَدَ الإمام الطبري في تاريخه (٤/ ٧٩) مِن رواية سيف بن عمر: [وفي هذه السنة- أعني سنة سبع عشرة- غزا المسلمون أرض فارس من قِبل البحرين فيما زعم سيف ورواه: كتب إلي السري، يقول: حدثنا شعيب، قال: حدثنا سيف، عن محمد والمهلب وعمرو، قالوا: كان المسلمون بالبصرة وأرضها - وأرضها يومئذ سوادها، والأهواز على ما هم عليه إلى ذلك اليوم، ما غَلبوا عليه منها ففي أيديهم، وما صولِحوا عليه منها ففي أيدي أهله، يُؤدون الخَراج ولا يدخل عليهم، ولهم الذِّمة والمنَعَة - وعميد الصلح الهرمزان، وقد قال عمر: حسبنا لأهل البصرة سوادهم والأهواز، **وددْتُ أن بيننا وبين فارس جبلاً مِن نارٍ، لا يَصِلون إلينا منه، ولا نَصِل إليهم**، كما قال لأهل الكوفة: ودِدْتُ أن بينهم وبين الجبل جبلاً من نار، لا يصلون إلينا منه، ولا نَصِل إليهم].ا.هـ والعلماء ضَعَّفوا رواية (سيف بن عمر) في الحديث، وبعضهم قَبِله في غير الحديث.

فَسَقَطَت ممالكهم، فلما سقطت بقي التَّغَني بالأمجاد.

ولذلك ترى أن بعض من دَخَل في الإسلام من الفُرس بَقِيَ له حَنين، كابن المُقَفع والبَرامِكة[(١)]، ومَن دَخل فيهم بالإسلام تَعلَّق في الحُسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ! لأن زوجة الحسين لها عِرق فارسي كِسْروي، فقالوا دخل الدَّم الكِسروي -دم الفُرس- بدم النُّبوة فاختلط، ولذلك لا يُقدِّرون من نسلِ الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شيء أبداً، وإنما التقدير من نسلِ الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لهذا السبب العرقي التاريخي الديني عندهم، وهذا قدرٌ قدَّرَه الله سبحانه وتعالى.

هؤلاء لَّما دخلوا في الإسلام لم يتخَلَّصوا من ماضيهم، فأصبحوا يحيكون المؤامرات، متعاونين مع اليهود، في كيفية القضاء على هذا الإسلام، **ولذلك تجد أن كل ما جاءنا من بلاء فكري وانحراف في هذه**

---

(١) **عبدالله بن المُقفَّع**: أحد البُلغاء والفُصحاء، ورأس الكُتّاب، وأولي الإنشاء، من نظراء عبدالحميد الكاتب، وكان من مجوسِ فارس، فأسلم على يد الأمير عيسى عمِّ السَّفاح الخليفة العباسي، وكان ابن المقفع يُتهم بالزندقة، وهو الذي عَرَّب (كليلة ودِمنة)، ورُوِيَ عن المَهدي، قال: ما وجدتُ كتابَ زندقة إلا وأصله ابن المقفّع. وكان ابن المقفع مع سَعَةِ فضله، وفرط ذكائه، فيه طيش. وغَضِب المنصور منه فأمر بقتله. وعاش سِتّاً وثلاثين سنة، وأُهلك في سنة خمس وأربعين ومائة.ا.هـ [سِير أعلام النبلاء ٦/ ٢٠٨].

البَرامِكة: جدهم خالد بن بَرمَك، وُزِّرَ في أول الدولة العباسية للسَّفاح. وعُقِد لخالد بن برمك على إمرة فارس، مولده سنة تِسعين، وكان برمك مجوسياً منَ الفرس، **وقد اتُّهم خالد بالبقاء على المجوسيّة، فالله أعلم**.ا.هـ تاريخ الإسلام للذهبي (٤/ ٣٥٠) تحقيق د.بشار.

ويقول القاضي أبوبكر بن العربي: (وكانت هذه الطائفة الثائرة، في هذه الدولة الغَويَّة المسماة **بالبَرمَكية**، قد سَعت في كيد الإسلام، كما بينا، واصطنعت من ذكرنا، وتكاثرت، فربَّت في حِجْرها طوائف كابن المقفع، وابن الراوندي، والجاحظ المعتزلي، وكثير من أمثالهم، قد استسنوا في البشر: أنه لا مدرك إلا العقول، وأنها تُغني عن الرسل).ا.هـ العواصم من القواصم (ص٧٠- ٧٣) تحقيق د.عمار.

الأمـة؛ فأصلـه يقينـاً يهـودي فـارسي مجـوسي.[(١)]

فـإذاً عـداء الرافضـة لهـذه الأمـة قديـماً وحديثـاً مـع عـداء اليهـود متصـل مستـقيم، ولذلـك لا تَضركـم جَعجعـة (صِراع القُـدس)! الـذي يُجَعجَعُ بـه في إيـران هـذه الأيـام، هـذا كلـه تمثيـل! وإلا الحِلـف المجـوسي الرافـضي اليهـودي هــو حِلــفٌ قــد بــدأ بمقتــل عُمــر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وهــو مســتمر إلى أن يشــاء الله ســبحانه وتعــالى.

اليهـود كانـوا يَـرون أن النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سـيكون فيهـم -كـما تعرفـون في قِصَّتهـم عندمـا كانـوا يحلفـون عـلى النبـي الـذي كان سـيأتي منهـم ضـد الأنصـار- فلـما جـاء في العـرب صـارت مصيبـة، وكانـوا يـرون أن العـرب أُمّـة أُمّيـة لا خـير فيهـا، والفـرس أيضـاً كانـوا يحتقـرون العـرب ويـرون أنـه تُشـبعهم كـسرة الخبـز، فجـاءت هــذه البلــوى الجديــدة، وكــما قــال عمــر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: (**إنـا كنـا أذل قـوم، فأعزنـا الله بالإسـلام، فمَهـما نطلـب العـزة بغـير مـا أعزنـا الله بـه؛ أذلنـا الله**)[(٢)].

ولـو تَقـرؤون في السـيرة تَـرون أنهـم لّمـا جـاءوا إلى الفُـرس وجـدوا عندهم خبـز الرُّقـاق -المعـروف عندنـا- فتعجَّبـوا منـه مـا هـذا الأكل! مـا مـرَّ عليهـم قـط، صحائـف طعـام بهـذا الشـكل، لا يعرفونـه.

---

(١) مـن أمثلـة ذلـك: فتنـة القـول بخلـق القـرآن، فالـذي أحياهـا (الخليفـة المأمـون) الـذي ألَّبَـه ونَشَّـطهُ أخوالـه الفُـرس، وفي الحقيقـة الـذي كان يسـتحق الخلافـة هـو أخـوه (الأمـين) وهـو الأكـبر سـناً، وهـو عـربي قُـرشي، والمأمـون اتخـذ قوتـه مـن خراسـان، وكذلـك تجـد أن أصـل ضـلال النصـارى هـم اليهـود، فالبابـوات في حقيقتهـم يهـود. (ش)

(٢) أخرجـه الحاكـم في مسـتدركه: قصـة خـروج عُمـر إلى الشـام (١/ ٦١-٦٢) وصححـه ووافقـه الذهبـي، والألبـاني في السلسـلة الصحيحـة (٥١).

بداية الفتنة:

بداية الفتنة والاختلاف

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر بالحديث الصحيح أن الفتنة في الأمة تبدأ بعد مقتل عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[(١)]، فمَقتله هو نواة الفتنة التي جاءت على المسلمين بكل ما فيها، يأتي بعد ذلك تولية الخلافة لعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه، فجرى في عهده الحوادث المعروفة، فبدأت الفتنة بعهد عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لا بضعفٍ -كما يصوِّر البعض[(٢)]- ولا لغفلةٍ منه، فعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ داهية من الدواهي، ولذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسله للمفاوضة مع الكفّار، وهو رجل شُجاع ورجل دَولة ورجل أمة، وله من الفضائل العظيمة، وإنما قدر الله سبحانه وتعالى ذلك، كما جاء في حديث أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (كنت مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: افتح له وبشره بالجنة. ففتحت له فإذا أبو بكر، فبشرته بما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح،

---

(١) عن شقيق قال سمعت حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: بينا نحن جلوس عند عمر إذ قال: أيكم يحفظ قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفتنة؟ قال: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال: ليس عن هذا أسألك، ولكن التي تموج كموج البحر. قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، **إن بينك وبينها باباً مغلقاً**. قال عمر: أيُكسر الباب أم يفتح؟ قال: بل يكسر. قال عمر: إذاً لا يغلق أبدا. قلت: أجل. قلنا لحذيفة: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كما يعلم أن دون غد ليلة، وذلك أني حدثته حديثا ليس بالأغاليط. فهبنا أن نسأله مَن الباب؟ فأمرنا مسروقاً فسأله فقال: من الباب؟ قال: عمر. أخرجه البخاري (٧٠٩٦)، ومسلم (١٤٤).

(٢) كاتهام سيد قطب لسيدنا عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتابه (العدالة الاجتماعية) ص١٨٦ حيث قال: (نحن نميل إلى اعتبار خلافة علي بن أبي طالب امتداداً طبيعياً لخلافة الشيخين قبله، **وأن عهد عثمان كان فَجوة بينهما**، حيث إن التصور لحقيقة الحكم قد تغير شيئاً ما -بدون شك- على عهد عثمان**!**) ثم بعد صفحات قال: (لقد كان **من سوء الطالع أن تدرك الخلافة عثمان وهو شيخ كبير، ضعفت عزيمته عن عزائم الإسلام، وضعفت إرادته عن الصمود** لكيد مروان وكيد أمية من ورائه). وكذا قال نحوه أبو الأعلى المودودي في كتابه (الخلافة والملك).

فقـال النبـي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: افتـح لـه وبـشره بالجنـة. ففتحـتُ لـه، فـإذا هـو عمـر، فأخبرتُـه بـما قـال النبـي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحَمِـدَ الله، ثـم اسـتفتح رجـل فقـال لي: **افتـح لـه وبـشره بالجنـة عـلى بلـوى تصيبـه**. فـإذا عثـمان فأخبرتُـه بـما قـال رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحَمِـدَ الله ثـم قـال: الله المُسـتَعان)[١]. هـذا قـدَرٌ مـن الله سـبحانه وتعـالى، ولعّـل ذلـك إعـلاءً لدرجتـه عنـده.

والفتنـة حصلـت وبـدأت فكريـاً بانتشـارها في عهـد عثـمان، وإلاّ فلهـا آثـار مـن عـصر النبـي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فتنـة الخـوارج، لكنهـا كانـت نائمـة، وفي عهـد عمـر كذلـك لـمّا ظهـر صَبيـغ في فتنتـه، فجـيء بـه إلى عمـر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فلـم يناقشـهُ، وإنّـما دعـا بعـذقِ نخـل وجمـع لـه شـماريخ، وأصبـح يضربـه حتـى أدمـاه، فقـال لـه صبيـغ: (ذهـب الـذي أجـد يـا أمـير المؤمنـين)[٢]. فلـما دارت الدنيـا وجـاءت الفتـن في عهـد عثـمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، جـيء إليـه فقـال: (أدَّبَنـي الرجـل الصالـح)، ذهـب الـذي في رأسـه مـن أفـكار مخالفـة للحـق، ذهَبـت مـع ذلـك الرجـل، فهٰكـذا كان عُمـر يـؤدّب النـاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الوِحدة والاجتماع مَطلَب: [٣]

الوحـدة والاجتـماع مطلـب عظيـم أمـر الله سـبحانه وتعـالى بـه، وحـذر مـن الشـقاق سـبحانه وتعـالى، أمرنـا أن نعتصـم ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، فالاتحـاد وتـرك الخـلاف ديـن وعبـادة وقربـة يتقـرب بـه إلى الله.

سبيل الاتحاد واضح

وكـما أن الله عـز وجـل شَرَع لنـا كيـف نُصـلّي، وشرع لنـا كيـف نصـوم،

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩٣)، ومسلم (٢٤٠٣).

(٢) أخرجـه الدارمـي (١٤٦)، والبـزار في مسـنده (٢٩٩)، والآجـري في الشريعـة (١٥٣)، واللالكائـي في شرح أصـول اعتقـاد أهـل السـنة (١١٣٧).

(٣) ما تحت هذا العنوان إلى نهاية هذا المبحث من محاضرة للشيخ: (الخِلاف المشروع والممنوع).

كذلك شرعَ لنا كيف نَتَّحِد، وكيف نَعتَصِم، وكيف نجتمع، ومتى يجوز الخِلاف، ومتى لا يجوز، إذاً نحن لا نَعيش في فَراغ، فهذه الأمة ليست أمةً نابتة جديدة، فلا نحتاج إلى مُفكرين ومصلحين ومؤسسين؛ يضعوا لنا قواعد الخلاف وقواعد الوحدة وقواعد الاجتماع، نحن قد ورِثنا ديناً متكاملاً، كل شيءٍ فيه.

ربنا ما قال (اعتصموا) فقط، ولا قال (كونوا أمة واحدة) هكذا فقط، بل قال: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ)، كذا في الهداية، ما قال (اهتدوا) وسَكَت، حتى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له عن الرسل: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]، و﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ [الزخرف:٤٣]، ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [الشورى:١٥]، **إذاً نحن أمام تشريعٍ منضبطٍ واضح**، وهذه القضية -وللأسف الشديد- كثير جداً ممن يتكلمون الآن في الإسلام يَجهلونها، أو يتجاهلونها، فيظنون أنهم قد أتوا عِلماً جديداً! وأتوا بنظرياتٍ لتوحيد المسلمين!

إذاً لو أراد رجل أن يقول: **كيف نجتمع؟ نقول له**: **على الدين، ما كان عليه النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم**، فهو الذي يُعتصم به؛ ويُزيل الخِلاف، والذي يُزيل الخلاف هو ألا نُقَدِّمَ عُقولنا، وما ورثناه من مفاهيم، **ونسلِّم طائعين لَمّا جاء عن الله سبحانه وتعالى**، متمثلين قوله جل وعلا ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]، هذه الآية هي دستور التربية، أحسنُ مِن أَلْفِ مُحاضرة، فيجب أن نعيد تدبر الآيات، وأن ننظر فيها العلاج.

فالاعتصام هو الأصل والفُرقة طارئة، وأنه لا يجوز أن يتفرَّق المسلمون، وتفريقهم من أكبر الجرائم على وجه الأرض، ولذلك شُرعت كثير من الأمور لأجل هذه القضية، وإلا لماذا أُمرنا بالصبر على جَور الحُكام والولاة، وفيها الصبر على من أخذ مالك، وفيها -كما ذكرنا مراراً- تحريم بيعك على بيع أخيك، ومنها تحريم الغيبة والنميمة، وأمورٌ كثيرة،(١) حتى لا يبقى في قلب المسلم على المسلم شيء، ومنها أن سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، حتى تبقى الأمة أمة واحدة.

الاختلاف شرٌ وعذاب:

ما يشاع أن (اختلافُ أمَّتي رَحْمَة)(٢) الحديث المنسوب إلى النبي

---

(١) [الشرع جاء لمراعاة خاطر المسلم، كما في الأثر (يا أبا ذَرٍّ إذا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فأكْثِرْ ماءَها، وتَعاهَد جِيرانَكَ)، بل إن فقهاءنا قالوا إذا اشتريت فاكهة وجارك فقير فلا تسمح لأولادك أن يأكلوا في الخارج؛ حتى لا يتأثر أولاد الجار؛ مراعاةً لخاطره، وقالوا -وهذا منصوص في كتبهم- أن المرأة لا تلبس الذهب تجمُّلا إن كانت لها جارة فقيرة أمامها فإن ذلك يؤذيها، وهذه هي رقة الدين في مراعاة ألا ينزعج المسلم، ولذلك كما تعلمون نهى النبي عليه الصلاة والسلام أن يخطب الرجل على خطبة أخيه، وأن يبيع الرجل على بيعة أخيه، ونهى الرجل أن يتطاول في البنيان على أخيه، وصور كثيرة لو سردناها لطال لمقام، وكلها تدور حول مراعاة ألا يتأثر قلب المسلم على أخيه، ولكن (كونوا عباد الله إخوانا) متحابين].

ويقول بعد ذلك: [بعض الناس يقول: كيف تقولون ذلك وأحياناً يُقتل المسلم، ويُجلَد المسلم، ويُهجر إن كان صاحب بدعة، وهذا يؤذيه؟! نقول: نعم إلا بحقها، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى)، إذاً صار الذي يُبعد، هو حق الله سبحانه وتعالى، فلا تَعارض] من محاضرة للشيخ بعنوان: (الطريق إلى وحدة المسلمين).

(٢) قال عنه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٧): [لا أصل له. ونقل المناوي عن السُّبكي أنه قال: وليس بمعروف عند المحدثين، ولم أقف له على سندٍ صحيح ولا ضعيف ولا موضوع. وأقرَّه الشيخ زكريا الأنصاري في تعليقه على تفسير البيضاوي.

ثم إن معنى هذا الحديث مُستنكَر عند المحققين من العلماء، فقال العلامة ابن حزم في (الإحكام في أصول الأحكام ٥/ ٦٤) بعد أن أشار إلى أنه ليس بحديث: وهذا مِن أفسدِ قول يكون، لأنه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطاً، وهذا ما لا يقوله مُسلم، لأنه ليس إلا اتفاق أو

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا كذب، فاختلاف الأمة من الشَّر، والفُرقة عذاب، ولا يَسعى للخِلافِ مَن فيه خيرٌ أبداً، لا الخلافُ بين الشعوب ولا الخلاف بين الأمم عامة، فيجب أن يكون **في قلوبنا شعورٌ بأن المسلمين يجب أن يكونوا أمةً واحدة**، على دين واحد، وعلى منهج واحد، فَكَما أن عندنا كتاباً واحداً وسُنَّةً واحدة، فلا بُدّ أن نَسعى أن نكُون أمة واحدة، هذا مطلب شرعي وهذا الذي حرص عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

التألُّم من تفرّق المسلمين

هذا الشعور يجب أن يدخل فينا دخولاً حقيقياً، لأن بعض الناس اختلطت عندهم مسألة: أن كَوْن المسلمين مُتفرقين، فظنّوا أن الفُرقة جيّدة ومطلوبة! لا، الفُرقة شر ولا تأتي بخير أبداً مطلقاً، ولذلك الله سبحانه وتعالى يبين ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]، فلا تفرح إذا رأيت

=اختلاف، وليس إلا رحمة أو سخط].

ويُنبِّه **الشيخ الألباني** في السلسلة الضعيفة تحت رقم حديث (١٩٨١) وبعد ذكر حديث (لا يُصلين أحد العصر إلا في بني قريظة): [**يَحتجُّ بعض الناس اليوم بهذا الحديث على الدعاة من السلفيين وغيرهم الذي يدعون إلى الرجوع فيما اختلف فيه المسلمون إلى الكتاب والسنة**، يحتج أولئك على هؤلاء بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقر خِلاف الصحابة في هذه القصة، وهي حُجة داحضة واهية، لأنه ليس في الحديث إلا أنه لم يُعنِّف واحداً منهم، وهذا يتفق تماماً مع حديث الاجتهاد المعروف، وفيه: أن من اجتهد فأخطأ فله أجر واحد، فكيف يُعقل أن يُعنِّف مَن قد أُجر؟! **وأما حمل الحديث على الإقرار للخلاف فهو باطل**؛ لمخالفته للنصوص القاطعة الآمرة بالرجوع إلى الكتاب والسُّنة عند التنازع والاختلاف، كقوله تعالى: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) وقوله: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) الآية. وإن عَجَبي لا يكاد ينتهي من أُناس يَزعمون أنهم يَدعون إلى الإسلام، فإذا دُعوا إلى التحاكم إليه قالوا: قال عليه الصلاة والسلام: (**اختلاف أمتي رحمة**)! وهو حديثٌ ضعيف لا أصل له كما تقدَّم تحقيقه في أول هذه السلسلة، وهم يقرؤون قول الله تعالى في المسلمين حقاً: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). وقد بسط القول في هذه المسألة بعض الشيء، وفي قول أحد الدعاة: نتعاون على ما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، في تعليق لي كتبته على رسالة (كلمة سواء) لأحد المعاصرين لم يُسمِّ نفسه! لعله يُتاح لي إعادة النظر فيه وينشر].

مسلماً مختلفاً مع مسلم، حتى ولو كان الثاني مبتدعاً، لا تفرح، صحيح قد تهجر المبتدع وتكرهه، **ولكن في قلبك يجب أن تتألم بأن الأمة انقسمت**، وأن الناس قد انصرفوا عن الحق فلا تفرح، وهذا دليل الإخلاص، فالذي يحب الخير للناس هو الذي يتألم إذا رأى الناس انصرفوا عن الحق.

من رَأَيتَه يَفرح فاعلم أن فيه بلاء وعِلّة، لأنه كيف يفرح وهو يرى أمة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تتمزق! كيف يَفرح وهو يرى أهل الحق يتناقصون! ما يمكن هذا، بل علينا أن نتضايق، وأن نسعى لوحدتهم بالحق، وأن نصبر، وأن نحتسب الأذى.

نحن نعلم بأن اليهود والنصارى لا يُحبوننا، ولكننا نحب لهم الهداية، ونعلم بأنهم لا يريدون فينا الخير، **ولكن نحن نريد لهم الخير**، هذا الفرق يا إخواني بين المسلم وبين بقية أصحاب الأهواء الذين يريدون للأمة أن تتمَزَّق، ويسعون إلى خرابها.

إذاً وجود الاختلاف والأحاديث التي جاءت في بيان تَفرُّق المسلمين، لا تُعطينا المبرر بالفرح والسعادة بأن الأمة تمزقت.

مَن يُعذَرُ بالخلاف؟

الأمر الثاني هو أنك لا بُدّ أن تَسعى **إلى تقريب وجهات النظر بين المسلمين**، ولذلك جاء الإعذار، وهو تفريق السلف بين مَن وقع في الكفر، وبين تَسمِيته كافراً، فمن وقع في البدعة قالوا: لا نُسَمّيه (مُبتدِعاً)، لعله جاهل، لعله متأوِّل، حتى نتأكد بأن منهجه منهج بدعي.

لماذا هذا الإعذار من علمائنا؟ لأنهم لا يريدون أن يتمَزّق الصَّف أكثر، لا يريدون أن تَضرِب هذه الأمة بعضها ببعض، صحيح أن هذا

واقعٌ مقدَّر من الله سبحانه وتعالى، لكن لا تكن أنت السبب الذي تتمزق به الأمة، بل كن أنت السبب الذي تجمع به الأمة.

أنواع الاختلاف

فعلينا أن نفرق بين نوعين من الخِلاف أولاً، خلاف طبيعة النفس البشرية تقع فيه، وهو ما يمكن أن يسمى بـ «خلاف محمود»، أو «**خلاف تَنَوّع**»، الذي لا يوجِد فُرقةً واختلافاً، وهو الذي جرى بين علمائنا، وجرى بين الصحابة رضوان الله عليهم، وجرى بين الأئمة الأربعة، وبين فقهاء الأمة، وجرى بين مُحدِّثيها، هذا يُصحِّح حديثاً وهذا يراه ضعيفاً، هذا يرى مثلاً أن الفاتحة تُقرأ خلف الإمام، وآخر لا يراها تُقرأ، هذا يرى بأن يُقَدّم ركبته للركوع، وآخر يرى أن يُقَدّم يديه.. إلخ، قضايا كثيرة جداً كلها تدور في النظر في الأدلة، وهذا الذي أعذر فيه أهل العلم، كما بَسَط ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه المشهور (رفع المَلام عن الأئمة الأعلام).[١]

(١) يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الكتاب ص٨: [وليُعلم أنه ليس أحد من الأئمة -المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً- يتعمد مخالفة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شيءٍ من سُنَّتِه؛ دقيق ولا جليل، فإنهم متَّفِقون اتفاقاً يقينياً على وُجوب اتباع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى أن كل أحد من الناس يُؤخذ مِن قوله ويُترك، إلا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن إذا وُجد لواحدٍ منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافهِ؛ فلا بُدّ له من عُذرٍ في تركه، وجميع الأعذار ثلاثة أصناف]. وللفائدة أنقل هذه المعاذير -مُلخصةً ومستفادةً من أ.د.عبدالسلام الشويعر- التي يُعذر بها العلماء بسبب مخالفةِ بعضهم نَصَّ حديثِ رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي:

العُذر الأول: أن يكون العالم غير معتقد أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال هذا الحديث.

والعذر الثاني: عدم اعتقاد المفتي والفقيه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرادَ بهذا الحديث تلك المسألة بِعَينها.

والعذر الثالث: اعتقاد الفَقيه أو المفتي أن هذا الحُكم المنصوص عليه في الحديث منسوخٌ أو مُؤوَّل.

ثم بَسَط هذه المعاذير الثلاثة في عشرةِ أسباب:

السبب الأول: أن يكون العالِمُ لم يَبلُغه الحديث، وضرب له أمثلة كثيرة لأجلِّ العلماء وأوسَعِهم وأديَنِهم، فابتدأ بالخلفاء الراشدين وبعض الصحابة ومن بعدهم (وهذا السبب هو الغالِب).

السبب الثاني: أن يكون الحديث قد بَلَغ العالِم، ولكنه لم يَثبُت عنده بإسناد. **السبب الثالث**: أن

فخلاف أهل العلم فيما بينهم في المسائل الفقهية قائم، ولا يستطيع أحدٌ أن يوقِفه، ولذلك يجب للناظر لهذا النوع -واحفظوا هذا- معرفة أن الناس ثلاثة: إما أن يكون **مجتهداً** عالِما إماماً، أو **متَّبِعاً** (طالب علم)، مثلنا يقرأ في الكتب وينظر بأقوال العلماء، ويأخذ ما تَرَجَّح له، وما اطمئنت نفسه إليه، أو **عامِّيّاً**، وقد يكون أستاذاً في الكيمياء أو في الفيزياء، لكنه في الشَّرع عامّيّ.

أقسام الناس

ولا تظنوا أن العلماء قد اختلفوا بناءً على أهوائهم، وإنما هذا بحسب ما ظهر لهم من أدلة، وما استبان لهم من بيان.

وهنا ننبه على مسألة، وهي أن بعض العامّة من إخواننا يقولون:

يكون قد بلغه بإسنادٍ، ولكنه ظنَّ ضَعفَ هذا الإسناد، لأسباب تتعلق بالرواية. **السبب الرابع**: أن يكون قد بلغه بإسنادٍ، ولكنه رَدَّهُ لأسبابٍ تتعلق بالدراية، كالقواعِد التي يذكرها بعض العلماء في قبول الحديث. **السبب الخامس**: أن يكون الحديث قد بَلَغَه، ولكنه نَسِيَ هذا الحديث. **وهذه الأسباب الخمسة**: كلها تعود للعذر الأول.

السبب السادس: عدم معرفة الفقيه بدلالةِ الحديث. **السبب السابع**: نفيُ الفقيه للدلالة، بأن يَعرف الدلالة وتَظهَر له ولكنه يَنفيها، فيقول أن هذه الدلالة غير مُعتَبرة، وهذا مَبنيٌّ على القواعد الأصولية المذكورة في محلها في أصول الفقه. **السبب الثامن**: أن تتعارض الدلائل في الحديث، فيكون في الحديث دلالتان: عمومٌ وخصوص، فيقدم إحدى الدلالتين على الأخرى. **وهذه الأسباب الثلاثة**: مُندرجة في العذر الثاني.

السبب التاسع: تعارض الدليل (وهو الحديث) مع دليلٍ آخر، صحيح في الجُملة، وهو ما يُسمى بـ (تعارض الأدلّة)، فيُعارض الدليل بدليل صحيح (وهو الكتابُ والسنة والإجماع)، وذكَر الشيخ (ابن تيمية) أمثلةً لهذه الأدلة الثلاثة بِعَينها، فيكونُ الفقيه في ذِهنه قد تَعارض لديه الدليلان، فيُقَدّم أحد الدليلين على الآخر، إما من باب النَّسخ، أو من باب التَّأويل، والصوابُ بخلافِ ما ذكره. **السبب العاشر**: أن يتعارض هذا الحديث مع دليلٍ آخر يظنه هو صحيحاً، والحقيقة أنه دليلٌ غير صحيح، وأطالَ الشيخ في ذِكر بعض الأدلّة التي قد يُعارض بها العلماء دَلالة الأحاديث، فيَرُدّون العَمَل بها لأجل هذه الاعتراضات، وهذه الأدلة تكون غير صحيحة، كعمل أهل المدينة مثلاً وغيرها مما أشار إليه. **وهذان السَّببان الأخيران**: مندرجان في العذر الثالث.

لماذا المشايخ مختلفين؟! هذا يقول هذه تجوز، وهذا يقول هذه لا تجوز، هذا كله خِلاف، نقول: هذا جهلٌ مِنَ المتكلم، لأنه قد وَضَع نفسَهُ في رتبةٍ أعلى مِنْ رُتبته، وضع نفسه في رتبةِ طالبِ علم وهو عاميّ، ولذلك عليه أن ينظر على من يَغلِب على عقله أنه أقرب للدين والورع فيأخذ بقوله، الأهم أنه لا يجوز للعامي أن يتنقل بين المشايخ طالباً الأسهل.(١)

إذاً هذا الخلاف -وهو خلاف التَّنَوّع- ليس الذي نُحذِّر منه، إنما نحذر من الثاني وهو «**اختلاف الأهواء واختلاف المناهج**»، الذين يلوون أعناق الآية لتوافق مذهبهم، ويأتون إلى النصوص يلعبون بها، ويأتون بأقوال ما سُبِقوا إليها، وظنوا بل صرَّحوا بأنهم أعلم من الصحابة رضوان الله عليهم! وأما أولئك -أصحاب الخلاف المحمود- فإنما يبحثون فيما اختلف فيه الأولون، فما خرجوا علينا بمذهب جديد، ولا بطريقة جديدة، ولا أوَّلوا كتاب الله سبحانه وتعالى، ولا لووا أعناق الآيات.

(١) كثيرٌ مِن الأخوة العَوام يَظنون بأن فتوى الشيخ تُحِلُّ لهم الحرام! وهذه أكثر ما تحصل في الميراث والرَّضاع، يأتي أحدهم للشيخ يَسأله السُّؤال -ويُنقص عنه بعض المعلومات- فإذا وافَقَت فتوى الشيخ ما عنده؛ أخذَ بها! لماذا؟ يظن أن الشيخ إذا قال له: (حلال) صارت حلالاً! مثلاً عنده أمانات لأيتام أراد أن يأكلها فأتى لها بفتوى! أخذ قطعة أرض من جاره فأتى بفتوى له! لكن هذا احذروا منه، فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (يأتيني أحدكم وقد يكون ألحن حجة من أخيه) يعني عنده لسان، لكن الحق مع الذي ليس عنده لسان (فأقضي له بحق أخيه)، مثلاً يدّعي مُلك أرض، وعنده لسان وشهود زور، فيقتنع القاضي، (فأيما رجل قضيت له شيء من حق أخيه؛ فإنما هي قطعة أقتطعها له من نار جهنم) [أخرجه البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣)]، إذاً حُكم القاضي أن هذه الأرض لك، وهي ليست لك حقيقة، لا تجعلها وتُحلها لك، وفتوى المفتي بأن هذا يجوز أن تتزوج من فلانة وهي قد رضعت وأنت تعلم، لا يُحِلّ الحرام، إذاً ما يفعله الناس من التنقّل بين المشايخ بحثاً عن الفتوى التي يريدون، هذا تلاعب في الدين، لا يحل لهم، **والله عز وجل يعلم حقيقة الأمور، ويعلم أنك غاشّ للمُفتى، والمفتى على مِقدار الأسئلة يُجيب**. (ش)

ما هو الحل؟

ليس الحل هو أن نجمعها - وهو التَّرقيع الذي يُرادُ -، تجميع كل الجماعات والمذاهب والأحزاب في طريقةٍ واحدةٍ دون تمييز، بحجةِ أن بعضنا يُكمّلُ بعضاً، فهذا دمار، بإلغاء وإزالة الفوارق، لا، **بل نَجمَعها بأن تلغي كلّ أمةٍ ما كانت عليه، وترجع إلى الأصل، الأصل هو الكتاب والسُّنة وطريقة الصحابة رضوان الله عليهم.**

أهمية التناصح

وليس علاجه بالنِّفاق، أن ينافق بعضُنا بعضاً في المسجد، فإذا خَلَونا إلى بيوتنا، طَعَن كل منّا في صاحبه، هذا نِفاق، وليس هذا العلاج الذي تتوحد تحته الأمة، هذا لا يزيدها إلا فُرقة، بل هذه هي الباطِنيّة[١]، أنهم ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة:١٤]، فالعلاج هو التناصح، أنا أراك مُخطِئاً، أقولُ لك أنت مُخطِئ.[٢]

---

(١) **الباطِنِيّة**: قالوا أن (لظواهر الآيات والأحاديث بواطن تجري مجرى اللب من القشر. واحتجوا لكل آية ظهر وبطن، وأن من وقف على علم الباطن سقطت عنه التكاليف) [تاريخ الإسلام ٦/ ٤٧٠].

وهي أظهرت الإسلام وحب آل البيت والانتصار لهم، لعلمهم بأن مذهب التَّشيّع يحتمل كلامهم، إذ لم يجدوا مدخلاً إلى الإسلام والطعن فيه إلا من بوابتهم، وكانت بداية نشأتهم سنة ٢٧٦هـ.

ومن أبرز دعاتهم: ميمون بن ديصان القداح، وهو رئيسهم (أصله يهودي من سلمية بالشام، ولُقِّب بالقداح لأنه كان كحالاً يقدح العيون)، وابنه عبيد الله المهدي (الذي تُنسب له الدولة العبيدية)، وحمدان قرمط بن الأشعث (وإليه تُنسب القرامطة)، وزكرويه بن مهرويه -عبدان-، وأبو سعيد الجنابي، وولده أبو طاهر (الذي قَتَل الحجيج يوم التروية واقتلع الحجر الأسود)، **ولهم أسماء وفِرق**: الاسماعيلية، القرامطة، البهرة، الدروز، البهائية، القاديانية، الحشاشون، الأحباش، الخمينية. ينظر كتاب (فِرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام) د. غالب عواجي (٢/ ٤٩٠) وما بعدها. و(الموسوعة الميسرة).

(٢) وكتب الشيخ قديمًا مقالة بعنوان: (التناصح ضرورة للدعاة)، نُشرت سنة ١٩٩٦م، انظر المجموع (٤/ ٢٧٨)، ثم توسع فيها وطبعها برسالة صغيرة، انظر المجموع (١/ ٣٨١).

الرجوع لأهل العلم

وهذا لا يأتي إلا أن نكونَ مسلمين حقيقيين؛ نُحيي بيننا (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)(١)، تَناصحٌ (الدينُ النَّصيحة)(٢)، نُرجعُ أمورَنا ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩]، و﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [النساء:٦٥]، و ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [آل عمران:٣١]، فإذا اختلفنا: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، إذا أحيَيْنا هذا؛ عُدْنا أمةً من جديد.

إذاً العِلاج موجودٌ والحلُّ سَهل، لكن العِلَّةُ فينا: دخلتنا الأهواء، ودخلتنا خلافات النفوس، ثم بعد ذلك مع غِياب العلم وتسلُّط من ليس بعالم، وهو الذي أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عنه في آخر الزمان -نسأل الله العفوَ والعافية- في الحديث المشهور: (إنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النّاسِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلَماءِ، حتَّى إذا لَمْ يَتْرُكْ عالِمًا، اتَّخَذَ النّاسُ رُؤُوسًا جُهّالًا، فَسُئِلُوا فأفْتَوْا بغيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا)(٣)، فالآن الناس أصبح كلٌّ منهم إماماً! وأما إذا سألنا أهل الذِّكر مِن العلماء المبرَّزين المعروفين، وأرجعنا أمورنا إلى كتاب الله عز وجل وإلى سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، لَهانَ الأمر.

(١) أخرجه البخاري (٦٩٥٢).
(٢) أخرجه مسلم (٥٥)، وابوداود (٤٩٤٤).
(٣) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

٣

المحـــاضرة الثالـــثة:

حديثُ الإفتـِراق ومعنى السَّلَفِيَّة

المحاضرة الثالثة

حديثُ الإفتِراق ومعنى السَّلَفِيَّة

سُمِّيَت هذه الفئة أو الطائفة بأسماءٍ متعددة، فسُمِّيَت بأهل الأثر، وبالسَّلفية، وبأهل السُّنة والجَماعة، وسُمِّيَت بأهل الحديث، وبالطائفة الناجية، والفِرقة المنصورة، هذه مسميات أُطْلِقَت مِنْ أهل العلم والفضل والإيمان على الفِرقة الواحدة الناجِية التي أخبر عنها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الحديث الأول:

الحديث الأول

عن أبي هُريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرّقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فِرقة، وتفترِقُ أُمتي على ثلاثٍ وسبعين فِرقة، كلها في النار إلا واحدة)**[١].

وروى الترمذي من حديث عبدالله بن عمرو يرفعه **(ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرَّقت**

(١) أخرجه أحمد (٨٣٩٦)، وأبوداود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجة (٣٩٩١). أما بزيادة (كلها في النار): فأخرجها أحمد (١٢٢٠٨)، وابن ماجه (٣٩٩٢)، وأفاض الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان درجة الحديث وأقوال العلماء فيه، في السلسلة الصحيحة (٢٠٤) فمما قال: [وقال الحاكم: هذه أسانيد تُقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث. ووافقه الذهبي.. ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «المسائل»: هو حديث صحيح مشهور. (وقال بعد صفحات).. فقد تبين بوضوحٍ **أن الحديث ثابتٌ لا شك فيه**، ولذلك تتابع العلماء خَلَفاً عن سلف على الاحتجاج به].

على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار، إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي)[١].

وذلك أنْ هذا الحديث أصل البحث، أنه جعل فرقة ناجية مقابل اثنتين وسبعين فرقة هالِكة، وسَنُفصِّل إن شاء الله في ذلك.

والحديث الثاني المتعلق به هو حديث:

الحديث الثاني

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(لا تزال طائفة من أُمتي ظاهِرينَ على الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، حتى يأتي أمرُ الله)**[٢]. وجاءت أيضاً روايات بدل كلمة ظاهرين: **(منصورين)**.

أولاً نحن نعلم أن هذه الألفاظ كلها ألفاظٌ منصوصٌ عليها، أو موصوفٌ بها من هي لازمة له، فإذا جئنا للفظ **(الفرقة الناجية)** فهي فرقة من الثنتين والسبعين فرقة، وهي **(الجَماعة)** كما جاءت فيها روايات[٣]، وهي منصوص عليها بنص حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ولا**

(١) أخرجه الترمذي وحسنه (٢٦٤١)، وينظر كتاب (ما أنا عليه وأصحابي) لأحمد سَلاّم حفظه الله، فقد بين روايات الحديث، وأثبت صحة زيادة (ما أنا عليه وأصحابي).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٢٠، ١٥٦)، وأحمد (١٦٩٣٢). وزيادة (منصورين) عند الترمذي (٢١٩٢)، وابن ماجه (١٠).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٩٣٧، ١٢٤٧٩)، وابن ماجة (٣٩٩٣).

يقول الشيخ في موضِع آخر: [لو بقيت كلمة (الجماعة) لساغ أن تُأَوّل، ولأتوا لها بمخارج! لكن صارت محددة: (ما أنا عليه وأصحابي)، فعندما يأتي أحدهم ويقول: هل كل هذه الفرق على حق؟ الجواب: لا، فَهَل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: كلها على حق! لا، ولذلك الذين يتكلمون الآن في الفرق والمذاهب ويقولون: كلهم على حق، كلهم على خير، والخلاف بين الفرق والمذاهب بسيط، نقول: مَن نتبع؟ أنتم أم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! **هؤلاء يُخطِّئون النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **لكنهم لا يعلمون!!** الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول كلها على خطأ، ويأتي داعية من الدعاة ويقول: لا بل كلهم على حق، وعلى خير، وفيهم خير!!

يعني أن كل من انتسب إلى هذه الفرقة ينجو من النار مُطلقاً، بمعنى لا يَدخل في النار، بل قد يُعاقَب مَن هو من أهل هذه الفِرقة إن وقع في دواعي العقاب، كأن يقع في زنا أو في سرقة أو في ظلم أو في أكل مالٍ حرام، إلى آخر ذلك، فيُحاسب، **لكنه ناجٍ من ناحية الاعتقاد، ومن ناحية المنهج**.

إذاً الفِرقة الناجية الطائفة المنصورة أهل الحديث لا يلزم ألا يقعوا في معصية، لأنه حتى الصحابة رضوان الله عليهم ليسوا بمعصومين، وقد وقع مَن وقع منهم في معاصيَ وكبائر.

ولأن الحدود والعقوبات أُنزلت وشرّعت لعموم المسلمين بمن فيهم الذين كانوا في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من طبيعة البشر كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا، لذَهب الله بكم، ولَجاء بقومٍ يُذنِبون، فيستغفرون الله، فيُغفَر لهم)**[(١)].

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

نحكم على المناهج لا الأشخاص والقلوب

فنحن نَحكُم على منهَج، ولا نَحكُم على ما استَقرَّ في القلوب، فإنَّ ما استقر في القلوب يعلمه الله سبحانه وتعالى وحده.

وأهل الحديث أي الذين يتَّبِعون حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا

=**البحث ليس كفار ومسلمون، البحث: أَمُهتدون هُم، أم على غير هداية، فقط حَصَرَ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الهداية في واحدة] من محاضرة للشيخ بعنوان: (مسائل مهمة في الدعوة السلفية).

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٩)، والترمذي (٢٥٢٦).

كما نَصَّ عليه أئمتنا كالإمام أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وغيرهم لمّا سُئِلوا عن الفِرقة الناجية؟ **قالوا: هم أصحابُ الحديث**، وهم أيضاً أهل الأثر، لأن الأثر إذا أطلق يراد به الحديث، وهذا ذُكِرَ عَنْ كثير من العلماء(١).

تسميات أهل الحديث

وعُرِفوا كذلك بأهل السُّنة والجَماعة، وأتباع السَّلَف أو السَّلَفِيون، فأهل السنة والجماعة وَصْفٌ أقْدَم من السَّلفيين، والسُّنة كما تعلمون هي الطريقة والسيرة، وهي ما أُثِرَ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول أو فعل أو تقرير، وهذا معروف في تعريفها عند الفقهاء(٢)، لكن **السُّنة المراد بها هنا هي مُجمل العقائد والأحكام التي التَزَمها الصحابة رضوان الله عليهم وفارقوا بها أهل البدعة**، التزموا بسُنَّة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقيدةً وسلوكاً ومنهجاً، ولذلك كانت مقولة ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]. أي تبيَضُّ وجوه أهل السُّنَّة والجماعة، وتسْوَد وجوه أهل البدعة والفرقة(٣).

معنى السنة والجماعة

ولذلك أَلّف علمائنا كُتُباً سَمّوها (السُّنَّة)، ولا يريدون بها السنة باصطلاح الفقهاء أو الأصوليين، وإنما أرادوا بها: مُجمل العقائد والأمور المتعلقة بالمنهج، والموقف من أهل البدع، كـ(كتاب السُّنة) للإمام أحمد، وكتاب (السنة) لابن أبي عاصم، و(السنة) لابن أبي حاتم، وغير ذلك مما

(١) ينظر كتاب (شرف أصحاب الحديث) للخطيب البغدادي، فقد نَقَل الكثير، في فضلهم وتحديدهم.

(٢) ينظر كتاب (أفعال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودلالتها على الأحكام الشرعية) د. محمد الأشقر (١/ ١٩).

(٣) أخرجه اللالكائي (٧٤) والآجري في الشريعة (٢٠٧٤). وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٠٠٠).

جاء في هذه الكلمة، واندرج تحتها من كتب.

أما في معنى (الجَماعة) فبعضهم قال: هم السواد الأعظم، وبعضهم قال: هم الصحابة، وبعضهم قال: جماعة الحق وأهله، وهذا الذي أكدّه واعتمده ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]، ولكن كما قال البخاري والترمذي وغيره -وهو الذي يبدو- أن المُراد بالجَماعة هُم أهل الحق، أي أهل العلم والحديث، الذين التزموا منهج الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.[٢]

الأمر بلزوم الجماعة

ولا شك أن الأمر بالجماعة ولزومها الأحاديث فيه كثيرة، كقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(عليكم بالجَماعة وإياكم والفُرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد)**[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣] قال البخاري: هُم أهل العلم[٤]، وفي الحديث المشهور: **(مَن أرادَ بَحبوحة الجنة؛ فلْيَلزَم الجَماعة)**[٥].

(١) في تفسيره (سورة آل عمران آية ١٠٦).
(٢) اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٧٢) وينظر الاعتصام للشاطبي (٢/ ٢٩٠ - ٦٩٦).
(٣) أخرجه أحمد (١١٤، ١١٧)، والترمذي (٢١٦٥)
(٤) بوَّب الإمام البخاري في صحيحه بذلك وذكر تحته حديث رقم (٧٣٤٩).
(٥) جزء من حديث (عليكم بالجماعة..)، أخرجه أحمد (١١٤و١١٧)، والترمذي (٢١٦٥).

وبيَّن الشيخ -في محاضرة أخرى- الخطأ في مفهوم الجماعة، بعد أن ذكر حديث حذيفة في صحيح البخاري باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، فقال: [لا بُدّ أن نعرف ما معنى (جماعة المسلمين)، وهي ليست كما تُصوِّرها بعض الأحزاب الدينية أنها جماعة خاصة معينة موجودة، بمعنى إذا لم يكن الإنسان منهم فليس مع جماعة المسلمين! وهذا التقييد معناه: أن الذي ليس منهم ليس بمسلم!! وهذا -للأسف الشديد- الذي ذكره سعيد حوى الكاتب المشهور، في أكثر من موضع، وبين أن جماعته هي (جماعة المسلمين)، وهذا المفهوم غير صحيح، فجماعة المسلمين: هي الجماعة العامة للمسلمين وهم أهل السنة والجماعة، **فالجماعات التي تدعو للإسلام لا يجوز لها أن تَدَّعي أنها جماعة المسلمين، وأن الإنسان الذي ليس منها ليس من جماعة المسلمين، وهذا قول باطل لا يجوز، وإنما هي جماعات مِنَ المسلمين**، وهذا الذي يقوله عقلاء كل هذه الجماعات.

قال أيوب السختياني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن من سَعادَة الحَدَث والأعجَمي؛ أن يوفقهما الله لعالِم من أهلِ السُّنة)[١]، وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما أقلَّ أهل السنةً والجماعة)[٢] وهذا يقوله في عهده!!

فإذا قيل (أهل السُّنة والجَماعة) فمعناها هُم الذين ساروا على منهج الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، حتى يتّفق هذا التعريف مع مفهوم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة وأتباع السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وأمّا السَّواد الأعظم من المسلمين فبإطلاق (أهل السُّنّة) بالمعنى الثاني، أي أنهم ليسوا رافضة، وبالمعنى الأول هي **السُّنة المحضة؛ الذين التزموا سُنَّة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وابتعدوا عن البدعة**[٣]، ولذلك عندما تقرأ عن الجويني وعن أبي حامد

=ولكن كيف يُعرف أهل الحق من غيرهم؟ ما هو المعيار؟ هل هو بالكثرة؟ هل بحفظ القرآن؟ هل بحفظ السُّنّة؟ هل بكثرة العبادة؟ حتى نَحكم أن هذه الجماعة صحيحة على حق، فالكثرة ليست هي العبرة، وكثرة الصلاة والصيام والشَّكل الظاهري ليس بعبرة، **إنما العبرة هو مدى قرب هذه الجماعة أو بعدها عن الأساس**، وهو الذي نتحاكم إليه، وهي مجموعة معينة نَقيسُ فِكر الناس وسلوكهم بها، **وهي جماعة الصحابة والتابعين** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، هذا المجتمع المثالي عقيدةً وسلوكاً وفقهاً وتجمُّعاً، فعندما نقول هذا حق، فبمقدار ارتباطه بالحق الأصلي الذي اتفق المسلمون عليه، اتفقوا على أن الصحابة مَرضي عنهم وأنهم القُدوة، وأنهم البيئة التي طُبِّق فيها الإسلام، وأنهم الذين مات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو عنهم راضٍ، وهم الذين قال عنهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب) أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، وابن حبان (٦٧٢٨)، إذاً المجتمع والرِّجال الذين يقاس عليهم هم الجماعة الأولى وهم الصحابة رضوان الله عليهم، بعد ذلك يُنظر في كل جماعة بمقدار قربها أو بعدها من جماعة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم]. من محاضرة بعنوان: (كيف الأمر إذا لم تكن جماعة).

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٠). والحَدَث: هو الصغير الناشئ، والأعجمي: الذي لا يفهم العربية ولا الدِّين.

(٢) أخرجه اللالكائي (١/ ٦٤)، وقال أيضا: (استوصوا بأهل السنة خيراً؛ فإنهم غُرباء).

(٣) ينظر كتاب (الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتحذير من مفارقتهم) للشيخ د.عبدالسلام بن برجس العبدالكريم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكتاب (وجوب لزوم الجماعة وترك التّفرق) لجمال بادي، بإشراف د.علي الفقيهي حفظه الله.

الغـزالي رحمهـما الله وغيرهـم، بأنهـم عـادوا في آخـر أمرهـم إلى السُّـنّة أو إلى حظـيرة السُّـنة(١)، فهـو لم يكـن رافضيـاً مـن قبـل، وإنـما كان إما أشـعرياً وإما ماتريديـاً وإمـا مُعتزليـاً وإما مـن أهـل الـكلام(٢)، فلـما رجـع إلى السُّـنة وهـي الطريقـة التـي عليهـا الصحابـة رضـوان الله عليهـم، قالـوا: عـاد للسُّـنّة، **فهـذا المعنـى الأول.**

وأمّـا **المعنـى الثـاني**: فالمعنـى العـام فيـما يقابـل الرافضـة، ومـا عُـرِف هـذا المعنـى إلاّ بعـد فُشـو مذهـب الرافضـة وانتشـاره، فصـار يقـال هـذا مـن أهـل السـنة والجماعـة.

في فـترة مـن الفـترات ظهـرت وقَـوَت المعتزلـة وضعُـفَ أهـل الحديـث، فكانـوا ضِعافـاً قِلـةً غُربـاء في عهدهـم، فقـام الأشـاعرة والماتريديـة وهدمـوا أركان المعتزلـة، فسَـمّوا أنفسـهم وأُطلـق عليهـم بأهل السـنة والجماعـة، ولذلك الآن في المـدارس الأشـعرية وفي الأزهـر وغـيره يُـدرّس منهـج الأشـاعرة عـلى أنـه منهـج أهـل السـنة والجماعـة! وهـذا لا شـك تلبيـسٌ عـلى النـاس.

فإذاً مرّت كلمة (السُّنّة) بأطوارٍ، نُلَخِّصها:

١- قديماً والذي عليه كلام علمائنا الذي هو أهل السنة (بالمعنى الأول).

٢- ثـم تلاهـا بالمعنـى الثـاني العـام (أنهـم ليسـوا رافضـة)، فيدخـل فيـه الأشـاعرة والمعتزلـة والصوفيـة وكل الطوائـف الإسـلامية، ويخـرج منـه الرافضـة.

---

(١) كما ذكر ذلك عن الغزالي شيخ الإسلام ابن تيمية في (بيان تلبيس الجهمية) ٦/ ١٣٤ ط. المجمع.

(٢) للاسـتزادة ينظـر كتـب: (ذم الـكلام وأهلـه) لشـيخ الإسـلام أبي إسـماعيل الهـروي، و(الماتريديـة لشـمس الديـن السـلفي الأفغـاني، وهـي رسـالة ماجسـتير قيّمـة. وسلسـلة كتـب د. نـاصر العقـل في الفِـرق والأهـواء.

٣- ثـم صـار لـه تعريـف وهـو المتـداول الآن في الكتـب ويريـدون بـه (الأشـاعرة).

ولذلـك في بـلاد الأعاجـم وفي بـلاد باكسـتان وبـلاد الهنـد والبنغـال وغيرهـا إذا قـال الرجـل: أنـا مـن أهـل السـنة والجماعـة، فمعناهـا هـو أشـعري خُـرافي، وهـذه قاعـدة احفظوهـا في الأعاجـم، فـلا تظـن أنـه سَـلَفيّ، ويكـون في الفقـه حنفيـاً مُتعصّبـاً.

في عصرنـا هـذا نَبَتَـت نابتـة اسـتخدمت أيضـاً هـذا الاسـم **وتُريـدُ بـه التَّمييـع**، فأصبحـوا يتداولـون مصطلـح أهـل السـنة والجماعـة، ويتجنَّبـون مصطلـح السـلفية، وقـد صَـدَرت لهـم كُتـب في ذلـك[١]، وهـذا يجعـل الأمـر مَشـاعاً لا وضـوحَ فيـه، فلذلـك نـرى أنّ مَـن أراد أن يسـتعمل مصطلـح أهـل السـنة والجماعـة فعليـه أن يُضيـف إليـه أتبـاع السـلف أو السـلفيون، حتـى يُميـزه في هـذا العـصر.[٢]

مصطلح السلفية

أمـا عـن مصطلـح (السَّـلفية) فيدَّعـي البَعـض أنـه اسـم مُحـدَث،

---

(١) منها كما ذكرناه سابقا عن كتاب (معالم الانطلاقة الكبرى). (ش)

(٢) سُئِل الشيـخ عـن مصطلـح أهـل السُّـنة في الهنـد؟ فقـال: [بالنسـبة للأعاجـم خاصـة أهـل الهنـد وأهـل البنغـال وبعـض أطـراف أندونيسـيا، إذا قـال لـك أحدهـم: أنـا مـن أهـل السـنة والجماعـة، يعنـي أنـه خُـرافي، وأنـا وقـع لي مـرة في أول عهـدي بالأخـوة السـلفيين في ولايـة كـيرلا بجنـوب الهنـد، أني حـضرت مؤتمـراً عندهـم، وكان لِقـاءً طيبـاً، وفي آخـر يـوم مـن المؤتمـر وأنـا مسـافر بالسـيارة وجـدت لافتـة ضخمـة جـداً مكتـوب عليهـا (مؤتمـر أهـل السـنة والجماعـة)، فقلـت الظاهـر أن هنـاك جماعتـين سـلفيتين، الأولى مـن كنـت عندهـا، والثانيـة هـذه، فلـما أصريـت عـلى الحضـور -والسـائق لا يفهمنـي وغـير راضٍ باصطحـابي إلى هـذا المكـان- فأنـا قلـت كعـادة النـاس؛ الخـلاف شـديد، بعـد ذلـك جـاء أحـد الأخـوة المترجمـين فقـال هـؤلاء ينشـئون مؤتمرهـم عنـد قـبر ولي، وقـال أن أهـل السـنة عندنـا في هـذه البـلاد هـم القبوريـون. ففـي الهنـد إذا قـال لـك أنـه مـن أهـل السُّـنة، يعنـي أنـه مـن أهـل البـدع، وأمـا السـلفيين فإمـا يُسـمون بأهـل الحديـث أو بالمجاهديـن في كـيرلا] مـن محـاضرة للشـيخ بعنـوان: (سـؤال وجـواب).

ونحـن نقـول بـل هـو وَصْـف، فلـما تقـول: **أهـل الحَديـث**، تصِـفُ الذيـن أخـذوا الحديـث وعمِلـوا بـه؛ أنهـم مـن أهلـه، فالوصـف يرجـع إلى الموصوف، فـإن كان المَوصـوف نقِيـاً صافيـاً؛ فـلا حـرج فيـما نُسِـبَ إلِيـه، فالسَّـلفية هـي وصـفٌ بالانتسـاب إلى السـلف الصالـح.

لكـن يـأتي سـؤال: أمـا تكفـي كلمـة (مُسْـلِم)؟ فيقولـون لمـاذا هـذا التفريق للمسلمين ؟

الجواب من قضيتين:

الأولى: هل التَّسمِية بالسَّلفية تُخالف التَّسَمّي بِمُسلم؟

شبهة والجواب عنها

الآن لـو جـاءك إنسـان يسـألك عـن دينـك؟ تقـول لـه: أنـا مسـلم، يبقـى حائـراً فيـك! أنـت مسـلم سُـني أم مسـلم شـيعي؟ فـإن قلت: أنا مسـلم سـني، يبقـى أيضـاً حائـراً، هـل أنـت صـوفي أو أشـعري أو ماتريـدي أو نقشـبندي! مـن أنـت؟ فتحتـاج أن تضيـف لـه وتقـول: أنـا مسـلم سُـنّي عـلى الكتـاب والسـنة وطريقـة السَّـلف، حتـى تمّيـز نفسـك في هـذا العـصر بالـذات، فَبَـدَل كل هـذا إذا قلـتَ (أنـا سَـلَفي) ارتَحْـت.

والعجيـب أنهـم لا يُنكـرون عـلى من يقـول أنـا حنبـلي أو شـافعي أو حنفي أو أشـعري أو ماتريـدي أو نقشـبندي! مـا سـمعنا قـط، لا مـن كبـير ولا مـن صغـير، ولا مـن عاقـل ولا مـن مجنـون، ولا مـن عـالم ولا مـن جاهـل؛ مـن يُنكِـر عـلى هـؤلاء أبـداً! وإنـما فقـط يُنكَـر عـلى السّـلفيين!! فلـو كان عندهـم حـرص عـلى كلمـة (مُسـلِم) ويرونَهـا جامعـة، لمـا أجازوا أن يوصـف الرجـل بـأي صفـة أخـرى غيرهـا.

فالجـواب الأول نقـول: يَسـعنا مـا وَسِـعكم، فـإذا أنتـم وَسِـعكم أن

يقال هذا شافعي وهذا حنبلي وهذا مالكي وهذا أشعري وهذا ماتريدي وهذا نقشبندي وهذا رِفاعي وهذا وهذا، فإذاً لتتسع صدوركم أيضاً أن تضيفوا كلمة لنا وهي (سَلفّي).

نعتقد أن هذه النسبة أشرف من كل هذه الأسماء، لأننا نعتقد أنك عندما تقول: هذا سلفي، فإنّه ينتسب إلى السَّلف الصالح وهم الصحابة ومن تبعهم بإحسان، لكن إذا قلتَ: هذا أشعري وهذا حنفي وهذا ماتريدي، فلا شك أنك تنسبهم لشخص مهما بلغ من العلم والمكانة.

فجمع الصحابة والتابعين والأئمة أفضل، والمجموع المُمَيَّز أفضل بكثير بالنسبة إلى الواحد، ولذلك نحن لا نتسب إلاّ إلى الأصحاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وإلى التابعين وإلى أئمة الهدى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين.

الجواب الثاني: أن السلف أيضاً استعملوا هذه الكلمة وتداولوها، وما رأينا لها مُنكراً، بل حتى خصومهم قالوا: مذهب السلف أسلم[(١)].

(١) [عندما نقول أن السَّلفية هي الحق، ليس من عندنا، وإنما هو من عند الله، على لسان نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وانظر أي كتابٍ علمي، كتب الحنابلة والشافعية والمعتزلة والأشاعرة والرافضة وأهل الكلام وغيرهم، كلها تقول: مذهب السلف، ومذهب الخلف، مذهبين في الدنيا، وهم يقررون فيها: أن مذهب السلف أسلم، لكن يقولون أن مذهب الخلف أحكم؛ لأنه يأخذ بالعقل! فلا أحد من العلماء قديماً وإلا ويَعرِف هذا التمييز، ولذلك عندما نقول للناس: نحن نميز بين السلفي وغيره، فَلَسنا بدعاً من الأمر إذا قلنا الانتساب لمذهب السلف، والتَّدَيّن على مذهب السلف، فلسنا مبتدعين في هذا، قاعدتنا (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتُم، عليكم بالأمر العتيق) وما هو الأمر العتيق؟ الذي كان عليه أبوجهل! لا، بل هو درب الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ يقرر في أكثر كتبه أنه (لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً) [مجموع الفتاوى ٤/ ١٤٩]، والإمام الذهبي ذكرها في مواطن كثيرة في تراجمه قال: يا عبدالله كن سلفياً] من محاضرة للشيخ بعنوان: (كن سَلفِياً ولا تخجل).

وكان **الإمام الذهبي** يذكر هذا اللفظ في كتابه (سير أعلام النبلاء) منها: عند ترجمة الإمام الدارقطني: (لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذلك[أ]بل كان سَلَفِيّاً)

القضية الثانية: أن التَّسمِية بالسَّلفيين أو أهل الحديث هو تَفريقٌ للأمة؟

والجواب على هذا طويل، لكن نوجزه:

شبهة: تفريق الأمة

أولاً: لماذا يؤدي هذا إلى التفريق! لأن بعض المُغرِضين أحياناً يَرمي الشُّبهة ثم يجعلك محتاراً فيها، ولذلك نسأله: ما وجه الفُرقَة والشِّقاق؟! فلو دَلَّنا على واحدة، سنُرجِعه إلى المسميات المذهبية المشهورة، كما ذكرناها سابقاً، ولن يستطيع الجواب على ذلك.(١)

الأمر الثاني: بأننا نرى ضرورة التمايز في هذا العصر بالذات، الذي اختلطت فيه كل الأوراق.

الأمر الثالث: أن الأمة الآن هي في شتات، وليست مجتمعة على مذهب واحد، ولا على قلب واحد، فلماذا الأمة تَسَع كل هذه الجماعات والمذاهب، ولا تَسَع هذا المنهج الحق! حتى الرافضة ينادوا لمذهبهم! الصوفية بأنواعها وأهل الكلام والعقلانيين وغيرهم لا أحد يقول لهم قد زدتم الفِرَق فرقة، فلماذا الدندنة فقط على من سلك درب السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ!

=١٢/ ٤١٨، وعند ترجمة ابن الصلاح: (وكان متين الديانة، سَلَفِيَّ الجُملة، صحيح النحلة) ١٦/ ٣٦١، وفي ترجمة محمد بن يحيى الزبيدي: (وكان حَنفِيّاً سَلفِيّاً) ١٥/ ١٠٩.

(١) [الأمة الآن متفرقة، ويدعوننا إلى الاجتماع، ولكنهم لا يتساءلون فيما بينهم: لماذا الافتراق؟ يعني مثلاً: مات أبٌ وترك ورثة، ثم أتى الأخ الأكبر فأخذ المال من الورثة وانفرد به، ثم وقعت المشكلة، فأتى كل الوعاظ والخطباء ينصحون بالألفة والمحبة ويسألون: لماذا اختلفتم؟! لأجابوهم بأننا اختلفنا لأن الكبير سرق أموال الورثة، فلا بُدّ أن يرجعها ويحصل الوئام، **لكنهم يأتون واعظين ناصحين دون أن يعرفوا لماذا الخلاف!!** فنقول لكثير من الذين يتباكون على وحدة المسلمين، لِمَ لا يسألون أنفسهم: لماذا الناس اختلفوا؟ فإذا سألوا أنفسهم عَرَفوا الجواب، **وهو أن هؤلاء يريدون أن نتَّبِع قول الناس، ونحن نريدهم أن يتَّبِعوا كلام الله عز وجل**] من محاضرة للشيخ بعنوان: (لماذا فهم السلف).

فالأمة فيها طوائف وفيها أحزاب وفيها مذاهب وفيها تيارات وما رأينا أحداً منهم أنكر على أحدٍ، أو قال: يا أخي فرّقتم المسلمين، فلما جاء دعاةُ التوحيد قالوا لهم: أنتم فرّقتم المسلمين!

ثم ما المعيار الحق الذي به نَحكُم؟ فلا شك أنّ العوام والجُهّال لا يَحكمون، **وأن الحق لا يُقاس لا بكثرة الأتباع ولا بالقوة ولا بالمادّة، وإنّما يُقاس الحقُّ بالعِلْم**، ونقول ليجتمع العُلماء ويقولون: إنّ هذا الدرب خطأ وأن هذا المنهج باطل، فعند ذلك يَجب تركه، لكن أن يُسمح للعَوام وللناس الجُهّال بأن يتكلموا كما شاءوا، فهذه من آفة العصر.

والعَجَبُ أنه لو تكلَّم الناس في أي مذهبٍ آخر ولو مِقدارَ شعرة؛ لقامَ الكل وثاروا وقالوا: هؤلاء لهم كيان، ما ينبغي أن نَجرَح شُعورهم، وينبغي أن نتعاون!

لكن هذه الطائفة – الحَقّة – الكل يُجمع على الكلام فيها، فكأنها ليس لها حُرمة! فكل طوائف الابتداع والتَّساهُل مُجمِعة بأن تَرمي هذا المنهج من مكانٍ واحد، فتشابهت القلوب وإن اختلفت العِبارات.

٤

المحـــاضرة الرابعـــــة:

الدَّعوة إلى التَّمــايُز لا التَّجانُس

المحاضرة الرابعة

الدَّعوة إلى التَّمايُز لا التَّجانُس [١]

حرص النبي لتميز أمته عن غيرهم

تَعلمون -إخواني- بأن هذا الدين الذي جاء به المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما جاء بنمطٍ خاص، فارَقَ فيه ما كانت عليه الدُّنيا في ذلك الوقت، من أديانٍ ومذاهب وعبادات كانت موجودة عند الناس، فالله تعالى مَيَّز رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الدِّين، الذي حَرص فيه على مخالفةِ اليهود والنصارى، مع أنهم أهل كتاب، نُقر لهم بكتابهم، وأنهم في ذلك الوقت -ولا يزال الأمر إلى هذا الوقت- أقرب الناس إلينا، ولكن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان حريصاً أشدَّ الحِرص على أن يخالفَ الجاهلية العربية المعروفة في ذلك الوقت، وأن يُخالف اليهود والنصارى في كل شأنٍ من شؤونهم، كما كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفرِق في شعر رأسه، فلما فَرَق اليهود خالفهم بذلك، وقال صلّوا في نعالكم فإن اليهود لا يُصَلون في نعالهم، ونهانا عن التشبه بهم، حتى قالت اليهود مقالتها: (ما تَركَ محمَّد شيئاً إلا خالفنا فيه)[٢].

لذا أراد الله سبحانه وتعالى أن تكونَ هذه الأمة أمةً مُمَيَّزةً، بِسَمْتِها وعقيدتها وسلوكِ أفرادها، بحيث لو رآها الإنسانُ من بعيد يعلمُ أن هؤلاء يختلفون عن بقيةِ الناس، هكذا كان حِسّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

(١) أصلها محاضرة للشيخ بهذا العنوان نفسه، حيث كان رَحِمَهُ اللهُ يُكثر مِن تَردادِ هذا المفهوم.

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٢)، وأبوداود (٢٥٨).

ولذلك كان إذا وَجَد أقلَّ شيءٍ يُشابه الجاهلية نهى عنه، وأقل شيءٍ يُشابه اليهود نهى عنه، وعَلِمت قريش هذا، وعلِمت اليهود هذا، وعلِم المسلمون ذلك.

فائدة مهمة من قصة عُمر

انظر للقصة المعروفة: عندما رأى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وهو يقرأ «ورقةً من التَّوراة»، غَضِب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ غضباً شديداً، وأخبر بأن (موسى لو كان حياً ما وسِعَه إلا أن يتبع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ)[(١)]، لماذا الغضب؟ هل الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ما كان واثقاً في إسلام عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ؟ الجواب: لا، فالرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يعرف مَن هو عُمر، ويعرف ما هو إيمان عمر، فلماذا زجره هذا الزجر، وحُفظ هذا الزجر إلى يومنا هذا، وإلى الأجيال القادِمة؟ ليبقى التَّمييز، ولِئَلّا تأتي أجيال بعد ذلك تتخذ من فعل عُمَر وسيلة لإدخال المذاهب، واللُّيونة والتَّساهل مع المخالفين في دين الله عز وجل.

وإلا فالنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَعرف أن عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ لا يُمكن أن يتأثّر بما في التوراة، وهو يَعلم أن ما فيها حق، ولكنه حَقٌّ أُدخل فيه تلبيس وباطل، ويَعلم عُمر أن اليهود قد غيَّروا وحَرَّفوا وبدَّلوا، ولكن -يا إخواني- حتى لا يأتي صاحب هوى فيستدل بتأثر عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أو دراسته للتوراة، فيقول: إذاً نستفيد من تجارب الآخرين في الدين وإن خالفونا في العقيدة! فَقَطَعَ الباب.

إذاً كان هناك **حرصٌ من النبي** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **لبناء الشخصية المسلمة التي لا تَتَأَثَّر بعبادةِ يهود، ولا بجهدِ نَصارى**، ولا بما عليه الناس، الله عز وجل صَبغ هذه الأمة بصبغةٍ خاصة منه، والرسول

(١) أخرجه أحمد (١٥١٥٦).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربى الصَّحابة على تركيبةٍ خاصة، ولذلك لا تجد منه مجاملةً للكفار أبداً، لماذا؟ لتبقى الشخصية المسلمة شخصية مُميَّزة، هكذا بدأ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الصحابة رضوان الله عليهم، فرسَّخ فيهم هذا المعنى، حتى قتل الرجل ولده، وقتل الابن أباه في المَعركة بسبب كفره، ولذا جاء الحديث بأن **(ومُحمدٌ فرْقٌ بين الناس)**[(١)]، ما فيه مجاملة، صحيح أن الوالد يُكرَم ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ [لقمان:١٥]، لكن لا تطيعهم بالكفر.

هذه القضية هي التي بدأها المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَما جيلٌ من الصحابة رضوان الله عليهم يَعرِف أقلَّ شعرةٍ تُخالفُ الهَدي الصَّحيح يَرفضها بسرعة، انظر لمّا جاء رجل لابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يُخبره عن جماعة يتكلمون في القَدَر، مباشرة قال: (أخبرهم أني مِنهم بَريء)[(٢)] ما فَصّل في المسألة، لماذا؟ **لأن قضايا القَدَر من قضايا العقائد، فإن تَساهَل في هذه؛ تَساهَل في الباقي.**

هكذا كان الجيل المثالي الذي بناه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورباه، فأخذ هذا الجيل ينتشر، فينشر الدين الصحيح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.[(٣)]

تَعلَمون أن الأمة المسلمة في عصرنا هذا تتنازعها مجموعة أهواء، والإنسان المسلم العادي تتقاذفه أمواج، ويرى في شَرق الدنيا وغربها

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨١).
(٢) أخرجه مسلم (٨)، وأحمد (٥٨٥٦)، وابن حبان (١٦٨).
(٣) ما سبق من محاضرة للشيخ بعنوان: (لماذا اخترنا السلفية).

ممارسات، ويسمعُ تصريحات وأقوال، وقليلٌ من عباد الله هُمُ الذين يَدرُسون ويَفقَهون ويعقِلون ثم يَحكُمون، وإنما العادة جَرت أن الناس تَتَبَع ما يُطرح في الساحة، فكلّ ناعق في الدنيا يجد له أتباعاً، وهذه هي الجماهير كما يُقال: إن أردتها شَرقاً فهي تُشرّق، وإن أردتها غَرباً فهي معك مُغرّبة، هذا واقع الأمة المسلمة -للأسف الشديد- في عصرنا هذا، سواء أحزاب سياسية متناحرة، أو جماعاتٍ دعوية مُتَصارِعة.

الإصلاح الذي تسعى إليه الجماعات

لا شك أن هذا الحال يَجب أن يُصلَح؛ وإصلاحه دَعوة متوجهة عند الجميع، فالكل يُريد أن يُغيِّرَ هذا الواقع، **ونُلاحظ أن التغيير المُراد للسعى إليه من قِبل الجماعات: بأن يحصل بين عموم أهل الإسلام تجانُس**، وهذا الكلام ظاهرهُ جميل، ويستدل له بأدلة ظاهرها عند العامة يَصلح، ولكنها في الحقيقة لا تَصلُح، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢]، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (المُسلِمُ أخو المُسلِم ..)[١] و(مَثَلُ المُؤْمِنينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ ..)[٢]، إلى غير ذلك من النصوص.

من طريقة السلف للإصلاح

ولكن في الحقيقة إذا نَظَرنا إلى الأمر فكأنه يُراد في نهايته بأن يحصل اتفاق بين كل من يقول (لا إله إلا الله) حقاً أو باطلاً! أو يقولها وهو مُشركٌ بها، أو يقولها وهو موحدٌ لله عز وجل! هذه الدّعوة بدأت تأخذ مجراها في الأمة، ولها دعاتها في عموم الدنيا، **إلا من هداهم الله عز وجل لطريقةِ السَّلف الصالح، فإنهم يقولون: لا بُدّ أن يحصل في الأمة تمايُز**، على قاعدة ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾ [الأنفال:٤٢]، أي أننا لا بُدّ أن نُفرز الأمة كما فَرَزَها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى فرقة واحدة

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٤).
(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

ناجية، واثنتين وسبعين فِرقة متصارعة فيما بينها، بين هالكة وبين على شفى هلاك.

إذاً نحن أمام تشخيص لهذه الأمة من نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتصريح قطعي؛ **بأن نَكونَ بائنين عن هذه الدعوات**، التي ظاهرها جميل، ولكنها مخالفة لهدي الله عز وجل، تُنادي بأن نكونَ كلنا أخوة متحابين.

وصاروا يدعون بها -حتى صرنا نَسمعها الآن في أوساط السلفيين!- ويقولون: إلى متى ونحن نفرّق الأمة بِفِرَق وطوائف وجماعات، والأمة تُنتهك مقدَّساتها، وقد ذهب القُدْس، وتصالحنا مع اليهود، إلى غير ذلك!

وفي الحقيقة هذا تلبيسٌ على الناس، **إذ لا علاقةَ بين** ما نحنُ فيه من ضعف وهَوانٍ وذُلٍّ واستكانة لأعداء الله عز وجل، وبين أن نكونَ أمة واحدة مميَّزة، لا يوجد ترابط بين الأمرين تماماً. **إذاً لِمَ يَخلِطون؟ لأنهم لو ما خَلَطوا؛ لَما أَصبحَ لِقَضيَّتهم رَواج!**

والتساهل في هذا الأمر سَيُجَرّ إلى الأجيال التي بعدنا، ويحصُل عندها نوعٌ من التَّراخي، ولذلك انظروا إلى قضية التزاوج بين أهل السُّنة والرافضة، وكما حصل للمسلمين في مصر وفي الهند وفي غيرها؛ أن تداخلت الأمم.

الاستفادة من طريقة الإمام محمد بن عبدالوهاب

إذاً لا بُدّ لنا أن نوجِد حِمايةً، وَحَدّاً فاصِلاً، لا يَختلِطُ فيه الحق بالباطل، ومن فضل الله أن الحق بذاته سهل واضح، ولذلك أقول لننتهج في دعوتنا وتربيتنا؛ **التربية التي سار عليها إمام الدعوة محمد بن عبدالوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)] وطريقته مع العوام، تجد أن كتبه سهلة وجُمَلُها قصيرة، ولكنها

---

(١) هو **الشيخ محمد بن عبد الوهاب** بن سليمان بن علي من المشارفة، أحد فروع الوهبة من قبيلة تميم، ولد سنة ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م في بلدة (العيينة) شمال غربي الرياض، ونشأ بها، حاد الذهن، ذكي، نبيه، فطن، فصيح اللفظ، سريع الحفظ، حفظ القرآن قبل بلوغه العاشرة، تلقّى العلم في البداية على يد والده فَدَرس

واضحة بيّنة كالسيف، فاستطاعت هذه الوريقات الصغيرة أن توجِد أمة مميزة، ولا يزال ما يدعو به الناس من خير هي ثمرة منها.

خطورة التساهل مع الفرق الضالة

ولأنه ليس كل الناس لديهم قدرة تفكير، وقراءة وفهم واستنباط؛ حتى يُميّز ما عند الخوارج من انحراف في التفكير، وأن الدندنة على الحاكمية **من لوازمها أن تجُرّ إلى القول بالتكفير**، فليس الكل يفهم هذا، ولا كل الناس يفهم أن الدعوة إلى التآلف مع الرافضة؛ أن ذلك **يجر إلى هدم العقيدة في الصحابة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،[(١)] ولا كل الناس يفهمون

=عليه كتب الفقه الحنبلي - وكان جده وأبوه وعمه من علماء بلده -، ثم أخذ يزيد في قراءاته الخاصة، فكان شَغوفاً بالقراءة وخاصة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم -والمطلع على مؤلفاته يجد أثرهما عليه -، ثم ارتحل إلى (مكة) لحج بيت الله، وتوجه بعدها إلى (المدينة النبوية) فأخذ العلم عن الشيخ عبدالله بن سيف النجدي، والشيخ محمد حياة السندي هناك، ثم رحل إلى (البصرة) وأخذ من الشيخ محمد المجموعي، ثم ذهب إلى (الأحساء) فأخذ من الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي، ثم رجع إلى (حريملاء) - وكان أبوه قد انتقل إليها وترك العيينة لخلافٍ مع حاكمها-، فصار يَجهر بدعوته ويُنكر ما يفعله الجُهال من البدع والشرك، لكنّ والده منعه خوفاً عليه، فلما توفي والده سنة ١١٥٣هـ انتقل ورجع إلى بلده (العيينة)، فنصره حاكمها (عثمان بن معمّر) وزَوَّجه عمَّته (الجوهرة آل معمَّر).

فبدأت دعوته تنتقل إلى التطبيق العملي: فهدم بعض القباب على القبور، وقطع الأشجار التي كان الناس يتبركون بها، وأقام حدَّ الزنا (الرجم) في المرأة التي أقرت بفعلها، واستيقن الشيخ بإقرارها أربع مرات على أربعة أيام، فأثار ذلك حاكم الأحساء (سليمان بن غرير آل عريعر) فأمر حاكم العيينة -وكان له نفوذٌ عليه- بإخراج الشيخ منها، فتوجه إلى (الدَّرعية) لقربها، ولما يعرفه من سيرة حاكمها الحسنة، وعدم خضوعه لسيطرةٍ خارجية، فتعاهد مع حاكمها (محمد بن سعود) على نشر مبادئ الدعوة المباركة، وتم ما يُعرف تاريخياً بـ(اتفاق الدَّرعِية) سنة ١١٥٧ ه/ ١٧٤٤م، فكان نقطة تحوّلٍ مهمة في تاريخ تلك الدعوة وفي حياة نجد، فكان الشيخ يدعو إلى الله ويرسل برسائله ومناظراته إلى أهل البلدان المجاورة من رؤسائهم وعلمائهم، فمنهم من يقبل الحق، ومنهم من يأبى، وبعضهم أعلن تكفير الشيخ وإباحةَ دَمِه، فانتقلت الدعوة إلى مرحلة ثالثة وهي الجهاد لحمل الناس على الحق.

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ إثر مرض سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م، ولم يُخلّف مالاً لورثته، من مؤلفاته: (كتاب التوحيد)، (كشف الشبهات)، (ثلاثة الأصول)، (مسائل الجاهلية)، (فضل الإسلام)، (مختصر السيرة)، (مختصر الإنصاف والشرح الكبير). ينظر (تاريخ نجد) لابن غنام وهو ممن عاصر الإمام، (عنوان المجد) لابن بشر، نقلاً من كتاب (دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي) لمحمد السَّلمان.

(١) [يقول للناس انسوا الفروقات بينكم، أنسو (سُنَّة ورافِضة)! هذا موضوع قد عفا عليه الزمن

أننا لو تَساهلنا مع الأشاعرة قليلاً لأنهم أقرب إلينا من المعتزلة؛ أن ذلك **يجر إلى هدم العقيدة خاصة في أسماء الله وصفاته**، لكن إذا عَرَف أن هذا عليه أهل الحق وأن هذا شِعارهم وهذا واقعهم، وأن ذاك شعار وواقع أهل الباطل، حينئذ تتميّز الصُّفوف.

نحب الخير لهم ولكن نسميهم بأسماءهم

فيُفرَّق بين دعوتنا إلى التَّمايز وبين دعوتهم إلى التَّجانس، **فنقول نُحب الخير والنصح لهم، وندعوهم ونجتهد عليهم**[(١)]، **ونتعاون معهم فيما فيه ضرورة، ولكن نُسَمِّيهم بأسمائهم**، أنتم معتزلة، أنتم أشاعرة، أنتم خوارج، أنتم صوفية، ولا نقول: نَحنُ وإياكم يَجمَعُنا الإسلام، هذا تَضييع، هل

=فلا نتكلم فيه! فتعالوا نعيش يومنا أخوة!! وأنا لا أتصور أن **من يَدرس التاريخ ينسى آلاف القتلى الذين قتلهم الفاطميون -العبيديون-** في المغرب العربي ومصر، كيف ننسى هذا! وكيف ننسى عدد المسلمين الذين قتلوا في مصر، حتى قام الأزهر وقامت القاهرة، كم من المسلمين قتلهم جوهر الصقلي! فكيف ننسى هذا! **المنهج هو المنهج الذي يقام في إيران الآن هو نفسه على طريقة العبيديون**، عبيد الله بن المهدي اليهودي، وننسى من كان وراء مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وننسى من قتل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وننسى من فرّق المسلمين، فوقعت الفتوحات انتقاماً لكسرى، كيف ينسى المسلمون من يتهم أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالزنى!! ويتهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه كان ضعيفاً مغفلاً، أبقى منافقين في بيته!! كيف ننسى هذا؟! وهو يُبَثُّ في كتبهم، فلو قلنا تعالوا نُحرّق كتبنا وكتبكم فيما يتعرض لتلك الفترة، ونقول: تلك أمة قد خَلَت، ونُظهر التسامح ونُظهر الود ونُظهر الأخوّة ونُعطي شهادةً بأنهم على الحق، **وهُم من الخلف يُكفِّروننا** ويتهمون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويطعنون في كل شيء عند المسلمين!!

وأنا تَعجَّبت عندما قرأت مقابلة مع الأستاذ عمر التلمساني سُئل هذا السؤال قيل له: تعرف أن الحرب بين العراق وإيران حرب باطلة، ولكن ما قولكم في السُّنة والشيعة؟ قال: (هذا موضوع ذَهَبَ ولا نُريد أن نَفتح الجروح من جديد)!! فالجروح ما أُغلقت لنفتحها، وإنما هي مفتوحة كل يوم]. من محاضرة للشيخ بعنوان: (الدعوة السلفية منهج وعقيدة).

(١) [**فليس بيننا وبين كل الطوائف حِقد دُنيوي**، بل مِن كثرة حبنا للخير نَشُدّ عليهم، وإلا ما يفيدنا أن يهلكوا على ضلاله؟! يعني ماذا يستفيد السلفيون من الشّدةِ على أهل البدع، لا يستفيدون من الدنيا بشيء، بل تأتيهم من الدنيا مشاكل، ولكن من حُبّهم للناس، هذا الحب يجعلهم يتجهون إلى هؤلاء، فإذا فَهِم الناس -ولا بُدّ أن نُفهِمَهم- أننا من شِدّةِ حِرصنا عليهم نَفعَلُ ذلك]. من محاضرة للشيخ بعنوان: (مسائل مهمة في الدعوة السلفية).

هُم كُفار؟ لا نقول بذلك، إلا من وقع في الكفر بقواعده المعروفة.

فلا بُدّ أن يَعرف الناس أن هؤلاء يَختلفون عن منهج السلف، **فلا نَخدعهم ونقول**: أنهم كلهم فيهم خير! وأنهم كلهم دعاة للإسلام! ولهم جهادهم ولهم فضلهم! .. إلخ، ثم بعد ذلك نجد من شبابنا من يكفّر! فنأتي نُفكر كيف نُنقذه! فإذا جئنا نُفتِّش فإذا البلاء من الشيخ نفسه الذي زكَّيْنَاه!! لكن لو قلت له: هذا على غير درب الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، فهنا يقف.

وهذا الأمر ليس في الناس فقط بل حتى في الحكومات؛ يتركون الأمور تسير ومذهب الخوارج ينتشر ومذهب الرافضة ينتشر، فإذا وقعت الواقعة قالوا: كيف المخرج!! فنقول الآن -كما قيل- بعد خراب البصرة! **فلماذا لا يكون التمايز في أول الأمر**.

فخُلاصة الأمر أن المسلمين يعيشون بحالة من الفوضى، فلا نزيدهم مُصاباً إلى مصائبهم، بمعنى أننا لا نجعل الأمة تَغرَق في وَحلِ الشرك والخرافة والكفر، بعد أن أنقذها الله منها، بينما **علينا أن نَجتهد في إظهار منهج السَّلف وطريقتهم وتميُّزهم عن بقية المذاهب**، ولكن هذا لا علاقة له باللُّطفِ والإحسان والدفع بالتي هي أحسن، فهذه كلها متفق عليها لا خلاف فيها.

وضوح المنهج مَطلَب: (١)

نحن الآن نعيش في زمن -وهذه يجب أن تُدركوها وتَفهموها- نهضة إسلامية هائلة، لكن على دربٍ آخر؛ درب الثنتين والسبعين فرقة،

(١) ما تحت هذا العنوان من (لقاء شباب القرين) الذي أجري في مكتبة الشيخ بالشارقة بتاريخ ٥ رجب ١٤٣١هـ الموافق ١٦/ ٦/ ٢٠١٠م. وكان على أربع أيام بعدة مجالس.

أما درب الفرقة الناجية المتَّجِهون لها قليل، لا بُدّ أن نُكثِّر سوادهم، فنحن لا نقدر أن نمنع الافتراق في الأمة ولا يمكن ذلك، لكن بالإمكان أن نُكثِّر سواد أهل الحق، ولذلك البخاري في الصحيح قال (باب وجوب تكثير سواد أهل الحق) [(١)]، فنحن لماذا نقول لإخواننا **إذا رأيتم صاحب مذهبٍ فاسدٍ لا تحضروا له الدرس**، حتى لا تَجمعوا الناس حوله، لأن الناس يقولون لو كان غير مستقيم ما حضر له هؤلاء الشباب!، فنحن في الحقيقة بحاجة أن نقف مُعلِنين هذا المنهج، الذي عليه أهل العلم كلهم.

ولذلك لماذا انتشرت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟! لأنها كانت واضحة، لماذا الناس تعلقت بالألباني وابن باز وابن عثيمين؟ **لوضوحِهم**، لماذا الناس يسمعون للعبّاد والفوزان من المعاصرين؟ لوضوحهم، **ما عندهم مجاملة مع أهل الأهواء**. [(٢)]

ما وجدنا أحداً من أصحاب الجماعات جامَلَنا أبداً، ولا دعَونا إلى تقارب بحيث أنهم يَتركون شيئاً مما عندهم، **بل يريدون منّا نحن أن نَترك**، فهم لا يجاملوننا فلماذا نُجاملهم، ثانياً: أن هذا دين، كما قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن هذا الأمر دين، فانظروا عمّن تأخذُون دينكم)[(٣)]، إيش معنى دين؟ معناه نهايته إما جَنّة وإما نار، وإخواننا الذين يجاملون الطوائف بحُجة التأليف، نقول جَرَّبوها سِنين فما نفعت، فجرِّبوا طريقتنا،

(١) لعلَّه أراد: كتاب الفتن (باب من كره أن يكثر سواد الفتن والظلم).

(٢) وأنا أنصح الأخوة أن يقرءوا كتاب أخينا عيسى مال الله (المختصر الحثيث) حيث فَصَّلَ في المسألة تفصيلاً جميلاً، في منهج السلفية والاستدلال فيه، يُستفاد منه كثيراً. (ش)

(٣) أخرجه مسلم في «مقدمة الصحيح»، عن محمد بن سيرين، والهروي في (ذم الكلام وأهله ٨٧٤)، ومقدمة التمهيد لابن عبدالبر (١/ ٤٧) عن مالك.

فمجاملة أهل الطوائف على ما هم فيه؛ تُعتبر خِيانة لله ولرسوله، صحيح أننا لا نُنكر الحكمة والموعظة الحسنة، ولكن لا نُغالي في الإعذار، والناس بعد ذلك يقولون: لو أن هؤلاء منحرفين ما كان مَعَهم الشيخ الفُلاني، ولذلك أنصحُ إخواني خاصة طلبة العلم: **ألا يحضروا محاضراتٍ مشتركة مع مَن عُرف أنه على غير طريقةِ السَّلف**، لأنها تَضُرّه هو، وتَضُرّ المنهج الذي يَدعو إليه، ولو كنّا قليلين يُكثِّرنا الله عز وجل.

يعني هذا الشيخ الألباني -عليه رحمة الله- واضحٌ في طرحه وواضحٌ في منهجه وواضحٌ في انتقاده للمناهج الأخرى، ومع هذا رقيقٌ في تعامله مع الناس وفي أحواله، وكم نَفَع الله به من الأمم الآن، ما أحدٌ ثبَّت التّميّز إلا العلماء الكبار، وإلا لو أنهم أخذوا بمذهب جماعة المتساهلين؛ لضاعت معالم الدعوة، ولذلك طَرَح مشروعه العظيم (**التَّصفِيَة والتَّربِيَة**)، وهذا التّميز موجود عند السلفيين قديماً، يعني الآن لو جئت إلى بلاد باكستان والهند ومصر وأفريقيا ترى أن السلفيين لا يُصلّون في مساجد القبوريين، مساجدهم لوحدها، ولا أولئك يصلون في مساجد هؤلاء، هناك تمايز، الناس تعرف أن هذا مِن أهل الحديث وهذا ليس مِن أهلِ الحديث، وفي البلاد البعيدة ينبزونه بالوهابية.

ولذلك أقول **قاعدة أنا استفدتها من الدُّنيا**: إذا حَلَلتَ في بلدٍ ورأيتَ أن السلفيين وأهل البدع على وِئام، وليس بينهم خِلاف، فاعلم أن البَلاء والعِلّة في السلفيين، لأنهم ما صَدَعوا بالحق، ولأن القبوريين والخرافيين لا يجاملوننا، فإذا وجدتَ خمولاً فالعلة فيمن يدَّعون أنهم سلفيون، ولذلك جماعة «الإسلام المستنير» ليل نهار وهم يُهاجمون التّشدد، ويقصدون به السُّنة، ولم نرَ شيخاً صوفياً مشهوراً يقول أن

السلفيين فيهم خير وعقيدتهم طيبة، ما سمعنا بذلك، ولكن يريدوننا أن نُجاملهم، ولكنهم لا يجاملوننا، ومثله دعوة التَّقارب مع الرافضة، ما رأينا رافضياً يترحَّمُ على عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، ومثله مع النصارى، يريدون المسلمين أن يجاملوا النصارى، ونقول كونوا اليد العليا وامشوا بما أنتم عليه، ينفع الله بكم.

٥ المحـــــاضرة الخـــــامسة:

مفهــوم الـمَنهـــج

المحاضرة الخامسة

مفهـوم الـمَنهـج

العُمـدَة في معنـى كلمـة «منهـج» قـول الله سـبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [المائدة:٤٨]. ونُفَـرِّق بينهـا وبـين «السِّـمَة أو العلامـة».

فـالله سـبحانه يُخْبِر أن هـذه الأمَّـة لهـا شرعـة ومنهـاج، والأمـم السـابقة لهـا شِرعـة ومنهـاج، وكل مؤمـن لـه شِرعـةَ يسـير عليهـا، ومنهـاج يَنْتَهِجَـهُ.

نحـن نقـول مثـلاً: منهـج الكيميـاء ومنهـج الفيزيـاء ومنهـج أهـل النحـو ومنهـج أهـل الفلسـفة، كُل عِلـم مـن هـذه العلـوم لـه قواعـد مُعيَّنـة، هـي منهـج فهمـه والاسـتدلال فيـه، فـلا شـك أن القواعـد التـي عنـد أهـل النحـو تختلـف عـن قواعـد أهـل الـصَّرف، وعن أهـل البلاغـة، وكذلـك قواعـد علـماء النَّفـس، تختلـف عـن علـماء الفيزيـاء، وعـن علـماء العلـوم التطبيقيـة.

إذاً كل عِلـم لـه طريقـة يُفهـم بهـا، **فالمنهـج إذاً الطريقـة التـي تُفهـم بهـا هـذه المـادة**، فهـو كـما وَصَفَـهُ ابـن عبّـاس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا عندمـا فـسّر هـذه الآيـة (شِرْعَـةً وَمِنْهَاجًـا) قـال: سـبيلاً وسـنة [(١)].

والنـاس ابتكـروا لأنفسـهم مناهـج وطرقـاً ليفهمـوا فيهـا المـواد، والمنهـج إذا لم يكـن لـه علاقـة في الدِّيـن فالنـاس فيـه أحـرار، يعنـي نَضَـع لنـا ضوابـط لنفهـم اللغـة العربيـة ونتفـق عليهـا فنحـن أحـرار، ونضـع ضوابـط لفهـم الـصرف أحـرار، ضوابـط لفهـم الرياضيـات والفيزيـاء أحـرار، كل هـذه الأمـور النـاس فيهـا أحـرار.

(١) أخرجه البخاري مُعَلَّقاً في صحيحه، ووصَلَهُ ابن حجر في (تغليق التَّعليق ٢/ ٢٥).

أنواع المنهج

والمنهـج إمّـا أن يـأتي اسـتقراءً في العلـوم الأخـرى وهـذا الـذي جـرى في النحـو والتجويـد وفي الـصرف، لأن النحـو هكـذا وجـد النـاس أن العـرب تكلَّمـت، رفعـت الفاعـل ونصبـت المفعـول بـه وخفضـت المجـرور، سـليقة فيهـا، وإلّا فهـذه الألفـاظ مـا كانـت تعرفهـا العـرب مـن قبـلُ أبـداً، فلـم تكـن العـرب تعـرف أن الفاعـل مرفـوع، ولا تعـرف هـذا مبتـدأ وهـذا خـبر أبـداً، لكـن اسـتقرأ علـماء اللغـة العربيـة فوجـدوا أن العـرب لا يمكـن أن تنصـب فاعـلاً، فوضعـوا هـذه القاعـدة.

وهـذا المنهـج أتـى بِصُنـع بـشري مـن خـلال اسـتقراء القواعـد العامـة والواقـع وخصائـص المـواد، فوضعـوا لهـا منهجـاً، هـو مفتـاح لفهـم المـادة.

والعلـوم تُقسّـم إلى قسـمين: علـوم مخدومـة وعلـوم خادِمـة، فالخادِمـة كعلـم النحـو والـصرف والبلاغـة وعلـوم الفيزيـاء والطـب، هـذه كلهـا تخـدم علـوم الدِّيـن وهـي المخدومـة.

وإمـا أن يـأتي المنهـج توقيفيـاً لا اجتهـاد فيـه كـما في الـشرع، لأن المنهـج يرتبـط عـلى فهمـه أو رفضـه علاقـة مـع جهـة عُليـا ألا وهـو الله سـبحانه وتعـالى.

ففـي الفيزيـاء ليـس عندنـا علاقـة مـع الله سـبحانه وتعـالى، نحـن نقـرر هـذه القاعـدة أو نلغيهـا، وفي الرياضيـات النـاس يتَّفقـون عـلى قواعـد ويسـيرون عليهـا، ولذلـك يُطبِّـق المنهـج الكافـر والنـصراني والهندوكـي واليهـودي والعلـماني، كلهـم يُطبِّقـون منهجـاً واحـداً، **أمـا في الدِّيـن** فالهندوكـي يطبـق منهجـاً، والنَّـصراني يطبـق منهجـاً، والمسـلم السُّـنّي يُطبِّـق مَنهجـاً، والمسـلم البِدعـي يُطبِّـق مَنهجـاً.

فـإذاً المفاتيـح التـي تُسـتخدم لفهـم العلـوم الدينيـة لا بُـدّ أن تكـون موقوفةً، منصوصـاً عليهـا، أصليّـة، وأمّـا العلـوم الدُّنيويـة فالنـاس لا يَختلفـون فيهـا،

فهم أحرار، وإذا اختلفوا فالخلاف يَرجِع إلى كيف تُفسَّر هذه النظرية أو تلك.

هذا المعنى لا بُدّ أن يُدرَك، لأنه على ضوءِه تُفهم بقية الأمور.

هل نفرّق بين العقيدة والمنهج؟

فلمّا نأتي ونقول: نحن عندنا عقيدة وعندنا منهج، فهل من الممكن أن يكون الإنسان في العقيدة سلفي، وفي المنهج ليس بسلفي؟ الجواب: لا، يستحيل، لأن **جُزئيات العقيدة من لوازم هذا الفهم**.

فالمنهج هو الطريقة التي نفهم بها الإسلام، فإذا فهمنا هذه يبقى الفرق بينه وبين السِّمة والعَلامة، **السِّمة ناتج من نواتج المنهج**، يعني مثلاً موالاة أهل البدع أو معاداتهم هذا ليس منهجاً، هذه نتيجةٌ وسِمَة، لأن ذلك منهجه جرَّهُ إلى مُوالاتهم، وهذا منهجه جرَّهُ إلى مُعاداتهم، فإذاً هذه علامةٌ من علاماتِ إمّا السُّنّي وإمّا البدعي، ولذلك كما يقال (من علامات أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر)[1] هذه علامتهم، لكنها ليست مَنهجهم، **لأنها ليست قضية فَهم، ولكنها قضية ناتجة عن الفهم**.

عدم الحرية في المنهج

نحن نعتقد أننا لسنا أحراراً في تحديدِ المنهج، لأن عندنا نصوصاً فَهْمُها يترتب عليه إمّا رضى الله عز وجل، وإمّا غضبه، ولا يستطيع الناس أن يتوصلوا إلى معرفة مُراد الله سبحانه وتعالى بعقولهم مُطلقاً، ولا أن يتوصلوا بعواطفهم وأهوائهم، فالعاطفة والهوى لا يصلحان أن يكونا منهجاً للاستدلال.

فلَسْنا أحراراً في كيفية التطبيق، ولا في كيفية الفهم، لأن الفهم يترتَّبُ عليه عقائد، والتطبيقُ يترتب عليه عملٌ ومعاملات، وأنتَ في كِلا الأمرين

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧٩) ونسبها إلى الإمام أبي حاتم الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وينظر كذلك كتاب (عقيدة السلف أصحاب الحديث) للإمام أبي عثمان الصابوني ص٢٩٩-٣٠٦ ط. دار العاصمة.

مُلـزمٌ بتحقيـقِ مُـرادِ اللهِ سـبحانه وتعـالى.

إذاً الفـرقُ بـين السـلفيين في فهمهـم ومنهجهـم وبـين غيرهـم؛ أنهـم يـرون أنهـم ليسـوا أحـراراً في أن يفهمـوا الديـن كـما يشـاءون، وإنـما هـم عبيـد، ولهـم دربٌ واحـد وليـس هنـاك دربٌ غـيره، ولذلـك قـال الله عـز وجـل:

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾

[آل عمـران:٨٥].

ويقـول النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَـن أحـدَث في أمرنـا هـذا مـا ليـس مِنه فهـو رَدّ) [(١)].

إذاً نحـن **ملزَمـون بالفهـم** الـذي هـو المنهـج، **وملزَمـون بالعمـل** الـذي هـو أعـمال القلـب وأعـمال الجـوارح، فـإذا فَهِمنـا ذلـك؛ فـلا يمكـن أن يكـون الرجـل سـلفي العقيـدة خلفـي المنهـج! يسـتحيل، لكـن تقـول عنـده مفاهيـم سـلفية فمُمكـن، فوافَـقَ السـلف في كـذا وكـذا، كـما يُقـال عـن أهـل الـكلام، فلـماَّ يـأتي علماؤنـا ويقـررون أن الأشـاعرة أقـرب إلينـا مـن المعتزلـة، لأنهـم وافقونـا في أمـور وخالفونـا في أمـور، لكـن لا يعنـي هـذا أن الأشـاعرة منهجهـم منهـج السـلف، حاشـا لله.

هـذه المسـألة هـي صلـب قضيـة الخـلاف بـين السـلفيين عـبر تاريخهـم وبـين الخلفيـين عـبر تاريخهـم، وهـي إلى اليـوم تُشـكِّلُ أسـاس المشـكلة، فلذلك نعتقـدُ بـأن الله تعـالى قـد وَضَـعَ للنـاسِ طريقـاً ثابتـاً؛ ألا وهـو الطريـق الـذي يجـب أن يُتَّبـع لتحقيـقِ مُـرادِ الله عـز وجـل.

إذاً الفهـم الـذي يجـب أن نفهـم بـه النصـوص عبـادة، والتطبيـق عبـادة، فـإذا فهمـتَ خطـأً فسـتُطبقُ خطـأً.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

من يحكم أن هذا خطأ وهذا صواب؟ أنت أم أنا أم العلماء؟ الجواب لا، بل الذي يحكم على ذلك هو المنهج الذي يُطبَّق، فالمسألة ليست بالكثرة، وليست بالذكاء أيضاً، وإنما هناك ضوابط معينة يجب أن تُلتزم حتى تعطي النتيجة الصحيحة، ومن أصول السلف -كما ذكرنا سابقاً- وجوب الرجوع إلى النص.

قضية الخلاف

وفي الحقيقة ليست قضية الخلاف في وجوب الرجوع إلى النص، **وإنما الخلاف هو كيف يُفهم النص؟** وإلا فالذين يعتقدون في عقائد الرافضة والباطنية كلهم عندهم نصوص، آيات وأحاديث، لكن فهموها كما يريدون، فالعبرة إذاً في الفهم.

لذلك نقول مِراراً ليس عندنا عِلمٌ اسمه (العِلم السَّلَفي!) أبداً، عندنا: علم التوحيد، وعلم الحديث، وعلم الفِقه، وعلم التفسير، وعلم السيرة، مثل غيرنا، فمسميات العلوم واحدة، وإنما الخلاف في منهج الاستدلال، منهج الفهم، فالمنهج السلفي يختلف عن المنهج الاعتزالي العقلاني، وعن المنهج الباطني.

ربط الفهم بالسلف

مشكلة العصر هذا والشباب وما يُسمَّى بـ (الصَّحوة) هو الفوضى في استعمال المنهج، لأن السلفيين الأولين طرحوا القضية بوضوح، فجاء عصر الصحوة السريع فلم تُطرح قضية الفهم بدقة، ولذلك ترى الإنسان أحيانا يقف يتكلم ٩٠٪ من كلامه صواب، ثم تجد شَطحَه (زَلّة) تنسف ما ذكره، كأن يستعمل عقله في ردِّ النُّصوص، أو كما هو حال جماعة (التَّنويريين) أو (المُعتزلة الجُدد)، عندما يتكلّم أحدهم في وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة لا تجد أروع من كلامه، ولما يأتي يتكلم في تحرير النَّفس مِن ألا تتَّبع إلا ما أنزل الله فتجده كلاماً جميلاً، ولما يأتي ينقض التقليد تجده كلام جميل، لكن عندما نأتي إلى **ربط الفهم بالسلف والصحابة** رضوان الله عليهم، تراه يَرى أنهم رجال ونحن رجال! وأننا

يجب ألا نَحجُر على عقولنا! فهذا الأمر نَسَفَ ما قاله كله.

فالذي ليس عنده علم ويرى الرجل يحاضر الساعة الكاملة في وجوب الرجوع إلى الكتاب والسُّنة، يقول ما شاء الله هذا سَلَفي! ولذلك أصبح كثير من الناس يختلط عليه بين السلفي اللفظي والسلفي منهجاً.

وكذلك عندما نأتي إلى أبرز قضية وهي قضية الأسماء والصفات، فالذين أوَّلوا ونفوا الأسماء أو الصفات لله تعالى لا عن عدم محبة لله أو كره لدينه حاشاهم، وإنما قالوا يجب أن ننزه ذات الله عن الفهم الخاطئ فيوصف الله بما لا يليق، وهذا الكلام ظاهره جميل لا يختلف عليه أحد، لكن قالوا أن كل آية شابهت الخالق بالمخلوق لا بُدّ أن نؤولها، وهذا الفهم والمنهج يخالف منهج السلف، فالله تعالى قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فقد يشترك المسمى بين الخالق والمخلوق، ولكن تختلف ماهية الاسم والصفة اختلافاً كبيراً لا نستطيع إدراكه.

فالشاهد أنهم لجؤوا لتحقيق قضية -متفق عليها بيننا- وهي تنزيهُ الله سبحانه عن كل نَقيصة، لكنهم أَوَّلوا وحرَّفوا الآيات، فمنهجهم فاسد، أما طريقة السلف فينزه الله عز وجل بإثبات ما أثبته لنفسه ونفي ما نفاه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فإننا لن نكون أعلم من الله سبحانه وتعالى ولا أبلغ في الوصف، فالله سبحانه قادر على أن يقول عن (استوى) استولى! وأن يقول عن (اليد) القدرة! ما يعجزه شيء سبحانه وتعالى، فهم هربوا من شيء فوقعوا في أسوأ منه.

فكلام الله تعالى يُفهم كما يريد الله تعالى، **فانظروا إلى أننا متفقين معهم في الرَّغبة والهدف، والنية الحسنة متوفرة، لكن استعملوا منهجاً سيئاً؛ فجرهم إلى نتيجة كادت تكون كُفرية، وضلال بيِّن**، وأما المنهج الشرعي التوقيفي أدى إلى نتيجة طيبة وهي رضى الله تعالى.

المنهج في مسائل الفقه

ومثله كذلك في مسائل الفقه، فالله جل شأنه يعلم ما كان وما سيكون لو كان كيف يكون سبحانه وتعالى، فإذا شرع شيء فهو يعلم ما ستؤول إليه أحوال الناس، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، **فالمنهج السلفي يقرر أنه إذا نص ربنا تعالى على أمر والداعي لغيره قائم فلا نأتِ ونجتهد**، مثال ذلك زكاة الفطر وهي منً القضايا المشهورة، فمنهج السلف في فهمها أنها عبادة وأن الداعي إلى تغييرها من البدائل كالكسوة والصيام وغير ذلك كان موجوداً، ومع هذا فلم تأت بدائل، فجاءت الزكاة طعاماً فقط، فمنهج فهمنا لهذه العبادة أننا نبقيها كما هي، أما الخلف فقالوا أن القصد هو إدخال السرور على الفقير، فأجازوا إبدال الطعام بالمال!

فما الذي جرهم لهذه الفتوى؟ أنهم **فَهِموا أنهم أحرارٌ** في أن يستعملوا المنهج الذي يريدونه في فهم النصوص، ونحن نعتقد أننا لسنا أحراراً في استعمال المنهج الذي نريد في فهم النصوص، ومقتضى أننا رضينا بالله رباً أننا عبيد، والمسلم يفتخر أن يكونَ عبداً لله.

وهل معنى هذا أن السلفيين يمنعون الاجتهاد؟ الجواب: لا، وإنما يجتهد فيما كان داعياً للاجتهاد، أما إذا لم يكن هناك داعٍ للاجتهاد فلا يجتهد، ولذلك قال علماؤنا في قاعدة (لا اجتهاد مع وجود النص).

شمولية المنهج

إذاً فالسلفية ليست فقط منهجاً في تحديد الفِرَق، أو منهجاً في قضية العقائد، وإنما هي منهج لفهم الدين في الوضوء وفي قضاء الحاجة وفي الصلاة والصيام والزكاة وفي كل شيء، **منهج متكامل بأن تفهم الدين بجميع شعبه** من أعلاها (لا إله إلا الله) إلى أدناها وهي (إماطة الأذى عن الطريق).[1]

(١) [ومما يميز هذه الدعوة المباركة عن غيرها أنها **شاملة في علاج أمراض المجتمع**، فإذا نظرت إلى بقية الدعوات تجد أن بعضها يتجه لما يسمى **بقضايا الأخلاق** أي إصلاح النفس، وقاعدتهم: أمرٌ

وكلـما انحـرف العبـد عـن هـذا المنهـج الصحيـح في الاسـتدلال؛ انحـرف عـن الجـادة وسـلك الطريـق المخالـف، كـما قـال عـز وجـل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

إذاً عندنــا ســبيل ومنهــج وجــادة وصراط مســتقيم واحــد، وفي المقابــل

=بمعـروف مـن غـير إنـكار للمنكـر، وإن كانـوا لا يُصرّحـون بهـذا، لكـن هـذا هـو الواقـع، وآخـرون اشـتغلوا بـما يسـمى: الحـرب مـن وراء البحـار، شُـغلهم الشـاغل أن يحاربـوا أمريـكا وأوروبـا، يحاربها في مـاذا؟ قـولاً لا واقعـاً، فهـم متشـبهون فيهـا، ولذلـك كان أحـد المحاضريـن مـرة يحـاضر في إحـدى المدن محـاضرة طويلـة عـن التغريـب، والتغريـب يعنـي تـأسر المسـلمين بأخـلاق وسـلوك وهيئـات الغربيـين، فلـما انتهـى أخـذه أحـد الناصحـين فقـال: يـا شـيخ أنـت لباسـك البنطلـون والكرفتـه وحلقـك للحيـة، وهـذه الهيئـة مـن التغريـب، فلـو فعلـتَ خـلاف مـا قلـتَ لـكان خـيراً.

وانشـغال بعـض الجماعـات أيضـاً بقضايـا الـصِّراع السـياسي دون النظـر إلى البنـاء العقائـدي هـذا أيضـاً انحـراف، **أمـا السـلفيون فنظـروا إلى الدِّيـن كامـلاً**، ولذلـك مـن يقـرأ كتابـات أئمـة السـلف القدامـى والمعـاصرون منهـم ينظـر عـلى أنهـم عالجـوا المشـكلة كاملـة.

وكذلـك مسـألة نصـح الحـكام والإنـكار عليهـم، تجـد أنهـم لم يُفرِّقـوا في قضيـة الحكـم بـين مَـن حَكـم بغـير مـا أنـزل الله وهـو مسـلم، وبـين مـن حكـم بغـير مـا أنـزل الله وهـو كافـر، حتـى أن الشـيخ نـاصر الألبـاني يـروي روايـة -دائـما يكررهـا- يقـول: اسـتمعت قديـماً إلى محـاضرة جميلـة جـداً في سـورية عـن الحكـم بغـير مـا أنـزل الله، وكان المُحـاضر مـا شـاء الله مندفـع في هـذه القضيـة، فلـما انتهـى أخذتـه بطـرف لأني رأيتـه يخالـف في صلاتـه سُـنّة النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلـت لـه: يـا أخـي هـذا مـن السُّـنة، قـال: لكـن أنـا حنفـي المذهـب، فقلـت لـه لكـن محاضرتـك كلهـا تـدور حـول الحكـم بغـير مـا أنـزل الله والالتـزام بـما أمـر الله، والآن أنـت خالفـت وحكمـت بغـير مـا أنـزل الله!!

وهـذا واقـع كثـير جـداً ممـن يحـاضرون ليـل نهـار في الحكـم بغـير مـا أنـزل الله؛ لكنهـم في العقائـد -وهـي أهـم شيء- يقبلـون حكـم جميـع الطوائـف، وهـو حكـمٌ بغـير مـا أنـزل الله، فـلا شـك بـأن مـن حَكـم بغـير مـا أنـزل الله في الحـدود جريمـة، **لكـن الـشرك أكثـر جرمـاً ممـن حكـم بغـير مـا أنـزل الله في الحـدود**، لكـن اختلفـت الموازيـن عندهـم، ودليـل اختـلاف الموازيـن أننـا لـو رأينـا رجـلاً يُقبّـل امـرأة نثـور، لكـن لـو رأينـا رجـلاً يحلـف بغـير الله فالثـورة وردة الفعـل ضعيفـة، علـماً بـأن جريمـة هـذا أكـبر مـن جريمـة ذاك، السـبب أننـا قـد تأثرنـا أيضـاً -حتـى في أوسـاط السـلفيين- مـن واقـع البيئـة التـي يعيشـها الإنسـان، وأمـا السـلفيون الذيـن عـلى الـدرب الصحيـح فإنهـم يَزِنـون الأمـور بموازينهـا.

فمـن معـالم هـذه الدعـوة ومميزاتهـا أنهـا أخـذت القضيـة كاملـة، والديـن كامـلاً، فـما فرَّقـت لا في حاكميـة ولا في قبـور، كـما قالـوا: **حارَبَـت شرك القصـور وشرك القبـور**، وأخـذت مفهـوم الالتـزام بديـن الله عـز وجـل]. مـن محـاضرة للشـيخ بعنـوان: (الخطـوط الرئيسـية التـي تُميـز السـلفيين عـن غيرهـم)

سبل كثيرة لا تنتهي، ولذلك صَدَق في وصف الطرق الصوفية عبدالغني النابلسي[(١)]: (الطريق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق)! ونحن نعتقد أن الطريق إلى الله هو واحد وفق المنهج السلفي.

والمنهج الصحيح الأساس فيه أننا نربط أنفسنا بفهم الصحابة رضوان الله عليهم، وغيرنا أخذ الكتاب والسنة وأطلق لنفسه العَنان، فلذلك جاءت نتائج الأعمال.

وتوحيد الأمة المسلمة لا يأتي عَبر مُحاضراتٍ في التباكي على الفُرقة، والكل يُؤصِّل الفُرقة، ولا يأتي في التباكي على أن الأمة مستهدفة وتناسي الخلافات - وهذا إن حصل فهو وقتيّ -، **وإنما الطريق الصحيح إلى توحيد المسلمين بتوحيد منهج الاستدلال**، وصدق الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلُح به أولها)[(٢)].

السلفيون لا يهدُرون فقه العلَماء

والطائفة الوحيدة التي تسعى جاهدة لتقريب الأمة إلى رشدها هم السلفيون، لأنهم لا يهدرون فِقه أحدٍ من العلماء، ويضعون الأساس الصحيح والبنيان القوي الذي تقوم عليه الوحدة والائتلاف، وأما البنيان الهش الذي يجمع بين سابّ الصحابة رضوان الله عليهم وبين مُحبِّهم؛ هذا بنيان لا يستقيم.

ولا بُدّ أن نعلم أن الدعوة إلى «التزام المنهج»، ليست دعوى ثانوية أو

---

(١) **عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني النابلسي**: شاعر، عالم بالدين والأدب، مُكثر من التصنيف، متصوف، ولد سنة (١٦٤١ - ١٧٣١م) ونشأ في دمشق، ورحل إلى بغداد وفلسطين ولبنان ومصر والحجاز، واستقر في دمشق، وتوفي بها، له مصنفات كثيرة منها: (الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية)، (تعطير الأنام في تعبير المنام)، (نفحات الأزهار على نسمات الأسحار)، (إيضاح الدلالات في سماع الآلات)، (جواهر النصوص في شرح فصوص الحكم لابن عربي). (الأعلام للزركلي ٤/ ٣٢).

(٢) نقلها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٦٧)، وينظر مجموع الفتاوى (٢٧/ ١١٧).

كمالية، **بـل هـي أسـاس عليهـا يقـوم البنيـان**، الـذي نسـأل الله تعـالى أن يعيـدَ عـن طريقـه الأمـة إلى مـا كانـت عليـه.

وسماتُ هذا المنهج كثيرة، نذكر منها:[1]

أن كل أفـراده منـذ النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليـوم لديهـم **فَهْـمٌ واحـد لقضايـا الاعتقـاد وأصـول الفَهـم**، وتَتَبَّـع كل فُقهـاء التابعـين، وكل مَـن يُسـمونهم بأهـل الحديـث قديـماً، وانظرهـم في العقائـد؛ تجدهـم في قضايـا الأصـول واحـدة، تتبَّـع أقوالهـم كلهـا في وجـوب الرجـوع إلى الكتـاب والسـنة، لا تـرى عـن أحـدٍ منهـم أنـه أجـازَ لإنسـانٍ أن يَـرُد السُّـنة لقـول فقيـه، مـا عُـرف هـذا، وهـذه كتبهـم موجـودة ومنتـشرة، ولكـن انظـر إلى أربـاب المذاهـب أو الجماعـات والطـرق الأخـرى واقـرأ مـا يقولـون، حتـى الله عـز وجـل مختلفـون فيـه! وهـذا الـكلام حقيقـةً وليـس مبالغـة، لأن بعضهـم يعتقـد بـأن الله سـبحانه وتعـالى تُـؤَوَّل صفاتـه، وبعضهـم يعتقـد بـما يعتقـده السـلف مـن فهـم الكتـاب والسـنة، وبعضهـم يفـوِّض فـلا يعـرف شـيئاً مطلقـاً مـن الأسـماء والصفـات، وبعضهـم يذهـب إلى قـول المعتزلـة، وبعضهـم إلى قول الأشـاعرة، لكـن أصحـاب المنهـج الحـق يلتزمـون قـول الرسـول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرجـوع إليـه والتحاكـم لـه، وقـد يقـع الخطـأ منهـم إذا لم يبلغـه الحديـث، أو يفهـم منـه فهـماً آخـر، فالمهـم أن خِلافهـم كلـه يـدور حـول النـص فهـماً وتفسـيراً أو صحـةً وضعفـاً.

هذا المنهج لا يقبل المداراة في أمور العقيدة

ومـن سـمات هـذا المنهـج: أنـه **لا يقبـل الوسـطية في الحلـول الفِكريـة**، لأن الرجـل عنـد أصـول منهـج الكتـاب والسـنة أحـد رجلـين: إمـا رجـل مـن أمـة الدعـوة -كـما يُقـال- وهـذا قـد يكـون عنـده انحـراف، وقـد يكـون عنـده ضـلال، فيُتلطـف معـه، ويُدعـى إلى هـذا الإسـلام، أمـا إذا تحـوّل هـذا الرجـل إلى داعيـة لِمـا هـو فيـه، عنـد ذلـك وجـب أن نأخـذ منـه موقفـاً، وحتـى في الجـرح والتعديـل في الحديـث: أن صاحـب (البدعـة اليسـيرة) إن كان يعمـل في

(١) ما تحت هذا العنوان إلى نهاية المبحث من محاضرة للشيخ: (الدعوة السلفية منهج وعقيدة).

بدعته ولا يدعو لها، وهو ثقة صادق في نفسه؛ يُؤخذ من حديثه، ولكن إن كان صاحب بدعة يدعو لها؛ فلا يُؤخذ منه، إذاً الرجل الذي ينتحل الاعتزال ومذهب الأشاعرة أو الصوفية أو اللّا وضوح في المذاهب كلها مُفَوّض، هذا الرجل إن كان رجل دعوةٍ دُعي، ولكن إن كان (إماماً) يدعو إلى ما هو فيه؛ فيجب أن يكون منه موقف.[1]

فهذا المنهج لا يقبل الوسطية فيما يطرح من آراء، وأنه لو قَبِل الوسطية والمداهنة والمسايرة لأبسط الأمور **لَضاعَت معالم هذا المنهج وانتهت**، ولذلك كان الناس يطلبون من ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ اليسير من التنازل، ولكنه كان يرفض لماذا؟ ليس خوفاً من شيء، وإنما بموافقته ينتهي المنهج ويضيع، ولذلك محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الدعوة كان يقبل أن يتنازل عن بعض الأشياء ويُمْهل الناس في أمور العمل حتى ولو كانت خطأ، ولكن في أمور العقائد والمفاصَلة ما عُرف عنه شيء مِن هذا، لماذا؟ لأن هذه قضايا دين، فهذه السِّمة لهذا المنهج غير موجودة عند غيره من المناهج.

تُنسب المناهج إلى منشئها

ومن سماته: أن كل المَناهج يَستحي الإنسان أحياناً أن يَدعوكَ إليها، **لأنها ترجع إلى شخص معين**، ولذلك تجده يدور دَوَراناً طويلاً حتى يقول لك مَن هو! إلاّ أرباب هذا المنهج، فإنهم يُعالون بأصواتهم إلى ما ينتسبون إليه، لأن كل هذه المناهج قد وصلت إلى شخص انتهت إليه، وأسسها هو وأصبح هو مدارها في كل شيء، يفهمون الإسلام كما يُريد هو، الفقه كما يريد، الحديث كما يريد، فهو كل شيء عندهم، لكن أرباب هذا المنهج عندهم الناس بشر يصيبون ويخطئون، ولذلك كلهم يستدلون بمَقولةِ الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما منا إلا رَد ورُد عليه، إلا صاحب هذا

(١) توسَّع الشيخ في بيانها في محاضرة قادمة.

القبر)[١]، هذه ميزة يُدرِكها مَن عقِلَ مِنّا مكانة الرِّجال، وتَعلَّق بالله سبحانه وتعالى.

لذلك عندما تسأل أحدهم: أنت ماذا؟ يقول لك أنا معتزلي، تقول له: قَبلَ (واصِل بن عَطاء) ماذا كان الناس؟ أو إن كان أشعرياً، تقول له: قَبلَ (أبوالحسن الأشعري) ماذا كان حال الناس؟ لا يجدُ جواباً.

لكنّ ما يجرؤ أحدٌ أن يقول لأربابَ هذا المنهج: قبلَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماذا كان الناس؟! نقول: كانوا على ضلالة فهداهم الله به، غَيرنا لا يملك هذا الجواب، إذاً هذه القضية مهمةٌ جداً، لأنها جعلت الناس في كل المذاهب تتعلق بأشخاص وجعلت أرباب هذا المنهج يتعلقون بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يتعلقون بشخص أبداً.[٢]

هذا المنهج لا يرتبط بأشخاص

ومن سماته: أن كل هذه الجماعات والمذاهب والأحزاب تنقسم، والانقسام فكري وليس في الوسائل -كما يُصوَّر-، فالمعتزلة انقسموا فرق، والخوارج أيضا فرق، والرافضة فرق، والأشاعرة فرق، لكن هذه الدعوة **وهذا المنهج ما عَلِمْنا فيه انقساماً فِكرياً**، لماذا؟ لأنه لا يرتبط بأشخاص.

ولذلك المُهَلَّب بن أبي صُفرة[٣] القائد المشهور دَرَسَ أحوال الخوارج؛

(١) أورَدَه بنحوه أبوشامة في (مختصر المؤمل ص٦٦).

(٢) [ايتني الآن بمنهج الأشاعرة مَن أسَّسَه؟ قبل أن يكون الأشعري أشعرياً، ماذا كانت عقيدته؟ ما هي عقيدة الأمة قبل أن يولد أبوالحسن الأشعري؟ جوابان: إما أن الأمة لم يكن عندها عقيدة، يعني ضائِعة، فجاء الأشعري فأتى بهذه العقيدة، وهذا قول كفر، أو يقولون كانت الأمة على عقيدة، فنسألهم: عقيدة الأمة هذه ضلال أم هدى؟ إذا قالوا (ضلال)؛ فقد ضللوا الصحابة والتابعين! وإن قالوا (هدى)؛ فقلنا إذاً كيف تتبعون شيئاً يُخالف الهدى الذي قررتموه!!] من محاضرة له بعنوان: (الدعوة السلفية).

(٣) **المهلَّب بن أبي صُفرة** ظالم الأزدي البصري: أبو سعيد، الأمير البطل، الشجاع السَّخي، قائد الكتائب، ولد عام الفتح، تابعيّ، حَدّث عن: عبدالله بن عمرو بن العاص، وسمرة بن جندب، وابن عمر، والبراء بن عازب، ورَوى عنه: سِماك بن حرب، وأبو إسحاق، وعمر بن سيف، غزا الهند، وولي الجزيرة لابن الزبير، وحارب الخوارج، ودوّخ الأزارقة، ثم ولي خراسان،

فوجدهم كلما نَبَغ فيهم شيخ التَفَّ حوله الناس، وأخذوا المسألة وانشقّوا، فقام وأدخَل من جماعته معهم -على طريقة المخابرات الجديدة ويبدو أنهم أيضا اقتبسوها منه-، وأصبح أحد أفراده يُلقي الشبهة، فيصبح شيخاً، ويجتمع معه أناس! وبهذه الطريقة فرّقهم، فقضى عليهم، لماذا؟ لأنه عَرَف السِّر، ولذلك أيّ منهج كلما نبغ شيخ تبعه الناس، وأصبح هذا شيخاً فتعالى عَمَّن قبله، وهكذا الانقسام والانشطار بينهم.

وفي هذه الجماعة قد يختلف الناس وقد يتصارعون بل قد يتقاتلون، **ولكن دعواهم واحدة**، انظر إلى أي متخاصمين في أي مكان ممن ينتسبون لهذا المنهج، بل اترك المعاصرين وانظر إلى القدماء عندما تجادلوا بل تخاصموا أحياناً، ولكنهم في العقائد على فهمٍ واحدٍ، لماذا؟ لأن الطريقة التي يفهمون بها واحدة، ليس عندهم طرقٌ يرجعون بها إلى مشايخ، لأنهم قد **ألغوا قُدسية الرجال** من واقعهم، وأصبحوا يتحاكمون للكتاب والسنة، لأن كلهم يُطبّق ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء:٦٥]، فالأمر عندهم قد انتهى.

هذا المنهج سهل واضح

ويتَّسم هذا المنهج **بأنه سهلٌ واضحٌ**، فالعلماء نقلوا أحاديثَ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجُلّ ما فعله العلماء هو شرح الآية أو الحديث، ولذلك اقرأ (المُستَصْفى) للإمام الغزالي في أصول الفقه، واقرأ أي كتاب في أصول الفقه على طريقة السَّلَف، وانظر الفَرْق، ذاك يُضيعُك في المقدمات والنتائج واللّا نهايات، لأن أصول الفقه عندهم قائم على تصورات بشرية! لكن اقرأ أصول الفقه عند السلف مثل (الرِّسالة) للإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ تجدها: قال الله تعالى، قال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، إذاً هذا هو الفَرْق بين الطريقتين.

=توفي سنة ٨٢هـ [سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٣].

وكذلـك في الفِقـه، اقـرأ أي كتـاب فقهـيٍّ للمالكيـة أو الأحنـاف، واقـرأ أي كتـاب يسـير عـلى طريقـةِ السـلف كـ(شرح السُّـنة) للإمـام البغـوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، سَـتَجِد الفَـرْق، ذاك يـأتي بأقـوال قـال فـلان وقـال فـلان، ثـم بعـد ذلـك نشـأت كتـب للترجيـح في الخلافـات داخـل المذاهـب، كـ(الإنصـاف في حَـلّ مسـائل الخِـلاف) عـلى مذهـب الحنابلـة، يُرَجِّـح أي القولـين أقـوى، لكـن ترجـع لـشرح السـنة للبغـوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيقـول: بـاب كـذا ثـم يـأتي بالآيـة، ويـأتي بالحديـث، ويـأتي بقـول الصَّحـابي، ثـم بقـولِ اثنـين أو ثلاثـة مـن كبـار التابعـين، وانتهـى الأمـر.[(١)]

(١) ويقـول الشـيخ في موضـع آخـر: [وهنـا تـأتي شُـبهةٌ عنـد جماعـة **«الإسـلام المسـتنير»**: أنكـم تقولـون بالأخـذ بمنهـج الصحابـة، والصحابـة بشرٌ غـير معصومـين، ووقـع بينهـم قتـال؟! هـذه شُـبهتهم، ونحـن نقـول مـا قلنـاه مِـراراً: نحـن لا نعتقـد أن الصحابـة معصومـون أو مقدَّسـون أو لا يُخطئـون، ولكنهـم لا يَكذِبـون، ولم يُنقَـل عنهـم كـذب، فهـم فيـما ينقلونـه عـن نبيِّنـا صادِقـون، وهـذا مِـن حفـظ الله لكتابـه ولسـنة نبيـه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندمـا قـال (إِنَّـا نَحْـنُ نَزَّلْنَـا الذِّكْـرَ وَإِنَّـا لَـهُ لَحَافِظُـونَ) والذكـر هـو الكتـاب والسـنة.

الثانيـة: أننـا نلـزم النـاس **بفهـم الصحابـة مجتمعـين**، لأن عليهـم أنـزل القـرآن، فالتـوراة دُوِّنَـت بعـد وفـاة موسـى بخمسـمائة سـنة، والانجيـل بحـوالي مثلهـا، أمـا القـرآن فـدُوِّن آيـة آيـة بحيـاة النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الأمـر الثـاني: أن القـرآن طُبِّـق كلـه في عهـد النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعنـي مـا مـن آيـةٍ إلا عَـرَف الصَّحابـة معناهـا وفيـم نزلـت وكيـف تُطبّـق، إذاً نحـن نلـزم النـاس بـما فهمـه الصحابـة عـن نبيهـم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مـا نلزمهـم بآرائهـم، ولذلـك فـرَّق العلـماء بـين القـول الـذي يقولـه الصحـابي مـن نفسـه وبـين الـذي لا يُقـال مِـن قبيـل الـرأي، يعنـي لا يُمكـن أن يجتهـد فيـه، لا بُـدَّ مِـن أن يكـون قـد سَـمِعَه، إذاً **فهـم الصحابـة** معصـوم، لأنهـم ينقلـون عـما عايشـوه في عهـد النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعليهـم أُنـزل وعليهـم طُبّـق، إذاً فهمهـم معصـوم فالأمـة مُلزَمَـةٌ بـه، كـما قـال الله عـز وجـل (وَمَـنْ يُشَـاقِقِ الرَّسُـولَ مِـنْ بَعْـدِ مَـا تَبَـيَّنَ لَـهُ الْهُـدَى وَيَتَّبِـعْ غَـيْرَ سَـبِيلِ الْمُؤْمِنِـينَ نُوَلِّـهِ مَـا تَـوَلَّى وَنُصْلِـهِ جَهَنَّـمَ وَسَـاءَتْ مَصِـيرًا) [النسـاء: ١١٥] والآيـة (فَـإِنْ آمَنُـوا بِمِثْـلِ مَـا آمَنْتُـمْ بِـهِ فَقَـدِ اهْتَـدَوْا) [البقـرة: ١٣٧].

=ولذلـك لا نعلـمُ خلافـاً بـين الصحابـة في أمـور العقائـد أبـداً، ولا في أمـور فهـم الآيـات، يعنـي **لا تَجـد تفسـيرين متعارضـين للصحابـة في تفسـير آيـة مـن آيـات الصفـات أو العقائـد**، فهـذه الشُّـبهة التـي يرمونهـا علينـا؛ لا بُـدّ أن نفـرّق بـين مـا يفعلـه الصحابـة كبشر، يصيبـون ويخطئـون ويَنسـون، وقصة أبي موسـى وعمـر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في مسـألة الاسـتئذان مشـهورة، **لكنهـم لا يَكذبـون، وفهمهـم للديـن ليـس مِـن عقولهـم، وإنـما كـما فهمـوه مـن النبـي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فـلا يُلبّـس عليكـم بهـذا، يقولـون الكتاب والسـنة فقـط، نحـن نضيـف إليـه ثالثـة وهـو **فهـم الصحابـة**، ففهمهـم معصـوم، حفـظ الله عـز وجـل الديـن بهـؤلاء الرجـال، **وأمـا هُـم فليسـوا بمعصومـين**، هـذه يجـب أن تفهموهـا وتدرسـوها وتنظـروا فيهـا نظـرة تدبُّـر، وتحفظوهـا حفظـاً كـي تـردوا الشـبهة عـلى هـؤلاء النـاس]. مـن (لقـاء شـباب القريـن).

٦

المحاضرة السادسة:

كيف نَفهَمُ الإسلام؟

المحاضرة السادسة

كيف نَفهَمُ الإسلام؟ (١)

في الحقيقة أن الناس في هذا العصر يَخلِطون بين أمرين اثنين: بين **المنهج** الذي يجب أن يُفهم فيه الإسلام، وبين **الوَسائل** التي تُستعمل للعودة إلى الإسلام، وإنشاء المجتمع المسلم، وبالتالي إنشاء الدولة التي تقوم بحكم الله سبحانه وتعالى.

التباس بين مفهوم (المنهج) وبين (الدعوة للإسلام)

منشأ الخطأ أن الجماعات المعاصرة التي قامت بعد سقوط الخلافة، والتي قام مؤسسوها وأفرادها بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، لم يتعرَّضوا مِن قريبٍ ولا مِن بعيدٍ لقضية المنهج الذي يجب أن يُفهم به الإسلام، وإنما كان كلَّ طرحٍ طَرحوه، وكل الكتب التي أُلِّفت، وكل القضايا التي بُحِثت؛ إنما هي تعالج كيف نُعيد الإسلام لواقع الناس، **لذلك التبس الأمر على كثيرٍ من ناشِئة هذه الجماعات، بل ومُفكِّريهم**، فظنّوا أن هذا الطَّرح إنما هو طَرحٌ منهجيٌّ لفهم الإسلام! ولذلك عندما يُسأل بعض كِبار المفكرين عن: هل لديكم منهج لفهم الدين؟ قالوا: نعم قال فلان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كذا وكذا، وعندما تقرأ ما نَقل: تجد أنه لم يتكلَّم عن كيف يُفهم الإسلام؟ ولم يتكلَّم عن المنهج الذي يجب أن يُطرح لفهم الدين، وإنما تكلَّم عن قضية وهي: لا بُدّ أن يكون للمسلمين عودة لدينهم، وأن

---

(١) من محاضرة للشيخ بعنوان: (الدعوة السلفية منهج وعقيدة).

يباشروا العمل السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

إذاً لا بُدّ أن نُفرِّق أصلاً بين هذين الاتجاهين، بين اتجاه طارئ، خَلَقَته المشاكل، ووليد انهزام عاشته أمه، فجاء جيل من الناس يريد أن يعود بالإسلام للواقع، **وبين منهج مُمتَد عبر التاريخ، يُصحِّح ما أخطأ الناس فيه**، سواء بوجود خليفة أو بعدمه، **والفرق بين المنهجين**: أن المنهج الأول مُجرد أن يأتي حاكم -مهما كانت صورة هذا الحاكم- ويعلِن: أننا قد طبقنا الحدود، ما أصبح عندهم ما يدعون إليه، كما حصل عندما طَبَّقَ (النّميري)[(١)] الإسلام في السودان في قضية الحدود، قال التُّرابي[(٢)]: أننا أعلَنَّا حَلَّ أنفسنا، لأن الذي ندعو إليه قد حَصَل!!

أما المنهج الآخر: منهج الكتاب والسنة والدعوة السَّلفية، فإنه كان منهجاً قائماً في حُكم بني أميّة، ومنهجاً قائماً في حكم بني العباس،

(١) هو **جعفر محمد النميري**، عقيد أركان حرب، ولد ١٩٣٠م، قام بانقلاب عسكري، واستولى على الحُكم، وشَكَّل مجلساً للثورة وحكومة، وصار الرئيس الرابع للسودان، خلال الفترة (١٩٦٩ – ١٩٨٥م)، وفي سبتمبر ١٩٨٣م **أعلن عن قانون العقوبات والتي عُرفت بـ (قوانين الشريعة الإسلامية)**، والتي أعقبت أزمة استقالة القضاة واحتجاجهم على تدخّل الحكومة في شؤون القضاء، حصلت انتفاضة كبيرة أعيَت النظام، فانحاز الجيش للشعب، وعُزل الرئيس حين كان عائداً جواً من رحلة العلاج من واشنطن فغير وجهته إلى القاهرة، وتَسلّم وزير الدفاع الفريق عبدالرحمن سوار الذهب، وسلّم السلطة للحكومة الجديدة المنتخبة، رَجَعَ النميري إلى الخرطوم سنة ٢٠٠٠م، وتوفي في مايو ٢٠٠٩م. [موقع: موسوعة السودان الرقمية]

(٢) **حسن عبدالله الترابي**: ولد سنة ١٩٣٢م في كَسَلا بالسودان ، دَرَسَ بكلية الحقوق في جامعة الخرطوم، انضم إلى جبهة الميثاق الإسلامية، إحدى فروع جماعة الإخوان المسلمين، عُيّن بعد ذلك وزيراً للعدل ثم وزيراً للخارجية، ورئيساً للبرلمان، تقلّد رئاسة الأمانة العامة للمراقب العام للإخوان المسلمين، ثم ثار خلافٌ بينه وبين التنظيم العام للإخوان عندما رفض مبايعة المرشد العام وقتها بحجة أنه بالسجن، وانشق عنهم، ومن مؤلفاته: (تجديد الفكر الإسلامي)، (في الفقه السياسي)، (تجديد أصول الفقه الإسلامي)، (الأشكال الناظمة لدولة إسلامية معاصرة)، (السياسة والحكم)، توفي سنة ٢٠١٦م. [من موقع إخوان ويكي الإلكتروني]، وينظر كتاب (نظرات شرعية في فِكر حسن الترابي) لسُليمان الخَراشي.

ومنهجاً كان قائماً في الدويلات الصغيرة، وهو في إبان حكم بني عثمان، وهو سيبقى إلى أن يَرِثَ الله الأرض ومن عليها.

إذاً لا بُدّ أن نُفرِّق بين القضيّتين تفريقاً بيّناً، حتى لا يَلتبس الأمر على الناس، فالمنهج الذي نقصد وندعو إليه، غير الذي يُطرَح عبر الجماعات الإسلامية، الذي يُطرح عندهم هو طريقة لعودة الناس للإسلام، وهذا ليس منهجاً، أو كيف نَحكم الإسلام في الواقع، **وهذا ليس منهجاً لفهم الدين**.

المنهج الذي ندعو إليه

وإنما الذي نقوله بأن هناك طريقة لأن يُعبد الله سبحانه وتعالى فيها، وهي ما عبَّر عنه شيخنا الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ مراراً بـ (**التَّصفِية والتَّربِيَة**)[(١)]، ومعناهما أنه لا بُدّ أن تكون هناك تصفية، أن يصفَّى الإسلام في كل يوم من الدخيل الذي يدخل فيه، ولذلك عندما قام المعتزلة بطرح فكرهم الباطل؛ قام السلفيون بقيادة الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِرَدِّ هذا الباطل وتَصفِية الإسلام من هذه الشوائب التي طَرَأت عليه، وعندما قام -قبل المعتزلة- القدرية قام عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بِرَد هذه الشبهة، وعندما قام غيرهم من أصحاب الكلام بأن نفوا الخُلّة لله عز وجل وأنه ما اتخذ خليلاً، قام السلفيون بمحاربة هذا الابتداع، وعندما قام الخوارج أيضاً بطرح شيءٍ يخالِف الإسلام، قام السلفيون أيضاً بتصحيح مسار الإسلام.

وأنا أقصد أن في كل جيل يوجد سَلَفيّون، لأن معنى السَّلفي أنه يتَّبِع السلف، ومعناه أن لكل أمة خَلَف، فنحن الآن خَلَفٌ لمن سلف، ومن يأتي بعد مائتي سَنَة أو ألف سنة سنكون نحن سلف له -إن أحسَنّا

---

(١) ذكرها الشيخ في مقدمة المجلد الثاني من (سلسلة الأحاديث الضعيفة)، وبيَّن أنه ألقى محاضرة في عَمّان بالمعهد الشرعي سنة ١٣٩٣هـ، ثم طَبَعها مستقلة بعنوان: (التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليهما).

الاستقامة على الطريق- وهو عند ذلك سيكون خَلَفُنا.

ومن طبيعة الخُلوف أنها تَنحَرف، ومن طبيعة سنن الله تعالى أن جعل في هذا الخَلفِ المنحرف خلفاً يُقوِّمُه، كما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما من نَبيٍّ بَعَثَهُ اللهُ في أُمَّة قَبْلي إلَّا كانَ له مِن أُمَّتِهِ حَوارِيُّونَ، وأَصْحابٌ يَأْخُذُونَ بسُنَّتِه ويَقْتَدُونَ بأَمْرِه) هؤلاء هم الطائفة الناجية، (ثُمَّ إنَّها تَخْلُفُ مِن بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يقولونَ ما لا يَفْعَلُونَ، ويَفْعَلُونَ ما لا يُؤْمَرُونَ) فوجب على هؤلاء أن يصحِّحوا مسار أولئك بأنه (فَمَن جاهَدَهُمْ بيَدِه فَهو مُؤْمِنٌ، ومَن جاهَدَهُمْ بلِسانِه فَهو مُؤْمِنٌ، ومَن جاهَدَهُمْ بقَلْبِه فَهو مُؤْمِنٌ، وليسَ وراءَ ذلكَ مِنَ الإيمانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ)[1]، إذاً في كل جيل، وفي كل قرن من الناس؛ يوجد خَلَفٌ مستقيم، ويوجد خَلَف منحرف، هذا الخلف المنحرف من واجب الخلف المستقيم أن يصحح انحرافه، ولكن على أي أساس؟ على أساس طريقة السَّلف الذين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه.

أصول الضلال قديمة، وتُعرَض بأسماء جديدة

إذاً نَخْلُصُ من هذا؛ إلى أن **المَطروح حالياً من كتبٍ ومؤلفاتٍ لا تُنادي إلى فهم الإسلام فَهماً**، ولا تُنادي إلى تنقية الإسلام، ولا تنادي إلى تصحيح مسار الإسلام، **وإنما تنادي إلى كيف يُعاد بَعث الإسلام**، وبالتالي إذاً لا توجد مناهج جديدة، ما سمِعنا للجماعات الإسلامية أنها طَرَحَت منهجاً لفهم الإسلام! **وإنما المناهج هي نفسها القديمة**، إما مناهج **عقلانية** بمدارسها المختلفة، وإما مناهج **باطنية** بمدارسها المختلفة، وإما مناهج **دعاة الرسل** بمدرستهم الواحدة، وكل الجماعات الآن عندما تُفتِّش، إما تجدها معتزلية، أو تجدها أشاعرة، أو تجدهم قد خلطوا بين جميع هذه

(١) أخرجه مسلم (٥٠).

الملل بفِكرهم، وتجدهم أيضا في الباطنية قد خَلَطوا بفكر التصوف بأنواعه، وهذا واقع، انظر أي كتاب لأي مُفَكِّر معاصر تجد ذلك.

فالدنيا الآن ليس فيها جديد، حتى (المَشاعِيَّة) عند الشيوعية قديمة، قد جربها (القرامطة)(١) من قبل، حتى الثورة الروسية قديمة، قد جربها (الزِّنْج)(٢) من قبل، (ماركس) ما جاء بجديد، و(جان بول سارتر) مُعظَم فِكره من كُفر ابن سينا(٣)، والذي يقرأ هذا ويقرأ كفر ابن سينا

---

(١) **القرامِطَة**: حركة باطنية هدّامة تَنتَسِب إلى شخص اسمه (حمدان بن الأشعث) ويلقب بـ (قرمط) لِقِصَر قامته وساقيه، وهو من خوزستان في الأهواز، ثم رحل إلى الكوفة. وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وحقيقتها الإلحاد، والإباحية، وهدم الأخلاق، والقضاء على الدولة الإسلامية. [الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/ ٣٧٨].

ويقول ابن الجوزي: (وفيها تحركت القرامطة، وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس، الذين يعتقدون بنبوة زرادشت ومزدك، وكانا يُبيحان المحرمات، ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل، وأكثر ما يُفسدون من جهة الرافضة، ويدخلون إلى الباطل من جهتهم، لأنهم أقل الناس عقولا، ويقال لهم الإسماعيلية لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج ابن جعفر الصادق) نقل ذلك ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٦١).

(٢) **الزّنج**: مجموعة من العَبِيد يقودُهم **رجلٌ يُدعى علّي بن محمد**، جاء في ترجمته عند الإمام الذهبي: [الخبيث علي بن محمد بن عبد الرحمن العبدي هو طاغية الزنج، من عبد القيس. افترى وزعم أنه من ولد زيد بن علي العلوي، وكان منجما، طرقيا، ذكيا، حروريا، ماكرا، داهية منحلاً، على رأي فجرة الخوارج، يتستر بالانتماء إليهم، وإلا فالرجل دهري فيلسوف زنديق.

ظَهر بالبصرة، **واستغوى عبيد الناس وأوباشهم الزّنج -الذين يكسحون ويزبلون الأرض-**، فتجمَّع له كل لصٍّ ومريب وكثروا، فشد بهم على أهل البصرة، وتم له ذلك، واستباحوا البلد، واسترقوا الذرية، واستفحل بلاؤه، وطوى البلاد، وأباد العباد، وكاد أن يملك بغداد، وأنشأ مدينة سماها (المختارة) في غاية الحصانة، وزاد جيشه على مائة ألف، وخافته الخلفاء، ولولا زندقته ومروقه لاستولى على الممالك، **وكانت أيامه (أربع عشرة سنة)**. ثم أظفرهم الله به بعد حروب تشيب النواصي، وقُتل على يد جيش أبي العباس أحمد المعتضد بالله بن الموفق بالله - ولله الحمد -: في سنة سبعين ومائتين، في صفر، وله ثمان وأربعون سنة]. سِيَر أعلام النبلاء (١٣/ ١٢٩)، وينظر للتوسع تاريخ الإسلام (٦/ ٢٤٧).

(٣) **كارل ماركس**: ولد (١٨١٨-١٨٨٣م) من عائلة يهودية، فيلسوف اشتراكي ألماني، واقتصادي

يجده واحداً، ليس في الدنيا جديد، **وإنما هي مذاهب تُخلق وتُعرض بأسماءٍ جديدة**، كالخمر يشربها الناس يُغيرون أسمائها، صحيح قد تنشأ تفريعات لأن الباطل يتنوع، ولكن أنا أقصد أصول الضَّلال هي هي، وأصول الحَقِّ هي هي.

لكن أرباب المنهج الصحيح، منهج دعاة الكتاب والسنة تجده واحداً، منذ أن قام إمامهم ابن حنبل في مُحاربة المعتزلة، إلى أن جاء ابن تيمية فَحارَب الأشاعرة وشَنَّع عليهم، إلى أن جاء بعد ذلك محمد بن عبدالوهاب فحارب الشرك الذي كان منتشراً مع الضلال، ويستمر الحال كل يوم يخلف، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عُدولُه) هؤلاء العدول الذين يحمِلون هذا العلم؛ هُم الذين يَذُبُّون عنه (تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)[(١)] وهؤلاء هم أهل السُّنة.

التفريق بين المنهج ومن يحمله

إذاً لماذا نُنادي بإلزامية هذا المنهج؟ لأنه هو المنهج الوحيد الذي يُنجي صاحبه عند الله سبحانه وتعالى، وهو منهجٌ واجب الاتباع، وفَرْقٌ

=ومؤرخ، لعبت أفكاره دورًا في تأسيس علم الاجتماع، وفي تطوير الحركات الاشتراكية، من مؤلفاته: (رأس المال)، (نقد فلسفة الحق عند هيغل).

جان بول سارتر: ولد (١٩٠٥-١٩٨٠م) بباريس، فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي وناشط سياسي فرنسي، تأثَّر بفكر: ديكارت وهيجل وماركس ودوستويفسكي وغيرهم، من مؤلفاته: (الوجود والعدم)، (الوجودية مذهب إنساني)، (نقد العقل الجدلي).

ابن سينا: أبو علي الحسين بن عبدالله البلخي، العلامة الشهير، الفيلسوف، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق، كان أبوه كاتباً من دعاة الإسماعيلية، وهو رأس الفلاسفة الإسلامية، لم يأت بعد الفارابي مثله، وله كتاب (الشفاء) وغيره، وأشياء لا تُحتمل، وقد كفَّره الغزالي في كتاب (المنقذ من الضلال) وكفَّر الفارابي، وذكر ابن خلكان أنه تاب آخر عمره، ولد ٣٧٠هـ وتوفي بهمذان ٤٢٨هـ. [سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٣١].

(١) أخرجه الآجري بسنده في مقدمة كتابه (الشريعة)، والخطيب البغدادي في (شرف أصحاب الحديث ص١١)، وابن عبدالبر في مقدمة (التمهيد)، وبين طُرُقَه بالتفصيل ابن القيم في (مفتاح دار السعادة)، وابن الوزير في (العواصم والقواصم في الذب عن سُنّة أبي القاسم ١/ ٣٠٨).

بين المنهج، وبين الناس الذين يحملونه، وبين الجماعات التي قامت في الدنيا، هل قامت على وفق الكتاب والسنة؟، فبعضها قد قَرُب من هذا، وبعضها قد بَعُد، فهؤلاء أفراد، وإنما نحن نناقش المنهج.

كيف نُحقِّق مُرادَ الله عز وجل ؟ [١]

التيارات الموجودة في الساحةِ، والجماعات القائمة تَظُنّ أن عندها من السياسة والحِنكة ومن بُعدِ النظر ومن التجارب؛ ما تستطيع به أن تقوم بإعادة الخلافة، **وأن تُعيد للمسلمين مَجْدَهم**، ولكننا نُلاحظ أن واقع المسلمين يزدادُ سوءاً، وأحوالهم تزدادُ تناحراً وابتعاداً.

معيار نَجاح أو فشل الجماعات

وهذه الجماعات لا نقولُ أننا حَكَمنا عليها بالفشل في مناهجها لأننا أعطيناها خمسين أو ستين أو مائة سنة، لا، فإن هذا ليس بمعيار للنجاح والفشل، وإنما **المعيار هل هذا المنهج الذي يُسلَك يُحقِّق مُرادَ الله تعالى** في الأرض أو لا يُحقِّقَه؟ هل قضيتنا أن نأتي بشخص نُسميه (أمير المؤمنين)، ونغيّر شكل الدولة من (مملكة) إلى (الجمهورية الإسلامية)؟ مثلاً الجمهورية الإسلامية الباكستانية، أو الجمهورية الإسلامية التركية، أو الجمهورية الإسلامية الليبية، أو الجمهورية الإسلامية الجزائرية .. إلخ فقط! ماذا نُريد؟ هل هذا تحقيق شرع الله عز وجل؟

إذاً ليس الفَشل أن هؤلاء لم يقيموا دولة، وليس النَّجاح أن هؤلاء أقاموا دولة، فهؤلاء الإخوان قد أقاموا دولةً لهم في السودان، ولكن هل حقَّقت هذه الدولة مُراد الله عز وجل؟ الجواب: لا، بل ازدادت سوءاً عَمّا كانت عليه مِن قَبل، وخَرَجت الشيوعية من أفغانستان وذهبت

---

(١) ما تحت هذا العنوان إلى نهاية المبحث من محاضرة للشيخ: (السلفية هي العِلاج).

المَلَكية، وجاء بعدها الأمراء والوزراء -وهم من الأحزاب الإسلامية- وكلهم يُنادي بالجِهاد، فهل حَقَّقنا شيئاً مِن الإسلام؟ الجواب: لا. ومثله في إيران ومثله في الباكستان، وما يجري في دنيانا شرقاً وغرباً.

إذاً نحن حَكَمنا على المناهج بالفَساد؛ ليس لأننا أَتَحْنا فرصةَ زمن لها وفشِلَت، **فقد يستمرُّ الصالحُ في منهجه مئات السنين ولا يصلُ إلى الحُكْم، فإن الحُكْمَ ليس بغاية، فالحُكْمُ وسيلة لتحقيق رضى الله تعالى في الأرض.**

لماذا يُريد الاسلاميون دولة؟

إذاً يجب أن تُحرِّرَ أصل القضية، لماذا يريد الإسلاميون دولة؟ وتَجِد الجَعْجعة الإعلامية عن الحُكْم الإسلامي والدولة الإسلامية .. إلخ، لماذا يريدون هذا؟ يعني **لماذا ننادي بتطبيق الشريعة في الأرض**؟ يجب أن نسأل أنفسنا هذا السؤال، لأن الإجابة إذا كانت سليمة؛ فسنعرف بعد ذلك كم في الدنيا من أخطاء.

نرى أن تطبيق الشريعة ليس فقط أن نُقيمَ دولة الإسلام ونُعلن الجهاد، **هذه فقط وَسائل، إنما نطبِّقُ الشريعة لتحقيق رضى الله تعالى،** فقط، إذاً يسعى المسلمونَ لإقامة الصلاة ليرضى عنهم ربهم، ويصومون ليرضى عنهم ربهم، ويحُجّون ليرضى عنهم ربهم، ويموتون جهاداً ليرضى عنهم ربهم، ويسعون لتطبيق الشريعة ليرضى عنهم ربهم، هذا الجواب الصحيح المَنْطِقي الذي لا يختلف عليه أحد، وما أظن في المسلمين وفي الجماعات مَن يَختلف على هذا الجواب.

فإذا عَرَفنا أننا نتحَرَّك كل هذه الحركة، صغيرةً كانت أو كبيرة، وكلٌّ على قَدَرِه، فإننا نتحرّك لتحقيقِ مُراد الله تعالى في الأرض، بمعنى ليرضى عنا الله عز وجل، **ولن يَرضى عنا إلا إذا حققنا رغبَته، ومُراد الله تعالى لا يُدرَكُ إلا بالمنهج السلفي،** ولن تُصلَح هذه الأمة إلا وفق منهج

الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال:٢٤]، فلا يمكن للأمة أن تحيا إلا إذا استجابت لله وللرسول، فإذا ما استجابت حالَ اللهُ بينها وبين الهِداية.

لا بُدّ من التزام طريقة النبي مع صدق النية

فلو أن رجلاً صَلّى على غير طريقة النبي صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، هل حَقق رَغبة الله عز وجل؟ الجواب: لا، ولو صام على غيرِ هدي النبي صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، هل حَقق رَغبة الله عز وجل مع صِدق النية؟ الجواب: لا، فلو صام دهره -كقصة الثلاثة-، وقام ليله، وامتنع عن النساء؛ كان آثماً مبتعداً عن سُنّة النبي صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مطروداً، إذاً ليس كلُّ عملٍ نُؤديه كانت نيتنا خالصة وشكله كان مشروعاً يَقبلُه الله! وقِصّةُ النَّفرِ الثلاثة الذين تبرأ منهم النبي صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: (فمن رغِب عن سُنّتي؛ فليس مِنّي)[(١)] ما ذَنْبهم؟! وفي لُغة العَصْر: لم يفعلوا خطأً، فلا دعوا إلى زنى ولا دعوا إلى فساد ولا دعوا إلى معصية، وإنما أناس قالوا: هذا رسول الله، ما منزلتنا بمنزلته، وهو لو صلّى قليلاً فهو مغفورٌ له، فنحنُ علينا أن نجتهد! **فالدّافع لهم حُبّ الخير، ورغبتهم أن يحققوا رضى الله تعالى، ولكنهم أخطئوا الدّرب.**

إذاً لو جاء أحدهم وأراد أن يُطبّق الشريعة، لكن على مذهب أبي حنيفة كاملاً، أو مذهب الشافعي كاملاً، ويَرُدّ حديث النبي صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، هل هذا حقق مُراد الله تعالى في الأرض؟ الجواب: لا، وحُكمُه (من رغِب عن سنتي؛ فليس مني).

ولو جاءنا خليفةٌ للمسلمين وأصدَرَ قوانين ومراسيم إسلامية ولكنها على غيرِ السُّنة، يؤلِّف فيها بين الرافِضي والسُّني، ويَسمح للقبور أن

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

تُقام، ويسمح لإذاعته وتلفزيونه بأناشيد الصوفية، ويُدندِن في إعلامه بِشَدِّ الرِّحال إلى القبور، -وهو يُسمى: خليفة إسلامي، لا جورج، ولا عنده قانون فرنسي-، لكن هل هذا هو شرع الله عز وجل؟ الجواب؟ لا، فلم يُحقق هؤلاء مُراد الله سبحانه وتعالى.

إذاً **الحركات الإسلامية التي طَرَحت مناهجَ للوصول إلى الحُكم**، لم تَطرَح هذه المناهج كما طَرَحها الصَّحابة رضوان الله عليهم، وقد تَلَقّوها مِن المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وإنما طُرحت مِن بَنات أفكار مؤسسي الأحزاب، فدخلها الدَّخَن والخَلْطُ، ودخلتها البِدعة، واختلطت البدعة مع السنة؛ فضاعت معالمها.

إذاً أصل القضية هي أننا **نسعى لتطبيق شرع الله عز وجل**، لا لأننا إذا جُلِد الزاني أو قُطِعَت يَدُ السَّارق؛ نَفرَح، لا، وإنما في ذلك تحقيقٌ لمرادِ الله عز وجل، فَنَفرَح لأنه عِزَّةٌ لدينِ الله تعالى.

الرسول هو الوحيد الذي ينقل مُراد الله تعالى

إذا وَضَحَ هذا، **فمن الذي يستطيع أن يُحدد مُراد الله سبحانه وتعالى** وله القدرة على ذلك؟ فإذا كان الله تعالى قد استوى على عرشه، وليس بيننا وبينه اتصال ظاهر، إلا الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، إذاً لا يستطيع العِباد أن يعرفوا مُرادَ ربهم تبارك وتعالى **إلا عن طريق الرسول** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، والقاعدة في هذا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر:٧]، و ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

هذه قضية لازمةٌ لنَصِل فيها بعد ذلك إلى واقعنا، أننا أخطأنا الدرب في العلاج؛ لغياب المنهج السلفي في السَّاحة، أُقْصِيَ هذا المنهج

من الساحة، واستبدلت الجماعات والمشايخ والطرق مناهج غيره، فتولَّد منها هذا الضَّياع الذي نُشاهِده.

وانظروا إلى أحوالنا، تَجِدوا أن عامَّة العالم الإسلامي طرفين وبينهما وسط:

الطرف الأول: شبابٌ مُندَفِع مُتحمِّس، في ظاهرِه الإخلاص - وقد يكون بينهم مَدسوس-، هؤلاء وَجَدوا كل هذا الفَساد في مجتمعاتهم، ووَجَدوا من الخُطباء والأئمة والمُحاضِرين مَن يُؤجج العاطفة في قلوبهم، فما استَطاعوا تحمُّل هذا الواقع، فانفجروا، فجاء هذا البركان فيه كل هذا العُنف الذي يُشاهَد، وهو الذي يُسميه بعضهم بـ (الإرهاب)، ويُسميه الكُفار بـ (الأصوليّة)؛ وذلك ليُضَيِّعوا مَعالِم الإسلام، ولكنها ثوراتٌ فاسِدة كثورة الزِّنج[1]، أو بدايتها كثورة الرّعاع على عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ونحن لا نستطيع أن نقول أن هؤلاء الناس ليس لديهم إخلاص -حاشا لله-، ولا نستطيع أن نقول كل هؤلاء الذين يدورون في فَلَكِ ما يُسمى بالعنف أو بالإرهاب، بأن كلهم مُجرمون أو مدسوسون -حاشا لله-، وإنما هُم كما يُعبِّر الشيخ ابن عثيمين حفظه الله: (العاطِفة إذا لم تُحَط أو تُحجَمْ بالعلم؛ تُصبِحُ عاصِفة)، فإذا ما قُيِّدت بالعِلم تُصبِحُ عاصِفةً تُدمِّر، فهذا واقع موجود في مجتمعات العالم الإسلامي كله، لكن يضعف في مكان، ويرتفع في مكان، على وجود عامِلين يُحرِّكانِه قُوةً وضَعفاً:

من أسباب ظهور العنف

العامل الأول: كثرةُ المُنكَرات، فلا شكَّ أن من يعيش في الجزائر أو مصر أو تركيا أو غيرها يجدُ مِنَ المنكراتِ ومِنَ المخالفاتِ الشرعية ما لا يَجِدهُ في دولِ الخليج، ومنها إيذاء المسلمين واضطهادهم وتعذيبهم، وهذا

(١) كما سبق وبيناها.

مـن أكـبر المنكـرات، فكلـما زادت هـذه المنكـرات؛ أصبحـت هـذه البيئـة تُفجِّـر هـذه العاطفـة عنـدَ الشـباب.

العامـل الثـاني: أن هنـاك من تَصَـدَّروا للفتـوى وتَصـدَّروا للعلـم والتعليم، وهُـم في الحقيقـة لا يُنكِـرون مُنكـراً، أو كـما يقـال «لا يَـرُدّون يَـدَ لامِـس»، فَهُـم **يُفتـون كـما أرادَ مَـن وَضَعَهُـم**، فـإذا انتفـى أو ضَعُـفَ أحـد هذيـن العاملـين؛ يَقِـلّ العُنـف في المجتمعـات، لا ينتهـي ولكـن يَقِـلّ، ولذلـك يُضـاف لـه الأسـاس وهـو أن هـؤلاء الشـباب مـا ارتبَطـوا بمنهـج الصَّحابـة والتابعـين، ومـا رُبّـوا عـلى هـذا المنهـج.

إذاً **فأسـاس مشـكلات العنـف** في العـالم الإسـلامي ترجـع إلى: بيئـةٍ هيّـأت عنـدَ الشـباب هـذه العاطِفـة القويـة، الراغبـة في التَّغيـير، يُضـاف عليهـا خُطبـاء يُحمِّسـون، وَهُـم عنـدَ نسـائِهم جالسـون، وأولئـك المسـاكين يُسـجَنون! مـع وجـودِ طبقـةٍ كبـيرة جـداً تُفتـي عـلى غـيرِ هَـدْي النبـي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَعـرِفُ مِنهُـم وتُنكِـر.(١)

(١) [الآن نلاحـظ لـو قـام خطيـب جُمُعـة وبـدأ ينتقـد الأنظمـة ويتكلـم فيهـا، تجـد الجمهـور مـن المصلّـين وعَـوام النـاس يَفـرح، وكأنـه أشـفى غليلهـم، وتجدهـم يُتابعـون بعـض القنـوات الإعلاميـة -الممولـة مـن الكفـار- لأنهـا تتكلـم وتنتقـد الأنظمـة العربيـة، لأن الكفـار قـد سـيطروا عـلى كثـيرٍ جـداً مـن مرافـق الدنيـا، وأصبحـت ثقافـة الكفـار هـي السـائدة، فأصبـح المسـلم يـرى أنـه ضعيـف أمـام هـذا المـد الهائـل الـذي جـاءه مـن الكفـار، مثالـه كإنسـان سَرَق منـك وأنـت لا تسـتطيع أن تفعـل لـه شـيئاً، فجـاء رجـل آخـر وصـار يـضرب هـذا السـارق، فأنـت سـتَفرَح، لأنـك تـرى أنـه انتقـم لـك، وهـذا واقـع الحـركات الثوريـة الآن، فالنـاس الذيـن يؤيدونهـم عندهـم جهـل في الديـن وعندهـم حمـاس، ولذلـك حـركات الإخـوان المسـلمين وغيرهـا مـن **الحـركات الثوريـة اسـتغَلَّت -مـن ناحيـة نفسـية- هـذا الحـماس في النـاس**، فَحَرَّكـت فيهـم شـيئين: الأول جمعـت منهـم أمـوالاً هائلـة لا يُعـرف أيـن ذهبـت، فكـم مـن الملايـين جُمعـت لفلسـطين؟! ليـس لهـا نهايـة! واسـأل أهلهـا في الداخـل هـل وَصَلَهم منهـا شيء؟! وأمـوال جُمعـت لأفغانسـتان وأمـوال للصومـال!

الإخـوان المسـلمون والحـركات الثوريـة فَهِمـوا علـم النفـس؛ **فاسـتطاعوا أن يُحرِّكـوا العاطِفـة عنـد النـاس فجمعـوا منهـم الأمـوال**، واسـتفادوا منهـا، والثانيـة: حتـى يسـتمروا في عملهـم لا بُـدّ أن يمـوت

خطورة التساهل بالفُتيا

الطرف الثاني -وإن كان أسوأ من الأول-: وهم أولئك الذين ما أصبَحت تُميِّز بهم بين المسلم والكافر، إلا بالاسم، والمسلم يذهب لصلاةِ الجُمعة، وذاك يذهبُ يوم الأحدِ للكنيسة! وإلا فلباسهُ ولباسُ زوجتهِ وأولاده وبيتِه وعاداته وأخلاقه وكلامه، متشابه، ولا يُفهمُ من هذا تكفير المجتمعات -حاشا لله ذلك، فنحنُ عنهُ بَعيدون-، ولكن أقولُ هذا واقعٌ في كثيرٍ جداً منَ العالم الإسلامي، ما الذي أوصله إلى هذا؟ المجرم الأول - في تَصَوُّري - **أولئك الذين تَساهَلوا بالفُتيا مع الناس**، هؤلاء الذين أجْرَموا بحق الناس، فجعلوهم البيئة التي تَستقبل كلَّ الفساد، قالوا لهم: لا مانع من التلفزيون فيه خير وشر، ولا مانع من الجلسات الأسرية المختلطة، ولا مانع أن تأتي بالمجلات الفاسدة إلى بيتك بدلاً من أن يأخذها ولدُكَ من جارك، ثم لا مانع أن المدرس يدرِّس النساء، ولا مانع من الاختلاط بحجة توفير الاقتصاد، ولا مانع من السينما والفن فإن فيها خير .. إلخ! حتى ذهب الإسلام وما بقيَ شيء -وإلا قبلَ توسُّع علماء الأزهر وتساهلهم في حَلْقِ اللِّحى وإباحة التبرج وهذا البلاء كله كانت مصر متشددة في لباسها وهيئتها أكثر من بلدان كثيرة، وكانوا يرون أنه لا يمكن للرجل أن يحلق لحيته أبداً، ويُدرِّسون في الأزهر هذه المناهج،

=أناس ويضحوا بأنفسهم، ولذلك لا تجد واحداً من قادة الجماعات ابنه مات في الجهاد! أو دخل هو في القتال أبداً!! حتى أبناء القيادة الفلسطينية الآن موجودون في العواصم الأوروبية، وقادة العمل الإسلامي الثوري كلهم لاجئون عند بريطانيا أو غيرها!! والذين يموتون هم المساكين المغفلون الضائعون الذين لا يفقهون.

حتى في حرب العراق الآن -حين عُدوان واحتلال أمريكا لها سنة ٢٠٠٣م- كل قادة البَعث والقادة الكبار وقادة الجهاد مُرتاحون! ولذلك انظر في العراق الآن لا تجد واحداً مِن قادة الإخوان المسلمين أو الصوفية قُتل! لكن فقط تَسمع خُطبهم وتحريضهم للناس!! ولذلك الأمة مقبورة، **ورأت في هؤلاء -الحركات الثورية- الأمل المخدوع**، وساعدها على ذلك وسائل الإعلام الأجنبية -والعربية الممولة من الكفار- والتي لا تتحرك عبثاً، وإنما تتعمَّد تأجيج الناس كي يتحرك الوقود] من محاضرة للشيخ بعنوان: (كيف نفهم الإسلام).

وكانوا يقررون كتب ذم البِدَع وغيرها، حتى دخل نابليون[(١)] فجاء بعض المشايخ ممن باع دينه إليه، فضاع الأزهر-، وهؤلاء لا شك قد أجرَموا في حقِّ الأمة؛ حتى وصلت إلى هذه المُيوعة التي تُشاهَد.

فنحن نعيش بين طَرَفين، بين مُيوعة في الأخلاق وفي السلوك وفي العبادات، -وقد تكون العقيدة صحيحة، وقد ناقشنا كثيراً جداً من هؤلاء العُصاةِ المُنحَلّين فوجدناه في العقيدة سليماً، بل إني وجدت كثيراً في البلدان التي ناقشنا فيها هؤلاء الذين لا يُصَلّون: أسْلَمُ عقيدةً من الذين حَوْلَ القبور-، ولكنهم انجَرَفوا وراءَ الشَّهَوات.

علاج كِلا الطَرفين

وعِلاجُ هؤلاءِ التَّشْمير في الدعوة، والأهم منه **شَنُّ الهجوم على هؤلاءِ المشايخ والمُفتين الذين مَيّعوا الإسلامَ فأضاعوا هُويته**، سواء كانوا بما يُسَمَّون «دعاة الإسلام المستنير» أو الذين «لا يَرُدّون يَدَ لامِس» يُفتون في كل شيء، وكل شيءٍ جائزٌ عندهم! فهؤلاء يجب أن يُكشَفوا، وأن يُبيَّنَ للناس أنهم لا يَحِقُّ لهم الفتيا، ونُرجع الناس دعوةً إلى الجادة.

(١) **نابليون بونابرت** (١٧٦٩ - ١٨٢١م) هو قائد عسكري فرنسي، اقترن اسمه بالشجاعة والنَّصر، أصغى لنذير (الاستشراق) بيقظة المسلمين التي أرَّقتهم، فيكون أوّل قائدٍ أوروبي يخترق قلب دار الإسلام من الشمال، ويَرُدَّ لفرنسا هيبتها التي ضاعت يوم طردتها بريطانيا من دار الإسلام في الهند، وفي أول شهر يوليو سنة ١٧٩٨م دخل الإسكندرية - **بحملته الصليبية الفرنسية** - فجأة بجحافله مُصطحباً معه العشرات من مستشرقيهم وعلمائهم، فدمرها، ودَخل بعدها القاهرة، وعين مجلساً شكليا (أسماه الديوان) لإدارة شؤون البلد، و(**تَدْجينُ**) **سِتَّة من أعيان مشايخ الأزهر** - بعد مشورة مستشاره الخاص المستشرق فانتور -، فمكث فيها (٧) شهور، ثم خرج وحاصر (عكّا) مدة (٣) شهور، فلما هُزم وفقد آلافاً من جنده، رجع إلى القاهرة، فاستَشفَّ أن أمر الحملة قد انتهى، رجع عائداً ليلاً خلسةً دون وداع إلى فرنسا في أغسطس ١٧٩٩م، وترك الأمر لخليفته (كليبر)، ثم جاء بعده (مينو)، ثم كان الجلاء الأخير وخروج فرنسا من مصر في يوم ٣١/ ٨/ ١٨٠١م. ينظر كتاب الأستاذ محمود شاكر (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص٩٠ إلى ص١٢٩).

وأما الآخرون فإن عِلاجهم هو العلاج الصعب -لأن علاج الأهواء أشدّ كثيراً من علاج المعاصي-، لأن هذا يحارب الدين الصحيح مُعتقِداً أنه يتقَرَّب إلى الله، ولذلك المُبتدع صعبٌ توبته، وأما العاصي فتوبته أسْهَل، هذان القِطاعان والتيَّاران هما -للأسف الشديد الآن- تكادُ الأمةُ تنقسمُ حولهما، وبقي بعد ذلك النَّهر العظيم؛ **طريقُ أهل السنة والجماعة**.

فعِلاج ذلك أن نوجِدَ في الأمّة عُلماء نحترمهم، ونربط الناس بالعلماء، فإنهم منارات الهدى، وثانياً نُقدِّم ما عندنا من خير -وهو لو عَلِمَ الحكام والمحكومون ما فيه من خير لَتَهافتوا عليه، ولكنه كما يقال «جوهرة أُعطِيَتْ لرجل ظنَّها حَجَراً يُلعبُ به»-، هذا المَنهج الذي وفَّقنا الله له، ورزقنا اتباعه، وهُدينا إليه؛ هو الذي فيه علاج الأمَّة، هو حَلُّها من الإنهيار الأخلاقي، وحَلُّها من الإرهاب والتطرف الموجود في دنيانا، فالإسلام قد حرَّم الغُلو (هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ)[(١)]، وحرَّم هذه المُيوعة والشَّهوات التي تُشاهَد في دنيا المسلمين.

إذاً الأمة بحاجة إلى عودةِ الثِّقة بمنهج السَّلف، ومنهج السلف محارَب، محارَبٌ من الإسلاميين[(٢)] بالدرجة الأولى، لأنهم يَعلَمون عِلم اليقين أنه لو تُرك الشباب والأمة من غير تيارات لكانوا سلفيين، فإنه نداء الفطرة التي فطر الله عز وجل الناس عليها، فلذلك اختَرَعوا العراقيل الكثيرة لمنع الناس عن أن يكونوا سلفيين، ومما زاد الأمر سوءاً أيضاً أن بعض الذين قد غَلوا وأخذوا بمنهج الخوارج؛ نَسَبوا أنفسهم إلى هذا المنهج زوراً وبهتاناً، فكان لهم أيضاً دورٌ في التَّشويه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٠).

(٢) **الإسلاميين**: تكرر هذا المصطلح كثيراً في كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومقصوده بحسب السياق -كما سَبَقَ وبيَّنا-؛ إمّا أنهم الذين يُنادون بتجديد الدّين وهم جماعة الفكر المستنير، أو الذين يَدعون لنهضة الأمة وعودة الإسلام شَكلاً لا مضموناً، ودونَ فهمٍ صحيحٍ للدين، ودون ربطه بفهم السلف الصالح.

٧ المحـــاضرة السـابعة:

مصادر التَّلَقّي والاستِدلال

المحاضرة السابعة

مصادر التَّلَقّي والاستِدلال

تعلمون بأن الأمة كلها مُجمِعة ظاهرياً على أن مصدر التلقي عندها: الكتاب والسُّنة، طبعاً الأصل في الأمة: أمة أهلِ السُّنة، أما الرافضة فَيَرَون أن السُّنّة غير السنّة التي نَعرف، فرجالهم غير رجالنا، فسُنّتهم غير سُنّتِنا تماماً.

السَّلف يُضيفون لذلك أمراً وهو: **ما كان عليه سلفُ الأمَّة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم.**

وهو الذي نختلف فيه عن غيرنا، فإذا اختلفتِ الأفهامُ في فهم النص؛ فإنّا نلتزِمُ بفهمِ ومنهج وطريقةِ السَّلف.

وضوح منهج السلف

نحن نعتقد بأن **منهج السلف ليس سِراً**، يعني ليس له -كما يُقال- رجالٌ مخصوصون فقط يفهمونه، كما هو منهج المتكلمين والفلاسفة لهم رجال مخصوصون فقط يفهمونه.

وأما منهج السلف ومذهبهم فهو مبثوث في الكتب ومشتهر وله رجاله وأعلامه، فهذه مَزيّة يمتاز بها هذا المنهج عن غيره من بقية المناهج.

العقيدة توقيفية

كذلك **نعتقد أن أمورَ العقيدة أمورٌ توقيفية**؛ لأنها غيب، وغيرنا يرى أن مجال الاجتهاد فيها وارد، وأنتم تعلمون أن الغيب لا يُدرَك إلا بالنَّص.

فالعقيدة ما تعتقده أنت في الله عز وجل وملائكته ورسله والبعث والجنة والنار، وهذه كلها غيبٌ بالنسبة لك، فأنت ما رأيتَ جنةً ولا رأيتَ ناراً، ولا رأيتَ الله تبارك وتعالى وعزَّ شأنه، ولا رأيت الملائكةَ الأبرار، ولا رأيت الرُّسل الكرام، فالرسل رآهم قومهم في وقتهم، وأما الملائكة والبعث والنشور فهذه كلها غيب.

ولذلك مدح الله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب، لأن من يؤمن بالغيب معناه أنه وصل مرحلةً من الإيمانِ عالية، جعلته يُصَدّق أن هناك شيئاً آخر.

لذلك جُعِلَت الصدقة برهاناً على صحَّةِ الإيمان وقوَّته ويقينه، لأن الإنسانَ عندما يُنفِق عشرةً من النقود يراها، مقابل شيءٍ موعودٍ به، فلو لم يَجزِم يقيناً بأن الموعودَ به أكثر من هذا بأضعاف؛ ما أنفق.

إذاً أمور العقيدة لا تَدخل تحت دائرة الإجتهاد، ولا تَدخل تحتَ دائرةِ الفلسفة أبداً، وإنما هي أمور توقيفية تُتَلقى من الصادق المصدوق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن ربه سبحانه وتعالى.

أما غيرنا اجتهدوا في العقيدة، فلما جاء ذِكر الميزان قالوا: لا يحتاج إلى الميزان إلا البَقّال! وقالوا: الله عز وجل يَعلم الأشياء فلماذا يوزن! فنفوا الميزان، ونفوا عذاب القبر، وقال العقلانيون: إن الإنسان يُحرق فيطير، أو يغرق في البحر ويتوزع جسده بين الأسماك، فكيف يعذب هذا؟! ونحن نعلم أن الله تعالى على كل شيء قدير.

من أين أُوتوا هذا الفهم؟ فهم ما أرادوا تكذيبَ النصوص، ولكن اجتهدوا بعقولهم في أمورٍ توقيفية، لا تُدرك بالعقل أبداً.

إذاً الخَلَف يتَّفقون معنا في أن مصدر التلقي عندهم الكتاب والسنة، لكن يختلفون في أنهم يَرُدّون الكتاب والسنة كما يشاؤون، فإذا جاءوا للأحاديث ردوها، وقالوا هذه أحاديث آحاد لا تثبت بها عقيدة! وإذا جاءوا للآيات ردوها مؤولين لها! فما الذي جَرَّهم إلى ذلك؟

ذلك بأنهم ما التزموا أن العقيدة أمْرُها توقيفي لا اجتهادَ فيها، لأنها أخبار، فلا تُنسخ أو تتغير. كما قال إمام السلف الزُّهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مِنَ الله عز وجل الرسالة، وعلى الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البلاغ، وعلينا التسليم) [(١)].

الله يُخبر أنه (استوى على العرش) ثم يأتي في وقت آخر ويقول أنه: ما استوى على العرش! لا يمكن، الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبر: أن الجنة فيها كذا وكذا، ثم يأتي بعد ذلك ويقول: ليس فيها كذا! صار هذا تكذيباً! فلا يمكن أبداً.

إذاً النسخ لا يدخل في الأخبار أبداً، وإنما يدخل في الفقه وفي المعاملات وفي أمور العبادات.

الله عز وجل فرض علينا أموراً، ثم لِحِكمةٍ منه جل وعلا تدرَّج فيها تخفيفاً أو تشديداً.

وكذلك الاجتهاد يدخل في العِبادات لا في التَّعبُّديات، والفرق بينهما:

أن العبادة قد تكون معقولة المعنى، وقد تكون غير معقولة المعنى، مثاله: قياس جواز الفطر للعامل عملاً شاقاً في نهار رمضان بالمسافر لأن

(١) أخرجه البخاري مُعلَّقا (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالاتِهِ﴾)، وصحيح ابن حبان (١٨٦).

العلة المشقة، فالصوم عبادة لكن هنا فيه شيء يقاس عليه.

ولأن القِياس إلحاق ما لا نَصَّ فيه إلى ما فيه نَص، لاتفاقهما في عِلَّة الحكم وهي المشقة هنا، فإذاً العبادة معقولة المعنى: يُجتهد فيها، لكن العبادة التَّعبّديّة المحضة غيرُ معقولة المعنى: لا يُجتهد فيها، فلا نأتي لهيئات الصلاة ونقول هذه الهيئة نَقيس عليها هيئة أخرى! فهذا أمر تعبدي محض، لماذا أمرنا الله أن نركع هكذا؟! ولماذا نسجد هكذا؟ ولماذا نُحرّك أصبعنا؟ ولماذا نضع أيدينا هنا ولا نضعها في موضع آخر، هذه أمور لا نعرف لماذا؟ وإنما أمرٌ تعبدنا الله سبحانه وتعالى به **فنحن نُسلِّم لربنا جل وعلا كما تعبَّدَنا**، وهذا مقتضى التسليم لله رب العالمين.

الله تعالى أخبرك أن يوم القيامة فيه ميزان، فإما أن تقول نعم هناك ميزان فتُصدِّق، أو تقول لا يوجد ميزان فتُكذِّب، ليس هناك أمر وسط.

الخلف قدّموا العقل على النقل

نعتقد أن السُّنة -كما تعلمون عند السلف- كل حديث صحيح ثَبت عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواء في العقيدة أو في الفِقه يُؤخذ عندنا، أما الخَلَف فقالوا: نأخذ الكتاب والسنة في العقيدة كمصدر للتلقي، **لكن لو خالفَ الكتابُ المعقولَ تَركناه!** المعقول هو عقلُ الشيخ وعقلُ الفيلسوف![1]

إذاً صار عقل هذا الفيلسوفِ مُتحكماً ومستدركاً على الله عز وجل!!

نحن نرى أنه **لا تعارض بين صريح المعقول وصحيح المنقول**، لكن نعتقد أن مَن أدخلَ عقله فيما لا يمكن للعقل أن يدخل فيه فقد ضيّع العقل، والعقل يحكم على الأشياء بظواهرها، ومقره القلب بعموم

(١) كتب الشيخ مقالة نُشرت سنة ١٩٧٩م بعنوان: (هل يُدرَك الدين بالعقل؟)، انظر المجموع (٤/ ١٣٨).

الأدلة، وأن الدماغ أو المخ هو عبارة عن مركز تجميع المعلومات وإرسالها إلى مركز اتخاذ القرار، لأن الله عز وجل أثبت للقلب الفهم والعقل والإدراك والبصيرة وكل شيء، ولم يثبت للمخ شيء أبداً.

فالمخ عبارة عن جهاز استقبال معلومات وتجميعها وإرسالها إلى مقر القرار وهو العَقل، فيحكم عن طريق المعلومات التي ترد للمخ برؤية أو شم أو ذوق أو سمع أو لمس، هذه الحواس الخمس، فلا يمكن لعاقل أن يحكم خارج هذه الدائرة أبداً.

فالعقلُ مجاله في الحكم المحسوس، فإذا جاء العقل ليتكلَّم عن كيف يُعذَّبُ الميّت في قبره يكون هذا جنوناً، لأنه لا يمكن أن يسمع ولا يبصر ولا يلمس.

إذاً العقل لا يستطيع أن يَحكم على ما لا يُمكن له أن يدخل فيه، ولذلك الذي يحترم عقله لا يدخل في هذه المتاهات.

فالسَّلَف يرون أنَّ مَن أدخل عقله في الاجتهاد في الغيبيات كان هذا مستعملاً العقل في ما لا مجال للعقل فيه، وبالتالي قالوا: (لا يختلف صريح المعقول مع صحيح المنقول) أبداً، لأن الخالق واحد والمخبر واحد[(١)].

يُخبِرُ الله عز وجل بأن له (يَداً)، وهو يقول: لا، (اليَدُ) هنا القدرة! الله عز وجل يقول ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، ويقول هو: لا، ما استوى وإنما استولى! لأنه يستحيل (عقلاً!) بأن يتصور أن الله عز وجل قد استوى على شيء! الله في السماء، قال: الله في كل مكان، السماء

---

(١) وقد بينَّ ذلك بياناً شافياً شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الكبير (درء تعارض العقل والنقل)، ويقول في الفتوى الحموية الكبرى (ص٢٧١): (واعلم أنه ليس في العقل الصريح ولا في النقل الصريح؛ ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلاً). ا.هـ

جُـرم فكيـف نقـول الله في الجـرم، لا يمكــن!

وجَهـل باللغـة العربيـة؛ أن السَّـماء قـد تُطلـق عـلى العُلـو الـذي نـراه، وقـد تطلـق عـلى العلـو المطلـق، طبعـاً هـم اسـتدلوا في دليـل فاسـد عندهـم، وهـو قولـه سـبحانه وتعـالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]، ومعلـوم أن كلمـة (إلـه) تعنـي معبـود، ولا تعنـي لفـظ الجلالـة الـذي هـو الاسـم العَلَـم عـلى الله سـبحانه وتعـالى، فمعنـى الآيـة أنـه سـبحانه وتعـالى معبـودٌ في السـماء ومعبـودٌ في الأرض.

إذاً أَعْمَلـوا في الكتـاب -القـرآن- التأويـل، والتأويـل عندنـا لا يجـوز إلا بقرينـة واضحـة. (١)

(١) للشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسـالة بعنـوان: (الرَّحمـن عـلى العـرش اسـتوى) وهـي مـن أوائـل مـا ألّفـه، طبعهـا سَـنة (١٣٩٦هــ - ١٩٧٦م)، في الـدار السـلفية بالكويـت.

ويقـول الإمـام ابـن القيـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًـا خطـورة التأويـل: (فأصـل خَـراب الديـن والدنيـا، إنـما هـو مـن التأويـل الـذي لم يـرده الله ورسـوله بكلامـه، ولا دل عليـه أنـه مُـراده، وهـل اختلفـت الأمـم عـلى أنبيائهـم إلا بالتأويـل؟! وهـل وقـدت في الأمـة فتنـة كبـيرة أو صغـيرة إلا بالتأويـل؟! وهـل أريقـت دماء المسـلمين في الفتـن إلا بالتأويـل؟! وليـس هـذا مختصًـا بديـن الإسـلام فقـط؛ بـل سـائر أديـان الرسـل لم تـزل عـلى الاسـتقامة والسـداد حتـى دخـل عليهـا التأويـل، فدخـل عليهـا مِـن الفسـاد مـا لا يعلمـه إلا رب العبـاد). إعـلام الموقعـين (٦/ ١٨٧) تحقيـق مشـهور حسـن.

سـائل يسـأل: السـلف يُمِـرون الصفـات كـما جـاءت، وبعـض النصـوص لا يثبتونهـا كـما هـي (يـد الله مـع الجماعـة) كيـف؟

فأجـاب الشـيخ: هـذا تلبيـس، السـلف يُثبتـون الصِّفـة في آيـات أخـرى، مثـلاً صفـة اليـد يثبتونهـا في (لِمَا خَلَقْـتُ بِيَـدَيَّ) [ص:٧٥] ولا يوجـد عـربي يقـول بقـدرتيّ! فالتثنيـة لا تـأتي للقـدرة أبـداً، الواحـد عنـده قـدرة واحـدة وليـس قدرتـين.

الأمـر الثـاني أن اليـد هنـا مُثبتـة بهـذا النـص، لكـن لمـا نـأتي إلى آيـة أخـرى مثـلا (بَـلْ يَـدَاهُ مَبْسُـوطَتَانِ) [المائـدة:٦٤] ويـأتي أحدهـم ويقـول أن هـذه تـدل عـلى الإنفـاق، فأنفـي الصفـة الأصليـة أن لله يـداً! لا، لكـن هـذه الآيـة تحمـل المعنيـين.

كذلـك العـين (وَلِتُصْنَـعَ عَـلَى عَيْنِـي) [طـه:٣٩] هـذه ثابتـة تثبـت فيهـا صفـة العـين، لكـن (تَجْـرِي بِأَعْيُنِنَـا) [القمـر:١٤] هـذا قـد يفهـم منهـا الرعايـة، **لكـن فهمُنـا للرعايـة لا يعنـي إلغاءنـا للصفـة التي**

ردّوا السُّنة ببدعة الآحاد

وأما في السُّنّة فردوا الأحاديث الآحاد، ولو جئت تنظر في صحيح البخاري لوجدت أحاديثه كلها آحاد إلا القليل، ولو جئت تجمع الأحاديث المتواترة[1] فهي إن بالغنا فثلاثمائة، وإن قلّلنا فخمسة وسبعين حديثاً، وفي العقائد لا أظنها تتجاوز العشرين، والباقي كلها في فضائل الأعمال وفي أمور أخرى من الترغيب والترهيب، فمعنى هذا أنه لا يوجد في السُّنّة عندهم نصّ يُعتمد عليه في العقائد إلا القليل! الشاهد: **أن السُّنة قد رَدّوها ببدعة حديث الآحاد!**

والأئمة الأولون في القرون المفضلة ما عُرف هذا القول عنهم، فكان كل ما ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنهم تَلَقّوه بالقَبول.

بل لا يعلم للقائل به -بعدم الأخذ به في العقيدة- إمام معتبر من أئمة السُّنة الكبار، بل لا يُعرف لهذه البدعة قائل معتبر، وإنما وجدت في كتب الفقه وفي كتب عقائد المتكلمين، ونقلت إلى الأمة وكأنها قضية مسلَّم فيها!! ولذلك للأسف الشديد تُدرَّس في الجامعات وفي دنيا المسلمين حالياً هذه العقيدة الفاسدة.

=**أخذناها من آية أخرى**، فآيات تفيدنا معنيين معنى إثبات الصفة وإضافة إليها العناية، وآيات تعطينا إثبات الصفة، وهكذا باقي النصوص، فلذلك هؤلاء الناس يظنون أن السلف أوّلوا أو أتوا بالمعنى الثاني، قالوا هم يؤوِّلون! مع إثباتهم لهذه الصفة في مواضع أخرى. **فليس كل التأويل ممنوع، وإنما التأويل الممنوع الذي لا يقوم على أساس.**

(١) **الحديث المتواتر**: ما رواه جَمْعٌ عن جمع من الرواة في كل طبقات السند (بحيث لا يقل عن الكثرة وبعضهم عينه في الأربعة وأكثر)، أحالت العادة تواطؤَهم أو توافُقَهم على الكذب، وكان مستند انتهائهم الحس (مثل الرؤية أو السماع)، ما يُفيد العلمَ لسامعه. أما **حديث الآحاد**: ما فَقَد شَرطاً من شروط المتواتر، أو لم يبلغ حد التواتر. ينظر كتاب (نزهة النظر لابن حجر ص٣٧). ومن الكتب التي جَمَعت الأحاديث المتواترة: (نظم المتناثر من الحديث المتواتر) للكتّاني، و(الفوائد المتكاثرة في الأخبار المتواترة) للسُّيوطي، وغيرها.

وحديث الآحاد بإثباته تثبت قضايا في العقيدة، لأن الفقه لا يثبت إلا ويثبت مع عقيدة.

مثاله: عندما تقول أن الخمر (ما أَسْكرَ كثيرهُ؛ فقليله حرام) هذا حكم فقهي ثابت بحديث آحاد، لكن هذا ثبتت به عقيدة، فلو أن رجلاً جاء وشرب الخمر وهو يعتقد أنها حرام، لا شك أنه أخف جرماً ممن امتنع عنها وهو يعتقد أنها حلال، **فاعتقاده بالحِلِّ والحُرمة عقيدة.** ولكن الشيطان لبّس عليهم، ودارت هذه المسألة ورُد بها حديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ[١].

قال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُٱللَّهُ: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم»[٢]. لأنه لا بُدّ للأمر نهاية فلتكن نهايته أنك على طريق مستقيم.

الفرق بين السلف والخلف

إذاً خلاصة ذلك أن السلف مصدرهم الكتاب والسنة الصحيحة ويسلمون للنص ويؤمنون به، والخَلَف مصدرهم ظاهراً الكتاب ويؤولونه والسنة ويردونها إلا المتواتر، ويفهمونه كما يفهمه مشايخهم لا كما يفهمه السلف رضوان الله عليهم، فكان بهذا التمايز.

فنَحنُ عندنا: كتاب وسنة وفهم سلف، وهم عندهم: كتاب مؤوَّل، وسنةٌ مردودة، وأفهام مفتوحة.

---

(١) للشيخ ناصر الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ رسالة جميلة في أن (الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام) طبعت قديما وموجودة، وهي مِن أحسنِ ما كُتب في هذا البحث، وله رسالة مثلها اسمها (وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة). (ش)

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (١٢٧).

يقولون كيف تربطوننا بالسلف والصحابة اختلفوا؟

ويدندن كثير من دعاة البدع في عصرنا هذا بقصة (لا يصلين أحدٌ الظهر إلا في بني قريظة..)[١]، الصحابة لا شك اختلفوا، وهذا أمر معروف لا خلاف عليه، ولكن معظم اختلاف الصحابة كان في الفروع[٢]، ولم يختلفوا في أصل من أصول الإسلام والعقائد، وما اختلفوا في قضية منهجية واضحة، وإنما الذي جرى الاختلاف فيه كان في **مسائل جزئية في العقائد وهو قليل، أو في مسائل فروع الفقه.**

جُل الصحابة لم يشاركوا بالفتنة

ذلك لأنهم كانوا مُعتَصِمين بحبل الله عز وجل الذي هو الكتاب والسنة، ومصدر التلقي عندهم محدود واضح، والخلاف جرى لطبيعة البشرية، وانظر ما رواه الإمام أحمد وغيره ويعدونه سَنَداً غايةً في الصحة والجمال، أن ابن سيرين قال: (**هاجت الفتنة التي بين الصحابة، وأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشرة آلاف، فما حَضَر منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين**)[٣].

هذا الكلام معناه أن الصحابة على كثرتهم لمّا جرت هذه الفتن وخاصة في أيام مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما جرى فيها من مشاكل؛ لم يخالطوها، فحَسَموا أمرهم، جرى بينهم خلافٌ بسيط في السقيفة فحَسَموه

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠).

(٢) لعل وروده -وهو مصطلح تقسيم الدين إلى أصول وفروع - في بعض كلام الأولين أن هذا من فروع الدين وكذا، لا يريدون به أنه أقل أهمية كما يفهم البعض الآن، أما المتأخرون فقسموا الدين إلى لباب وقشور وإلى أصول وفروع، والمعنى الذي يريدونه قالوا: أن الخلاف في الفروع جائز لا حرج فيه، المهم أننا لا نختلف في الأصول! هذا كله كلام ليس له أصل ولا يجوز، فلفظة الفروع عند الأولين تختلف عن لفظة الفروع عند الآخرين. (ش)

(٣) أخرجه أبوبكر الخلال في السُّنة (٧٢٧). وينظر للاستزادة كتاب (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدِّثين) د. محمد أمْحَزون (يقع في مجلَّدين).

بسرعة، وجرى خلافٌ في ميراث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحَسَموه بسرعة، لأن أصل التلقي عندهم واضح.

سبب خلاف الصحابة

أما القِتال الذي حصل بينهم **فليس عن مسألة عَقَدية**، فما حَصَل بين عَلي ومُعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان بسبب بعض المناوشين[١]، فلم يتَقاتَلوا في: هل الله في السماء، أو في كل مكان؟! كلهم مُجمِعون على قضية واحدة في العقائد، بخلاف قِتالِهم مع الخوارج، كان قتالاً عقائدياً، فَفَرقٌ بين قتال الصحابة بعضهم مع بعض، وبين قتال الصحابة مع الخوارج.

واختلافُهم ناتجٌ عن الآثار، إما لسَماعِ بعضهم شيئاً دون الآخر، أو لأن الحديث ما بَلَغ بعضهم، أو لأنهم اجتهدوا في تفسير كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[٢]

فخِلاف الصَّحابة والتابعين مَبني على الآثار، فما أوجَدَ فُرقةً واختلافاً وتناحراً، أما خلاف الخَلَف فلأنه مبني على آراء وأهواء أوجد فُرقةً واختلافاً وتناحراً.

فالصَّحابة بَشَرٌ يَختلِفون، ولكن من فضل الله عز وجل أن الخلافات التي جَرَت بينهم خلافات عمليّة في الغالب، وأما خلافات أصوليّة أو مَنهجية فما وُجِدت بينهم، ولذلك **ما استطاع أهل البِدع أن يأتوا لهم بقول عن صحابي أو تابعي مُعتبرٍ كبير أبداً**، وإنما وَجدوا بُغيتهم وحاجتهم في الأقاليم وفي المسلمين الجُدد، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى ومِنّته.

---

(١) راجع للاستزادة كتاب (العواصم من القواصم) لابن العربي المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ، وكتاب (حقبة من التاريخ) د. عثمان الخميس.

(٢) وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (رفع الملام) أسباب وأعذار هذا الخلاف الصادر من السلف والأئمة، في عشرة أسباب، نقلناها مُلخَّصة في أول الكتاب.

لذلك حتى يُنجي الإنسانُ نفسَهُ فلا يَغترّ بكثرة الكلام، **لا بُدّ له أن يَعرفَ من أين يأخذُ علمه العقائدي**، ولذلك أن «من نعمة الله على الحَدَث والأعجمي أن يوفَّقُ إلى صاحب سُنَّة»[(١)]، وسبب ضلال الناس أنهم لا يَتلَقّون العِلم والعقيدة من مصدرها الصَّحيح، وإنما يتلقونها إما من ذي شُبهة، وإما من ذي هَوى، فعند ذلك يَنحرفون عن الجادة، فمن أراد العصمة فعليه كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وحبلُ الله: كتابه، بأن نلجأ إلى فهم من سَلك درب السلف رضوان الله عليهم ونتمسك به، **ولو أن الحركات الإسلامية والمشايخ والناس اتجهوا إلى توحيد مصدرِ التلقي، وانضبط الأمر عندهم؛ لنجوا وأراحوا وارتاحوا**، ولكنهم للأسف الشديد اختلطت عندهم مصادر التلقي فكانت النتيجة: إفرازات بكثرة اختلاف مصادر التلقي.

---

(١) رُوي عن عبدالله بن شوذب الخراساني وعن أيوب السختياني، أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد (٣٠، ٣١)، وابن بطة العكبري في الإبانة الكبرى (٤٣).

٨

المحـــــاضرة الثـــــامنة:

مَعالِمٌ في الفِرقة النَّاجِية

المحاضرة الثامنة

مَعالِمٌ في الفِرقة النَّاجِية

أنواع الظهور

ذكرنا فيما سبق أن الرَّكيزة التي يرتكز عليها معنى الفرقة الناجية هما: حديث الافتراق، وحديث الطائفة المنصورة[(١)]، والطائفة الناجية المَنصورة هي التي بيّن النبي ﷺ أنها ظاهرة، والظُّهور قد يكون **ظهورَ قوة**؛ كما كان في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، عهد دولة الخلفاء الراشدين، ثم في عهد بني أمية، فكان الحقُّ ظاهراً ظُهور قوة مع ظهور حجة، وكان أهل البدع قِلّة ضائعة خائفة متوجسة، ثم دارت الدُّنيا فأصبح ظهور أهل السنة **ظهور حُجَّة وبَيان**، وإن كانت الدولة عند غيرهم كما حصل في منتصف دولة بني العباس، ثم ما جرى بعد ذلك في دول المماليك، وسارت في الدنيا، حتى جاءت في دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فعادت مرةً ثانية ظهور القوة مع ظهور الحُجَّة والبيان.

فإذاً هذه الطائفة موجودة في الدنيا ظاهرة بيّنة لا يضرها أحد أبداً، وهذا الظهور والبيان في جميع أقطار الدنيا، فلا يخلو منها عصر ولا مِصر مطلقاً، لأنه لو خلا منها زمان لخلا ذلك الزمان من الحق، وهذا لا يُمكن، لكنها قد تكون قليلة في بلد، كثيرة في بلدٍ آخر، وقد تكون

(١) كما تَقدَّم ذِكره في «المحاضرة الثالثة».

ظاهـرةً بالقـوة والحجـة في بلـد، وظاهـرة حجـة وضعيفـة في بلـد آخـر.

لأن الإنسـان في أي وقـت مـن الأوقـات يريـد رايـة يعـرف أنها رايـة أهـل الحـق، ومـن يتتبـع التاريـخ في جميـع مراحلـه يظهـر لـه ظهـوراً واضحـاً بيِّنـاً أن علـماء الأمـة وأتبـاع السـلف كانـوا يُعرَفـون، وكان لهـم المرجعيـة، بمعنـى أن النـاس يعلمـون أن هـؤلاء أتبـاع السُّـنة، فأحيانـاً يُسـمُّونهم بالسُّـنِّيين، وأحيانـاً يُسـمّونهم بأهـلِ الحديـث، وأحيانـاً يسـمونهم بالسـلفيين، وأحيانـاً ينبزونهـم بالوهابيـة[١]، فـما مِـنْ بلـد إن جئـت تَسـأَلُ عـن صاحـب السُّـنة إلا ودَلّـوك عليـه، وهـذا شـاهدناه حتـى في بحثنـا في مخلفـات الاتحـاد السـوفيتي، إذا جئنـا إلى البـلاد نَسْـأَل عـن التوحيـد، قالـوا: نعـم عندنـا وهّابيـين فـلان وفـلان وفـلان، ونَراهـم بفضـل الله عـز وجـل حقيقـةً عـلى مـا كان عليـه أهـل هـذه الدعـوة، فـإذاً هـذه الطائفـة الناجيـة المنصـورة موجـودة في الدنيـا، قـوةً وضعفـاً، وكثـرةً وقلّـة.

وممّـا ذَكرنـاه أيضـاً بأنـه ليـس معنـى ذلـك ألا يعـذّب أحـد مـن هـذه الطائفـة في النـار أبـداً، بـل إنهـم يعاقبـون في النـار لمعـاصٍ وَقعـوا بهـا، وهـذا قـد يحصـل في جميـع عصـور الإسـلام، **فهـم ليسـوا بمعصومـين مـن الوقـوع في الخطـأ مطلقـاً، ولكنّهـم معصومـون أن يقعـوا في الضـلال.**

إذاً نُفـرّق بـين معصيـة الضـلال ومعصيـة الشـهوة، فـإن أتبـاع هـذا المنهـج

(١) نسـبةً لأتبـاع الشـيخ محمـد بـن عبدالوهـاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وينظـر للتّوسّـع كتـاب (إسـلامية لا وهابيـة) د.نـاصر العقـل، حيـث بـين سـبب هـذه التسـمية، وحـال منطقـة نَجـدٍ قبـل هـذه الدعـوة، والبواعـث التـي قامـت مـن أجلهـا، وردَّ الشُّـبهات والمزاعـم والاتهامـات حولهـا، وآثارهـا، وأقـوال المنصفـين فيهـا، وينظـر أيضـاً كتـاب (تصحيـح خطـأ تاريخـي) د. محمـد الشـويعر، حيـث بـين الخَلْـطَ بينهـا وبـين الفِرقـة الإباضيـة الخارجيـة التـي انتـشرت في الشـمال الإفريقـي عـلى يـد عبـدالله بـن وهـب الراسـبي، ويُطلقـون عليهـا (الوهبيـة) أو (الراسـبية)، ثـم ردَّ عـلى شُـبهات الخصـوم، ورسـائل الشـيخ إلى الأمصار التـي يُبـين فيهـا مذهبـه وطريقتـه، وأنـه عـلى طريقـة السـلف، ولم يـأتِ بجديـد.

قد يقعون لبشريتهم في أخطاء الشهوات، وأخطاء الشهوات معروفة، ولكنّه يمتنع أن يقعوا في أخطاء الشبهات والأهواء، فأصحاب هذا المنهج ظاهرون واضِحون بيِّنون، سالكون الدرب من ناحية صِحة المعتقد وسلامة المنهج، ولكن في ناحية الشهوات وما يعتري البشر، من ضعف في التديّن والقوة، فَهُم يعتريهم ما يعتري غيرهم من الناس.

متى يُخرج المرء من السلفية

فإذاً كون هذه الطائفة ناجية، وظاهرة، ومنصورة، وبيِّنة، وعلى ما أنا عليه وأصحابي، لا يعني أنّها لا تقع في خطإ الشهوات، وأما الشبهات فالمنهج عصمها منه، **فلذلك من وقع في خطأ الشهوات لا يُخرَج من السَّلفية**، أو من منهج أهل الحديث، ومن وقع في الشُّبهة فهو إمّا أن يكون ناتج تقصيرٍ وقلّة فَهم وهذا يُعذر، مع أن فِعله مردود، وإما أن يَقع ناتج منهجٍ، فهذا خارجٌ منهج أهل السنة والجماعة سلف الأمة رضوان الله عليهم.(١)

(١) [لماذا علماء الأمة كابن تيمية ومن قبله ومن بعده ما أخرجوا ابن حزم، وما أخرجوا النووي، وما أخرجوا ابن حجر، من إطار أهل السنة والجماعة -وإن كان في ابن حزم كلام-، وأخرجوا الرازي وأخرجوا ابن سينا وأخرجوا الزمخشري وغيرهم من الإطار، ما الفرق؟ ابن حزم عنده شطحات في العقيدة، والنووي عنده شطحات وابن حجر عنده، لكن هؤلاء منهجهم في الاستدلال منهج أهل السنة والجماعة، فأخطاؤهم ليست أخطاءً منهجية، وإنما أخطاء مسائل، وأولئك أخطاؤهم أخطاء منهجية، لأن منهج الاستدلال عندهم فاسد، استدلالهم معتزلي فاسد.

فالأصل في فهمنا وطريقتنا هو طريقة الاستدلال والفهم، وإلا فالمرؤ قد تكون عنده شطحة أو شطحتين، أو عنده خمس، **ولكن إذا كان أصل الاستدلال عنده سُنّي، فهذا من أهل السنة والجماعة**] من محاضرة للشيخ بعنوان: (مَن هُم السلفيون).

وسائل يقول: [هل كل من قال أنا سَلَفِيّ فهو سَلَفِي؟ وما الضابط في خروج الإنسان من السَّلَفِيّة؟

أولاً: مثل من قال: أنا مسلم، وليس بمسلم، كما قال ربنا جلَّ وعلا: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]، وقبل عشرين سنة ما يقول أحد سلفي إلا السلفي حقيقة، أما الآن فكثيرون يقولون: السلفية العلمية، ثم لحقتها السلفية الجهادية، ثم التنظيرية أو الثورية،

إذاً الافتراق الذي أخبر عنه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث المشهور **لا يدخل فيه الجانب التعبدي، وإنما البحث في الجانب العقائدي المنهجي،** ولذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربط الافتراق في التشابه مع اليهود والنصارى، وهذه الأمة افترقت بخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مِن عِلم الغيب الذي أطلعه الله سبحانه وتعالى عليه.

=ما تنتهي، ونحن نقول هذه السلفيات وإن ادعاها أصحابها فليست من السلفية، لأنه يخرجهم قيد فهم الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، لكن متى يَخرج الشخص من السلفية إذا خالَف أصلها الثالث، لأنه ممكن يأخذ الكتاب أو السنة ويفهمها على ما يُريد، لكن هذا الأصل الثالث وهو فهم الصحابة لهما إذا انحرف عنه؛ خَرَجَ مِنَ السَّلَفِيّة كائناً من كان.

وقال في سؤال آخر: إذا رأيت الرَّجل يقولُ بأشياء مخالفةٍ للسُّنة، فهل هي كافية لإخراجه مِنَ السلفية؟ ومَن الذي يُخرِجُه؟

أولاً في هذه المسألة لا بُدّ أن ننظر في كلامه، هل يقول بما يخالف السلفية منهجاً، أم أنه أخطأ في مسألة أو مسألتين، يعني مرَّ عليه حديثٌ فقال: أظن أن هذا الحديث ضعيف، أو هذا الحديث لا يدُل على هذه المسألة، فهذا ما يعد ناكِراً للسُّنة، وراداً لها، أما إذا كان منهج الاستدلال عنده وطريقته في الطَّرح مُخالفةً لمنهج السلف، فهذا ليس بسلفي.

مَن يُخرجه؟ يُخرجه العلماء، أهل منهج السلف، وليس لازماً أن يَصدُرَ فيه قرار من هيئة كبار العلماء، وإنما لو قامَ عالمٌ سلفي مُجتهد، وردَّ على هؤلاء رداً علمياً فهذا كافٍ، ولكن لا بُدّ أن يكون هذا الرَادّ مشهوداً له من العلماء، وليس لديه شَطَحات، يعني ليس عنده تشدُّدٌ، وليس عنده تساهُلٌ، لأنه الآن بعض إخواننا عندهم تشدد فيُخرجون الرَّجُلَ من السلفية للهواء -أي بغير سببٍ صحيح-، أما إذا كان الرجل معروفاً عند العلماء بسلفيته، وكَتَبَ عن فلانٍ كلاماً، أو ردَّ عليه فهذا كافٍ لإخراجه، يعني لو كتب الشيخ عبدالمحسن العباد أو صالح الفوزان فهذا يكفي.

والسلفية كالمدينة تنفي خبثها، يعني لو كان في الشخص بلاء، قد يستتر بواحدة أو يُجامِلُ في اثنتين أو ثلاث ولكن لا بُدّ وأن يُخرِجَ ما عنده، ما يستطيع، فيمكن أن يخدعني بواحدة أو يخدع فلاناً بأخرى، ولكن كما أخبر الله تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد:٣٠].

ولكن ما ينبغي أن نجعلَ من بعض إخواننا طلاب العلم حَكَماً على الناس، **يجب أن نجعل الأمر للعلماء الكبار**، حتى نحفظَ لهذه السلفية ميزانها، وأن تكون هي بالفعل عُدول الناس وحَكَماً بينهم]. من (أسئلة منوعة من رحلة القرين) كانت بتاريخ ١٧ رجب ١٤٣٠هـ الموافق ٩/ ٧/ ٢٠٠٩م.

نعلم يقيناً بأن وحدة الأمة لازمة، ويجب أن نسعى إليها، وأنّ التفرق ضلال وانحراف وضعف، ولذلك الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

فكوننا نُردّد دائماً حديث الافتراق، لا يعني أننا نُشجّع الافتراق والخلاف والفُرقة، هذا لا يفهم أبداً، وإنما نُحارب الفُرقة والاختلاف، **ونرى بأن التجميع واجب**، وأنّ يد الله مع الجماعة.

ونرى أنّ الفُرقة تؤدي إلى ضياع هذه الأمة ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦].

التجميع مطلوب لكن على الحق

لكن نَرى -كما يرى عُلماؤنا- **بأنّ التَّجمُّع يكون على القواعد الصحيحة**، هذا الذي نُدَندن عليه ليلاً ونهاراً، والذي نفهمه من حديث الافتراق بأنه أمرٌ قدريٌّ كائن لا نستطيع أن نُوقِفَه، لكننا نستطيع أن نجمع الأمة العدد الأكبر والسواد الأعظم على الجادة.

ولذلك -وهذه مهمة-؛ كثيرٌ من إخواننا يظنّون أن الكثرة على الحق غير مطلوبة وغير مرغوبة، ويَفهمون النصوص الأخرى خطأً، صحيح أنّ غالبية من في الأرض ضالين، وصحيح أنّ الكثرة ليست دليلاً أنّها على الحق، لكن ليس معنى هذا أننا لا نبحث عن الكثرة، فلا بُدّ أن نفهم هذا الأمر، **فالتجميع والتكثير لأهل الحق لازم**، وهذا الذي سَعى إليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجتهد عليه، وإلّا لو كان لا يُريد هذا لَما سَعى لفتح الدُّنيا.

الكثرة ليست دلالة على الحق

فإذاً هناك فرقٌ بين ما يعتقده الناس وهو أنّ الحق يكون مع الكثرة، وهذا اعتقاد خاطئ، فالحق قد يكون مع الواحد، وبين أن نسعى إلى

التكثير، بل إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب التكاثر[١]، ويجب أن نكون أكثر من غيرنا[٢]، وكان يتفاخر بأنّ أمته ستكون أكثر الأمم من حيث المهتدين.

معنى الخيرية

هذه الأمة أُمّة خيرية، يعني أن الله عز وجل اختارها بأن تكون أحسن الأمم، والذي يظهر لي من غير عصبية، أن **المراد بذلك هم المهتدون على التوحيد**، هم الذي أُعطوا الأفضلية، وإلاّ فما الفرق بين الرافضي وبين الصوفي؟ لا فَرقْ، كِلاهُما يدور حول القُبور، لذلك لمّا ذكر البخاري الحديث الصحيح في قصة نوح عليه السلام عندما طلب منه أن يشهد له قومه، قالوا ما بَلَغنا شيء، فيقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فتُدعَون فتشهدون له)[٣]، أي تشهدون أنتم لنوح أنّه بلّغ أمته، وهذه الفضيلة لهذه الأمة لا يمكن أن تُعطى لرافضي أو لخُرافي، وإنما هذه الفضيلة لمن سار على درب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلك المعتقد الصحيح.

فإذاً علينا **أن نعتقد أن خيرية هذه الأمة لمن سار على العقيدة الصحيحة**، وإن قَصّر في جانب الشهوات، وأمّا أن نعتقد أنّ هذه الخيرية يشترك فيها: الذي يعتقد بأنّ الله في كُل مكان! ومن يعتقد أن الكلب والخنزير إله! والذي يعتقد أن زوج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زانية! والذي يعتقد

---

(١) كما في حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تزوّجوا الوَدود الولود، فإني مُكاثر بكم الأمم) أخرجه أبو داود (٢٠٥٠).

(٢) كما قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا: نعم، فقال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ فقلنا: نعم، فقال: أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا **نصف أهل الجنة**، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا **كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود** أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر) أخرجه البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢١). **وكتب الشيخ مقالةً قديمة** سنة ١٩٧٩م بعنوان: (اعرف الحق تعرف أهله) عن مفهوم الكثرة وأنها ليست دليلاً على الحق، وذكر أمثلة واقعية عليها، انظر المجموع (٤/ ١٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٨٧)، وأحمد (١١٢٨٣).

أن أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كانا عندهما أصنام، فيكفتون في الصلاة حتى لا يقع الصَّنَم! ومن يُسأل عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة الكرام فيقول هم شَرّ الناس! هذه صفةٌ أسوأ من صفةِ اليهود والنصارى، ولذلك لّما قيل لابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ عن فلان من الناس كان نصرانياً فتَرَفَّضَ، قال: خَرج من زاوية من النار، ودخل في أخرى.[1] فأي خيرية هذه!

فالخيرية التي نعني هي خيرية المنهج، وخيرية العقيدة الصحيحة، وعليها يُفهم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي دينكم هذا وعقيدتكم ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢].

فإذا كانت هذه الأمة دينها أديان وهي شتات، لم تتحقق لها هذه الفضيلة التي يقول الله عز وجل فيها: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ نسمع من الوعّاظ هذه الآية لكن لو أكملها: ﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، أي أن هذه الخيرية أُعطيت لكم لأنكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر.

صحيح أننا لا نُكفّر إلاّ من وقع بالكفر -بشروطه المعروفة-، ولكن نقول هذه الفضائل التي أُعطيت لهذه الأمة لا تنصرف إلّا على ما كان عليه النبي وأصحابه، ويجب أن يَعرف الناس هذا حتّى يتعلّقوا بالفضيلة.

تجنب غش الناس

فلماذا نقول للنّاس كلكم على خير! وإذا لَقوا الله عز وجل وَجَدوا الأمر خِلاف ذلك!! يُمسكون بتلابيبك ويقولون: غَشَشتنا، لماذا لم تخبرنا أنّ الناس طبقات عند الله، وأن هناك موحّدين وهناك مُشركين، ماذا تقول لهم؟

(١) ينظر كتاب الفَصل في الملل والنحل (٢/ ٢١٣)، والإحكام لإبن حزم (١/ ٩٦).

تقول: والله نُريد أن نجمعكم! ما ينفع هذا الكلام، تقول: والله أرَدْنا أن نُحارب بكم الفرس والروم! لا ينفع هذا، لأنه يومئذٍ كُلٌّ يقول: نفسي نفسي.

فلا بُدّ -يا إخواني- أن نَعلم أننا لا ينبغي أن نغش الناس، وشر الناس من غش الناس.

نحن نُلقي الخُطب على الذي يغش في الطعام، ونرى أنه غاشٌّ للمسلمين وليس عنده أخلاق وقيم، ثم بعد ذلك نَغش الناس في دينهم وعقيدتهم! وما يدخلون به الجنة أو النار وما نعد هذا غشاً! لا والله، **هذا أشدّ من غشِّ اللبن والطعام، هذا غشٌّ عظيم**، بل هذا خِلافَ قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١]، خلافُ الولاية.

لذلك يجب أن نقول للناس: الأمر ليس بهزلٍ، والأمر ليس فُرجة، وإنما هناك جادّة، وطائفة ناجية تعلّقت بها فاعرفوها، هناك أناس فائزون عند الله عز وجل اعرفوهم.

ولذلك في المجتمعات التي تظهر فيها العقيدة الصافية ترى الناس يبحثون عنها، ويحرصون ألا يقعوا في الشِّرك، وأمّا إذا اختلطت الأوراق -كما هي مُختلِطة في كثيرٍ من المجتمعات- عند ذلك لا يُصبح للعقيدة اهتمام، فعند ذلك يصير كما قال قائلهم في بلاد الأفغان: في ثلاث دقائق نعلِّمُهم التوحيد!!.

وهناك **قاعدة: إذا رأيت السُّني مع أهل البدع في صُحبة ومدحٍ وثناء، فاعلم أن البَلاء في السُّني وليس فيهم.**

فإذاً نقصد بالخيرية هي لمن سَلِم مُعتقدهُ وَصَحَّ منهجهُ وسار على

درب الصحابة رضوان الله عليهم، يَقلّ أو يكثر في الدنيا لا يعنينا ذلك في شيء، وإنما الذي يعنينا أن هذا هو المقصود بالخيرية التي مُنحت بها هذه الأمة، وهم الذين سَيَشهَدون على الناس بقوله ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة:١٤٣].

لكن هؤلاء الناس الذين جعلهم الله عز وجل وَسَطاً، ليسوا قبوريين، ولا ممن يَسُبُّ الصحابة رضوان الله عليهم، ويَطعَنُ في شَرَفِ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، هؤلاء الذين يقول الله عز وجل ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١﴾ [النساء:٤١].

هؤلاء الناس هم الموحِّدون، فالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يشهد على أتباع الأمم والموحدون يشهدون، وأمّا المفسدون في الأرض -وإن بقوا في دائرة الإسلام العام- فليسوا من هؤلاء الطائفة المفضلة عند الله عز وجل الناجية المنصورة أبداً.

٩

المحاضرة التاسعة:

مَزِيَّة اعتقاد السَّلف

المحاضرة التاسعة

مَزِيَّة اعتقاد السَّلف

أهل السُّنة -سلف الأمة من الصحابة والتابعين- **امتازت عقيدتهم بالثَّبات والوضوح**، وهذه الصفة لا تجدها في بقية العقائد أبداً، وتُعطي صفة **إضفاء الجانب التَّعبُّدي** على الحُكم، بخلاف العقائد الأخرى عبارة عن مباحث نظرية، وهذه الصفة هي مزية منهج السلف، حتى في الفقه، والذي يدرس الحكم على أنه حرام فقط أو أنه واجب فقط؛ يختلف تماماً عن الذي يدرسه مربوطاً بتخويف من الله عز وجل إن فعل ذلك، ومربوط بإغراء وترغيب إن هو فَعَلَ الخير.

الوضوح والبساطة

الفقه في الكتاب والسنة فقه ترغيب وترهيب، الفقه في الدراسة النظرية الجامدة عبارة عن أحكام خالية من هذه المزية التي يمتاز بها فقه الكتاب والسنة، كذلك عندما تُدرس العقيدة عند الأشاعرة وعند المعتزلة تراها عبارة عن كلام مُركّب ومُعقّد ومُفلسَف، لكن العقيدة عن السَّلف تجدها آيات وأحاديث وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم، إذاً **العقيدة السلفية صفتها اليُسر والوضوح**.

هذا مصداق ما ذكر ربنا جل وعلا عندما قال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧] وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤] إذاً المزية الأساسية لهذه العقيدة

-عقيـدة السـلف- أنهـا نصـوص واضِحـة سَـهلة الفَهـم.[(١)]

(١) [نُـدرك أن الله عـز وجـل عندمـا يقـول: ﴿وَلَقَـدْ يَسَّرْنَـا الْقُـرْآنَ لِلذِّكْـرِ فَهَـلْ مِـنْ مُدَّكِـرٍ﴾ [القمـر:١٧] يكـون لـكل النـاس، للمفكـر الكبـير وللعامـي، لأن هـذا العامـي صـار عنـده ديـن ثابـت لا يخضـع للبشـر ولا للرجـال، وإذا أُغلِـق عليـه الفهـم: ينظـر إلى فَهْـمِ الأولـين، يعنـي كـما يفعـل أهـل القوانـين والدسـاتير -في لغـة أهـل العـصر- يُخرجـوا نَصّـاً (مـادة) وبعدهـا يُخرجـوا (مذكـرة تفسـيرية) لهـا، لمـاذا؟ كـي لا تفسِّرهـا النـاس كـما شـاءوا، فهـم حريصـون عـلى ألا يحصـل سـوء فهـم لكلامهـم، وهـؤلاء البـشر -عـلى ضَعـف عقولهـم- أرادوا أن يصونـوا كلامهـم مـن الفهـم الخطـأ، فهـل رب العالمـين يرمـي الـكلام هكـذا ويتركنـا نفهـم كـما نشـاء! مـن غـير أن يُفسِّره أو يوضـع لـه توضيـح؟! حاشـا الله أن يكـون هـذا، **فكانـت أقـوال الصحابـة هـي التفسـير والتوضيـح**، ولذلـك يقـول الله تعـالى: ﴿فَـإِنْ آمَنُـوا بِمِثْـلِ مَـا آمَنْتُـمْ بِـهِ فَقَـدِ اهْتَـدَوْا﴾ [البقـرة:١٣٧]، هـذا هـو المعيـار، **هـذا اليسر لـو فهمتـه الدعـوات والجماعـات الموجـودة الآن لارتاحـوا وأراحـوا**، ولصـار البحـث والتطويـر لا في تغيـير معـالم الديـن وأحكامـه وأنظمتـه، وإنـما في تطويـر الوسـائل، وعنـد ذلـك نقـول لا مُشَـاحَّة في الاصطـلاح، فليفعلـوا مـا شـاءوا في هـذه الوسـائل.

فلا بُـدّ لـكل إنسـان يريـد أن يتصـدى للدعـوة إلى الله عـز وجـل أن يُـدرك إدراكاً قطعيـاً أنهـا ليسـت لعِبـاً، وأن هـذا الأمـر أمـر عظيـم، فلذلـك صانـه الله عـز وجـل مـن عبـث البـشر ومـن اجتهـادات المفكريـن المعاصريـن، ومـن ترهاتهـم وآراءهـم.

وهنـا قضيـة: هـل الحـق ظاهـر يسـتطيع كل واحـد أن يتوصـل إليـه، وبالتـالي تقـوم حجـة الله عـلى عبـاده، أم يكـون هـذا الحـق معقـداً وطلاسـم، ولا يسـتطيع كل واحـد أن يتوصـل إليـه؟ فـإذا قلنـا بالاحتـمال الثـاني؛ فكأننـا نقـول أن الله عـز وجـل كلـف النـاس مـا لا يطيقـون! فليـس كل واحـد يسـتطيع أن يفهـم (رسـائل إخـوان الصفـا)، أو عقيـدة (المعتزلـة) وأفكارهـا وكلامهـا، وليـس كل واحـد مـن العـوام يسـتطيع أن يفعـل كـما قـال المفكـرون: أن الإيـمان ليـس فيـه تقليـد فهـم يـرون أنـك لا بُـدّ أن تشـك أولاً بوجـود الله، ثـم تثبـت عقليـاً أنـه موجـود، ثـم تبنـي عقيدتـك بعـد ذلـك!!

فنقـول أن هـذا الديـن أنزلـه الله إلى عامـة النـاس، العبقـري والذكـي والأقـل منـه، إذاً **يشـترط فيـه أن يكـون الحـق فيـه مثـل النهـار واضـح**، ولذلـك رسـول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقـول: (تركتكـم عـلى المحجـة البيضـاء، ليلهـا ونهارهـا سـواء) بينـة واضحـة (لا يزيـغ عنهـا إلا هالـك) أخرجـه ابـن ماجـة (٤٣)، لأنـه زاغ وانحـرف عـن هـذا النهـار، لـكل لـو كانـت مُطَلسَـمه لا يفهمهـا ولا يعقلهـا كل النـاس فـلا يكـون هالـكاً مـن زاغ عنهـا، ولكانـت تكليـف مـا لا يُطـاق.

وانظـروا في كل المذاهـب والأفـكار الموجـودة في العـالم الإسـلامي قديـماً وحديثـاً، **لا يمكـن أن يوجـد تَصَـوّر عقائـدي بسـيط غـير تصـوّر السـلف** رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، وهـذا هـو (الظُّهـور) الـذي عَنـاه الرسـول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بقولـه: (لا تَـزال طائفـة مـن أُمتـي ظاهِريـنَ عـلى الحـق، لا يضرّهـم مـن خالفهـم ولا مـن خذلهـم، حتـى يـأتي أَمـرُ الله) أخرجـه مسـلم (١٩٢٠)، والظُّهـور هنـا -كـما في تفسـير كثـيرٍ مـن الأولـين- هـو ظهـور حجـة وبيـان وليـس ظهـور غَلَبَـة، فقـد يكـون أهـل الحـق غـير غالبـين، لكنهـم

مثال ذلك: عندما طُرحت مسألة رؤية الله يوم القيامة، ما جاؤوا في بحث الرؤية وتعقيداتها وأحوالها، إنما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر: (إنكم تَرون ربكم يوم القيامة..)[(١)] الحديث، ثم بيَّن بمثال كلهم يفهمونه ويرونه ويشاهدونه وهو القَمَر، فبيَّن (كما تَرون القَمَر ليلة البَدر)، فهذه يفهمها الكبير والصغير، والدكتور وراعي الغنم والصانع، كلهم يفهمونها.

من أمثلة وضوح عقيدة السلف

وكما في حديث الجارية -طبعاً الجماعة المتَفَلسِفة يقولون في حديث الجارية أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذها على قدر عقلها! والصواب: لا، لأن هذه عقيدة- سألها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. فقال: أين الله؟ قالت: الله في السماء. قال: اعتقها فإنها مؤمنة)[(٢)].

لو تنظر إلى العقيدة في الكتاب والسنة ترى أنها غير مُعَقَّدة، (مَن عَلّق تميمة فلا أتمه الله)[(٣)] (لَعَنَ اللهُ مَن ذَبَحَ لِغَيْرِ الله)[(٤)] (من نَذَر أن يطيع الله فليُطِعه، ومن نَذر أن يعصيه فلا يَعصِه)[(٥)]، نصوصٌ واضحة، **وهذا الفرق الجوهَري بين العقيدة عند السلف، والعقيدة عند الخَلَف.**

لكن تَعالَ لفهمِ صفة الكلام عند الأشاعرة والمعتزلة لا يُمكنك

=ظاهرين، يعني من أراد أن يدرس عقيدتهم يستطيع أن يفهمها ولو كان من العامَّة، فتجدون أن عقيدة السلف الكل يفهمها ويستطيع تصورها، وبالتالي قد يكون الشخص عالماً بالتوحيد وهو لا يستطيع أن يقرأ ويكتب، والكثير من أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ هم من العامَّة لكنهم في التوحيد علماء، لسهولة أمر الدعوة ووضوحه وظهورها، كما أخبر بذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]. من محاضرة للشيخ بعنوان: (الدعوة بين الثوابت والمتغيرات).

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧)، وأبوداود (٩٣٠).

(٣) أخرجه أحمد (١٧٤٠٤).

(٤) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٥) أخرجه البخاري (٦٦٩٦)

فَهمه، أنه «كلام نفسي أو كلام خاص ألقاه الله سبحانه وتعالى على الشجرة»! مَباحث وكلام طويل، وتعقيدات ما أنزل الله بها من سلطان، ولذلك لَّما جاءت المعتزلة والأشاعرة اضطروا للتأويل[١] مخافة التشبيه، لأنهم ما درسوا العقيدة - كما قيل: على دين العجائز - مثلنا بوضوحها، وإنما عقّدوها بعُقولهم، فلما تعقَّدَت في عقولهم صاروا لا يفهمون منها شيئاً، وأما لو جاءوا إلى العقيدة كما هي عند الصحابة والتابعين: وضوح رؤية وبَساطة، لَتَغيَّرَ الحال، فلذلك انظر أنت -كطالب علم- كتب الأشاعرة والمعتزلة، وادرس فيها صِفة (واجب الوجود) والكلام الطويل الذي لا تَصِلُ فيه إلى نهاية، وتعالَ عند المسلمين السلفيين واقرأ: سبحان الحي الذي لا يموت.

الصحابة جاءوا بسؤال بسيط جداً: أقريب ربنا فنُناجيه أم بعيد فنناديه؟ جاء القرآن من غير أي تعقيد وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، اسأل أي إنسانٍ عجوز،

(١) قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وحقيقة الأمر أن **كل طائفة تتأول ما يخالف نحلتها ومذهبها**، فالمِعيار على ما يتأول وما لا يتأول **هو المذهب الذي ذهبت إليه**، والقواعد التي أصَّلتها، فما وافقها أقرّوه ولم يتأولوه، وما خالفها فإن أمكنهم دفعه وإلا تأوَّلوه، ولهذا لما أصَّلت **الرافضة** «عداوة الصحابة» رَدّوا كل ما جاء في فضائلهم والثناء عليهم أو تأوَّلوه، ولما أصَّلت **الجهمية** أن الله لا يتكلم ولا يُكلم أحدًا، ولا يُرى بالأبصار، ولا هو فوق عرشه مُبائن لخلقه، ولا له صِفة تقوم به، أوّلوا كل ما خالف ما أصَّلوه، ولما أصَّلت **القدرية** أن الله سبحانه لم يَخلق أفعال عباده، ولم يُقدّرها عليهم أوَّلوا كل ما خالف أصولهم، ولما أصَّلت **المعتزلة** القول بنفوذ الوعيد، وأن من دخل النار لم يخرج منها أبدًا، أوَّلوا كل ما خالف أصولهم، ولما أصَّلت **المرجئة** أن الإيمان هو المعرفة، وأنها لا تزيد ولا تنقص، أوَّلوا ما خالف أصولهم، ولما أصَّلت **الكُلّابية** أن الله سبحانه لا يقوم به ما يتعلق بقدرته ومشيئته، وسموا ذلك «حلول الحوادث»، أوَّلوا كل ما خالف هذا الأصل، ولما أصَّلت **الجبرية** أن قُدرة العبد لا تأثير لها في الفعل بوجه من الوجوه، وأن حركات العِباد بمنزلة هُبوب الرياح وحركات الأشجار، أوَّلوا كل ما جاء بخلاف ذلك، **فهذا في الحقيقة هو معيار التأويل عند الفرق كلها**). الصواعق المرسلة (١/ ٢٣٠) ط.دار العاصمة.

طفل، مثقف عالٍ، مثقف متوسط، وقُل له هاتين الكلمتين كما في الآية، ما تحتاج فلسفة ولا شرح ولا كلام.

ثباتها وعدم تغيرها

وميزته الأخرى: الثَّبات، لأن العقيدة عند الفِرَق الأخرى ناتجُ تفكيرٍ، ولوازم مذاهب، وبالتالي إذا كَبَروا في العلم تغيّرَ الفِكر عندهم، وانتقلوا من مرحلة إلى أخرى، كما وَصَف الرازي في أبياته المشهورة:[١]

وأكثر سَعي العالمين ضَلال ... نهاية إقدام العقول عقال
سوى أن جَمعنا فيه قِيل وقالوا ... ولم نَستَفِد من بَحثِنا طول عُمرنا

فالفلاسفة وأرباب العقائد الأخرى يتغيَّرون، فاليوم يعتقد عقيدة، وفي الغَدِ يعتقد أخرى! لكن السَّلف عقيدتهم واحدة، فما وجدنا عند الصحابة ولا عند التابعين ولا عند من سار على هذا الدرب تَغيُّراً عقائدياً، بل وجدناهم أمة واحدة تنتقل العقيدة عندها جيلاً بعد جيل، إلى أن وصلت إلينا، ولكي تتأكد خُذ قضية (الطواف حول القبر) أو (الذبح لغير الله) واطرحها في مجتمعات أهل المذاهب والفرق في الدنيا؛ تجد مئات الأجوبة في الجماعة الواحدة، لكن خُذ القضية واذهب إلى أقصى الهند وأقصى السِّند وأقصى إفريقيا واطرحها على أهل السَّلف؛ فسيكون الجواب لديهم واحداً، **لأن المصدر الذي يستَقون منه العقيدة واحداً،** أما المصدر عند أهل الفِرق: الكتاب والسنة وفق فُهوم الناس، كما قال الشعراني: (الطريق إلى الله بعدد أنفُسِ الخلائق)[٢] ما ينتهي!!

---

(١) تُنسب لفخر الدين الرازي في كتابه (أقسام اللذات) صنَّفه في آخر عُمره. نقلاً عن كتاب (اجتماع الجيوش الإسلامية) للإمام ابن القيم (ص٣٠٥).

(٢) مقولة مشهورة عند المُتصوِّفة، ذكرها صاحب كتاب (الشقائق النعمانيه في علماء الدوله العثمانيه) ص٤٧٣، وسُئل عنها شيخ الإسلام ابن تيمية فأجاب: (إن أراد بذلك الأعمال المشروعة الموافقة

ولذلك كل الطوائف تفرَّقت إلا السلف أصبحوا كالطود ثابتاً، وهذا مصداق قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فهذا الصراط ما انحرفوا عنه ولا تفرَّقوا، فما سمعنا فرقة (بَكريّة) ولا فرقة (عُمَريّة) ولا (عُثمانيّة) ولا (تَيميّة)، ما سمعنا من هذا الشيء أبداً، وإنما رأيناهم أمةً واحدةً ومذهباً واحداً، تجري فيه خلافاتٌ في الفروع لكنها لا تخرج عن الإطار الذي وضعه لهم نبينا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، لكن لو جئت إلى الأشاعرة أو المعتزلة أو الرافضة أو الخوارج فستجد فروعاً وتفرّعات في المسألة العَقدية الواحدة، ليس لها نهاية.

أثر العقيدة على السلوك

ومنهج السَّلف يُعطي صاحبه صِفَةَ التَّدَيُّن، ولذلك عندما تُؤمن أن الله عز وجل يَعلم خائِنَة الأعين وما تُخفي الصدور، يختلف عن إيمانهم: بأن الله عز وجل يعلم الأشياء بعد وقوعها!! القضيةُ تَغَيَّرت، وعندما تَعلم أن الله عز وجل هو المتصرف بهذا الكون، يختلف عن قولهم: أن الله ليس له سُلطة على العصاة! فهم يُقرِّرون فِعل المعصية بغير إذن الله عز وجل!!(١) إذاً هذا الإله ضعيف عندهم - وحاشاه ربنا تبارك وتعالى-، وقِس عليه مثلها، **فلما تربط العقائد بالتخويف والترغيب يُصبح لها معنى**، وأما إذا دُرِّسَت كما هي عند الأشاعرة والمعتزلة؛ تجدها قضايا نظرية تكون مثل الرياضيات ليس لها معنى، ولذلك ترى أن أتباع الفرق الأخرى يلقب بـ (أستاذ العقيدة) وإذا جلس ليس في سلوكه شيءٌ من العقيدة، لأن العقيدة التي يُدرِّسُها ما أثّرت عليه؛ لأنها مبنية على أقوال رجال، لكن لو أتاك أستاذ عقيدة على منهج السلف ترى الأمر

=للكتاب والسنة: كالصلاة والصدقة والجهاد والذكر والقراءة وغير ذلك، فهذا صحيح. وإن أراد إلى الله طريقاً مخالفاً للكتاب والسنة؛ فهو باطل، والله أعلم.ا.هـ مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٥٤).

(١) كما هي عقيدة القَدَريّة.

عنده مختلفاً وأثرها واضح عليه، وكذلك عندما تنظر في كتبهم وتقرأ ما يزيد عن الأربعمائة صفحة قد لا تجد فيها آيةً أو حديثاً! أما كتب السلف فإنك تجد في الصفحة الواحدة عشرات الأدلة(١).

ومُجمَل الاعتقادِ والركن الأساسي في العقائد هو حديث جبريل عليه السلام، الذي جاء يسأل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن الإسلام والإيمان والإحسان(٢)، هذه القضايا التي ذكرها من حيث العموم لا خلاف عليها، لكن من حيث التفصيل فلا شك أن الفِرق الأخرى تختلف مع السَّلَف -من الصحابة والتابعين- حتى في الله عز وجل، فالإيمان بالله سبحانه وتعالى عند أهل السنة والجماعة غير الإيمان بالله عز وجل عند البقية، لأنك تؤمن بصفات لله سبحانه وتعالى وتثبتها، وهم لا يؤمنون بها ولا يثبتونها، وكذلك هم يرون أنه لا أحد يمكن أن يرى الله عز وجل يوم القيامة، هم ينفون صفة النزول لله سبحانه وتعالى، هم ينفون صفة الاستواء لله عز وجل، هم ينفون صفة «الرضى»، صفة «الضحك»، صفات كثيرة ينفونها عن الله سبحانه وتعالى، وأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفات لله سبحانه وتعالى.

الخلاف لا يعني التكفير

إذاً من حيث التفصيل هناك خلاف جوهري بين الفرق الثنتين والسبعين وبين الفرقة الناجية، لكن لا شك أن هذا ليس مستلزماً للتكفير، **فكونهم خالفوا المنهج السَّلفي، أو خالفوا الصحابة في أمور؛ لا يعني أنهم كُفّار**، لأن تعيين الكُفر له ضوابط يُلتزم بها، والإيمان له ضوابط يُلتزم

(١) هذا بخلاف ما ذكره محمد سرور في كتابه (منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله)، يقول: إن عقيدة السلف جافة، لأنها مربوطة بالكتاب والسنة (بالنصوص)!! والعقيدة إذا ما رُبطت بالنصوصِ ضاعَت. (ش)

(٢) حديث جبريل المشهور، أخرجه مسلم (٨).

بها، **فليس كل من وقع في الكفر عُدّ كافراً**، إذاً لا يعني بالضرورة قولنا: أنهم يخالفون الإسلام الصحيح، ويخالفون منهج السلف، أنهم كفار وخارجون عن مِلّة الإسلام.

ولما يقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة، إلى السماء الدنيا، حين يَبقى ثلث الليل الآخر)[(١)]، فمُعتقد السلف يدور حول البحث في الصفة لا في كيفيتها، فنُثبت الصفة بمعناها، ولكن كيفية حدوثها تُترك، لأنه خارجٌ عن إطار البحث.

فلو نُمثّل برجلٍ قبلَ مائتي سنة وقلنا له: أن البعير يُسرع، والحصان يُسرع، والسيارة تُسرع، والطيارة تُسرع، فالعامل المشترك هنا صفة السُّرعة، فهو يعلم أن هناك بعير وحصان وسيارة وطائرة كلهم لديهم سرعة، لكنه يستطيع أن يحدد كيف تكون سرعة الحصان مع سرعة البعير، لأنه يعرف الاثنين، لكن لو جئت تبحث معه في صفة سرعة الطائرة أو السيارة فإن كان عاقلاً يَمتنع؛ لأنه لا يعرف ماهية ذات السيارة، فيقول أنا أثبت أن السيارة هذه تُسرع لكن كيف، لا أعلم! لأني أجهل الذات.

هذا مثالٌ -ولله المثل الأعلى- ينطبق تماماً على كلِّ صفات الله عز وجل، أنت حي والله تعالى حي، أنت تسمع والله عز وجل يسمع، أنت تبصر والله جل وعلا يبصر، ولا يمكن أن يكون سمعك وبصرك كسمع الله وبصره سبحانه، ولذلك قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في التدمرية بعد أن بحث المسألة هذه بحثاً موسعاً فقال: (أن القول في صفة واحدة يلزم القول في جميع الصفات)[(٢)]، فإذا قلتَ أن الله يسمع بسمعٍ يليق بجلاله،

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) التدمرية (ص٤٣) تحقيق د.السَّعوي.

فقُل إن الله ينزل نزولاً يليق بجلاله، وقُل يستوي استواءً يليق بجلاله، **ولذلك مَن نَفى صفةً واحدة؛ لزمه أن ينفي جميع الصفات حتى صفَة الوجود.**

التسليم من مميزات العقيدة

إذاً فاعتقاد السلف **يدور على التسليم** بما جاء عن الله عز وجل وعن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبهذا يفارقنا الآخرون.

فلا يجوز أن نجعل عقولَنا حاكِمةً على كلام الله عز وجل في العقائد وفي غيرها، لأن السلف يرون أن العقيدة أساسها التسليم، فإذا جاءت الآية يرون هل توافق العقول أم لا توافق العقول؟! بالطبع لا، لا يمكن في عقولنا أن نتصور كيف ينزل الله في آخر الليل، وهل العرش يكون فارغاً!! وهذه الشبهة جاءت من بحثهم في الكيفية، وكذلك نفوا وجود الملائكة، والجن، وعذاب القبر ونعيمه، ونفوا رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، ونفوا الميزان، **فهم جاؤوا إلى العقائد بعقولهم، والسلف جاؤوا مسلِّمين.**

وأما التّفويض فليس من عقيدة السلف لا شك في ذلك، وإن كان قال به ابن عقيل[١] من الحنابلة، فظن الناس أن هذا هو منهج السلف.

(١) **ابن عقيل الحنبلي** (٤٣١ – ٥١٣هـ): قال في ترجمته الإمام الذهبي: (الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة، أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي، الظفري، الحنبلي، المتكلم صاحب التصانيف، .. وأخذ علم العقليات عن شيخي الاعتزال: أبي علي بن الوليد، وأبي القاسم بن التبان صاحبي أبي الحسين البصري، **فانحرف عن السُّنة**، وكان يتوقد ذكاء، وكان بحر معارف، وكنز فضائل، لم يكن له في زمانه نظير على بدعته، وعلق كتاب «الفنون»، وهو أزيد من أربع مائة مجلد، حَشَد فيه كل ما كان يجري له مع الفضلاء والتلامذة، وما يسنح له من الدقائق والغوامض، وما يسمعه من العجائب والحوادث). سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٣).

وقال عنه شيخ الإسلام: (ولابن عقيل أنواعٌ من الكلام، فإنه كان من أذكياء العالم كثير الفكر والنظر في كلام الناس، فتارة يسلك مسلك نُفاة الصفات الخبرية .. كما فعله في كتابه «ذم التشبيه وإثبات التنزيه» وغيره من كتبه، **واتبعه على ذلك أبو الفرج ابن الجوزي** في «كف التشبيه بكف التنزيه» وفي كتابه «منهاج الوصول»، وتارة يُثبت الصفات الخبرية ويرد على النُّفاة

والعقيدة لها ثلاثة أمور: تأويل، وتفويض، وتسليم، والتسليم هو الذي عليه منهج السلف، والسلف يرون بأن العقيدة هي أن نفهم كلام الله عز وجل على مراده سبحانه وتعالى، ونفهم المدلول، ولكننا كما قال الإمام مالك: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)[(١)]، مجهول الكيفية، أما المُفَوّضة فينفون الأمرين: ينفون العلم بالشيء، والعلم بكيفيته، فلما تأتي وتقرأ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، تَفهَم أن الله عز وجل قد استقر، لأن معنى (استوى على): أي استقر كقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾ [هود:٤٤]، فهناك فرق بينها وبين (استوى إلى) أي صعد، كقوله تعالى: (استوى إلى السماء)، فمن خلال لغة العرب فهمنا هذا، ونفهم (السماء) بأنها إما أن تكون العلو المعهود أو العلو المطلق، هذا كله مفهوم، لكن كيف استوى؟ لا ندري، أما المفوضة فيقولون أيضاً معنى الاستواء لا نعرفه![(٢)]

هذه فروقٌ جوهرية حتى نُدرك من أين جاء الانحراف؟ نحن لا نقول أن هؤلاء الناس ليسوا مسلمين ولا يريدون الآخرة، بل هم مسلمون وعلماء ومُفكِّرون ويريدون حماية الدين، فالمعتزلة نشأت في وقت الإلحاد،

=والمعتزلة بأنواع من الأدلة الواضحات، وتارة يوجب التأويل كما فعله في «الواضح» وغيره، وتارة يُحرِّم التأويل ويذمه وينهى عنه كما فعله في كتاب «الانتصار لأصحاب الحديث»، **فيوجد في كلامه من الكلام الحسن البليغ ما هو مُعظَّم مشكور، ومن الكلام المخالف للسُّنة والحق ما هو مذموم ومدحور**، وكذلك يوجد هذا وهذا في كلام كثير من المشهورين بالعلم، مثل أبي محمد بن حزم، ومثل أبي حامد الغزالي، ومثل أبي عبد الله الرازي وغيرهم). درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٦٠).

وقال أيضا في الكتاب نفسه (١/ ٢٧٠): (**وكان الأشعري** أقرب إلى مذهب أحمد بن حنبل وأهل السنة من كثير من المتأخرين المنتسبين إلى أحمد؛ الذين مالوا إلى بعض كلام المعتزلة، كابن عقيل، وصدقة بن الحسين، وابن الجوزي، وأمثالهم).

(١) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٦٦٤)، ورواها أيضاً عن رَبيعة.

(٢) وأخطأ حسن البنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ فظنَّ أن منهج السلف هو **التفويض**، ثم يبدو أنه لم يَدرس العقائد، لأنه يرى أن الخِلاف بين المعتزلة والسلف خلافٌ لفظي! (ش)

قام فكرهم في وقت فتنة الإلحاد (الكفر بالصَّانِع) كما قالوا هُم، قاموا على إثبات وجود الله، ودخلوا في متاهات من الفلسفة، أما الأشاعرة فجاء مذهبهم ليعالج فتنة المعتزلة، فهؤلاء حرَّكهم الدافع للدين، لكن كما قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (كم من مريد للخير لم يدركه)[١].

فلا نبحث في نوايا العلماء والمؤسسين لهذه الفِرَق، ففيهم الصالح وفيهم المفسد، لكنهم جاءوا إلى الدِّين بطريقتهم، لا بطريقة الصحابة رضوان الله عليهم.

فمُلَخَّصُ الأمر أن عقيدة السلف تقوم على النَّص، فبالتالي أعطت أتباعها استقراراً وتديناً وثباتاً، ثم هي إقناعها للناس سهل، فلو جئت تقنع واحداً في عقيدة المعتزلة تتعب؛ لأنك لا بُدّ أن تُدخِله في الفَلسَفَة[٢]، أما لو جئت تقنعه بعقيدة السلف ترتاح، ولذلك كثيرٌ من مفكريهم القدماء تمنوا أن يموتوا على دين العجائز الذي هو التسليم.[٣]

(١) أخرجه أحمد (٣٣)، والترمذي (٢٢٣٧)، وابن ماجه (٤٠٧٢).

(٢) يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: (وقد توسَّعَ مَن تأخَّر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم، ولم يقتنِعوا بذلك حتى **مَزَجوا مسائل الدِّيانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلاً يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل**، ولو كان مُستكرهاً. ثم لم يكتفوا بذلك حتى زَعموا أن الذي رتَّبوه هو أشرف العلوم، وأولاها بالتَّحصيل، وأن مَن لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عاميٌّ جاهل، **فالسَّعيد مَن تَمَسَّك بما كان عليه السَّلَف، واجتنب ما أحدَثَه الخَلَف**). فتح الباري (١٣/ ٢٦٧).

(٣) نقل الإمام الذهبي قول أبي المعالي الجويني: (قال السمعاني: وقرأت بخط أبي جعفر أيضاً: سمعت أبا المعالي يقول: قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفاً، ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نهى أهل الإسلام، كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، والآن فقد رجعت إلى كلمة الحق،

=**عليكم بدين العجائز**، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره، فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، فالويل لابن الجويني) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧١)، وانظر طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ١٨٥).

سائل يسأل: يُلاحَظ أن بعض المتأخرين من الشافعية والمالكية أنهم يعتقدون بعقيدة الأشاعرة، ومتأخري الأحناف يأخذون بالعقيدة الماتريدية، وأن عامة الحنابلة يعتقدون بعقيدة السلف الصالح، فهل هناك ظروف جاءت أن من يأخذ تلك المذاهب أن يأخذ بتلك العقائد؟

الجواب: يبدو لانتشار العقيدة الأشعرية في تلك البلاد، خاصة بلاد مصر وأطراف المغرب، ثم عقيدة الماتريدية في بلاد الأعاجم، وهيأت لها الظروف، والسبب أن كثيراً من فقهاء المذاهب في ذلك الوقت اعتنقوا هذه العقيدة، بخلاف الحنابلة فعامّة علمائهم وفقهائهم كانوا على عقيدة الإمام أحمد، وأما أولئك فانحرفوا عن عقيدة الأئمة أبي حنيفة والشافعي ومالك إلى العقائد المتأخرة، وإلا فإن الأئمة الثلاثة عقائدهم واضحة صريحة رضوان الله عليهم.ا.هـ وينظر للاستزادة كتاب (اعتقاد الأئمة الأربعة) د.محمد الخُميّس.

١٠ المحاضرة العاشرة:

وظيفة أهل الحَديث

المحاضرة العاشرة

وظيفة أهل الحَديث

الوظيفة التي التزموا بها هي **حِماية الدِّين**، وأجمعُ وصفٍ لهم هو ما صحَّحه مَرفوعاً إمامُهم إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عُدوله، يَنفون عنه: تحريف الغالين، وانتِحال المُبطِلين، وتأويل الجاهلين).(١)

والصفة اللازمة لهم ولأعدائهم هي العدل(٢)، عُدول في كل ما فعلوا وما كتبوا، حتى أنهم وُصِفوا بأنهم: أرحم بأهل البدع مِن أهل البدع والأهواء بأنفسِهم، فالعدل لا بُدّ مِن أن يكون صفتهم، لأنهم سيتولون جهاد الناس والحكم على الناس في الدنيا والآخرة، فلا بُدّ لمن أُعطي هذه المنزلة العظيمة أن يكون عَدلاً، لأنها ستكون شاهدة على الناس في الدنيا وفي الآخرة، وشَهادتهم في الدنيا أنهم إذا شهِدوا على إنسانٍ أنه مهتدٍ فهو مهتد، وإن شهدوا عليه بأنه ضالٌّ فهو ضال، ولكن هذه الشهادة ليست شهادة هَوى، وإنما **شهادة علم وبصيرة وبينات**، ولذلك ما وجد من أتباع المذاهب والطرق والفِرق مَن سَلَّمت له الأمة مَقاليد الجرح والتعديل، فَزِمام الجَرح والتعديل ومقاليده **أُعطيت لأهلِ**

---

(١) كما أورده في مقدمة كتابه (الرد على الجهمية والزنادقة)، **وصححه مرفوعاً إلى النبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كما أخرجه الخطيب البغدادي في (شرف أصحاب الحديث ص١١)، والآجري في (الشريعة).

(٢) كما سيذكر تفصيله في محاضرة (العدل صفة هذه الأمة).

الحديث، للطائفة الناجية المنصورة، لحديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما جاء في وصفهم: (**أنهم يُصلحون ما أفسدَ الناس**)[(١)] كما هي إحدى روايات حديث الغرباء[(٢)].

إذاً وظيفة من اتصف بأنه من أهل السنة والجماعة من سلف الأمة أن يحمي الدين، والله عز وجل قادرٌ على حِماية دينه، لا خلاف على ذلك، فهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، ولكن لحكمة عظيمة أرادها ربنا جل وعلا وارتضاها أن جعل من عباده من يقوم بمقام الرسل.

دفع العوائق عن الناس

الدين مُستقر، لكن يحول دون دخول الناس فيه عوائق، هذه العوائق أحياناً تكون بشرية، فَفَرض الله عز وجل الجهاد، والجهاد في الإسلام ليس دفاعاً فقط، بل هو إنشاء، أي أنه جهاد طلب، فالذي يدرس ويفهم على أن الجهاد أو القتال في الإسلام فقط دفاع عن النفس وعن بلاد المسلمين فهذا افتراء، وإلا ما علاقة المسلمين في بلاد الهند والسند وبلاد التُّرك وبلاد الفُرس وبلاد الشرق والغرب!!

فإذاً الجهاد في الإسلام جهاد طلب، أي أن الله عز وجل أوكل إليهم حماية الدين، وأوجب عليهم جل وعلا نشره، فوجب عليهم أن يجاهدوا.

فإذاً يَحمون الدِّين عن طريق الجهاد، بفرضِه على الناس، **ومثالُه** كأن تضرم نارٌ في مكان، فيأتي أهل الصَّلاح لِيُطفئوها، ولكن جاءت مجموعة من الناس أو حاكم البلدِ ووضعَ الجيشَ وقال: اتركوا الناس تَموتُ وتَحترق! شعبي وأنا أريد أن أحرقه! فهنا وَجَب على العُقلاء وعلى

(١) أخرجه أحمد (١٦٦٩٠)، والترمذي (٢٦٣٠).

(٢) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريبا، فطوبى للغرباء) أخرجه مسلم (١٤٥).

المُصلحين أن يقاتلوا هؤلاء، الذين يَمنعون الناس من إطفاء النار.

هذا هو حال الجهاد، فالذي يقف أمام دخول الإسلام إلى هذه البُلدان، **والذي يَقِفُ أمام انتشار الإسلام فإنه يُجاهَد.**

لا يُرغم أحد في دخول الدين

هذا لا يفهم منه على إنه إكراه في الدين، فإن الله عز وجل قال: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة:٢٥٦]، **فلا يُرغَم أحد بالسيف** أن يكون مسلماً أو يكون سُنّياً، لأنه قد يُسلم نفاقاً، لكن تُفتح البلدان، ويقاتَل الكفار، ويُجاهد المبتدعة، ويعزرون وتقام عليهم الحدود، ولكن فَرق بين هذا وبين إدخال الناس في دين الله عز وجل كُرهاً. **هذا الأمر الأول.**

ثانياً: أن الله تعالى أخبر بأن هذا الدين قد كَمُل، وهذا أمر بَدَهي معروف﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

ولذلك قالت اليهود: لو نَزلت علينا هذه الآية لجَعلناها يومَ عيد، فكان جواب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنها نَزَلت علينا في يَوم عيد)[(١)].

لكن ما الذي جرى فيه؟ دخله تحريف وزيادة وتأويل -والله لا شك حافظه-، والذين عبثوا في الدين طائفتان: طائفة مسلمة طيبة فاضلة لكنها جاهلة، وطائفة عاقلة مُدركة لكنها مدبِّرة حاقدة فاسدة.

ويُعتَبَرون كل الثنتين والسبعين فرقة يدخلون في هذين النوعين، والفرقة الواحدة قد يكون فيها من هذا ومن هذا.

(١) أخرجه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

التقادم يُنسي السُّنة

هناك مبطلون في الأرض مفسدون فهؤلاء جاءوا بِنحل وأديان ألصقوها في الدين، كما جاء عبدالله بن سبأ بوصية من اليهود وأدخلها في دين المسلمين فقبلتها الرافضة، فهؤلاء ألصقوا الأهواء في الإسلام فأخذها الجاهل، **والتقادم يُنسي الناسَ الأصل**، ولهذا السبب فإن السلفيين ليل نهار يُدندِنون على أصولهم، فلا تجد درساً للسلفيين إلا ويتكلم عن خطر الأحاديث الضعيفة، وعن التحذير من الشرك، ومن البدعة، وعن اتباع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن وجوب التزام السنة، فالتقادم يُنسي الناس الحق، ويألفون الباطل، وأكبر دليل على ذلك قصة قوم نوح عليه السلام، عندما أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الأصنام التي عبدها قوم نوح كانوا رجالاً صالحين، وإبليس ما جاء للناس الأولين الذين يعرفونهم وقال اعبدوهم، لا، قال اجعلوا لهم صوراً، حتى إذا رأيتموهم تذكرتم الأولين والعبادة، فالجيل الأول كانت عنده العقيدة واضحة، فوجود الصور ما ضرَّه، أما الجيل الثاني والثالث رأى أن الموجودين على الأقل لا يُنكرون وجود هذه الصور ولا ينكرون من يأتي إليها، **وبالتقادم والموت نَسِيَ الجيل ما كان أصل هذه القضية.**

القضية نفسها تجدها في أحوال أهل البدع، فمعظم ما جاءنا من احتفالات في الشجرة والمولد وعيسى وغيرها، كل هذه الاحتفالات من إنتاج الباطنية، إنتاج الدولة الفاطِميّة[1]، أما قبلها فلا تَعرف الناس

(١) **الدولة الفاطِمية**: تسمّت بذلك ونَسبت نفسها زوراً لآل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأصح تسميتها (الدولة العُبيديّة)، نَبَغت سنة ٣١٧هـ ببلاد إفريقية (تونس) من أرض المغرب، ويُلقَّب أميرهم بالمهدي، وهو (أبو محمد **عُبيدالله بن ميمون القَدّاح**)، وقد كان صبّاغاً بسلمية (بالشام)، يهودياً، فادعى أنه أسلم، ثم سار منها إلى بلاد إفريقية، فادعى أنه شريف فاطمي، فصَدَّقه على ذلك طائفة كثيرة من البَربر وغيرهم من الجَهَلة، وانتزع المُلك مِن يَد (أبي نصر زيادة الله) آخر ملوك (بني الأغلب) على إفريقية، وصارت له دولة، فملك مدينة (سجلماسة)، ثم ابتنى مدينة

ذلك، ومع الزمن بعضها اندثر وبعضها استمر إلى الآن، فتجد عند جمهور المسلمين أن الاحتفال في مولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاحتفال في رجب، وفي وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تجد له قبول وله رَواج!

فالتَّقادم أنسى الناس أن هذا أمر مُحدَث، **والتَّقادُم يُميت السُّنّة ويُحيي البِدعة**. فلذلك المتحل -إبليس أو أبالسة الإنس- يُلقون الفِكرة والشبهة وهم لا يريدون منا -نحن الذين ألقيت علينا- أن نتبناها، وإنما ليأتي الجيل الثاني أو الثالث فيتبناها!! وستنسى الأجيال ما كانت عليه من قَبل.

وترى الشعوب التي أهملت ذكر فضائل الصحابة والتبرؤ ممن عاداهم ضاعت المعالم بينهم وبين غيرهم، بل لمّا نَسِيَ المسلمون في بلاد الهند **مسألة الولاء والبراء**، والموقف من الكفار ومعاداتهم؛ ضاعت هذه المعالم عند المسلمين، فأصبحتَ ترى المسلم متزوجاً من هندوكيه والعكس! ففي الحقيقة نرى أن التَّقادم والسُّكوت يُضيِّع مَعالِم الدين.

فإذاً يتلقف الجُهال النِّحلة التي طرحت عليهم فيسيرون فيها، فيأتي أهل السنة فيقولوا للناس أنتم تسيرون إلى طريق هاوية، لأن وظيفتهم هي النفي عن كتاب الله ما أُدخل فيه من تحريف ونِحلة، وهذا ليس ادعاء، وانظر في واقع المسلمين منذ عهد انتشار البدع من عهد الصحابة وإلى اليوم، من يَرُدّ عليها؟ انظر إلى كتب الصوفية وإلى كتب المعتزلة وإلى

=وسماها (المهدية) وكان قرار مُلكه بها.

تَمكَّنَ حفيده (المعز لدين الله) من الاستيلاء على مصر، واستمر مُلْك (العبيديين) بها نحو قرنين من الزمان، إلى أن قَضَى عليهم القائد البَطل (صَلاح الدين الأيوبي) في سنة ٥٦٤هـ وأزال منها كل آثار (العُبيديين) وقَطَع شرورهم عن الناس. [ينظر: البداية والنهاية لابن كثير، حوادث سنة سبع عشرة وثلاثمائة].

كتب الأشاعرة .. لا تَرى في كتبهم ردوداً على أهلِ البدع! بل لا تَرى لأئمتهم أقوالاً في أهل البدع والتَّحذير منها!

إذاً هذا اصطفاء من الله عز وجل ونعمة ومنة منه أن جعل أتباع هذه الطائفة -أتباع السلف- يقومون بهذا الدور، وهذا كما هو معروف من فضل الله على هذه الأمة (يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عُدوله ..)[(١)].

ونحن لا نفترض في كل قائم في الدين أنه مُفسد، وأن نيته فاسدة، ولذلك الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ جعلهم أصنافاً: غلاة، ومبطلين، وجاهلين، فالغالي قد يكون جاهلاً وقد يكون متعمداً، لكن جاءه الغلو والمبالغة والتنطع، والرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (هلك المتَنَطِّعون)[(٢)] و(إيّاكم والغُلو في الدين)[(٣)]، والمبطل ينتحل النحلة يؤسسها على شَفا جرفٍ هارٍ، فيتلَقَّفها الجاهل ويركض بها.

دور السلف تجاه أهل البدع

ويأتي دور السلفيين وأئمة أهل السنة بأنهم اعتبروا الطائفة الأولى - من أهل البدع - أساس البلاء، فركزوا عليهم سهامهم، وعندما كانت الدولة لهم أقاموا الحدود عليهم، ثم بيّنوا للناس التحذير من أهل البدع وقالوا: «الراد على هؤلاء كالمجاهد في سبيل الله»[(٤)]، ولذلك كان كشف عَوار هؤلاء الناس ديدنهم، ومن أفضل الجهاد في سبيل الله.

(١) أخرجه الآجري في (الشريعة)، والخطيب في (شرف أصحاب الحديث ص١١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٠).

(٣) أخرجه أحمد (١٨٥١)، والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩).

(٤) قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (نقض المنطق ص١٢) وله كلام جميل في أن الرد على أهل البدع من الجهاد، في كتابه (التسعينية ١/ ٢٣١).

إذاً ساروا بِخَطَّيْن:

أولاً: أنهم حَموا الأمة من هؤلاء الناس، بأن حذروا من مجالستهم.

وثانياً: طبَّقوا هذا عملِياً، فتَجده من سِيَرَ علمائنا، فلما يأتي علماؤنا كالحَسَن البَصري وغيره ويضع في أُذُنِه القطن إذا مرَّ بأهل البدع[١]، وإذا جاء رجل إلى مالك يقول: تعال اجلس أتكلم معك، فيقول مالك: (لا أتكلم معك، أوَكلما جاء رجل أجدل حجة من رجل تركت دينك!)[٢]

فهل الإمام مالك أو الحسن البصري أو سفيان أو حماد رحمهم الله ليس عندهم قُدرة على رد الشبهة! بلى، قطعاً، وإنما ليَقتدي به الصِّغار، فإذا جاءهم صاحب الهوى قالوا: والله ما نُضيّع أوقاتنا معك، بعكس دعاة هذه الأيام يأتون بصاحب هوى ويشغلوا الناس بالفتن، **وإلا فمنهج السلف عدم إشغال الناس بالأقوال الفاسدة والفتن حتى لا يُضلوهم.**[٣]

---

(١) ينظر ما نقله الإمام إسماعيل الصابوني في كتابه (عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص ١١٤).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢٩٣)، والخطيب البغدادي في بداية كتابه (شرف أصحاب الحديث)، وأخرج الآجري في (الشريعة) برقم ١٣٣، ١٢٠ بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم مُمرضة للقُلوب) وأيضاً: (أن رجلاً من أصحاب الأهواء قال لأيوب السختياني: يا أبا بكر؟ أسألك عن كلمة، قال: فولى أيوب، وجعل يشير بإصبعه: ولا نِصف كلمة، ولا نِصف كلمة).

(٣) [تُلاحِظون في فترة الستينيّات والسبعينيّات من الحِساب الميلادي؛ ما كان الناس يتعاطون في الكتاب والسُّنة، فكانت الصَّولة والجولة للجماعات والخطباء والوعاظ، وما كان للدعوة إلى الكتاب والسنة أثر، بل حتى علماءنا الكبار كالشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين ما كان لهم انتشار، وإنما كان يصول ويجول عندنا إما الشيخ حسن أيوب أو الشيخ حسن طَنّون رحمهم الله أو من سار على دربهم.

الله عز وجل بلطف منه جل وعلا -وما الناس إلا وسائل استعملهم ربنا تبارك وتعالى- نُفخ في هذا الكون دعوة الكتاب والسنة، فما جاءت فترة الثمانينيات الميلادية إلا والدنيا كلها تنادي بالكتاب والسنة، وطار صيت علماء هذه الدعوة المباركة ومشايخها في كل مكان، وجعل الله لهم القبول في الأرض، وهذا كله فضل منه جل وعلا استعمل فيه من يشاء من عباده.

=جاءت قبلها (فتنة جهيمان) وتمخضت الأمور، وانحرف فيها من انحرف، ومُيِّز فيها من مُيِّز، واستقرت الأمور على أصلها، حتى جاءت سنة التّسعين حرب العراق على الكويت وما جرى فيها، فإذا الفتنة هذه المرة من وسط السلفيين، وليست فقط عندنا، بل موجودة في المملكة السعودية، وفي مصر، وفي سورية، وفي الهند، موجودة في العالم الإسلامي، **نبتت نابتة من أوساط السلفيين أرادت أن تُمزِّق السلفيين، وتُشكِّكَهم في كل أصولهم**، وكما أن الله عز وجل لَطَف فيما مضى، فإنه إن شاء الله يلطُف في قادم، وهذا من فضل الله تعالى على الدعوة السلفية أنها مباركة ومؤيدة بتأييد الله، فلا يَضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله.

تلاحظون -يا إخواني- أننا ابتلينا في أمورٍ غريبة على الجسم السَّلفي، السلفيون قديما في الشام وفي السعودية وفي غيرها يَدعُون، هذا يدعو بشكلٍ منظم، وهذا يدعو بشكلٍ حول شيخ، **ولكن ما كانوا يتنابزون بالحِزبية أبداً**، ما عُرفَت إلا سَنَة ٩٢ و٩٣ وبعدها، وأصبحت شعار، وصار الناس يتّهمون غيرهم بالتَّحزب دون برهان!، والتحزب ليس كله مذموم، فمنه ممدوح (أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، ومنه مذموم، فأصبحت سِمةً ولقباً يُطلق على أهل الدعوة السلفية! ما سمِعنا أنهم هاجموا «الإخوان المسلمين» بتهمة التَّحزب! بل (محمد سرور) نفسه في مجلته (السُّنة) يُحارب التَّنظيم والتحزّب، وهو قائمٌ عليه ليل نهار!

ثم جاءتنا فتنةٌ جديدة: أن جِنس العمل تركه كفر، انظر في الطحاوية من أولها إلى آخرها، وانظر في الحموية، وانظر في الواسطية، وانظر في كتاب التوحيد، لا تجد عنواناً يقول: أن ترك جنس العمل كفر، وكلنا نعلم أن من الأعمال ما هو كفر ومنه ما ليس بكفر، وما كانت هذه تشكِّل مشكلة، والعلماء على هذا في جميع الكتب، يرون في قضايا متفقون على التكفير العملي فيها كقضايا السجود لغير الله، وقضايا سب الله، وإهانة المصحف، وبعضها مختلف فيه عند أهل العلم كتارك الصلاة، **لكن ما أصبحت قضية يُوالىٰ ويُعادىٰ عليها عند السلفيين**، وأن من قال أن ترك جنس العمل ليس بكفر أنه من المرجئة، ما سمعنا بهذا! إلا لما رُميت هذه الفتنة في أوساط السلفيين.

وجاءت ثالثة وقالوا أن العمل شرط صحة للإيمان، وهم – كما قال ابن القيم – أن من عادة أهل الأهواء التعميم، فليس بصحيح أن مطلق العمل شرط صحة، العمل فيه شرط كمال وفيه شرط صحة، وهذا موجود في كتب الأولين، لكنها جُعلت قضية يوالى عليها ويُعادى! وأصبحت قضية يفترق عليها الشباب، وبعدها توسعوا فأصبحوا يكفرون تارك الصيام وتارك الزكاة، **وهكذا بدأ التوسع لإشغال الشباب في فتن؛ حتى لا يَدْعو ولا يَتَعلَّموا**، فأصبحت ترى في كل الحلق في كل ليلة يجتمعون يناقشون الشبهات، فلذلك أنا أعتقد أنه يجب على الإخوة الذين يدرِّسون الشباب أن ينوءوا بهم عن الخوض بهذه المشاكل، ويتفرغ لها نخبة من أهل العلم يعطونها حقها، ويلقمونهم حجراً، لأنهم هذا الذي يريدون: أن نتوقف عن الدعوة، وأن نتوقف عن تعليم الناس، وأن نتوقف عن الرد على أهل البدع، لننشغل هل نحن مرجئة أو نحن أهل سنة؟! لذلك أنا الذي أراه وأعتقده أن ينقسم الناس إلى قسمين: الكبار الذين لهم دراية وفهم

فمارسوا دورهم في حماية دين الله عز وجل وفي حماية المسلمين، فإن دُعوا إلى الثغور والقتال فهم من المبرَّزين، وإن كان الأمر سِلماً وعِلماً فهم أيضاً فيه من المبرزين، ساروا بهذا الدرب: تحذير، ثم ألفوا في ذلك الكتب، ثم بيَّنوا للناس الدرب الصحيح، كما بينها المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عندما قال لهم: (**تَركتُكم على المحجة البيضاء، ليلها ونهارها سواء**)[(١)].

ولذلك من يقرأ كلام علمائنا في هؤلاء يرى أن **المُفسِد المبطل** له علاج: إما قَمعُه بالحُجَّة، وإما قمعه بالقُوة، وأما **الجاهل** فهذا يُعلَّم ويُدعى.

ولذلك نقول **إنه لا بُدّ من الدَّندَنة على الأصول الصحيحة في قضايا الشرك، وقضايا البدعة، وقضايا الأحاديث الضعيفة، وقضايا الخِلاف الذي عليه أهل الأهواء، حتى يرضع الصغير ما أَلِفه الكبير**، وأما إذا

=يتولون الرَّد القوي المحكم، وعامة الشباب والإخوة الذين يَدرسون في الحِلَق؛ أن يستمروا في التعليم والتثقيف.

والأمر الآخر أن في هذه المحن لا بُدّ أن يحصل التكاتف، **وأن يحصل الإعذار والاستِفسار**، بمعنى أنه إذا نُسب لأحد من إخواننا قول، ألا نستعجل بالحكم، وإنما نتريث ونسأل وننظر، هل هو بالفعل يقول هذا القول أم لا، لأن من صفات أهل الأهواء في هذا العصر الآن: أنهم يكثرون القيل والقال، فهُم يريدون أن يرموا شباب الدعوة السلفية بعضهم في بعض.

الفِتن لا يوقفها إلا رجوع السلفيين إلى العلم، لأنها لا تنتشر بين طلبة علم، بل بين جهالٍ أغمار، تجري عندهم الفتن كما كانت عند الخوارج الأولين، فلا بُدّ أن نُربي أنفسنا وأبناءنا وشبابنا على العِلم الصحيح، وأنا لاحظتُ أن الإخوة ما قَرءوا مُقدمة كتاب (صفة صلاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ) للألباني، أو مضى على قراءتها مدةٌ طويلة، وأنا أحرص على إعادة قراءته كل بضعة أشهر، فأجد فيه علماً وفهماً قد فاتني فيما مضى، فلا بُدّ أن نقرأ (كتاب التوحيد) من جديد، وكتاب (صفة الصلاة) من جديد، ونُعيد قراءة (الواسطية)، نعيد الكتب التي ختمناها، حتى تتأصَّل الأصول، فنُؤصلها لمن معنا، ومن غير هذه الأصول نَضيع، وهذه الأصول فيها الفائدة والبركة، فتُحمّس فينا الدعوة إلى الله تعالى، والجهد لهذا الدين]. من محاضرة للشيخ سُجِّلَت بعنوان: (المذهبية).

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢) مطولًا، وابن ماجه (٤٣)، وابن أبي عاصم في شرح السُّنة (٤٨).

حصل عندنا تَرَهُّل -كما حصل عند قوم نوح- فَسَتَضُرّنا كما ضرَّت بقية الجماعات، فنحن علينا تَبِعة عظيمة، فيجب على كل مُوحِّد أن يحمي الدين.

ما يلزم الداعية

هذا الواجب يلزمنا معه واجبات: **أهمها العلم**، لأنك أنت ستحمي الدين من عبث العابث فيه، **فلا بُدّ أن تَعرف أولاً ما هو الدين**، ثم تَعرف ما هو العَبَث، فلا بُدّ من معرفة الإسلام كاملاً، ومعرفة ما دَخَل فيه ليُنَقّى منه، وطبعاً هذا من فروض الكفاية، لكن يجب على من يريد أن يتصدى للدعوة إلى الله عز وجل أن يقوم بهذا.(١)

(١) [فإني أنصح إخواني من الناشئة الشباب: أن يراعوا أن الأصل في بِناء الإنسان الغِذاء لا الدَّواء، بمعنى أن مواجهتنا لهذه الأفكار يعتبر علاجاً، لكنه ليس بناءً، البناء يُبنى على الأساس الصحيح، فلا يُعقل أن يكون طعامنا دواء كل يوم، وأنه علينا أن نتغذى غذاءً صحيحاً يُبنى عليه الجسم.

والمرض لا يأتي للإنسان إلا إذا كان في الغذاء نقص -وهذا يقوله أهل الطب-، فالمرض لا يهجم إلا على صاحب البُنية الضعيفة، **وكذلك البِدَع والأهواء لا تُهاجم إلا صاحب الدين الضَّعيف**، وهذا احفظوه، **لذلك لا بُدّ من أن نُغذي أبناءَنا بالدليل**، أي نبنيه بناءً صحيحاً على دين الله، كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا بنيناه على هذا؛ كنا بحق من أتباع الصحابة رضوان الله عليهم، وإلا فيصبح بالإنسان ضعفٌ، يجعله مهيأ لقبول الأفكار الفاسدة، والذي نلاحظه أن الشباب يتبسّطون في دراسة الخلاف والمشاكل، أكثر من دراسة المسائل والبناء، **وهذا من تلبيس الشيطان**، لا بُدّ أن نَصبِر، ونُصبِّر أنفسنا على تعلم العلم والبناء الصحيح.

ونعلم يقيناً بأن الشيطان لا يعبث إلا في البيت الخرب، **والأهواء والمذاهب الفاسدة لا تدخل إلا لمن لا يملك تأسيساً صحيحاً**. فأسس نفسك على الكتاب والسنة واستمسك بهما حقاً، فإن الأفكار تتفرد بالإنسان ويبقى الشاب خاوي الفكرة ما عنده شيء، فإذا جاءته الأهواء نظر إليها بعقله.

ومن الآفات أن يتحول الشباب من جهلة إلى مفتين! فإذا ما وَرَدت عليك المسائل فلا تعمل عقلك فيها، **وإنما أوقفها وأرجعها إلى أهل العلم تَسلم**، وأما إذا جاءتك وأنت تستند لها بالأدلة فهذا درب الانحراف، ولذلك نحن نُفرّق دائما بين من يُنشئ الحُكم من العلماء، وبين ناقل للحكم من الشباب، فإنشاء الأحكام لا بُدّ أن يصدر من العلماء؛ حتى لا تضل الأمة وتنحرف]. من محاضرة للشيخ بعنوان: (مسائل مهمة في الدعوة السلفية).

نَختم بما ذكره الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ -الإمام المشهور- في إجابة سؤال: كيف نتوصَّلُ إلى الفِرقة الحق من الثلاث والسبعين فرقة، وكل فرقة تزعم أنها هي الفرقة الناجية، ثم قد تقيم بعض الفرق على دعواها برهانا أوهَى من بيت العنكبوت؟!

تحري أحوال النبي ﷺ والسلف

قال[1]: (وكان الأحسن بالناظر في الحديث، أن يكتفي بالتفسير النبوي لتلك الفرقة) وهذا هو الجواب القاطع، فلِماذا نُضيّع الأوقات وقد جاءنا الجواب! فَنسأل ما هي الفرقة الناجية وكيف نعرفها ونتعرف عليها، والجواب قد أجاب عليه المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فقد كفاه مُعلّم الشرائع، الهادي إلى كل خير صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المؤونة، وعيّن له الفرقة الناجية بأنها: من كان على ما هو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وقد عَرف بحمد الله من له أدنى همة في الدين ما كان عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه) يعني ليس بلغز ولا مجهول، فكل إنسان أو طالب علم بسيط يستطيع أن يعرف ماذا كان عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

قال: (ونقل إلينا أقوالهم وأفعالهم، حتى أكلُهم وشربُهم ونومهم ويقظتهم، حتى كأنّا رأيناهم رأيَ عين) وبالفعل من يتابع سيرة وسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما جرى بين الصحابة في كل شيء، يرى كأنه يعيش تلك البيئة، ولذلك المحدثون وعلماء الأمة يتكلمون عن الصحابة والتابعين كلام العارف المطّلع، فيعرفون جميع أحوالهم وأشكالهم وأذواقهم وما يحبون وما يكرهون وكيف يأكلون، يعرفون كل شيء عنهم، كل ذلك حتى لا تغيب عنا الصورة التي أرادها لنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) في كتابه (افتراق الأمة إلى نيِّفٍ وسبعين فِرقة ص٧٩).

المنصف يُقارَن حاله بحال السلف

قال: (وبعد ذلك فمن رزقه الله إنصافاً من نفسه وجعله من أولي الألباب، لا يخفاه حال نفسه أولاً: **هل هو متَّبِع لِما كان عليه النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وأصحابه أم غير متَّبِع؟**).

كل واحد يعرف هذا في نفسه، لكن كما قلنا الذي يُحجب عن هذا إما صاحب هوى منتحل، وإما جاهل ضاع منه الحق، فصاحب الهوى لا علاج له إلا بسلطان، والجاهل يعالج بالتعليم.

قال: (ثم لا يخفى حال غيره من كل طائفة هل هي متبعة أم مبتدعة، ومن ادعى أنه متبع للسنة النبوية متقيد بها تُصدِّق دعواه أفعاله وأقواله، أو تُكذّبها) ينظر فيه هل هو على السنة فعلاً وقولاً أم مجرد دعوى؟

قال: (فإن ما كان عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ظهر بحمد الله لكل إنسان، فلا يمكن التباس المبتدع بالمتبع، وعندي على تقرير ذلك الجواب، وأن زمن الافتراق والهلاك هو آخر الزمان، وأنه لا بُعد في أن الفرقة الناجية هم الغرباء المشار إليهم في الحديث، كحديث «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء. قيل من هم يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس» وفي رواية: «ما أفسد الناس من سنتي» وفي رواية: «الذين يفرون بدينهم من الفتن» وفي حديث عبدالله بن عمرو: «قلنا: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: قومٌ صالحون قليل في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»[(١)]) ا.هـ.

فإذا عرفنا هذا الذي مضى كله، من أن هذه الطائفة الناجية المنصورة هي المقصودة بحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تحديد الفرق[(٢)]، فيبقى بعد

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦٦٥٠).

(٢) ومن أراد تتبع الأقوال فقد ذكر العلامة أحمد الدهلوي رَحِمَهُ اللَّهُ -من علماء الهند- أقوالًا، حتى

ذلك أن نتعرف إلى منهج هؤلاء الناس في فهم الدين، وأنه يجب اتباع طريقتهم ومنهجهم، وأن من خالفهم يُعَدُّ مُبتدِعاً خارجاً عن دائرة الفِرقة الناجية. فمن هم هؤلاء الناس؟

لا شك أنه ليس لهم أسماء ثابتة في كل عصر، **وإنما لهم صِفات وشِعار**[(١)]**، ولهم رايَةٌ يَسيرون تحَتَها.**

=للصوفية وللجيلاني وحتى لابن عربي، كلها تُحدّد أن المراد هم أهل الحديث، فذكر أقوالاً كثيرة جداً في كتاب له جميل حول أصحاب الحديث أو أهل الحديث، وهو كتاب مطبوع قديماً، وجُدد طبعه حديثاً.(ش) وقد طبعته مكتبة الغرباء الأثرية سنة ١٤١٧هـ بتحقيق الشيخ علي حسن عبدالحميد الحَلَبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعنوانه: (تاريخ أهل الحديث).

(١) بلغني أن هناك كتاباً جميلًا للحاكم -الكبير أبي أحمد، شيخ صاحب المستدرك- أسماه (شعار أهل الحديث). (ش) وقد طَبعته مكتبة الرُّشد، بتحقيق صبحي السامرائي.

المحاضرة الحادية عشر: ١١

عقيدة الولاء والبَراء .. ضَرورة

المحاضرة الحادية عشر

عقيدة الولاء والبَراء .. ضَرورة[1]

أخبرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن من شروط الإيمان عند المؤمنين أن يحب في الله ويبغض في الله، وهو ما يُعبّر عنه بتحقيق (الولاء والبراء)، وذلكم أن في أيامنا هذه التي مضت قد حصل في الناس ولاءٌ وبراءٌ لغير الله عز وجل، وأصبح حبٌّ وبغضٌ على غير شرع الله سبحانه وتعالى.

يجب أن يكون الهوى تابعاً للشرع

فأولاً: نحن نعلم بأن من مقتضى العبودية **التامة لله سبحانه وتعالى أن يكون العبد كله لله** ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢]، هذا من تمام لزوم أن تكون عبداً لله، ومن ضمن ذلك: أن هَواك أيضاً يجب أن يكون لله عز وجل، أي أنك لستَ حُراً في أن تهوى ما تُريد وأن تكره ما تريد، وإنما يجب أن يكون هواك تبعاً لِما أمر الله سبحانه وتعالى، ويُروى حديث - وضَعَّفه بعضهم لكن معناه صحيح- وهو: (لا يُؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لِما جئتُ به)[2]، فهوانا يجب أن يكون مربوطاً بالشرع، وهذا الذي قاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من أحبَّ لله وأبغض لله؛ فقد استكمل الإيمان)[3]، إذاً نحن في دائرة العبودية، **فأمزجتنا وهوانا ومحبتنا وبغضنا لا بُدّ أن يكون لله عز وجل.**

---

(١) أصلها محاضرة للشيخ بعنوان: (تحقيق الولاء والبراء).

(٢) أخرجه قوام السنة الأصبهاني في (الحُجَّة في بيان المَحجّة ١٠٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٨١).

نظرياً لا يوجد أحد يُخالف ذلك، يعني لو تأتي لأي إنسان مسلم فتقول له: يجب أن يكون هَواك تابعاً لدين الله عز وجل، فلا يستطيع أن يقول: أنا هَواي تبعٌ لنفسي، وإلّا فإنه يكون عابداً لهواه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣]، فنظرياً عندما يُطرح ذلك بين الناس فلا أحد ينكر.

ولكن المشكلة هي في التطبيق العملي، وضربنا مثالاً حتى في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أحياناً ترى الإنسان يَندفع في إنكار المنكر لهوىً في نفسه، لا لأن هذا المنكر بهذه الدرجة التي يحتاج من الاندفاع، أو أن هذا الذي أنكر عليه بهذه الدرجة، وإنما هو كارهٌ لهذا الإنسان، أو عنده كُره لهذا الفعل، فتراه يندفع منكِراً، **وتراه أحيانا يَبرُد، والمنكر أحيانا يكون أكبر!** إذاً ما الذي حرَّكه؟ الهوى لا الطاعة.

آثار التطبيق الخاطئ للحب والبغض

أما الواقع العملي الصحيح فإننا يجب أن ننظر في أحوالنا وفي علاقتنا مع الناس، وفي حُكمنا على ما نحن فيه، هل نُمارس ذلك تعبداً لله عز وجل في كل شيء، في تقييمنا، في إحساننا، في كلامنا، دفاعنا، ما الذي يُحرِّكنا، **إذاً لا يستكمل العبد حقيقة الإيمان إلا إذا أحبَّ في الله وأبغض في الله.**

هذه المسألة طبعاً **يترتب عليها أعمال كثيرة**: منها العلاقة مع الكفار، منها العلاقة مع المبتَدِعة، منها العلاقة مع أهل الأهواء، منها العلاقة مع أهل المعاصي، إذاً هذه العلاقة تُرتب لك سُلَّماً طويلاً من المعاملات.

أحيانا ترى بعض الناس شديداً جداً مثلاً مع عُباد القبور، لكنه مع النصارى سَهل، السبب أن له مصلحة مع هؤلاء! فتراه يستدل لك بآيات لين النصارى واللُّطف معهم، وتراه شديداً على أولئك، وهذا واقعٌ نراه في حياة المسلمين، ترى أحياناً عندما يتكلم الإنسان ولديه علاقة مع

طائفةٍ معينةٍ من الناسِ فإذا بالولاء والبراء عنده يَبرُد، ويَبرُد عنده الحب والبغض في الله، وقد يُنكر على شخصٍ آخر شيئاً أصغر مما هو فيه.

إذاً لا بُدّ أن نُعيد برمَجَة عقولنا وقلوبنا لتوافِق الحق الذي جاءنا من الحق سبحانه وتعالى، فلا يكون العبد مؤمناً حقيقةً؛ حتى يكون هواه تبعاً لدين الله عز وجل، وأما إذا تغيرت هذه العقيدة دَخل فيها دَخن.

برودة الشعور تجاه المخالف

الذي يترتب على هذه العقيدة أن المسلمين الآن -على كثرة ما نقرأ ونسمع- بَرَد عندهم كُره الكفار، وأصبح الإنسان يمر على النصارى، يمر على الرافضة، ويمر على المبتدعة فلا ينفعل أو يتغير شيء في قلبه، وكلما حصلت الخُلطة بَرُد أكثر، ولذلك عندما تذهب مثلاً إلى المسلمين في أوروبا لا ترى كُرهاً للنصارى، ليس عندهم تَوَتُّر، بل ترى بينهم صُحبةً ومودةً وعلاقات، وكذلك المسلمون في الهند لا تَرى بينهم وبين الهندوس توتّراً، بل وصَلَ الأمر إلى الزواج! الآن التوتر في الجزيرة قد يكون قويًّا، لكن التوتر مثلاً في بلاد الشام ومصر ضعيف، ما الذي جعل ذلك يَضعُف؟ **الزمن، وكثرة العلاقات، وتداخل الثقافات**، ونخشى مع كثرة الغزو النصراني إلى بلاد المسلمين وإلى بلاد الجزيرة بالذات؛ فتور كُره الكفار عند المسلمين ، وتبرد الأمور، فعند ذلك يصبح حتى حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب)[(١)] تطبيقه في حياة الناس الآن غير موجود.

إذاً نحن نُواجه في عالمنا الإسلامي **موجة لتَمييع عقيدة الولاء والبراء وتذويبها**، والبداية بدأت مع أهل البدع، نادت الحركات الإسلامية إلى إماتة قضية هجر المبتدع، فَصِرنا ما نَسمع أن فلاناً هُجر، مع أن عندنا بعض المبتدعة

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٧)، وأبو داود (٣٠٣٠)، والنسائي في الكبرى (٨٦٨٦).

أشد كثيراً ممن هجرهم الصحابة رضوان الله عليهم على أفعال بسيطة، بَرَد هذا، ثم جاء البرُود مع الرافضة، فلو يُتابَع ما يجري من الحركات الإسلامية والمؤتمرات التي تُقام في أوروبا بالذات وأمريكا؛ **كلها عبارة عن إزالة الفُروق -والحرب النفسية كما يقال- بين المسلمين والنصارى.**

دور الإعلام في تمييع العقيدة

ونواجه عبر الإعلام وعبر المخالطة: تمييعاً لعقيدة الولاء والبراء، ولذلك لو أن أحداً كتب مقالاً وقال: (النَّصارى كفار) يثورون عليه!! وهذا حصل في فترة من الفترات، قالوا: لا يا أخي؛ الله عز وجل مَدَح النصارى، والله سبحانه وتعالى ذَمَّ اليهود، مع العِلم أن الله عز وجل يبين أن اليهود والنصارى لنا أعداء، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾ [البقرة:١٢٠].

فلا بُدّ إذاً أن يتنَبَّه أهل التوحيد، لأن الذين يُنادون بالتعاون مع الطوائف قاطِبة، والذي يرضى أن يحصل تعاون بيننا وبين أهل «وَحدة الوجود»، ومع من عَبدوا غير الله عز وجل من عُبّاد القبور؛ ماذا يَضُرّه بعد ذلك أن **يتطوَّر قليلاً فيوجد علاقةً مع النصارى**؟! ثم يتطوَّر قليلاً فيوجِد علاقة مع اليهود، وعند ذلك تَضيعُ مَعالم حقيقة الولاء والبراء، التي هي عقيدة أساسية.

ولا نظُن أن الأمور تتحرك هكذا عشوائياً، بل هي مدبرةٌ بليل، تلميعٌ للنصارى، خذ مثالاً: لو أجرَيت استفتاء على غالبية الناس تجدهم يقولون: الخادمة النصرانية أحسن من المسلمة، نسمعها كثيراً، لذلك تَجد نِسبة الذين يأتون بالنَّصارى في مكاتب العُمّال إلى بلاد المسلمين أكثر بكثير من النِّسب التي تأتي بالمسلمين، ما السبب؟ أن أولئك مدرَّبون

على حُسنِ المعاملة[١]، ومهيَّئون على اكتساح بيوت المسلمين.

واعتقاد أن النَّصارى فيهم خير؛ اعتقادٌ خطير، وأن النصارى فيهم أمانة، وأن النصارى عندهم أخلاق طيبة، إضافة إلى أن المسلمين -كما قُلنا- فرّقوا بين النصارى واليهود للأسف الشديد، فوجَّهوا سِهام الكُره والنَّقد على اليهود، وخفَّفوها عن النصارى، **عِلماً أن أكثر الأذى في تاريخ المسلمين أتانا مِنَ النَّصارى، والذي جاء من اليهود مَدعومٌ بمالِ وقوةِ النَّصارى.**

خطوات لإحياء هذه العقيدة

فلا بُدّ من إحياء عقيدة الولاء والبراء من جديد، كيف نُحييها؟ بالبحث عن الوسائل التي يجب أن يسلكها دعاة التوحيد، في إيجاد هذه العقيدة في قلوب الناس:

أولها: أن **نُشيعَ هذه العقيدة نَظرياً**، وأن **نُقنع الناس قاطبة أن من أحب الكافر كان على خطر عظيم**، بل إذا أحبه لدينه قد يَكفر، لا بُدّ أن نُحيي ذلك عبر دروس ومقالات وكتيبات تُبين عقيدة الولاء والبراء، هذه ضرورة، لا بُدّ أن يُعلَّم الناس هذا، والنصوص التي تُحرِّم الجلوس معهم ومن مؤاكلتهم، ومن تحريم السفر إلى بلادهم إلا للضرورة، ومن عدم مدحهم كأن تقول: (السَّيد)، ويحرم علينا أن نوسع له الطريق، وأنا أقول **اقرءوا الشروط العمرية التي فُرضت على النصارى في الشام تَراها عَجيبة**، لو تقرؤون عند ابن كثير وغيره، اشترطوا على أنفسهم شروطاً من أعجب الشروط، أما الآن فانقلبت الأمور.

---

(١) وطبعاً لو يستطيع أصحاب المكاتب أن يفتحوا معاهد تدريب للعمالة المسلمة لنفع الله به كثيراً، السبب أن النصارى أولاً يأتون من المدن، والمسلمون كما تعلمون من خارج المدن، والنصارى يدخلون معاهد ومدارس، والمسلمين ما يدخلون هذا، فلذلك هؤلاء يأتوكم وعندهم ثقافة، والمسلمين ثقافتهم قليلة، **فلو أن شركات العمالة اتجهت إلى إنتاج معاهد هناك تُدرب على الإسلام الصحيح والأخلاق والقيم لتغير الحال**، ولكن نسأل الله أن يُعين. (ش)

فنحن بحاجة أن نعلِّم الناس ما هي العلاقة التي يجب أن تكون بين الكافر والمسلم، ضرورة أن تُشاع عقيدة الولاء والبراء وتُيَسّر للناس، لأن الناس عندما تقول لهم الولاء والبراء قد لا يفهمونه بشكلٍ صحيح، **فلا بُدّ أن تُيَسّره لهم، وأن تُسَهِّلَه** عليهم.

الثانية: في الحقيقة أننا بحاجة أيضاً أن نُبين **للناس أن النصارى أعداء**، والعدو لن يَرضى عنا ولو أعطيناه الدنيا قاطبةً، إلا إذا تَبِعنا دينه، هذا أمر لا بُدّ أن يعرفه الناس، وهذا لا يحتاج منا إلى محاضرات فقط، وإنما كل منا له صاحب أو قريب أو زميل أن يُدخل هذه العقيدة في رأسه، فإذا دَخَلَت رؤوس الناس وتَرَبى عليها أبناؤهم فسيوجد الحاجز، **ألا ترون أن الرافضة صغيرهم وكبيرهم، بَرّهم وفاجرهم، مُصَلِّيهم وكافرهم؛ يكرهون أهل السنة، رُبُّوا على هذا**، السِّيخ الآن كبيرهم وصغيرهم، ذَكرهم وأُنثاهم، البُهرة كذلك[1]، الإسماعيلية كلهم، عندهم حاجز مع بقية الطوائف، إلا نحن عندنا مشاعر مَحبَّة!

إذا أشَعْنا هذا العِلم مع الزمن، وتداولنا النُّصوص، فالشعوب مع الزمن تكره، ولذلك انظروا مثلاً كم من الأموال صُرِفت -إعلانات وعلاقات سياسية- لإيجادِ موالاةٍ بين الألمان والإنجليز وما استطاعوا ! فالكُره باق بين الألمان والإنجليز، ولذلك لا يمكن للألماني التكلُّم بالإنجليزية -وإن كان هو أستاذٌ فيها-! والحق أننا نُريد هذا بيننا وبين الكفار، علماً بأن الألمان والإنجليز نصارى ومن عِرق واحد، وآلٍ واحد وأوربيين جميعهم، وعلى مذهبٍ واحد، ولكن بينهم من الحقد - ولعل ذلك نفعاً لنا-، حتى في علاقاتهم السياسية مع بلادنا، فلماذا لا يبقى بين أبناء المسلمين والنصارى

(١) حذر الشيخ من هذه الطائفة وكتب عنها مقالةً نُشرت في جريدة الرأي العام سنة ١٩٧٨م، انظر المجموع (٤/ ٦٠).

أيضاً هذا الكُره، الله أمرنا بذلك، **نحن مأمورون أن نُظهرَ لهم العداوة والكره والبُغض**، هذا إذا كانوا غير محاربين، فكيف وهم محاربون؟! فكيف وهم محتلّون؟! وهم يؤذون الله ورسوله في كل وقت!

إذاً لا بُدّ من أن يُشاع بين الناس ويَتربَّوا على عقيدة: أن النصارى كفار، ولا يجوز موالاتهم، وأنهم يكيدون لنا، وأنهم يَسعون في الأرض فساداً.

الثالثة: أن نُعلِّم الناس أنه لا يجوز أن نَذُم دين المسلم إذا أخطأ في عملٍ دنيوي، ونقول: والله النصارى أحسنُ من المسلمين، هذه كلمة كفرٍ، فإذا سمعناها من الناس لا بُدّ أن نُعلِّمَهم، فإذا أخطأ الخادِم مثلاً، لا تَقُل النصارى أحسنُ من المسلمين! فقد تقع في الكفر، لا بُدّ أن نُعلِّم الناس أنهم مُحاسَبون في ألفاظهم، لأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غضب في ذلك على الصحابي الذي قال: «ما شاء الله وشئت»، مع أن الصحابي لا يقصد الشرك، إلا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غضب غضباً شديداً وقال له: (أجعلتني لله نِدّاً!!)(١)، لأنها كلمة خاطئة، فعندما نسمع مسلماً يتكلم خطأً؛ لا بُدّ أن نُوجِّهَهُ، لا نَعتبرها جملة مَرَّت، هذه عقيدة، **فالعقائد تنتشر عبر جُمل، ثم تترسَّخُ إلى معانٍ بين الناس**، فهذه العقيدة يجب أن تُحارب.

إذاً -يا إخواني- هذه العقيدة ركن من الأركان الأساسية التي يجب أن تُعرَّف للناس، على أن الكره والحُب يجب أن يكون لله، وفي الله سبحانه وتعالى، ويجب أن نَعلم أننا كما نُحب الإيمان، لا بُدّ أن نكره الكُفر وأهله، وهذه عقيدة، **وأما أن نجلس مع الكفار ونُخالطهم، وكأن الدنيا تخلو من الكفر، هذه في الحقيقة انطماسة قلب**، وقد ابتلي بها المؤمنون،

(١) أخرجه أحمد (٣٢٤٧)، وابن ماجه (٢١١٧).

فلذلـك لا بُـدّ مـن الموحديـن -حَمَلـة الدعـوة السـلفية بالـذات- أن ينتبهـوا لهـذا، وأن يُنبِّهـوا النـاس لهـذا الخطـر العظيـم، ألا وهـو خطـر ضيـاع عقيـدة الـولاء والـبراء، ونسـأل الله أن يعيننـا عـلى إشـاعة هـذا.

١٢

المحـــاضرة الثـانية عشر:

مفهوم التَّوحيـد والتَّجديـد

المحاضرة الثانية عشر

مفهوم التَّوحيد والتَّجديد

نحن نعلم بأن هذا الدين له ضوابط وله أسس ثابتة، والله عز وجل ساق لهذه الأمة من أهل الفضل والعلم والثقة كي يضعوا لنا الأصول، وأمرنا الله جل وعلا بأن نسير على دربهم وهديهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

مسائل التوحيد لا تقبل الاجتهاد

فعندما نتكلم عن مفهوم التوحيد لا بُدّ أن نُدرك أن **المسألة ليست اجتهادات**، وليست آراءً ذكرها ابن تيمية، أو ذكرها ابن حنبل أو غيرهما من الناس، ولا هي عملية تنظير كما يقال في المذاهب الفلسفية، فلا الإمام أحمد ولا الإمام الشافعي ولا الإمام مالك ولا الإمام أبو حنيفة ولا حتى ابن تيمية؛ وضعوا فلسفاتٍ يجب أن نَفهَم الدِّين عليها، لأن كثيراً ممن يدندن في مسألة منهج السلف ومذهب السلف؛ يُريد -ادعاءً- أن يُبين للناس أنها مسألة اجتهادية، ومسألة مصطلحات لا مشاحة في التنازع فيها، وبالتالي أن ما اجتهد به الإمام أحمد قابل أن يجتهد فيه ابن تيمية، قابل أن يجتهد فيه ابن عبدالوهاب، قابل أن يجتهد فيه عمرو من الناس!![1]

كل ذلك باسم «حرية الرأي»، وباسم «الاجتهاد»، وبحجة أن الأمر ليس فيه نصٌّ من الكتاب والسنة!! وقولهم هذا يُشبه قول تلك التي

(١) لعلّي أشرتُ مِراراً أن أسوأ ما كُتب في هذه القضايا كتاب الصاوي الذي سماه: (الثوابت والمتغيرات)، ولنا تعليقات عليها أسميناها (بلاوي الصاوي) نسأل الله أن يُعيننا على إخراجها، لأن في هذا الكتاب هَدْماً لمُجمل القضايا المُتفق عليها. (ش)

جاءت إلى عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقالت: أراكَ تنهى عن النَّمص، وما وجدت في كتاب الله شيئاً، فكيف تقول حرم الله؟! فتَلا عليها: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].(١)

وقولهم: أن المسألة لم يَرِد فيها نَصّ، ما عندنا فيها آية، ما عندنا فيها حديث صريح .. إلخ، فيها تلبيسٌ على كثير من العوام، وفي الحقيقة -كما قلنا- أن السلف رضوان الله عليهم من الصحابة والتابعين ساقهم الله عز وجل وهيأهم لأن يَضَعوا لنا الأسس التي عليها نَسير، وهذه القضية أساساً لا تَقبل المناقشة لدينا، فلم نأتِ بشيءٍ جديد، ولسنا نُنَظِّر للمسلمين واقعَ دينهم.

التجديد عند التنويريين

نحن رَفَضنا (مسألة التجديد)، ورفضنا ما يُسمَّى (بالفكر المستنير) في عموم دين الإسلام، هذا التَّيار طُرح لتجديد الإسلام كله، وسيد هذا التيار -كما تعلمون- الترابي ثم محمد عمارة ثم عويس، وصارت حركتهم مشهورة ولها مؤتمرات تُقام، ويريدون أن يُبيِّنوا أن كلّ قضايا الإسلام قابلة للاجتهاد!! ولذلك قال القرضاوي: إن غالبية قضايا الإسلام تقبل الاجتهاد!(٢) وهذا الإطار العام الذي يطرحه هؤلاء في حركة التجديد للإسلام كله؛ **نهايتها تَضْييع مَعالم الإسلام**، فيُصبح الإسلام قابلاً للمحاورة في كل أصوله؛ في وضعه الاقتصادي، ووضعه

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٣١)، وجاء ذِكر المرأة السائلة عند أبي داود (٤١٦٩).

(٢) كما في كتابه (الاجتهاد في الشريعة الإسلامية) فصل (مجال الاجتهاد) ص٦٥: (والذي يظهر لي والله أعلم أن مجال الاجتهاد: هو **كل مسألة شرعية ليس فيها دليل قطعي الثُّبوت، قطعي الدَّلالة، سواء كانت من المسائل الأصلية الاعتقادية**، أم من المسائل الفرعية العملية. ومجيئها في الشريعة على هذا الوجه: **دليل الإذن بالاجتهاد فيها**، وإلا لجَعَل الله تعالى فيها من قواطع الأدلة، ومُحكَمات النصوص؛ ما يرفع التَّشابه، ويُغني عن النظر، ويَمنع الاختلاف).ا.هـ طبع دار القلم، الكويت، سنة ١٩٩٦م.

السياسي، ووضعه العقائدي، وموقفه من الكفر، وموقفه من اليهود والنصارى والتعايش معهم، بحيث في النهاية يبقى المسلم والنصراني واليهودي كلهم في تقارب وتعايش، وكما عبروا بـ «كسر الحاجز النفسي» بينهم، يعني **تَضييع قضية الوَلاء والبرَاء**، ويكون إسلام ولا إسلام!

وهم ساعون بهذا في تحويل النقمة على اليهود، وتخفيفها عن النصارى كمرحلة، لذلك كل الكتابات وجُهد الإسلاميين وخُطَبِهم؛ تَنْصَبُّ على طائفة من الذين ذمَّهُم الله عز وجل وهم اليهود، وهذا حَقّ، لكن تُخَفَّف الوَطأة عن النَّصارى، فيأتي المسلم بعد ذلك ويقول: النصارى قريبون منّا، فكذلك اليهود فيهم المعتدل وفيهم السّيئ! وهكذا، وهم لا يَبنون لجيل اليوم، بل يَبنون لجيل المائة سنة القادمة.

تمييع هوية المسلم

فمن يَدرُس تاريخ المسلمين في الهِند، ويَرى كيف تَمَكَّن الكفر من **تَمْييع هويةِ المسلم**؛ إلى أن صار البوذي الهندوكي يتزوج المُسلمة، وكذلك في لبنان وفي مصر نوع من التَّعايش، والذين يعيشون في أوروبا من أبناء الجاليات المسلمة عندهم نوع من التعايش، وفي المرحلة القادمة سيكون التعايش مع اليهود.

هذه الخطة مثلها تماماً **الخطة التي تقودها الحركة الإخوانية** الأخرى، فالإخوان[١] قادوا الحركة الأولى بقسم (البَنَّائيين) وهو التعايش مع

(١) **حركة الإخوان المسلمون**: هي إحدى الحركات الإسلامية المعاصرة، نشأت في الاسماعيلية سنة ١٩٢٨م، ونادت بالرجوع إلى الإسلام، ولكن انتقد عليها إجمالاً: عدم اهتمامها بقضايا العقيدة والتوحيد ونبذ الشرك والتحذير منه،واتجاه مؤسسها للطريقة الصوفية الحصافية، وتفويضه في أسماء الله وصفاته، ودعوتها للتجميع دون تمييز وتصفية، والتنظيم السري العسكري، وبيعة المرشد، وغيرها من الأمور التي سيوضحها الشيخ أكثر في صفحات قادمة. وينظر للاستزادة كتاب: (دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة) للشيخ صلاح الدين مقبول (١/ ٢٧٥).

الديانات والمذاهب والفِرق، وساروا بهذا ونَجَحوا، أما الفِرقة الثانية التي هي (القُطْبِيَّة)(١)، مع أن أصلَ فِكرها خارجي، لكن من باب

=حسن بن أحمد بن عبدالرحمن البَنّا الساعاتي: مؤسس هذه الحركة، ولد سنة ١٩٠٦م في قرية المحمودية بالبحيرة، ونشأ نشأة دينية، تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة ١٩٢٧م، فعُين مدرسا بمدرسة ابتدائية في الإسماعيلية، وهناك بدأ نشاطه الدعوي بين الناس، وخاصة في المقاهي وبين عُمّال قناة السويس، وفي عام ١٩٣٢م انتقل إلى القاهرة وانتقلت قيادة الحركة معه، أصدر جريدة (الإخوان المسلمون) ثم (النذير) ثم (الشهاب)، تكونت أول هيئة تأسيسية للحركة عام ١٩٤١م من مائة عضو اختارهم بنفسه، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٩٤٩م،

ومن أبرز مرشِدي الجماعة: سيد قطب (المفكر الثاني للجماعة بعد البنا)، حسن الهضيبي، عمر التلمساني، محمد حامد أبوالنصر، مصطفى مشهور، مأمون حسن الهضيبي، محمد مهدي عاكف، محمد بديع، محمود الصواف (مُراقباً بالعراق)، مصطفى السباعي (مراقباً بسورية)، محمد عبدالرحمن خليفة (مراقبا بالأردن). [الموسوعة الميسرة ١/ ١٩٨].

وكتب الشيخ عبدالله مقالة نُشرت سنة ١٩٩٦م بعنوان: (قراءة أولية في مقابلة المرشد العام للإخوان المسلمين)، تعليقاً على مقابلة: مصطفى مشهور، وانتقد فيها جماعة الإخوان بعدة قضايا مهمة، انظر المجموع (٤/ ٣٠٦).

(١) **القُطبية**: قام منهجهم على بلورة (قضية التشريع وتحكيم غير شريعة الله) في أنظمة الحكم في مجتمعاتنا المعاصرة **أنه ناقض لعقد الإسلام وهادم لأصل التوحيد**، ومثَّل هذا الاتجاه الأستاذ **سيد قطب (وإليه يُنسبون)** عبر كتاباته، وما أصَّله كذلك عبدالمجيد الشاذلي في كتابه (حدّ الإسلام). هذا ما ذكره واحد منهم وهو الصاوي في كتابه (مدى شرعية الانتماء إلى الأحزاب والجماعات الإسلامية) ص١٧١، ينظر كتاب (القطبية هي الفتنة فاعرفوها) للعدناني.

وسُئل الشيخ مرة عن: ما أبرز معالم السرورية (القطبية)؟ فقال: البناويّون فيهم تمييع، حتى قال حسن البنا: خلافنا مع اليهود خلاف اقتصادي. أما القطبيون (الجهاديون) عندهم وضوح للأمور خاصة في الولاء والبراء، والقطبيون يكفرون الحكام والمجتمع، ويرون أن علماءنا لا يفهمون الواقع، ويرون جواز الاعتصامات وغيرها، ولكن لا يدعون إليها علناً، وهدفهم لما أنشؤوها: تجميع الجماعات الإسلامية ثم ركوبها. والمشكلة الأساسية أنهم لم يكتبوا أصولهم، فهم متذبذبون، كما قرر الصاوي أن الدين ليس فيه ثوابت بل فيه التغيّر!، حتى أنهم اتخذوا مذهب التقية فلا يُظهرون مذهبهم.

سيد قطب بن إبراهيم: ولد سنة ١٩٠٦م بقرية (موشه) في أسيوط، تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة ١٩٣٤م، وعمل في جريدة الأهرام، وعين مدرساً للعربية، فموظفا فمراقباً فنياً في ديوان وزارة المعارف، وانضم إلى جماعة الإخوان سنة ١٩٥٣م فترأس قسم الدعوة وتولى تحرير جريدتهم، سجن عدة سنوات، ومر بمراحل فكرية في حياته، وله مؤلفات عدة منها: (المستقبل

السِّياسة والتَّجْميع تَقودُ ما يُسمى بـ: تقريب الحركة مع المنهج السلفي وبقية المناهج، بحجة أننا الآن أمام المد العلماني!

هناك مؤامرة كبرى يُخطّط لها لأن تَضِيع الهُوِيَّة السَّلفية،(١) لأن كل الجماعات ميّعت، ومن يحافظ على هويته وعلى أصله ومذهبه وعقيدته وموقفه من الجميع هم دعاة السلفية، فهم يُراد لهم أيضاً أن يضيعوا، فأهل البدع أصبح لهم جهاد -كما يقولون- وأصبح لهم فضل في أفريقيا، وأصبحوا الآن يجابهون العلمانية، إذاً نسكت عنهم!! وقس عليه بعد ذلك ما شِئت.

إذاً يجب أن نعلم بأن المسألة ليست اجتهادات، وإنما نحن عندنا ضوابط، وعِلمنا هذا ورثناه عن أكابر، ونُوَرِّثه إلى من بعدنا، سلسلة قائمة ثابتة، فبالتالي عندما نقول: **الموقف في قضية التوحيد قد فَرَغَ منه السلف وانتَهوا**، مسائل الجهاد قد فَرَغ منها السلف وانتهوا، الدعوة إلى الله قد فَرَغ منها السلف، إذاً فهل نحن نُقلّد؟! الجواب: ليست المسألة تقليداً، وإنما أمَرَنا بذلك ربّنا تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، والخيرية في هذه القرون هم الصَّحابة والتابعون ومن تَبِعهم.

=لهذا الدين)، (الإسلام ومشكلات الحضارة)، (خصائص التصور الإسلامي)، (في ظلال القرآن)، (معالم في الطريق)، (العدالة الاجتماعية)، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحكم الإعدام مِن قِبَل جمال عبدالناصر سنة ١٩٦٦م. ينظر [الأعلام للزركلي ٣/ ١٣٧].

(١) **سائل يسأل: شيخنا ما هو هدفهم ومصلحتهم من قولك: أنهم يُميّعون السلفية؟**

الجواب: هدفهم السيادة على الجماعات، لأنهم ذكروا في العدد الأول من مجلتهم (السّنة) التي تصدر في (لندن)؛ أن من أهدافها تجميع الجماعات في الجماعة الأم، لذلك -كما ذكرنا سابقاً- عقدوا مؤتمراً في أمريكا سمّوه (توحيد الجماعات: الطريق إلى توحيد الأمة).

وكذلك مفهوم التوحيد والشرك والمسمَّيات: شرك أكبر وشرك أصغر، وكبيرة وصغيرة، مُسميات بعضها منصوصٌ عليها، وبعضها قد استُقرِئت استقراءً من النَّص، أمّا ما لم يقُم على دليل، أو لم يكن فيه استقراء، كقولهم: حديث الآحاد ليس حجة في العقائد، فهذا أمر مردود، فلا يجوز أن نأتي بعد ذلك بحجة التجديد فنغير.

إذا فلتت واحدة فسيفلت ما بعدها كله، إذا تجاسرنا في مخالفة الدين والأئمة في واحدة فسَنَتَجاسر على ما بعدها.

فلو كانت المسألة شيئاً جديداً، وحدثاً فقهياً طارئاً، وأردنا أن نضع له تعريفاً لكان الأمر معقولاً، يعني مثلاً: مسألة التأمين على السيارات، طرأت جديداً، فيجتمع لها الفقهاء ويضعوا لها تعريفاً وحُكماً، لكن إذا كانت المسألة مستقرة ودارت الدنيا عليها ولا داعي لشيء جديد، فإذاً تبقى كما وضعها علماؤنا.

قِدَم تقسيم أنواع التوحيد

إذاً مفهوم التوحيد أولاً: أن ضوابطه وأصوله معروفة ثابتة في الكتاب والسنة، ثانياً: أن العلماء أجمعوا قبل أن يولَد جد ابن تيمية على تقسيم التوحيد إلى: ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات[(١)]، ذَكر هذا أبو حنيفة، وذكره ابن جرير الطبري، وذكره ابن مَنده، وغيرهم، قبل ابن تيمية

(١) سائل يسأل: هناك كثير من العلماء يقسم التوحيد إلى قسمين: توحيد (المعرفة والإثبات) وتوحيد (الطلب والقصد) فما مدى صحة هذا؟

الجواب: هذا التقسيم من حيث فعل العبد تجاه الله تعالى، وهو في الحقيقة ليس زيادة وإنما دمج قسمين في واحد، فالمعرفة والإثبات هو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، أما الطلب والقصد فهو توحيد الألوهية، أما التقسيم الثلاثي فهو من حيث فعل الله تعالى تجاه العبد.

بعشراتِ السنين[(١)]، **فابن تيمية ليس مُنشِئاً في المذهب، وإنما هو مُجمِّعٌ لكلام السَّلف، وشارح له فقط.**

هل هناك ضوابط وفواصل بين هذه الثلاثة؟ أم هي داخلة في بعضها البعض؟ لأنهم يقولون: ممكن الربوبية تصير ألوهية، والإلوهية تكون ربوبية، فإذاً يمكن أن نجعلها كلها ثلاثة ونجعلها واحد، إذاً نجعلها أربعة والمعنى واحد!

---

(١) ذكر **ابن بطه العُكبري** (المتوفى سنة ٣٨٧هـ) في (الإبانة الكبرى ٦/ ١٤٩): (.. وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء، **أحدها**: **أن يعتقد العبد ربانيته** ليكون بذلك مباينا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يُثبتون صانعاً، **الثاني**: **أن يعتقد وحدانيته**، ليكون مباينا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره، **والثالث**: **أن يعتقده موصوفا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفا بها** من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه، إذ قد علمنا أن كثيراً ممن يُقِرُّ به ويُوحِّده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته، فيكون إلحاده في صفاته قادحا في توحيده، ولأنا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم **إلى اعتقاد كل واحدة في هذه الثلاث والإيمان بها**، فأما دعاؤه إياهم إلى الإقرار بربانيته ووحدانيته، فلسنا نذكر هذا هاهنا لطوله وسعة الكلام فيه، ولأن الجهمي يدعي لنفسه الإقرار بهما وإن كان جحده للصفات قد أبطل دعواه لهما..).

وذكر **ابن منده** في كتابه (التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل) عِدّة أبواب في بيان أنواع التوحيد الثلاث ودلل عليها من الكتاب والسنة، فقال محقق الكتاب الشيخ د.علي فقيهي في مقدمته: (ومؤلف هذا الكتاب عاش في القرن الرابع الهجري (٣١٠-٣٩٥هـ) وقد **اشتمل كتابه على أقسام التوحيد** التي ورد ذكرها في كتاب الله تعالى: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات، فبدأ بقسم الوحدانية في الربوبية مستدلا به على توحيد الله في الألوهية، ثم ذكر عنواناً لتوحيد الأسماء، ومنه دخل في توحيد الألوهية، وذلك من الفصل الثاني والأربعين إلى الفصل الخمسين، ثم عاد لتكميل أسماء الله تعالى، ثم أتبعه بتوحيد الصفات، حيث بحثه مستقلاً عن أسماء الله عز وجل، ثم عاد إلى توحيد الربوبية بالتصريح بذلك في آخر الكتاب، ولم يخرج في استدلاله على ذلك عن كتاب الله ولا سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقوال السلف، كما يجد ذلك القارئ في الكتاب).

وأورد ابن منده كذلك كلاماً نفيساً للإمام **القاضي أبي يوسف** الكوفي صاحب أبي حنيفة المتوفى سنة ١٨٢هـ، في بيان أنواع التوحيد الثلاث، وذكره أيضاً الإمام قوام السنة الأصبهاني المتوفى سنة ٥٣٥هـ في كتابه (الحجة في بيان المحجة وشرح التوحيد ومذهب أهل السنة ١/ ١٢٢) تحقيق محمد بن ربيع.

وانظر ما قرره الإمام محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره (أضواء البيان) سورة الأعراف آية ٩.

فنقول لو كان الأمر للتعليم وتسهيل الأمر دون أن يوضع كقاعدة وتأصيل لَهانَ الأمر، ولكن إذا كان الأمر تأصيلاً؛ فالجواب: لا، بل نبقى على تأصيل الأولين، ولا شك أن هناك فواصل وضوابط تُبين ما معنى توحيد الربوبية، وما معنى توحيد الألوهية، وما معنى توحيد الأسماء والصفات، ولذلك قال سلفنا أن الرجل لو أقر بتوحيد الربوبية فقط؛ لا يكون مسلماً، فلو اعتقد شخصٌ أن الله خالق ورازق، ومحيي ومميت، ومُدبِّرٌ لهذا الكون، وأن بيده كل شيء، ولم يأت بعد ذلك ليَعبُدَ هذا الإله! يكون هذا مَثَله مثل الجاهلين مُشركي قريش تماماً.

فإذاً لو كان ليس بينهم فواصل وضوابط لكان هذا الذي يؤمن بتوحيد الربوبية مُسلماً! وإنما كانت -كما تعلمون- قريشٌ تؤمن بهذا التوحيد -بل لا ينكرُ وجودَ الإله إلا طائفة من الدَّهريين الملاحدة في هذا العصر، فعُموم الدنيا من يهود ونصارى ومشركين يُقرون أن الله موجود، وأنه خالق ورازق ومُحيي ومُميت ويُدبر الكون-، لكن إما يُشرِكون معه واحداً أو عَشَرة.

ولستُ بصددِ التفصيل فيها، لأن أصغَر طالب علم قد دَرَس فيها الدروس الكثيرة والفروق بينها.

هل يُمكن أن نَزيد، كما جاءوا فزادوا لنا قسماً رابعاً وهو توحيد الحاكمية[1]، والجواب في أمور:

الردود على من زاد الحاكمية

الأمر الأول: أن عِلْم السلف وفهمهم وقَولهم قد استقر على هذه الأقسام، وانتهوا عليها، فالزيادة استدراك في غير موضِعه.

---

(١) لمن أراد الاستزادة أنصحه بقراءة كتاب (القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد) لأخينا الشيخ عبدالرزاق العباد البدر، يرُدّ فيه على السقاف، وكذلك فصّلتُ هذه المسألة أكثر في كتابي (**الخوارج فتنة العصر**). (ش)

الثاني: أن هذه الزيادة ليست لشيء لم يكن موجوداً، فالحكم بغير ما أنزل الله مذكورٌ في القرآن، وفي عهد الصحابة كانت أممٌ كثيرة تحكم بغير ما أنزل الله فحاربوهم، والحرب بين المسلمين والكفار دارت على أساسه دعوة العباد ليعبدوا الله وحده.

شمولية الحاكمية لله لنواحي الحياة

ونحن ندعو للحُكم بما أنزل الله بالمعنى الشرعي العام، لا بمعناه الجزئي الذي هو (إقامة الحدود)، كما يريدونه هُم، ولم نسمع أحداً من السلف قاطبة أنه أنشأ قِسماً رابعاً، بل إننا لو جئنا لكل جزئية انتشرت في عصر ما، وأنشأنا لها قسماً للتوحيد لنحاربها؛ لأصبحنا الآن نحتاج إلى سبعةٍ أو ثمانيةِ أقسامٍ للتوحيد! عندنا الاتباع ضائع فنحتاج إلى «توحيد الاتباع»، وهكذا ما ننتهي.

ثم بعد ذلك علتهم أنهم يقولون: أن الحاكمية هي أصل القضية، ونحن نقول: لا، فلو نَظَرت إلى المسلمين الآن في الدنيا، تجد أن القضية والمشكلة الأساس عندهم هي الشرك والبدع، وأما الحُكّام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله؛ فما تَعدِلُ واحدةً من الألف من إجمالي مشكلات المسلمين، فإذاً هي ليست القضية، وإنما القضية أن الشرك منتشر والبدع منتشرة والإهمال والترك لسنة النبي ﷺ منتشر، إذاً فهي ليست السمة الغالبة، وإنما الذين يمارسون الحُكم بغير ما أنزل الله من الوزراء والأمراء ومن حولهم الذين يدخلوهم فيها، لا يبلغون واحداً من المليون من مجموع المسلمين، الذين يذبحون لغير الله، وينذرون لغير الله، ويطوفون حول القبور.

الأمر الثالث: أن هذا التوحيد في الحقيقة أصلُه بِدعي، الناس يَظنّون

أن توحيد الحاكمية ابتكره سيد قطب والمودودي[1]، وأنهما أول من تكلَّم فيه، وهذا غير صحيح، فإن أول من ابتكره هم الخوارج الذين قالوا: لا حاكم إلا الله.

وأرادوا من هذا التقسيم إفراد قضية الحُكم وإعطاءها أهمية، وهي أصل مذهب الخوارج.

غاية القول بالحاكمية: التكفير والخروج

فإذاً سيد قطب والمودودي ومن سار على دربهم **هُم ناقِلون لمذهبِ الخوارج لا مُنشِئون له**، وهذه القضية وهي مُفاصَلة الناس على مسألة الحَكم، هي نفسُها التي فاصل فيها الخوارج عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالأمر إذاً قديم، لكن هناك انقطاع وفجوة طويلة ثم إتيان المودودي وسيد قطب، ثم جاءت مسألة القوانين الوضعية، فلُبِّست وأُعطِيت القضية لباساً شرعياً جديداً، أُخذت عن مذهب الخوارج، **وإلا فهي نهايتها تكفير مَن لَم يَحكُم بما أنزل الله، ثم الخُروج عليه** -على خلاف بينهم هل مطلقاً أم عند القدرة؟ والمحصلة واحدة-، فالأولون قالوها وخرجوا على خليفتهم عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وخرجوا على

(١) **أبو الأعلى المودودي**: ولد (١٩٠٣م) في مدينة أورنج أباد جنوبي الهند، أصدر مجلة (ترجمان القرآن)، أنشأ (الجماعة الإسلامية) في لاهور (١٩٤١م)، وانتخب أول رئيس لها، وفي عام (١٩٥٣م) تآمرت الحكومة ضد مساعيه لنفاذ الدستور الإسلامي، فاتهمته بالعنف، ثم أصدرت حُكماً بإعدامه، فأثار موجة كبيرة من الاحتجاجات، فأطلق سراحه بعد عام، وفي (١٩٧٢م) استقال من رئاسة (الجماعة الإسلامية) وكرَّس وقته لتأليف تفسيره للقرآن وكتابة السيرة النبوية، شارك بالعديد من المؤتمرات ومجالس الجامعات في العالم، ألف العديد من الكتب، ومنها المترجم للعربية: (الإسلام ومعضلات الاقتصاد) و(الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة) و(الإسلام والمدنية الحديثة) و(حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية)، وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ في نيويورك (١٩٧٩م) ودفن بلاهور. [تتمة الأعلام لمحمد خير رمضان ١/ ٧٣]. وللاستزادة ارجع إلى كتاب (زوابع في وجه السنة) و(دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة) من تأليف أحد علماء الهند الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد حفظه الله، فقد بيَّن دَعوة المودودي وجماعة الإخوان المسلمين وقبلهم الأفغاني، وبُعدهم عن منهج السّلف. وقدَّم الكتاب العلامة بكر أبوزيد رَحِمَهُ اللَّهُ.

عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من قبله، وهؤلاء قالوها وهم يَخرُجون في كل يوم!

المفهوم الصحيح للحاكمية

إذاً هي مرفوضة، لا لأن التَّحاكم إلى شرع الله مَرفوض -حاشا لله-، لا يوجد مسلم على وجه الأرض لا يُريدُ الحُكمَ بشرع الله، لأنهم يلبِّسون على الناس ويقولوا: إذاً أنتم تُقِرون بالباطل! وهذا ليس بصحيح، ونقول **نحن نؤمن بالحاكمية على وَجهها السلفي الصحيح وهو: أن يتحاكم الناس في صلاتهم وفي صيامهم وفي عقائدهم وفي حدودهم وفي قضائهم وفي بيوتهم، وفي كل حياتهم إلى شرع الله عز وجل، وأما أن يتحاكم الناس فقط في القصور إلى حُكمِ الله، وفي المساجد والبيوت نتحاكم إلى مذاهب وبِدَع!!** فهذا لا يستقيم مع الحاكمية الصحيحة في شيء.

أخذ القول بدليله: اتباع وليس تقليد

هل نحن في هذا التقسيم مُقلِّدون؟ الجواب: أن التقليد هو أخذ القول من غير دليل، لكن إذا أخذنا قول إمام، وفهمنا دليله؛ كنا هنا متّبعين لا مقلِّدين، ومثاله أننا نرى أن الفاعل مرفوعٌ -بالإعراب-، فهل الناس الذين يرون هذا الرأي هم مقلدة لمن وضع هذه القواعد، وسماها بهذا الاسم! فالأمة متبعة بأصول وضوابط وضعها العلماء بأدلتها.

وكذلك هي تماماً في مسألة تقسيم التوحيد، فلا أحد قلّد أحداً، وإنما علماؤنا وضعوا هذه القواعد والتقسيمات استقراءً واستنباطاً وفهماً من نصوص الوحيين، واستقر عِلمهم على هذا، جيلاً بعد جيل.[1]

(١) سائل يسأل: يا شيخ يقال: أن لكل مقام مقالًا، ففي زمن الإمام أحمد احتاج الناس إلى تثبيت توحيد (الأسماء والصفات)، وفي زمن محمد بن عبدالوهاب احتاج الناس إلى تثبيت توحيد

=(الألوهية)، فهل هذا له وجه؟

الجواب: لو كانت مشكلة الأمة الآن مشكلة الحكم لأقررنا بذلك -جدلاً-، أنا أرى أن مصيبتنا في الشرك والتوسل بالأموات، فتجد آلاف القبور الآن في العالم الإسلامي تُدعى من دون الله ويطاف حولها! انظر إلى انتشار الربا الذي لا يسلم أحد من غباره، انظر إلى التبرج والعري والخلاعة الموجودة، فلو أخذنا أن (لكل مقام مقال) فلا بُدّ أن تكون هذه مقدمة على مسألة الحُكم، لأن مسألة الحُكم بما أنزل الله ستأتي، فعندما ينصلح المسلمون وتستقيم أحوالهم؛ يَحَكَم حُكامهم بما يريد الناس.

فهذه مصيبة العصر أن المسلمين ما يُصَلّون! والدليل على ذلك أنه حتى يوم الجمعة لو صلى الناس لما وسعتهم المساجد، قارن بين أعداد الناس إجمالاً وعدد المصلين منهم، تجد أعداد هائلة من الناس ما تُصلي الجمعة حتى! وأما الجماعة فأعداد قليلة جداً للأسف.

وفي الحقيقة هذه **الجرثومة** رماها الخوارج ثم نامت فترة حتى جاء المودودي متأثراً بمشكلات فأحياها قليلاً، ثم جاء سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ متأثراً بمذهبه الثوري الاشتراكي قبل تَدَيُّنه، فلما جاء للإسلام وجد مذهب الخوارج موافقاً له فتبناه ومَشىٰ عليه، ولذلك يخطئ من اعتبر أن سيد قطب درس في مدرسة الإخوان المسلمين وتتلمذ فيها، وأنه عاشر البنا، هذا كله كذب تاريخي ليس له أساس، سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ألف كتاب (العدالة الاجتماعية في الإسلام) وطبع الطبعة الأولى والثانية ولم يدخل مع الإخوان، هذا معروف تاريخياً، وكان يرى في ثورة عبدالناصر الأمل المنشود، لذلك كان يذكر في كتابه (لماذا أعدموني؟) أنه كان يقضي أربعة عشر ساعة في اليوم في مجلس قيادة الثورة يُنظِّر للضباط ويكتب لهم قضاياهم! ولذلك بعد الثورة بشهرين عملوا احتفال ضخم في ميدان -أظن عابدين أو ما حوله- وكان الاحتفال تكريماً لسيد قطب على الجهود التي بذلها، وكان الذي يقدم الاحتفال عبدالناصر، وهذا كله مثبت تاريخياً ومعروف في محاضر الدولة وليس سرياً.

فهو الذي تَبنّى هذه الفكرة، فلما رأى أن الدولة أو جماعة الضُّبّاط ما ساروا عليها، سار في الفكر التكفيري سنة ١٩٦٥م.

وسائل آخر: يقولون: نحن نهتم مثلاً بالحكم، وأنت ترى ووجهة نظرك أنك تهتم بتوحيد الاتباع، فلا تعارضني واتركني أنا أمسك جهة وأنت جهة أخرى وكلنا نسد ثغرة؟

الجواب: هذا صحيح لو كنت أنت تسير بشكل صحيح، لذلك مقولة (الجماعات الإسلامية متفقة بالأهداف مختلفة بالوسائل) أنا أقول: ليس بصحيح، بل الحاصل العكس (أنها متفقة في الوسائل مختلفة في المناهج)، فجميعهم وسائلهم واحدة، فمثلاً كلهم يطبعون الأوراق والكتب ويوزعوا استقطاعات ويلعبون الكرة.. إلخ كلهم يعملون الشيء نفسه، لكن كل واحدةٍ يختلف منهجها عن الأخرى، فلو أنت تسير بشكل صحيح؛ فواحد يقول: أنا سأربي الصغار وأفتح مدرسة، وآخر يقول: أنا أقيم المحاضرات والدروس، وثالث يهتم بالصدقات والأيتام وهكذا،

=نقـول لـه جـزاك الله خـيراً، لكـن عندمـا يـأتي أحدهـم ويقـول أنـا سـأربي النـاس عـلى الحاكميـة! معنـاه تربيـة جيـلٍ تكفـيري!!

لأن الخـوارج القُدمـاء وخـوارج العـصر كلهـم مـا يشـتغلون إلا في أهـل الإسـلام، ليـس لهـم جهـاد أبـداً، لا مـع كفـار ولا مـع أهـل بـدع، جهادهـم مـع أهـل التوحيـد!

لذلـك انظـر الآن إلى هـذه الجماعـات التكفيريـة وجماعـات الحاكميـة كلهـا لا تـرى لهـم عـلى أهـل البـدع هجومـاً أبـداً! لأن سُـنة الخـوارج الأولـين يقتلـون أهـل الإسـلام ويَدَعـون أهـل الأوثـان، فالسـنّة هـي السـنّة لا تتغـير أبـداً، فلذلـك دائـماً إذا رأيـت الرجـل يقـع في أهـل الأثـر ويَـدَع أهـل البـدع فاعلـم أنـه صاحـب هـوى.

١٣ المحـــــاضرة الثـــالثة عشر:

الإنهزامية في فِكر الأمَّـــة

المحاضرة الثالثة عشر

الإنهزامية في فِكر الأمَّـة (١)

لـمّـا جـاء الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الجاهلية الموجـودة في عهـده، هـل تتصـورون أن قريشـاً لم يكـن فيهـا مِـنَ القِيَـم ومـن الأخـلاق والعـادات ومِـنَ النُّظـم شيء، أو هـل يُتخيّـل بـأن فـارس والـروم لم يكـن عندهـم مـن مظاهـر الخـير شيء! لا يَتخيّـل هـذا عاقـل، وإنـما كانـت أمـمٌ ودولٌ ومُسـتعمرات، وكان العـرب إمـا مسـتعمَرون لفـارس، أو للـروم، أو قبائـل متناثـرة خـارجَ نفـوذِ الـدُّول.

كيف نظر الرسول للأمة

الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جـاء إلى هـذه الأمـة التـي كانـت موجـودة، فنظـر في مـا هـي فيـه، ولكـن السـؤال: بـأي منظـار نظـر؟ وعـلى أي ميـزان قـاس؟ هـل نظـر إليهـا أنهـا دُولٌ قويـة، فننظـر مـن هـذا المنظـار؟ الجـواب: لا، بـل نظـر إليهـم كـما أمـره الله تعـالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر:٩٤]، أن يُظهِـر الحـق الـذي يعـرف، فـدرس الجاهليـة ونظـر في أحوالهـا، وهـي المسـائل التـي جمـع معظمهـا شـيخ الإسـلام محمـد بـن عبدالوهـاب رَحِمَهُ اللَّهُ في (مسـائل الجاهليـة) التـي خالـف فيهـا النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهـل الجاهليـة، وأمـور كثـيرة مـن عاداتهـم وقِيَمِهـم أبقاهـا الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثـم قامـت دولـة الإسـلام، فدولـة الخُلفـاء، فدولـة بنـي أميـة، ثـم دولـة

---

(١) من محاضرة للشيخ بهذا العُنوان نفسه.

بنـي العبـاس، ومـا جـرى في هـذا وذاك من خـلافٍ ومـن صراع ومـن حروب، وبقيـت الأمـة تتـوارث دولـة الإسـلام، أحيانـاً يكـون للأمـة خلَفاء متعـددون، كـما كان خلفـاء أمويـون في الأندلـس، وخلفـاء مـن بنـي العبـاس في المـشرق، ومَـرَّت عـلى الأمـة فـترة ذهـب فيهـا الحُكـم العـربي وسـادها حُكـم الأعاجـم، كـدول المماليـك والغزنويـين وغيرهـم، ثـم آخرهـا دولـة بنـي عثـمان، ولكـن في كل هـذه المراحـل التاريخيـة؛ الأمـة المسـلمة تَنظـر لنفسـها ويُنظـر إليهـا إلى أنهـا أمـة مسـلمة عزيـزة، بمعنـى أن الأمـة لم يصـل بهـا الاخـتراق في داخلهـا والانهـزام كـما وصـل في أواخـر دولـة بنـي عثـمان، وإنـما كانـت بينهـا وبـين الأمـم حـروب، فمَـرَّة غالبـة ومَـرَّة مغلوبـة، فهـي بـين كـر وفَـر.

بداية الانهزام والتأثر بالغرب

حتـى تُمُكِّـن مـن اخـتراق دولـة بنـي عثـمان، وأول تَمَكُّـنٍ جـرى لهـا هـو الـصَّرف الحقيقـي عـن هيبـة الإسـلام التـي كانـت بـه تغـزو، **إلى تأثُّرهـا في نُظـم الغـرب ووسـائل الغـرب**، ومحاولـة بنـي عثـمان ورجـال الدولـة العثمانيـة أن يصلـوا ببلادهـم إلى مسـتوى أهـل الغـرب، هـذا الشـعور لمّـا دَخَـل بنـي عثـمان **كان هـو البدايـة لإنهائهـا**.

أمـا في السـابق كانـوا ينظـرون أنهـا أمـة قويـة –عـلى مـا فيهـا مـن بـلاء– لكـن الشـعور عنـد حُكامهـا أنهـم أقويـاء وأنهـم أعِـزَّة، فـكان عندهـم أَنَفَـة، فلذلـك كانـوا ينتـشرون ويفتحـون البلـدان، ومـا تسـمع مـن بلـدان البوسـنة والبلقـان وغيرهـا فكلهـا مـن بـركات الفتـح العثـماني.

جاءهـم هـذا الشـعور وقالـوا لمـاذا لا نأخـذ بأسـباب الحضـارَةِ الغربيـة، لأنهـم وَجَـدوا أنفسـهم في مَـرَض، فـما عالجـوا مَرَضَهـم بـما عِندهـم مـن أدويـة، وإنـما عالجـوه بـما عنـد أعدائهـم مـن أدويـة!، فسـقطت الهَيبـة، فهـذا هـو أول الانهـزام، وهـو **تأثُّـر المغلـوب بالغالِـب**، ونحـن الآن نعيـش المشـكلات نفسـها التـي مَضـت.

فما الذي جَرى بعد سُقوطِ دولة بني عثمان؟

أن المسلمين رأوا أنفسهم أنه ليس لهم دولة، ولا عندهم خلافة، ثم بعد ذلك دخل فينا الكفار شرقاً وغرباً يميناً وشمالاً، فمَزَّقونا وقطَّعونا، وأصبحت كل الدنيا التي كانت تحت الخلافة صارت تخضع لاستعمار هؤلاء الناس، استيقظ مُفكرونا وصَحى المُصلحون مِنّا فوَجَدوا أنهم ماذا يريدون أن يفعلوا، عند ذلك نَجَحَ اليهودُ والنصارى والرافضة في إظهار اللعبة، **الفِكر التَّرقيعي الذي زَرَعَه الأفغاني** [1] **في الأمة**، ومن

(١) **الأفغاني**: هو جمال الدين بن صفدر بن السيد علي بن مير رضى الدين، ووالدته سكينة بيكم بنت مير شرف الدين، واسم والده (صفدر) لا يتسمّى به أهل الأفغان ولا يُعرَف عندهم، ومعناه (صف) بالعربية (در) بالفارسية ممزق أو مُفرق بمعنى (ممزق الصفوف) أي الشجاع، وهي مأخوذة من صِفَةِ علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وُلد (١٨٣٨م) في أسد آباد قرب همدان، وعائلته موجودة هناك إلى اليوم باسم (الأسرة الجمالية)، نشأ في إيران وتلقى العلم على أبيه إلى سن العاشرة ثم إلى مشايخ بلده، وفي عام (١٨٥٠م) رحل إلى مشايخ العراق على المذهب الشيعي الجعفري، ثم أكمل دراسته العليا في الهند (١٨٥٣م)، دخل أرض الحجاز لمرة واحدة في عُمرِه (١٨٥٨م)، وفي العام نفسه رحل إلى أفغانستان ومكث فيها إحدى عشرة سنة، وبعدها ذهب (١٨٦٨م) إلى بلاد الأناضول (الآستانة) أيام السلطان عبدالعزيز، ثم أُخرج منها، ودخلها ثانية (١٨٩٢م) أيام السلطان عبدالحميد، وبقي فيها **حتى توفي** (١٨٩٧م)، وكان قد دخل مصر مرتين، بقي أربعين يوماً في الأولى، وثماني سنوات في الثانية.

وكانت إقامته في مصر أخصب أيام حياته، وفيها تتلمذ على فكره كثيرون، وأنشأ الماسونية الفرنسية، وألف الأحزاب المشبوهة، كالحزب الوطني الحر (السِّري ثم انكشف)، وحزب مصر الفتاة (من يهود الإسكندرية)، أمضى دهراً من حياته في أوروبا مُختاراً غير مجبر، بعد إخراجه من مصر، وتَنقَّلَ بين عواصم الدول المستعمِرة (١٨٨٣-١٨٩٢م): باريس (ثلاث سنوات) ولحقه إليها تلميذه محمد عبده، وأنشآ مجلة (العروة الوثقى) الأسبوعية العربية هناك، ثم إلى بطرسبرج الروسية (أربع سنوات)، ومكث قليلا في ميونيخ (بألمانيا)، حيث التقى بشاه إيران (ناصر الدين) ودعاه هذا إلى بلاده، فسافر إلى إيران، ثم ضيَّق عليه، ثم خرج إلى لندن، فأنشأ فيها مجلة (ضياء الخافقين) وظل محرّضاً بقلمه على الشاه، ثم دعاه السلطان عبدالحميد وبقي في الآستانة (إسطنبول) إلى وفاته بسبب إصابته بالسرطان بإجماع الأطباء، ودُفن هناك، ثم في (١٩٤٤م) نُقل جثمانه إلى بلاد الأفغان، ظناً منهم أنه أفغاني، وهو إلى اليوم هناك. طُويت صفحته وأشغل الناس زمناً وأفضى إلى ما قدّم.

تأثَّر في مدرسته، وزَرَعَ أصلَ المرض وجرثومته في عصرنا هذا ما يُسمى (وِحدة العالم الإسلامي)، أي أن يجتمع ما في العالم الإسلامي كله فيما يسمى بـ (الجامعة الإسلامية)، مُشركهم ومُوَحِّدهم، المبتدع والمهتدي، في إطار واحد، وهي ذَوَبان الفُروق بين الطَّوائف في الأمة المُسلمة.(١)

=وقد لوحظت عليه أمور: **كثرة تقلبه وتلونه**، فهو يُغير شكله حسب البيئة، فيلبس الطربوش في بلاد الإفرنج، والعمامة السوداء في بلاد العجم، والعمامة البيضاء في مصر، **كما لوحظ تقلبه في دعوته**، فدعا إلى الرأسمالية وهاجم الاشتراكية في أول أمره، ثم انتقل عنها وصار يهاجم الرأسمالية والأغنياء حتى وصل به الأمر بمهاجمة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ودعا إلى القومية عندما بدأ اليهود بمهاجمة الخلافة، وقد دعا إلى الإنسانية والأخوة العالمية والجامعة الإسلامية، **كما لوحظ أن أتباعه مجموعة أخلاط**، فطبيبه «هارون» يهودي، وتلميذه مؤسس الصُّحف «يعقوب صنوع» يهودي، و«سليم نقاش» الممثل والصحفي نصراني، و«أديب إسحاق» الصحفي نصراني أرمني، و«بلنت» صديق العرب (الجاسوس البريطاني) كان من أعز أصدقائه.

ولوحظ أيضاً أنه كان يهاجم الاستعمار ويتَّفِق معهم من وراء الستار، فيتفق معهم في نقل الخلافة من الأتراك العثمانيين إلى العرب، وهو يعلم بضعفهم وعجزهم بتلك الفترة، فكان غايته هدمها فقط، **ولوحظ ميله إلى روسيا وفرنسا** ميلاً كبيراً، فلا يُعلم أنه هاجم سياسة فرنسا الاستعمارية، ولما تَصالحت بريطانيا مع فرنسا خَفف هجومه على الإنجليز، **ومن الأمور الكبيرة** كذلك أنه سَنّ سُنناً سيئة، فدعا إلى فتح باب الربا اليسير في المعاملات، حتى أصبحت معضلة عند الناس، ودعا إلى حرية المرأة مما فتح باب السفور والفجور، ودعا إلى توحيد الأديان الثلاثة، **ويلاحظ كذلك** أن هناك جهة مجهولة كانت تُموِّله خلال تنقلاته ومكوثه الكثير في بلدان أوروبا الغالية وغيرها، **ومما يلفت النظر** في حياته أنه يتمتع بسُمعة عالية فلا يكاد ينزل في بلد حتى يُستقبل مِن كبراءها ووزراءها وحُكامها، مع أنه لم يُخلِّف وراءه عملاً عظيماً أو ثَورة شعبية، وإنما كان يُطرد لأسباب مختلفة كاتهامه بالزندقة أو إفساد العامَّة، وعلل ذلك بعض الباحثين بأن أصحاب الأقلام الماسونية في الصحف والمجلات يثيرون الضجة له كأنهم يُعِدّون الأرضية التي يقف عليها، ولكن سُرعان ما يُكشف أمره وتُعرَف غايته، كما في تركيا. وقد جمع مؤلفاته ورسائله (سيد هادي خسروشاهي) وأسماها (الآثار الكاملة). [للاستزادة ينظر في هذين الكتابين: (دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام) لمصطفى فوزي غزال، و(حقيقة جمال الدين الأفغاني) كتبها ابن أخته ميرزا لطف الله خان، في جزئين، وترجمه وعلق عليه د.عبدالنعيم حسنين].

(١) [إذا نظرنا إلى أمتنا بمنظار تاريخي؛ نرى أنها لمّا كان الأمر يُساس بالدِّين كانت لها مكانة، ولما آل الأمر إلى غير الدِّين ضاعت هذه المكانة، فوقعنا كما عبر عنها ابن خلدون رَحِمَهُٱللَّهُ: **تقليد الأمة المغلوبة بالأمة الغالبة**، وكُنّا نظن أن هذا التقليد قد وقع فيه الناس العصاة وغير دعاةِ تطبيقِ الشريعة، ولكن الذي ظهر -ويَظهر لمن يقرأ- فيما يسمى بـ (عصر النَّهضة الإسلامية)،

هـذه بدايـة الانهـزام؛ أننـا يجـب أن نُزيـل الفـروق الفِكريـة بـين الطوائـف، وحتـى نسـتطيع أن نَغْلِـب الغَـرب؛ فلا بُـدّ أن نأخُـذَ مـا عندهـم بالكامـل! وأخَـذَ هـذا وتأثـر بـه بعـضُ المفكِّريـن المُخلِصـين، الذيـن نَظُنهـم عـلى خـيرٍ كثـير، مثـلَ رشـيد رضـا ومحمّـد عَبـدُه [١] وغيرهـم، ثـم تَطَـوّر هـذا الفكـر

=يجـد أن هـذه النَّهضـة قامـت وهـي واقعـة تحـت فِكـر تقليـد المغلـوب للغالـب، لذلـك قامـت وهـي تَحمِـل في عقـول مـن قـام بهـا: النظـر إلى مـا عنـد الغَـرْب بلبـاسٍ إسـلامي، ولذلـك أول مـن قـام بهـذه الدندنـة ذلـك المفسـد الكبـير الأفغـاني –وهـو إيـراني رافـضي وليـس مـن الأفغـان في شيء، لا عِرقـاً ولا سَـكَناً، وإنـما انتسـب إليهـم لأنهـم أهـل سُـنّة، ليسـهل قبولـه وانتشـاره بـين النـاس–، **وفِكـره يقـوم عـلى أسـاس ألا تقـومَ لهـذه الأمـة قائمـة إلا إذا أخَـذَت بركـبِ مـا جَـرى عنـد الغَـرْب، ولكنـه لُبِّـس بلبـاسٍ إسـلامي**، فصـار يدعـو إلى الإصـلاح الإسـلامي وإلى الجامعـة الإسـلامية.

وممـن تأثـر بمدرسـته: حيـث قامـت عـلى أساسـها جماعـة (البّنـا) وجماعـة (المـودودي) والجماعـات الأخـرى ...، ومـن يقـرأ مـا كتبـه السـلطان عبدالحميـد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مذكراتـه الأخـيرة، ومـا كُتـب عـن العهـد الأخـير للدولـة العثمانيـة، يعلـمُ كـم كان الأفغـاني مـن السَّـاعين لإبـادة وإزالـة هـذه الدولـة، لماذا؟ لأنهـا تُمثـل الهيـكل الـذي مـن المُمكـن إذا التَـفَّ عليـه المُسـلمون يقيمـوا البنـاء، والدولـة العثمانية نعلـم أن فيهـا بـلاء، ولكنهـا عـلى الأقـل الأسـاس الـذي مـن الممكـن أن يُرمـم لتقـوم عليـه الأمـة مـن جديـد، فـكان الاتجـاه لِهَدمِهـا، ومـا هُدِمـت إلا باسـم الدين]. مـن محاضـرة للشـيخ بعنـوان: (المنهـج الـذي يُدعـى إليـه). وينظـر في مذكـرات السـلطان عبدالحميـد (ص١٤٨) تحقيـق د. محمـد حـرب.

(١) **محمـد رشـيد بـن السـيد عـلي رضـا**، ولـد سـنة ١٨٦٥م في قريـة القلمـون مـن أعـمال طرابلـس الشـام، وكان أبـوه شـيخاً وإمامـاً لمسـجد هـذه القريـة، درس في طرابلـس وكان شـديد العنايـة بمطالعـة كتـب الأدب والتصـوف، وأكثـر مـن مطالعـة كتـاب الإحيـاء للغـزالي وتأثـر بـه، ثـم هاجـر إلى مصـر عـام ١٨٩٧م ، بعـد اسـتئذان والديـه، وحـل ضيفـاً عنـد الشـيخ (محمـد عبـده) بالقاهـرة، فـكان لا يَعـرف غـيره، وكان سـبب هجرتـه: حريـة العمـل واللسـان والقلـم والاسـتفادة مـن الشـيخ محمـد عبـده وشـيخه الأفغـاني، كـما ذكـر ذلـك بنفسـه، زار الأسـتانة والهنـد، فأصبحـت مصـر هـي وطنـه، وعـاش فيهـا حياتـه، وأصـدر فيهـا مجلته الشـهيرة (المنـار) صـدى همـوم العـالم الإسـلامي، وكان هـو كاتبهـا ومحررهـا الأوحـد، فكانـت مجلـةً سـلفية المنهـج غالبـاً، **وذلـك بعـد وقوفـه عـلى كتـب ابـن تيميـة ومدرسـته، فتحـول تدريجيـاً لمذهـب السـلف**، وقـد كان أول أمـره يتعبـد عـلى طريقـة الصوفيـة.

أنشـأ مدرسـة (دار الدعـوة والإرشـاد) في القاهـرة، وتوقفـت بعـد أربـع سـنوات مـن إنشـائها بسـبب الحـرب العالميـة الأولى وتوقُّـفِ الدَّعـم، إلا أنـه اسـتفاد وتخـرَّج منهـا مجموعـة مـن الطـلاب منهـم: **الشـيخ محمـد بهجـة البيطـار** (سـورية)، **الشـيخ محمـد عبدالـرزاق حمـزة** (إمامـاً بالحـرم)، **الشـيخ عبدالظاهـر أبوالسـمح** (إمامـاً بالحـرم)، **الشـيخ محمـد حامـد الفَقـي** (**أحـد علـماء الأزهـر**)، ولقـد اقتبـس الفَقـي اسـم جماعتـه مـن عبـارة رشـيد رضـا (أنصـار السـنة المحمديـة)، ونَهجـت غالـب منهـج

حتـى أصبـح هـو الفكـر السـائد في العـالم الإسـلامي بـين الشـباب.

من مظاهر الانهزامية

ومـن مظاهـر هـذا الفِكـر: أولاً أننـا نَفـرح كثـيراً جـداً إذا وجدنـا في نظريـات الغَـرب مـا يُوافـق الإسـلام، يعنـي إذا وجدنـا كافـراً قـال بقضيـة علميـة وعندنـا فيـه موافقـه، نطـيرُ بهـا فَرَحـاً، وهـذا تشـاهدونه الآن عنـد الكُتـاب الإسـلاميين كثـيراً، وإذا حـاول أحدُهـم أن يُثبـت قضيـة؛ **حـاولَ أن يُثبتهـا بمقـولات الغربيـين!** ونَسـعد إذا سَـمِعنا أحـد الغربيـين مـن الكفـار يمـدحُ الإسـلام! وكـم كان في عهـد النبـي ﷺ مـن الكفـار مـن مـدح الإسـلام، فهـل اهتـم المسـلمون لهـذا المَـدح؟! وكـم مِـنَ الكفـار مَـن مـدح عُمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عهـده؟ وكـم مِـنَ الكفـار مَـن مدح هـارون الرشـيد في عهـده؟ لكـن المسـلمين مـا جعلوهـا قضايـا، ولا براويـز عُلِّقـت، مـا السـبب؟ أنهـم في ذلـك الوقـت مـا كانـوا يعطـون هـؤلاء البـشر مـن المكانـة والقيمـة، التـي أعطاهـا المفكـرون الإسـلاميون لهـم في هـذا العـصر.

الإسـلام الـذي يُطـرح الآن في الإذاعـة وفي التلفزيـون وفي الصحافـة عـلى أنـه لا يُـؤذي النـاس، يعنـي لا تخافـوا مـن هـذا الإسـلام، هـذا الإسـلام طيّـب مـا يؤذيكـم، لا يجعلكـم أن تُغـيرّون مـن عاداتكـم شـيئاً!! هَـدَف المفكريـن - ولعلكـم تتبعتـم كتابـات المسـتنيرين تجِـدون هـذا الشـعور- أن **تحقيـق رَغَبـات النـاس هـو المَطلـب الشرعـي!!** عنـد الكثـير جـداً ممـن يتكلمـون ويتَصَـدَّرون

=الشـيخ رشـيد، وكان يُـدرِّس في دار الدعـوة بجـواره الشـيخ مُحب الديـن الخَطيـب، ولقـد حـاول (حسـن البنـا) أن يتخـذ مـن كلـمات رشـيد رضـا دسـتوراً لجماعتـه، أمـا مؤلفاتـه: فكانـت (مجلـة المنـار) هـي أساسـها، يُخرجهـا بمقـالات ثـم يُفردهـا بكتـاب، ومنهـا: (تاريـخ الأسـتاذ الإمـام)، (شـبهات النصـارى وحجـج المسـلمين)، (السـنة والشـيعة)، (الربـا والمعامـلات في الإسـلام)، (الوهابيـون والحجـاز)، (تفسـير المنـار). وغيرهـا الكثـير، تـوفي رَحِمَهُ اللَّهُ سـنة ١٩٣٥م. ينظـر كتـاب (منهـج الشـيخ محمـد رشـيد رضـا في العقيـدة) لِتامـر متـولي (ص ٥٩-١٠٤).

للدعوة إلى الله، وقد عبرَّ مصطفى السِّباعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١) عن هذا المعنى عندما تكلم في البرلمان السوري عام ١٩٥٢ فقال: «لما يأتي الإسلاميون لن نُغيِّر قوانينكم، وإنما سَننظر فيها!» ولما وَجَد أن المدَّ القومي قوي؛ قال عن الإسلام والنصرانية: «لا أقول دينان يتصارعان وإنما دينان يتعاونان على صُنِع القومية العربية الخالدة!».

هذا جاء من زعيمٍ إسلامي مُفكّر وشيخ صحوة! ولكنه في داخِله مُنهَزِم، **يظن أنه بهذا التَّرْقيع يستطيع أن يوجِد أمَّة الإسلام**، ولذلك لَمّا أعلَنَ (جمال عبدالناصر) عن الاشتراكية، رَكض الإسلاميون للتأليف فيها، فالذي يؤلِّف (العدالة الاشتراكية في الإسلام)(٢) والذي يؤلف (الاشتراكية في الإسلام)، لماذا هذا كله؟! أين التمييز والمفاصَلَة.

ثم تغيَّرت النَّغمة عند الإسلاميين، فتركوا الاشتراكية، وقالوا أن الديمقراطية هي الشورى، وجاءوا بإثباتاتٍ: أن رأي الأمة مقدَّس! ومن قال أن رأي الأمة مقدس؟! الإسلام دينٌ متكامل، لا هو دين رأسمالي ولا هو دين اشتراكي، نحن

---

(١) **مصطفى بن حسني السِّباعي**: ولد سنة (١٩١٥-١٩٦٤م) بمدينة حمص سورية، تخرج من كلية أصول الدين بالأزهر، وفي سنة ١٩٤٥م اختير كأول مراقب عام لجماعة الإخوان في سورية، ثم اختير نائباً في البرلمان سنة ١٩٤٩م، وعُين أستاذاً في كلية الحقوق بالجامعة السورية، وأسس كلية الشريعة فيها، من مؤلفاته: (دروس في دعوة الإخوان المسلمين)، (هكذا علمتني الحياة)، (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي)، (الدين والدولة في الإسلام)، (اشتراكية الإسلام). [من موقع إخوان ويكي].

(٢) [لما تقرأ لِمَا كتبه أرباب الفترة الماضية تشعر بهذا الشعور، كل ما عندهم هو أن نَصِل إلى مَصافِّ الغَرب! ولكن بلباسٍ إسلامي، فلذلك قام سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكتابةِ (العدالة الاجتماعية في الإسلام) هذا الكتاب فِكره مُنهزِم، مَقصِده ترقيع الإسلام لِيَصِلَ إلى الديمقراطية أو إلى الانفتاح أو إلى نوع من الاشتراكية التي نادى بها عبدالناصر، مع أن (سيداً) مِن أحسنهم وضوحَ رؤية لما ظَهَرت له الحقيقة كما في كتابه (معالم في الطريق)، وفي أواخر عهده قد تغيّر تماماً، لكنه تربى على المدرسة الأولى تربى على فكرٍ مُنهزِم]. من محاضرة للشيخ بعنوان: (المنهج الذي يُدعى إليه).

أمـة مميـزة، أمـة وسـط، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [آل عمـران:١١٠]، أخرَجَنـا الله أمـةً خاصـة مفصَّلَـة تفصيـلاً خاصـاً، صِنعـة الله، هـذا المعنـى إذا مـا اسـتقر في القلـب؛ **أدّى إلى هـذه المظاهـر**.

ومـن المظاهـر أنـه في العُصـور القديمـة الطوائـف تَسـتَحي أن تُظهـر نَفْسَـها، والفِـرَق كانـت تسـتحي أن تُظهـر نفسـها، وأمـا في عـصر الانفتـاح هـذا وعـصر الحُريـة فأصبـح الـكل يُظهـر مذهبـه، سـواء كانـوا عَبَـدة البقـر، أو عَبَـدة إبليـس -وإبليـس لـه عُبّـاد يعبدونـه في أطـراف العـراق وأطـراف سـورية إلى اليـوم-، وكذلـك عُبّـادُ البـشر الـذي يطوفـون حـول الأوليـاء، ويزعمـون أن لأئمتهـم مقامـاً معلومـاً عنـد الله! هـؤلاء جميعـاً قـد ظهـروا الآن وأصبحـوا قـوة، قـوة سياسـية ودُوَل، فقالـوا لا بُـدّ أن نُرضيهـم، فخَرَجـت الفتـاوى التَّقريبيـة بـين كل شيء، بـل وصـل الأمـر في بعـض البلـدان ألا يُتَكلـم عـلى النصـارى في شيء أبـداً، ورأينـا مـن الإسـلاميين مـن يُدنـدن في هـذا! ولمـا انتـشر الرِّبـا وطغـى وطَـمّ وعَـمّ في النـاس، جـاء مـن يُحـاول أن يَبحـث عـن فتـوى وعـن طريقـة في كتـب الأولـين ليُحلِّـل الربـا، وهـؤلاء ليسـوا صعاليك، بـل مفكريـن وعلـماء لهـم مكانـة! بـأن هـذا الـورق -ورق الدينـار والدرهـم والريـال- ليـس بالعُملـة التـي يُرابـى فيهـا، وأن هـذه الفوائـد ليسـت ربـا! وسـيخرجون علينـا بأمـورٍ لا يُـدرَى مـا هـي.(١)

(١) [جـاءت مظاهـر هـذه الانهزاميـة في حيـاةٍ كثـيرة، **أصبـح كل شيء يفعلـه النصـارى لا بُـدّ وأن نفعلـه، نحـاول تقليدهـم**، أحيانـاً عكسـياً، ولكـن في الحقيقـة نحـن في التقليـد لهـم واقعـون، وخـذ أبسـط مسـألة عـلى هـذه وهـي **مسـألة الإغاثـة**، الإغاثـة التـي تجـري في أفريقيـا تدمـيرٌ للمسـلمين، لأننـا عوَّدنـا شـعوباً كاملـة عـلى الاسـتجداء، لم تعالـج هيئـات الإغاثـة الإسـلامية إلى الآن مشـكلة المسـلمين، وإنـما فعلنـا مثـل مـا يفعـل النصـارى، النصـارى عندهـم مـواد رهيبـة وأمـوال، يريـدون تحويـل هـذه الشـعوب إلى شـعوب شـاحذة مُسـتجدِية، تعتـاد حيـاة الخُمـول والنَّـوم وعـدم الإنتـاج، لتتحـول بعـد ذلـك لتكـون عبيـداً للنصـارى، وهـم لا يريـدون أصـلاً أن يكـون الأفارقـةُ نصـارى، ونحـن نفعـل مثلهـم، فنحـوّل هـذه الأمـة إلى أن تكـون أمـة

=مُتَسَوِّلة، من غيرِ أن تُفكر هذه الهيئات -وهذا قلناه لهم مراراً- في طريقة نقل هؤلاء الناس إلى أن يكونوا منتجين، يكتفون بأنفسهم، بدل أن نشتري القمح الأمريكي ونطعمه الأفارقة!

كذلك في حياتنا تنظر ما يجري في أفغانستان، قتال ثلاث عشرة سنة والنهاية: الأحزاب تُطالب بالديمقراطية! ثلاث عشرة سنة جهاد، مات فيه من مات، تُحارب الكفر، ثم تأتي بعد ذلك بنظام الكفر ليُخَلِّصَهم!، فلو رَشَّحَت عاهرة نفسها ونجحت، ما يستطيع أحدٌ أن يعترض، لأن هذه رغبة الشعب! وأغلبية الشعب ساذج، ومتى كان في الإسلام أن يأخذ رأي الناس جميعاً في الحاكم! ولذلك لما تقول لهم غيروا هذا يقف (حِكمتيار) وغيره من الأحزاب مُعترضاً ويقول أن هذا هو النظام السائد الذي يحقق العدالة! ولذلك لو رأى رجل بأن الربا قد يحقق للناس الرفاهية يكون هذا مستحلاً للربا كافر، فالديمقراطية بأن يختار الشعب من يراه، هذا يتعارض مع الإسلام، الاسلام اشترط في الخليفة أن يكون لديه علم شرعي، أن يكون ذكراً، يكون عربياً، له مواصفات.

لا بُدّ أن نفرق بين أمرين: التَّقعيد للديمقراطية لا يجوز، والدعوة إلى تحكيم الديمقراطية لا تجوز، لكن إن كان ولا بُدّ أن يجتمع سُفهاء من الناس ليقرروا فساداً على الأمة، ولا تستطيع دفعَ هذا الفساد إلا بمشاركتهم؛ فيُلجأُ إليهِ ضرورةً كأكل لحم الميتة. فَفَرقٌ بين المنع، وبين جلب المصالح ودرء المفاسد.

الآن كل الجماعات ما وضعت ولا عشر صفحات تبين للناس ما هو الدستور الإسلامي التي تنادي إليه! هذا من العجب، حتى الأفغان إلى اليوم ما عندهم دستور إسلامي يُبين شكل الدولة التي يُريدون أن يقيموها بعد أن قدّموا هذا الجهاد.

يختلف الأمر في الدولة الإسلامية، يأتي حاكم عاقل عنده علم شرعي، يطرح على العلماء مسألة، فيحكمون بها، ليس بهواهم، ولا بتحقيق الرفاهية للشعب، وإنما بكتاب الله عز وجل وبسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم بأقوال الصحابة وبالإجماع والقياس، فيحكمون ويشرِّعون بما يُوافق رضى الله تعالى، والمجالس النيابية التشريعية بِدُنيا العالَمَ تُشرِّع بما يوافق رَغبة الشَّعب، إذاً أصبح الإله الذي يُسعى لإرضائه هو الشعب لا الله تعالى! وهذه هي المصيبة الكبرى، لذلك تجد حتى بعض الإسلاميين أيام الانتخابات لا شعورياً يتكلم بأنه يريد أن يُرضيَ الناس، وهذه مصيبة، فالناس فيهم الصالح وفيهم الفاجر.

وجاءت بعد ذلك النبرة الجديدة التي نسمعها وهي: أن هؤلاء **العلماء لا يفهمون الواقع!** -وهذه لها بحث طويل لكن ننبه عليه- هذه مصيبة جديدة، سواء ما قاله الأخ سَفر وغيره وما دندنت عليه بشدة مجلة (السنة) لمحمد سرور، أن هؤلاء العلماء يجهلون الواقع، يعني الألباني وابن باز وابن عثيمين والفوزان وغيرهم يجهلون الواقع، وأنهم عُملاء للدولة، ومداهِنون، وأغرَتهم المناصب! إذاً بعد ذلك الناس مَن سيَتَّبعون؟ يذهبون إلى علماء الثورة! هذه مصائب على المسلمين.

فلا بُدّ أن نُظهر أن هؤلاء العلماء أعلم بالواقع وأعلم بالفقه، ولذلك الذين يعرفون الواقع كزعماء الإخوان في الدنيا ويجهلون الفِقْه؛ وقعوا فيما وقعوا فيه من مصائب، ولكن الذين يفهمون الفِقه ويفقهون الأحاديث وعُلِّموا الواقع؛ حُكْمُهم فيه أقرَب للصَّواب كما هو ظاهر.

فلا بُدّ أن نقف ونفكر، وحتى لا نقع بعد ذلك في اتباع اليهود والنصارى فنندم، وهؤلاء الغربيون

لماذا؟ لأن الذين يَتصَدّون عبر الإعلام، إنما عندهم انهزامية في أنفسهم، ولذلك طغى عندنا ما سُموا بأربابِ الفِكر المستنير، فكان على رأس هؤلاء «مُجدِّد القرن» عندهم: التُّرابي، وأما عندنا فهو «مُفسِد القَرن»، هذا الرجل في كل شيء جَدَّد، حتى في أصول الفقه كتَب طريقةً لتجديدها! ولا تظنوا أن فِكره محصور في السودان، بل له في الجزيرة دُعاة ومُنَظِّرون وناشرون لِفكره، ويرون دولته هي الدولة المِثالية التي يجب أن تَسود، ولذلك كان من مآثرِ فكرِه أن جيء ببابا النصارى ليُعلن السَّلام والوِئام لعاصمة دولة الإسلام التي هي الخرطوم! فهل وجدتم داعيةً واحداً في الدنيا أنكر هذا الحدث؟! ما وَجَدنا، لماذا؟ لأنهم جميعاً **تربطهم الحلقة الواحدة؛ وهي حلقة الانتماء لغير طريقة السلف.**

إذاً الأمة الآن تعيش **في مرض نفسي، وهو أنها تنظر إلى الغالب نظرة تقدير واحترام،** ولذلك تَجد الكثيرَ من المفكرين الإسلاميين يتكلم بالساعاتٍ عن التَّغريب وعن تأثّرنا بالأمة الغربية، وعندما تراه تَجِده يلبس لباس أهل الغَرب -البنطلون والكرَفَتّه-! إذاً هو واقعٌ في مظهره مِثلهم، وفي هيئته مِثلهم، فتَشَبَّه المغلوب بالغالِب.

أقول -يا إخواني- هذا هو واقعنا، ولو أردنا أن نُعدِّد المظاهر بالأدلة

=والكفار عندهم دوائر وعندهم عقلاء وأناس يُفكِّرون كيف يَرموا البذرة الآن فتَنبُت بعد خمسين سنة، ليسوا مثلنا عَجِلين، ولذلك من يقرأ ما ذُكر في كتاب (اختراق العقل المصري) لِرفعَت سَيّد أحمد، وما يجرى في دراسات عند الكفار لتغيير البُنية العقلية للشباب المَصري، يَجِد عجباً، تُبين هذه الرسالة الصغيرة -وهي تُغني عن كثير من الكتب- كيف أن الكفار يُفكِّرون بالدُّول الكبرى الثلاث المُسلمة «تركيا وباكستان ومصر»، فيها كثافة سكانية، وفيها إمكانيات، فلا بُدّ من تغيير عقل هذا الإنسان فيها، ليُصبح عبداً! فلا بُدّ أن نَعي أن هؤلاء الكفار لا ينامون، فإن كان السائرون على درب السَّلف يقعون في هذه التأثرات، عند ذلك على الدنيا السلام] من محاضرة للشيخ بعنوان: (المنهج الذي يُدعى إليه).

المطبوعة لجمعنا من هذا الكثير، ولكني أُشير إلى رؤوس أقلام، وأرجو من الأخوة أن يتصدوا دراسةً لهذه الظاهرة، ليكشِفوا عُوار من سار على هذا الدَّرب، فإن كشف عوارهم قُربة يُتقرَّبُ بها إلى الله عز وجل.(١)

إذاً كيف الطَّريقُ إلى الإصلاح؟

الشباب لمّا رأوا سقوط دولة الخِلافة، وانهيار الكيان الذي كان موجوداً - أو موت الرجل المريض كما يُقال - انقسم الناس من حيث الواقع -من غير تخطيطٍ ولا علاقة- إلى أقسام:

أقسام الناس تجاه التعامل مع الواقع

بعضهم **ركن إلى هذا الواقع**، وأصبح ليس له من الإسلام إلا اسمه (محمد وأحمد)، وإلا فهو في شكله وبيئته يُشبِه النَّصارى في كل شيء، فلا صلاة ولا صيام ولا يعرف من أمورِ الإسلام شيئاً، ويمكن الولد يكبرُ ويتزوج وما قيل له قل (لا إله إلا الله)، وهذا قِطَاع كبيرٌ من الناس.(٢)

نوعٌ ثانٍ من الناس **أرادو الإصلاح عبر المنظور الغربي**، فرأوا في الأمة الغربية مُثُلاً يُحتذى بها، وحاولوا أن يستفيدوا من هذا كثيراً، وهذا كثير جداً من أبناء الحركات الإسلامية.

وآخرين انزووا ورأوا أن الأمر أكبر من قدرتهم على الإصلاح **فانعزلوا**، وأحسَنهم من اشتغل بالتأليف.

---

(١) وأعجبني أحد الإخوة السعوديين [وهو الشيخ سليمان الخراشي] ألَّف مجلداً كاملًا في دراسة (فِكر محمد عمارة) هذا الذي يسمونه المُفكِّر المستنير، وبيّن عبر مقالاته أنه يسعى لهدم الإسلام، ومثله (فِكر فهمي هويدي) وكثيرين جداً، لأنك عندما تقرأ ما يُطرح فإنه يؤدي في النهاية إلى هدم الإسلام. (ش)

(٢) ولا يُفهم من كلامي هذا أننا نكفِّر المجتمعات، فنحن أبعدَ الناس عن التكفير، ولكن مَن وَقَع في الكُفر كفّرناه، فكما أمَرَنا الله تعالى أن نتحرز في التكفير، أمَرَنا أن نُكفِّر من وقع في الكفر، إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع. (ش)

وشـبابٌ مـا اسـتطاعوا تَصـوُّرَ هـذا الموقـف **فاتَّجهـوا للعُنـف**، لدمـار أنفسـهم وأمَّتِهـم، فأصبَحْـتَ تـرى في بلـدان المسـلمين مَـن يتَّجـه إلى العنـف قديـماً وحديثـاً، كثـيرٌ منهـم عندهـم إخـلاص -لذلـك تذكَّـروا الخـوارج الذين ناظرهـم عبـدالله بـن عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقـد رجَـعَ منهـم العـدد الكبـير، لأنـه لُبِّـس عليهـم- ومـا يجـري مـن الشـباب مثـل «حادثـة الحَـرَم»[(١)] قديـماً ومـا يجـري الآن، **عندهـم إخـلاص ولكنهـم أخطئـوا الـدَّرب**، ولما نقـول مُخلِـص ليـس معنـى هـذا أن نُبَرِّئـه مـن الخطـأ والجريمـة التـي وقـع فيهـا، ولكنـي أريد أن تتصـوروا أنـه ليـس كل مـن يفعـل هـذه الأمـور يكـون عميـلاً للغـرب، فليـس هـذا بـلازم، فلـما رأوا أنهـم لا يسـتطيعون أن يواجهـوا هـذا الواقـع اتجهـوا للعنـف وكفَّـروا النـاس، ولا شـك أن هـذا لا يُصْلِـح ولا يَسـتمر.

وبقي أهل الحق، الفرقة الناجية يسيرون في دربهم.

ولـو جئنـا لنُلَخِّـصَ هـذا نقـول: **في الدنيـا ثـلاث خُطـوطٍ رئيسـة** -إذا اسـتثنينا العُنـف لأنـه محـدود الدائـرة-:

خـط لا يُعـرف أساسـه مـن أيـن بـدأ، وهـو **خـط المسـتنيرين** هؤلاء، سـواء محمـد عـمارة أو فهمـي هويـدي، ومـن سـار عـلى دربهـم، خـطٌّ لا تَعـرف مـاذا يُريـد، يَطـرح قضايـا وشُـبُهات ولا تعـرف إلى أيـن سَـيَصل!.

وخـطُّ **الجماعـات الإسـلامية** كالإخـوان والتبليـغ والتحريـر[(٢)]، عـلى

---

(١) حادثة دخول جماعة جهيمان للحرم المكي، ذُكر سابقاً في «المحاضرة الأولى».

(٢) **جماعـة التبليـغ**: دعـوة صوفيـة في شـبه القـارة الهنديـة، تأسسـت سـنة ١٩٢٦م، ينتهـج مؤسسـوها ودعاتها عقيـدة الماتريديـة، ومذهبهـم الفقهـي هـو الحنفـي، تلـزم أتباعهـا باقتطـاع جـزء مـن وقتهـم لتبليـغ الدعـوة، والخـروج ومخالطـة النـاس في مسـاجدهم ودورهـم ومتاجرهـم، بحيـث يكـون يومـاً في الأسـبوع، وثلاثـة أيـام في الشـهر، وأربعـين يومـاً في السـنة، وأربعـة أشـهر في العُمـر كلـه، تـأولاً لقـول الله تعـالى: (كنتـم خَـير أُمّـةٍ أُخْرِجَـت للنَّـاس)، ولا يخوضـون في السياسـة، ولا يتعرَّضـون إلى إنـكار

اختلاف ما هم فيه، وهؤلاء يسيرون في دربهم ولكنهم لا يعرفون مَرَض الأمة ما هو، فظنوا أن مَرَضها يمكن علاجه بالاتفاقِ على المتَّفَقِ عليه!

=المنكر، ويكتفون بالأمر بالمعروف زعماً منهم أنه يُعرقل طريقهم ويُنفِّر الناس منهم، **ويوجِبون تقليد المذاهب، ويمنعون الاجتهاد، ولا يُنكِرون الشِّركيات والبدع، ويؤولون أحاديث الجهاد على (الخروج)!**. للاستزادة ينظر كتاب (القول البليغ في جماعة التبليغ) للشيخ حُمود التّويجري.

ومن أبرز قادتهم: عبد الرحيم شاه الديوبندي، احتشام الحسن الكاندهلوي، أبو الحسن الندوي، محمد يوسف الكاندهلوي (ابن محمد إلياس وخليفته بالجماعة، وله كتاب مشهور: حياة الصحابة)، محمد زكريا الكاندهلوي، إنعام الحسن (هو الأمير الثالث للجماعة).

المؤسس الأول هو الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي: ولد سنة ١٨٨٥م في كاندهلة، قرية من قرى سهارنفور بالهند، تلقى تعليمه الأولي فيها، ثم أتم تعليمه في مدرسة ديوبند، أكبر مدرسة للأحناف في شبه القارة الهندية، ثم انتقل إلى دِهلي (دِلهي)، وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ١٩٤٤م.

من شيوخه: رشيد أحمد الكنكوهي، وقد بايعه على الطريقة الديوبندية، وجددها على: خليل أحمد السهارنفوري -صاحب كتاب بذل المجهود في حل سنن أبي داود- أحد أئمة الديوبندية. [انظر الموسوعة الميسرة ١/ ٣١٧]

حزب التحرير الإسلامي: تأسس سنة ١٩٥٢م على يد (تقي الدين النَّبهاني)، وحدد مدة ٣٠ سنة للوصول للحكم، ويؤخذ على الحزب مخالفة عقيدة ومنهج أهل السنة في تقديم العقل على النصوص، مما دفعه لإنكار عذاب القبر وإنكار ظهور المسيح الدجال، وتخليه عن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنها تؤخر قيام الدولة الإسلامية بزعمه، وشذوذهم في قضايا فقهية كثيرة خالفوا فيها عامة علماء المذاهب، ومن كتبهم: (الفكر الإسلامي)، (هكذا هُدمت الخلافة)، (النظام الاقتصادي في الإسلام)، (نظام الحكم في الإسلام)، (الدستور الإسلامي)، (نقد النظرية الاشتراكية).

ومن المبرزين في الحزب: عبدالقديم زلوم (ترأسه بعد النبهاني)، أحمد الداعور (فلسطيني)، عبدالعزيز البدري (عراقي)، عبدالرحمن المالكي (سوري)، غانم عبده (الأردن).

محمد تقي الدين بن ابراهيم بن مصطفى النَّبهاني: مؤسس الحزب، ولد سنة ١٩٠٨م بقرية (إجزم) من أعمال حيفا بفلسطين، تلقى تعليمه الأولي في قريته ثم التحق بالأزهر ثم دار العلوم بالقاهرة، وعاد ليعمل مدرساً فقاضياً في فلسطين، ثم استقال سنة ١٩٥١م ليتفرغ للتدريس وأعمال الحزب، كان جم النشاط، حاد المزاج، بارعاً في الجدل، متصلباً فيما يؤمن به، ووجه مذكرات إلى حكام العرب يطلب منهم التخلي عن الحكم وتسليمه للحزب، تنقل بين الأردن وسورية ولبنان، وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ في بيروت سنة ١٩٧٧م. [ذيل الأعلام ١/ ١٧١]، و[الموسوعة الميسرة ١/ ٣٤٢].

ولكـن أثبـت التاريـخ لهـم ولنـا ولـكل عاقـل؛ أن هـذا لا يُمكـن.

وبقـيَ بعـد ذلـك أهـلُ الحـق السَّـلَفيون، فإنهـم مـا تَوقَّـف عطاؤهـم منـذ أن بـدأ النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعوتـه، يَضعُفـون فَـترة ويَقـوون أخـرى، حتـى في الوقـت التـي كانـت الدولـة العثمانيـة تَحتَضِر وتتكالَـبُ عليهـا الأمـم، قـام مُجَـدِّد الدعـوة [١] الشـيخ محمـد بـن عبدالوهـاب في دعوتـه، فأقـام دولـة التوحيـد في الجزيـرة، فَهُـم لم يقفـوا في دعوتهـم.

ونُلَخِّص نَظرَة السَّلفيين للأمور فيما يلي:

أننـا لا شـك نَعلـمُ أن اليهـود والنصـارى والمجـوس يكيـدون لنـا المكائـد، كـما قـال سـبحانه وتعـالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقـرة:١٢٠]، وجَمـع هـذا النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخـبر أن الكفـر مِلـة واحـدة، فكفـر البَعـث وكفـر الشـيوعيين وكفـر الرافضـة وكفـر اليهـود والنصـارى كلـه ملـة واحـدة.

تجتمع طوائف الكفر على أهل التوحيد

فالسَّـلفِيون يعرفـون هـذا، فوقفـوا منهـم هـذا الموقـف؛ عـلى أنهـم إن اختلفـوا وإن تحاربـوا فيـما بينهـم، **إلا أنهـم عـلى أهـل التوحيـد مِلَّـة واحـدة**، كل هـذه الطوائـف تَرمـي أهـل التوحيـد مـن مـكان واحـد، ولِهـدفٍ واحـد وهـو إشـاعة الـشِّرك وإماتـة التوحيـد، سـواءٌ جـاء باسـم تصـوفٍ أو باسـم باطنيـة.

ونعتقـد -وهـذا الـذي تَعلَّمنـاه مـن أهـل العلـم- بأننـا مـع عِلمِنـا بكيْـدِ اليهـود والنصـارى، ولكننـا نُؤمـن بـأن المتـصرِّف في الكـون هـو الله سـبحانه

(١) جَـدد دعـوة الإسـلام أي أزال عنهـا مـا عَلِـق وأُلصِـقَ فيهـا مِـن شركٍ وبـدعٍ وخُرافـة، فلـم يـأت بمذهـب جديـد، كـما في حديـث النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنَّ اللهَ يبعثُ لهذه الأمـةِ عـلى رأسِ كلِّ مائـةِ سـنةٍ؛ من يُجدِّدُ لها دينَهـا) أخرجـه أبـو داود (٤٢٩١).

وتعالى، وأن هؤلاء مَهما فكَّروا وخطَّطوا؛ فإنهم لا يَعْدون قَدْرهم، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ)[١] فأنت لك زاوية محدَّدَة، **أما الإسلاميون فقد أعطوا اليهود والنصارى هَوْلاً أكبرَ من هَولهم**، وأصبحنا نسمع أن كل ما يجري بالدنيا إنما هو بتخطيط اليهود! وإلى الآن لم تَفشل خُطَّة لليهود! سبحان الله، يتصرفون في الكون بهذه الدِّقة، فيكتُبون بعد عشرين سنة ماذا سيفعلون ويَتِم! ما يُستثنىٰ منه شيء!!

من الخطأ إعطاء اليهود والنصارى أكبر من حجمهم

هؤلاء الناس الذين وصَفَهم الله بأنهم قِرَدة وخنازير، ووصفهم بأنهم متفرِّقون مُختلفون ﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر:١٤]، وهؤلاء الذين ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [المنافقون:٤]، من اليهود ومن المنافقين من أعوانهم، ومن النصارى الذين ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [البقرة:٦١]، هؤلاء يتصَرَّفون بالأمة المسلمة وبالموحِّدين وبالكون كله بهذه الدَّرجة!! فأصبح عند الناس خوف، ولذلك إذا جاء حاكمٌ الآن يحكمُ بالإسلام، قالوا ماذا يستطيع أن يفعل هذا؟! أمريكا لا ترضاه ولن تتركه!! هذا الكلام نسمعه، وتقرأ لأحدِهم يقول لك: أن كل شيءٍ مُدبَّر، وبعضهم يُلقي محاضرةً يقول: إن أمريكا ستسقط في الفترة الفلانية، إذاً ستسقط دُوَلُنا معها! والعجيب أننا نُصدِّق (صَحافة الكُفر) في كل ما تقول، فوالله لو قالوا لنا اخرجوا من بلادكم، لصَدَّقهم الناسُ وخرجوا!

فأين ذَهَب رب السماوات والأرض! صحيحٌ أن الكفار الآن عندهم قوة، ولكن لا ينبغي أن نوصِل الأمة إلى مرحلة اليأس والقُنوط، (من

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٢٤).

قـال: هلَـكَ النَّـاس، فهـو أهلَكَهُـم)[١]، يجـب أن نُغـيرّ هـذه النَّظـرة.

إذاً أن ننظُـر إلى الأمـة الكافـرة، عـلى أنهـا أمـة عـدُوَّة، وتتربـصُ بنـا الدوائـر، وتريـد بنـا الـشر.. إلـخ، ولكـن عندنـا **مـن الاتصـال بـالله عـز وجـل ومـن اليقـين بربِّنـا، مـا لـو أخْلَصْنـا لـه وأخَذْنـا السـبب لَغَلبناهـم،** فـإنَّ في كل تاريـخ المسـلمين مـا غَلَبـوا الكُفـارَ بكثـرة عـددٍ ولا عُـدة، **وإنـما نَغلِبُهـم بالطَّاعـة،** فـإذا تسـاوينا نحـن وإياهـم بالمعصيـة؛ غَلبونـا بكثـرة العَـدَدِ والعُـدَّة، كـما قـال عمـر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وأرضـاه.[٢]

العِلاج لهذه الانهزامية يكونُ بما يلي:

الأول: أن نَعـرِف ديننـا، وأن نعـرف ربنـا حقيقـة، فالنـاس إلى الآن مـا عَرَفـوا الله عـز وجـل حَـقَّ قَـدْرِه.

التمكين يأتي من السماء، ولا يأتي إلا بالرجوع للدين

الثـاني: أن نعـرِف أن التَّمكـين في الأرض مثـل الـرِّزق والأجـل يـأتي مـن السـماء، احفظـوا هـذا، وليحفظـه دُعـاة الانقلابـات والثـورات: أن الحُكْـمَ لا يُعطـى إلا لأهلـه، وأمـا مُلْـكُ الدنيـا فيعطـى لمـن بـذل السـبب وقَـدِر عليـه، قـد يصـل الرجـل في حُكـم الدنيـا وهـو فاجـر، وأمـا **حُكْـمُ الله وخلافتـه في أرضـه وشرعـه فهـذا لا يُعطـى إلا إذا وصلـت الأمـة إلى مرحلـة التمكـين** ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحـج:٤١]، الأمـة إذا وصلـت إلى أن تكـون أمـة عاملـة مؤمنـة، عنـد ذلـك يتحقَّـقُ لهـا وَعْـدُ الله.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٣).

(٢) أخرجـه أبـو نعيـم الأصبهـاني في الحليـة (٥/ ٣٠٢). وابـن عبدالحكـم في (سـيرة عمـر بـن عبدالعزيـز ص ٧٦-٧٧).

ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر بالعلاج: (إذا تبايعتُم بالعِينةِ، وأخذتُمْ أذنابَ البقرِ، ورَضيتُمْ بالزَّرعِ، وتركتُم الجهادَ) أمراضٌ ومثلها ما يُشبهها كثير، ركونٌ إلى الدنيا، عند ذلك: (سَلَّطَ اللهُ عليكم ذُلًّا، لا ينزعهُ **حتّى ترْجِعوا إلى دينِكُمْ**)(١)، فالذُّل الذي نعيشه الآن لم يأتِ لأن (البيت الأبيض) خَطَّط، ولا أن اليهود في بلادهم خَطَّطوا، **الذُّل جاء لأننا قد انحرفنا، وَحِدنا عن جادَّةِ الله تعالى** ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف:٥]، وقصَّرْنا (كما تكونوا يُولَّى عليكم)(٢)، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد:١١].

فالناس تركوا الجهاد، وأوله الأمر بالمعروف والنهي عن النكر، وآخره القتال في سبيل الله عز وجل، ورَكَنوا إلى الحياة الدنيا، وما أَمَروا بالمعروف، ولا طلبوا العِلم، ولا اجتهدوا في دَعْوَة، ورَضوا بهذه الحياة واطمَأنّوا بها، فأصبح الدِّين ليس في حياتهم، فسلَّط الله عليهم الذل.

إذاً هذا الذل لم يأتِ من الشرق أو الغرب بل جاء من فوق، ومن يرفعه عنا؟ هل إذا رَضيَ عنا الغَرب أو الشَّرق؟ أو رضِيَت الشُّعوب على حُكامها؟ لا، بل (حتّى ترْجِعوا إلى دينِكُمْ) هذا هو العلاج.

لذلك لا نحتاج زيادة تفكير، ولا إلى آراء مفكرين، يُنَظِّرون ما المَخْرج من الأزمة، وكيف نَخْرُج من واقعنا، هذا كله كلامٌ فارغ، وإنما علاجنا هذا هو الحديث، واتركوا كل الفَلسَفات.

إذاً الذل سُلِّط على هذه الأمة بسبب عَمَلِها، وبما كسبت أيدينا، ولا

(١) أخرجه أبوداود (٣٤٦٢).

(٢) أخرجه أبو طاهر السِّلفي في (الطيوريات ١٣١٨)، والقضاعي في (مسند الشهاب ٥٧٧)، بواسطة السلسلة الضعيفة للألباني (٣٢٠).

يرفـعُ الله عــز وجــل هــذا الــذل عــن هــذه الأمــة إلا إذا زال الســبب، وليــس زوال الســبب: هــو أن تلتحــم الشــعوب وأن تَصِــلَ لِمُســتوى مــن الحريــات، أو أن تَصِــلَ إلى شــعوبٍ غنيــة أو شــعوبٍ فقــيرة، **وإنــما زَوال الــذُّل بالرجــوعِ إلى الدِّيــن**، وأن نُقيمَــه داخــل بيوتِنــا قبــلَ خارِجِهــا.

١٤ المحـــــاضرة الرابعة عشــر:

مُغالطاتٌ.. يجبُ تصحيحها

المحاضرة الرابعة عشر

مُغالطاتٌ .. يجبُ تصحيحها [(١)]

لَـمّا جاءت ما يُسمى بـ (الصحوة الإسلامية) وانتشر المدُّ الإسلامي في العالم، هنا وقعت مُغالطة، ظنَّ الناس الذين ليس لديهم علمٌ بالتاريخ، أنه في السابق لا توجد نهضة إسلامية، وليس هنالك عُلَماء ولا دَعوَة؛ حتى جاء (البَنَّا) و(المودودي) و(سيد قطب) وأظهروا ما سُمّي بـ (الصَّحوة الإسلامية)، وهذه مغالطة.

وجود العلماء السلفيين قبل دُعاة الصحوة

ففي جيلهم وعصرهم كان هناك علماء مثل محب الدين الخطيب وأحمد شاكر[(٢)] وغيرهما، وأنا ذكرتُ هذا سابقاً -كما في رسالة صغيرة أسميتُها «دَعوةٌ

(١) من محاضرة بعنوان: (كُن سلفيا ولا تَخجَل) ألقاها في شهر مايو سنة ٢٠٠٩م.

(٢) **مُحب الدين الخطيب**: ولد سنة (١٨٨٦-١٩٦٩م) في دمشق، وتعلّم بها وبالأستانة، من كبار الكتاب الإسلاميين، عاش حياة حافلة بإنشاء الجمعيات الإسلامية العربية في دمشق ومكة وصنعاء حتى استقر بالقاهرة ومنها (جمعية الشبان المسلمين)، وتولى تحرير عدة صحف ومجلات: (المؤيد) بالقاهرة، (القبلة) بمكة، (العاصمة) بدمشق، ومجلة (الأزهر) وعمل محرراً بجريدة الأهرام، وأصدر مجلتيه (الزهراء) و(الفتح)، وأنشأ (المطبعة السلفية ومكتبتها) حيث أصدر العديد من الرسائل وكتب التراث، ومن مؤلفاته: (الرعيل الأول في الإسلام)، (الحديقة)، (اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب)، (تاريخ مدينة الزهراء بالأندلس). [الأعلام للزركلي ٥/ ٢٨٢].

أحمد محمد شاكر: أبو الأشبال، يرفع نسبه إلى الحسين بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ولد سنة (١٨٩٢-١٩٥٨م) بالقاهرة، عالمٌ بالحديث والتفسير، أخذ شهادته العالمية من الأزهر، وعُين قاضياً ورئيساً للمحكمة الشرعية العليا، من مؤلفاته: (تحقيق مسند الإمام أحمد) وهو أعظمها، (عمدة التفسير) وغيرها الكثير، لم يخلفه أحد مثله في علم الحديث بمصر. [الأعلام ١/ ٢٥٣].

ومن كان له تاريخ ودور في الدفاع عن العقيدة الأستاذ أبو فِهر **محمود محمد شاكر** (١٩٠٩- ١٩٩٧م)

للتَّأمُّـل»- أن كل **زُعـماء الجماعـات الإسـلامية ليس فيهـم عـالم**، يعني ايتـوني بحديثٍ واحـدٍ خرَّجـه تقـي الديـن النبهـاني أو المـودودي أو سـيد قطـب أو النـورسي[(١)] أو محمـد إليـاس، أو فتـوى واحـدة منهـم مُؤَصَّلـة، ومعنـى مؤصلـة أي أنـه يـأتي بحكـم ويقـول: قـال الله كـذا، وقـال رسـول الله كـذا، وقـال أحمـد كـذا وقـال الشـافعي كـذاً، والصـواب كـذا، **فـلا يوجـد لهـؤلاء فتـوى مُؤَصَّلـة**، انظـر (ظِـلال القـرآن) مـن أولـه إلى آخـره، تجـد كلامـاً طويـلاً، فيـه حـق وباطـل، وانظـر (رسـائل المـودودي) و(رسـائل البنـا) رحمهـم الله، تجـده كلامـاً ليـس فيـه تأصيـل عِلمـي.

من أمثلة العلماء السلفيين

لكـن اقـرأ كلام محـب الديـن الخطيـب وكلام أحمـد شـاكر رحمهـم الله

=شيخ العربيـة، فقـد ردَّ عـلى مفكـر الإخـوان «سَـيِّد قُطـب» في سلسـلة مقـالات لَّمـا نال مـن بعـض الصحابة الكـرام وخاصـة سـيدنا عثـمان ومعاويـة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وكانـت سَـنة ١٩٥١م في مجلـة المسـلمون، بأربـع مقـالات متواليـة، ابتدأهـا بمقالـة (حُكـم بـلا نيـة)، ولم يجـرأ (سـيِّد) عـلى الـرَّد، ثـم بعـد فـترة تصـدى بالـرد صديقـه محمـد رجـب البيومـي في مجلـة الرسـالة، فـرد عليـه الأسـتاذ محمـود بمقالـة (ذو العقـل يشـقى..). ينظـر (جَمهـرة مقـالات الأسـتاذ محمـود محمـد شـاكر) ص٥٦٧، ٩٧٠-١٠١٠.

(١) هـو **سـعيد النـورسي**: ولـد سـنة ١٨٧٣م مـن أبويـن كرديـين في قريـة نـورس بمقاطعـة هـزان شرقـي الأناضـول، تلقـى تعليمـه الأولي في بلدتـه، ودرس العلـوم الشرعيـة وعلـوم الرياضيـات والفيزيـاء والفلـك، ولـما شـب ظهـرت عليـه علامـات الـذكاء حتـى لقـب بــ (بديـع الزمـان) و(سـعيدي مشـهور)، عمـل مدرسـاً لمـدة خمسـة عـشر عامـاً في مدينـة (وان)، وفي سـنة ١٩٠٧م انتقـل إلى اسـتانبول لتقديـم فكـرة مشروعـه بتأسـيس (الجامعـة الزهـراء) لتكـون عـلى شـاكلة (الجامـع الأزهـر) بمـصر، شـارك في الحـرب العالميـة الأولى وأُسِرَ في سـيبيريا ١٩١٥م، فلـما رجـع عُـين عضـوا في أعـلى مجلـس علمـي (دار الحِكمـة الإسـلامية).

حـاول المجـرم (مصطفـى كـمال أتاتـورك) اسـتدراجه إلى صَفِّـهِ، لكـن الشـيخ سـعيد رفـض إغراءاتـه وقُربـه، وغـادر أنقـرة إلى (وان) سـنة ١٩٢١م تـاركاً السياسـة خلـف ظهـره، ووصِـفَ هـذا التاريـخ بأنـه فاصـل بـين مرحلتـين: سـعيد القديـم وسـعيد الجديـد، وسُـجن كثـيراً بعـد ذلـك، وعـاش آخـر عمـره في إسـبارطة منعـزلاً عـن النـاس، وقبـل ثلاثـة أيـام مـن وفاتـه اتجـه إلى مدينـة أورفـة وتـوفي رَحِمَهُٱللَّهُ فيهـا سـنة ١٩٦٠م. مـن مؤلفاتـه: (إشـارات الإعجـاز في مظـان الإيجـاز)، (رسـائل النـور)، (الآيـة الكـبرى)، (المحاكـمات).

والنورسـية: جماعـة إسـلامية أسسـها (سـعيد النـورسي)، **أقـرب في تكوينهـا إلى الطـرق الصوفيـة، تبنّـت عقيـدة الماتريديـة** التـي كانـت تُدعَـم مِـن قِبَـل الدولـة العثمانيـة، دعـت إلى الوقـوف أمـام المـد العلـماني الماسـوني (الكـمالي) الـذي اجتـاح تركيـا عقـب سـقوط الخلافـة العثمانيـة. [الموسـوعة الميسرة ١/ ٣٢٤]

وعلماء الأمة في ذلك الوقت، تجده كلاماً مُوصلاً، وكان علماء الدعوة أتباع محمد بن عبدالوهاب في الجزيرة موجودين، وفي الهند الشيخ صديق حسن خان، وصاحب (تحفة الأحوذي) الشيخ عبدالرحمن المباركفوري، وصاحب (عَون المعبود) الشيخ العظيم آبادي، وفي اليمن الشيخ الشوكاني، فيوجد علماء سلفيون في العالم الإسلامي.(١)

فلما جاء المودودي أو النَّدوي(٢) فأوجدوا صحوة دينية، وإنما خرَّجوا

---

(١) [لا نعترف أن الدعوة السلفية صَحوة، وإنما هي امتداد (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق)، فليست صَحوة جديدة، فالأمة لم تَنَم يوماً من الأيام، بل بقِيَت تُقيم الحجة لله على عباده، (يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عُدوله)، صحيح أن الأمة مرَّت بفترة ركود، ولكن علماء الدعوة السلفية كانوا في قوتهم، فكانت دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب قائمة في عموم قرى نجد وما حولها، بل انتشرت الدعوة إلى الهند، ففي الأربعينيات -أثناء وقت الصحوة والنهضة كما يقولون- كانت الدعوة السلفية قوية، لكن الناس تجهل ذلك، ففي الوقت الذي كان الناس فيه يعودون إلى المساجد؛ كان الشيخ (صديق حسن خان) ينفق من الهند ليوزع كتاب (فتح الباري) في البصرة.

وانظروا إلى أن الناس والدنيا كبَّرت (الأفغاني) و(محمد عبده)، ولكنها ما ذكرت شيئاً عن (محمد رشيد رضا)! وعن (مُحب الدين الخطيب) رحمهم الله، والسبب أن رشيد رضا أحسنُ من أولئك، والخطيب لوضوحه أُهمل بل حورب.

والناس لا تعرف من هو (محمد نَصيف) وجهوده في نشر العلم في ذلك الوقت، ولكن التاريخ المعاصر والإعلام المعاصر أهمل هذا كله، فأصبحنا لا نفهم من الحركة الإسلامية المعاصرة إلا بداية دعوة (محمد إلياس) أو دعوة (البنا)! وكأن الدنيا خالية إلا من أولئك!

ففي الوقت الذي قام محمد إلياس في الدعوة، كانت الهند تعج بالعلماء، أمة مزدهرة قائمة وعلم، وفي الوقت الذي كان البنّا يدعو في مصر كان يتتلمذ عند محب الدين الخطيب. ولكن للأسف الشديد الإعلام المعاصر وقع بأيدي آخرين، **واجتمع الشرق والغرب على طَمس حقائق هذه الدعوة**]. من محاضرة للشيخ بعنوان: (نظرات في واقع الجماعات الإسلامية المعاصرة ج١) ألقاها أواخر سنة ١٩٩٠م أثناء فترة العدوان العراقي للكويت.

(٢) **النَّدَوي**: علي بن عبدالحي الحسني، ولد سنة ١٩١٤م في شمال الهند، من أسرة لها اشتغال بالعلم، وتعلَّم بدار العلوم (ندوة العلماء) وإليها يُنسب، ووُلي رئاستها إلى وفاته، واختير عضواً بالمجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعضواً بِعدة روابط عالمية، وله مؤلفاتٌ عِدة منها: (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) و(الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية) و(مشكلات العمل الإسلامي)، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٩٩٩م. [ذيل الأعلام ٢/ ١٣١]. وللشيخ

الناس من المقاهي ونَشَّطوهم، لكن الدِّين والعلم والأصول موجودة في عالمنا، فهذا يجب أن يُفهم.

لأن الكثير يُؤرِّخون لنهضة الشباب الإسلامي وللصحوة الإسلامية ولعودة الإسلام للأمة، من عهد المودودي والبَنّا وما بعده، فَكَأنَّ الأمة قبل ذلك كانت في ضَياع ! وهذا غيرُ صحيح، فالعلماء كانوا في كلِّ مكان، الشيخ (صِدّيق حسن خان) كان يَطبع من (فتح الباري) وغيره ويوزعه على بلاد المسلمين، **وكل هذه الحركات لم تُوزِّع كتاباً واحداً يعالجُ الشرك!**، هُم تكلموا أن الإسلام جميل وأنه قادم، والإسلام سيُحَطِّم الجاهليات، لكن ما هو هذا الإسلام؟ ما ذَكروه! ما هو الشِّرك الذي يجب أن يُحارَب؟ ما ذكروه!

جرثومة الخَلط والتَّلبيس:

فجاءت هذه الصحوة - التي يُسمونها (الصحوة الإسلامية) للأسف الشديد - فأوقعتنا في خَلْط، وارتَكَبَت مجموعة حَماقات، كانت في بدايتها غير مؤثرة على الخطِّ السلفي، فإذا جئت ترى جماعة المودودي ففي شبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا، وإن جئت للإخوان ففي البلاد العربية، وإن جئت إلى النورسيين وما حولهم ففي تركيا، فما كان هناك تداخل بينهم وبين السلفيين، فالسلفيون لوحدهم وهؤلاء لوحدهم، ولم يكن أحدٌ في كل العالم الإسلامي يَخلِط، فما كان الإخواني ولا المودودي ولا جماعة قطب يقولون نحن سلفيون، ولذلك كان الإنسان يكفي أن يقول (أنا سَلَفي) ليميّز نفسه.

=صلاح الدين مقبول كتابٌ حافل بعنوان: (الأستاذ أبوالحسن الندوي الوجه الآخر من كتاباته) وبيَّن بتوسعٍ عقيدته وتصوفه وآراءه.

جراثيم أُدخلت بالجسم السلفي

ولكن **طُرِحَت جرثومة** في فترة السبعينيات وهي ما سُمِّيَ بـ (السلفية الإخوانية)، ولا ندري أهي بتدبير من الكفار -وهم يَدرُسون طويلاً ويُفكِّرون-، أم اختلطت الأوراق؟ لأن كل هذه الجماعات الإسلامية تُحارب السَّلفية، وإن دَعَتْ للتقريب، لأنهم لا يُمكن أن يُقرِّبوا أنفسهم إلينا أبداً، بل يريدوننا أن نَقترب إليهم؛ حتى يأخذوا شبابنا، فكلهم يحارب السلفية لأنهم يرونها عَدُوّاً لهم، لكن تختلف هذه الحروب بين ضَعفٍ وقُوة، حسب قوة السلفيين في بلد، وضعفهم في بلدٍ آخر.

هذه الجرثومة تَعني أن عقيدتنا سلفية ومنهجنا إخواني، واكتسحت العالم الإسلامي، فصار الناس يقولون نحن نختلف مع (الإخوان المسلمين) لأن عندهم ميوعة في العقائد، ولكنهم في العمل والسياسة والواقع عندهم فَهْم! فيقولون نحن في العقيدة على طريقة السلف، وفي المنهج وفي العمل والسياسة نأخذ بطريقة الإخوان، وانتشر هذا المذهب -خاصة لَمّا جاءت أحداث حرب العراق على الكويت- وأصبحَ له رِجال.

هذه بداية المشكلة، فدخل في السَّلفية شيء ليس منها، فصار الإنسان العاميّ لا يُميّز، كما يقول لي أحد إخواننا الصوماليين: جاءنا إخوانٌ من السعودية يَلبَسون (الغُتر الحُمر) وتحت إبطه (كتاب التوحيد)، ويُدرِّسنا التوحيد وفي الأسماء والصفات كتب ابن تيمية، وما نُميّز هل هذا من جماعة الاتحاد -يريد ثورة وانقلاب- أم هو سَلَفِي! وبهذا انتشر هذا المذهب الفاسِد في أوساط السلفيين، ومن نظر إلى الصومال وأفغانستان رأى كيف انتشر هؤلاء، يَحمِلون كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وكتب محمد بن عبدالوهاب، ثم نَشَروا مَذهَبَهم.

بتر النُّصوص لتأييد مذهبهم:

ثـم بـدأوا **خُطـوةً ثانيـة** -وهـي قبيحـة- أنهـم أخـذوا مـن كلامِ شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكلام محمـد بـن عبدالوهـاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ مـا يوافـق منهـج التَّكفيـر، فلَبَّسـوه أن هـؤلاء علماء الدعـوة السـلفية القدمـاء -الذيـن لم يتأثَّـروا بالسَّـلاطين- أيضـاً يُكَفِّـرون!، ولذلـك بعـض الكتـب مثـل كتـاب (نواقـض الإيـمان القوليـة والعمليـة)[١] وغيرهـا تُركـز عـلى هـذا المعنـى، **فـكل عـالم تسـتطيع أن تأخـذ كلامـه وتبـتره عـما قبلـه أو بعـده؛ يتغـيَّر المعنـى**، حتـى في القَـرآن، لأن هنـاك آيـات مُحكَمـة وآيـات متشـابهة، وكذلـك كل عـالم لـه قـولٌ مُحكـم، ولـه قـولٌ متشـابه، حتـى أنهـم نَسَـبوا للشـيخ صالـح الفـوزان التكفـير في كتابـه التوحيـد! وكتابـه واضـح.

القطبيون واختلافهم عنا، ومشابهتهم للخوارج

وهـؤلاء النـاس تجدُهـم في قضايـا التوحيـد ومحاربـة الـشرك – خاصـة (القُطبِيّـون) منهـم الآن- شـديدين جـداً، ولهـم كتـب في هـذه القضايـا وقضايـا الأسـماء والصفـات، حتـى يقـول قائـل: بـماذا يختلفـون عنـا؟ نقـول ارجـع للخـوارج الأولـين، الذيـن كانـوا في عهـد عـليّ ومعاويـة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، لم يكـن عندهـم قبـور، ولم يكـن عندهـم شرك، ومـا عندهـم تأويـل للأسـماء والصفـات، **وإنـما الخِـلاف معهـم في مسـألة المنهـج وفهـم الصحابـة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، أنأخـذ بفهمهـم ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ [البقـرة:١٣٧]، أم هـم رجـال ونحـن رجـال !! هـذه هـي التـي فرَّقتنـا عـن الخـوارج الأولـين، وبالتـالي كل مـا جـاء بعـد ذلـك مـن انحـراف عنـد الخـوارج الأولـين؛ جـاء عنـد هـؤلاء، **ولكـن هـؤلاء أسـوأ لأنهـم أضافـوا لـه التّقيّـة**، فأصبـح لهـم

(١) تأليف د. عبدالعزيز العبداللطيف.

(مذهب ليل، ومذهب نهار).[١]

مِن آثارِ دعوتهم:

لمَّا نَجَحَ (القُطبيّون) الذين انشقوا من (الإخوان المسلمين) لأهدافٍ لا نعلمها - وإن كان الآن رجعوا والتَأَمَ شَملهم -، فأوّل قرارٍ قرَّروه في جماعة (المنتدى الإسلامي) و(محمد سرور) وجماعته[٢]: أننا نحاول أن

(١) وقد لخَّصَ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أبرز مَعالم خوارج اليوم،** في كتابه النافع: (الخوارج فتنة العصر)، ضمن مجموع كتبه (٢/ ٢٧٤)، أنقله لفائدته، قال: [وأختِم بوصفٍ لهم تستطيع معرفتهم به - في هذا العصر - حتى وإن كنتَ ممن لم يتمَرّس بالقرآن، ألا هو:

١) طرح قضية «الحاكمية» والتحاكم للشرع، وهذا حق لا مرية فيه، وهو أمر يجب المطالبة به، وكل مسلم مُلزَم بالسعي الجاد لتطبيق دين اللهّ بعمومه عقيدة وشريعة في الأرض، **لكن الخوارج يحصرونها في الحُكام، ويكثرون من الدندنة حولها، مع أن الحاكمية عامة شاملة.**

٢) **اتهام العلماء** الذين لا يوافقونهم بأنهم: عُمَلاء للحكام أو مرجئة.

٣) تلاحظ عليهم أن لهم قولاً لخاصَّةِ شَبابهم بتكفير الحُكّام، **وآخر للعامَّة بخلاف ذلك!**

٤) **تعظيمهم وتأييدهم لكل انحرافات الخوارج والثوار في العصر**، ويُسَمون ذلك: جهاداً!

٥) **ألغوا أحكام** الجهاد الشرعية، وجعلوا كل من أراد أن يخرج على حاكمٍ أو يقاتل شعبه فهو مجاهد!].

(٢) **محُمد سرُور** بن نايف زين العابدين: ولد عام ١٩٣٨م في قرية تسيل بمنطقة حوران بسورية، التحق بكلية الحقوق في جامعة دمشق، وتأثر بالأستاذ مصطفى السِّباعي فيها، وبعد إتمام دراسته الجامعية انتقل إلى السعودية عام ١٩٦٥ مدرساً في المَعاهد العلمية التابعة لجامعة محمد بن سعود الإسلامية في (حائل)، ومكث فيها عاماً واحداً، ثم انتقل إلى (القصيم) مدرِّساً في المعهد العلمي لمدة خمسة أعوام، وبعدها في (الأحساء) عامين، ولاقت دعوته رواجاً لدى الشباب، ثم اضطر للانتقال إلى الكويت عام ١٩٧٣، والتحق بجمعية الإصلاح الاجتماعي عاملاً وكاتباً في مجلة المجتمع مدة ثلاث سنوات، وفي عام ١٩٧٦ قام بتأسيس مكتبة (دار الأرقم)، وفي عام ١٩٨٤م انتقل بأسرته إلى بريطانيا (برمينغهام)، وأسس (مركز الدراسات الإسلامية) وأصدر (مجلة السنة) وكان عددها الأول عام ١٩٨٩م، ثم انتقل مع أسرته إلى الأردن عام ٢٠٠٤م، مكث بها فترة وبعدها انتقل إلى دولة قطر، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بها سنة ٢٠١٦م. من مؤلفاته: (وجاء دور المجوس) وقد اشتهر سابقاً باسمٍ مستعار: عبدالله محمد الغريب، (منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله)، (جماعة المسلمين). [من موقعه الإلكتروني الرسمي]، ومحمد سرور ليس له دعوة خاصة به، وإنما هو يتبع منهج سيد قطب المعروف. [ينظر محاضرة: سؤال وجواب]

نُجمّع الجماعات الإسلامية، كيف؟ قالوا نأخذ من «السلفيين» العقيدة، ونأخذ من «الإخوان المسلمين» الحركة، وهكذا! نحن نقول: لا، ديننا كامل ليس بناقص، يعني هل الأمّة قبل (محمد سرور) وقبل (البنّا) ليس فيها دعوة؟! أقيمت دُول، مثل الملك عبدالعزيز بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقام دولة، وبأقل جهدٍ بشري، أما الإخوان فقَتَلوا من شباب الأمة الآلاف في دول مختلفة، وصرفوا من أموال الأمة مِئات الملايين، والنتيجة: ما حَكموا شيئاً، حتى قريةً ما حَكموا، في أفغانستان قتلوا مئات البشر وذهبت الأموال، والنتيجة: حَكمها العلمانيّون!

فساد طريقتهم في فلسطين

إذاً المنهج الذي سلكوه بما يُسمى (السِّياسة العَصرية) منهجٌ فاسد، حتى في فلسطين كلّما تَجمَّع الشباب وصار فيها دعوة ونشاط في المساجد؛ دخلوا في حرب مع إسرائيل، على لا شيء، كما قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من استُغضِب فلم يَغضب؛ فهو حِمَار)، فإسرائيل عندها عدد وعُدة وجيش، وتأتي أنت وترميهم بصاروخ صغير! كأنك تقول: أنا هنا اضربني! كما كان أيام الاحتلال العراقي للكويت أفتَوْنا بأن المُقاومة داخل البيوت لا تنبغي، لأنه مِنَ الممكن أن يأتي العِراقي -المُندَس بين البيوت- فيرمي رميةً على الجيش العراقي، ثم يذهب إلى مكان آخر فيرمي رمية أخرى، فيأتي الجيش يضرب جميع الناس هناك، وهذا الحاصل من الفلسطينيين في إسرائيل، يرمي صاروخاً -من سيقتُل!- فتأتي إسرائيل فتُدمِّر البلد كله، **وبعد أن يحصل الدمار - كما حصل في لبنان مع حزب الشيطان وحصل في غزة- ويتأكدوا أن المسلمين قد قُتلوا، وأن البلاد دُمّرت، وأن الشباب قد انتهى؛ مَدوا يد الصلح مع اليهود!!**

ولذلك أنا أتعجَّبُ من أحدِ المشايخ، يقول: (لا مانع من أن يَصطلِح المجاهدون مع اليهود حتى يُداووا جَرحاهم)، طيب، ثم يقول في المقابلة

نفسها: (لكن على الفلسطينيين ألا يتركوا الرَّميَ على إسرائيل، حتى لا يجعلهم في راحة)! إذاً هذا خداع، أنت أَجَزت الصُّلح، فكيف تُجيز الغَدر والخِيانة! تَضاربٌ لا يُعرفُ له رأي.

انظروا الآن نتيجة أحداث غزة، ماذا جَرى لها، ولا شيء، اصطلحت الجماعة مع المنظمة، واصطلحوا مع إسرائيل، وكأنه لم يحدث شيء! وكل بني آدم الذين ماتوا، والبلاد التي دُمرت؛ لا قيمة لها، الذين ماتوا ستلد أمهاتهم شباباً جُدداً، سيُقتلون بعد سنوات، والبلاد سيُعمِّرها حُكّام الخليج!! قُضِيَ الأمر.

وهم ما يُسَمّون هذه سياسة! ما أتَوْا بشيء، ما أتوا بدولة، ولا أتوا بنظام، إذاً طريقتنا -التي يُسمّونها طريقة العجائز- أسلَم، على الأقل توجد عِلْماً، لذلك -يا إخواني- قلنا مراراً أن **هؤلاء دعوتهم مركَّزة على الحُكم**، فإذا وصلوا للحُكم، ماذا سيفعلون؟! (١)

(١) سُئل الشيخ عن موقف المسلم من الحُكّام، فقال: [نقول له انشغل بالناس واترك الحُكام، فإن آفة العمل الإسلامي المعاصر أنه ترك الشعب واشتغل بالحُكّام، **فصار لا هو أدرك الحكم، ولا سلمت له دعوته**، ومناطحة الضعيف للقوي لا تُسمِن، ولذلك تجربة الإخوان المسلمين وتجربة جماعة الجهاد أكلت على الأمة آلافاً من الشباب، وملايين من الأموال، ولم تُنتِج شيئاً، لماذا؟ لأن التمكين في الأرض يأتي بعد إيجاد الأمة المسلمة، التبليغيون لديهم جزء من النصيب في الاهتمام بالتربية لكنهم ما اهتمّوا بالعقيدة، لذلك تجدهم يَحضرون بالملايين لكن لا تجد البركة؛ لأنهم أهملوا العقيدة ولا يُغيرون وينكرون الشِّرك والقبور، والإخوان اهتموا بالسياسة فما ربوا على التديّن، بمعنى ما اهتمّوا بالشعب.

السلفيون يرون أنه لا بُدّ من إيجاد الإسلام المصفى، والتربية عليه، حتى نصل إلى مرحلة نكون أهلاً للتَّمكين، فلو تتبعت آيات الحُكم كلها في القرآن ترى أن الحكم يكون من الله، منها ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور:٥٥]، ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج:٤١]، وفي الحديث: (سَلَّطَ اللهُ عليكم ذُلًّا، لا ينزِعهُ حتّى ترْجِعوا إلى دينِكُم) أخرجه أبو داود، فالذل يأتي من الله بسبب المعاصي، ورفع الذل يأتي من الله بعد الرجوع إلى الدين،

الفرق بين دعوتهم ودعوتنا

أما نحن فدعوتنا مركزة على إصلاح الأمة، لأننا نَعلَم يقيناً أن الحُكم لن يأتي لـ (أمة مُهَلهَلَة)، وإنما لا يُمْكن أن يحصل التغيرُّ إلا إذا تغيرَّ الناس، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١] هذه قاعدة، وذكرنا مراراً **أن الحُكم والتمكين يأتي من السَّماء**، وهذه القضية لا يريدون أن يفهموها.

في السبعينيات جرى انفصال طائفة كبيرة من (الإخوان المسلمين) في السعودية، وصاروا كما قالوا (سلفيو العقيدة إخوانيو المنهج والسياسة) وضيّعوا، هذه الجرثومة في الحقيقة آذت السلفيين، ففي السابق كنا نَعرف: هذا إخواني، وهذا صوفي، وهذا تبليغي، وهذا أشعري، وهذا معتزلي، أما الآن فلا نَعرف: هل هو سلفي أم لا، تأتي تناقشه في كل قضايانا فلا يختلف معنا في شيء، **إلا في مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومسائل الجهاد**، هذه الجُرثومة انتشرت في وسط الجسم السلفي فآذته كثيراً.(١)

=فالحُكام نتركهم الآن على قاعدة: الاشتِغال بالأولويات، فالأولى الآن أن نوجِد مسلمين حقيقيين، بعد ذلك تبدأ مراحل التغيير، وإلا فالمعروف أن الحاكم الكافر يُخرج عليه ويُعزل -مِن القادر الذي يُقِرّه أهل الحل والعقد-، **لكن يعزله المسلمون بطريقة شرعية لا بطريقة الانقلابات** واللف والدوران، فهذه لا يُقرها الشرع، وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: لو تتبَّعنا جميع الثورات لما رأينا في خروجهم خيراً، أما كيف نتعامل مع الحُكام؟ فنقول نتعامل بالحَذَر الذي نُحافظ به على بيضة المسلمين]. من لقاء بعنوان (أسئلة وأجوبة ج٢).

(١) **أجاب الشيخ على سؤال مفاده: هل من يرى الخروج والتكفير ممن يزعم الانتساب للسلفية يرى أن هذه هي السلفية الحقيقة؟** فقال: [الذي يظهر لي -ونحن لا نعلم ما في القلوب- من خلال المناقشات مع عموم السروريين، خاصة الإخوة السعوديين بالذات الذين تَوَرَّطوا في هذا الخَط، **أنهم يَظُنون أن السلفية** التي يجب ألا يُختلف فيها هي: مسائل التوحيد والشرك والأسماء والصفات، وأما هذه الأمور المنهجية حتى المشايخ لم يَفهموا الواقع المنهجي! فهم -مع إحسان الظن فيهم- يرون أن السلفية الصحيحة هي فعل الحُسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -أي الخروج بزعمهم-، يقولون هذه هي السلفية التي أماتها المشايخ، وأنها رُوِّضت من العهد الأموي، من ذلك الوقت وقد حُرِّف فهم الدين فيها، وهذا يذكرونه على استحياء من خلال مناقشاتي معهم، **ولذلك بعضهم يُصرِّح وبعضهم لا يُصرِّح**، فمحمد سرور وصلاح الصاوي يُصرِّحون، لكن الأخوة السعوديين مثل سَلمان

جرثومة أهل التبديع

وواجَهها حَماقة من أناس آخرين يُبَدِّعون الهواء! -وهم جماعة الشيخ مُقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وجماعة عبيد الجابري-، ما عالجوا الأمر كما عالجه علماؤنا وعقلاؤنا، بالطَّرح العِلمي والعقل، وإنما بردة فِعلٍ عكسية، وكأنهم شجَّعوهم على أن يَمْضوا بهذا الخط، **وهذه جرثومة ثانية** من هؤلاء -باسم عدم التَّحزُّب وعدم العمل السِّياسي وغيرها- مزَّقت الجِسم السَّلفي.(١)

=وسَفَر لا يُصرِّحون، يدورون حول الحِمى، لأن من يُصرّح ليس عنده ارتباط يخاف عليه.

عموم السروريين يقولون: من أين لكم أن فقه السلف استقر على ذلك؟ قلنا هذا عليه أهل العلم في الكتب، فهم في الحقيقة مُلبّس عليهم، والإخلاص لا ينافي الانحراف، فالخوارج كما أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم..) ولا شك أنهم في كثيرٍ من أحوالهم تشعر فيهم الإخلاص، ولكن انحرفوا عن الدرب] من محاضرة للشيخ بعنوان: (المذهبية).

(١) سُئِل الشيخ عن الحِزبية وهل الجماعة السلفية في الكويت تستند إلى الحزبية؟ فأجاب: [أنا نفسي لا أعرف ماذا يقصدون منها، أنا سألتهم مِراراً فما وَجَدتُ جواباً، قلت لهم: عرِّفوا لنا الحزبية التي لا تُريدونها حتى نتجنَّبها، أو دُلُّونا على مظاهر الحزبية عند إخواننا السلفيين في الكويت حتى ننصحهم فيها، وأنا أقول -والله على ما أقول شهيد- أنني ما رأيت من مظاهر الحزبية الممقوتة التي أعرفها عند إخواننا شيء، فمن رأى وأراد أن يُطلعني فجزاه الله خيراً، فنتعاون معاً على إزالة المخالفات الشرعية، وأما إلقاء القول على عِلّاته وظُلم الناس، وتحبيطٌ من قيمة العمل، لأنه -يا إخواني- مَن الذي ساهم في نشر الدعوة السلفية في الكويت غير شباب (إحياء التراث)، هل نشرها بقايا جهيمان، أو بقايا المتشددين هؤلاء؟! مَن الذي يُضَحّي بوقته وماله وجهده غير هؤلاء الشباب، ولكن هل عندهم أخطاء؟ نعم عندهم، فلو كان عندهم ٥٠٪ أخطاء، فنحاول نُصَحِّح ونقوّم الـ ٥٠٪ الأخرى، **فنقول اقبلوا الصَّحيح، وقَوِّموا الخطأ، لكن يُقَوّم الخطأ بالنَّقلِ والعقلِ والفَهم**، فنأتي بالمسألة الخطأ ونقوِّمها من باب النصيحة، فليسَ كل ما خالف رأيي فهو خطأ، فأنا لي أخطاء، وقد أراهم مخطِئين وهم يروني مُخطِئ، لكنني -من فضلِ الله- أمارس مع إخواني في (الجمعية) المناصحة، ونحن كلنا في سفينة واحدة.

وأمرٌ آخر وهو أن مَن يتَّهمَهم بالحزبية هو واقع في أسوأ منهم، وإنما أقول هؤلاء إخواننا ونحن منهم، فهل نذهب مع المبتدعة؟! وسبحان الله أرى من هؤلاء -الذين يتَّهِموننا بالحِزبية- ليِّناً مع المبتدعة وشدَّةً على السلفيين، هذا انقلاب مفاهيم!

فأنا أقول -يا إخواني- **لا يَصرفنا الشيطان في التَّحريش فيما بيننا**، فعلينا أن نجتهد وندعو إلى الله عز وجل ونُضَحّي بأوقاتنا ومالنا، وإذا رأينا خطأً شرعياً واضحاً بيّناً عندنا فيه برهان؛ ناقَشْنا

إذاً فالجِسم السَّلفي جاءته حَرْبان من أكبر الحروب، الحرب الأولى من القُطبيين الذين سَمّوا أنفسهم (سلفيي المعتقد إخوانيي المنهج)، الحرب الثانية جاءت من إخواننا السلفيين -وكما قلت: إخوانُنا بَغوا علينا- فهم إخواننا في العقيدة والمنهج والأخذ بفهم الصحابة، **لكنهم غَلوا في التَّبْديع**، فكلّ شخص عنده جمعية يجمع فبها تبرعات؛ يصير عندهم مُبتدِعاً [(١)]، وكلَّ إنسانٍ يرى جواز العمل السياسي يصير مبتدعاً، فهؤلاء

=فيه، أمّا آراؤنا واجتهاداتنا فهي تتغير ليل نهار]. من محاضرة بعنوان: (سؤال وجواب).

(١) وَرَدَ سؤال على الشيخ -في لقاء مع بعض الأخوة من أندونيسيا-: هل عند السلفيين تنظيمٌ كما عند جماعات الدعوة الأخرى؟ فقال: [**التنظيم هو وسيلة وليس بغاية**، ويتنوع من بيئة إلى بيئة، ومن بلدٍ إلى بلد، ومن مكان إلى مكان، ومن زمن إلى زمن، فليس له ضابطٌ معينٌ، ولا أعلم عالماً أو طالب علم سَلَفياً حرَّمه أو مَنَعه، **والذي يُمنَع هو التَّحزّب للتنظيم**، يعني جعل التنظيم والجماعة غاية، يُوالى ويُعادى عليها، فالذي مَنَعه علماؤنا -ونحاربه نحن- هو أن يتحوَّل التنظيم من وسيلةٍ لحفظ الدين وتبليغه للناس، **إلى غايةٍ وحِزب يُتَحزّب إليه، ويُوالى عليه، وأما التنظيم بمعنى ترتيب الأمور** والاستفادة من الطاقات والجهود، وتوزيع الأدوار، والتخطيط لصد كيد أعداء هذا الدين، ورَدِّ المسلمين إلى دينهم، والاستفادة من أحوال البلدان، فهذا لا أعلم أحداً مَنَعه، ولذلك هو يختلف من بلد إلى بلد، ففي بعض البلدان: المسلمون لا يستطيعون أن يُصلُّوا إلا بالسِّر، ولا يستطيعون قراءة القرآن وتدارسه جماعةً إلا بالسر، بل لا يستطيعون أن يتزوجوا ثانية إلا بالسِّر، فهؤلاء لا نستطيع أن نقول لهم أن السرية في بلادكم حرام، وبعض البلدان مفتوحة وواضحة مثل الشمس، فنقول لهم لا داعي إلى اللجوء إلى السَّراديب، ولذلك لا ينبغي أن نُعطي المسألة قالباً واحداً، وإنما يُفصَّل لكل بلادٍ التفصيل الذي يناسبها، ففي بلد يمكن أن يقيموا جمعية أو يطبعوا كتاباً، وفي بلد آخر لا يستطيعون، فليست المسألة عامة تأخذ الشكل نفسه.

فلذلك يُخطئ الكثير من إخواننا بجعلهم العالم الإسلامي كله مُتَشابهاً، فالوضع في دول الخليج يختلف عن الوضع في بعض البلدان العربية، والوضع في إسرائيل يختلف عن الوضع في أمريكا، وكذلك الوضع في الجمهوريات الإسلامية يختلف عن الوضع في الهند أو في أفريقيا، كل بلدٍ لها لُبوس، **وإنما نحن نحذِّر من أساسٍ وهو أن يتحول التنظيم إلى ولاء وبراء عليه**. فلا يكون الولاء إلا على العقيدة والمنهج، وألا يُلزَم الناس للدخول في هذا التنظيم، فهو وسيلة لخدمة الدين لا غاية في نفسه.

ونشأ اللَّغَط أن بعض إخواننا لّما منعوا التنظيم **خافوا أن يتحول الناس بهذا التنظيم إلى مثل الإخوان المسلمين**، ونحن نقول هذا حذرٌ لا يَصلُح دائماً أن يؤخذ به، وآخرين غلوا فجعلوا

آذوا الدعوة السلفية أكثر من أولئك، لأن هؤلاء من بطنها، والمرضُ إذا كان في الباطنِ يؤذي أكثر من الخارج، **إذاً الدعوة السلفية واجهتها مصيبة القُطبيّين، ومصيبة المُبدِّعين.**

ثم يبدو -والله أعلم- أن قِوى الشَّر -خاصة بعد الجهاد الأفغاني- قد **رأت أن تدميرَ الدعوة السَّلفية واجب،** ولذلك قال (أبا إيبان) -وزير خارجية إسرائيل- في مِصر في مقابلة مع مجلة (روز اليوسف): (إن أخوف ما نخافه نحن: الدعوة السلفية)، لأن السيطرة على الجماعات الأخرى سَهلٌ ومعروف، الإخوان المسلمون إلى الآن في مصر لهم علاقة مع النصارى، والكلام الذي قاله قديماً جمال الدين أسد أبادي - يسمونه الأفغاني ظُلماً- الدعوة إلى وِحدة الأديان هي نفسها التي ينادي بها الإخوان المسلمون ودعاة الوسطية!! توحيد اليهودية والنصرانية والإسلام، بعدما انتهوا من أهل البدع كلهم.

إذاً هذا الاسم نالَه التَّشويه، فالتَّشويه الأول - وهو سلفيو العقيدة إخوانيو المذهب - فَرْزُه والسيطرة عليه ممكن، ثم جاءت السلفية الثانية وهي (سلفية المُبدِّعة)، فصار فَرزهم صعباً، في كل شيء يوافقوننا إلا أن عندهم غُلواً، ثم جاءتنا جماعات التكفير وتَسَمّوا كلهم بالسَّلفيين، فظهرت في الساحة ما يُسمى بـ: السلفية العلمية، والسلفية الجهادية،

=التنظيم غاية، ومن لم يكن معهم فهو ضدهم! ولا شك أن هذا انحراف، بل إن بعضهم لا يقبل في مَعهَدِه إلا من كان معه، فهذا لا يجوز، وهذا هو التعصّب المنهيون عنه، .. وهناك مسألة لا بُدّ أن نتنبه لها، وهي أن هناك خلافاً يُؤدي إلى ولاء وبراء، وهو خلاف العقائد والمناهج، فهذا لا يسوغ فيه الخلاف، وآخر يحتمل ويسوغ الخلاف فيه، مثل أن يرى أحدهم ويدعو إلى إنشاء جمعيات للعمل الدعوي، وآخر لا يرى، فهذا الأمر والخلاف فيه سعة، ولا يمكن أن تجمع العلماء وطلاب العلم السلفيين عليه في رأي واحد، فلا ينبغي أن يقام عليه ولاء ولا براء]. من لقاء بعنوان (أسئلة وأجوبة ج٢). وكان في سنة ١٩٨٨م تقريباً.

والسلفية الثورية، ما لها أول ولا تالي، فماذا نفعل؟ هل نهجر اسم السَّلفية الصحيحة، نقول لا، بل نستمر على هذا الاسم وننادي به ونسعى إلى تنقِيَتِه، لا ينبغي أن يُترك، فليس لدينا غيره، لكن نُعدِّل فيه فنقول: نحن الطائفة الناجية، نحن الفرقة المنصورة، نحن أتباع السلف، فنحرص على إظهار مذهبنا بكل وضوح، ولكي نظهره لا بُدّ لنا من بَذلِ الجهد في تعلُّم العِلم الشرعي، لأن صاحب العِلم يستطيع أن يُجابه.[1]

ومن سِمات هؤلاء - الخط القُطبي بكل فروعه -:

أنهم **يُركِّزون على قضايا الجهاد**، والجهاد حقٌّ بلا شك، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من مات ولم يَغزُ ولم يحدِّثْ نفسَه بالغزو، مات على شُعبةٍ من نفاق)[2]، لكن هذا الحق أُريدَ به باطل، فأصبحوا يُنادون بجهاد ليس له معنى، كل أربعة أو خمسة أو عشرة أشخاص -كما في العراق والصومال وأفغانستان- تجمعوا خلف جبل وأعلنوا الجهاد!!

---

(١) سائل يسأل: **نريد نصيحة لبعض الإخوة الذين همُّهم الكلام في مسائل الخِلاف بين المشايخ، وإذا نظرتَ لحاله فلا تجده يحضر مجالس العلم**، فقال: [لا شك أن هذا الذي يُفعل خطأ، وهذه ليست السلفية التي نَعرِفها، ولا ينبغي أن نُدندن على بعض المسائل الخلافية، فبعضهم يكون عنده مسألتين خالف فيهم الشيخ ناصر مع الشيخ ابن باز، يدور فيهم ليل نهار! **هذا ضياع وقت، وتلبيسٌ من إبليس** -وقد جمعت من كتاب (تلبيس إبليس) لابن الجوزي ما لَبَّس فيه على كثيرٍ من طلاب العلم، وأفردته في رسالة -، خاصة أن بعضهم إذا عَرَف مسألة جعل نفسه إماماً، وبعضهم لا يطلب من العلم إلا أمور الخلاف؛ لِيَظْهَر فيها، وبعضهم لا يَعرف من الدنيا إلا الأخطاء! **حتى إذا أتيت تسأله عن بعض أمور العِلم الصحيح تجده لا يعرف شيئاً!** وتراه يبحث عن أي كتاب فيه فرقة أو خلاف فيشتريه ويقرأه، فيتناقل بين الطلاب: هل سمِعت ما قاله الشيخ في فلان، سمعت ما قاله في مسألة كذا؟! هذا ليس أسلوباً تربوياً، بل الصحيح أننا نَسير في دربنا، وما واجَهَنا من شوكٍ وأذى أزحناه ونَسير، فإن طريقنا طويلٌ وشاق] من محاضرة: (نصيحة للشباب ج٢) وكان سنة ١٩٩٣م تقريباً.

(٢) أخرجه مسلم (١٩١٠) باختلاف يسير، وأبو داود (٢٥٠٢) واللفظ له.

ونحن مَنْهِيّون أن نُقاتل تحت راية عُميّة، فالجهاد لا بُدّ له من ضوابط: له إمام وله تمايز صف وقدرة، حتى لا يهلك المُسلِم.

كذلك من سِماتهم: أنهم **مَيَّعوا الموقف من أهل البدع**، فصار عندهم أن الإسلام يَسَع، لكن قد يقول قائل: أنهم قد حاربوا الشيعة، لهم كتاب (وجاء دور المجوس)، ومثل كتاب سَلمان العودة[1] في الرد على الغزالي، نَقول صحيح هذا حَدَث، لكن هناك أمور أخرى عملية **تُخالِفُ** ذاك الذي حدث، هم دائماً سياستهم: أنني أعمل أموراً تُدخلني على السلفيين، لا تُخرِجني منهم، **ثم أفعلُ بعد ذلك ما أشاء**.

ومن سماتهم: **توسَّعوا بعد ذلك في إعذار المشايخ**، يعني ما أصبح هناك حق وباطل بالنسبة لهم، كالترابي والقرضاوي وغيرهم، توسعوا في إعذارهم، يعني تقول فلان قال كذلك، يقول لا، الأمر فيه سِعَة، ولعله كذا ولعله كذا، وفي مقابل هذا: **هَمَّشوا دورَ العلماء**، المعاصرين منهم كالشيخ الألباني والشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين رحمهم الله، والشيخ العباد والشيخ الفوزان وغيرهم، همَّشوا دَورهم، وجعلوا دورهم أنهم يُجامِلون الحُكّام، ويتهمونهم ويقولون مثلاً أن الألباني مُرجئي! لماذا هذا التَّهميش؟! حتى لا تتخذ الناسُ العُلَماءَ قُدوة، كما ذكر ذلك عنهم سَفَر

---

(١) **سلمان بن فهد العودة**: ولد سنة ١٩٥٦م في قرية البصر التابعة لمدينة بريدة، تخرج من كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود بالقصيم، وحصل منها على الدكتوراه. ومن مؤلفاته: (حوار هادئ مع الغزالي) طبع سنة ١٤٠٩هـ، وهو الكتاب الذي ذكره الشيخ، و(كيف نختلف)، (مع الأئمة)، (أسئلة الثورة) وقد رد عليه د.فهد الفهيد بكتاب (الجناية على الإسلام) وبتقديم الشيخ د.صالح الفوزان، ومن كتبه (صِفة الغرباء)، وقد رد عليه الشيخ صلاح الدين مقبول (نظرات في كتاب صفة الغرباء) بتقديم الشيخ عبدالله السبت، وطبعه في مكتبته دار الفتح سنة ١٩٩٣م، وبين المؤلف تغير منهج سَلمان الجديد وسَلمان القديم.

الحوالي[١] -قديماً-: دَعُوهم مساكين يكفيهم الفتاوى، وسَمّوهم كذلك: علماء الحيض والنفاس! وسبحان الله الكلام نفسه ذكره أهل البدع في عهد الإمام الحسن البصري عن علماء السنة في ذلك الوقت، فتَشابهت أقوالهم بِتشابُه قلوبهم وأفعالِهم.

وهذا الأمر وهو تهميش دور العلماء؛ كلهم يقومُ به، من ابن لادن إلى سَلمان وسَفر الحوالي، لأنهم لو جَعلوا الأمة ترتبط بعلمائها لضاع هؤلاء، تأتي تقول له: قال ابن باز، يقول لك: هذا مسكين لا يُبصر خَدَعوه!، تقول له الفوزان قال ذلك، فيقول: لا، لكثرة مشاغِله لا يَقرأ!، وهذا الكلام حتى الجماعة المبدِّعة يقولونه، لمّا قَدَّم الشيخ الفوزان كتابنا (حُكُم العَمَل الجماعي) احتاروا فيه -الذين يرون أن العمل الجماعي بدعة- قالوا: الشيخ مشغول ما قرأ الكتاب! هل يوجد عالِم يُزكّي شيئاً لم يقرأه؟! فوقعوا في التهميش كذلك.

هؤلاء يقولون **أن العلماء لا يَفهَمون في السياسة**، والمبدِّعة يقولون: أن **علماءَنا لا يَفهَمون في الجماعات**، وهذا قالوه عن ابن باز وعن ابن عثيمين رحمهما الله وعن غيرهم، لأن الناس لو التفَّت حول العلماء؛ لتركوا كلام

(١) **سفر بن عبدالرحمن الحوالي**: ولد سنة ١٩٥٥م بقرية سنان بالباحة جنوبي السعودية،اشتهر بأحد رموز كتاب الصحوة بالسعودية، وبنقده لفتوى هيئة كبار العلماء التي أجازت الاستعانة بقوات أجنبية في حرب الخليج، تخرَّج من كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وفي أثناء دراسته للماجستير في مكة تعرَّف على الأستاذ محمد قطب -وهو المنظر لفكر أخيه سيد قطب في السعودية- وتأثر به، وكانت رسالته (العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها)، ورسالته للدكتوراه بعنوان: (ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي). سُجن عدة مرات. وكانت محاضرته التي انتقد بها العلماء الذين أجازوا الاستعانة بقوات أجنبية (ففروا إلى الله)، وكتب بعدها في سنة ١٩٩١م كتابا (كشف الغمة عن علماء الأمة). وانتشرت تزكية له من الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وخاصة على كتابه (منهج الأشاعرة في العقيدة)، وكان ذلك في بداياته قبل ظهور مذهبه وتوجّهه.

هؤلاء المبدِّعة أو القُطبية.(١)

ثم الأدهى في جماعة الخط القُطبي، **أنهم إذا اجتمعوا مع شبابهم قالوا كلاماً غير الكلام الذي يقولونه في وسائل الإعلام**، اقرأ ما يكتبه الشيخ سَلمان العودة هذه الأيام وما كتبه من قَبْل، ترى عجباً، فمَن يُسَمِّيهم هو موالين في السابق، قد وقع فيه وضِعفه عشر مرات، ولما تَسأل الخُلَّص من شبابهم يقولون: هو يفعل ذلك حمايةً للشباب!

التمسك باسم السلفية ومحاولة تنقيته

إذاً علينا مع كل هذا الدَّخَل الذي جاء للدعوة السلفية؛ ألا نترك الاسم، أن نتمسَّك به، وأن نُظهره، وأن نجتهد على تنقِيَته، لكن هذا يحتاج منَّا إلى عِلم، كما قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب العِلم قبل

(١) **سائل يقول: [ما الواجب تجاه العلماء السلفيين؟**

أولاً: أن نعتقد أنه مهما بلغ قدر الإنسان من العِلم ليس بمعصوم، وأن الإنسان معرضٌ للخطأ كائناً من كان، ثانياً: أننا مأمورون شرعاً أن نتَّبِعَهم، فهم حَمَلَة الدِّين، (يحمل هذا العلم مِن كلِّ خلَفٍ عدوله)، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)، فالعلماء هم ورثة الأنبياء، وهم صِمَام الأمان، فالواجب احترامهم، ولا نكونُ مثل هؤلاء الناس -جماعة الحاكمية ويسموهم القطبيين- الذين يقولون: العلماء مساكين اتركوهم للفتوى في مسائل الطلاق والحيض!، فهؤلاء جرَّدوا علماءنا، فقالوا لا يفقهون في مسائل السِّياسة ولا في الاقتصاد!، وجاء جماعة المُبدِّعَة -الذين يُبَدِّعون كلَّ شيء- فقالوا: العلماء مساكين ما يفهموا في الجماعات، ولا يفهموا في المناهج، فينبغي ألا نَأخُذَ مِن كلامهم إلا كلام فلان وفلان!!، **أما نحن فنقول: علماؤنا يفهمون في الاقتصاد ويفهمون في السياسة ويفهمون في المذاهب**، ولكن فيما يسمى بـ (فقه الواقع وفقه الجماعات) هل يُشترط في العالِمِ أن يَطَّلِعَ على كل أقاويل سيد قطب وغيره؟!، لكن إذا أراد أن يقول في مسألة؛ يؤتى له ويطلبه فينظر فيه، هل يشترط في العالِمِ أن يعرف كل بنود شركات التأمين، أو كل سياسات الدول في الواقع، لا يُشترط، حتى خبراء الاقتصاد الكبار يؤتى لهم بالمعلومات، فيفتون بها.

فالذي يُريد أن يُجرِّد العلماء مِن علم الواقع والسياسة، ويجرِّدهم من عِلم الجماعات، ويجعلهم -كما قالوا في عهد الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يفقه إلا فِقه السراويل!- يعني فقط في الحيض والنفاس! **فكل قولٍ أو فتنةٍ ترونها الآن؛ تَجِد أنَّ لها أصلاً عند أهل البِدَع**]. من (أسئلة منوعة من رحلة القرين).

القـول والعمـل[١]، واسـتدل بقـول الله عـز وجـل: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩]، فـإذا قـام السـلفيون في العـالم بطلـب العِلـم الصحيـح، وأظهـروا أنفسـهم وشـبابهم كعلـماء قُـدوة للأمـة؛ فهؤلاء يسـقُطون بسرعـة، لأن عندهـم خَـواء.

فلا بُـدّ أن تَظهـر السَّـلفية الحقـة عِلـماً ومنهجـاً ودعـوة، وإذا سُـئلنا نقـول: نحـن سَـلَفِيّون وهـؤلاء أدعِيـاء، فلا بُـدّ أن نسـتمر بإظهـار السـلفية، ونـنـادي بهـا قـولاً وفعـلاً وتطبيقـاً.

(١) بوب بذلك البخاري في صحيحه بعد حديث رقم (٦٧).

١٥

المحـــــاضرة الخامسة عشر:

الموقفُ مِنَ التَّقليدِ والتَّمَذهُب

المحاضرة الخامسة عشر

الموقفُ مِنَ التَّقليدِ والتَّمَذهُب

قضية التقليد والمذهبية مرتبطة بقضيةٍ كبرى **وهي قُدسِيَّة الرِّجال**، ونحن نعتقد أن الأمة إذا وصلت إلى أن تُقدِّس الرِّجال لأنهم رِجال، دون النظر إلى الحق أو الباطل الذي يَحمِلونه، ودون النَّظر إلى الصَّواب في فِكر هؤلاء الرجال، فعند ذلك تكون هذه الأمَّة قد بدأت بداية الانهيار.

منزلة نبينا الكريم

والذي حَرَص عليه ديننا أن يجعل الناس يرتبطون بالله تعالى رباً، ويرتبطون بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشرِّعاً عن الله سبحانه وتعالى، ويعتقدون في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لا يَضُر ولا ينفع ولا يملك شيئاً، وإنما هو ناقلٌ ومبلّغٌ عن الله تعالى، وأنه إذا اجتهد في أمر من الأمور وأصاب: اتُّبِع، وإذا اجتهد في أمر من الأمور وخطَّأه القرآن: رجع الناس واتبعوا الصواب الذي جاء به القرآن، ومعنى هذا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مَن هو، معرَّضٌ للخطأ إذا لم يُصوِّبه القرآن، ولذلك كان الراجح في أقوال أهل العلم **أن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الأصل في كل ما يقوله أنه شَرع، حتى يأتينا شيءٌ من الله تعالى**، كما في أسرى بدر، وكما في قصة ابن أم مكتوم، وغيرها من الأمور التي يعرِفها طلاب العلم.

كذلك الأمر في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، في أبي بكر وفي عمر والخلفاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أنهم كان يُنظر إليهم أنهم بَشر، وأن هؤلاء البشر غير

معصومـين، وأننـا غـير مُلزَمـين باتباعهـم مطلـق الاتبـاع، وإنـما **نتَّبِعُهـم بمقدار مـا يصيبـون بـه مـن الحـق.**

قدسيّة الرجال

وقُدسِـيّة الرِّجـال بـأن يُقـدَّسَ الرجـلُ كرجـل، هـذا لا يُعـرف في الإسـلام، وتعظيـم الرجـال رجالهـا شيء غـير معـروف عـن المسـلمين، وإنـما يُعظَّـم الأبطـال، يُقـدّر أهـل العلـم، بمقـدارٍ معـين، وبطريقـة ونظـام معـين، وإنـما مجرَّد التعظيـم للتعظيـم فهـذا خُلُـقٌ مجـوسي، جـاء إلى المسـلمين ودَخَـل إليهـم.(١)

وجوب اتباع الرسول

وذكرنـا فيـما سـبق عـن الاتبـاع، فعندمـا تتلفـظ بالشـهادة: (أشـهد أن لا إلـه إلا الله) تُردِفهـا بقـول: (وأشـهد أن محمـداً رسـول الله)، ومعنـى ذلـك: أننـي لا أسـتطيع أن أعبـدَ الله عـز وجـل إلا عـلى طريقـة محمـد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وسَـبَق أن قلنـا بأننـا لا نسـتطيع أن نتوصَّـل إلى معرفـة مُـراد الله عـز وجـل بعُقولنـا أو بقلوبنـا، وهـذا ردٌّ عـلى العقلانيـين وعـلى الباطنيـين(٢)، **وإنـما نتوصَّل**

---

(١) ما سبق من محاضرة بعنوان: (التَّمَذهُب).

(٢) [و(**عقـلاني العـصر الحديـث**) كالمـودودي وسـيد قطـب وغيرهـم كلهـم يسـيرون بهـذا الاتجـاه؛ مـا وافـق العقـل أخـذوه، ومـا خالـف العقـل رمـوه، لمـاذا؟ قالـوا لأن العقـل هـو منـاط التكليـف، وهـذه أغلوطـة كـبرى، لأن العقـل لا يسـتطيع أن يتصـور في خـارج دائـرة المحسوسـات.

الآخـرون قالـوا: لا، نحـب أن نفهـم القـرآن كـما يوحيـه لنـا الأوليـاء، وهـؤلاء الأوليـاء يفهمـون القرآن بـما يتفـق وإطلاعهـم عـلى اللـوح المحفـوظ، فمـن نظـر في اللـوح المحفـوظ اسـتطاع أن يعـرف كل شيء، ولذلـك هـم يقـررون بـأن مـن مـارس الجهـد اسـتطاع أن يعلـم خبايـا النفـس، يعنـي يعـرف وسـاوس نفسـه، هـذا الاتجـاه يعـبر عنـه بــ (**الاتجـاه الباطنـي**)، في الدنيـا لا يوجـد غـير هذيـن المنهجـين، **كل المذاهـب الجديـدة والقديمـة والكافـرة والمسـلمة تـدور؛ إمـا أنهـا تعتمـد عـلى الكشـف والإلهـام، وإمـا أنهـا تعتمـد عـلى العقـل**، بقـي منهـج وهـو منهـج تَصديـق (**أتبـاع الرسـل**) هـؤلاء قالـوا: لا نسـتطيع أن نتعـرف عـلى مـراد الله عـز وجـل ولا عـلى مـاذا يحـب ولا مـاذا يبغـض سـبحانه وتعـالى ولا كيـف هـو جـل وعـلا، وإنـما لعـدم قدرتنـا مهـما فكّرنـا أن نصـل إلى شيء.

الله عـز وجـل أرسـل لنـا الرسـل فجـاءت الرسـل وسـائط بيننـا وبـين الله سـبحانه وتعـالى تدُلّنـا عليـه جـل وعـلا، فمـن أجـاب هـؤلاء الرسـل عليهـم السـلام كان مـن أتباعهـم، هـذا المنهج يقـوم عـلى أسـاس أن نَفهَـم كتـاب الله عـز وجـل بالطريقـة التـي فَهِمهـا الرسـول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والقـرآن نَـزَل

لمعرفة مُراد الله عز وجل، وما يحب ربنا سبحانه وما يبغضه عن طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولذلك أرسل سبحانه وتعالى الرسل على تقادم الزمان، حتى جاءت هذه الأمة، فأكرمها الله سبحانه وتعالى بأن جعل تبليغ الدِّين مِن وظيفتها، فقد كانت في الأمم السابقة كما أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن بني إسرائيل (أنهم كانت تسوسهم الأنبياء)[1].

فإذا انحرف الإنسان عن الإسلام فبمقدار انحرافه عن اتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعاقَب، وقليلاً قليلاً حتى يَخرُج، فلا يتم إسلام أحد إلا أن يتَّبِع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الله عز وجل أخبر بأنه لا يُمكن للعبد أن يؤمن إلا أن يتَّبع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قال جل وعلا ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧]، وقال جل شأنه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

وفسّر المفسرون (الفِتنة) هنا بمعنى الشِّرك[2]، لأن الذي يبتعد عن هَدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون مُتَّبعاً لهديٍ آخر أو لِهوى.

وجَمَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا كله بكلمةٍ جامعة مانعة عندما قال: (مَن

=بلغة العرب، ففهم القرآن كما يفهمه أيُّ عربيٍّ يقرأ الآيات، ثم بعد ذلك إذا عجزنا عن فهم آية أو اختلفت لغات العرب فيها؛ ننظر إلى فهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لماذا؟ لأنهم الذين عاشروا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم أعلم بمُراده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذه الطريقة هي طريقة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في فهم الدين] من محاضرة للشيخ بعنوان: (الدعوة السلفية).

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

(٢) ينظر في تفسير ابن كثير: (الفتنة) يصيبهم في قلوبهم الكفر أو النفاق أو البدعة.

أحدَث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رَد)[١]، فأصبحت القضية محصورة باتباع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لا شك أن هذا الاتباع واجبٌ في العقيدة بالدرجة الأولى، وواجبٌ في الفقه، وواجبٌ في السُّلوك، وواجبٌ في كل شيء، فنتَّبع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كلِّ شأنٍ مِن شؤون حياتنا.

هذه القضية ولله الحمد واضحة عند أهل السُّنة سلف هذه الأمة، ومن تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدين، فما الذي طرأ عليها؟ وكيف نشأ التقليد؟!

واقع الصحابة مع العلم

الناس كما تعلمون كانوا على الجادة في كل شيء عقيدةً وفقهاً وسُلوكاً، لأن التلقي كان من مصدر واحد وهو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢]، والصحابة يأخذون هذا العلم ويبلِّغونه، فأتى بعد الصحابة جيل التابعين، الذي

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) كل الجماعات يَدعون بانتمائها وإمامها، والمذاهب والطُّرق والأفكار كلٌّ بمنشئه وإمامه، فمذهب القدرية والمرجئة، وجماعة التبليغ والإخوان، وكل الدنيا لها فلان أنشأها، أما السلفيون يُدعَون إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رضوان الله عليهم ليس لهم من هؤلاء أحد، فما سمعنا قط بأن مُنشئ السلفية هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أو الإمام الشافعي أو الإمام أحمد أو ابن تيمية، وإنما يقال: فلان مجدد، فلان من أئمتها، ولكن لو نسأل: من أسس القدرية؟ يقال فلان، ومن أسَّسَ الأشاعرة؟ لقيل فلان، من أسس المعتزلة؟ لقيل فلان، ومَن أسَّسَ الإخوان؟ يقال فلان، ومن أسس التبليغ؟ يقال فلان، ومن أسس حزب التحرير؟ يقال فلان، وكلما ازددت في التعمق سترى أن هذا المذهب له ميراث.

إذاً لو قلنا للحنابله والأحناف تعالوا كونوا شوافع، ما يقبلون، ولو قلنا كونوا معتزلة، فلن يقبلوا أيضا، لماذا؟ لأنه يقول كيف أترك ما أنا عليه وأتبعك، لكن لو قلت لكل الناس: تعالوا لأن نكون من أتباع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ فسوف يوافقونك، لأنك لن تستطيع غير ذلك وعندك حديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ) إذاً لهذا السبب نقول بأن الجامع هو مذهب السلف. (ش)

أصبح يأخذ علمه منهم، ولأن الصَّحابة تفرّقوا في الأمصار مع الفتوح، حتى وصلوا إلى بلاد ما يُسمى الآن بـ(الجمهوريات الإسلامية)، ووصلوا إلى بلاد بُخارى[1] وأذربيجان وما حولها وما بعدها، ووصلوا إلى إفريقيا، ولذلك قبر (قثم بن العباس) لا يزال موجوداً في أطراف سمرقند إلى يومنا هذا، فصار الناس يأخذون العِلم من الصحابة، وما كان يُعرف لا مذهب عُمري ولا مذهب بكري ولا مذهب عثماني ولا مذهب علوي -كما ذكرنا سابقاً-، والناس يَسمعون من الصحابة العقيدة، ويَسمعون منهم القرآن، ويَسمعون منهم الفقه، ويَسمعون منهم حياة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أهله، كل هذا يتلقّونه من الذين عاشروا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومع التَّقادم والتَّوسُّع صار في الصحابة التَّخَصُّص، أُناس جلسوا للتدريس وصاروا أئمةً أعلاماً، فصار ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُفتي مِن جهة، وصار ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مِن جهة، وصار ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من جهة، وصارت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تُفتي من جهة، وهكذا، فجاء بعد ذلك التابعون والأمة، وليس عندهم تعصُّب، ولا إلغاء للدليل، وإنما كانت الفتوى تقوم على أساس الدليل، فكان الرجل العامي يأتي فيسأل: ما تحفظ من حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أيكم أدرك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أيكم أدرك الصحابة رضوان الله عليهم؟ فيأخذ الجواب ويذهب، **فكان هذا واقع الأمة**.

(١) بُخارى: هي مدينة تقع جنوب غرب أوزباكستان حالياً. وسَمَرقَنْد: هي مدينة تقع جنوب شرق أوزباكستان حالياً.

هل الأمة في ذلك الوقت كلهم عُلماء؟

الجواب: لا، فيهم العالِم، وفيهم الوسط، وفيهم الجاهل، وفيهم العامّيّ المطلق، وهذا حال الأَمة اليوم كما حالها في ذلك الوقت، وفيهم العربي وفيهم الأعجمي، مِن تُرْكٍ وبَربَر وغيرهم، دَخَلوا في هذا الإسلام ولا يعرفون منه شيئاً.

وموقف الدعوة السلفية من التقليد والاجتهاد هي أن نلغي الفترة الحرجة -مرحلة التعصب المذهبي والتقليد الأعمى-، ونُرجِع الناس إلى ذلك العصر.

أصناف الناس تجاه العلم

فالناس كانوا ثلاثة أصناف لا رابع لهم: إما رجل قد أوتي علماً وفهماً وحِفظاً كالبخاري ومسلم وسفيان والأوزاعي واللَّيْث، واقرأ إن شئت (سير أعلام النبلاء) ترى في ذلك العجب، فهؤلاء **أئمة مجتهدون**، ليس بعقولهم وإنما بما يحفظون من أحاديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومن أقوال الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وينظرون إلى المسائل الطارئة في عصرهم، فيُنزلون عليها الأحكام التي حفظوها من الآيات والأحاديث وأقوال وفهم الصحابة، وكانت الأمة سليمة مائة في المائة، لا فيها عصبية ولا أحقاد في العقيدة وفي الفقه، قبل أن يولد (الأشعري) وقبل أن يولد (المعتزلي) وقبل أن يولد (الماتريدي)، نعم هناك فِرَق ظهرت في عهد الصحابة كالخوارج والمرجئة والقدرية والرافضة، لكنها منبوذة.

الصنف الثاني: طبقة طلاب العلم، الذين لم يصلوا إلى طبقة العلماء، وإنما يسمع ويحفظ ويفهم، فهو في طَور أن يكون إماماً مجتهداً، وهذا يسمونه **متّبعاً**، هذا يقرأ كلام أبي حنيفة وكلام سفيان وكلام أحمد ثم

يُقارن، مثاله ما يُعرض على طالبِ علم -مثلنا- مسألة فيقرأ كلام الشوكاني من جهة، ويقرأ كلام صاحب المُغني من جهة، ويقرأ كلام الألباني من جهة، ويقرأ كلام ابن باز من جهة، ثم ينظر في الأقوال، فيستقر عنده شيء ويُرجِّحه، وقد يكون هذا المُتَّبِعُ شيخاً، لكنه لم يصل إلى مرحلة الاجتهاد، التي وصلها الأئمة الأعلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

ثم يأتي الصنف الثالث: وهي الطبقة الأكثر شيوعاً في الأمة وهم **المُقلِّدة**، والمُقلد ليس بشرط أن يكون جاهلاً مطلقاً، وإنما قد يكون عالماً في دنياه، كأن يكون طبيباً أو مزارعاً أو طياراً أو متخرجاً من الدراسة الجامعية، وهكذا، لكن ما أتيحت له فرصة أن يَطّلِع على الأدلة والعلوم الشرعية، فماذا يفعل؟ في عهد الصحابة كان يسأل الصحابي، وفي عهد التابعين يدخل المسجد ويرى الأئمة جالسين فيسألهم، الآن النتيجة نفسها، العامي الذي لا مذهب له لا يَعرف أن يُرجّح، **ولذلك أكبر خطأ شائع أن العامي يكون له مذهب يلتزم به**، لأنه لا بُدّ أن يَعرف أن هذا المذهب أقرب إلى الصواب من ذلك المذهب، فإذا استطاع أن يُرجِّح؛ لم يكن عامياً، ولذلك حتى المذهبيين في فترة «التَّعصب المذهبي» يقولون: أن العامي لا مَذهب له.

الأئمة الأربعة والتقليد

هذه المراتب الثلاث التي كانت، والتي يريد السلفيون إحياءَها من جديد في الأمة، وهو الوضع الطبيعي الفِطري، الذي لا تَكلّف فيه، وعند قيام دولة بني العباس ودخول الأمم في الإسلام بدأ العلم يَقِل، فأصبح مجموعة من الناس يبرزون في العلم، وبالتالي مع مرور الزمن صار العلماء وطلاب العلم يشتغلون بفِقه أربعة أئمة، وكلهم سلفيون عقيدةً ومنهجاً وسلوكاً وفقهاً، وهم أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد،

لكن أصبح لهم تلامذة كُثر، ولذلك يقولون: (الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه ضيّعوه)[١]، أي لم يكن له تلاميذ ينقلون ويُشهِرون علمه، فصار لهؤلاء الأئمة الأربعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم أتباعٌ جَمعوا ودرسوا مسائلهم، وهم أنفسهم -لو رَجعتَ إليهم- يقولون: (لا تُقلِّدني، ولا تُقلِّد مالكا، ولا الشافعي، ولكن خُذ من حيث أَخَذوا) وكلمة أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ مشهورة: (لا يحل لامرئ أن يقول بقولي؛ ما لَمْ يَعرف دَليلي)[٢].

فالأئمة ما أمروا أحداً بالتقليد، ولا قال أحمد إنني أفضَلُ من الشافعي -حاشا لله-، جاء بعد ذلك عصور من عصور الظلام حصل فيها تعصب، فقالوا: لا يجوز أن يُعبدَ الله سبحانه وتعالى إلا على هذه المذاهب الأربعة!!

فنشأ ما يُسمى بـ «التَّعصُّب المذهبي»، ولذلك قالوا: إذا خالف الحديث قول الإمام نأخذ بقول الإمام ونترك الحديث، فإن الإمام ما قال هذا القول إلا وعنده فيه تَصَوّر!![٣] وقد أنصف ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ

(١) ينظر (سير أعلام النبلاء) للذهبي، ترجمة الليث بن سعد (٨/ ١٥٦).

(٢) وقد بَسَط هذه المسألة الشيخ الألباني في مقدمة كتابه (صفة صلاة النبي) بسطاً جميلًا جداً، يجب على كل ناشئ أن يقرأه؛ حتى يعرف حقيقة الأئمة رضوان الله عليهم أجمعين. (ش)

أجاب الشيخ على سؤالٍ مفاده: **أليس الكثير من العلماء السابقين تفقهوا على المذاهب**؟ فقال: [الأئمة السابقون يَنشَؤون في مدارس، فالحنابلة مثلاً إذا أتى الطالب وهو صغير؛ يحفظ متون الحنابلة إن كان أبوه حنبلياً، أو متون الشافعية إن كان أبوه شافعياً، وهذا ديدن الغالبية العظمى مِن علمائنا، فقد نشؤوا على مذهبٍ معين، ولكن ما إن شَبّوا وميّزوا حتى تركوا التقليد، وأصبحوا يتجهون للاتباع، فابن تيمية دَرَس مذهب الحنابلة ليس بإرادته، ولكنه عندما ميّز ترك المذهبية، وكذلك النووي في المجموع يخالف كثيراً من مذهب الشافعية، وكذلك الحافظ ابن حجر في الفتح، يخالف كثيراً من مذهب الشافعية، والشافعية لهم أصول فقه غير الحنابلة، وهذا زيادة في الفُرقة] من محاضرة بعنوان: (التَّمذهُب).

(٣) يردُّ الشيخ على شُبهة: [قالوا: نحن لا نستطيع أن نَفهم كلام النبي ولا كلام الصحابة! فتعجب الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (أدب الطلب) وقال: كيف يفهم الإنسان منكم قول الفقيه، وهو لم يُؤتَ جوامع الكلم، ولم يؤتَ الفصاحة، ولم يؤتَ الإعجاز! ويَعجز عن فهم قول النبي

الأئمة رضوان الله عليهم أجمعين بأن ذكر في كتابه (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) الأسباب التي يُعتذر فيها للأئمة.[(١)]

لأنه قد يأتي ناشئ ويرى فتوىٰ لإمام كبير تُخالف حديثاً في البخاري، فيظن هذا المسكين أنه قد أوتي علماً أكثر من مالك أو أكثر من الشافعي!! فذكر ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأسباب البيئية والعقلية التي جعلت هؤلاء الأعلام يخالفون حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي هذه المرحلة من التعصب المذهبي أفتى البعضُ بوجوب التقليد، وإغلاق باب الاجتهاد، ولذلك كان في الشام إلى عهد قريب يُصلي كل مذهب الصلاة على حِدَة، وفي الحرم المكي كان أيضاً كذلك، ولا شك أن تلك كانت ظاهرة مَرَضيَّة.

إذاً ما موقفنا من هذه المذاهب؟

الرجوع إلى عصر الصحابة

أولاً: نُنادي بعودة الناس إلى الواقع العملي الذي كان قبل نشوء هذه المشكلة، والجميع متفق معنا بأن أفضل عصر هو عصر الصحابة والتابعين، وهذا لا يختلف عليه أحد، والجميع متفق أن في ذلك العصر ليس كل الناس كانوا مجتهدين، إذاً ندعو الناس إلى العيش مثل تلك العصور.

ولا يخفى أن أعداء هذه الدعوة يصوّرون للناس -كما كَتَب البوطي- أن دُعاة السلفية يريدون هَدْم وحَرْق هذه الكتب جميعاً، وأنهم لا يأخذون

=صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الذي أوتيَ جوامع الكلم والإعجاز!! ما يمكن هذا. إذاً **من استطاع أن يفهم قول الفقهاء فهو لقول رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قادر أن يفهم**، ولكن حيل بيننا وبين هذه النصوص بأقوال الرجال] من محاضرة بعنوان: (لماذا فهمُ السلف).

(١) وقد نقلنا هذه الأسباب العشرة مُلخَّصة في «المحاضرة الثانية».

بـشيءٍ مِـن فِقـه الأئمـة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ! وهـذا لا شـك أنـه كـذِبٌ وافـترِاءٌ وظلـم[١]، بـل بالعكـس، **نحـن نـرى أن أكثـرَ طائفـةٍ تُـدرِّس أقـوال الأئمـة مُجتمعين هـم الطائفـة الناجيـة أتْبـاع السَّـلف، لأننـا والحمـد لله نُحِـبُّ الأئمـة الأربعـة**، ليـس عندنـا تعصُّـب للشـافعي ضـد أحمـد، ولا لأحمـد ضـد الشـافعي، بـل نحـب أحمـد والشـافعي ومالـك وأبـا حنيفـة رحِـم الله الجميـع.[٢]

فنأخُـذُ منهـم مـا وافَـقَ الحَـقّ ونـترك مـا خالَفـه، ولذلـك نقـول للنـاس دائـما المثـال الشـائع: لمـاذا تُصلي الـتراويـح عشريـن ركعة؟ يقـول: صلّاهـا عُمر

(١) وكتـب الشـيخ قديـمًا مقالـة جميلـة بعنـوان: (نظـرة السـلفيين للأئمـة الأربعـة)، نُـشرت سـنة ١٩٩٥م، انظـر المجمـوع (٤/ ٢٧٨).

(٢) يـردُّ الشـيخ عـلى هـذه الشـبهة في موضـع آخـر فيقـول: [قالـوا أن الدعـوة السـلفية هـي **دعـوة تهـدم الفقـه السـابق**، وتجعـل مِـن كل سـلفي جديـد إمامـاً، هـذه تُـدوّن في الكتـب، ذكرهـا البوطـي وغـيره، يدندنـون حولهـا، وجوابنـا بإيجـاز عـلى هـذه الدعـوة: هـل رأيتـم أحـداً قـط مـن أتباعهـم -أي السـلفيين- **قـال قـولاً ولم ينسُـبْهُ إلى إمـام**، أبـداً، أنـا أقـول هـذه كتـب ابـن تيميـة، هـذه كتـب محمـد بـن عبدالوهـاب، هـذه كتـب الألبـاني، هـذه كتـب ابـن بـاز، ايتونـا بكتـاب منهـا ذكـر قـولاً -مـا أقـول هاجـم فهـذا بعيـد، وإنـما أقـول- أعطونـا كتابـاً واحـداً ذكـر فيـه مسـائل غير أقـوال السـابقين واسـتدل بهـا، **لـن تجـد حتـى مسـألة واحـدة، لكـن اقلـب الأمـر عليهـم**؛ قـل لهـم: ألسـتم في كتبكـم المعتمـدة تهاجِمـون الأئمـة، الشـافعية يهاجمـون الحنابلـة، والحنابلـة يهاجمـون الشـافعية، هـذا موجـود في كتبهـم، بـل إنهـم مثـلاً في بعـض المعاهـد الدينيـة في مـصر كان يُحـرم تدريـس مذهـب الحنابلـة في الأزهـر، ومـا أدخـل مذهـب الحنابلـة إلا مـن سـنوات فقـط! إذاً أقـول الدعـوة السـلفية دعـوة اتبـاع لا تقليـد، **بـل إن الأئمـة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أمـروا بـألا نتبـع أقوالهـم إذا خالفـت قـول الله سـبحانه وتعـالى أو قـول رسـوله** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ] مـن محـاضرة بعنـوان: (الدعـوة السـلفية).

ويقـول في موضـع آخـر: [أننـا لا نحـارب العلـماء السـابقين، ولا الأئمـة، ولا المذاهـب، وإنـما نُعـارض شـيئاً عارضـه السـابقون كلهـم، وحـذّر منـه السـابقون كلهـم، وهـو التقليد بـأن يرتبـط النـاس بالرجال يُطيعونهـم هكـذا في كل شيء، في العقائـد وفي الفقـه وفي السـلوك، وأن الـذي ننبـه النـاس إليـه هـو الـذي نَبّـه مـن قبلنـا مـن أهـل العلـم إليـه النـاس، وهـو الـذي **لا نريـد لهـذه الأمـة أن تتحـول إلى قطيـع يُديـره مشـايخ**، إن قالـوا يمـين سـاروا وإن قالـوا شـمال سـاروا، دون بيّنـة ودون برهـان، وإنـما نريـد للأمـة أن تكـون كالأمـة السـابقة في قرونهـا الذهبيـة، أنهـا أمـة تقـرأ وتفهـم وتفكـر، وتعبـد الله سـبحانه وتعـالى عـلى بصـيرة] مـن محـاضرة بعنـوان: (التّمذهـب).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لماذا لا تُصليها ثمانِ ركعاتٍ كما صلّاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! يقول: السُّنة، نقول: أي السُّنة أولى بالإتباع، سُنة عمر أو سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فيقول: لا، سُنة النبي، فنقول: إذاً طَبِّق.

نقول: أنتَ تُحبّ الإمام ونحن نُحبه، لكن حبنا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى، ولذلك كانت مقولة الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا رأيت قولي يُخالف الحديث، فخذوا بالحديث، واضربوا بقولي عَرْضَ الحائط)، نحن لا نضربه بعَرض الحائط، بل نقول: غَفر الله له، ورَحِمَهُ اللَّهُ، ونفع به، ونستغفر له. (١)

والحمد لله رب العالمين قد قلّ كثيراً جداً ما كان سائداً في ذلك العصر -عصر التَّعصّب المذهبي-، إلا في بعض البلدان كالشام ومصر وفي القارة الهندية فموجود إلى الآن، لكن في الجزيرة وكثير من البلاد العربية، وخاصة بين شباب الإسلام -الحمد لله- هذه القضية بدأت تتَّضِح، وأصبحَ البحثُ عن الدليل، والحرص عليه هو الذي يُحرِّك الناس.

---

(١) [الأئمة الأربعة أو عامة علماء الأئمة الكبار **فإنهم في أصول العقيدة منهجهم واحد** -من فضل الله عز وجل-، فليس هناك من فَرْقٍ مطلقاً بين عقيدة الشافعي وبين عقيدة أحمد، وبين عقيدة مالك وعقيدة أبي حنيفة، أو عقيدة البخاري أو عقيدة مسلم أو عقيدة الترمذي، أو عقيدة أبي بكر أو عمر أو عثمان رضوان الله عليهم، كلهم عقائدهم واحده، إذاً هذا البحث العقلي ما يُسمى بـ (الوجوب العقلي)، يوجب علينا أن نلتزم بعقيدة الأولين ومنهجهم وفقههم.

وأما الأدلة من الكتاب فهي كثيرة: منها قول الله تعالى: (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا) [البقرة:١٣٧]، ومنها قوله سبحانه وتعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) [النساء:١١٥]، وكذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ذكر عن الفرقة الناجية قال: (ما أنا عليه وأصحابي)، وقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه لما سَأل هؤلاء الذين ابتدعوا الحصى قال: (أأنتم أهدى أم أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! قالوا: أصحاب محمد، قال: إذاً اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتُم، عليكم بالأمر العتيق)، هذه تبين أنه من اللازم ومن الواجب على كل عاقل: ألا يعتقد بعقيدةٍ أو يعمل بعملٍ خلاف عمل القرون الثلاثة المفضلة، وإلا سَيَهلك]. من محاضرة للشيخ بعنوان: (الانتماء للسلفية).

إذاً موقف السلفيين من التقليد أنهم يرونه كظاهرة وواقع موجود في حياة الناس قديماً وحديثاً، **لكنهم لا يرون لأحدٍ أن يأخذ بقول كائناً من كان إذا بانَ له حديثُ النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويعتقدون أنه ليس كل إنسان عنده القدرة على أن يكون مجتهداً وأن يكون مُميِّزاً بين الأدلة، وإنما الناس مراحل كلٌّ بحسبه يجتهد، وكلٌّ بحسبه يعطي، فيريدون نقل المسلمين إلى العيش مثل العصور السابقة -عصر الصحابة والتابعين- بكل ما فيها[١]، من أئمةٍ مجتهدين، من دعاةٍ متّبِعين، من عوام مقلِّدين، هذا هو الواقع القديم، **وأن تحزّب الناس إلى حِزبيات ضَيّقة مَذهبيّة؛ هو الذي يُفرِّق المسلمين**، وأن الدعوة الشاملة التي تَخدم الجميع وتُعلن ولاءَها وحُبها للأئمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين هي الدعوة الحق، الواجبة الاتباع.

التوسط في مسألة فقه المذاهب

فنحن إذاً بين إفراط من يُلغي الفِقه على المذاهب مطلقاً، وبين من يُلزم الناس بمذهب معين وواجب السير عليه، فالإسلام أوسع من هذا، ونحن ندعو الناس إلى العودة إلى سُنَّة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[٢]

---

(١) لا شك أن المقصود في الدعوة إلى الرجوع إلى عصور الصحابة تكون في **أمور الدين والشرع**، لا في الأمور الدنيوية كما قد يظن البعض، **فالتكنولوجيا والعلوم التطبيقية وغيرها لا شك أنها سهلت حياة الناس** ويسرت أمورهم. (ش)

(٢) وقد بسط هذه المسألة أوسعَ بَسط محمد عيد عبّاسي في كتابه (بدعة التعصب المذهبي) وهو من الكتب المعاصِرة التي توسَّعت، وأجوَدُ منه كلام المَعصومي في كتابه (هل المسلم مُلزَم باتباع مذهبٍ معيّن؟) وهو في الحقيقة من أجمَعِ وأجمل ما أُلّفَ في هذا الشأن. (ش)

ويقول الشيخ في موضع آخر: [وأُحَذِّرُ من ظاهرة خطيرة تنتشر: وهي العودة إلى المذهبية، وتدريس متون المذاهب، فهذا خلاف الحق، فلا ندرس «متن أبي شجاع» بعدما قطعنا شوطاً في ترك التقليد، بل ندرس كتاب «بلوغ المرام»، فلا نلجأ للتقليد المذهبي بحجة: أن المتون المذهبية تُنظّم العلم! مَن الذي نظّم العلم للشافعي ولأحمد وللترمذي وللأولين؟! هذه المتون **خالية مِنَ الدليل**، خالية مِن: قال الله، قال الرسول، خالية من كلام أهل العلم مطلقاً]. من (لقاء شباب القرين).

والمتأمل لمجموع كلام الشيخ عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ يظهر له **أنه لا يُعارض دراسة الفقه من المذاهب الأربعة**

مناقشاتٌ تطبيقية: (١)

من أين أخذ الأئمة مذهبهم؟

سُؤال: ما مذهب الشافعي نفسه؟ وما مذهب الإمام أحمد؟ وما مذهب أبي حنيفة؟ وما مذهب مالك؟ على أي فِقه دَرَسوا هم نَفْسهم،

=والاستفادة منها واعتبار كلام العلماء فيها؛ وإنما يُحذِّر من الإعراض عن الدليل ونصوص الوحيين.

وفي هذا المعنى أنقل لكم ما سَطَّره الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب -رحمهم الله- في كتابه النافع «تيسير العَزيز الحَميد» وهو أفضل مَن شَرح كتاب التوحيد، بعد أن ذَكَر بعض الآيات والأحاديث وكلام الإمام أحمد في ذم التقليد في «باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله » قال: (وفي كلام أحمد إشارة إلى أن **التقليد قبل بُلوغ الحجة لا يُذم، إنما المذموم المنكر الحرام: الإقامة على ذلك بعد بلوغ الحجة**، نعم وينكَر: **الإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **والإقبال على تعلُّم الكتب المصنفة في الفقه، استغناءً بها عن الكتاب والسُّنة**، بل إن قَرَؤوا شيئاً مِن كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فإنما يَقرؤون تبركاً لا تَعلُّماً وتَفَقُّهاً**، أو لِكون بعض الموقِفين وَقَفَ على مَن قَرأ «البُخاري» مثلاً، فيقرؤونه لتحصيلِ الوظيفة لا لتحصيل الشريعة، فهؤلاء مِن أحقِّ الناس بدخولهم في قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا. مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا. خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه:١٢٤].

فإن قلتَ: **فماذا يجوز للإنسان مِن قراءة هذه الكتب المصنفة في المذاهب؟** قيل: يجوز من ذلك قراءتها **على سبيل الاستعانة بها على فَهم الكتاب والسُّنة، وتَصوير المسائل**، فتكون من نوع الكتب الآلية، أما أن تكون هي المقَدَّمة على كتاب الله وسُنّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحاكِمة بين الناس، فيما اختلفوا فيه، المدعو إلى التحاكم إليها دون التحاكم إلى الله والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلا ريب أن ذلك منافٍ للإيمان، مُضادٍ له، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

فإذا كان التحاكم عند المشاجرة إليها دون الله ورسوله، ثم إذا قضى الله ورسوله أمراً؛ وَجَدتَ الحرج في نفسِكَ، وإن قَضى أهلُ الكتاب بأمرٍ لم تَجِد حرجاً، ثم إذا قضى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمرٍ لم تُسَلِّم له، وإذا قضوا بأمر سَلَّمتَ له!، فقد أقسم الله تعالى سبحانه وهو أصدقُ القائلين بأجَلِّ مُقسم به، وهو نفسه تبارك وتعالى؛ أنكَ لستَ بمؤمن، والحالة هذه وبعد ذلك فقد قال الله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ. وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾. على أن الأئمة الأربعة وغيرهم مِن أهل العلم قد نَهوا عن تقليدِهم مع ظهور السُّنَّة).ا.هـ وانظر كذلك رسالة شيخه العلامة حَمد آل معمّر الماتعة: (حكم التقليد)، وهو قاضي الدّرعية المتوفى سنة ١٢٢٥هـ وقد تتلمذ عند الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله.

(١) ما تحت هذا العنوان إلى نهاية المبحث من محاضرة: (التّمذهب)، وأظن أن الشيخ ألقاها بمنتصف الثمانينيات.

لا بُدّ أن نَطرح هذه الأسئلة على الذي يريدنا أن نُقَلِّد، فأقول: لو أنا أريد أكون شافعياً، لكن أريد أن أعرف ما هو مذهب الشافعي؟ فالشافعي لم يكن في عصر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل جاء مُتأخراً، فأنا أريد أن أكون على المذهب الذي دَرَسَ عليه الشافعي، فإن قال: أنه كان مذهب شيخه، قلنا له كيف تَرَك مذهب شيخه؟ وأنتم تقولون أن السابقين أعلم، فإذاً شيخ الشافعي أعْلَمُ من الشافعي، فأنا أكون على مذهب شيخ الشافعي، فيقول: لا ينبغي أن تكون على مذهب شيخ الشافعي، فنقول له: أنت تَمْنَع عليّ أمراً وقع فيه الإمام الشافعي! فينقَطِع.

الآن أئمة المساجد -إلا من رحم الله- يُحرِّمون الاجتهاد ويوجبون التقليد، ولكن يأتيهم العامي، والعامي حَنَفي أو حنبلي، والإمام شافعي، فيُفتيه الإمام على مذهبه، ولا يسأل العامي أنت ما مذهبك؟! وهم بذلك خالفوا أصلهم؛ وهو أن المُقلِّد لا يجوز له الإفتاء، بإجماع من كَتَب من المذاهب.

تطبيق يناقض لمبدأهم

نُريد للأمةِ أن تعود للعهد السابق دون التَّعقيد هذا، وأنا أذكر -وقلتُه مِراراً- أني ناقشتُ[١] كثيراً من الإخوة أئمة المساجد الذين يَحلِقون لِحاهُم، قلت لهم: أنتم تَرَوْن أنه لا اجتهاد، فعلى أي أساس تَحلِقون لِحاكُم؟! الأئمة الأربعة يوجِبون إعفاءها، وأنتم تحلقون! فهل أنتم خالفتم المذهب؟ أم اجتهدتم؟! فهم في التطبيق العملي لأنفسهم يَقعون فيما نريدُ أن نوصِلَ الناس إليه، لكنهم ترَبّوا على شيء، يريدون

(١) وكان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يناقش البعض عبر الصحف في مسألة عدم الأخذ بالدليل، ومن ذلك مناقشة (حكم الشعر المستعار) ورده على جواب أحد المشايخ، في مقالةٍ نشرها سنة ١٩٧٨م، انظر المجموع (٤/ ٧١).

أن يبقى العِلم عندهم، وتأتي الناس تسألهم، لا يريدون للناس أن تتعلم وأن تتفقَّه.

لَم نَقرأ أنَّ هناك عالِماً معتَبرَاً أجاز التقليد، هؤلاء الأئمة الأربعة أقاويلهم معروفة، أشهرها مقولة الإمام أحمد (لا تُقلِّدني، ولا تُقلِّد مالكاً ..)، وقصة الإمام مالك مع الخليفة العباسي مشهورة، بأنه منعه أن يُلزِم الناس في العمل بالمُوَطَّأ[1]، لماذا؟ لأنهم ما كانوا يَرضون لأحدٍ أن يُقَلِّدَهم أبداً، فنقول إذا كان الأئمة أنفسهم مَنعوا الناس من التقليد، وكبار أتْباعهم مَنعوا الناس من التقليد، وأهل العِلم جيلاً بعد جيل مَنعوا الناس من التقليد، فلماذا يُصَرُّ الآن إلى أن يعود الناس إلى التقليد مرة أخرى؟!

لماذا نَمنَع التَّقليد على مذهبٍ معيّن؟ لأسباب:

منها: أننا مأمورون باتباع الرسول ﷺ، فإذا تعارض فعل للنبي ﷺ مع قول إمام، لزم العمل بالسُّنة، وإلا جعلنا الإمام هو الرسول! لأن الله عز وجل يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥] وقال ﷺ: (كُلُّ أُمَّتي يَدْخُلونَ الجَنَّةَ إلَّا مَن أَبى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: مَن أَطَاعَنِي

(١) أخرج أبو نعيم بسنده في حلية الأولياء (٦/ ٣٣٢): (عن عبدالله بن عبدالحكم قال: سمعت مالك بن أنس يقول: شاورَني هارون الرشيد في ثلاث، في أن يُعلِّق الموطأ في الكعبة، ويَحمل الناس على ما فيه..، فقلت: يا أمير المؤمنين، أمّا تعليق الموطأ في الكعبة، فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع، وتفرقوا في الآفاق، وكل عند نفسه مصيب..).ا.هـ

دَخَـلَ الجَنَّـةَ، وَمَـن عَصَـانِي فقَدْ أَبَـى). [١]

نماذج من تقليد المذاهب

تـأتي **للمالكيـة** تَجِدهـم يَسْـدُلون أيديهـم بالصـلاة، تسـألهم لمـاذا؟ قالـوا: هـذا قـال بـه الإمـام مالـك، أيـن قـال هـذا الـكلام الإمـام مالـك، هـذه كتبـه لا يوجـد لـه قـول؟ بـل يوجـد لـه قـولٌ عكسـه، وهـو موجـود في الموطـأ؛ في وضـع اليـد اليمنـى عـلى اليـسرى! [٢]

وإن قلنـا -جَـدَلاً- أن الإمـام قـال تُسـدَلُ اليـد، والرسـول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قـال توضـع اليمنـى عـلى اليـسرى، وجـاءك الخـبران، وأنـتَ لا تملـك مَعـارف سـابقة، فأيهـما تقـدم؟

هـم يقولـون: أن الإمـام قـد بلغـه هـذا الحديـث، لكـن رأى لـه صـوارفَ تصرفـه عـن ظاهـر معنـاه، نقـول: سـبحان الله، إذاً كل شيءٍ بالإمـكان نَصرفـه، فغـداً يـأتي أحدهـم ويقـول هـذا الـكلام في الخَمْـر وفي الربـا وفي أشـياء كثـيرة!

وخُـذ كذلـك **الأحنـاف** مثـلاً يُحرِّمـون رفـع اليديـن في الصـلاة في غـير تكبـيرة الإحـرام، والأحاديـث في هـذا متواتـرة، لا لـشيءٍ إلا لأنَّ الإمـام لم يَقُـل بـه! وقِـس عـلى ذلـك أشـياءَ كثـيرة موجـودة.

ويقولـون نحـن مأمـورون باتبـاع الإمـام، لأنـه أعلـم بالسـنة، نقـول: طيـب، هـذا الإمـام خالفـه أئِمـة آخـرون، فهـل هـم جُهَـلاء؟! إذاً لهذا السـبب نحـن نقـول بأننـا مأمـورون باتبـاع النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وعندمـا تُقـبَرُ **في قبرك لـن تُسـأل عـلى أي مذهـب أنـت**، وإنـما سَتُسـأل عـن السُّـنة، عـن اتبـاع النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، مَـن ربـك ومَـن نبيـك؟ لـن تُسـأل مـا هـو مذهبـك!

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

(٢) ينظر الموطأ (كتاب قصر الصلاة في السفر: باب وضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة).

الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (ليس كل ما قال رجل قولاً، وإن كان له فضل، يُتَّبع عليه)[١] ونفسه صاحب المقولة: (كل يُؤخذ من قوله ..).

التزام المذاهب تُفرق المسلمين

ومنها: أن التزام مذهب معين **هو سبب فُرقة المسلمين**، وأنا شاهدته بنفسي في الجامع الأموي بالشام أن الناس تُصلي خَلفَ أربعة أئمة، لا يدخل الشخص حتى يأتي إمامه، وكذلك كان هنا (معهد الإمامة والخطابة) التي تُقيمه وزارة الأوقاف سابقاً، فكان في الفقه الشافعي إذا دخل أستاذ الشافعية خرج الحنابلة! وكأننا أديان! إذاً مَن الذي يفرق الأمة؟ الذي يجعلها تتجه اتجاهاً معيناً وتدرس فقهاً معيناً ولا تدرس فقهاً آخرَ، أم الذي يحترم كل الأئمة ويترضى عنهم جميعاً ويأخذ ما صحَّ من أقوالهم وما وافق السنة؟ مَن الذي يُفرِّق الأمَّة: الذي لا يُجَوِّز للشافعية أن تتزوج الحنفي، أم الذي يرى أن المسلمين كلهم أمة واحدة؟ إلى الآن بعض الناس من الشافعية لا يُصلِّي خلف من لا يَقنُت الفجر! والحنابلة منهم لا يصلي خلف من يقنت الفجر! هذا موجود.

إذاً واقع الناس كلما تَعمَّق فيهم التَّعصُّبُ المذهبي؛ تعمَّقت فيهم بذور الفتنة، وأنا أقول اقرءوا ما حَصَل في الحرمين، عندما يتولى الأمر أحد المذاهب انظر ماذا يفعل في غيره، وكذلك اقرأوا ما حصل في الشام، دمشق بالذات، آلاف قُتِلوا في مجزرة الحنابلة، والتي أقامها الشافعية والأحناف ضدهم.[٢]

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٨٩٧)، والاعتصام للشاطبي (٣/ ٣٣٧).
(٢) ينظر (تاريخ الإسلام) للذهبي، ما جرى في جامع دمشق (سَنَة ٥٩٥)، وكذلك (طبقات الشافعية) لتاج الدين السبكي (٤/ ٢٣٥)، في الفتنة بين الشيخ إبي اسحاق الشيرازي الشافعي والحنابلة ببغداد (سنة ٤٦٩).

اختلاف قول إمام المذهب عن مشهور المذهب ومختصراته!

ومنها: أن **التَّقنين الفِقهي أبعدَ الناسَ كثيراً عن أصلِ المذاهب**، يعني الموجود في مختصرات الفقه ليس الذي قاله الإمام أحمد، ولا قاله الإمام الشافعي، ولا الإمام مالك، وإنما هذا خلاصةٌ من كتب، لأنه أصبح بعد ذلك كل من انتسب للمدرسة الشافعية وكتب فيها كان شافعياً، ولذلك عندما تقرأ (للغزالي) في إحياءه تجد عجائب! وهذا كله يُنسب لفقه الشافعية، وما كتبه (الباجوري) على مختصرِ أبي شُجاع -من أشهر مختصرات فقه الشافعية، وأظنه يُدرس في معظم المدارس بمصر- فيه من القضايا التي يُستحىٰ أن يُتكلم بها، وهذا كله موجود، وينسب للشافعية، والإمام الشافعي منه بريء، إذاً ما هو موجود في الكتب لا يُمثِّل حقيقةً رأيَ الإمام أبداً، وحتى تتأكدوا من هذه المسألة؛ ارجعوا لكتاب (الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري) وخذوا ما فيه، وارجعوا لمغني ابن قدامة أو مجموع النووي، وانظروا بعد ذلك إلى ما في الكتاب مما هو منسوبٌ للمذاهب الأربعة لا أصل له.

خذوا الآن أشهر مسألة عند **الشافعية**، وهي أن لَمس المرأة يُبطل الوضوء، فقد قال الإمام الشافعي -كما نقل عنه البيهقي في كتابه معرفة السنن والآثار-: (إذا صح حديث مَعبَد بن نُباته فَبِه أقول) وحديث مَعبد: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل بعض أزواجه وذهب ليصلي ولم يتوضأ، إذاً هو لم يَقُل أن اللَّمس ينقض، وإنما هذا الحديث لم يَصحّ عنده، فأبقى الآية على عمومها، ولكنه قيد فقال: (إذا صح حديث مَعبد بن نُباته فَبِه أقول، فإنه ليس لأحدٍ قولٌ مع فعلِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1] هذا فقه الأئمة، أما أن يُنسب إليهم بما هو موجود في المختصرات يمثل

(١) معرفة السنن والآثار (١/ ٣٧٣).

المدرسة ولا يمثل رأي الإمام، إلا في القليل، وهذه القضية يعرفها كل من دَرَس وقارن بين ما كان عليه فِقه الأئمة، وما عليه المَدرَسة الآن.

التَّمذهب يحجب عن تدبُّر النّص الشرعي

إذاً اتِّباع ما يُسمى بـ (الفِقه المذهَبي) إنما هو **يَحجُب الناسَ عن حقيقة التَّدبُّر النَّصي**، ولذلك إذا أخذَ الإنسانُ الفِقهَ هكذا مُجرَّداً دون دليل، من آية أو حديث، فإنه لا يربي عنده الوازع الديني، أما الذي يقرأ الحُكْمَ من الآية أو من الحديث، يتغيَّر تماماً نظره لهذا الحكم، مِن الذي يقرأه من قول إنسان عادي مثله، فإرجاع الناس إلى المختصرات وإلى أقوال الرجال يحجب الناس عن المصدر الصحيح الذي هو الكتاب والسنة، ويوجِد بين الناس فجوة، هذه الفجوة تتعمق يوماً بعد يوم، إلى أن يصل الناس كما قال قائلهم الصَّاوي -وهو أشهر مَن علّق على تفسير الجلالين وهو من كبار فقهاء المالكية-، يقول: (إن الاعتماد على ظَواهر الكتاب والسُّنة من أكبر الكفر)!![1] وهذا ليس رجلاً عادياً أو عامّيّاً، وإنما هو يُعلِّق على أشهرِ كتابِ تفسيرٍ مُختصر، وهو إمامٌ معتمدٌ في الفقه وله كتبٌ كثيرة! ما الذي جرَّ هذا إلى هذه المقولة؟ جرَّه إليها

(١) ورَدَّ عليه الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي -شيخُ قَطَر- في كتاب أسماه (تنزيه السنة والقرآن عن أن يكونا من أصول الضلال والكفران). (ش)

يقول الشيخ أحمد الصاوي في حاشيته على الجلالين في سورة الكهف: (ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضالٌّ مُضل، وربما أدّاه ذلك للكفر؛ لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر).ا.هـ نقلاً من (أضواء البيان، سورة محمد)، ويقول الشيخ الشنقيطي معلقاً: (واغتر بقوله في ذلك خَلقٌ لا يُحصى من المتسمين باسم طلبة العلم؛ لكونهم لا يُميِّزون بين حق وباطل.. ثم قال: أما قوله بأنه لا يجوز الخروج عن المذاهب الأربعة، ولو كانت أقوالهم مخالفة للكتاب والسنة، وأقوال الصحابة، **فهو قول باطل بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، **وإجماع الأئمة الأربعة أنفسهم**، كما سنرى إيضاحه إن شاء الله بما لا مزيد عليه في المسائل الآتية بعد هذه المسألة، فالذي ينصره هو الضَّال المضل).ا.هـ

أنه ظن أن الإنسان لا يستطيع أن يَفهم الكتاب والسُّنة مباشرة.

إذاً كلما ابتعدنا عن أخذ العلم والحُجّة والحُكم من الكتاب والسنة؛ اتجه الإنسان إلى أن يبقى عنده **فِقه أجوَف**، ويتولد عنده بعد ذلك الحِيَل، فيبدأ يحتال كيف يتخلص من هذا الحكم الشرعي، وأنا أنصحكم للرجوع إلى كتاب الحِيَل من الكتاب الكبير للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (إعلام الموقعين).

سبب آخر يجعلنا ندعو الناس ألا يلتزموا المذاهب، ما الذي يجعلني أن أكون شافعياً ولا أكون حنبلياً؟ وأنت اسأل إمام المسجد عن مذهبه، فإن قال أنا شافعيٌّ -مثلاً-، فقل له: لماذا لم تكن حنبلياً؟ فلديه جوابان لا ثالث لهما: إما أن يقول هكذا وجدتُ من سَبَق، وولدتُ في بيئةٍ شافعية فتشفّعتُ، وإذا وِلدَ في بيئةٍ حَنفية كالهند فهو حنفي، وإن ولد في الجزيرة فهو حنبلي، هكذا يقول، أو يقول -الجواب الثاني-: أنا قرأت وميّزت وتعلّمتُ أن مذهب الشافعي أفضل فاتبعته، ولا أظن هناك جواب ثالث.

فإذا قال الأولى: فنقول له إذاً أصبحت أنت كالعجائز، فكيف تُفتي وتتكلم وأنت اتَّبعت مذهباً وجدتَ الناس يتَّبعونه! وقد يكون صواباً وقد يكون خطأً، وهذا معناه أنك إنسان لا تصلح لأن تكونَ طالب علم، لأنك لا بُدّ أن تُميّز.

وإن قال الثانية: أنني ميّزتُ، فنقول له أولاً يلزم أن تكون أنت أعلم من الشافعي وأحمد حتى تَحكم بأن مذهب هذا أفضل من مذهب هذا، أو على الأقل تنازلاً أنك أنت تقرر بأن مذهبك الشافعي أفضل من مذهب الإمام أحمد، فتطعن في الإمام أحمد! ولذلك عندهم لا يجوز الانتقال من مذهب إلى مذهب، ولو كانوا يزعمون -كذباً- أن المذاهب عندهم كلها متساوية لأجازوا الانتقال، فإذاً نقوله له: أنك تُجَرِّح الأئمة،

لا نَحـنُ، وعندهـا لا يَجِـدُ الجـواب. فنحـن لا نُحـرِم الخَـيْرَ الـذي عنـد أحمـد ولا الـذي عنـد الشـافعي ولا الـذي عنـد مالـك ولا الـذي عنـد أبي حنيفـة.

وكذلـك نقـول لـه: هـل قارنـت بـين مذهـب أبي بكـر ومذهـب الشـافعي؟ فَلَعَـلَّ أبـا بكـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعلـم، وأقـرب إلى الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فـإذا كان المـبرر لـك أن الشـافعي أعلـم بالنصـوص، وأن الإمـام أحمـد أعلـم بالسُّـنة، فـلا شـك أن الأئمـة أبا بكـر وعمـر وعثـمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أعلـم مـن هـؤلاء.

فلـماذا لا تنظـر في مذهـب الصحابـة - وهـو موجـود بالكتـب أيضـاً -[١] وتقارنـه مـع مذهـب الشـافعي، فتكـون بَكريـاً أو عُمَريـاً، مـا الـذي جعلـك فقـط تقـارن بـين هـؤلاء الأربعـة؟! لمـاذا لم تقـارن بمذهـب الليـث، والشـافعي نفسـه يقـول: (الليـث أفقـه مـن مالـك)، وهـذه شـهادة مـن الشـافعي.

والحقيقـة أنـه لا فَكَّـر ولا مَيّـز ولا دَرَسَ، وإنـما وُجِـدَ في بيئـةٍ شـافعية فهـو شـافعي، أو وُجِـدَ في بيئـة حنبليـة فهـو حنبـلي، وهـذا هـو واقعهـم. **إذاً هـو اختـار المذهـب لا عـن عِلـم ولا عـن بصـيرة، وإنـما عـن تقليـدٍ وبيئـةٍ وقـع فيهـا**، وهـذا هـو الحـال.

الأخذ بفِقه الأئمة دون تقليد

فلِهـذه الأسـباب مُجتَمِعـة أو مُتَفرّقـة، ندعـو النـاس لنبـذِ التَّقليـد، وأن يأخـذوا الديـن مـن منابِعـه، ومـن الأئمـة كلهـم، **ويُسـتفاد مـن فِقههـم، بـل يُحفـظ كلامهـم**، ويُنظـر إلى مـا قالـوا، فإنهـم مـن القـرون الثلاثـة، **ولكـن لا يجـوز أن نُقلِّـدَ أحـداً بعينـه**، ونـرى أن هـذا مـن البـدع، ومعنـى البدعـة شيء أحـدِث في الديـن، وأكـبر إحـداث أن تُلـزِمَ النـاس أن يكونـوا عـلى مذهـب من المذاهـب الأربعـة، وإذا جئـت تقـول أنـا عـلى مذهـب البُخـاري، لا يَرضـون!

(١) الصحابـة والتابعـون دُوِّنَ فِقْههـم، خاصـة في **مصنف عبدالـرزاق**، و**مصنـف ابـن أبي شـيبة**، عـلاوة عـلى مـا في البخـاري ومسـلم وكتـب السُّـنن. (ش)

أو تقول أنا على مذهب أبي بكر الصّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لا يَرضون!

يُثير المُقلِّدون شُبُهات:

يقولون: إذا تَركْنا تقليدَ الأئمة الأربعة وفتحنا الباب، يأخذ الإنسان ما يشاء؛ فتنشأ فوضى علمية، فيصبح كل جاهل يُفتي في الدِّين، ويُصبح الناس يتكلمون دون بيّنة.

الفوضى العلمية مَن أحدثها؟

نقول: مع وجود الحَجْرِ على الاجتهاد والإلزام بالتَّقليد، فالفوضى العلمية واقِعة، فمَن الذي أفتى بأن الفوائد البنكية حلال؟ هل الذين قالوا لا تُقلدون، أم كبار مشايخ الأزهر! أفتى فيها الشيخ شلتوت[1] وغيره، ومَن الذي قالِ الفرق بين السنة والرافضة لا شيء فيه؟ وأن مذهبهم مذهب حق دُرِّس في الأزهر![2] ومَن أباح الموسيقى، والرقص في المدارس، ولبس القصير للنساء، ومَن أباح التَّماثيل، ومن أجاز المُحلِّل للزوجة البائن، مع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمّى المُحَلِّل تيساً مستعاراً ولَعَنه، ولكن نَجِد في كتب الأحناف مَن يُجيز ذلك! أو التحايل في

---

(١) **محمود شَلتوت**: ولد سنة ١٨٩٣م في منية بني منصور بالبحيرة، وتخرج من الأزهر ١٩١٨م، ودرّس فيه، وكان خطيباً جهير الصوت، عمل بالمحاماة أربع سنوات، ثم أعيد للأزهر فعُيّن وكيلاً لكلية الشريعة ثم عضواً لكبار العلماء، وعضواً بمجمع اللغة العربية، ثم شيخا للأزهر ١٩٥٨م إلى وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ١٩٦٣م. من مؤلفاته: (القرآن والمرأة)، (هذا هو الإسلام)، (الإسلام عقيدة وشريعة)، (الإسلام والوجود الدولي). [الأعلام للزركلي ٧/ ١٧٣].

(٢) استطاع الروافض في ظل دعوتهم الزائفة للتقريب -وقد كانوا أنشأوا داراً لذلك في مصر، ثم غيروا اسمها بعد ذلك إلى جمعية أهل البيت، ولا زالت موجودة- أن يخدعوا الشيخ محمود شلتوت، وقد استغفله تقي القمي ومحمد المدني بالقول بأن المذهب الجعفري لا يفترق عن مذهب أهل السنة، وطلبوا منه أن يصدر فتوى في شأن جواز التعبد بالمذهب الجعفري، فاستجاب لهم وأصدر فتواه سنة ١٣٦٨هـ. ينظر كتاب د.ناصر القفاري (مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ٢/ ١٨٢).

التخلُّص مِن الرّبا، فكلٌّ مَن أفتوا بهذه الفتاوى مُلتزمون بأحد المذاهب الأربعة، **فالتزامهم بهذه المذاهب ما مَنعهم من التَّخبيص**، إذاً حَجْرُكم على الناس ما مَنع مَن يريد أن يُفسد في أن يُفسد، بِغَضِّ النَّظر هل هو قولٌ شاذٌّ في المذهب أو هو قولٌ مُعتمد؟ ليست قضيتنا، فالمحذور الذي تخافون منه وَقَع، بل وقع منهم لا من غيرهم، وفي المقابل ما رأينا مُلتزماً بفقه الكتاب والسنة أفتى هذه الفتاوى الباطلة إلى الآن، إذاً فهذه دعوى كاذبة.

يقولون: **أننا إذا قلنا للناس بترك المذاهب، كأننا نرمي بكل فِقه القرون الأخرى كلها، ويَضربون مثلاً كالذي يبني شيئاً جديداً فيهدم بنيان السابق.**

نحن استفدنا من فِقه الجميع

نقول: وما قال عاقلٌ بهذا أبداً، وما نعرفه عن أهل العلم، أنهم لم يرموا فِقه الأئمة الأربعة ولا غيرهم، وإنما التزموا ما يُوافق السنة من فقه هؤلاء الناس، فالمحذور الذي يخافون منه ما وقع أبداً، بل هم وقعوا فيه، فالشافعية رموا فقه ثلاثة مذاهب، والحنابلة أخذوا بقولهم ورموا بفقه الباقين، فهم رموا لا نحن، فالأحناف لا يدرسون إلا مذهبهم ولا يقرؤون إلا فيه ولا يكتبون إلا فيه، ويعبرون عن غيرهم بالخصوم، وهذا الإمام الزيلعي من أشهر كبار الحنفية ومحدثيهم لا يسمي الشافعية إلا بالخصوم، ولا يستفيد الحنابلة مما عند الأحناف ولا الأحناف من غيرهم.

ويقولون: أنك كيف تُريد أن تُجمّع الناس على الكتاب والسنة، والصحابة اختلفوا؟ [١]

(١) وما قاله محمد الغزالي المعاصر في مقالٍ سيءٍ له في مجلة الأمة القطرية: لا سُنّة بغير فقه، وخَبّصَ

تضييق الخلاف بالقرون الأولى

نقول: الاختلاف والتفرّق شرٌّ لا خير فيه، ونقول أنتم ما ضَيَّقتم هذا الاختلاف، بل وسعتم الشّق، فبدلاً أن يكون القول محصوراً بين صحابيين، جعلتموه في أربعة رِجال!

والخلاف موجود حتى في المذهب الواحد؛ هناك قولان للإمام الشافعي، وقولان للإمام أحمد! وإنما نقول: إذا جاءت الأحاديث، فتُتخذ قواعد الجمع بين النصوص، وقد يُصيب الرجل وقد يُخطئ.

فنقول إذاً: نحن ندعو إلى الوحدة، وإلى أن تكون الأمة أمةً واحدة، عقيدة واحدة، وشريعة واحدة، وهذا لا يتأتى إلا **أن تجتمع الأمة على عقيدة غيرِ مُختَلفٍ عليها، وهي عقيدةُ الصحابة، وعلى فقهٍ غيرِ مُختَلَفٍ فيه، وهو فقه الأئمة السابقين من القرونِ الثلاثة**، فيُجمع هذا ويُرَدّ ما يخالف النُّصوص، ويكون هذا هو دستور الأمة.

فإذا فعلنا هذا، طبَّقنا مبدأ التحاكم إلى الله وإلى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا لم نُطبّقه، خالفنا المبدأ الذي نُنادي به، فعندما تقول للناس تعالوا نجتمع على سُنّة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ماذا سيقولون؟ هل سيقول أنا حنفي؟! لا يستطيع، ولذلك العامّة ستَنفِر منهم.

ولذلك يُحدِّث أحد الأخوة من الأحناف وقد اقتنع بعقيدةِ وفقهِ أهل السُّنة، فلما رجع إلى بلاده ما كان يستطيع أن يرفع يديه في الصلاة، خوفاً من قومِه، ثم بعد ذلك قال للمشايخ: نتحاكم ونعقد مجلساً عاماً يحضره الناس، وأنتم قولوا ما عندكم وأنا أقول ما عندي، والناس تَحكُم، وظنَّ المشايخ أن الناس ستتبعهم ويتركون هذا، فأتى -وكان طالب

=تخبيصاً خُلاصته: أنك لا يمكن أن تأخذ بالسُّنة إلا عبر أقوال الفقهاء، فجعل أقوال العلماء هي الأساس التي يُتَحاكم إليه، لا السُّنة في الأساس التي يتحاكم إليها. (ش)

علم- ومعه كتاب صحيح البخاري -والأحناف تُحب البخاري كثيراً- فقال لمشايخهم: ما تقولون في صحيح البخاري؟ قالوا كله صحيح عن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فقال: يعني كل ما فيه فَعَله الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، قالوا: نعم، ففتح البخاري وقرأ الحديث: (أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان إذا كبرَّ رَفَع يديه)، فقال ما تقولون في هذا الحديث؟ قالوا صحيح، فما يستطيعون أن يقولوا غير هذا، فعندها قام العَوام فقالوا: سبحان الله كيف تمنعونا إذاً، فَضَجَّ العامَّة، واتبعوا هذا الشخص، وتركوا المشايخ. لأن هذه هي الفطرة.

لأن النَّاس لا يُمكن أن يَجتَمِعوا إلا تَحتَ رايةِ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، بكل المذاهب، إذاً فالذي نَدعو إليه هو السَّهل، ولكن النفوس تأبى ذلك، **لأنه سَتَضيع قُدسِية كثيرٍ منهم.**

الكثير يتباكون على الشافعيّة، وما هم من الشافعي في شيء، وعلى الحَنَفيّة، وما هم من أبي حنيفة في شيء، هذا الذي يخافون منه: أن تضيع قدسية المشايخ، وأن تضيع الهالَة عند المشايخ، وأن يضيع هذا الإطار الزُّخرفي الكبير.(١)

---

(١) **سائل يسأل: هل هناك فرق بين تقليد أئمة الحديث في التصحيح والتضعيف، وبين تقليد أئمة المذاهب؟ لأن هناك بعض المُتَعصِّبين يقول: كيف ينكر أهل الحديث علينا التقليد، وهم يَقَعون فيه!**

الجواب: التقليد معناه أخذ القول من غير دليل، وهو من وضع القلادة في العنق، فيجرك إلى حيث شاء. في الأحكام الشرعية - الحلال والحرام- لا بُدّ أن يكون له دليل، بمعنى أنه لا بُدّ أن يستدل له بآية أو حديث أو اجتهاد، ونرى أن العامي الجاهل يُقلّد، لأنه لا يستطيع معرفة الأدلة، لكن لا يلتزم

=تقليد شيخٍ معين، فإذا جاءه دليل ترك قول الشيخ.

أما بالنسبة للحديث فهذه أخبار، نأخذها تصديقاً لا تقليداً، يعني الإمام البخاري والإمام الرازي والإمام أحمد يقولون فلانٌ هذا ثقة، إذاً هذا خبر، فنحن نُصَدِّقهم في نقل الخبر، فالحديث ليس فيه اجتهاد، وإنما فيه رواية أخبار، فلا يأتي أحدٌ ويقول: وقع مطر في المنطقة الفلانية، مَن حَدَّثك؟ يقول فلان جاء بالأمس، فأنت هنا لو كنتَ أعلمَ من في الأرض ليس لديك إلا أن تُكذِّب الخبر أو تُصدِّقه، فإن كان الراوي صادقاً صدّقت، وإن كان الراوي كاذباً كذّبت، فليس لديك خيار بأن تجتهد وتستنبط وتفهم، **فَفرقٌ بين قَبول الحُكم الفِقهي** لأنه يقوم على الإجتهاد، ولا بُدّ له من دليل، **وبين قَبول الرواية من المُحدِّث** لأنه تصديق عن خبر، فرق بين هذا وهذا.

س: لكن شيخ: **التصحيح والتضعيف فيه اجتهاد، لأن بعضَ أهل العلم يُصحِّح هذا الحديث، وبعضهم يُضعِّفه.**

الجواب: الاجتهاد هنا بناءً على ما وَصَل إليه من حالِ الراوي، ليس اجتهاداً في المسألة الفقهية، وإنما اجتهاد يأتي في المتابعات، وأصلها يدور على التَّصْديق.

الأمر الثاني: **أننا نُعتبر في الحديث عَوام**، يعني لو يأتيني أحدهم بسبع أو ثمانِ طرق ويقول لي: أحكم بينها؟ أُعتبر عامياً ما أستطيع أن أميّز بين هذه الطُّرق، وأستنبط الحُكم بصِحّة الحديث أو ضَعفه، فمَثَلُنا مَثَل العاميّ، الذي تأتيه الأحاديث ويقال له: استخرج الحكم الفقهي منها!

فتَقبَلُ ما حَكَم به العالِمِ الفلاني أن هذا الحديث صحيح، تقليداً له، لأنك عامي، لكن إذا اعتبرت نفسَك طالب علم، وتستطيع أن تَستخرج الحُكم الشرعي؛ فتَدخُل في التصديق لا في التقليد.

١٦ المحـــاضرة السادسة عشر:

الموقفُ مِنَ البِدعَة وأهلِها

المحاضرة السادسة عشر

الموقفُ مِنَ البِدعَة وأهلِها

عـرَّف الإمـام الشـاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ البدعـة تعريفـاً جامعـاً مانعـاً فقـال: (هـي طريقـة في الديـن مُختَرَعَـة، تُضاهـي الشريعـة، يُقصـد مـن السـلوك عليهـا التّقـرب إلى الله تعـالى)[(١)].

المبتدِع مُشرِّع

نحـن نعلـم بـأن أسـاسَ تحريـم البدعـة هـو أن **المبتـدِع مُـشرِّعٌ نِيابـةً عـن الله سـبحانه وتعـالى**، وهـو أمـرٌ أعظـم مـن التشريعـات التـي يُشرِّعهـا المعـاصرون في مسـألة الحـدود أو مسـألة الأنظمـة الاقتصاديـة أو غيرهـا، لأن هـذا يُـشرِّع في العقيـدة ويُشرع في العبـادات، فـلا شـك إذاً أن فعلـه أكثـر جُرمـاً مـن فعـل غـيره، ولذلـك النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقـول: (إن كذبـاً عـليّ ليـس ككـذب عـلى أحـد، فمـن كـذب عـليّ مُتعمـداً فليتبـوأ مقعـده مـن النـار)[(٢)]، لأن الكـذب عـلى النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تشريـع، ولذلـك جـاء في الأثـر أنـه: (مـن استحسـن فقـد شرَّع)[(٣)]، وهـذا سـبب منابـذة السـلفيين للبدعـة ومهاجمتهـا، والشّـدَّة عـلى أصحابهـا.

---

(١) ينظر كتابه الاعتصام (١/ ٤٧) ط. دار ابن الجوزي. ومن الكتب النافعة في هذا الباب: (موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع) للشيخ د.ابراهيم الرحيلي، و(معيار البدعة) و(قواعد معرفة البدع) كلاهما للشيخ د.محمد الجيزاني، و(علم أصول البدع) للشيخ علي حسن عبدالحميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٤).

(٣) مقولة مشهورة للإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ينظر (البحر المحيط) لبدر الدين الزركشي(٨/ ٩٥).

لماذا نرفُض الابتداع؟

لا يعلم مُراد الله إلا هو

غايـة التَّعبـد كلـه يـدور في تحقيـق أمريـن: إمـا وصـفٌ لله سـبحانه وتعـالى وهـي العقيـدة، وإمـا في وصـف مُـراد الله سـبحانه وتعـالى، مـاذا يُريـد ومـاذا لا يُريـد، ومـاذا يُحب ومـاذا يُبغـض، فـالله سـبحانه وتعـالى هـو أسـاس البحـث، ولأن البـشر مـا رأوا الله عـز وجـل، فـلا يُمكـن لأحـدٍ أن يتوصَّـل إلى وصـفِ لله سـبحانه وتعـالى، فمـن زعـم ذلـك كان مفتريـاً متأليـاً عـلى الله عـز وجـل، إلا أن يُخِـبر هـو عـن نفسـه سـبحانه وتعـالى، وكذلـك مـراد الله عـز وجـل لا يمكـن التوصـل إليـه – وهـي العبـادة فهـي تـدور في أن العابـد يسـعى إلى تحقيـق مُـراد الله سـبحانه وتعـالى، وهـو غايـة العبـادة، فهـل يسـتطيع أحـد مـن البـشر أن يزعـم أنـه يسـتطيع أن يعـرف – بعقلـه أو باجتهـاده، هـذا يحبـه الله وهـذا يبغضـه؟! لـو زعـم ذلـك لـكان إلهـاً.

لا يُدرك مُراد الله بالعقل أو بالهوى أو بالعاطفة

إذاً مـراد الله عـز وجـل لا يمكـن أن يـدرك بالعقـل أبـداً، ولا بالهـوى، ولا بالعاطفـة، ولا بأقـوال النـاس، فمـن الـذي يـدرك ذلـك؟ هـو الله نفسـه سـبحانه وتعـالى، فيخـبر رسـله بذلـك لتبليـغ النـاس.

ولذلـك مثالـه: لـو عُـين مسـؤولٌ عليـك في العمـل، وفي اليـوم الأول والثـاني والثالـث وبعـد أسـبوع وهـو سـاكت لا يتكلـم ولا يوقـع أوراقـاً! كل الموظفـين يتسـاءلون فيـما بينهـم مـا هـي سياسـة الرئيـس؟ هـل يريـد السـير عـلى سياسـة الأول، هـل لـه تصـوّر جديـد، فـإذاً متـى سـيعرفون؟ يعرفـون إذا تكلـم وأخـبر أن هـذا دربـه.

هـذا المثـال في إنسـان وبـشر نعايشـه، فكيـف بـالله جـل وعـلا، الـذي اسـتوى عـلى عرشـه سـبحانه وتعـالى، **فـلا يمكـن لأحـد أن يتوصـل إلى معرفـة وصفـه ومـراده إلا إذا أخـبر هـو عـن نفسـه.**

سبب الحرب على البدعة

هذا المنطلق هو الذي جعل أتباع السلف يُحرِّمون كل إحداث في الدين؛ اتباعاً لنبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالمسألة ليست فقط أن البدعة حكمها حرام بدون ألا نعرف لماذا! وأن البدعة فساد في الدين عظيم بدون ألا نعرف السبب! **فالسبب لأنها إحداث عبادة من مُحدِث قد جعل من نفسه متألياً على الله سبحانه وتعالى،** ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[1] مردود عليه لأنه قد وضع نفسه في غير موضعها.

وللأسف الشديد كثير جداً من الناس ومن الإسلاميين ومن الدعاة نظروا إلى جانب واحد من التشريع ألا وهو ما يسمونه بـ (الحاكِميّة)، وهي قضية الحُدود، فهَوّلوا فيها، وأهملوا الجانب الأكبر من التَّشريع وهو أن يُشرِّع العباد - بعقولهم - صفاتاً لله عز وجل، وعباداتٍ وأذكاراً، ويُصنِّفوا الناس إلى الجنة والنار! هذه أكبر.

لأنهم ما عَقَلوا فلسَفة وفَحوى القضيّة، نظروا إلى ذلك الظاهر -وهي الحاكِمية -، وأهمَلوا هذا - تشريع العبادة -، وإلا فمَن نَظَر إلى الأمور بعين البصيرة **أدرك أن هذه جريمة كُبرى** لا تعدِلها - بعد الشرك- جريمة في الأرض أبداً.

ولذلك جاء الحديث: (إن الله احتجر التوبة على كل صاحب بدعة، حتى يَدَع بدعته)[2] قال سلفنا رضوان الله عليهم: (أن صاحب المعصية

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٥٠)، والطبراني في الأوسط (٤٢٠٢)، والسنة لابن أبي عاصم (٣٧)، بعدةِ ألفاظ: حَجَرَ أو حَجَزَ أو حَجَبَ التوبة.

يتوب، وصاحب البدعة لا يتوب)، لأن الذي يشرب الخمر مثلاً يعرف أنه مُخطئ، والناس تعرف أنه مُخطئ، فعنده عذاب نفسي، أما صاحب البدعة فالناس في المسجد يُهللون له ويُكبّرون، وهو يظن أنه عابدٌ لله، قد أوتي شيئاً ما عَرَفه الأولون! وهو في الحقيقة سائر في درب غَواية، ولا تُعذبه نفسه أبداً، ولا يتضايق ولا يتذمر، لأن المسكين يظُن أنه عابدٌ متقربٌ لله عز وجل!!

ما الذي جَعَل السلف يَقِفون هذا الموقف؟ لسببين:

سبب تحذير السلف

الأول: الأحاديث والآيات التي تُخبر أن الإحداث في الدين جريمة، وكما سبق أن ذكرنا أنهم حراس الدين، يذبّون عن هذا الدين كل شيء ليس فيه، يذبّون التأويل والتحريف والانتحال، فالنصوص التي جاءت هي التي حرّكتهم.

الأمر الثاني: أنهم نظروا بعين البصيرة إلى تاريخ الأمة، فوجدوا أن الذي هَدمها هو الابتداع، فالأمة لم تُهزم في قتال، وإنما هُزمت في المحاريب والمساجد -يجب أن يُفقه هذا-، هُزموا عن طريق عُبّاد ليل مُصَلّين صائمين مُسبِّحين كابن سبأ وغيره، وكما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن الخوارج: (تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم، وصيامكم إلى صيامهم ..)[1].

=[ويبدو لي معنى الحديث أن الله احتجب التوبة عنه في البدعة التي هو واقعٌ فيها، لا يتوب منها حتى يَدَعها، أما بقية أعماله ما أظن أنها تدخل في ذلك، إلا إذا كانت بدعته شِركية محبِطة، فبالتالي الشرك - كما تعلم - يُحبِط بقية العمل كله]. (ش)

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٨).

قال الشيخ في موضع آخر: [لما قاتل علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الخوارج، هل كان الوضع في الدولة الإسلامية مستتباً؟ الجواب: لا، كانت الروم من جهة، والفرس من جهة، والبلاء من جهة، **فما قال أحد**

وقد أجاد أحدهم[(١)] فذكر أن الفُرس والروم رأوا ممالكهم تنتهي، وأنهم لا يستطيعون أن يقفوا أمام هذا المدّ الإسلامي، فماذا فعلوا؟ التووا ودخلوا في الإسلام وأبطنوا الكفر، وأصبحوا ينشئون عقائد وعبادات مزيجة من وثنية مجوسية نصرانية، ليدخلوها في إطار إسلامي، **وبالتالي نجحوا في شيئين: إيجاد خَلخَلةٍ في هذا الجيش، وفي تحويل قِطاعٍ ضخم من الناس إلى باطِنية.**

وكل ذلك تم عن طريق تحريك العقل الإنساني وتطويره ليوافق ما يريدون.

كل هؤلاء جاءوا من أين؟ جاءوا من خلال البدع، وجاءوا إلى الناس كما يؤتى الآن تماماً، إما بمصلحة الدعوة! وإما بالحرص على الإسلام! وإما وإما .. فأصبح الإسلام مذاهبَ وفِرقاً ونِحلاً عن طريق البدع، فلا نتصور أن المسألة سهلة، وأن القضية -كما يصورون لنا- بعض بدع يسيرة صغيرة، تزول وتتلاشي مع قيام دولة الإسلام! هؤلاء مخطِئون.

ظهور البدع العقائدية

فإن البِدَع لمّا نشأت في الدولة أغرقت دولة بني العباس - وإلا فإن دولة بني أمية كانت صافِيَة من البدع العقائدية، وكان الله عز وجل قد

=**من الصحابة: يا علي لماذا تقاتل المسلمين وتترك غيرهم؟! الخطر الخارجي كبير!** لا أحد منهم قال هذا الكلام، كذلك هؤلاء الذين قاتلهم علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كانوا صوّامين مُصلين، فما قيل لعلي: لماذا لا تذكر لهؤلاء حسناتهم؟! هؤلاء دعاة مجتهدون في الدين، لكن عندهم أخطاء! **ما سمعنا أحداً قال هذا الكلام لعلي ولا لمعاوية.**

إذاً هل الصحابة لا يعرفون قيمة الطاعة، وما يعرفون قيمة الجهد للدين؟! **يعرفون، ولكن كانوا يزِنون بموازين غير موازيننا، كان ميزانهم النص يحكمون فيه،** ولذلك لم تكن عندهم العاطفة الكاذبة التي عند بعض الناس اليوم، فكانوا على الأمر اليسير يفاصلون -وإذا كان شيئا في ظننا صغيراً-، لأن عندهم تعلق بالسّنة، وأما عندنا فالأمر في سعة، وهذا هو الدمار]. من محاضرة للشيخ بعنوان: (مسائل مهمة في الدعوة السلفية).

(١) وهو **عبدالله القصيمي** -وإن كان قد ضَلّ بعد ذلك- في كتابه عن الرافضة (الصراع بين الوثنية والإسلام) وهو كتاب جميل، من نوادر ما أُلّف، في جزأين كبيرين، طُبع في مصر أيام محمد نصيف ومُحب الدين الخطيب رحمهما الله. (ش)

سخّرهم لمحاربة بدع العقائد، وإن كانوا قد وقعوا في كثير من المجون والفجور-، فجاءت دولة بني العباس على أيدٍ مجوسية متداخلة فيها البدع فأهلكت الأمة.

ولذلك عندما يُنظر إلى الفتوحات، تجدها توقفت بعد دولة بني أمية إلا القليل، شُغل المسلمون بفتن وبمحن وبآراء وبفلسفات كلها باسم الإسلام وحمايته وتطويره وإنقاذه!! وهكذا أُدخل على المسلمين بدع لا يعلمها إلا الله سبحانه.

مَن الذي حارَبَ هؤلاء؟

لم يقف أمامهم إلا الطائفة الناجية فقط، الطوائف الأخرى تجدهم يتناحرون فيما بينهم، الأشاعرة مع المعتزلة، والمعتزلة مع الجهمية، والجهمية مع القدرية، **ولكن تؤول المذاهب إلى بعضها البعض**[(١)]، أما أصحاب الطريق المستقيم فهم الذين وقفوا أمام هؤلاء، وكانوا هم سواد الأمة في ذلك الوقت.

والعجيب -سبحان الله- أن أصحاب الأهواء في تاريخهم لم يتمكنوا أن يُقنعوا صحابياً واحداً يرى برأيهم، ولا إماماً واحداً من أئمة الحديث المشهورين المعروفين يكون معهم! وإنما أتوا إلى أهل الكلام والفلسفة فساروا بهم وجعلوهم أئمة.

إذاً السلف رضوان الله عليهم وقفوا من البدع موقف الحازم،

(١) قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال جماعة من العلماء: أصول البدع أربعة، وسائر الثنتين والسبعين فرقة عن هؤلاء تفرّقوا، وهم: الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة) الاعتصام (٣/ ١٥٠) ط.دار ابن الجوزي.

وجعلوا بين أهل البدع وبين أهل الإسلام سداً، وهَجَروهم وهَجَروا الكلام معهم، لذلك -كما ذكرت سابقاً- هل تَظنّون أنه لمّا يمر أحد علماء الأمة من التابعين كالحسن وغيره، أو الإمام مالك ويضع إصبعه في أذنه، أو يأتي أحدهم ويقول: تعال أناقشك. فيرُدّ عليه ويقول: (لا، أنا لا أناقشكم)، **هل هذا جهلٌ منه أو ضَعف أو عدم قُدرة؟!** لا، وإنما ليَعلم الناس أن هذه هي المعاملة الصحيحة[1]، مع علمه أنه قادرٌ على رد شبهته، ولكن قد يكون في الناس من لا يستطيع؛ فيشرب بعد ذلك الفتن ولا يستطيع أن يتبرأ منها.

التحذير والهجر تجاه أهل البدع

ولذلك هَجرُ أهل البدع وإظهارهم في المظهر المنبوذ هو السُّنة السائدة عند سلفنا رضوان الله عليهم، السنة السائدة عند جمهور السلف عبر تاريخهم وعبر كتبهم هو النبذ والمفاصَلة، وما جاء خلاف ذلك فهو استثناء، وليس هو الأصل، **ولذلك انظروا إن شئتم في كتبهم قاطبة؛ ترون التحذير والتشهير والهجر هو السمة اللازمة، فإن جاء غيره فهو عارض، إما لضرورة، وإما لمصلحة راجحة، وإما تأليف قلب.**

لا بُدّ من الفهم الصحيح لكلام السلف

وهنا يُخطِئ من يُصوّر السلف على أنهم كانوا رفيقين بأهل البدع والأهواء، ويأتي بكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ولغيره مثلاً: (أن أهل

---

(١) **سائل يسأل: هناك من يقول أن السلف يكرهون ولا يذكرون رواية كلام أهل البدع؟**

الجواب: هذا مخالف للواقع، أولهم ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما جاءوا يسألونه في هذه قال (أبلغوهم أني منهم بريء)، ثم عندك كتب الأئمة الكبار مثل كتاب (الرد على بشر المريسي) للدارمي، ثم كتب السنة كلها، كـ(كتاب السنة) للإمام أحمد، و(كتاب التوحيد) لابن خزيمة، فمعظم هذه ردود، وهم في القرن الثاني والثالث.

ولا يلتبس على أحد أن السلف يذكرون رواية كلام أهل البدع على إطلاقه، فقد ذكروها ثم ردوا عليها، وأحيانا لا يذكرون الشبهة وإنما يُثبتون الأصل ككتاب (خلق أفعال العباد) للإمام البخاري، فثبت الأصل وبينه، ورد على من يقول بذلك بطريقة أخرى، وكُتبهم ملأى بذلك.

السنة أرحم بأهل البدع من أهل البدع بأنفسهم)، نعم أرحم، لا رُحماء بأهل البدع، كون أن السلف رأوا مثلاً أن يُنصِفوا مُبتدعاً، وأن يقولوا فيه خيراً في جانب، ويُبيِّنوا ما فيه؛ هذه قضية، وأن يكون مذهبهم اللُّطف، هذه قضية أخرى.

والعجيب أنك تقرأ للكثير ينقل كلاماً عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه كان يرى: الصلاة خَلفهم، وطلب العلم عندهم، ويثني على كتاب (إحياء علوم الدين)، وغيرها، لكن سبحان الله إذا كان هذا حال ابن تيمية مع أهل البدع، فلماذا سَجَنه أهل البدع وسَعوا لقتله وإيذائه! وإلى الآن يُكفرونه لَيلَ نَهار!!

نقول أنهم فَقِهوا الواقع الصحيح وعَلِموا أنه ما آذاهم ولا ضرَّهم ولا فَضَحهم مثل ما فَعَل ابن تيمية وتلاميذه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أجمعين.

وإنما الذي تغيرّ هو الناس، فهموا كلام ابن تيمية وكلام الأئمة رضوان الله عليهم كأحمد والشافعي وغيرهم كما يريدونه هُم، ولم يَفهموه كما هو الواقع.

إذاً **أهل السُّنة قد وَقَفوا من أهل البدع موقفاً مُبايناً**، ولذلك كانوا يرون هَجرهم، ويرون عدم النظر في كتبهم، بل إنهم كانوا يطردونهم من الجلوس عندهم لأخذ العلم.

عدم تكفير أهل البدع

مع العلم أننا لا نَرى أن أهل البدع كفار -وهذه قاعدة متفق عليها- **ولا نرى أن كلَّ من وقع في البدعة فحُكمه حكم المبتدع**؛ لأن الأمر مختلف، فقد يقع في البدعة من لا يعلم أنها بدعة، وقد يقع في البدعة من كان متأولاً، فلا يعطى حكم المبتدع إلا بعد إقامة الحجة عليه والبيان، وهذا

الذي قرره العلماء في كتبهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

في الوقت الحاضر علماء الدعوة السلفية والجماعات والجمعيات السلفية التي في الدنيا موقفها من أهل البدع هو الموقف القديم نفسه، فاذهب إلى أفريقيا إن شئت فسترى مساجد الموحِّدين غير مساجد المبتدعة، واذهب إلى القارة الهندية، بل اذهب إلى الصين، وإلى ما يُسمى بالجمهوريات الإسلامية، وإلى أوروبا وإلى غيرها من أقطار الدنيا، ستُلاحظ إلى اليوم أن أهل التوحيد لهم مساجدهم ولهم نشاطهم، لا هؤلاء يتَّصِلون بهؤلاء، ولا هؤلاء بأولئك.

موقف السلفيين لم يتغير

إذاً الواقع القديم هو نفسه مستمر في عصرنا هذا، وإذا جئت إلى علماء هذه الدعوة المشايخ المعروفين كالشيخ الألباني والشيخ عبدالعزيز ابن باز، تَرى **موقفهم هو الموقف القديم نفسه**، بل تَرى أن أهل البدع موقفهم من هؤلاء الأئمة الأعلام هو الموقف نفسه الذي كان لهم من ابن تيمية والإمام أحمد وغيرهم، فالمواقف هي هي لا تتغير، لأن المذهب هو هو، والعقيدة هي هي.

ويأتي هنا سؤال: هل معنى هذا أنه لا تقارب بين السلفيين وغيرهم من أهل البدع عامة؟

الجواب: لا، أهل البدع يُدعَون، ويُنصرون إن وقعوا في ضيق بحسب ما هم فيه، فأن تدعوهم وتُعلِّمهم وتُحسن إليهم هذا شيء، وأن تَعتبر مذهبهم صواباً وأنك وإياهم على ثغرة تدافع عن الإسلام! فهذه قضية أخرى، **فلا ينبغي أن تُخلط الأوراق**.

أهل البدع بعمومهم هم مسلمون، إلاّ من كان قد وقع في كفر يخرج به من الملة، وهم أيضاً أمة دعوة؛ يُدعون ويحسن إليهم ويجتهد فيهم،

لأن فيهم أعداد هائلة مضلَّلة مغفلة.

لكن لا يُغزى بهم مع أهل التوحيد إلا في الضرورات، ولذلك بعض الناس يَنسُبُ إلى ابن تيمية أنه كان يجاهد مع أهل البدع، وهذا ليس بصحيح، فقد ذكر في رده على البكري وغيره في كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه كان لا يجاهد معهم، وذكر هذا نصاً صريحاً(١)؛ ليمنع التأويل الذي يُنسب إليه.

لا يُجاهَد مع أهل البدع

ما اجتمع معسكر أهل السنة في جهاد مع معسكر أهل البدع إلا إذا وقع ما يسمى بجهاد الدفع، وهذه لكل حالة حكمها، وإنما الأصل أن أهل السنة يميزون، وقد مُيزوا عبر تاريخهم، ولذلك عندما نقرأ أن الجويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عاد إلى السُّنة؛ فهو لم يكن شيعياً من قبل وإنما كان على مذهبٍ كلامي كالأشاعرة وغيرهم.

خلاصة الأمر يا إخواني أن البدعة شر عظيم، وهي الداء الذي فَتَكَ بهذه الأمة عبر تاريخها، وأن الأمة لا يمكن لها أن تقوم من جديد؛ إلا إذا نُقِّيَ الإسلام من جميع الشوائب، وعادت الأمة إلى الإسلام المُصفّى الذي نزل من السماء.

التفريق بين إخلاصه واتباعه

وكما ذكرنا أن صاحب البدعة قد يكون عابداً ومخلصاً ومجتهداً، وهذه هي التلبيسة على الناس، غير قادرين على فهمها، يقولون سبحان الله فلان هذا يدعو في أدغال إفريقيا ويجتهد ويتعب ويفعل، وفلان هذا ما شاء الله قوام ليل، وفلان يبكي إذا صلى بنا .. إلخ، هؤلاء يريدون وجه الله ولكن ما حقَّقوا مُراد الله، -**انتبهوا لهذا**- **فإرادة وجه الله شيء، وتحقيق مراد الله شيءٌ آخر**.

(١) ينظر مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٥٦).

تعلمون أن العمل لا يُقبل إلا بركنين: إخلاص لله، ومتابعة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهؤلاء نسأل الله أن يكونوا قد حققوا الإخلاص، ولكن أين المتابعة؟! نحن لا نقول أنهم في النار، قد يغفر الله لهم، فهو بيد الله، لكن حسب اللوائح -كما يقال- هذا العمل مردود، أما أن الله سبحانه وتعالى يغفر؛ فالأمر له سبحانه وتعالى بيده كل شيء، يرحم ويعذب من يشاء سبحانه، كما فعل لذلك الرجل الذي أمر أولاده بأن يحرقوه وأن يذروه في الريح، فلما سأله الله عز وجل لم فعلت ذلك؟ قال: مخافتك يا رب، قال: قد غفرت لك[(١)]، لكن هل معنى هذا أن الفِعل صحيح؟! الجواب: لا، الفعل جريمة وعقيدة كفرية، وإلا ما كان علماؤنا كلهم استدلوا بهذا الحديث على أن الرجل قد يقع في الكفر ولا يكون كافراً، والصحابة عندما طلبوا من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجعل لهم شجرة يُعلِّقون فيها سيوفهم، قال: قُلتم مقالة أصحاب موسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة)[(٢)]. فهذا الكلام كفر، لكنه ما قال أنتم كفار؛ لأنه يعلم أنهم ما أرادوا إلا الخير وأنهم جُهال، ولكنهم وقعوا في انحراف فقوّمَهم مباشرة.

فنقول أن هؤلاء الناس الذين نشاهدهم ونراهم من أهل البدع فيهم إخلاص وعندهم جُهد وفيهم طاعة وفيهم تضحية ولديهم خِدمة للإسلام، **ولكنهم أخطئوا الدَّرب**، لا نَغتر بفعلهم، ولذلك الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ سمِعوا وصف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مباشرة في الخوارج، ومع هذا يقول علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لمن معه وهو يقاتل الخوارج: لولا أخشى أن يأتيكم بَطَر لأخبرتكم بأجر من قاتلهم[(٣)]، قاتلهم قربة لوجه الله، لم يقاتل زناة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨١)، ومسلم (٢٧٥٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٩٠٠)، والترمذي (٢١٨٠)، وابن حبان (٦٧٠٢).

(٣) أخرجه أحمد (٩٨٢)، والنسائي في الكبرى (٨٥٢١) بلفظ: عن زِر بن حُبيش، أنه سَمِع علياً

ولا شراب خمر ولا أهل ربا ولا نساؤهم متبرجات، وإنما قاتل مُصَلّين صائمين مهللين مكبرين موحدين في أمورهم ليس لديهم شرك ظاهر، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصفهم: (تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم) لكن عندهم (بلوى)! لماذا قاتلهم وهم على هذه الحالة من الدين والطاعة والخضوع والخشوع؟ لأنهم انحرفوا عن المنهج ولم يحققوا الإتباع، **حقَّقوا ظاهر الإخلاص، لكن ما حقَّقوا الإتباع**.

فهذه الاعتراضات التي اعترضوا بها علينا ليل نهار، لا وجه لها من الناحية العلمية أبداً، فلان من الناس فعل كذا، فلان عمل كذا، فلان اشتهر، هذه كلها ليس لها اعتبارات في الميزان والعمل الشرعي، **إنما الميزان أن تعبدَ الله سبحانه وتعالى مُخلصاً ومتبعاً**، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

جهود علماء السلف

لهذا السبب نَرى أن السلفيين هم الوحيدون منذ عهد الصحابة وإلى اليوم من يقاومون البدع، ما قاومها غيرهم، ولذلك انظر مثلاً إلى المعتزلة والأشاعرة وماذا كتبوا عن البدع والشرك تجده قليلاً جداً، وانظر إلى الجماعات المعاصرة مثل حزب التحرير والتبليغ والإخوان وجماعات الجهاد والتكفير والهجرة[(١)] وغيرهم، وايتني بكتابين أو ثلاثة صنّفوهم

=يقول: (أنا فقأت عينَ الفتنة، ولولا أنا ما قوتل أهل النهروان، ولولا أني أخشى أن تتركوا العمل لأخبرتكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن قاتلهم، مبصراً لضلالتهم، عارفاً بالهدى الذي نحن عليه).

(١) **جماعة الجهاد**: وسمّت نفسها (الجماعة الإسلامية)، نشأت في كليات الجامعات المصرية في أوائل السبعينيات، وأوجبوا الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر **دون ضوابط**، واتخذوا من فكر سيد قطب منهجاً لهم في تكفير المجتمع والحُكام، ظهرت على الساحة بقوة حيث قام الجناح العسكري للجماعة بقيادة الملازم أول خالد أحمد شوقي الإسلامبولي باغتيال الرئيس أنور السادات، واشتهروا بفتيا قتل الكاتب فرج فودة، ومن أشهر رؤوسهم: د.عمر عبدالرحمن،

في بيان الشرك والبدع على الحقيقة، لا تجد! لكن انظر إلى السلفيين عبر تاريخهم، **بل إني ما وجدتُ إلى اليوم عالماً سَلفياً إلا وله رسالة أو رسالتان أو أكثر في التَّحذير مِن البدع**، فكأنهم يرون أن الرجل لا يكون سلفياً إلا إذا كتب بهذا؛ لأن هذا من الجهاد وبه حماية الدين.(١)

=كرم زهدي، م.محمد عبدالسلام فرج، د.ناجح إبراهيم، محمد شوقي الإسلامبولي، المقدم عبود عبداللطيف الزمر، من كتبهم: (الفريضة الغائبة)، (منهج جماعة الجهاد الإسلامي)، (حتمية المواجهة). [الموسوعة الميسرة ١/ ٣٤٨].

جماعة التكفير والهجرة: وسمّت نفسها (جماعة المسلمين)، هي جماعة إسلامية غالية نهجت نهج الخوارج في التكفير بالمعصية، نشأت داخل السجون المصرية، وخاصة بعد اعتقالات سنة ١٩٦٥م التي أعدم على إثرها سيد قطب بأمر من الرئيس جمال عبدالناصر، ومن أبرز دعاتها: علي إسماعيل، شكري مصطفى، ماهر زناتي، ومن الكتب التي كشفت أفكارهم: (ذكريات مع جماعة المسلمين: التكفير والهجرة) لعبدالرحمن أبوالخير، الذي كان منهم وتركهم. [الموسوعة الميسرة ١/ ٣٣٣].

(١) **سائل يسأل: أليس في ذِكر الفِرق وأهل البدع وحالهم سبباً في انتشارهم؟**

الجواب: لا، علماء السلف قالوا: إن انتشرت الفِرق وعُرفت فوجب ردّها وبيان ما فيها، لكن إذا لم تُعرَف فلا يُشغَل الناس فيها، وهذا يبين أنهم وضعوا للناس الأصول، وما فَصَّلوا فيها كثيراً، لأنها لم تكن منتشرة، فلمّا بدأت تنتشر عقيدة القدرية تكلموا وكتبوا فيها وذمّوها، لكن السلف طريقتهم كانت الإيجاز والبلاغة، ليسوا مثلنا يجلس أحدنا ساعة يتكلم، فنحن إذا عمل لنا أحد الأخوة درساً قصيراً، يقولون: هذا ما عنده شيء، لكن السلف كانت دروسهم قصيرة، لأنها نصوصٌ وجملٌ بليغة واضحة، فكلامهم عن القدرية مشهور، فقد تكلم عنهم الصحابة ثم التابعون، وكلامهم عن المرجئة والجهمية كلام صريح وواضح، ولمّا ظهرت فتنة القول بخلق القرآن كان كلام السلف صريحاً وقوياً، وكفّروهم وناقشوهم، لكن المعتزلة ظهروا متأخرين كتأصيل، فرد عليهم المتأخرون، لكن الذين قبلهم لما خرجوا ردَّ عليهم الذين كانوا في ذلك الوقت.

فما نبتت نابتة بدعة إلّا وتصدّى لها السَّلف، ما تكلَّموا على أصولها فقط، وإنّما تتبعوا الدَّعاة داعيةً داعية، وحذّروا الناس منه، ونهوا عن مُجالسته، فهذا غاية في التتبع، فمثلاً يقولون نبت في البصرة فلانٌ وفلان، وقد نبت في الكوفة فلانٌ وفلان، ولا تجالسوا فلاناً، بل إن بعضهم إذا رآك تزور فلاناً من أهل البدع، وجئت تطلب منه الحديث؛ لا يُسمعك إيّاه ويطلب هَجرك، وهذا يُبين قوة السَّلف في النهي عن اتباع أهل الأهواء.

وسائل آخر يقول: في مجتمعنا الكويتي هناك الكثير من أهل البدع والطوائف من علمانية إلى

=رافضة.. إلخ وما ينادى به من التعايش وما يسمى بـ (الوحدة الوطنية) وإلا ستقوم كارثة، كيف ذلك؟

الجواب: التعايش في أمر الدنيا قد يتم، يعني قد تجمع الناس مصالح دنيوية ويبقون يتعايشون فيها على اختلاف آراءهم ومللهم ونحلهم، كما هو حاصل في أوروبا، وكما كان حاصلاً في المدينة قبل ذلك بوجود اليهود ووجود المسلمين فترة من الزمن، أما أن يتوقع بأن الوطنية أو القومية ستجمع الناس ليكونوا أمة واحدة فهذا خيال وخرافة، الوطنية أو مصالح الدنيا قد تجمع الناس على مصالح، فهذا هو دور الحكومة أن تجعل الناس كلهم يعيشون دنياهم وأن توجد نوعاً من الموازنة، وأما القول بأن الوطنية ستلغي الفروقات الدينية والمذهبية فهذا خيال، وقد عجزت القومية العربية قديماً وستعجز أي قومية أخرى.

وآخر يقول: هناك شبهة ثانية نسمعها: أن السلفيين دائماً تركيزهم على أهل البدع، ولا ينكرون على أهل المعاصي، وأن أهل البدع هم الذين نحاربهم فقط؟

الجواب: هذا ليس بصحيح على الإطلاق، لكن نحن نرى البدء بالأولويات، فَشَرُّ الشبهة أشد من شر الشهوة لا شك في ذلك، فأهل البدع شرهم عظيم، فبالتالي نبدأ بالأهم، فالذي بعده، أما القول بالسكوت ليس بصحيح، فغير السلفيين لا يتكلم مثلاً عن إعفاء اللحية، ولا يتكلم عن الدُّخان إلا هُم، أما بقية مشايخ الطوائف يُجيزون ذلك، هذه كلها معاصي، ومن يتتبع الدروس وخطب الجمعة يرى ذلك، **ولكن في الحقيقة أن الشُّبهات مرضها عظيم**، والدعاة في ردعها مُقصِّرون، فعند ذلك وجب العناية بذلك أكثر من غيره، ولاحظ دائماً أن القرآن كلما أمر بصلاة أو بزكاة أو بوضوء جاء معها ذكرٌ للتوحيد، أو صفة لله عز وجل، لأن هذا مهم يجب أن يُكرر.

ولذلك النبي ﷺ هو قدوتنا في كل حياته، يُحذِّر من الشرك تحذيراً مستمراً حتى عند موته، مع مراعاة الحاجة وأحوال الناس.

وسائل يقول: شيخ، ما حكم طلب العلم على مشايخ غير سلفيين -أشعري أو صوفي مثلاً- في علم اللغة العربية أو لأخذ الإجازة بالقراءة؟

الجواب: أما اللغة فلا أرى فيها حرجاً، كذلك أن يتعلم التجويد فلا حرج، أما يلازمه ليأخذ منه علوم القرآن فلا يجوز.

والإجازة لا تدخل حاملها الجنة! ولا تخرجه من النار، فيُسأل في قبره عن فهمه وحفظه للقرآن لا عن الإجازة، بالعكس أنا أرى إجازة المبتدع للسُّني إهانة له، يعني ما يُشرِّفه أن يكون شيخه خُرافي، أما إذا تعلم منه فهو من باب الضرورة، أن يتعلم منه التجويد أو يتعلم منه علوم نافعة لا يراها في غيره فلا حرج، مستقبلاً يدخل في حرج إذا ردّ عليه قالوا: هذا لا يحترم مشايخه يرد عليهم! فيقع في حرج!

بل تجد بعضهم يأخذ هذه الورقة (إجازة مسندة) من بعض الدول وهم حتى لم يروا هؤلاء المشايخ.

وصـــيَّـــة: [١]

خطر البدعة في الآخرة

احفظـوا هذيـن الحديثـين: **الحديـث الأول**: حديـث الـذَّبّ عـن حـوضِ النبـي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كـما قـال الرسـول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصحيـح: (إنـه لَيُـذاد أقـوامٌ عـن حـوضي يـوم القيامـة) [٢] النـاس كلهـم ذاهبـون للـشُّرب مـن ذلـك الحـوض -ونسـأل الله عـز وجـل أن نكـون منهـم- ومـن شرب منه لا يَظمـأ بعدهـا أبـداً، والنـاس -كـما تعلمـون- في ذلـك اليـوم العظيـم تدنـو

=**ويقول السائل: سمعتُ أن أكثر الأشاعرة أو أهل البدع هم من ألّفوا أصول الفِقه؟**

الجـواب: لا، ليـس صحيحـاً، فأصـول الفقـه علـمٌ موجـود عنـد الشـافعية، موجـود عنـد الأحنـاف، موجـود عنـد الحنابلـة، وموجـود عنـد الظاهريـة، موجـود عنـد السـلفيين، فإمـام أصـول الفقـه هـو الشـافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهـؤلاء النـاس عِيـال عليـه في ذلـك، لعـلّ أحسـن مـا كُتـب في الأصـول (الموافقـات) للشـاطبي وهـو سـلفي، و(إحـكام) ابـن حـزم عـلى ظاهريتـه لكنـه نحـا منهـج السـلف في الأصـول.

وسائل يقول: شيخ هل هناك فرق بين الابتداع في العقيدة والابتداع في المنهج؟

الجـواب: والله أنـا أرى أن هـذه بدعـة جديـدة، هـذا التقسـيم نفسـه بدعـة جديـدة ليـس لهـا أصـل، بـل أنـا أرى أن الإنسـان لا يكـون مبتدعـاً في العقيـدة إلا إذا كان في المنهـج كذلـك، يعنـي بداية الضـلال تكـون في المنهـج، ثـم تجـر بعـد ذلـك لأن يضـل ضـلالاً أوسـع.

ولذلـك إذا أردنـا أن نضبـط النـاس لا نقـول: والله ادرسـوا الحديـث ادرسـوا الفقـه احفظـوا القـرآن، لأن هـذه قضايـا ممكـن واسـعة، وإنـما نحدّهـا في المنهـج (مـا أنـا عليـه وأصحـابي) لأنـه هـو الصِّـمام، فقولهـم: سـلفي العقيـدة يعنـي سـلفي في المنهـج، هـذه بدعـة جديـدة، وكل هـذا لسـبب واحـد كـي يرقعـوا جماعتهـم، وإلا فالخـوراج كلهـم ممكـن أن يكونـوا سـلفيي العقيـدة لا سـلفيي المنهـج!!

(١) ما تحت هذا العنوان إلى نهاية المبحث من محاضرة: (الانتماء للسلفية).

(٢) أخـرج مسـلم (٢٤٩، ٢٨٦٠) حديـث أبي هريـرة أنَّ رَسـولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتـى المَقْـبَرُةَ، فقـالَ: (السَّـلامُ علَيْكُـم دارَ قَـوْمٍ مُؤْمِنِيـنَ، وإنّـا إنْ شـاءَ اللهُ بكُـم لاحِقُـونَ، ودِدْتُ أنّـا قـدْ رَأَيْنـا إخْوانَنـا قالـوا: أوَلَسْـنا إخْوانَـكَ؟ يـا رَسـولَ الله، قـالَ: أنتُـمْ أصْحـابِي وإخْوانُنـا الَّذِيـنَ لَمْ يَأْتُـوا بَعْـدُ فقالـوا: **كيـفَ تَعْـرِفُ مَـن لَمْ يَـأْتِ بَعْـدُ مِـن أُمَّتِـكَ**؟ يـا رَسـولَ الله، فقـالَ: أرَأَيْـتَ لـو أنَّ رَجُـلًا لـه خَيْـلٌ غُـرٌّ مُحَجَّلَـةٌ بـيْنَ ظَهْـرَيْ خَيْـلٍ دُهْـمٍ بُهْـمٍ ألا يَعْـرِفُ خَيْلَـهُ؟ قالـوا: بَـلى يـا رَسـولَ الله، قـالَ: فإنَّهُـمْ يَأْتُـونَ **غُـرًّا مُحَجَّلِيـنَ مِـنَ الوُضُـوءِ**، وأنـا فَرَطُهُـمْ عـلى الحَـوْضِ **ألا لَيُـذادَنَّ رِجـالٌ عـنَ حَـوْضِي** كـما يُـذادُ البَعِـيرُ الضّـالُّ أُنادِيهِـمْ ألا هَلُـمَّ فيُقـالُ: إنَّهُـمْ قـدْ بَدَّلُـوا بَعْـدَكَ فأقُـولُ سُـحْقًا سُـحْقًا) وعنـد أحمـد (إنَّـكَ لا تَـدْري مـا أَحدَثـوا بعـدَكَ؟).

الشمس منهم، ويأخذ الناس عَرَقهم، فمنهم إلى رجله، ومنهم إلى حِقوَيه، ومنهم إلى رقبَته، ومنهم من يُغطّيه -أعاذنا الله من ذلك-، فالناس بحاجة للشرب، فيتَّجه منهم أهل الإسلام الذين يُصَلّون ويصومون وأهل الطاعة كلهم ليَشربوا من حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعرف أمته، ولما سُئِل كيف تعرفنا يا رسول الله في الأمم الكثيرة؟ فأخبر بأن لهذه الأمة علامات من أثر الوضوء، فقال: (إنكم تأتون غراً محجلين من أثر الوضوء)، فتكون عليكم هذه الغُرّة في الوجه والرِّجل من آثار الوضوء، فكل الناس يذهبون للحوض -ولكن تأتي الملائكة تفرز فلا يسمح للناس بالقدوم على رغبتهم ولا حتى على رغبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليشربوا فيُمنعوا! فيقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يا رب أمتي أمتي!) كيف تمنعون هؤلاء وهم من أمتي! فيقال: (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك). هؤلاء صحيح في الظاهر مُسلمون، ليسوا كفاراً، **ولكنهم ما اتبعوا السُّنّة كاملة**، ما ساروا على هديكَ وهدي أصحابك، وإنما ابتدعوا وأحدثوا في دينك، قال: فأقول سُحقاً سُحقاً.

من يُبعد عن حوض النبي؟

هذا حديثٌ عظيمٌ يُبين على أن من أحدَثَ غيرَ ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطرد عن الحوض، يُذاد عن حوضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهل منا من أحد يرجو في ذلك الموقف العسير وهو قادم مع المسلمين؛ أن يُطرد عن حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لا والله، إذاً كيف يُطرد هؤلاء، أهل صلاة وأهل صيام؟! ولكنهم ابتدعوا في العقيدة، صاروا على عقائد فاسدة، أو ابتدعوا في التصوف، أو ابتدعوا في أمورِ المسلمين، ليسوا كفاراً، ولكنهم ليسوا من الطائفة الناجية المنصورة التي (ما أنا عليه وأصحابي) فيُطرَدون عن الحوض، ما قال: إنهم لا يُصلّون، ولا قال أنهم

لا يصومون، ولا قال: إنهم لا يفعلون طاعات، قال: (إنك لا تدري ما أحدَثوا بعدك).

فنحن اخترنا طريقة السلف، طريقة الصحابة رضوان الله عليهم، طريقة الأئمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم؛ **حتى نُحشر مع الموحدين ونَشرب من حوض النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فلا نُطرد عنه**.

خطر المعاصي في الآخرة

الحديث الثاني: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أتدرونَ ما المُفلِسُ؟ قالوا: المفلِسُ فينا يا رسولَ اللَّهِ من لاَ دِرْهمَ لَهُ ولاَ متاعَ. قالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: المفلُس من أمَّتي من يأتي يومَ القيامةِ بصلاتِه وصيامِه وزكاته، ويأتي قد شتمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفَكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيقعدُ فيقتَصُّ هذا من حسناتِه، وَهذا من حسناته، فإن فنِيَت حسناتُهُ قبلَ أن يُقتصَّ ما عليْهِ منَ الخطايا أُخِذَ من خطاياهم فطُرِحَ عليْهِ، ثمَّ طُرِحَ في النّار)[1] أعاذنا الله من هذا، فكأن المسكين في دنياه يَكُدُّ لغيره، **وهذه والله هي الخسارة العُظمى**، مقابل ماذا؟ نَزوة، جَلسْتَ في مجلس فذُكر فلانٌ وهو غائب -فما رأيت في الله له حقاً- فوقعْتَ في غيبته، ولكن له مَلَكٌ يُسجّل ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨﴾ [ق:١٨] وقعَ ظُلْمٌ فظَلَمْنا، ووقع غِشٌّ فغَشَشنا، فجاء العِباد يريدون حَقَّهم عند الله عز وجل.

إذاً -يا إخواني- سنُصبح ضَحيَّة (كالعير في البيداء يقتلها الظمأ)، عندنا أعمالٌ على ظهورنا تُتْعِبنا، تَعبٌ وجُهد، ونأتي يوم القيامة فإذا بها لغيرنا! ولو كانت لغيرنا لهانت، **ولكن تُؤخَذ من سيئاتهم فتُلقى على العَبد! فيلقى في النار**، أعاذنا الله من ذلك.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١)، والترمذي (٢٤١٨).

إذاً نحـن نـدور بـين هذيـن الحديثـين العظيمـين، نقـول: يـا رب سَـلِّم سَـلِّم؛ **كـي لا نَقَـع في بِـدَعٍ، ولا نَقَـع في معصِيَـة.**

١٧ المحاضرة السابعة عشر:

العَدلُ .. صِفَةُ هذه الأمَّة

المحاضرة السابعة عشر

العَـدلُ .. صِفَةُ هذه الأمَّة

العدل هو ضد الظلم وضد الجَور، وأبرز صفة لهذه الأمة أنها عبر تاريخها كانت عادلة، مع نفسها ومع أعدائها ومع أوليائها، وهذا مُقتضى الكمال الذي وُصفت به، ومقتضى الاتباع الصحيح للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما قال له ذلك الخارجي: اعدِل يا محمد! فقال: (**ويلك! ومَن يَعدل إذا لم أكن أعدل!**).[1]

فإذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعدل فلن يعدل أحد، وإن كان الصحابة رضوان الله عليهم لن يعدلوا فلن يعدل أحد، وإذا كان أتباع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لن يعدلوا فلن يعدل أحد بعد ذلك، وهكذا تستمر الأمور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولذلك جاء في وصفهم أنهم عدول وأمرهم بذلك ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥]. فالله عز وجل أنزل هذا الدين ليتحقق في الأرض تمام العدل، بأنواعه كاملاً، وأولها العدل مع الله سبحانه وتعالى: أن لا يُعبَد إلا هو سبحانه وتعالى، فلا يُصرف شكر النعمة إلى غيره، فهو الذي أعطى، وهو الذي رزق، وهو الذي خلق، وهو الذي أوجد جلَّ وعلا.

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٨)، ومسلم (١٠٦٣).

وصف الله عز وجل هذه الأمة بأنها وسط في كل أعمالها، وهذا من تمام عدلها وتمام استمرارها كما قال سبحانه تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣].

أنواع العدل

وأمرنا ربنا سبحانه بالعدل المطلق مع الولي ومع العدو، وهذا الأمر جُعل سمة لهذه الأمة عبر حروبها قاطبة.

قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي بالعدل، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨].

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله -المفسِّرُ المشهور- في تفسيره: (ليكُن من أخلاقِكم -أي أنتم يا هذه الأمة- وصِفاتكم: القيام لله شهداء بالعدل، في أوليائكم وأعدائكم) لأن الإنسان قد يشهدُ بالظُّلم مع وَليه، وقد يشهد بالظلم مع عدوه.

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: (كونوا قوامين بالحق لله عز وجل، لا لأجل الناس والسمعة، وكونوا (شهداء بالقسط) أي: بالعدل لا بالجور) وقال أيضاً: (لا يحملنكم بُغض أقوام على ترك العدل، فإن العدل واجبٌ على كل أحد، في كل أحد، في كل حال).

يعني واجب على جميع الناس في جميع الناس في جميع الأحوال، وهذا من الكلام المُحكم الجميل الذي سطره ابن كثير رحمه الله.

إذاً المسلمون مأمورون بأن يعدلوا، ولا شك أن أكبر عدل أن يكون لله عز وجل، بمعنى أن لا يشركوا به سبحانه وتعالى، فإذا وقع الشرك

كان ظلـماً، والظلـم هـو: وضـع الـشيء في غـير موضعـه، فمـن تمـام الظلـم أن يرزقَـه اللهُ سـبحانه ويهبَـه وهـو يعبُـد غـيرَه! وأن يعطيـه ويحمـد غـيره! **ومـن ظَلَـم مـع ربـه فَلَـن يَعـدِلَ مـع النـاس.**

ولذلـك فـإن كثـيراً مـن أهـل العلـم يقولـون: إن الإنسـان إذا سـاءت أخلاقـه مـع والديـه فـلا يمكـن أن تكـون أخلاقـه مـع النـاس حسـنة، إلا نِفاقـاً وسـمعةً وريـاءً، أمـا جِبلـةً وفطـرةً وخُلقـاً؛ فهـذا مُسـتحيل.

إذا جئنـا للتاريـخ وجدنـا أن هـذه الأمـة المهتديـة عـبر تاريخهـا هـي أعـدل الطوائـف، ولذلـك كانـت الجملـة المشـهورة العظيمـة لشـيخ الإسـلام ابـن تيميـة رحمـه الله: (أهـل السـنة أرحـم بأهـل البـدع مـن أهـل البـدع بأنفسـهم)(١).

تصحيح فهم كلام ابن تيمية

فُهِـم هـذا الـكلام عـلى غـير وجهـه، فَفُهِـم أن ابـن تيميـة يـرى أنـه لا بُـدّ مـن الرِفـق بأهـل البـدع وهـذا غـير صحيـح، **وإنـما هـو يَحكـي واقعـاً**، فـإذا جئـت إلى الطوائـف وموقـف المعتزلـة مـن الأشـاعرة والماتريديـة والخـوارج والمرجئـة، وجئـت تنظـر في كلامهـم تـراه يقـوم عـلى الظلـم، وأمـا إذا جئـت إلى أهـل السـنة إلى سـلف هـذه الأمـة رضـوان الله عليهـم فـترى كلامهـم يقـوم

(١) لعـلَّ هـذه العبـارة هـي زُبـدة مـا ذكـره شـيخ الإسـلام في كتابـه العظيـم مِنهـاج السُّـنة النبويـة (١٥٨/٥)، وممـا جـاء فيـه: (ومـع هـذا فأهـل السـنة يسـتعملون معهـم العـدل والإنصـاف ولا يظلمونهـم، فـإن الظلـم حـرام مطلقـاً كـما تقـدّم، بـل أهـل السـنة لـكل طائفـة مـن هـؤلاء خـير مـن بعضهـم لبعـض، بـل هم للرافضة خـير وأعـدل مـن بعض الرافضة لبعـض. وهـذا ممـا يعترفـون هُـم بـه، ويقولـون: أنتـم تُنصفوننـا مـا لا ينصـف بعضنـا بعضـاً..

والخوارج تُكفِّـرُ أهـل الجماعـة، وكذلـك أكثـر المعتزلـة يكفِّـرون مـن خالفهـم، وكذلـك أكثـر الرافضـة، ومـن لم يُكفِّـر فُسِّـق. وكذلـك أكثـر أهـل الأهـواء يَبتدعـون رأيـا، ويكفِّرون مـن خالفهـم فيـه، **وأهـل السـنة يتَّبعـون الحـق مـن ربهـم الـذي جـاء بـه الرسـول، ولا يكفـرون مـن خالفهـم فيـه، بـل هـم أعلـم بالحـق وأرحَـم بالخَلـق**، كـما وصـف الله بـه المسـلمين بقولـه: (كنتـم خـير أمـة أخرجـت للنـاس) قال أبـو هريـرة: كنتـم خـير النـاس للناس).ا.هــ

على العدل، فيكون كلامه رحمه الله أن أهل السنة أرحم بأهل البدع من أهل البدع أنفسهم، هذه دراسة للواقع.

ولذلك كما تعلمون في رجال البخاري رحمه الله بعض من الخوارج وبعض من الشيعة الأولين لا الرافضة المتأخرين، لأنه رأى أن فيهم صدقاً واتفقت فيهم صفات معينة(١)، فكان من الظُّلم ترك الرواية عنهم، وكان

(١) بيَّنَ الباحث أبوبكر كافي في أطروحته للماجستير -وهي بعنوان (منهج الإمام البخاري)- هذه المسألة وذكر فيها عدة أقوالٍ لأهل العلم، سواء في البِدع المكفرة أو غير المكفرة، ثم قال: [بعد أن سَردتُ أقوال الأئمة ومذاهبهم في **الرواية عن أهل البدع والأهواء**، فقد تَبيّن أن مذاهبهم متباينة جداً. امتزجت فيها أقوال المحدثين بآراء علماء الكلام والأصول. فلا بُدّ من استجلاء الموقف العملي للمُحدِّثين من خلال مُصنفاتهم، ومن هؤلاء الإمام البخاري رحمه الله، فكيف تعامل مع روايات أهل البدع في صحيحه؟ إذا تأمّلنا رجال البخاري رحمه الله نجِد جُملة كبيرة منهم قد رُموا ببدع اعتقادية مختلفة، وقد أورد الحافظ في (هَدي الساري) من رُمِيَ من رجال البخاري بطعن في الاعتقاد فبلغوا (٦٩) راوياً، ومن خلال التَّتبّع لهؤلاء الرواة يُمكن أن نستخلص المعايير التي اعتمدها البخاري في **الرواية عن أهل البدع** ويمكن أن نُجملها في النقاط التالية: ١) ليس فيهم من بدعتهم مُكفِّرة. ٢) أكثرهم لم يكن داعية إلى بدعته، أو كان داعية ثم تاب. ٣) أكثر ما يروي لهم في المتابعات والشواهد. ٤) أحياناً يروى لهم في الأصول لكن بمتابعة غيرهم لهم. ٥) كثير منهم لم يَصِحّ ما رُموا به.

إذاً **فالعِبرة إنما هي صِدق اللَّهجَة، وإتقانُ الحفظ**، وخاصة إذا انفرد المبتدع بشيءٍ ليس عند غيره. وما ذهب إليه البخاري هو مذهب كثير من المحدِّثين، ومن هؤلاء تلميذه وخريجه الإمام مسلم، فقد روى في صحيحه عن أهل البدع والأهواء المعروفين بالصدق والإتقان، وخاصة إذا انضم إلى ذلك الورع والتقوى، وما ذهب إليه الشيخان هو رأي أكثر الأئمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وإنما توقف من توقف منهم في الرواية عن أهل البدع إما لأنه لم يتبين لهم صدقهم، أو أرادوا محاصرة البدعة وإخمادها حتى لا تفشوا، ولكن شاء الله تعالى أن تكثر البدع وتفشو، وتبناها كثير من العلماء والفقهاء والعباد، فلم يكن من المصلحة ترك رواياتهم، لأن في تركها، اندراساً للعلم، تضييعاً للسنن.

فكانت المصلحة الشرعية تقتضي قبولها ما داموا ملتزمين بالصدق والأمانة. قال الخطيب البغدادي -بعد أن ذكر أسماء كثير من الرواة احتج بهم وهم منسوبون إلى بدع اعتقادية مختلفة-: دَوّن أهل العلم قديماً وحديثاً رواياتهم واحتجوا بأخبارهم، فصار ذلك كالإجماع منهم، وهو أكبر الحجج في هذا الباب وبه يقوى الظن في مقارنة الصواب. وقال علي بن المديني: لو تركت أهل البصرة لحال القدر، ولو تركت أهل الكوفة لذلك الرأي خربت الكتب]. ا.هـ

من العدلِ الرواية عنهم، وهذا الذي فَعَله هذا الإمام رحمه الله.

إذاً يا إخواني هذه الأمة أو هذه الطائفة الناجية والفرقة المنصورة ما حَكَم الله لها بالنجاة والنُّصرة والتأييد وأنها مميزة عبثاً واعتباطاً، **وإنما يجب أن تَتَّصِف بصفات**، ولذلك من وقع في الظلم والجور والفساد في الأرض فإنه قد فقد الصفة الأصلية لهذه الطائفة الناجية المنصورة.

أمثلة من عدل السلف

إذا جئت إلى الصحابة ونظرت في أحوالهم مع المشركين، بل نظرت إلى الفتوح ترى أن الأمم التي فتحت بلادها رَغِبت في حكم الصحابة أكثر من رغبتها في حكم بني جنسها من الديانات التي كانت مسيطرة، وهذا حال الممالك التي فتحها المسلمون عندما كانت تُحكم بالنصرانية أو تُحكم بحكم فارس والروم، لأنهم رأوا من الصحابة عدلاً واستقامةً وأمناً، ورأوا من قومهم ظلماً وجوراً وفساداً في الأرض، وإذا جِئت إلى عُموم مواقفِ أهل السنة ضد خصومهم فتراها تقومُ -كما أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنهم لم يكونوا يَغضبون لأنفسهم، وإنما كانوا يَغضبون لله تعالى[١]، ولذلك لمّا كان الكفار يؤذون الصحابة رضوان الله عليهم لم نر من الصحابة بعد تغير الحال انتقاماً وظلماً لهم أبداً.

تعامل السلف مع المخالف

بل من الأحداث الشهيرة ما جَرى لإمام أهل السنة والجماعة **أحمد بن حنبل رحمه الله** عندما جرت قصته المشهورة في قضية خلق القرآن، لو نظرنا إلى ما فعله المعتزلة معه ومع غيره من أهل السنة من إيذاء وتعذيب واضطهاد وقتل، ثم لمّا دارت الدنيا وأُطلق لم ينتقم، بل لم يَدْعُ

(١) جاء في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: (ما ضرب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، **وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل**). البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٨).

عليهم! وإنما دعا لمن ظلمه بالهداية والتوفيق، هذا الخُلق هو الذي جعل هذه الطائفة سيدة.

العدل الذي مارسه السَّلف رضوان الله عليهم عبر تاريخهم وكتبهم وأحوالهم مع جميع الطوائف هو الذي جعلهم سادة، وجعلهم أهلاً لأن يتَّصِفوا بهذه الصفة التي وصفهم بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووصفهم بها ربنا جل وعلا.

وانظر كذلك لِما جرى لابن تيمية رحمه الله من سجن وتعذيب واضطهاد، فلما تمكّن وأتاه التأييد من بعض الخُلفاء؛ لم نرَ منه بطشاً أو قتلاً أو أذيةً لخُصومه، وإنما نرى منه دعوةً لهم ورغبة في أن يهديهم الله عز وجل، ونرى منه اللُّطف، بل نرى منه التَّوسّط عند بعض الحُكام في ذلك الزمان للعفوِ عنهم! هذا العدل والتسامح هو الذي ساد علماء وأئمة هذه الطائفة الناجية عبر تاريخها.

السَّلَفِيون مع كل ما فَعَلَه الخوارج لم يُكفِّروهم، وإنما قال عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جملته المشهورة: (من الكُفرِ فَرّوا)[(١)].

الإمام أحمد رحمه الله مع كل ما جرى له يقول: (لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان)[(٢)].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٩٠٩٧)، وعبدالرزاق في مصنّفه (١٨٦٥٦): عن الحسن أنه قال: (لما قَتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحَرورية، قالوا: من هؤلاء يا أمير المؤمنين؛ أكفار هم؟ قال: **من الكفر فروا**. قيل: فمنافقين، قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، وهؤلاء يذكرون الله كثيرا، قيل: فما هم؟ قال قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا).

(٢) نقل الإمام أبوبكر الخلال في كتاب السنة بسنده (١٤) عن الإمام أحمد ما نصه: (وإني لأدعو له -أي الإمام- بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار، والتأييد وأرى ذلك واجباً عليّ).ا.هـ

أما المقولة المشهورة فمروية مسندة عن الفُضيل، فقد نقل الإمام البربهاري في شرح السنة بسنده (ص ١١٤): (قال: سمعت فُضيلاً يقول: **لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان**. قيل

الشيخ الألباني رحمه الله أحدثُ مثالٍ عندنا؛ على كل ما جاءه من أذى من المذاهب والأحزاب، لكن ما سَمِعناه قال كلمةَ ظُلمٍ فيهم أبداً.

إذا قارنت هذه المواقف عبر تاريخها، مع مواقف مشايخ البدع في أهل السنة؛ ترى العَجَب، انظر لهذه المكتبات وما فيها من كتبهم وكلامهم في أهل السُّنة السلفيين كيف مُلِئت حقداً! فهُم لم يرعوا حق الله فيهم.(١)

لذلك أي داعية أو أي تجمّع أو أي شيخ يخالف هذه القضية فإنه لا

=له: يا أبا علي فسِّر لنا هذا. قال: إذا جعلتها في نفسي لم تَعدُني، وإذا جعلتها في السلطان صَلح، فصلح بصلاحه العباد والبلاد).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢٨/ ٣٩١): (ولهذا كان السلف -كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما- يقولون: لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان).

(١) وفي موضع آخر يرد الشيخ على شبهة: [قضية يُدندن حولها عند العامة وهي بأن **الدعوة السلفية تسير في ركاب السلاطين** -كما ذُكر في (مجلة المجتمع) من قديم حول (بغلة السلطان)- ولهذا نقول: يجب أن نُفرِّق بين أمرين: بين أننا لا نُكفِّر أحداً من أهل القِبلة بذنب ارتكبه، كما هي قاعدة أهل العلم، وبين السير في ركاب أهل الظُّلم من الحُكام، **كونك لا تُكفره؛ لا يعني أنك تواليه**، فرقٌ كبير بين الاثنين، بين الذي يُكفر وبين الذي يُوالي، بين التكفير والموالاة، والتكفير فُصِّل في أدلة كثيرة بكلام لأهل العلم؛ بأننا لا نستطيع أن نُكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ارتكبه ما لم يصدر منه الكفر البَواح، وعلى مر التاريخ تجد أن الدعوة السلفية **هي الدعوة الوحيدة التي كانت تُنكر المنكر الحقيقي وهو منكر الدين**، لأن الفَرق بين الدعوات السياسية والدعوة الدينية؛ أن **الدعوات السياسية لا تعترض إلا فيما يُخالف السياسة**، وأما أن يقع الحاكم في الشرك، ويبني القبور، ويبني القبب، فلا يُنكر عليه هذا! الدعوة السلفية في كل مكان ترى بأن الكفر والشرك والضلال لا يتجزّأ، ولذلك تجد في كتب السابقين أنها قامت على هذا، وحتى في الكتب المعاصرة قامت على هذا].

وقال بعد ذلك: [في الواقع العملي والمشاهد أن الذين تورطوا في موالاة أهل الباطل ليسوا سلفيين، في كل مكان، الذين والوا (القذافي) أوّل أمره ليسوا «السلفيين»، والذين والوا (النميري) ثم بكوا عليه ليسوا بسلفيين، والذين والوا (الخُميني) ثم أيضاً بكوا عليه ليسوا بسلفيين، **وكل هؤلاء والوا وهاجموا لا لأجلِ التوحيد والعقائد**، ما ذُكر هذا ولا في حرفٍ واحدٍ أبداً، وإنما الأمر كله سياسة في سياسة، والذين عارضوا قديماً وحديثاً **من أجل التوحيد والعقائد هم أهل الدعوة السلفية في كل مكان**]. من محاضرة للشيخ بعنوان: (الدعوة السلفية). وراجع مقالة الشيخ عن **ذيل بغلة السلطان** في رده على **اسماعيل الشطي** سنة ١٩٨٠م، انظر المجموع (٤/ ١٩٤).

شك خالف السِّمة المميزة لأهل السنة والجماعة في منهجهم وفي طريقتهم، ولذلك -يا إخواني- يجب أن ننتبه وأن ننظر إلى تاريخنا.

انظروا إلى ما سَطَّرَه الإمام الذهبي في (سِيَرَ أعلام النُّبَلاء)، وما ذَكره في (تَذكِرة الحُفّاظ)، وفي (ميزان الاعتِدال)، لا تَجِدون فيه تجريحاً إلا مُبيَّناً، ولا تَرون فيه حَشواً مُطلقاً، وإنما تَرَون فيه عِلْماً مُنضبِطاً، حِمايةً للدِّين وَصَوناً من أن يُعبث بسُنَّةِ المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ونستفيد من ذلك فَوائد:

فوائد العدل

الفائدة الأولى: أنه لا يُمكن للناس أن يقبلوا بريادةِ وإمامةِ ظالم، فكيف إذا اقترن ظلمه في الدِّين، سيكون ظلماً على ظلم، والظلم ظلمات كما أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذه الطائفة جعلها الله عز وجل قائدة للناس إلى يوم القيامة كما أخبر بذلك المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا بُدّ أن يتعلق الناس بها تعلق القدوة، والقدوة إن كان ظالماً فلن يُقبل منه ولن يُقتدى به، ولذلك انظروا إلى عامة المخالفين من أصحاب الفِرق سواء الخوارج أو المعتزلة أو الأشاعرة كلهم ما تجاسروا في الطعن في أئمة الحديث الكبار، أئمة الجرح والتعديل، طبعا أنا أتكلم عندما كان في تلك الطوائف -على فساد عقائدها- أخلاق، لا أتكلم عن طوائف هذا العصر الذين فقدوا المنهج والأخلاق، فلا نرى لهم في أئمة الحديث مَطعناً، إلا ما جرى في بعض المسائل، وإلا من حيث العموم يرون أنهم القدوة، وهكذا في الأئمة الأربعة وأئمة الفقه الآخرين، لأن هؤلاء الناس كانوا منارات، لأنهم كانوا يقومون بالعدل الذي أمرهم الله سبحانه وتعالى أن يقوموا به.

الفائـدة الثانيـة: أن الله عـز وجـل **لا يُمْكِـن أن يُمَكِّـن لظـالم** في الأرض أبداً، فـلا يُمَكّـن لـه في القلـوب، ولا أن يُحبّـه النـاس ويقتـدوا بـه، ويأخـذوا منـه الديـن، فقـد يُخـدع النـاس فَـترةً بـه، ولكـن في النهايـة النـاس تَلفُظـه، ولذلـك كـما قـال الأولـون: (العهـد بيننـا وبـين أهـل البـدع المقابـر)(١).

انظـر إلى أئمـة أهـل البـدع في التاريـخ كانـت لهـم قـوة وأتبـاع وكتـب، لكنهـم انتهـوا، ومـا بقـي في الدنيـا إلا الأئمـة الذيـن التزمـوا بهـذا المنهـج القويـم وهـذا الطريـق.

الجُوينـي والـرّازي أئمـةٌ في عصرهـم، لكـن ضـاع صِيتهـما، فـلا تَسـمع اسـمهما إلا عنـد بعـض طلبـة العلـم، لكـن الترِّمـذي الـكل يَعرفـه، أبـو داود الـكل يعرفـه، أحمـد، الشـافعي، سـفيان، منـارات.

فالإمامـة هـي القبـول في الأرض، والقبـول في قلـوب النـاس، والله عـز وجـل لا يُمكّـن لظـالم أبـداً.(٢)

الفائـدة الثالثـة: أننـا نسـتطيع أن نُميّـز، لأن هـذه الطائفـة يفـترض أنهـا موجـودة في الدنيـا حتـى قيـام السـاعة مصداقـاً لحديـث النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ،

(١) نقلهـا أبـو عبدالرحمـن السـلمي في سـؤالاته للدارقطنـي (٤٧٢) يقـول: سـمعت أبـا عـلي الصـواف يقـول: سـمعت عبـدالله بـن أحمـد يقـول: سـمعت أبي رحمـه الله يقـول: (قولـوا لأهـل البـدع: بيننـا وبينكـم يـوم الجنائـز).

(٢) وفي هـذا المعنـى يقـول الشـوكاني رحمـه الله: (وَلَقَـد تتبَّعـتُ أَحْـوَال كثـير مـن القائمـين بِالْحَـقِّ، المبلغـين بِـهِ كَـمَا أَمـر الله، المرشـدين إِلَى الْحـق، فوجدتهـم ينالـون مـن حسـن الأحدوثـة، وَبعـد الصيـت، وَقُـوَّة الشُّـهْرَة، وانتشـار الْعلـم، ونفـاق المؤلفـات وطيرانهـا وقبولهـا فِي النَّـاس مَـا لَا يبلغـهُ غَيرهـم، وَلَا يَنَالـهُ مـن سـواهُم، وسـأذكر لَـك هُنَـا جمَاعَـة مِمَّـن اشـتهرت مذاهبهـم، وانتـشرت أَقْوَالهـم وطـارت مصنفاتهـم بعدهـمْ، وَمَـا أَصَابَهُـم مـن المحنـة مَـا نالهـم..) ثـم ذكـر حـال الإمـام مالـك وأحمـد والبخـاري وابـن حـزم وابـن تيميـة وغيرهـم. في كتابـه (أدب الطلـب ص٤٢).

فلا بُدّ أن تكون ظاهرة بيّنةً يعرفها كل الناس، وأن هؤلاء أهل الحق، هؤلاء أتباع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك اذهب إلى أي بلدٍ واسأل العوام أين السُّنّيين؟ سيدُلُّونك على السلفيين، لا يُمكن أن يأخذوك لصوفي.

أما لو قلتَ أين أهل الدِّين؟ أين المتديِّنين؟ أين الحركات؟ يمكن أن يَدلّوك إلى أي مكان، لكن إذا سَألتَ العامَّة أين السُّنّيين؟ أو أين الوَهابيين؟ أو أين السَّلفيين؟ سيُدلّونك على هذه الطائفة، ولو واحداً منهم، وهذا أمرٌ مجرَّب في الدنيا، في هذا العصر وفي غيره.

إذاً هم باقون وظاهرون بأمر الله سبحانه وتأييده، فعِندما نقول أن من صفاتهم العدل، وأن من سماتهم أنهم عدول، مع عدوّهم ومع وليهم، وذلك استمراراً لريادتهم وقيادتهم لهذه الأمة.

ذكرنا -ونُكرّر ما ذكرنا- بأننا لا نقصد بذلك نوعاً من التزكية غير الشَّرعيّة، وإنما لا يُمكن أن يكون الظالم مع الله سبحانه وتعالى، والمشرك مع ربه عز وجل، والسابّ لأصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يكون هذا من الأمة العدل التي سيجعلها الله سبحانه وتعالى شهداء على الناس، ما يستقيم!

إذاً مَن الذين سيَشهَدون على الناس؟

الذين جعلهم الله سبحانه وتعالى الأمة الوسط هم أمة التوحيد، قد يكون فيهم نقص، قد يكون فيهم معصية، قد يكون فيهم شيء من هذا، لكنهم أمة مهتدية.

وهذه الصفات كما ذكرنا لا تنطبق إلا على (ما أنا عليه وأصحابي) كما أخبر بذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلا لو قلنا كل من قال (لا إله إلا الله)

داخل في ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣] لضاعت المعالم، وصارت الثلاث والسبعين فرقة كلها شاهدة على الناس!

هل معنى العدل ألا يُتكلَّم في أهل البدع؟

التحذير والرد على المخالف من العدل

لا، بل من تمام العدل أن يُردَّ على الظالم، فالحكم على أهل البدع وإقامة العقوبات عليهم يُعتبر تطبيقاً لحُكم الله سبحانه وتعالى في الأرض، بهجرهم أو تعزيرهم أو بمنع كتبهم، والمعيار دين الله سبحانه وتعالى وليس نحن، المعيار الشرع، فالشرع يقول هذا حق وهذا باطل، وهذا عدل وهذا ظلم، **ولذلك الشرع أمرنا أن نحمي هذا الدين من عبث العابثين.**

فلا يُلبَّس أن السلفيين قد ظَلَموا فتكلموا في أهل البدع، ومنعوا كتبهم من التداول، وقالوا لا تحضروا لفلان .. إلخ، لأن هذا من حماية دين الله عز وجل، كما حصل في الفتوحات التي فتحها المسلمون وجيَّشوا الجيوش لذلك.

منهج الموازنات

ثم أتوا لنا بأمرٍ جديد: وهو منهج ذكر الحَسَنات والسَّيِّئات، والذي ابتكره الإخوان القطبيون، وسَمّوه (منهج الموازنة)، هذا المنهج أرادوا به حماية أقطاب أهل البدع، **ابتكروا لنا شيئين:** ابتكروا لنا مفهوماً سَمّوه (الدعاة)، وهو ألا نتكلم على الدعاة، والثاني (الموازنة).

الموازنة عندهم أنك لا تذكر خطأ إنسان إلا وتذكر سجل حسناته، وإلا ستكون أنت ظالماً، واستدلوا بقصص من أشهرها حديث: (صَدَقَكَ وهو كَذوب) في وصف النبي ﷺ للشيطان أنه صادق في هذا وأن طبعه

كذوب، فذكر أن طبعه كذوب مطلق -ذكر سيئاته-، لكن ذكر له هذه الحسنة. وأول من كَتَبَ فيها (الصُّوَيّان)[١] ثم تَبِعَه بعد ذلك مَن تَبِعَه.

والفَرق بين ما نُنادي به وهو العدل، وبين ما يُنادون به وهو الموازنة، أن **الموازنة هي هدمٌ للإسلام الصحيح**، لأنه لا يوجد إنسان على وجه الأرض إلا وله حَسَنة، حتى أكفر الكفار (إبليس) ذُكر له حَسَنة، وإذا جِئنا وتكلَّمنا على (كاسترو) نقول أن له حسنة بمنع الربا في كوبا، و(لينين) حرّم الربا في الاتحاد السوفييتي كله .. إلخ.

الغاية من منهج الموازنات

فنحن نرى أن هذه القضية استُحدِثَت حمايةً لمشايخهم مِنَ النَّقد، لأنك إذا قلتَ: إن محمد الغزالي رحمه الله قد ضَيَّع السُّنة وانحرف في

(١) أحمد بن عبدالرحمن **الصُّوَيّان**: أخرج كتاباً بعنوان: (منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم)، ورد عليه الشيخ رَبيع بكتاب أسماه: (منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف).

[سائل يقول: **ما معنى منهج الموازنات؟ وما قول أهل السنة في هذا المنهج؟**

هذا منهج جديد ليس له أصل عند الأولين، بمعنى أني أريد أن أنتقد الغزالي رحمه الله، فهؤلاء الجدد -القطبيين- يقولون لا تنتقد الغزالي أو غيره حتى تذكر كل حسناته، وهذا ليس بلازم، انظروا إلى كتب الجرح والتعديل كلها ما فيها من هذا شيء، أما إذا أردتُ أن أؤلف كتاباً عن الغزالي فسأذكر أن له كذا من الحسنات وعليه من المساوئ كذا، لكن إذا سُئلتُ عن فلان، فأقول فلان مبتدع وأغلقُ الباب، هكذا كان السَّلف يقولون، هذا كتاب (ميزان الاعتدال) ما فيه من الموازنات شيء، **فالموازنة أنني ملزمٌ بذكر حسنات كلَّ مَن أريدُ أن أنتقده، فهذا قولٌ باطل لا دليل عليه**، لكن إذا أردتَ أن تُؤلِّف قلوب المستمعين، فتقول فلان كان له من الجهود كذا وكذا، إلا أنه وتسرد بعد ذلك بلاويه، هذا لا حَرَجَ فيه، لأنك تُريد أن تُبيّن للناس المتأثرين به أنك مُنصف، فإذا أردتَ ذِكر بعض الشيء تمهيداً لشيءٍ آخر فلا حَرَجَ في ذلك إن شاء الله].
من (أسئلة منوعة من رحلة القرين).

أمور[(١)]، فالناس ستَنفِرُ منه، وإذا قلتَ: لا تسمعوا لعبدالحميد كشك رحمه الله[(٢)] لأن عنده أحاديث كثيرة موضوعة وضعيفة فالناس تمتنع، لكن إذا قلتَ: هو رجلٌ خطيبٌ ورجلٌ جيّد، ورجلٌ مؤثر ونفع الله به كثيراً من الناس، وعنده كذا وكذا من ذكر الأحاديث الضعيفة، فماذا يستفيد هذا السائل! فإنه يَضِيع!

لكن هل قولنا: أن عنده أحاديث ضعيفة عدل أم ظلم؟ الجواب: عدل، لأننا وصفناه بما فيه، وهذا الذي أمَرَنا الله سبحانه وتعالى به، لكن لو كان هذا الرجل ليست فيه هذه الصفة لكان ظلماً -كما يفعلون هم مع مشايخنا-، فكل دعاة الموازنة لا يُطبِّقونها على السَّلفيين! فهم استحدثوها كما قلنا لحماية أقطاب الحركات غير السلفية، وأنا أتَحدَّى كل (الإخوان المسلمين) أن يذكروا للشيخ ناصر الألباني حسناته قبل أن يطعنوا فيه، ما يفعلون![(٣)]

(١) يُنظر كتاب الشيخ صلاح الدين مَقبول (زوابع في وجه السُّنة قديمًا وحديثاً) فقد أجاد في ردِّ الشبهات على السنة، وبيَّن موقف بعضهم منها، أمثال: محمد الغزالي، المودودي، سعيد حوى، الكوثَري.

(٢) **عبدالحميد بن عبدالعزيز كشك**: ولد سنة (١٩٣٣-١٩٩٦م) ببلدة شيراخيت بالبحيرة، فَقَدَ بصره بسِن السادسة، تخرج من كلية أصول الدين بالأزهر، وكان من أصحاب البيان وجهارة الصوت وقوة التأثير، ولقيت خطبه انتشاراً واسعاً، من مؤلفاته: (في رحاب التفسير)، (الصراع بين النفس والمال). [ذيل الأعلام ٢/ ٩٩].

(٣) **ورد سؤال للشيخ في موضع آخر، يقول السائل: [إذا أردتَ أن تنقد كتاباً معيناً فهل يجوز لك الاقتصار على ذكر الأخطاء أم يجب عليكَ ذكر المحاسن؟**

الجواب: إذا كان الإنسان يُريد أن يؤلِّفَ حول كتابٍ معين أو شخصية معينة، **فيلزمه الإنصاف،**

=بمعنى أن يذكر ما فيه من حسنات، وما فيه من سيئات، **وأما إن كان المقامُ مقامَ تحذير؛ فلا شك أن الحسنات هنا لا وجه لها**، وقد ذكر الشيخ ربيع حفظه الله تفصيل هذه المسألة في كتابه (منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف).

وسائلٌ آخر يقول: الكثير ينتقدك بأنك تتكلم بغير إنصاف في الجماعات الإسلامية المعاصرة مُركِّزاً على مساويهم دون ذكر الحسنات؟

الجواب: أقول هذا من الظلم، لأننا دائماً نترَحَّم على الناس، ونذكر ما للجماعات من جُهد في نشر الدعوة، ولكن إن كان المقامُ مقامَ تحذيرٍ من أخطاءٍ وقعوا فيها، أو انحرافٍ وقعوا فيه، **فجرى منهج أهل السنة في الجرح والتعديل أنهم لا يُلزمون بذكر الحسنات**، وإلا لو جئتُ أُعدِّدُ حسنات جماعة الإخوان المسلمين أحتاج لُمجلّد، ليس هذا مَقامه، إنما مقامي أنني أُنبِّه أن هذه القَضِية هم مخطئون فيها، وإلا فهذه التي يُنادى بها بذكر الحسنات -منهج الموازنة- فهذا مذهب فاسد.

وأما القول بأننا ما عندنا إلا هذا، فهذا كذب، فانظر إلى مجموع ما عندنا من دروس، وانظر ما عندنا من نسبة تعالج بها أخطاء المسلمين، أقول لا تصل إلى ١٠٪، يعني من أصل مائة درس لا تَجِد عشرة دروس تُعالَج فيها أخطاء المسلمين، **ونحن نرى أن معالجة أخطاء المسلمين واجبة**.

إضافة إلى أنه لماذا لا يُعاب على بقية الجماعات التي تتكلَّم في كل شيء؟! فنحن ما جعلنا دَيدَننا التكلم عن الجماعات -حاشا لله-، وإنما نحن نُحبّهم ونحب ما فيهم من خير، ومن جهد في الدين، ومن أجل حُبِّنا لهم ورغبتنا في هدايتهم؛ ما نفعله بأن ندلهم إلى الدرب الصحيح. ولكنهم يَمنَعون شبابهم مِن حُضور دروسنا، بل مكتباتهم لا تبيع كتبنا، ويُحذِّرون من مشايخنا أكثر مِن تحذيرهم من العلمانيين! فمن المفتري هنا؟!]. من محاضرة بعنوان: (نظرات في واقع الجماعات الإسلامية المعاصرة ج٢) ألقاها سنة ١٩٩٢م تقريباً.

١٨ المحــــاضرة الثامنة عشر:

الموقف من الفِرَق

المحاضرة الثامنة عشر

الموقف من الفِرَق

التفريق بين الإرادتين

ذكرنا أن الأمة افترقت **وأن هذا الأمر قَدَرِي**، لأن إرادة الله تنقسم إلى إرادتين: إرادة قدرية كونية، وإرادة شرعية، وقلنا بأن الإرادة الكونية القدرية هي التي تجري رغماً عن الناس، كمن يولد له ولد أسود أو ولد أعرج أو ولد أعمى وما إلى ذلك، وهذه لا يستطيع أحد من الناس أن يخالفها ومنها أن هذه الأمة ستفترق إلى الثلاث والسبعين فرقة التي أخبر عنها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلى أن هذه الأمة سيقع بأسها بينها كما أخبر بذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث: أنه سأل الله عز وجل كما قال: (سألتُ ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألته بأن لا يُهلك أمتي بسَنَةٍ عامّة -أي بقحط- فأعطانيها، وسألته أن لا يُسلّط عليهم عدواً سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم فأعطانيها، وسألته أن لا يَضع بأسهم بينهم فمنعنيها، قال قلتُ هذه أهون)[1]، أي الثالثة أهون كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾ [الأنعام: ٦٥] هذا يُسميه العلماء بالارادة الكونية القدرية التي جعل الله عِلمَها إليه سبحانه، فلا نستطيع أن نَمنع وقوعَها.

تكثير سواد أهل الحق

ولذلك وقعت بعض الجماعات الإسلامية في خطأ عقائدي وهو ظنها أنها تستطيع أن تمنع الافتراق! لكن الذي نستطيعه: **أن نقلل سواد أهل**

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٠)، وأحمد (١٤٣١٦).

البدع، ونُكثّر سواد أهل الحق، بمعنى أن الأمة في عصورها الذهبية كان أهل الحق -وهم فرقة واحدة- أكثر من أهل الباطل على اختلاف فرقهم، إذاً ممكن في فترة من فترات الأمة أن يكون أهل الحق أكثر وإن كانوا فرقة واحدة وأهل الباطل أقل وان كانوا اثنتين وسبعين فرقة؛ فالذي نستطيع أن نرده هو الإرادة الشرعية.

الله عز وجل قال: أقم الصلاة، أنت تستطيع أن تقول: أنا لا أصلي، فعندك القدرة على الرفض أو الاستجابة، وبالتالي تؤجر أو تؤثم، أما هذه -الارادة الكونية- فالناس لا يستطيعون لها دفعاً، لأنها سُنَّة الله سبحانه وتعالى الذي حكم وقضى أن الأمة ستفترق.

لكن هل نُعينُ على هذه الفُرقة؟

ذكرنا بأننا مأمورون شرعاً أن نعتصم بحبل الله جميعاً كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣].

إذاً نحن مأمورون بأن نجعل الأمة المسلمة أمة واحدة، ومأمورون أن نُكثِّر سواد أهل الحق، ومأمورون أن نقلل سواد أهل البدع والأهواء، فالواجب الشرعي على كل مسلم هو الحرص على أن يجعل هذه الأمة أمة واحدة، وأن يكره الفُرقة وأنها عذاب وشر، كما أخبر بذلك المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لكن نحن الآن أمام واقع وهو ظهور الفِرق في الأمة، الخوارج والمعتزلة والمرجئة والقدرية والرافضة ثم تفرّعوا، فالرافضة فرق بأنواعها، والمرجئة فرق بأنواعها، والخوارج فرق بأنواعها، والقدرية فرق بأنواعها، هذا واقع الأمة الآن.

فما الموقف الصحيح للمسلم والذي عليه أهل السنة والجماعة سَلف هذه الأمة من هذه الفِرق؟

معرفة الموقف يجب أن يُعلم ويُحدد لأنه أمر عقائدي، **فليست المسألة مسألة تَرَف فِكري** كما يظن بعضهم، بل إنه قد تُؤجر وقد تؤثم، فلا بُدّ إذاً من معرفة واقع العلم الصحيح من هذه القضية، فكما أننا مأمورون أن نعرف موقفنا الشرعي من النَّصارى، وموقفنا من اليهود، وموقِفَنا من الخمر، وموقفنا من الربا، وموقفنا من الخِنزير، كذلك هذه الفرق بأنواعها ما الموقف منها؟

التفريق بالحكم

أولاً: أن هذه **الفِرق تنقسم إلى أشخاص وإلى عَقائد**، فحُكم ذوات الأشخاص فيها مختِلف تماماً عن العقائد، فنقولُ مثلاً: أن دين الرافضة كُفرٌ، لكن لا يلزم أن الرافضة كفار، ونقول: أن عقيدة القول بخلق القرآن كُفر -وقد قال بها جَمعٌ من علمائنا-، لكن لا يلزم أن عَمراً من الناس قال بهذه العقيدة أنه كافر، والعقائد فيها كفرية وفيها غير كفرية، لكن الأشخاص كلٌّ يُعامل بحسبِه، فعقيدة (وَحدَة الوجود) وهي بأن كل ما في الوجود هو الله عز وجل! لا شك أنها كفر، كما قال قائلهم:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة![1]

ولذلك سَمِع أحدهم الغُراب ينعق فقال: لبيك!!

ومن ذلك: اعتقاد أن الأولياء الصالحين يعلمون الغيب وما كان وما سيكون!! أو يعتقدون بأنهم يجلسون مع الله عز وجل!! حتى قال

(١) تُنسب إلى ابن عربي، العالِم الصوفي. ينظر كتاب (ابن عربي وموقف علماء المسلمين منه) د.دَغَش العجمي.

قائلهم: كنت مع الله فقال لي كذا، فقلت له كذا!! هذا كفر ولا شك.

علماؤنا لم يكفِّروا عامة الفِرق

إذاً **الموقف الصحيح** أننا يجب أن ننظر إلى هذه العقائد نظرةً عِلمية، فما حَكم عليه علماؤنا بأنه كُفر[١]، نحكم عليه أنه كُفر، وما حكم عليه العلماء بأنه ليس بكفر، نقول هذا ليس بكفر.

وبالنظر في أصول الفِرَق تجد أن بعض كلام المعتزلة فيه كفر، وبعض كلام القدرية فيه كفر، لكن **إجمال الفرق -غير الغلاة الباطنيين- فعامة السلف لم يكفروهم**، ولذلك لمّا جاء الخوارج فكفَّروا الصحابة وقاتلوهم؛ جاء الناس إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يسألونه عنهم وهل هم كفار؟ فقال لهم: (مِنَ الكفر فَرّوا)[٢]، فلم يُكفّرهم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكذلك الإمام أحمد مع غيره من العلماء الذين ثبتوا على مقولة واعتقاد: (أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق)، وحَمَلوه على قول (أن القرآن مَخلوق)، ومع هذا فإن الذين آذوه وعذّبوه وحَملوه على قول هذه العبارة لم يُكَفّرهم.

إذاً عامة من قرأنا لهم من علمائنا تحقيقاً أنهم لا يُكفِّرون الفرق الموجودة، وإنما يكفرون عقائدَ منها، ويكفرون آحاداً من الناس قد وصل به الكفر إلى ما وصل إليه، كما كفَّروا ابن عربي في أكثر من موضع[٣]، لأنه صَرّح بالكفر بما لا يحتمله أحد.

إذاً ننظر إلى الأفكار على أن بعضها كفر وبعضها ليس بكفر، فمثل الذي ليس بكفر قضية تأويل: (استَوى) بمعنى استولى! هذا لا شك لا يمكن أن يكون كفراً، ليس مثله مثل الذي قد ألغى كل صفات الله تعالى.

---

(١) وفق استقراء نُصوص الوحيين بلا شك، وليس من أهوائهم.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٨٦٥٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٩٠٩٧).

(٣) كما في كتاب (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي) لبرهان الدين البقاعي. (ش)

أما الأشخاص فهم ينقسمون إلى:

أقسام الناس

الصنف الأول: قسم العَوام، عوام الصُّوفية وعوام الرافضة وعوام القدرية وعوام المرجئة وعوام المعتزلة وغيرهم، **هؤلاء الناس العوام لا يكفَّرون، بل لا يشنع عليهم إلا تعزيراً، وإلا فالواجب دعوتهم ونصيحتهم لأنهم مُضَلَّلون**، وعلى هذا ينطبق على عوام المسلمين، بعضهم قد يقع في الكفر ولا يعلم أنه كفر، كما نشاهد ونحن نطوف حول الكعبة من يأتي من أفريقيا أو مصر وهو يقرأ في الكتاب الذي عنده يقول: وانشلني من أوحال التوحيد!! هذا الكلام كفر، فلما نسأله: ما معنى هذا الكلام؟ تجده لا يعرف معناه! -كما ناقشتهم مراراً- فلما تُبيّن له وتشرح معناه حينئذ يصحو، ويفهم أنه يدعو بدعاءٍ كفري، وهو يطوف حول البيت!

فالعَوام إذاً قد يقولون كلاماً، وقد يفعلون أفعالاً وهم لا يعرفون أنها كفر، ولذلك علماؤنا دائماً في مسألة العذر بالجهل - وذكرت هذا مراراً - يقولون: الإنسان إذا وُجد في بيئة من هذه البيئات كمصر والسودان وأفريقيا فإنه وإن وقع في بعض الشرك يُعذر، لكن لو وقع الإنسان في الجزيرة العربية بشرك مثل الطواف حول القبور لا يُعذر، لأن في الجزيرة الإذاعة والتلفزيون والمشايخ ليل نهار يدندنون ويحذرون من ذلك، أما هناك فيدندنون على العكس وأن هذا هو الدين، فهو يرى علماءه ويرى المشايخ عنده ويرى الوزراء والحكومة تبني القبب على القبور وتطوف حولها، فيقول: لو كان هذا غلط فلا يُعقل أن كل هؤلاء الناس يكونون مخطئين!

لا بُدّ من إنكار الخطأ

إذاً القاعدة فيهم أن العَوامَّ لا يُحكم عليهم، لكن لا يُتركون بلا دَعوةٍ وبَيان، وهذا الفَرق بين الدعوة السلفية أهل السنة وبين غيرهم من الدعوات الأخرى كالإخوان والتبليغ .. الفَرق أنك لو ذَهبت إلى أفريقيا

ترى علماء الدعوة السلفية يَدعون العَوام ويُحذِّرونهم مِن البدع والقبور والشرك، وعلماء الدعوات الأخرى صامِتون، يَرون أنه من الممكن أن نُؤلفهم، **فاتفقنا في الإعذار واختلفنا في الإنكار، فنحن نَرى أن هؤلاء العَوام وإن كنا نَعذُرهم، لكن لا ينبغي أن نَسكُتَ عنهم**(١)، لأن هذا لو قابلك عند الله سبحانه وتعالى وتعلق بك وقال: يا رب هذا رآني ولم ينصحني، فماذا تجيب!! فهل تقول يا رب أنا تركته من أجلك! تركته لأني أريد أن أجمع الناس حتى نصل إلى الحُكم!! والله عز وجل لا يحتاج إلى أن يُعبد أو يُتقرب إليه بمعصية، ولذلك الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جهاده ما كان يَدَعُ

(١) [بعض الناس لما يأتي يناقش في العقيدة يقول: لا هذا المسكين لمّا حَلَف بغير الله ما قَصَد، نقول: قصد ماذا؟ قال: قصد أن يحلف بالله، نقول: مَن منعه أن يُحقِّق مقصده؟! مثل مَن يريد أن يقول: جزاك الله خيراً، لكن قال: جزى الله جارك عنك خيراً! قال: لا أنا اقصده هو!، ما المانع ما الذي منعه أن يحقق قصده، إن كان يقصد الله عز وجل، وإنما هذا من تلبيس الجاهلية نفسه، الذين قالوا (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى) أي ما عبدناهم مباشرة، إنما عبدناهم لأنهم وسائط بيننا وبين الله عز وجل، فقطع الله ذلك.. وحديث (ذات أنواط)..] من محاضرة للشيخ بعنوان: (الانتماء للسلفية).

سائل يقول: [كيف التعامل مع عَوام أهل البدع، كصِغار السِّن ومن لا يدعو إلى بدعته؟

ندعوهم، لأن هؤلاء مساكين، انتشر فيهم مرضٌ لا يعرفونه، وأغلبهم ما يفهمون ما هي بدعتهم، ولذلك أنا أنصحُ الأخوة ألّا يُجادلوهم، وإنما يكسبوهم بالوُدّ، لأنك لو جئت تُجادله تأخذه العزة بالإثم، ثم يذهبُ إلى شيخه فيُضلَّه ضلالاً مبيناً، فيُحوّله من عاميٍّ إلى مُجادل، لكن خُذه بالصَّداقة والمحبة والعلاقات، فستجده قد ترك ما هو عليه؛ لأنه ما يعرف مذهبه، فنبدأ معهم بالحُسنى والإكرام والألفة، وإن شاء الله هذا ينفعهم، كما قالوا: أحسِن إلى الناس تَستعبد قلوبهم.

ويقول آخر: هل يلزم من دعوتهم الاحتكاك بهم والتعامل معهم وموافقتهم في الظاهر؟

التعامل معهم لازم في دعوتهم، تُطعمه وتَسقيه وتَقبل وليمته، لأنك ما يمكن أن تدعو إنساناً إلا وسيكون معه خُلطة، حتى يَألفك، أما الملازمة والجلوس معه في الظاهر أمام الناس حتى يظنون أنك مِنهم، فليس بلازم، وإنما تجتهد عليه وتدعوه إلى الله، تهديه كتاباً – خاصة إذا ما استطعت أن تُقيم الأدلة لتأثره بفكره معينة– فقد يكون أبلغ من كلامك]. من (أسئلة منوعة من رحلة القرين).

شيئاً مما كان يفعله الصحابة -مِن مُخالفة- إلا ويُبيّنه، وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم، وعلى هذا جرى علماؤنا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في حياتهم.

الصنف الثاني من أصحاب الفرق: **هم الدُّعاة والكُتّاب والمفكِّرون،** والذي يُفسد الأمة أو يصلحها هم المتكلمون الدعاة الكُتّاب الأئمة، هم من يجرها فساداً أو إصلاحاً، إما يهيجوها نحو حق أو يهيجوها نحو باطل، هؤلاء الناس يتخذ معهم – كما أسلفنا – خطوات:

خطوات التعامل مع أهل البدع

الأولى: **مناقشتهم بالبيان،** كما فعل ابن عباس مع الخوارج، وكما فعل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مع كثير من الناس، ومع اليهود والنصارى، مناقشة بيان وحجة وأخذ ورد[(١)]، فإن لم تُؤتِ ثمارها؛ نأتي بخطوة:

الثانية: **إعلان البراءة منهم،** كما فعل ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا لَمّا بُلّغ عن مَعبد وغيره ممن أظهروا القَدَرَ في البصرة، كانوا بعيدين عنه، لكنه حذر منهم، وأظهر البراءة منهم.

الثالثة: **نأتي بالرؤوس فتُعزّر،** كما فعل عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في قصته المشهورة مع صبيغ[(٢)]، صبيغ كانت عنده أفكار فجاء به عمر ثم بعد ذلك أخذ له شماريخ من عذق النخل وصار يضربه على رأسه، وفي روايات تقول حتى أُدْمي، فلما انتهى قال: ذهب عني الذي أجد يا أمير المؤمنين، بعد فترة وبعد وفاة عُمر وبعد دورانِ الدنيا ونشوء الأفكار من جديد، جاؤوا له فقال: (لا، أدَّبَني الرجل الصالح)، أخَذَ الدَّرس، فنَفَعَ به التَّعزير.

---

(١) المبتدع المغمور تُنكر بدعته ولا يُسمّى؛ حتى لا يكبر ويشتهر بين الناس. فإن أصر على بدعته وحفظ أدلتها ودعا إليها كان هذا مبتدعاً يُحذّر منه كما حذر السلف من أهل البدع. (ش)

(٢) أخرجه الدارمي (١٤٦)، والبزار في مسنده (٢٩٩)، والآجري في الشريعة (١٥٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١١٣٧).

ومن التعزير أيضا أن يُحْجَر -كما فعل عُمر-، فيحجر على صاحب الفكر الفاسد حتى يذهب الذي عنده، أو يُحدث الله بعد ذلك أمراً.

فنحن نستطيع أن نُناقش، نستطيع أن نُجادل، نستطيع أن نتبرأ، لكن الخطوات الأخرى للسلطان الحاكم، الذي يجب عليه أن يَحمي الأمة مِن هذا الفكر الفاسد الذي يُدمِّرها.

ولذلك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مارسوا هذا كممارسة عملية مع أخطر فِكرٍ وهو فكر الخوارج، جادلوهم مجادلةً طويلةً، حاولوا أن يعزلوهم، كما قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا نُقاتلهم حتى يُقاتلونا)[(١)]، فنصبر عليهم ونناقشهم ولا نقاتلهم، فإن قاتلونا قاتلناهم؛ ولذلك قاتلهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بقتالهم قتالاً شديداً، كما جاءت الأحاديث الكثيرة التي تُبين أنهم (شِرار الخَلْقِ والخليقة)[(٢)]، ثم أمر بقتلهم وقتالهم، وأخبر بأن الذي يقتلهم له أجر كذا وكذا[(٣)]، حتى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لأصحابه: (ولولا أني أخشى أن تتركوا العمل لأخبرتكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن قاتلهم)[(٤)].

---

(١) أخرجه أبوعُبَيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال (٥٦٧): (قال علي: لهم علينا ثلاث: أن لا نمنعهم المساجد أن يذكروا الله فيها، وأن لا نمنعهم الفيء ما دامت أيديهم مع أيدينا، وأن لا نقاتلهم حتى يقاتلونا). والبيقهي في معرفة السّنن والآثار (١٦٥٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦٧).

(٣) كما في حديث أبي سعيد الخدري: قال رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سيكونُ في أمتي اخْتلافٌ وفُرْقَةٌ، قومٌ يُحْسِنونَ القِيلَ ويُسيئونَ الفِعلَ، يقرأونَ القرآنَ لا يُجاوزُ تراقيهم، يَمْرُقونَ من الدينِ مروقَ السهم من الرمِيَّةِ، لا يَرجِعونَ حتى يرتدَ على فُوقِهِ، هم **شرُّ الخلقِ والخَليقةِ، طوبى لمَنْ قَتَلَهم وقَتَلُوهُ**، يدعونَ إلى كتابِ الله وليسوا منه في شيء، مَنْ قاتَلَهم كان أولى باللهِ منهم. قالوا: يارسول الله، ما سِيماهُم؟ قال: التَحْليقُ) أخرجه أبو داود (٤٧٦٥).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٥٢١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٧٣٤).

هنا يَردُ سؤال: إذا مَنعنا كتُبهم ومُنعوا عن الكلام؛ هل هذا يعني كبتاً للحُريّة؟ والإسلام لا يكبِتُ الحُريّات؟!

من مفهوم الحرية

يدندن الآن الكثير -حتى للأسف الشديد من الإسلاميين- على مفهوم الحرية بغير ما أراده الله سبحانه وتعالى، **الحُرّية التي نَفهمُها هي** التي لا تتعارض مع أصل العبودية، فنحن في هذه الدنيا خَلَقنا الله سبحانه وتعالى عبيداً له، لسنا أحراراً بأن نتصرَّف في هذا الكون وفي أنفسنا وفي أموالنا وفي زوجاتنا وأولادنا كما نشتهي، إذاً ليس في الكلام فقط، بل في مالك لستَ حراً تفعل فيه كما تشاء، وفي نفسك لستَ حراً تفعل فيها كما تشاء، وفي ولدك وبيتك، بل وفي الحيوانات والبهائم والأشجار لستَ حراً تفعل كما تشاء، **فحُريَّة العبد لها حدود.**

فلماذا يُدَندَن على: هذه حُريّة للكلمة لا تُمنع! وحُرية الخطابة لا تُمنع! **حريات كثيرة مُنِعتَ منها**، مَنَعك الله في أخص خصوصياتك، مُنعتَ أن تبدي رأيك في الناس فتقول: هذا قصير وهذا طويل، وهذا فيه كذا وهذا فيه كذا، فمعظم ما مُنِعنا منه في الحقيقة هو مما يأتي على الإنسان بضرر، فمُنعنا أن يبيع الرجل على بيع أخيه، أو أن يخطب على خطبة أخيه، أو أن يغتاب أخاه، لأجل ألا يتأثر هذا المسلم، فحماية المسلم ألا يتأثر هو مطلب ديني، حماية الدين مطلب أولي، فإذا كان زوال السماوات والأرض أهون عند الله من إراقة قطرة دم عبد مؤمن، فدين الله سبحانه وتعالى أهم من هذا الإنسان، إذاً لَم يقال: (أنها حُرية!).

فيجب أن نعلم أنها حُرية عبد مملوك لله رب العالمين يَسير في إطار معين، وليست الحرية المطلقة، فهل إذاً نحن أحرارٌ في أن نقول ما نشاء؟ الجواب: لا؛ لأن ربنا سبحانه وتعالى قال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ

﴿ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨].

الحاكم وكبت الحريات

فهل هذا الذي يقوم به الحاكم بما يُسمى بكبت حريات بعض الناس أو الحَجر عليهم؛ يتعارض مع الحرية الشخصية؟

الجواب: **إن فَعَله تعسُّفاً وظلماً وحمايةً لسلطانه فنعم، وإن فَعَله حماية للدين ودفاعاً عما أمر الله سبحانه وتعالى به، فلا شك أن هذا هو ما أمر الله سبحانه وتعالى به**، وهذا الذي قال عنه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: (من بدَّل دينه فاقتلوه)(١)، فقبل أن تُسلِم أنت حُر، فلا إكراه في الدين، تبقى يهودياً تبقى نصرانياً أنت حرٌّ في الدنيا، أما الآخرة فمصيرك النار، لكن إذا دخلت في الإسلام ما أصبحتَ حراً، فعليك أن تلتزم تعاليمه لكي تنجو عند الله.

الموقف منهم عقائدي لا اجتهادي

هل هذه الطريقة التي قام بها السلف رضوان الله عليهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم ناتجة فقط من اجتهاد؟ الجواب: لا، **وإنما هي تنفيذٌ لأمر الله سبحانه وتعالى**، - فكما ذكرنا - أن الموقف من الفرق ليس موقفاً اجتهادياً، وإنما هو موقف شرعي عقائدي يجب أن نعتقده، وليست المسألة أهواء، وإنما نحن عبيد نَقِفُ حيث أمرنا الله سبحانه وتعالى ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وقد فَهِمَ هذا الموقف الصحابة رضوان الله عليهم هم أعلام الهدى، وهذه تحذيراتهم من أهل الأهواء والبدع، وهذا فِعلهم منصوص عليه في كتبهم المبينة لذلك.(٢)

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧)، وأحمد (٢٩٦٦)، وأبو داود (٤٣٥١).
(٢) ومن هذه الكتب: كتاب (السُّنّة) لعبدالله بن أحمد بن حنبل، (الشريعة) للآجري، (السنة) للخَلّال، (الحُجّة في بيان المحجة) لقوام السنة الأصبهاني، (السنة) لابن أبي عاصم، (شرح أصول

خلاصة الأمر أن أساس مشكلة العالَم الإسلامي الآن وأساس استمرار الفرق في التوسّع؛ أنها تُجامَل في هذا العصر، لذلك في العهود القديمة كان هناك حزمٌ من علمائنا كالإمام أحمد والشافعي ومالك وغيرهم، بل إن بعضهم كان يأتيه المبتدع وهو إمام فيقول: أريد سماع حديثٍ منك، فيقول: إما أن تقوم وإما أقوم، لماذا؟ لا يريد أن يجلس هذا المبتدع عنده مع الناس؛ فإذا ذهب الإمام رمى له بكلمة (شُبهة).

ولذلك نقول أنه **يجب على الدعاة إلى الله عز وجل، وعلى المشايخ؛ أن يُصَفّوا مجالسهم من كل من فيه هوى، وكل من عُرف ببدعة**، وذلك حتى لا يضل الناس بعد الهداية.

إذاً لدينا مَوقِفين من أهل البدع: **موقف الخَلَف** بجماعاتهم ومشايخهم وهو التجميع، وأننا جميعاً على خير! الرافضي والقدري والمعتزلي والأشعري والإباضي والخارجي كلنا على خير؛ ماذا تريدون؟ قالوا نريد الحُكم ومحاربة العلمانية!! هذا الوهم الجديد.(١)

=اعتقاد أهل السنة والجماعة) للالكائي، (شرح السنة) للبربهاري، (الإبانة) لابن بطة العكبري، (صريح السنة) للطَّبَري، (منهاج السنة النبوية) لابن تيمية، وغيرها.

(١) [بعض الناس يطرح قضية: **لماذا لا يُوفَّق بين الجماعات**؟ وأنا أسألكم يا إخوان سؤال: هل قرأتم قط أن أحداً من الأولين من سنة ١٩٢٠ أو ١٩٣٥ في عصر الجماعات قال: لماذا لا نُوحد أو نقرّب بين الأشاعرة والمعتزلة، وبين الأشاعرة والماتريدية، أو بين الرافضة وأهل السُّنة، أو بين النقشبندية والرفاعية، وبين الشاذلية والتيجانية، ما سمعنا بهذا؟! وأنا أطلب من كل طالبِ علمٍ أن يبحث في الكتب، فإن وَجد أحداً من الأولين من أهل الضلال أو أهل الهدى طَلب هذا المطلب فإلينا به، لأن الأولين يَعرفون بأن الأشاعرة والمعتزلة لا يُمكن أن يجتمعوا، فما نادى أحدٌ بهذا التناقض إلا في عصرنا هذا! ولا أدري كيف استطاع الأفغاني -وهو الأسد أبادي (في إيران) رافضي خبيث عاقبه الله بما يستحق- قد أدخل هذه البدعة في عقول الناس فطَغت، **وهي ما يُسمى بـ(الوحدة الإسلامية) أو (الجامعة الإسلامية)**.. وكانت أولاً في إطار أهل السنة، والآن أدخلوا معهم الرافضة! ولعل المستقبل يُدخلون معهم القاديانية والبهائية! والله أعلم لِما ستئول إليه الأمور، فهذا منطلق فاسد؛ **القصد منه هو فقط ألا يقوم أهل التوحيد بدعوتهم**، وإلا فما

أما **موقف السَّلف** وهو أن الخير فيما عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وما عدا ذلك فإنما هو انحراف وضلال كما أخبر المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم يقربون ويبعدون من هذا الانحراف بقربهم وبعدهم من الجادة التي رسمها لنا ربنا سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

التجميع أم التمييز

إذاً في الدنيا خَطَّان: خط يرى التجميع مع أهل البدع والأهواء وهو **التجانس**، وخط يرى **التمايز**، طريق السلف منذ عهد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، لَمّا جاء ذلك الرجل إلى ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وقال له: إني أحبك في الله فقال: وأما أنا فأبغضك في الله، لأنك تَلحَن في أذانك وتأخذ عليه أجراً.(١)

سبحان الله هل معنى ذلك أن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا -على لغة إخواننا المعاصرين- ما عنده أسلوب دعوة! لأن ابن عمر أراد أن يُغلِّظ على هذا الرجل هنا لِيُعلّمه، ويبين له أنه قد وقع في انحراف لِينجو بنفسه، وشِدَّة

=المانع إذا أخطأ الرجل أن يقوّم، يعني إذا الرافضي سب عثمان هاجمناه، أما واحد ثاني يسب عثمان نقول: لا هذا مسكين هذا من (أبناء الحركة الإسلامية)!! وأصبح الآن (قادة) الجماعات الإسلامية لهم العِصمة أكثر من العِصمة التي أُعطيت للخلفاء الأربعة!!

فأقول يجب أن نُظهر ما وفَّقنا الله عز وجل إليه من اتِّباع السلف، ومن البَيان الذي هدانا الله عز وجل إليه، وأن ندعو إلى الله سبحانه وتعالى كل أرباب الجماعات، **ما بيننا وبين أحد عداوة، نحن نحبهم في الله بمقدار ما فيهم من دين، فندعوهم إلى طريقة السلف**، نحب لهم الهداية والخير، ولكن نكره هذا التلفيق وهذه التعميمة التي يُراد بها أن تضيع هوية الأمة المسلمة، التي هداها الله عز وجل إلى هذا المنهج]. من محاضرة للشيخ بعنوان: (لماذا اخترنا السلفية).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٠٥٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٤/ ٢٩٠).

[ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لم يُكفِّره، وإنما يُبغض المبتدع، ولأن اللَّحن في الأذان بدعة، خاصة (تمطيط الأذان) مثل ما يُفعل هذه الأيام، فتَبرَّأ منه ابن عمر، وبيَّن أنه يبغضه في الله. ولكن قد لا يَصلح لكل إنسان مبتدع نذكر له ذلك، فتَنظُر إلى ما يَنفعه، **قد ترى أحياناً الكلمة القاسية تُعالِج، وأحياناً ترى الكلمة اللطيفة تعالِج**، والداعي إلى الله عز وجل حكيم، والحِكمة كما قيل: وضع الشيء في موضعه ونصابه، **وليس ما يفهمه بعضهم: أن الحكمة هي اللين المطلق!** فأحياناً الضَّرب حِكمة، والابتسامة والهدية حِكمة]. (ش)

ابـن عمـر لـه في الدنيا؛ أهـون لـه مـن عـذاب النـار.

ومـن ينـادي بالتجانـس ويَدَّعـي أننـا كلنـا أمـة واحـدة، بـما فينا مـن مذاهـب شـتى وخلافـات؛ فهـذا الـدرب عمـره قصـير، بـل هـذا هـو وصـفُ غـير المسـلمين، كـما قـال سـبحانه وتعـالى: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾ [الحشر:١٤]، لأنهـم يبدعـون ويكفـرون بعضهـم بعضـاً، ولكنهـم تحـت سـقف المصلحـة الواحـدة، وأما سَـلَفُنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ فعلَّمونـا أن نقـول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٥٣].، وعلمونـا أن نقـول: (وخـير الهـدي هـدي محمـد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمـور محدثاتهـا)[١].

إذاً خطـر الفكـرة أشـد مـن خطـر الأمـراض البدنيـة، وأن أسـاس البـلاء هـو عقـل الإنسـان، وجَرَّبنـا أن مـن دَخَـل فيـه الهـوى ودخلـت فيـه البدعـة مـن أصحـاب الأهـواء هـؤلاء لا تخـرُج منـه، إلا أن يشـاء الله.

هل استطاعت الحركة الإسلامية المعاصرة أن تُجمِّع المسلمين؟[٢]

لأنهـم يقولـون: إنكـم تَدعُـون إلى وضـوح عقيـدة، ووضـوح فِقـه، وهـذا يُفـرّق المسلمين! والحركـة الإسـلامية المعـاصرة تريـد أن تُجمِّـع المسـلمين.

ونقول لنناقش القَضية:

رد شبهة: أن السلفيين يُفرّقون المسلمين

الحركـة الإسـلامية بـدأت في مـصر -كـما يزعمـون- بعـد وفـاة (البَنَّـا) رحمـه الله اختلفـوا، عـلى مـن يَـرث البَنَّـا، فَخَـرَجَ (سـيّد سـابق)[٣] مـن جِهـة،

(١) أخرجه البخاري (٧٢٧٧)، ومسلم (٨٦٧).

(٢) مـا تحـت هـذا العنـوان إلى نهايـة المبحـث مـن محـاضرة: (نظـرات في واقـع الجماعـات الإسـلامية المعـاصرة ج١).

(٣) سـأورد تراجـم مختـصرة لهـؤلاء الأعـلام الآتي ذكرهـم (وأغلبهـا مـن موقِعهـم الإلكـتروني «إخـوان

وخَـرَج (الباقـوري) مـن جهـة، وخـرج (محمـد الغـزالي) مـن جهـة، وخـرج (عبدالعزيـز كامـل) مـن جهـة، وهـؤلاء كانـوا في ذلـك الوقـت مـن كبـار رؤوس حركـة الإخـوان، اختلفـوا في دخـول الـوزارة فَقَبِلهـا (الباقـوري) فطُـرد أو جـرى لـه معهـم خـلاف، وخرجـت (زينـب الغـزالي) مـن جهـة، فالحركـة تفككـت.

=ويكـي» الموسـوعة التاريخيـة الرسـمية لجماعـة الإخـوان)، مرتبـين حسـب ورودهـم، دون تكـرار مَـن بيّنـا ترجمتـه قبـل ذلـك في الكتـاب:

الشـيخ سـيد سـابق: ولـد سـنة (١٩١٥-٢٠٠٠م) في اسـطنها بالمنوفيـة، وتخـرج مـن كليـة الشريعـة بالأزهـر، والتحـق بجماعـة الإخـوان المسـلمين، وعمـل أسـتاذاً في جامعـة أم القـرى بالسـعودية، مـن مؤلفاتـه: (فقـه السـنة) وهـو أشـهرها، ألفـه بتكليـف مـن حسـن البنـا، (العقائـد الإسـلامية)، (إسـلامنا). [ذيـل الأعـلام ٢/ ٨٠].

الشـيخ أحمـد حسـن الباقـوري: ولـد سـنة (١٩٠٧-١٩٨٥م) في قريـة باقـور بأسـيوط، تخـرج مـن الأزهـر بتخصـص البلاغـة والأدب، كان أحـد المرشـحين الأربعـة لخلافـة المرشـد حسـن البنـا، مـع أحمـد عبدالرحمـن البنـا شـقيق حسـن، وصالـح عشـماوي، وعبدالحكيم عابديـن، ولمـا لم يتـم الاتفـاق عـلى أحدهـم جـاء ترشـيح الأسـتاذ حسـن الهضيبـي، ولمـا شـكل عبدالنـاصر وزارتـه طلـب مـن الباقـوري قبـول منصـب وزيـر الأوقـاف فقَبِـل، مخالفـاً بذلـك موقـف مكتـب الإرشـاد وجماعـة الإخـوان، فقـدم اسـتقالته مـن الجماعـة، قـضى بالـوزارة سـبع سـنوات (١٩٥٢-١٩٥٩م) وقـد أقالـه عبدالنـاصر إثـر تنصتـه لمكالمـة هاتفيـة مـع المحقـق الأسـتاذ محمـود شـاكر وهـو ينتقـد حكومـة عبدالنـاصر، مـن مؤلفاتـه: (أثـر القـرآن في اللغـة العربيـة) وهـي رسـالته العالميـة بتقديـم طـه حسـين، (سـيكولوجية التصـوف)، (إخـوان الصفـا ودورهـم في التفكـير الإسـلامي).

د.عبدالعزيـز كامـل: ولـد سـنة (١٩١٩-١٩٩١م) في الإسـكندرية، تخـرج مـن كليـة الآداب، وعـين أسـتاذاً للجغرافيـا في جامعـة القاهـرة، وكان مـن رؤوس جماعـة الإخـوان ثـم اسـتقال منهـا، وعُـين وزيـراً للأوقـاف وشـؤون الأزهـر، سـنة ١٩٧٠م أيـام أنـور السـادات، وعـين مديـراً لجامعـة الكويـت (١٩٧٢-١٩٧٣م)، ولـه مذكـرات طبعـت بعـد وفاتـه بخمـس عـشرة سـنة بعنـوان (في نهـر الحيـاة).

زينـب محمـد الغـزالي الجبيـلي: ولـدت سـنة (١٩١٩-٢٠٠٥م) بإحـدى قـرى محافظـة الدقهليـة، انتقلـت إلى القاهـرة بعـد وفـاة والدهـا، وأكملـت تعليمهـا رغـم رفـض أخيهـا الأكـبر، وتعلمـت عـلى يـد بعـض مشـايخ الأزهـر: محمـد النجـار وعـلي محفـوظ، أسسـت (جمعيـة السـيدات المسـلمات) بعـد أن تركـت الاتحـاد النسـائي الـذي تتزعمـه هـدى شـعراوي، وانظمـت لجماعـة الإخـوان، وتأثـرت بشـخصية حسـن البنـا وحسـن الهضيبـي، وألفـت كتـاب: (أيـام مـن حيـاتي).

إذاً بداية الحَركة ما جَمَّعت المسلمين، فمِن أوّلِ يوم بعد وفاته رحمه الله تَفَكَّكت، وكذلك ضاعت الحركة في سورية أيضاً، فـ (السِّباعي) وهو مُرشِد عام الجماعة في سورية كان يُخالف البَنّا، في كثيرٍ من القضايا، ففي الوقت الذي كان البَنّا عضواً في لجنة التقريب بين السنة والشيعة، كان (السّباعي) يرى أن التقريب من المستحيلات، فلم يكونوا على وِئام.(١)

---

(١) [**حركة الإخوان المسلمين** التي أنشأها البنا رحمه الله كانت تهدف إلى إصلاح بعض جوانب الخطأ، التي كانت موجودة في المجتمع المصري، ولم تكن هي الحركة العالمية التي تَطرح الإسلام كله، فإن الشيخ البنا رحمه الله لم يطرح القضايا العقائدية والمنهجية والانحرافات التي كانت عليها الأمة، بل إنه لم يكن عنده وضوح رؤية حتى في أصل الخلاف بين المدارس الفكرية القديمة، كالمعتزلة والأشاعرة ومنهج السلف، وبالتالي ظن أن منهج السلف – كما في كتابه العقائد– هو التفويض، وقال أن المعتزلة كانوا يريدون تنزيه الخالق، فهم يريدون الخير، فلا داعي للخلاف! وهذا في الحقيقة تجهيل للسلف والخلف معاً، فإن الدنيا قامت على أن هناك مدارس مختلفة.

ولذلك نحن نرى أن إعطاء الشيخ البنا هذه الهالة التي أُعطِيَت له ولمنهجه، ليست بصحيحة، فالرجل ليس عنده منهج واضح المعالم لشرح ما هو الإسلام، وما موقفه من الشرك، وما موقفه من البدع، وما موقفه من الرافضة، وما موقفه من الصوفية، كل هذا كان كلامه فيها متداخلاً غير واضح، مما جعله أن يكون عضواً في جماعة التقريب بين السنة والشيعة في مصر في ذلك الوقت.

ونحن لا نَبخس الناس أشياءهم، فلا نقول أن الرجل ليس عنده خير، فكان له فضل وجهاد واجتهاد على قدر ما أوتيه من علم، على قاعدة (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) [الاعراف:٨٥]، و(وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) [البقرة:٢٣٧]، ولكن ليس هو الإمام المجدد الذي يوصف، وتعاليمه التي تُكتب، فإن هذه التعاليم في الحقيقة تجمع بين السُّني والرافضي والصوفي، وهذا هو خلاف الإسلام الصحيح الذي يُفرز المذاهب إلى مذهب حق ومذهب باطل.

الأمر الثاني: أن الإخوان بعد وفاة البنا –ودخول الاتجاهات الفكرية الكثيرة– ضاعت معالم المنهج التي وضعها البنا، فإخوان اليوم في غالبية أطروحاتهم فُصِّلت على مقتضى بلدانهم، بل في البلد الواحد تجدهم مذاهب، فإذا جئت للسودان ففيها مذهبين منهم، وفي سورية مذهبين، وفي مصر مذهبين أو ثلاثة، وفي الخليج كذلك، ففي كل بلد أصبحت فيها مذاهب متداخلة فيما بينها.

وخلاصة ما نقول أننا **نرى أن منهج الإخوان** فيه من الأخطاء والابتعاد عن منهج الكتاب والسنة الكثير، مما لا يجعله المذهب المؤهل لجمع الناس ولعودة الإسلام من جديد، وبالتالي

واقع تاريخي من اختلاف الجماعة الواحدة

وفي الوقت الذي يُهاجم (البَنّا) النصارى، كان (السّباعي) يقول في برلمان سورية سنة ١٩٥٢م: لا أقول دينان يتصارعان، وإنما دينان يتعاونان على صُنع القومية العربية الخالدة! إذاً ليس هناك وِفاق.

وترى الإخوان في فلسطين يجاهدون اليهود، والبَنّا يُقرر في مؤتمر للأمريكان في ذلك الوقت: بأن الخِلاف مع اليهود ليس خلافاً دينياً، وإنما خلافنا مع اليهود خلافٌ اقتصاديٌّ! ويقول القرآن أوصانا باليهود خيراً!

والإخوان ما يُحبون هذا الكلام، ولكنهم نشروه بأنفسهم[(١)]، نشره رجل من الهيئة التأسيسية وهو (محمود عبدالحليم)[(٢)]، وعقَّب عليه

=هو فشل حتى في تجميع الإخوان.

أما السلفيون الآن ليس عندهم تنظيم عالمي، ولكنهم فكرياً ومنهجياً هم على اتفاق، فلو جئت تسأل سلفياً بأي مكان في العالم عن حكم الذبح لغير الله، فكان جوابهم واحداً، أو جئت تسألهم عن حكم التحاكم إلى الكتاب والسنة، أو اتباع منهج الصحابة، فالجواب واحد، والكثير من القضايا، ولذلك حتى مواقفهم السياسية فالغالب هي متقاربة، لتقارب المنهج] من محاضرة للشيخ: (لقاء في بريطانيا) وكان سنة ١٩٩١م تقريباً.

(١) جاء في كتاب محمود عبدالحليم (الإخوان المسلمون أحداثٌ صَنَعت التاريخ ١/ ٤٠٩)، بعد ذكر دور اللجنة البريطانية الأمريكية في طوافها بالبلاد العربية لتحقيق مآرب اليهود لاحتلال فلسطين، فعقدت جلستين في مصر ٥/ ٣/ ١٩٤٦م وحضر الجلسة عدة شخصيات منهم المرشد العام، فقال: «وقد استهل الشيخ البنا كلمته بالاعتذار عن إلقاءها باللغة الإنجليزية... واستطرد قائلاً: باسم الإخوان المسلمين أؤيد ما أعلنه العرب وزعماؤهم ومندوبوهم وكذلك الجامعة العربية. والناحية التي سأتحدث عنها... **فأُقرِّر أن خصومتنا لليهود ليست دينية**، لأن القرآن الكريم حَضَّ على مُصافاتهم ومصادقتهم، والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة قومية، وقد أثنى عليهم وجعل بيننا وبينهم اتفاقاً (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ). وحينما أراد القرآن الكريم أن يتناول مسألة اليهود تناولها من الوجهة الاقتصادية والقانونية فقال تعالى وهو أصدق القائلين: (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا. وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ)..»

(٢) نُكمل تراجمهم كما بيَّنا سابقاً:

(مصطفى مشهور) وأكَّد أن كل ما في هذا الكتاب صحيح! ولذلك دَندنةُ (حركة حماس) الآن على الصراع مع اليهود وأن لهم تاريخاً في تحرير فلسطين، فهذا يناقِض كلام المرشد العام البَنّا أنه ليس بيننا وبين اليهود صِراع ديني!

وكذلك يأتي (التِّلمِساني) ويقول أنه ليس بيننا وبين النصارى خِلاف، وذكر ذلك في مجلة الدعوة.

خروج وتفريخ جماعات من الإخوان

إذاً حركة الإخوان -ويُسمونها الحركة الأم- اختلفت، جاءت لتجمع المسلمين، فما استطاعت أن تجمع عشرة، وانقسموا بعد ذلك إلى طرقٍ ومذاهب، ثم بعد ذلك انقسمت الحركة في سورية، فجاء (عِصام العطّار)[(١)] وهو من حيث الأسماء والصفات عنده سلفية، وكاد الأمر

=**محمود محمد عبدالحليم حسن**: ولد سنة (١٩١٧-١٩٩٩م) في مدينة رشيد، انتقل إلى الإسكندرية لاستكمال دراسته الثانوية، ثم التحق بكلية الزراعة بالقاهرة، وبها التقى بالشيخ حسن البنا بالغورية، وانظم مع الجماعة بعدها، وفي سنة ١٩٤٠م أنشأ البنا (النظام الخاص) وعهد إلى خمسة من أعضاء الجماعة -وكان أحدهم محمود- إلى ترتيبه وتدريب المتنسبين له عسكرياً ودينياً، وظل محمود أحد أوائل أعضاء الهيئة التأسيسية للجماعة، حتى بعد حلّها ومصادرة أملاكها سنة ١٩٤٨م وألف أشهر الكتب عن تاريخ الجماعة بعنوان: (الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ) .

مصطفى مشهور: ولد سنة (١٩٢١-٢٠٠٢م) قرية السعديين بمحافظة الشرقية بمصر، وتخرج من كلية العلوم جامعة فؤاد الأول (القاهرة حالياً)، وعمل بمصلحة الأرصاد الجوية، والتحق بجماعة الإخوان (١٩٣٩م) وبعدها بالجهاز الخاص (السِّري) للجماعة، وصار الساعد الأيمن للمرشد العام التلمساني وبعده أبوالنصر، ثم انتخب مرشداً عاماً للجماعة وبايعوه (١٩٩٦م) لمدة ست سنوات، وجدد له مرة أخرى المدة نفسها.

عمر عبدالفتاح التلمساني: ولد سنة (١٩٠٤-١٩٨٦م) في الغورية بالقاهرة، من أصل جزائري ببلدة تلمسان، تخرج من كلية الحقوق، وافتتح مكتباً للمحاماة، والتحق بجماعة الإخوان وبايع البنّا سنة ١٩٣٣م، وكان أول محامٍ للجماعة، واختير مرشداً عاماً بعد حسن الهضيبي (١٩٧٣م)، وله من الكتب: (شهيد المحراب)، (بعض ما علّمني الإخوان المسلمون)، (ذكريات لا مذكرات). [ينظر ذيل الأعلام ١/ ١١٤].

(١) نُكمل تراجمهم كما بيَّنا سابقاً:

أن يـؤول إلى (عبدالفتـاح أبوغـدة)، وكان يَسُـبّ الوهابيـة بالمساجد، لكـن لما جـاء إلى الريـاض للعمـل اضطـرّ أن يجاملهـم، فلـم يَسُـب ابـن تيميـة ولكنـه لم يثنـي عليـه، وإنـما ذكـر أنـه عبقـري، وقـد تقـول عـن كافـر أنـه عَبقـري، فظَـنَّ

=عِصـام رضـا العطـار: ولـد سـنة (١٩٢٧م)، اختـير –بعـد وفـاة السِّـباعي– مراقبـاً عامـاً لجماعـة الإخـوان في سـورية (١٩٦٤-١٩٧٣م)، وكان في منفـاه في بروكسـل ببلجيـكا ثـم في آخـن بألمانيـا، تـزوج مـن ابنـة الشـيخ الأديـب عـلي الطنطـاوي، مـن مؤلفاتـه: (في قضيـة فلسـطين)، (مـن بقايـا الأيـام)، (يجـب أن يبـدأ في أنفسـنا التحـوّل).

عبدالفتـاح بـن محمـد أبوغـدة: ولـد سـنة (١٩١٧-١٩٩٧م) بحلـب سـورية، وتخـرج مـن الأزهـر، وعمـل أسـتاذاً بكليـة الشريعـة بالريـاض، وفي المعهـد العـالي للقضـاء، واختـير مراقبـاً عامـاً لجماعـة للإخـوان المسـلمين في سـورية مرتـين (١٩٦٩-١٩٧٥م) و(١٩٨٦-١٩٩٠م)، حنفـي المذهـب عـالم بالحديـث، ومـن أبـرز شـيوخه محمـد زاهـد الكوثـري، مـن مؤلفاتـه: (صفحـات مـن صـبر العلـماء)، (العلـماء العـزاب)، (الجمـع والترتيـب لجامـع الخطيـب) والعديـد مـن التحقيقـات. [ذيـل الأعـلام ٢/ ١١١].

د.غـازي التوبـة: ولـد سـنة ١٩٣٩م، ببلـدة صفوريـة في فلسـطين، أكمـل دراسـته الثانويـة بحمـص، وتخـرج مـن جامعـة دمشـق، وحصـل عـلى الدكتـوراه مـن نيومكسـيكو بأمريـكا، عمـل بالحقـل التربـوي والتعليمـي في عـدة دول عربيـة، ومنهـا في الكويـت (١٩٧٤-١٩٩٠م)، مـن مؤلفاتـه: (الفكـر الإسـلامي المعـاصر دراسـة وتقويـم)، (الجماعـة في الإسـلام المشروعيـة والإطـار)، (أبـو الأعـلى المـودودي فكـره ومنهجـه في التغيـير)، (إشـكالية النهضـة: بـين الفكـر القومـي العـربي والصحـوة الإسـلامية)، وآخرهـا: (آراء الدكتـور سـعد الديـن العثـماني في السُّـنة والحُكـم، تحليـل وتقويـم). [مـن صفحتـه عـلى (الفيسـبوك) وينظـر موقعـه الإلكـتروني: منـبر الأمـة الإسـلامية للدراسـات والبحـوث].

صـادق عبـدالله عبدالماجـد: ولـد سـنة (١٩٢٦-٢٠١٨م) بمدينـة الرهـد في بورتسـودان، أكمـل دراسـته الثانويـة في مـصر، والتحـق بجامعـة فـؤاد كليـة القانـون، واتصـل أثنـاء الدراسـة بالشـيخ حسـن البنـا، وتـرأس تحريـر مجلـة الإخـوان سـنة ١٩٥٦م وصـار مراقبـاً عامـاً للجماعـة في السـودان، وعمـل بالسـعودية والكويـت، واختلـف مـع جنـاح «حسـن الـترابي» وصـار بينهـما جِـدار، لأنـه تَصالـح مـع النمـيري، و(صـادق) يـرى المعارضـة.

جعفـر شـيخ ادريـس: ولـد سـنة ١٩٣١م بمدينـة بورسـودان شرق السـودان، تـرك طريقـة أهلـه في التصـوف وتأثـر بقريـب لـه كان مـن جماعـة أنصـار السـنة المحمديـة، واصـل دراسـته الثانويـة في الخرطـوم وانضـم إلى (حركـة التحريـر الإسـلامي) التـي صـارت فيـما بعـد جماعـة الإخـوان، وتأثـرت بكتابـات سـيد قطـب، التحـق بجامعـة الخرطـوم كليـة الآداب تخصـص فلسـفة، درَّس في جامعـات السـعودية، فلـمّا تقاعـد مـن جامعـة الإمـام محمـد بـن سـعود ١٩٩٧م أسـس الجامعـة الأمريكيـة المفتوحـة، مـن مؤلفاتـه: (الفيزيـاء ووجـود الخالـق)، (نظـرات في منهـج العمـل الإسـلامي).

الذي لا يَعرف أن عبدالفتاح يُثني على ابن تيمية، وهذا غير صحيح.

ثم بعد ذلك خرج (عِصام العطّار) عن الخط العام فأسس له جماعة في ألمانيا، ثم خَرج من الجماعة الأم (غازي التوبة) فأسَّسَ له جماعة، وبعده خرج (محمد سرور زين العابدين) فأسس جماعة في السعودية، ثم انتقل إلى لندن بعد ذلك فأسس (المنتدى) و(مجلة السنة)، وصار لهم جماعتين في ألمانيا، واحدة في (آخن) والأخرى في (ميونخ)، يسُبّون بَعضهم سَباً.

وفي السودان كذلك جماعات ومذاهب، هذا جماعة (صادق عبدالله) و(د. جعفر شيخ إدريس) لهم خط، و(الترابي) له خط آخر في ضلاله وانحرافه وحربه للإسلام، وهو من لَخبَط قضية السُّنة عند القذافي، لأن الترابي قرآني لا يؤمن بالسنة.

سبب عدم استطاعتهم جَمع المسلمين

إذاً الحركة الإسلامية لم تستطع أن تُجمِّع نفسها، فكيف تُريد أن تجمع الأمة؟! هذه قضية يجب أن ننتَبه لها، إذاً بقيت الأمة في شتاتها وخلافاتها، **والسبب أن هذه الحركة الأم ليس لها مقوِّمات الجَمع**، وأبرز مثال هي القضية الأفغانية، فهذه الحركة الإسلامية بكل جهادها ما استطاعت أن تَجمع هؤلاء المجاهدين في إطار واحد كي يحرروا بلادهم، ولذلك لما ذهب (الزَّنداني)(١) ومعه وفدٌ من الإخوان للشيخ (جميل الرحمٰن) رحمه

(١) نُكمل تراجمُهم كما بيَّنا سابقاً:

عبدالمجيد بن عزيز الزنداني: ولد سنة ١٩٤٢م بمحافظة إب في اليمن، أكمل دراسته النظامية في عَدَن، ثم التحق بكلية الصيدلة في مصر، واتصل بجماعة الإخوان هناك، وصار رئيس مجلس شورى جماعة الإخوان في اليمن، عاش بالسعودية حقبة من الزمن، مؤسس جامعة الإيمان الشرعية باليمن، ومؤسس الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، من كتبه: (علم الإيمان)، (طريق الإيمان).

جميل الرحمن: ولد سنة (١٩٣٩-١٩٩١م)، دَرَس في أول نشأته على أحد المشايخ الباكستانيين وكان حنفياً ماتريدياً، ولكن كان «الشيخ جميل الرحمن» ذكِيّاً، فاستَقَلَّ بنفسه وطالع كتب شيخ

الله، قالوا له: لماذا أنت تُفرِّق المسلمين؟ وهذه يُردِّدونها في كل مكان! كلّما قام داعية سلفي قالوا له لماذا أنت تُفرِّق المسلمين؟! وكأن المسلمين أمة واحدة! وعلى قلبِ رجلٍ واحد! فقال لهم: أنا مُستعد، هؤلاء الأحزاب الأفغانية ثمانية، فمَع مَنْ منهم سأكون؟! وهل سيتم الاجتماع أم بقي

=الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيرهم، فوقع فيه التغيير حتى صار سَلَفياً، وقام بدعوته في أفغانستان بولاية كُنَر، وأسس (جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة)، وجاهد الاحتلال السوفييتي، وله تواصل مستمر مع علماء السعودية، ومنها لقاء مجلتهم (المجاهد) مع الشيخ ابن باز رحمه الله، العدد العاشر (صَفر ١٤١٠هـ)، ينظر (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٥/ ١٥١). وقد تآمرت الأحزاب بزعامة (حِكمتيار) على اغتياله بعدما أعلن (حكومته الإسلامية) في ولاية كُنَر، فَقَتَلوه بتاريخ ٢٠/ ٢/ ١٤١٢هـ بإطلاق الرَّصاص، وأصدرت جماعته بياناً منشوراً بذلك. وكتب الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله كتاباً بعنوان: (مقتل الشيخ جميل الرحمن الأفغاني).

د.عمر عبدالرحمن: ولد سنة (١٩٣٨-٢٠١٧م) بمدينة الجمالية بالدقهلية، تخرج من كلية أصول الدين بالقاهرة، وحصل على الدكتوراه وعنوان رسالته: (موقف القرآن من خصومه كما تصوره سورة التوبة)، واشتهر بمعارضته لنظام السادات، فصار زعيماً ومفتياً يرأس الجماعة الإسلامية (جماعة الجهاد)، سافر إلى أمريكا واعتقل هناك بتهمة التورط بتفجيرات نيويورك ١٩٩٣م ومكث بالسجن إلى وفاته رحمه الله.

عدنان سعد الدين: ولد سنة (١٩٢٩-٢٠١٠م) في حماة سورية، وتخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة تخصص اللغة العربية، اختير مراقباً عاماً في سورية مرتين (١٩٧٦-١٩٨١م)، (١٩٨٦-١٩٩٦م)، من مؤلفاته: (الإخوان المسلمون في سورية: مذكرات وذكريات) في خمس مجلدات.

عدنان عقله: ولد سنة (١٩٥٠-١٩٨٢م) بالقنيطرة سورية، درس الهندسة المدنية، وخدم ضابطاً بالجيش السوري، والتحق بجماعة الإخوان ثم فصلته بعد ذلك، وكان يتزعم حركة مسلحة تسمى (الطليعة المقاتلة)، حيث بدأت بانتفاضة ضد الحكومة السورية، وأعلنت تبنيها لحادثة (المدفعية) سنة ١٩٧٩م التي أسفرت عن قتل العشرات من النصيريين، وقد تبرأت من هذه الحادثة جماعة الإخوان.

سعيد حَوّى: ولد سنة (١٩٣٥-١٩٨٩م) بحماة سورية، تخرج من كلية الشريعة بدمشق، وعمل مع الصوفية والتحق بجماعة الإخوان المسلمين، وعمل مُدرّساً بالسعودية خمس سنوات، من مؤلفاته: (الأساس في السنة وفقهها)، (الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص)، (المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين). [ذيل الأعلام ١/ ٩٣]، وكتب الشيخ سليم الهلالي رسالة بعنوان: (مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويم) سنة ١٩٨٣م

الاختلاف؟! فلم يجدوا جواباً.

ثم قال لهم: إن هؤلاء الأحزاب كلهم في العقيدة ماتريدية، فهم لا يرون بأساً بالتبرك والاستغاثة بأصحاب القبور -وإن جاملوا العرب-.

ولذلك تحدَّيناهم مِراراً أن يطبعوا صفحة بلغة البشتو مُوَقَّعة بأسمائهم تُحذِّر مِن القُبور والشِّرك، فلم يَفعلوا! إذاً هم في العقائد سواء، وفي الفِقه كلهم على مذهب الأحناف، وهَدَفهم تحرير البلاد، فعوامل الاتفاق واضحة بينهم، فلماذا هذه الحركة الإسلامية ما اتَّفَقت؟!

أما أنا - والكلام للشيخ جميل الرحمٰن-: فلو سألني ربي لماذا لم تكن معهم؟ فأقول هؤلاء لا يُقرّون أنك في السماء وأنا أُقر، وهؤلاء يُجيزون الاستغاثة بالقبور، وأنا أراها شركاً، وهؤلاء مقلِّدة وأنا مُتَّبِع، فهذا عُذري عند الله، فهل لكم مِن عُذر؟! فخرجوا -الزنداني ومن معه- من عنده وما رجعوا.

إذاً فالحركة الإسلامية هذا واقعها **منذ أن نشأت في الأربعينيات وإلى اليوم وهي تُفرِّخ الخِلاف**، ما رأيناهم اتَّفقوا على قضيةٍ واحدة إلى اليوم.

وإذا خَرَجْتَ من دائرة الإخوان، تجد أن من يتظاهرون بالسلفية -وهم مِثل الإخوان- ترى أن بينهم خِلافاً، فهذه جماعة التكفير في «مِصر» كم هي مختلفة، و(جماعة الجهاد) جماعة د.عمر عبدالرحمن صارت شِقّين الآن.

إذاً الأمَّة ليست متَّفِقة فجاء السلفيون فَفَرَّقوهم! لأن التُّهمة علينا في كل مكان أنكم تُفرقون المسلمين! وأنكم تُعيقون قيام الدولة الإسلامية!

فهذا هو واقِعهم، ففي سورية كانت المساجد ملأى بالمسلمين، فكأنه

ضايقهم ذلك، فدخلوا في حربٍ مع الأسد غير مَدروسة، فلمّا قَضوا على الشباب؛ تصالحوا مع الأسد! ولذلك كان (عدنان سعد الدين) في مجلة المجتمع الكويتية تجعله إماماً للمؤمنين، ثم صاروا يَلعنونه، لأنه في البداية حارب حافظ الأسد وما رَضيَ أن يُصالحه، فلما صالحه سَبّوه، فجاءوا بأمير المؤمنين الجديد (عبدالفتاَح أبوغدة) وأصدروا بياناً رسمياً في كل جرائدهم: أن من تكلم عليه فقد تكلم على الإسلام!! وهو الذي يرى أن إمامه في الدنيا هو الكوثري -وهو أكبر مُضلٍّ ومُفسد-.(١)

وكانوا مختلفين مَن يحكم سورية؟ -وهذا ذكره (عدنان عقله) رحمه الله وهو رجلٌ فاضل- أنهم اختلفوا بين (سعيد حَوّى) وجماعته، واجتمعوا في إيطاليا(٢)، **فالقضية صِراعٌ على السُّلطة**، ومَن نازَعَ السُّلطان قَتَله.

وفي الجزائر كذلك كانت الدّعوة تسير على ما يُرام، فجاء (عباس مَدَني) فضَيَّعَها.

فالسلفيون ما ضيَّعوا شيئاً، وما جاءوا إلى قوم مجتمعين فَفَرَّقوهم! فحتى في الفِقه مختلفين إلى اليوم، والصراع المذهبي قائم، والذي لا يُصدِّق يذهب إلى باكستان وإلى الهند وإلى تركيا ويرى، كيف أن الأحناف يكرهون الشافعية.

كيف تجتمع الأمة؟

إذاً ما الذي يَجمَعُ الأُمة؟ الذي جَمَعَها قديماً يَجمعها اليوم، فالدعوة

---

(١) ولمعرفة فِكره والرد عليه راجع كتاب العلامة الشيخ عبدالرحمن المعلمي اليماني رحمه الله: (التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل).

(٢) لعله البيان والمنهاج الذي أعده (عدنان سعد الدين) للثورة الإسلامية في سورية، كتبه سنة ١٩٨٠م وصدر بتوقيع ثلاثة: سعيد حَوّى، وعلي صدر الدين البيانوني، وعدنان سعد الدين، وكانوا يريدون صدوره باسم عبدالفتاح أبوغدة، إلا أنه غير رأيه، ثم نشره (عدنان) في طبعته الثالثة سنة ١٩٨٨م، ينظر مذكراته (الإخوان المسلمون في سورية) ٤/ ٢٠٣ وما بعدها.

السلفية قديمة، لم يُنشِئها الألباني ولم يُنشئها ابن باز ولم يُنشئها أحد، وإنما هي قائمة مُستمِرة كما أخبر النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

لا نُريد مِن حَمَلَةِ هذه الدعوة أن يُدافعوا، لأننا على حق، على طريقة الأولين، ليست هذه تزكية لأنفسنا، وإنما إذا لم نكن على حق فمعناه أننا على باطل، فإذا كانت طريقة أحمد والشافعي والأولين باطل فأين الحق؟!

إذاً **الحركة الإسلامية المعاصرة تتخَبَّط منذ أن نشأت وإلى اليوم**، كم من المال صُرف، وكم مِنَ الشباب رُموا في السُّجون وقُتِّلوا، والنتيجة: تخلُّف وتأخُّر، أما يكفي أن نَقِفَ مرَّة ونُفكر: ماذا جَنَينا؟!

أما إذا سُئِلنا نحن: ماذا جَنيتُم؟ نقول: الحمد لله **بيَّنا للناس السُّنّة والبِدعة، وحذَّرنا الناس مِنَ الشِّرك والقُبور وعبادة غير الله عز وجل،** فلو مات هؤلاء الناس على الأقل يكون قد مات على التوحيد، إذاً نحن عملنا شيئاً، وإذا سُئِلنا: ماذا فعلتم؟ نقول نشرنا العلم، ففي كل بلد تجد السلفيين ينشرون العلم، وعند غيرهم مهجور، فَهُم ماذا فعلوا؟ لم ينشروا علماً، إلى الآن لم ينشروا كتاباً واحداً في التفسير أو في الحديث، على كثرة ما ملؤوا الدنيا كتباً، وكلَّما تَربّى جيلٌ من الشباب رَموهم بحاكمٍ ظالمٍ فقتَلهم، هذا واقعهم.

تحديد الهدف

يا إخواني لا بُدّ أن نُفَكِّر: كنا في قوة، ما الذي أضعَفَنا؟ فالذي يظهر لنا - مع ما عندنا من علم متواضع - أن الحركة الإسلامية ما حدَّدَت هدفها ماذا تريد؟ أما السلفيون، فأقلهم فَهماً في الحياة يَعرِف ماذا يُريد، **يريد إحياء السنة وإماتة البدعة،** فعنده هدف.

لكن هذه الجماعات إلى ماذا تدعو؟ قالوا: إلى الإسلام، نقول: الإسلام

عـامٌ كلنا نعرفه، وما رأينا أحداً مسلماً قال أنا لا أحب الإسلام، والدول الغربية كلها تعترف بالإسلام، والمستشرقون قالوا: الإسلام جميل، فليست هذه قضية الخلاف.

هُم يُدَندِنون أنهم يريدون إقامة الدولة الإسلامية، **وإلى الآن لم يَذكروا كيف سيُقيمون هذه الدولة؟!** واقرؤوا إلى ما كتبه الإخوان كلهم، وحزب التحرير، وجماعة الجهاد، وجماعات الأفغان كلهم، ليس لديهم دستور لشكل الدولة التي يريدونها! وإذا سَألتَهم: ما طريقكم إلى هذه الدولة؟ بعضهم قال بالانقلاب، وبعضهم قال بالانتخابات، خلافٌ بينهم، جمهورية أم ملكية؟ لا يدرون، وإلى اليوم ما كتبوا شيئاً، فلذلك هذه الحركة الإسلامية وهذه قضيتها الأم وهي الحكم، ليس لديهم فيها وضوح رؤية، لذلك تَتَخَبَّط.

١٩ المحـــــاضرة التاسعة عشر:

الموقِفُ مِن الجَماعات الدَّعَويّة

المحاضرة التاسعة عشر

الموقِفُ مِن الجَماعات الدَّعَويّة

هل يجوز أن يُنشَأ في مجتمعات الإسلام أحزاب وجماعات متباينة العقائد والمنهج أم لا يجوز؟

التفريق بين الثناء وإقرار طريقتهم

أولاً دائما إذا أردتم أن تنظروا في كلام أهل العلم -من مشايخ الدعوة- في حكمهم على المذاهب والجماعات؛ أن **تُفرِّقوا بين أمرين أساسيين**: بين أنهم يعالجون واقعاً موجوداً وهو أن الأمة متفرقة ومختلفة وأن هناك مذاهب وجماعات، والتي لا شك أن فيها من الخير كما فيها من الشر، مَثَلُها مَثَلُ الفِرق التي كانت تنافح كالمعتزلة ضد الإلحاد في ذلك الوقت أو ضد الفلاسفة وأهل الكلام.

وفَرقٌ مع قولهم: هؤلاء على خير أو أن فيهم خيراً، أو نَفَع الله بهم الناس، فهذا لا يعني مطلقاً أن العلماء يُقِرون أن تنشأ جماعة جديدة مخالفة في منهجها ما كان عليه السلف رضوان الله عليهم.

فنُفرِّق بين فتوى العلماء في علاج الواقع ودعوتهم لإصلاحه، وبين الثناء على ما عند هؤلاء المشايخ أو الجماعات من خير، فلا يُعتبر موافقة وإقراراً من العلماء على أنه يجوز أن تُنشأ أحزاب وجماعات مختلفة العقائد في مجتمع المسلمين.

فتـوى العلـماء السـلفيين الكبـار[١] أنـه لا يجـوز أن تنشـأ جماعـات أو أحـزاب في مجتمعـات المسـلمين متباينـة الفكـر، ففتواهـم هـي في عـلاج الواقع، لأنهـم لا يسـتطيعون أن يأتـوا الآن بمكنسـة يكنسـوا كل الموجـود ويَرمـوه، ولا يسـتطيعون أن يأتـوا بقلـم أحمـر ويحجمـوا كل هـذه الكتـب الموجـودة في الدنيا، **فـإذاً عـلاج الواقـع شيء، والتأصيـل للجـواز واسـتمراريته، شيء آخـر تمامـاً.**

الذيـن يُنـادون بتجميـع الفـرق والمذاهـب يتقوّلـون على العلـماء مـا لم يقولوا! فيأخـذون كلامهـم إذا قالـوا: أن هـذه الجماعـة فيهـا خـير، وهـذه الجماعـة نفـع الله بهـا، وهـذا العـالم الحمـد لله كان لـه جهـود، فأخـذوا هـذا الـكلام وألبسـوه لباسـاً آخـر، وهـو أَن العلـماء يُقِـرون وجـود هـذه الجماعـات بتبايـن مذهبهـا!! مثـل ابـن تيميـة رحمـه الله –وقـد ذكـرتُ هـذا مـراراً– لا يعلـم الخرافيـون وأصحـاب القبـور والبـدع رجـلاً أشـدّ عليهـم منـه، فكيـف إذاً فاتَهـم أن ابـن تيميـة رفيـقٌ ورحيـمٌ ولطيـفٌ بهـم! لا يمكـن! ابـن تيميـة رحمـه الله عندمـا يقـارن تفاضـل الـشر يقـول: الحمـد لله الصوفيـة عـلى مـا هـم فيـه أحسـنُ مـن الرافضـة، والرافضـة عـلى مـا هـم فيـه أحسـنُ مِـن اليهـود، **لكـن ليـس معنـى ذلـك أن ابـن تيميـة رحمـه الله يُقـر لأهـل البِـدع بالخَيريـة**، وباللُّطـف، وبأنهـم عـلى خـيرٍ وعـلى هـدى، وإلا فلـماذا حاربـوه ليـل نهـار وإلى يومنـا هـذا؟!

(١) منهـم اللجنـة الدائمـة للإفتـاء في السـعودية برئاسـة الشـيخ عبدالعزيـز بـن بـاز رحمـه الله، رقـم ١٦٧٤ بتاريـخ ٧/ ١٠/ ١٣٩٧هــ حيـث جـاء فيهـا: (لا يجـوز أن يتفـرَّق المسـلمون في دينهـم شـيعا وأحزابـاً)، والشـيخ محمـد بن عثيمـين رحمـه الله حيـث جـاء عنـه: (ليـس في الكتـاب والسـنة مـا يُبيـح تعـدُّد الجماعـات والأحـزاب، بـل فيـه الـذم لذلـك) كتـاب الصَّحـوة الإسـلامية ص١٥٤.

وسُـئل الشـيخ الألبـاني رحمـه الله عـن **حكـم تعـدُّد الجماعـات والأحـزاب والتنظيـمات الإسـلامية** فأجـاب: (لا يخفـى عـلى كل مسـلم عـارفٍ بالكتـاب والسـنة، ومـا كان عليـه سـلفنا الصالـح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أن التحـزب والتكتـل في جماعـات مختلفـة الأفـكار أولا، والمناهـج والأسـاليب ثانيـا، ليـس مـن الإسـلام في شيء، بـل ذلـك ممـا نهـى عنـه ربنـا عـز وجـل في أكثـر مـن آيـة في القـرآن الكريـم).ا.هــ[مفـرّغ مـن أحـد دروسـه الصوتيـة رقـم٢٠].

إذاً هذا لا بُدّ أن يكون واضحاً لمن يريد أن يتعلم أو يفهم كلام العلماء القدماء منهم والجدد، ولذلك تجد للإمام أحمد كلام وللشافعي ولغيره في أمور تتعلق بأهل البدع فلا تجعله قاعدة، **لأن ما خَرَج مَخرج المناصحة أو مَخرج الثناء في جُزئيّة؛ لا يُجعل منه قاعدة مُطَّرِدة**، القاعدة هي التأصيل، وتأصيلهم في ذلك واضح.

لكي نفهم مسألة تعدد الجماعات أو الأحزاب؛ لا بُدّ أن نفهم ما هو الأساس الذي يقوم عليه الإسلام في حكمه على المجتمعات؛ **الناس إما أن يَحكُموا بشرع الله أو بشرعهم**، ولا ثالث، فالناس إما أن يُقِرّوا لله بالربوبية والألوهية والحاكمية وكل أحوالهم، فيقرروا ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢]، أو يتخذوا إلههم هواهم.

أنواع أنظمة الحكم في الدنيا

الأنظمة الموجودة في الدنيا لا تتعدى إما ديمقراطية، رأسمالية، دكتاتورية، كلها حكم الشعب أو الإنسان لنفسه، قد يكون الإنسان دكتاتوري، أو أربعة أحزاب أو خمسة أو عشرة يحكمون أمة، أو يكون كما يقال ديمقراطي: أمة تحكم أمة، لكن لا يوجد وسطية، فإما أن يُقَر للناس شرع الله عز وجل، أو يُقَر للناس شرع الهوى والشيطان والنفس.

إذا فَهِم المسلمون ذلك فلا يأتي أحدهم كالتلمساني وغيره ويقول: والله لا مانع أن يُسمح للنصارى وللفكر الآخر أن يَطرح رأيه في المجتمع الإسلامي! هذا يتكلم عن مجتمع ليس له وجود! لأن المجتمع الإسلامي معناه أن هؤلاء الناس يقعون تحت شعار (لا إله إلا الله)، ومعنى لا إله إلا الله: أنه لا معبود بحق في كل شؤون الحياة إلا الله عز وجل.

هذه البَدَهية لا بُدّ أن تكون واضحة عند الناس، وخاصة عند

لا يجوز السماح بفكر مخالف

الإسلاميين -لأن العوام أحيانا تكون عندهم الأمور أوضح من الحركات الإسلامية-، لأن **السَّماح لأي فكر بأي حال أن ينتشر في مجتمع المسلمين معناه: السماح لشيء مناقض لـ (لا إله إلا الله) بأن يَنتشر.**

أتت هذه اللَّخبَطة عند الإسلاميين لأنهم فرّقوا بين الكُفر الناتج من جورج، والكفر الناتج من إبراهيم وأحمد! فجعلوا الكفر الناتج من جورج هذا كفراً ليس عليه خلاف، والكفر الناتج من إبراهيم وأحمد يَحتَمِل! أمّا عند المسلمين فإن **الكفر مِلةٌ واحدة، سواء قال به إبراهيم أو قال به جورج.**

إذاً في مجتمع المسلمين لا يجوز إلا لعقيدةٍ واحدةٍ أن تَسود، ولمذهبٍ واحد أن يَسود، وما عدا ذلك فلا ينبغي،[1] إلا ما قَرُب منه وفق دليله، ففي مجتمع المسلمين السائد أن يكون التشريع جامعاً مانعاً مصدره من الكتاب والسنة، فلما يأتي شخص ويريد أن يشرّع ويعتقد في الديمقراطية، نقول له: لا يجوز، أو يأتي ويعتقد في الاعتزال، نقول أيضا: لا يجوز، أو بعقيدة الصوفية، كذلك: لا يجوز، أما الجماعات الإسلامية فوقعوا في تناقض؛ فسمحوا للانحراف أن ينتشر باسم الصوفية وباسم المعتزلة وباسم الأشاعرة وباسم الرافضة، وقالوا إذا جاءنا غير هذا فليس بمسموح!! ما الفرق بين من يَدّعي أن كل ما في هذا الكون إله (عقيدة

(١) [على المسلمين أن يكونوا جماعة واحدة من حيث المنهج، وأما من ناحية العمل والتَّخصص فلتكن عندهم جماعة لرياض الأطفال، وجماعة للأطباء، وجماعة للمهندسين، أي أن **يختلفوا مهنياً ويتفقوا منهجياً عقائدياً**، وأما الخلاف في العقائد والمنهج فهذا لا يجوز ولا ينبغي، فإذا كانت الجمعيات المهنية الحرفية كلها عقيدتها واحدة ومنهجها واحد، فلا شك أن هذا مطلوب لتنمية العمل الإسلامي، وإنما الذي يُحذَّر منه هو هذا التفرق وهذا الشتات، الذي نحن بحاجة إلى عكسه وهو الاعتصام بحبل الله سبحانه وتعالى] من محاضرة للشيخ بعنوان: (المذاهب والجماعات بعد سقوط الدولة العثمانية).

وحدة الوجود)! وبين من يقول أنا والله لا أعتقد أن في الدنيا إله (عقيدة الإلحاد)! فالذي لا يعتقد أن في الدنيا إله أهون جُرماً ممن يعتقد أن الكلب والخنزير رب!! فلِمَ يُسمح لهذا أن يدلي بفكره وكتبه ويؤسس على ذلك جماعة؟! وذاك لا يُسمح له! فإن أردنا أن نسمح فلا بُدّ أن نسمح للدنيا كلها أو نقف.

اختلال الميزان

هل نحن أحرار في أن نسمح أو نَمنع؟ يعني هل الحركات والجماعات والمشايخ أحرار؟ الجواب: لا، ولذلك نُدندن مراراً وتكراراً أنهم يفهمون الحاكمية غَلَطاً، وأنا أتعجب كيف يُقيمون الدنيا ولا يُقعدونها إذا خولفت الحاكمية في مسألة فقهية في الحدود، ولا يفعلون شيئاً إذا خولفت الحاكمية في الأسماء والصفات وهي أعظم!

يعني لماذا ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٤٤] في قضية رجم أو حدٍّ، يعتبر هذا كفراً وجريمةً وانحرافاً، والذي يحكم بغير ما أنزل الله في وصف الله عز وجل بما لا يليق، والتكلف في أسماء الله وصفاته؛ يقولون: والله الأمر فيه رأي!! **هذا ميزانٌ مُعوَج**.

خُلاصَة الأمر أن المجتمع الإسلامي الصحيح يجب أن يُبنى على أن الحُكم والعبادة والدين كله لله رب العالمين، فمن خالف يُنظر إلى نوع المخالفة، فإن كانت كفرية كُفِّر، وإن كانت بدعية بُدِّع، فلا يجوز لأي عالم أو لأي حركة أو أناس أن ينشئوا شيئا في مجتمع المسلمين يخالف ما عليه الإسلام الصحيح.

ولذلك لو جاء شخص وقال: يا جماعة أنا أريد أن أفتح معهداً لأعلِّم الفتيات الرقص! فما أظنُّ يوجد داعية إسلامي إلا وسيَصعد المنبر

يقيم الدنيا ولا يُقعِدها! ويأتي شخص آخر ويقول: أنا أريد أن أفتح معهداً أُدرِّسُ فيه مذهب الأشاعرة والمعتزلة، وأدرِّس فيه الذِّكر مذهب الصوفية، وكيف يطوفون حول الأولياء وكيف يَشدّون الرحال إليهم، يقولون: والله الأمر فيه نظر، وفيه قولان، وفيه أقوال!! أما ذاك فيُعد جريمة!

علماً أن جريمة هذا في الشرع وعند الله تُعد أكبر من جريمة ذاك،(١) **لأنه قد تغيَّرت في عقول الناس مسألة فهم العقيدة، ووزنِها في ميزانها الصحيح، وفهم العمل، ووزنه في الميزان الصحيح.**

إذاً الدعوات التي قالت بجواز تأسيس أحزابٍ تدعو إلى عقائدها؛ بحجة أن الإسلام يَسَع، هي دعوة فاسدة، بل دعوة تُعارض الإسلام الصحيح، لأن كلَّ حزب وكل جماعة لها دستور نظام وعقيدة، النظام هم فيه أحرار، وطبيعة البشر لهم أن يضعوا أي نظام شاءوا، ما لم يكن مُخالفاً للشرع، مثل أناس يريدون تأسيس شركة، أناساً يريدون تأسيس جمعية، هم أحرار، لأن النظام فيه سعة ولأنه من الوسائل، لكن الغايات والأهداف التي تقوم عليها هذه الجماعة لا بُدّ أن تكون شرعية، **ولا نَعلم عالِماً سَلفياً لا في القديم ولا في الحديث؛ أجازَ أن تُقام جماعة على عقيدةٍ ومذهبٍ بدعي.**

(١) ومن أمثِلَةِ الاعوجاج كذلك: [لو وقف أحدٌ وتكلم في بيان أخطاء أئمتنا كالشافعي أو أحمد أو ابن كثير أو الطبري، لا ترى مِن الجالسين مَن يتمعَّر وينزعج ويَعتبر أن هذا هدم للإسلام! ولكن لو تكلّم في أحدٍ من المفكِّرين المعاصرين تقوم الدنيا ولا تَقعد!! المسألة أصبحت مسألة هوىً وتعصّب، فلذلك لا بُدّ لنا من التَّجرّد، ولذلك جاءت مقولة ابن عباس: «تكاد تسقط السماء عليكم حجارة؛ أقول لكم قال رسول الله، وتقولون قال أبوبكر وعمر»] من محاضرة للشيخ بعنوان: (الطريق إلى وحدة المسلمين).

الجماعات الموجودة الآن في الساحة الإسلامية محصورة بأربع أو حولها، وهي: جماعة المودودي، وجماعة الإخوان المسلمين، وجماعة التبليغ، وحزب التحرير، وما يوجد في الدنيا فهو لها شَبَه، يعني حزب الرفاه[١] شبه للإخوان وهكذا، وهذه الجماعات كلها لها نظام إداري هي حُرة فيه، إلا إذا خالفت فيه الشرع، لكن جميعها لها نظام عقائدي، فننظر فيه، فإذا كان هذا النظام العقائدي -أي الأهداف والعلاقات- قائمة على الكتاب والسنة الصحيحة فهذا شيء طيب، وإن كانت قائمة على خلاف ذلك فهي مردودة،[٢] ولذلك

(١) **حزب الرّفاه**: حزب إسلامي تُركي، اختار الطريق السياسي وسيلة لتحقيق أفكاره، وكان يحمل اسم (حزب السَّلامة)، أسسه نجم الدين أربكان، تأسس رسمياً سنة ١٩٧٢م، وفاز بالانتخابات البرلمانية سنة ١٩٧٣م، واستطاع (أربكان) بالتعاون مع حزب الشعب إحراز منصب نائب رئيس الوزراء، سقطت وزارته بعد تسعة أشهر ونصف، وفي أوائل عام ١٩٩٦م استطاع الحزب الفوز، فتولى (أربكان) رئاسة الوزارة للمرة الثانية. [الموسوعة الميسرة ١/ ٢٢٠].

(٢) ذكر الشيخ في محاضرة بعنوان: (المذاهب والجماعات بعد سُقوط الدولة العثمانية) بعض **الملاحظات العامة على هذه الجماعات** بعد أن سمّاها: وهي جماعة حسن البنا (الإخوان المسلمون) في مصر، والمودودي في الهند وباكستان، ومحمد إلياس (التبليغ) في الهند، وسعيد النورسي (النورسيين) في تركيا، وتقي الدين النبهاني (حزب التحرير) في الشام، فقال: [لو نظرنا إلى هذه الجماعات نُلاحظ أنها **تجتمع على صفاتٍ أساسيةٍ** فيها على اختلافٍ يسير في بعض الأمور:

فالنظرة الأولية لها: أنها **لم تعطِ الناحية العقائدية اهتماماً** يتناسب مع إعطائها للناحية السياسية، أو نواحي التربية كما عند التبليغ، ولذلك لو رأينا إلى تراث هذه الجماعات لوجدنا عندهم عشرات بل مئات الكتب تبحث في قضايا السياسة وقضايا الغزو الفكري والتدخّل الاستعماري والحاكِمية، أما قضايا الشرك الأكبر والقبور وقضايا توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات لرأينا أن النسبة ليست متجانسة، بل إن كِفّة القضايا الأولى التي ذكرناها أكبر بكثير جداً من قضايا الأساس التي بُعِثت من أجله الرُّسل وهو إخلاص العبادة لله وحده سبحانه وتعالى. إذاً هي اتجهت هذا الاتجاه بتسييس الأمة ودَفعها في هذا الطريق؛ وذلك ظناً منها أنه الطريق الذي تعود به إلى الخِلافة الراشدة، وتعود به الحُكم إلى المسلمين.

الأمر الثاني: أنها **لم تُشجِّع الناس على دراسة الجوانب العقائدية، بل شَجَّعتهم على عكس ذلك،** بمعنى أنهم قالوا: الناس كلهم مسلمون، وحتى هؤلاء الذين يطوفون حول القبور، ويذبحون عندها، ويتبركون بالأشجار، ويستغيثون بالأولياء، كلهم على خير، ولكن عندهم خطأ وتقصير!! حتى أصبحَت هذه المسائل الكبيرة؛ مسائل هيّنة ليّنة في عقول كثيرٍ من الناس.

ثم يُلاحَظ عليها من خلال التتبع: أنها **شوهت عقيدة السلف**، العقيدة التي كان عليها الأئمة رضوان الله عليهم، فحاولت تنفير أتباعها من دراستها ومن التزامها، وبيّنت أن هذه القضايا العقائدية ودراستها في هذا الواقع الآن يُؤدي إلى تَفريق المسلمين، ونحن بحاجةٍ إلى التجميع لا التفريق!

=كذلك يُلاحَظ عليها أن كثيراً من **الأفكار الدَّخيلة** التي دخلت على المسلمين وهي ليست من الإسلام **تَبنَّتها كَرَدَّاتِ فعل سريعة**، فمثلاً تَبنّت الديمقراطية كنظام من الأنظمة التي توصل إلى حكم الشريعة، وتبنّت الاشتراكية (المُعدَّلة) في فترة من الفترات، وتَبنَّت بعض الأمور التي تؤدي في نهايتها إلى الاضطراب؛ لأنها تُريد أن تكسب مَجداً سياسياً، مثل ما تبنَّت حركة الإخوان في مصر مسألة (التقارب مع الأقباط) بحُجة أننا لا نُريد أن نؤلِّبَ الناس ونُؤثِّر على الوحدة الوطنية!

كذلك يُلاحَظ على مُجمل هذ الحركات أنها **تبنّت الشخصيات الصوفية، وأعطتها الصِّفة القِيادية العامة**، وأعطتها هالة، ومن ثَم قربتهم إلى الناس أنهم زعماء وأنهم دعاة وقادة للعمل الإسلامي.

كذلك تجد أن **الحركات السياسية أيّدت الثورات**، كما قال ذلك المودودي في كتابه (الخلافة والملك)، وبعض كتابات سيد قطب رحمه الله في كتابه (العدالة الاجتماعية)، فالسَّلف ذَمّوا الثورات التي قامت ورأوا أنها ضيَّعت وأفسدت أحوال المسلمين، أما هذه الحركات فقد أيدوها، بل رأوا أنها طريقة صالحة لعودة الحُكم إلى الإسلام، ولا شك أن تأييد هذا يؤدي إلى فتنة، **وما يُشاهَد الآن في بلاد المسلمين من فتن؛ إنما هو ناتج من تلك الفتاوى التي سَهَّلَت للناس أمر الخروج**.

وكذلك يُلاحَظ على جانب النورسيين والتبليغيين: **الإغراق في التّصوُّف والصُّوفية**، وإعطاؤها ثوباً جديداً باسم الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

وفي عصرنا هذا -قبل خمس عشرة سنة وبعدها- نشأت جماعات كثيرة لا حصر لها، كجماعة الجهاد، والجماعة المسلحة، وجبهة الإنقاذ، ونَشأت ما يُسمى بالقُطبية ويُسميها البعض بالسُّرورية، والجماعات تُفرِّخ جماعات أخرى منها تفريخاً يكاد أن يكون موسمياً! **فكلها لا تعتبر الجماعة الكاملة التي تَسير على وفق سنة النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبعضهم يغلو حتى في العقيدة، كما في جماعة القطبية غَلوا في الحاكمية، وأما جماعة الجهاد والجماعة المسلحة لا تَعدوا أفكارهم تخالف أفكار الخوارج القديمة، إلا أنهم ألبسوها ثَوباً جديداً يوافق الثوب والخِطاب العصري.

ويُلاحَظ أن هذه الجماعات وإن ادَّعت الشمولية إلا أنها للأسف **دعوات جزئية**، فلا نرى فيهم الإسلام الكامل الشمولي، **وإنما نرى فيهم التركيز على زاوية معينة**، يُجتهد فيه وتعطى الأولوية، وأما بقية الزوايا وبقية الجوانب في الإسلام نراها عندهم مُهملة، ولم تُعطَ الجهد والوقت والاهتمام الذي تستَحِقّه، **بخلاف طريقة السلف ومنهجهم في الدعوة إلى الله، فإنهم ركّزوا على الأمور بأولوياتها الشرعية**، كما أراد الله عز وجل، بمعنى أنهم بدؤوا بالعقيدة والتركيز عليها، وانتهوا بالسّلوك، فلم يتركوا خللاً في تربية الإنسان، بأن يغلبوا الجانب سياسي على الجانب العقائدي أو التعبدي أو الاقتصادي، بل وازنوا الموازنة الشرعية الصحيحة بين هذه الأمور، فأعطوا كل ذي حقٍّ حقه.

هذا مُجمل خطوط رئيسة، لا يسع المجال إلى بيان تفاصيلها، ولكن سُقتها لبيان السِّمة المشتركة بين هذه التيارات والجماعات.

حَـصَر (منهـج جمعيـة إحيـاء الـتراث)[١] الجمعيـات أو الجماعـات الموجـودة في الدنيـا، وقسَّـمَها إلى تقسـيمٍ لا أظـنّ أن تخـرج عنـه جماعـة مـن جماعـات الدعـوة.

أنواع الجماعات في الساحة

فيقـول: (والـذي نَـراه في جماعـات الدَّعـوة الموجـودة أنهـا لا تَخـرج عـن ثلاثـة أصنـاف: أولاً: جماعـات قامـت عـلى مُعتقـد السـلف الصالـح اعتقـاداً ومنهجـاً وعمـلاً) وهـذا قـد تتغـير الأسـماء فمثـلاً تسـميها أنصـار السـنة، تسـميها أهـل الحديـث، تسـميها السـلفيين، تُسـمّيها مـا شِـئت، لكـن قامـت عـلى معتقـد السـلف عقيـدةً ومنهجـاً، قـال: (فلهـا منـا النُّصرة والإعانـة والتأييـد، والشـكر عـلى مـا تفعلـه مـن خـيرٍ والتشـجيع عليـه، كـما علينـا نُصحهـا إن أخْطَـأَت) وهـذه سُـنة الله في أن ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١]، هـذا الصنـف الأول، تَعـدُّد الأسـماء لا يَعنينـا، فـكل بلـدٍ لهـم

=ولَسـنا هنـا لبيـان كيفيـة التعـاون والتآلـف مـع هـذه الجماعـات، فهـذا يحتـاج إلى بحـث آخـر، ولسـتُ هنـا في تفصيـل الـدور الإيجـابي الـذي قامـت بـه هـذه الجماعـات في تلـك الفـترات، فـلا شـك أنـه كان لهـم دورٌ عظيـمٌ في عـودة الشـباب ودعوتهـم إلى الإسـلام، ووقفـوا سـداً أمـام التيـارات العلمانيـة والإلحاديـة، وهـذا مشـهودٌ ومعـروف، **ولكـن هـذه الجوانـب الإيجابيـة الجميلـة لا تجعلنا نغُـضّ الطّرف عـن الجوانـب المظلمـة الأخـرى التـي وقعـت فيهـا هـذه التيـارات والحـركات**، وإنـما يقتـضي الأمـر بيـان ذلـك حتـى يُصحَّـح مسـار هـذه الجماعـات].

وينظـر كذلـك في هـذا الصـدد كتابـين نافِعـين: الأول -وقـد أُلـف سـنة ١٩٨٨م- بعنـوان: (وقفـات مـع كتـاب للدعـاة فقـط) لمحمـد بـن سـيف العجمـي رحمـه الله، حيـث ردَّ عـلى كتـاب جاسـم مهلهـل الياسـين في دفاعـه عـن دعـوة الإخـوان المسـلمين، وينظـر الكتـاب الثـاني بعنـوان: (التوحيـد في مسـيرة العمـل الإسـلامي بـين الواقـع والمأمـول) لعبدالعزيـز الزغيبـي الحسـيني، بتقديـم د.نـاصر العقـل.

(١) وهـو (منهـج الجمعيـة في الدعـوة والتوجيـه) أعدتـه (جمعيـة إحيـاء الـتراث الإسـلامي) بدولـة الكويـت، وطبـع سـنة ١٩٩٦م، وقـد زكاه العلـماء الكبـار: العلامـة عبدالعزيـز بـن عبـدالله بـن بـاز، والعلامـة محمـد نـاصر الديـن الألبـاني، والعلامـة محمـد بـن صالـح العثيمـين رحمهـم الله، والشـيخ د.صالـح بـن فـوزان الفـوزان حفظـه الله، غفـر الله لهـم جميعـاً وأسـكنهم الفـردوس الأعـلى بمنـه وكرمـه.

فيه اسم، والأمر فيه سَعَة، لكن لا شك لو أنهم قربوا من الأسماء الصحيحة كأن يتسمّوا بأهل الحديث أو بأنصار السنة أو بالسلفية لكان ذلك أنفع لهم.

ثم قال: (ثانياً: جماعات ليس لها معتقد واضح، ولا منهج تلتزم به، ولا تنقاد لفهم السلف الصالح ولنُصوص الشرع) يقول ليس لها معتقد واضح، فلو جئت لجماعة التبليغ ترى فيهم ما شِئت من المذاهب، والإخوان مثلهم، ولهم صِفَة: وهي أنهم لا ينقادون لفهم السلف، فهم وإن صَحَّت معتقداتهم فلا تَصح مناهجهم، ونحن كما قلنا: **لا يكون المرء سَلفياً إلا إذا صَحَّت عقيدته وسَلِم مَنهجه**، فهنا قال: (ولا تنقاد لفهم السلف ولنصوص الشرع) وإنما تلف وتدور فيها، (فموقفنا منها: النصح بالأدلة الشرعية بالرفق والحكمة والأسلوب الحسن، لقول الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥].

إذاً ما الفَرق بينها وبين التي بعدها؟ الفرق أن هذه لا تُظهر عَلَناً مُحاربة منهج السَّلف، قال: (وأما الثالثة: فقامت على مُحاربة أهل السنة والجماعة في العَلَن والخَفاء، ونشر البدع والخرافات، فموقفنا منها موقف المُحذّر من شرها الكاشف عن زيغها وباطلها، بكل الأساليب والوسائل الشرعية المتاحة) (١).

ملخص أنواع الجماعات

إذاً **الجماعات الموجودة في الدنيا لا تتعدى الثلاث: الأولى** سالمة والحمد لله، **والثانية** ليست سلفية قطعاً، لأنه لو كانت سلفية لارتقت للأولى، لكنها لا تدعو لمحاربة السُّنة، يعني لو تأتي لشخص من الإخوان وتقول له: نحن على عقيدة السلف، يقول هذا طيب، لكن تأتي إلى شخص من

(١) صفحة (٤٨)،الطبعة الرابعة ٢٠١٨م.

الصوفية أو من الجماعات البدعية كالأشاعرة، يقول لك: يجب أن نُدخل التأويل، إذاً هناك فرق بين شخص ليس عنده منهج، أو منهجه ليس سلفياً لكنه لا يحاربه -وإن كان دخل في هذه الجماعات كثيرٌ ممن يحارب منهج السلف بالعمل أكثر من القول-، فمن ظهر منه شيء فإنه يرجع إلى **الصنف الثالث**، هذا خلاصة ما ذكره (منهج الجمعية)، ونحن نرى أنه قد وُفِّق إلى الصواب في هذا التقسيم والتوضيح.

إذاً لا توجد في الدنيا جماعة ليس لها أصولٌ فكرية، لكن بعضهم أصوله مائعة، وبعضهم أصوله صريحة في الانحراف، فمن كانت أصوله مائعة يعالج كأفراد، ومن كانت أصوله واضحة في الانحراف فهؤلاء يحاربون جماعةً وأفراداً.

حكم إنشاء الأحزاب السياسية

أما الأحزاب السياسية فَنَرى أنه لا يجوز أن تُنشأ أحزاب تقوم على تصوّراتٍ سياسية في مجتمعات المسلمين، لأن هذه الأحزاب إذا سُمِح لها بالقيام؛ فإن الهدف الذي تَسعى إليه هو الوصول للحُكم، ولكي تَصِل للحكم ستُمارِس جميع ما يَخطر في البال وما لا يخطر من وسائل تُعينها على ذلك، كما هو الحاصل الآن في بلدان الشرق والغرب، ونحن نرى أنه يجب على المسلمين أن يَحكموا بشرع الله سبحانه وتعالى، وأن يحكموا في بلادهم بالدين الذي ارتضاه لهم ربهم جلَّ وعلا.

ظاهرة تعدد الجماعات

وتعدد الجماعات بهذا الشكل المختلف منهجياً؛ ظاهرة مَرَضيَّة كما ذكر هذا العلماء[١]، لأن هذا يُفرِّق الأمة، والله سبحانه وتعالى أَمَرنا أن

(١) وخاصة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في رده على الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق رحمه الله، لَمّا كان يذكر أن تعدد الجماعات تُعَدّ ظاهرة صحية، قال: لا بل هي ظاهرة مرضية وليست صحية. (ش) ينظر (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة الشيخ عبدالعزيز بن باز) جمع د. الشويعر (٨/ ٢٤٤)، وما نشرته «جمعية التراث» من رسائل بينهما.

نكون أمة واحدة ونهانا سبحانه وتعالى عن التفرق والتشتت والخلاف، فإذا كانت الجماعات الموجودة عقيدتها صحيحة فلا مانع من تعددها، فلو تخصَّصَت كل جماعة في شأن فلن يقف خطيب هؤلاء يُسفّه قول خطيب أولئك، ولذلك هم الآن يقولون: إن الجماعات متفقة في الأهداف مختلفة في الوسائل، وهذا غير صحيح، والصحيح العكس، أنها **مُتَّفِقة في الوسائل ومُختلِفة في الأهداف والأطروحات.**

والخلاف الموجود، ماذا نفعل به؟ نقول: ندعوهم إلى كلمةٍ سواء.

وأنا قلت - في وقتٍ سابق-: لماذا حُصِرت المشكلة فقط في جماعتي الإخوان والتبليغ، وتجد أن هناك مئات الجماعات الصوفية، فلماذا لا ننظر لها؟! لماذا إذا تكلّمنا عن هاتين الجماعتين تقومُ الدنيا، ويقولون فرّقت المسلمين! بينما إذا تكلمنا عن غيرهما لا يثور ولا يتحرك أحد! عِلماً أن هاتين الجماعتين وجودهم في الدنيا لا يتعدى ٥٪ من إجمالي الجماعات الموجودة في العالم.

والعالَم فيه جماعات وطُرق لا يعلمها إلا الله عز وجل، كلُّ بلدٍ في أفريقيا وجنوب وشرق آسيا فيه جماعة وطريقة ومذهب، وقِس عليه مثله، جماعة التكفير الحالية تَعدّت الخمسين قسماً.

ولذلك عندما تتكلم عن الصوفية لا يَعترضون، وهم جماعة تدعو إلى الله! وإلا فما الفرق بين الصوفي الملتزم بجماعة، والصوفي غير الملتزم بجماعة؟! كلهم دُعاة، وكلهم لهم كتب، فَهُم لا يوجدُ لديهم مِعيار: فالصوفي المنتسب مع جماعة التبليغ يجوز له أن يدعو، أما الصوفي الذي ليس مع الجماعة فلا يجوز له أن يدعو! معايير عجيبة.

إذاً فكأنَّ المسألة والدَّندَنة والجَعجَعة هي لِحمايَة جَماعة أو جماعتين، والبقية لِتَهلك، ليس لها قيمة عندَهم.

فنقول إذا كانت المسألة جِدية؛ فيجب أن توقِفوا الكلام والنقد عن كل تجمُّعٍ صوفي معتزلي أشعري، لأنهم جميعاً يدعون إلى الله!![1]

(١) [قالوا أن بيان الأخطاء في هذا الوقت يُضعِف المسلمين، ويُضعِف من هيبة العلماء عند العامة، وكشف عيوب الجماعات الإسلامية يُضعِف من هيبتها عند أعدائها، والجواب من وجوه:

أولاً: هل هؤلاء العلماء الفُضلاء أكبر مَنزلَةً أم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لا شك أن الجميع سيَقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلماذا في أوّل الدعوة ما جامَلَ الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكيف يُخطِّئُ اللهُ رسولَه؟! أليس الله قد خَطَّأ رسوله أكثر من مرّة في آيات؟ وقد يقول الناس كيف أن هذا الرسول يُخطِّئُه القرآن؟! فهل سمعتم أن أحداً قال: إن اليهود والنصارى والمنافقين يرقُصون طرباً من تخطِئة الله لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن هذا إضعاف لشخصية المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللدعوة الإسلامية؟ لا والله ما سمعنا.

وإنما نظر إليها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **على أنها تربية، ونَظَر إليها صحابته رضوان الله عليهم أنها تربية، وأن الحق ليس فيه مجاملة**، فلماذا نحن لا ننظر بهذا المنظار نفسه؟! فهل زعماء الجماعات الإسلامية الآن أفضل أم الصحابة رضوان الله عليهم؟! اقرءوا ما قال الله عز وجل عنهم في غزوة أحد وفي حُنين وفي غيرها، أنزل الله قُرآناً يعاتِبهم ويُبين خطأهم رضوان الله عليهم، وهُم في الحقيقة لم يبتدعوا، إنما -كما يقول الفقهاء- وَقَعوا بخلاف الأولى، **ولكن الله عز وجل لا يُحابي أحداً.**

فلماذا اعتبرنا هذا النقد وعتاب الله لهم تربية، ولم نَجعل نقد أصحاب الجماعات كذلك، فلِماذا لا يُفهم النقد على هذا الأساس؟! **حتى لا تبقى القدسية للبشر، زعماء الجماعات الآن أصبحت أقوالهم لها من القُدسِيّة ما يُقَدَّم على النصوص الشرعية!!**

إذاً نحن نقول أن هذا النقد وكشف الخطأ لا يُضعف المسلمين بل يُقويهم، ويجعل الأفراد بين ناقد ومنقود، كما قال الإمام مالك رحمه الله: (ما منا إلا رَد ورُد عليه، إلا صاحب هذا القبر).

والعجيب منهم لماذا لا يُقال عن ردود العلماء بعضهم على بعض على مر التاريخ، أن هذا يُضعِف من الهيبة؟! يعني لماذا تَضيع الهيبة فقط إذا انتقدنا جماعة الإخوان المسلمين؟! لكن إذا انتقدنا جماعة التبليغ أو الأئمة الأربعة ما تضيع هيبة الإسلام!! عندهم تضيع الهيبة إذا انتقدتَ سيد قطب! أما إذا انتقدتَ الإمام أحمد أو ابن تيمية لا يضُر الإسلام شيئاً!! سبحان الله هذا غلو ما سمِعنا به مِن قبل، فإذا أُخذ هذا المبدأ لزِم ألا يَنتقِدَ أحدٌ أحداً أبداً!

إذاً فنحن نرى أن ما نقوم به وما يقوم به علماؤنا **إنما هو الدَّرب الصحيح لعودة الأمة إلى رشدها**، وأن هذه القيادات التي تُسمى الآن بـ(القيادات الإسلامية) قد جرَّت الأمة إلى ويلات،

أو تقولوا مثل قولِنا: **لا يجوز أن تُنشأ جماعة، إلا من كانت عقيدتها صحيحة ومنهجُها صحيح**. فالسَّلفيون أصدقُ لهجة، وأوضح وأصرح منهم.

إذاً إذا قلنا: أن تعدد الجماعات ظاهرة صِحية تخدم الإسلام؛ فلا يجوز أن نُنكِر على أحدٍ، ويكون كلامنا ليس له مَعنى!

إذاً تعدُّدِ الجماعات فُرقةٌ للمسلمين، وإضعافٌ لهم وشر، بل إن كل الدعوات الفاسدة الآن دخلت في الجماعات الدعوية، وصار التَّكلم عليها تكلُّمٌ على أركان الدعوة الإسلامية!! وهذا لا شك إضْعافٌ للإسلام.

فما العِلاج؟

نقول: لا يستطيع أحدٌ بِجَرّة قَلَم أن يُلغي الموجود، فلا تستطيع أن تلغي الصوفية ولا الرافضة ولا المعتزلةً ولا الخوارج ولا أحداً.

لكن نقول **أولاً**: لا بُدّ من **إظهار الحق** وبيانه للناس، لا بُدّ أن يعرف الناس الحق من الباطل، سواء التزموه أم لم يلتزموه، هذه قضية ثانية.

الأمر **الثاني**: أننا لعلنا نستطيع أن **نُكثِّر سواد أهل الحق**، ونُقلِّلَ غيره.

الأمر **الثالث**: أنه لو جاء رجلٌ مُصلِح وعنده قدرة فلا ينخدع، لأن بعض المصلحين يرى هذا وهذا، والأوراق مُختلطة عند الناس؛ فإنه

=فلا بُدّ من كشفها للناس، وكلما سَكَتنا زاد البلاء.

وبعض الناس يقول: أن هذا خِلاف الحِكمة، نقول: ما هي الحِكمة أولاً؟ هُم يظنونها اللين، وهذا غير صحيح، بل الحِكمة هي السُّنة، والحِكمة هي وضع الشيء في موضِعه، وقد تكون الشِّدة أحياناً حِكمة، وقد يكون اللين حِكمة، فنقول نحن أتباع للحِكمة، وأننا نتّبع المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما جاءنا منه فهو الحِكمة وهو الكمال]. من محاضرة للشيخ بعنوان: (نظرات في واقع الجماعات الإسلامية المعاصرة ج٢).

سيَضيع، أما لو **رأى الحق والباطل**، وأخذَ بالحقِّ وعنده قوة؛ فإن الله يَجمع عليه الناس.

ولذلك كم من الناس من أسلَمَ أو هداه الله بعد معصية ثم جاء إلى المسلمين فرآهم على ما هم عليه، فأخذ له دَرباً من دُروب الصوفية، أو طريقةً من هذه الطرق السياسية وسار فيه؛ فإنه يَضِلّ ويَضيع.

سؤال: هل الذي يقوم عليه السلفيون هو كما يُقال تكفير وتضليل؟ وأن هذه الجماعات ليس لهم حسنة، وأنهم في جهنم؟

لم نَسمَع أحداً يقولُ مثل هذا، ولكنهم يختلِقون التُّهمة من عندهم، وينسبونها إلى مجهولٍ من السَّلفِيّين، ثم يتباكون على الأمة التي فُعل بها ما فُعل، وهذه من عَجائبهم.

إذاً خُلاصة الأمر أن هذه الأمة لا بُدّ أن تبقى أمة واحدة، وأن الدعوات إذا كان منهجها صحيحاً وعقيدتها صحيحة تتنافس في أمور الخير فلا حرج في ذلك، فجماعة يهتمون في تحفيظ القرآن، وجماعة يهتمون في تأليف الكتب، وجماعة يهتمون في دعوة الجاليات غير المسلمة، وجماعة تهتم في بناء المساجد وحفر الآبار، وغيرها، أما إذا فسدت العقيدة واختلف المنهج فنقول هذه بداية الانحراف، نسأل الله أن يقي المسلمين شرها.(١)

---

(١) **سائل يقول: ما رأيك في بعض المشايخ السلفيين الذين يُلقون المحاضرات عند بعض الجماعات؟**
الجواب: أنا أرى أنه لا ينبغي لهم -ولا أقول حَراماً-، لأن في هذا تلبيسٌ على العامة، فيقولون: هؤلاء لو كانوا على باطل لَما حاضر عندهم فلان الشيخ السلفي. والسلف قد ركزوا على هَجرِ أماكن أهل البدع ومُنتدياتهم.

=ويقول السائل: **وإذا كان الكلام على المنهج والعقيدة في منتدياتهم؟**
من خلال الواقع لا يُمكَّنون من ذلك.

وآخر يسأل: هل هناك نقاط التقاء مع هذه الجماعات وهل من الممكن التعاون معها؟
الجواب: ذكر العلماء في كتبهم أن التعاون يكون لحاجة أو مصلحة راجحة، كأن يتعاونوا في إغاثة منكوب، أو في منع الاختلاط مثلاً في الجامعة، وغيرها من الأمور العامة التي فيها مصلحة ظاهرة، فلا حَرَج في ذلك، أما التَّعاون معهم في نشر الدين؛ فهذا يدعو لمنهج الأشاعرة وذاك لمنهج الصوفية، فهذا لا يجوز.

وسُئِل الشيخ في محاضرة أخرى بعنوان: (نصيحة للشباب ج١) عن حُكم التعاون مع الجماعات الإسلامية على البر والخير أو على إزالة منكر؟

فقال: [أرجو أن تفرِّقوا بين أمرين اثنين: الأمر الأول هو الموقف الفكري والشرعي والعقائدي من الجماعات والمذاهب والطُّرق، يجب أن يكون واضحاً، وأنها كلها بمجموعها ليست على طريقة السلف، وإن كان مِن أفرادِ هذه الجماعات -كما قاله الإمام النووي رحمه الله عن أهل الحديث- قد تجد بعضهم في طائفة أخرى، فقد تجد الرَّجل السلفي في طائفة من الطوائف، وفي جماعة من الجماعات، وهذه المُسميات والجماعات الموجودة الآن هم أنفسهم لا يريدون أن يتسمّوا وينتسبوا للسلف، فالموقف الفكري العقائدي يجب أن يكون واضحاً، فالسلفيين يتبنون عقيدة ومنهج السلف، أما الجماعات الأخرى يَقرُبون أو يَبعُدون من هذا.

الأمر الثاني: وهو التعامل معهم فيختلف من بلدٍ إلى بلد، ومن واقع إلى واقع، ومن حالٍ إلى حال، فقد يضطر السلفيون في أفريقيا أو في غيرها أن يتعاونوا أحياناً مع القبوريين لدفع شرٍّ أكبرِ رأوه، وقد لا يرون التعاون، **فسياسات التعامل لا أستطيع أن أُحدِّد لها قاعدة عامة، وإنما أقول هي تخضع للمصالح والمفاسد**، ولذلك لا ينبغي أن نُنكِر ذلك إن وقع، لأن هذا مما يجوز الاختلاف فيه، فإن هذا ليس من المنهج وإنما من المصالح والمفاسد، فلا بُدّ أن نفرِّق بين الأمرين: من موقفنا الواضح البارز من الفِكر المطروح، وبين التعامل والثناء وما إلى ذلك].

وأورد الشيخ سؤالاً وأجاب عنه في محاضرة أخرى: [هل من الضرورة أن تتعلم المرأة أو الرجل العامي كل هذه الأشياء -وهو ما يتعلق بأسماء الجماعات ومُؤسسيهم وأهمّ أفكارهم- ؟

أقول نعم من الضرورة أن يتعلّم المسلمون، وخاصة المرأة، أن تتعلم الحق من الباطل، وأن تتعلَّم السُّنة من البِدعة، وأن تتعلم وتعرف دعاة الهدى من دعاةِ الضلال، وذلك لأنها في بيتها تُربّي أبنائها، والأولاد والبنات هم وَقود حركات الدعوات المعاصرة، فإذا الأم عَرَفت ذلك؛ فتستطيع أن توجه أبنائها الوُجهة الصَّحيحة، وتَحميهم من هذا الانزلاق]. من محاضرة بعنوان: (المذاهب والجماعات بعد سقوط الدولة العثمانية).

٢٠

المحــــاضرة العشـــرون:

وسائل الدَّعوة والموقِفُ منها

المحاضرة العشرون

وسائل الدَّعوة والموقِفُ منها

لا بُدّ أن يُعلم -كما قُلتُ مِراراً وتكراراً- أننا لا نُنشئ أمراً جديداً، ولا نُقَعِّد لأمرٍ لم يعرفه من سَبَق، وإنما نحن ننقل ونُثبِت ما كان عليه الأولون من السلف الصالح رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ وأرضاهم.

المسألة الأولى: ما معنى الدعوة؟ لأن البعض من الناس يظن أن هذه الدعوة هي شيءٌ جديد، وأنه ناتج عمّا يُسمى بـ (الصَّحوة الإسلامية)، وبالتالي صار عندهم في المجتمع: أناس دعاة، وأناس غير دُعاة، وهذا من التلبيس.

فإن الدعوة بدأت مع كل نبي ومع كل رسول، ورسولنا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قد دعا إلى الله عز وجل، ودعا معه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف:١٠٨].

إذاً الدعوة قديمة وهي متجددة بتجدد أحوال الناس، والله عز وجل جعل الذي يدعو إلى سبيله من أحسن الناس قولاً كما قال سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فُصّلت:٣٣].

المسألة الثانية: يجب أن نفهم ما معنى وسيلة؟ لأنه طرأ جدل كثير حول وسائل الدعوة، هل هي توقيفية أم اجتهادية؟

التفريق بين الوسائل والأدوات واللوازم

علماء الدعوة السلفية بجميع مراتبهم يقولون بأن وسائل الدعوة توقيفية، يعني لا ينبغي الاجتهاد فيها، وإنما هي عبادة لله عز وجل بنصوص القرآن ونصوص حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه العبادة غاياتها ووسائلها توقيفية، لكن في هذا العصر نشأ خَلط من الناس متعمّد، **فجَعَلوا (الوسائل) مع (الأسباب) و(الأدوات) بِحُكمٍ واحِد!!**

فالجهاد إلى الله عز وجل لا شك أنه عبادة عظيمة ووسائله توقيفية، **لكن أسبابه ولوازمه وأدواته ليس لها نهاية**، فلا نقول لا يجوز الجهاد إلا على حصان أو على بَعير أو بسيف، وإنما يُجاهد بالمدفع والرشاش والصاروخ كي يتحقق النصر.

إذاً كلام العلماء في الوسائل يجب أن يكون مُنصَباً على ما كان متعلقاً بالمنهج ومرتبطاً بفهم الدين والدعوة، هذا الأمر الأول.

الأمر الثاني: الأدوات والوسائل الأخرى الباب فيها مفتوح، **فلا نعلم** عالماً من علماء المسلمين قال: بأن الراديو والمسجل والكتاب والشريط (الكاسيت) أنها لا تجوز لأنها مُحدَثة!!

إذاً إذا قرأتُم لِعلمائنا[1] كلمة: (وسائل الدعوة توقيفية) فمعناها: الوسائل ذات الصلة بمنهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنقول هذه لم يفعلها الأوّلون فلا نفعلُها، ونضرب مثالاً في مسألة الحج: الله عز وجل أمرنا بـ (رمي) الجَمَرات، وسيلة عبادية محدودة المعالم، فلو جاء شخص يسأل: كيف أَصِل إلى الجَمَرات؟ نقول هو حُر، يصل

(١) كما ذكر الشيخ بكر أبوزيد -في كتابه (حكم الانتماء ص١٢٨)- والشيخ ناصر الألباني، والشيخ ابن باز، وغيرهم. (ش) وينظر كتاب د. عبدالسلام بن برجس العبدالكريم (الحُجج القوية على أن وسائل الدعوة توقيفية).

على رجله، على بعير، بطائرة، الباب مفتوح، وكذلك وسيلته في تجميع الحصى، مفتوحة واسعة، لكن وسيلته في تحقيق هذه العبادة، ألا وهي كيف يوصل هذه الحجارة إلى موضعها؟ فهذه عبادة، فلا يجوز له أن يجتهد فيها، فلا يجوز أن يرمي بمسدس ولا بغيره إلا بيده.

إذاً فالوسائل التي توصل إلى الهدف ومرتبطة بالمنهج فهي توقيفية، لا يجوز الاجتهاد فيها، أما **الوسائل المستجدة التي تُعين على الدعوة إلى الله عز وجل فهذه أمرها واسع**، وتتجدد بتجدد العصور والأزمان ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل:٨].

لهذا السبب نأتي إلى بيان بعض الوسائل التي طرأ فيها الكلام في هذا العصر بالذات.

توافر دوافع الفعل ولا مانع

هناك مسألة في الأصول تقول: (**دوافع الفعل إن كانت متوفرة ولم يُفعل؛ فلا ينبغي لنا أن نفعله**)، فمثلاً قراءة الخَتَمَة على الميت بحيث يجتمعون في مكان ويجمعون الناس ليقرؤوا القرآن(١)؛ حتى يحصل الأجر للميت، فتجد الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لم يفعلوه، فهل لا يريدون الأجر؟!

فدوافع الفعل موجودة والسبب موجود، ولا يوجد مانع يمنعهم من ذلك، فنقول يقيناً: لو كان خيراً لسبقونا إليه.

فإذا أتيحت الفرصة للمجتمع الإسلامي -عهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) بطريقة الهيئة والمكان، أما مسألة انتفاع الموتى وإهداء الثواب للموتى فهو مما اختلف فيه العلماء، وقد بحثها **الإمام ابن القيم** رحمه الله في كتابه (الروح) فأطال وأطاب ورجَّح مذهب الإمام أحمد وغيره بانتفاع الموتى بما يوهَب لهم من القُرَب. وانظر (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة) **للشيخ ابن باز** رحمه الله فقد رَجَّح عدم مشروعية إهداء ثواب قراءة القرآن للميت.

والصحابة والتابعين- بالقيام بعمل ما، ولَمْ يَقُم به، فنجزم يقيناً -وإن جاء بفوائد- أنه لا يجوز القيام به.

ومن ذلك أيضاً **استخدام التمثيل** في الدعوة إلى الله، فهي وسيلة كما يقولون، فنقيم مسرحية مثلاً ونمثل دور الفاسق ودور الصالح.. ثم بعد ذلك نوصل للناس أن الصحبة السيئة آثارها وخيمة!

فنقول أن هذا لا يجوز، ما السبب؟ لأن الدافع إليه متوفر في عهد الصحابة ولم يَفعلوه، ولا يأتِ آتٍ يقول أن التمثيل لم يكن موجوداً ولم يعرفوه! نقول التمثيل قديم عند اليونانيين، والتشبيه وأحواله والقصص والروايات على لسان الغير قد وَردت في شعر العرب.

وكذلك التمثيل فيه محاذير، لأن ما مِن شيءٍ ممنوع إلا وفيه محاذير[١]، كالكذب وتشَبُّه المسلم بالكافر وبالبهائم أحياناً، وتَشَبُّه الرجل بالمرأة، وتوسَّع البعض وأدخل فيه الموسيقى! وغيرها.

والإسلام انتشر عبر الدنيا من غير التمثيل والمسرحيات، وأنا قلت لإخواننا المتحمسين للإعلام ائتوني بشخص دخل في الإسلام متأثراً بمسرحية إسلامية أو فيلم!

الاعتصامات والمظاهرات

ومثله كذلك ما استجدَّ في عصرنا هذا بما يُسمى **بالاعتصامات والمظاهرات**، والناس تفهم أنها وسيلة دعوة، وهذا خطأ وإنما هي وسيلة إنكار منكر.

والفرق أن الدعوة هي أن تذهب إلى فاسق أو كافر فتجتهد عليه لتدعوه إلى الصلاح، أما إنكار المنكر مثاله شخص عنده معصية أو بدعة

(١) كما ذكر الشيخ بكر أبوزيد في كتابه (التمثيل). (ش)

فتسعى إلى أن يتركها.

والمظاهرات والاعتصامات[(١)] نرى أنها لا تجوز لأنها **أولاً**: من إنتاج الكفار، ونحن نُهينا أن نتشَبَّهَ بهم مُطلقاً، **والثانية**: أنه بالتَّجرِبَة قد ظهر فسادها أكثر من نفعها، **الثالثة**: أنها تفتح باب فساد العلاقة بين الحاكم والمحكوم، فكأننا نُعين على ما يُسمى بـ (التَّهييج)، وأي بلدٍ تكثُر فيه المظاهرات؛ لا يحصل له الاستقرار[(٢)].

إذاً يا إخواني مَنَعَها علماؤنا لأن مظاهر الشر فيها أكثر من مظاهر الخير.

وقد يقول قائل: لكنها وسيلة ضغط على الحاكم، فنقول: صحيح، لكن قد تكون أيضاً وسيلة فساد.

دفع المفاسد أولى من جلب المصالح

ثم قد يقول: أنتم منعتموها لمظنّة الضَّرر! فنقول: لا، المنفعة فيها ظنِّية، ولِنُسلّم جَدَلاً أن الضرر أيضاً ظني، فمن المقرر عندنا أن دفع المفاسد أولى من جلب المصالح، **فدفع الضرر الظني أولى من كسب المنفعة الظنية**.

ثم بعد ذلك نقول لماذا هذا اللف والدوران في إقرار وسائل ليست على طريقة سلفنا الصالح؟ ماذا نريد؟ نريد الدعوة إلى الله عز وجل،

---

(١) أفتى بحرمتها الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين رحمهما الله وغيرهما، وللاستزادة راجع كتاب (النَّقض على مُجَوّزي المظاهرات) د. عبدالعزيز السعيد، وكتاب (حكم المظاهرات في الإسلام) لأحمد سليمان أيوب، طبع دار الصميعي.

(٢) وكما يحصل في بنغلاديش وباكستان هناك مُقاولين مُختَصين بالمظاهرات، فعلى قدر ما تدفعه يُخرج لك العدد من الناس كي تتظاهر، بأي قضية تريدها، سياسة، خُبز، دراجات!! (ش)

ورأينا في هذه السنوات ما حصل في مصر وليبيا واليمن وغيرها بما يسمى بـ (الربيع العربي) وما جَرّت من ويلات، وعدم استقرار وذهابٍ للأمن وسقوط اقتصاد، فرحم الله العلماء وإشفاقهم على الأمة بالتحذير من هذه المظاهرات.

نريد أن نبين للناس أن هذا دين الله سبحانه وتعالى، فهل يحصل هذا المقصود إذا خَرج هؤلاء الغوغاء من الناس في تلكم المظاهرات.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يَرتبط بهذا مباشرة، قضية **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، ولا بُدّ فيه من تقريرِ مَسائِل بشكل موجز:

أولاً: يجب أن نعتقد اعتقاداً جازماً أن هذه **عِبادة**، يعني مثل الصلاة والصيام والزكاة.

الأمر الثاني: أن الله سبحانه وتعالى الذي فَرَض علينا الدعوة إلى دينه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فلا يُعقل أن يتركنا هملاً، نتصرَّف في هذا الكون كما نُريد! وهو ربنا جل وعلا الذي علَّمَنا متى نُقَلّم الأظافر، وكيف ينتف الرجل إبطه.. **فدِينٌ يُعلّمك كيف تدخل الحمام وكيف تخرج منه، وكيف تجلس على الطعام.. إلخ فلم يفرّط في بيان هذه الأمور، ويأتي ويُفرّط في بيان كيف تُقام الأمة وتُصلِح اعوجاجها!!** وهي أعظم بلا شك.(١)

فلا يعقل أن الله تعالى يدقق في هذه الأمور التي تتعلق في النظافة الشخصية، ويترك الأمور العظام هَمَلاً، يجتهد فيه المفكرون كما يشاؤون!!

فالله تعالى بيّن لنا وسائل الدعوة إليه ووسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حتى نعبده على بصيرة، قال جل شأنه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨]، وقال ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [الشورى:١٥].

---

(١) عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقَدْ ترَكَنا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما يُحَرِّكُ طائرٌ جناحَيْهِ في السماءِ، إلا ذَكَّرَنا مِنْهُ عِلْمًا. قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الجنةِ، ويباعِدُ مِنَ النارِ، إلّا وقَدْ بُيِّنَ لكم). أخرجه أحمد (٢١٣٦١)، والطبراني في الكبير (١٦٤٧).

الهدف هو الإصلاح لا إقامة الحُجة فقط

الثالث: أن **الهدف الأساس** -الذي قرره علماءنا- من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو **إصلاح الناس لا إقامة الحجة عليهم**، فإقامة الحجة حاصلة، لكن نيتك يجب أن تنصرف إلى إصلاح هذا العبد ليكون عبداً لله، (**لأن يهدي الله بك رجلًا واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس**)[1]، وليس أن تُقيم الحجة عليه ثم تُكفّره وتقيم عليه الحد! فعلى كل آمر، وكل ناهٍ، وكل مجاهد، وكل داعية؛ أن يفرّق بين هذين الأمرين.

لذلك كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم يحرصون أشد الحرص على ألا يظهر من حركاتهم أنهم يريدون غَلَبَة المناظر، لأننا نُلاحظ في الشباب والآمرين بالمعروف كأن بينهم وبين الناس عداوة لحم، والأصل أنها عداوة فِكر، وبالتالي تكون مهيّأ نفسياً لو تاب هذا العاصي وأسلم هذا الكافر أن يكون أخاً لك، وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم وأرضاهم، يصبح الرجل يقاتلهم ويقتل فيهم، فإذا أسلم كان من أحب الناس إليهم، في اليوم نفسه!

هذا الشعور يجب أن يكون عند الداعي إلى الله سبحانه وتعالى، وعند الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، **شعور المحبة والخير للناس**، وهكذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِب الخير للناس، ويحرص على أن يوصله إليهم.

الأمر الرابع: أننا يجب أن نعلم أن هناك **قواعد شرعية** لا بُدّ أن نسلكها، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يختلف في مراتب الناس، فلكل إنسان مرتبة معينة، فلا شك أنك عندما تريد أن تأمر والديك أو تنهاهما يختلف الأمر والطريقة عن غيرهم، وكذلك معلمك، وكبير

(١) أخرجه الطبراني والحاكم (٣/ ٥٩٨)، ورواه ابن المبارك في الزهد (١/ ٢٢٠) بلفظ (خير من الدنيا وما فيها)، وأصله في الصحيحين بلفظ (خير لك من حُمر النّعم). بواسطة السلسلة الضعيفة (٢٩٥٠).

السن، والإنسان في الشارع، وكذلك الحاكم.

الإنكار العلني

هذه المراتب قد راعاها السلف مراعاةً دقيقة، وكتبوا فيها وميّزوا وبَسَطوا وفصَّلوا، وذلك أنهم **نظروا فيه إلى المصلحة والمفسدة**، ولذلك كان من القواعد التي وضعوها أنه لا يجوز الإنكار على ذي السلطان علناً، وعلى هذا استقر الفقه عندهم، لِما يترتب عليه من فسادٍ وفوضى.

فلا بُدّ إذاً لكل من يريد أن يشتغل بالإصلاح أن يراعي هذه الفروقات، وألا تختلط عنده الأوراق؛ فيضيع.

يَرِدُ هنا اعتراض: كيف تقولون بالمناصحة السرِّية، وأنتم تُجيزون للأعضاء في البرلمان ما يُسمى **بالمناقشة العلنية للوزراء** بل الاستجواب؟

والجواب حتى لا يُلبّس الأمر على الناس: أن هناك فرقاً بين مَن أُعطي صفة الأمر بالمعروف مِن عوام الناس، ومن أُعطي صفة أهل الحل والعقد من الناس، وأهل الحل والعقد أعيان الناس الذين يخالطون الأمراء والحكام والمسؤولين، فهؤلاء يجب عليهم أن ينصحوا ويبينوا ويناقشوا، لأن من صفات أهل الحل والعقد أنه يأمر وينهى ويحاسِب، ولذلك انظروا إلى الصحابة الكبار كيف كانوا يحاسِبون مع عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ولاته.

وكان الوالي يأتي ويُستدعى من البصرة أو من الشام إلى مجلس عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ويكون في المجلس أعيان البلد الذين اشتكوا عليه، - هذا إنكار علني - يؤتى بأمير الكوفة ويؤتى بأعيان الكوفة أهل الحل والعقد فيها، فيقول لهم عمر هذا صاحبكم فقالوا فيه كذا وكذا وتُجرى المساءَلَة[1].

(١) للفائدة: انظر ما قاله الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في **حكم الإنكار العلني**: (فإذا رأينا أن الإنكار

فهـذا الـذي كان يجـري في عهـد خلفـاء الإسـلام أن يؤتـى بالـوالي الـذي هـو بمثابـة وزيـر، ويناقـش مـن أهـل الحـل والعقـد ويبـين لـه انحرافاتـه المالية والاجتماعيـة والشرعيـة، ثـم بعـد ذلـك يحكـم الخليفـة، ويخرجـون.

الآن أعضـاء البرلمـان قـد أعطاهـم النِّظـام صفـة أهـل الحـل والعقـد، فَهُـم يُمارسـون دورهـم الشرعـي الـذي هـو متمثِّلٌ في نظـام أهـل الحـل والعقـد.

فتـأتي جماعـة مـن المشـاغبين في هـذه الأيـام فيقولـون: كيـف تمنعـون الإنـكار العلنـي عـلى المنابـر وتجيزونـه لأعضـاء البرلمـان؟ فـرقٌ بـين أن يقـف الخطيـب فيُهيّـج العامّـة ويفتـح بـاب شر، وبـين أن يقـف صاحـب الاختصاص مواجهـةً للمسـؤول ويناقشـه مـن واقِعـه، يختلـف هـذا عـن هـذا تمامـاً.(١)

=علنـاً يـزول بـه المنكـر ويَحصـل بـه الخـير **فلنُنكـر علنـاً**، وإذا رأينـا أن الإنـكار علنـاً لا يـزول بـه الـشر ولا يحصـل بـه الخـير بـل يـزداد ضغـط الـولاة عـلى المنكريـن وأهـل الخـير، فـإن الخـير أن **نُنكـر سِراً**، وبهـذا تجتمـع الأدلـة.. وأقـول لكـم: إنـه لم يضـل مـن ضـل مـن هـذه الأمـة إلا بسـبب أنهـم يأخـذون بجانـب مـن النصـوص ويدعـون جانبـاً). [لقـاء البـاب المفتـوح رقـم ٦٢].

(١) **سـائل يسـأل: مـا رأيـك فيمـن يقـوم بعمـل مؤتمـرات معينـة يدعـو أصحـاب الفكـر الفاسـد لمناقشـةٍ جَهريـة مـع الدعـاة؟**

الجـواب: نـرى أن السـلف قـد حـذروا مـن هـذا، وذلـك أن يسـمح لأهـل الأهـواء أن يدلـوا بآرائهـم عـلى النـاس، هـذا خـلاف إجمـاع علـماء الأمـة. فالسـلف مـن أولهـم إلى آخرهـم تـرى أنهـم منعـوا أصحـاب الأهـواء أن يدلـوا بدلوهـم أمـام النـاس، بـل كانـوا يمنعـون أن تنسـاق حجـة المنحـرف صاحـب الهـوى كاملـة، فلعلـك تسـوقها ولا تعـرف أن تجيـب عليهـا، فكيـف أن يسـمح أن يقـول كل مـا عنـده مـن شـبهات، ثـم يـأتي واحـد يعقّـب عليـه، الله أعلـم هـل يصيـب أو لا، لا شـك أنـه فتـح بـاب شر عـلى المسـلمين، ثـم لم نـر لهـذه المؤتمـرات والنـدوات أنهـا قدَّمـت للأمـة خـيراً، وصـار كل شيء قابـلاً للنقـاش!

الثوابـت التـي نعرفهـا بـدأت تتلاشـى وتضيـع، صـارت المسـألة الآن مـا يُعـرف بالحلقـات الفضائيـة والمؤتمـرات التي تُعقـد، هـي نفسـها (دعـوة الـترابي) ودعـوة (جماعـة الفكـر المسـتنير) التـي هـي تَضْييـع الهويـة، مـن خـلال الحـوار بـين الحـركات والمذاهـب والأديـان، ثـم بعـد ذلـك بـين النصرانيـة والإسـلام.

فالفكـر هـذا قديـم، ليـس جديـداً، وهـو إزالـة الحاجـز النفسـي كـما يقـال بينهـم، فيكـون التَّقـارب بـين تيـار الحداثـة والعلمانيـين واليسـاريين مـع الإسـلاميين، وبعـد ذلـك بـين الرافضـة والمسـلمين، وبـين =الصوفيـة والمسـلمين، ثـم اليهـود والمسـلمين، وهكـذا، فهـذا لا شـك أنـه **يـؤدي إلى ضَيـاع الشـخصية المُسـلمة**، التـي هـي الآن ضائعـة أصـلاً، والله المسـتعان.

لكـن كل هـذا إن شـاء الله يَصُـبُّ في رَصيـد الدعـوة السـلفية، وأن هـذه إرهاصـات لإظهـار الحَـقِّ وتقويـةٌ لـه بـإذن الله، فـيَرى النـاس الـدَّرب المـضيء في سـماء الدنيـا ويسـيرون عليـه.

٢١ المحاضرة الحادية والعشرون:

وقفاتٌ في الأمر بالمعروف والنَّهي عنِ المنكر

المحاضرة الحادية والعشرون

وقفاتٌ في الأمر بالمعروف والنَّهي عنِ المنكر [(١)]

السؤال الذي يَرِد: لِمَ أهل الدين وأهل الطاعة حريصون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ في الحقيقة هذا السؤال يجب أن يسأله العامَّة، والجواب على هذا من وجوه:

حب الخير هو المنطلق لا التَّشَفي

الأول: أننا قد عَلِمنا شَرْعاً أنه لا يكتمل فينا الإيمان إلا إذا أحببنا الخير للناس كما نُحِبّه لأنفسنا، وهذا معنى حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه)[(٢)]، إذاً لا يكتمل إيمان العبد المؤمن إلا إذا أحب لإخوانه ما أحب لنفسه، إذاً فهذا دافع، فالإنسان منا يحب لأهله الستر والعفة، ويحب لنفسه أن يكون طاهراً، فكذلك يحبه لإخوانه، ويحب لنفسه أن يكون من أهل الجنة، فكذلك يحبه لإخوانه، إذاً المنطلق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر **ليس التَّشفِّي والتَّفاخُر** بأننا قد هدانا الله عز وجل وهؤلاء عصاة قد ضلوا! لا، وإنما شعور عميق في قلوب الطائعين يجعلهم يحبون الخير لإخوانهم المسلمين كما يحبونه لأنفسهم، وعلى هذا فهم يتحرَّكون.

وعلى هذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب الخير للناس، حتى للكفار منهم، كما يحب الخير لنفسه، وهذا الشعور إذا انتفى من الآمرين

(١) أصله محاضرة للشيخ بعنوان: (ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، ألقاها سنة ١٩٩٢م تقريباً.

(٢) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

والناهـين، وأننـا مـا أمرنـا ولا نهينـا إلا بشـعور التكـبر والغطرسـة، وأننـا مهتـدون وهـؤلاء عصـاة؛ تضيـع الثمـرة، بـل إن كثيريـن لا يقبلـون هـذا منـا، -وهـذا سـيأتي تفصيلـه في الرفـق-.

ولذلـك مـن يُشـاهد النـاس الآن في قيـام العـشر الأواخـر مـن رمضـان، ويتذكـر في القديـم أوائـل السِّـتينيات يجـد العجـب، في ذلـك الوقـت مـا تجـد إلا مسـاجد قِلّـة، كبـار السـن قـد عمروهـا، وأمـا الشـباب فـما أظـن تجـد إلا مسـجدين، فتغـيَّر الحـال، مـا الـذي غـيَّره؟ أمـرٌ بمعـروف ونهـيٌ عـن منكـر، ودعـوة إلى الله عـز وجـل.

التألّم لعدم هداية الناس

إذاً حتـى ننـال فضـل الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر؛ لا بُـدّ أن نتذكَّر كيـف أن النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتـألَّم إذا اليهـودي مـا أسـلم، ويتـألَّم إذا قريش ردّت الديـن، ولا ينـام ليلـه مُتألِّـماً، فيهـوِّن عليـه ربُّـه تبـارك وتعـالى﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ [الكهـف:٦]، هكـذا كان النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهكـذا يجـب أن يكـون كل داعيـة، لمـاذا؟ لأن قريشـاً عـلى كل صراعهـا وكفرهـا وعنادهـا وحربهـا مـع النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقتالهـا لـه، كانـت تَشـهد لـه بقضيـة: أنـه محـب لهـا في الخـير.

فـإذا عَلِـم النـاس، وعلِـم العصـاة، وعلِـم أهـل البـدع، وعلمـت اليهـود والنصـارى وغيرهـم؛ أن هـؤلاء الدعـاة لا يضمـرون شراً لأحـد، وإنـما قـد يشُـدّدون كـما يقسـو الأب عـلى ابنـه، وقـد يُغلظـون لكنهـا غلظـة رحمـة لا تعذيـب، فـإذا جـاء هـذا في قلـوب العامـة؛ تغـير الحـال. فـإن الجائـع لـو قَدَّمتَ لـه طعامـاً في إنـاءٍ غـير نظيـفٍ مـا أكلـه، والشَّـبعان لـو قَدَّمـتَ لـه طعامـاً في إنـاءٍ جميـل تذوَّقـه.

لكي نحمي أنفسنا وبيوتنا

الثانية: أننا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر **حِماية لأنفسنا، ولأعراضنا، ولبيوتنا**، لأنه لو انتشرت الفضيلة تأمن على أولادك إذا خرجوا في الشارع، وتأمن على بناتِك وعلى زوجك وعلى أهلك، وإذا انتشرت الرذيلة تخاف، يتحول الإنسان بعد ذلك إلى ذئب، ومن رأى ما يجري في الدنيا يعرف هذه الحقيقة.

فالإنسان هو الإنسان، والظلم -كما قالوا- من شِيَم النفوس، لكن ما الذي يمنع؟ هو الخوف من الله، التقوى، فلذلك الحكومات تريد أن تُخرِج المواطن الصالح، لكن عندهم المواطن الصالح وإن زنى وإن عصى الله ما يضره شيء! وهذا فساد، فكم تَصرف الدول الآن من أموال حتى لا يسرق الأطفال، وكم تَصرف من أموال حتى لا يشرب الناس الخمر ..، **لكنهم لا يَصرِفونها لخَلقِ المواطن الصالح الذي أراده الله عز وجل،** ولو فعلوا لكانت التَّكلفة أقل.

ولو فُتح الأمر لأهلِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يأمروا وينهوا **بالرِّفق وبالحِكمة**؛ لتَغيرَّ الحال، فيا إخواني ليس شَرطاً أن تتحَجَّب المرأة مقتنِعة، بل يجب أن تُراعي بيئة المسلمين وأحوالهم.

ولذلك انظروا في مراكز ومخافر الشرطة وإلى السُّجون، وانظروا كم من أهل المساجد الملتزمين قد ضُبِطوا بسرقة أو بزنى أو بفساد، نسبة نادرة بل لا تُعَد ولا تُذكر.

فإن أرادوا مواطناً صالحاً؛ **إن لم يكن مع ربه بخير؛ فلن يكون مع الناس بخير أبداً**، فلو أن رجلاً كان مع الناس طيباً بشوشاً، فإذا دخل البيت سَبَّ والديه! فما هي أخلاقه؟! لا شيء، فكذلك من كان مع ربه علاقته فاسدة؛ فلا يصلح بعد ذلك مع الناس شيء.

إذاً على ولاة الأمر أن يَعلموا أنه لا صلاح للمجتمعات إلا إذا فُتح الباب لأهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك هذا هو الدَّرب الوحيد لإغلاق التَّطرُّف، لأنك إذا قلت للناس هذا الأمر -وهو وجود المنكرات- لا ينبغي ولا يجوز؛ بعد فترة يضج الناس، لكن لو فتحت قنوات شرعية للآمرين والناهين، يتغيّر الحال.

فلهذه الأسباب أهل الدين يأمرون وينهون، ولذلك الناس أعداء ما جهلوا، فهم لا يعلمون حقيقة ما ندعو إليه، وقد صُوِّرت لهم صورٌ مشوهة سيئة فقالوا هذا هو الدين!! ونحن نتكلم في مساحة صغيرة، والإعلام يتكلم في وسائل ما تنتهي، لكن لو كل واحد منا صار داعياً لإسلامه، آمراً ناهياً، لكُنّا آلافاً من قنوات الإعلام.

ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: (ما من أحدٍ من البشر إلا وهو آمر بالمعروف، ناهٍ عن منكر، ولو كان وحده، فإنه لا بُدّ أن يأمر نفسه وينهاها)[(١)] .

ثمرة ذلك

الأمر بالمعروف **له ثمرة على الإنسان في تديُّنِه**، لأنك لو قلتَ للناس صلوا في المسجد، وأنت صليت في البيت تستحي، ولذلك نقول للأخوة من أطلق لحيته يستحي أن يذهب للسينما، ولا يعاكس النساء، فالهيئة الظاهرية للإنسان تمنعه من أعمال كثيرة، لأنهم يقولون الإيمان في القلب، صحيح في القلب ولكن لا بُدّ له من عمل.

فالآمر بالمعروف الناهي عن المنكر **يُربي نفسه**، وأجره عظيم (مَن دَعا إلى هُدًى، كانَ له مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٦٨).

ذلكَ مِن أُجُورِهِمْ شيئًا)[(١)] وقد امتدح الله هذه الأمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠] والمعروف: هو الدِّين، وليس أهواءنا وأقوالنا وما ورثناه، والمنكر: هو ما خالف الدِّين، وليس ما خالف الهوى والنفس، وأن أكبر منكَر على وجه الأرض هو الشرك، وبعده البدعة في الدين، فإن منكرات العقائد أشدّ من منكرات الأخلاق، ولذلك يجب أن تنصبَّ الجهود أولاً على حرب منكرات الأفكار، على البدع والإحداث في الدين، فإن ذلك يهدم الدين، وما أوتي المسلمون إلا من هذا الباب، ولذلك إبليس يُحب المبتدع كثيراً؛ لأنه لا يتوب من بدعته، يظن نفسه على خير.

وكذلك أخبر الله تعالى أن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر **ناجون**، كما سألت أم المؤمنين عائشة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أنهلك وفينا الصالحون، قال: نعم إذا كَثُرَ الخَبَث)[(٢)] ولكنهم يُبعثون على نيَّاتهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٥].

عقوبة التقصير في الأمر والنهي

وإذا قصَّرنا في هذه الشعيرة **فسيحصل لنا الإثم**، ولذلك الله تعالى يقول: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٨،٧٩]، فمن أسباب لعنهم: تركهم النهي عن المنكر، فإذا شاعت عندنا البدع وسَكتنا عنها، يأتي بعد ذلك من يبني على قبر صغير فنسكُت عنه بحجة أن هذا يخدم

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٩)، ومسلم (٢٨٨٠).

الإسلام، وبعدها يأتي الرجل ويجلس في (مجلس ذكر) في زاوية، ونسكت، وآخر يزيد ذكراً، ونسكت، فنصل بعد ذلك إلى نشر الإحداثِ في الدين، فتضيع معالمه، فلا ندري أين نذهب، فلا بُدّ من بتر البدعة في أولها، وبتر المنكر في أوله حتى لا يكبر، ولكي لا ننال إثماً عظيماً.

أما ضوابط هذا الأمر، فتقومُ على ثلاثِ ركائز:

الأولى: العِلم، أن يعلم ما هو المعروف وما هو المنكر، فإن معرفة المنكر عبادة حتى لا يقع فيه، فيأتي بعض كبار السن يظن أن حضور الصبيان إلى المسجد ليس من الدِّين، فيطرُدَهم، ويظن بذلك أنه يتقرب إلى الله، عِلماً أنه أساء، فإن هذا خِلافَ السُّنة، بل السنة أن يأتوا المسجد فيرونا كيف نُصلي، ويَشتهر حديث: (جنِّبوا مساجِدكم: مجانينكم وصِبيانكم) فلا يصح[١]. وقِس مثله بأن يأمر بمعروفٍ وليس بمعروف، أو ينهى عن منكرٍ وليس بمنكر، فكما قال الإمام البخاري رحمه الله: العِلم قبل القول والعمل.[٢] لأنك لا تقول لفظةً إلا وهي مُسَجَّلة عليك ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق:١٨] ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦].

والعِلم يقتضي أمرين: **العِلم بالحُكم الشرعي، والعِلم بحالِ الفاعل نفسه**، فقد يكون مُتأولاً، أو له دليل آخر لا نعرفه، أو لو أنكرت عليه يترتب عليه منكر أكبر منه، وهذا من البصيرة، ولذلك نقول لهؤلاء الذين يُنادون بالخروج على حكامهم: قد ترون أن الخروج يحقق مصلحة،

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف (١٧٢٨)، وابن عَدي في: الكامل في الضعفاء (٤/ ١٣٤).

(٢) بوّب بذلك البخاري في صحيحه بعد حديث رقم (٦٧).

لكنه يُلحق دماراً، وما رأيناه في بلاد المسلمين القريبة حولنا من جراء هذه كثيرة.

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)[١] قال: (أما ما يقع من ظلمهم وجورهم بتأويلٍ سائغ أو غير سائغ، فلا يجوز أن يزال لِما فيه من ظُلم وجَور، كما هي عادة أكثر النفوس؛ تُزيل الشر بما هو شَرٌّ منه، وتُزيل العدوان بما هو أعدى منه، **فالخروج عليه يوجِبُ مِنَ الظلم والفساد أكثر مِن ظُلمهم**، فيُصبَرَ عليه كما يُصبرَ عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).ا.هـ[٢]

الثانية: الرِّفق، بأن يكون هذا الآمر رفيقاً بالناس، لأن الناس جُبلت على حب المُحسن إليها، كما قال الله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٤،٣٥]، ويقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن الرِّفق لا يكون في شيءٍ إلا زانَه، ولا يُنزع مِن شيءٍ إلا شانَه)[٣].

ما معنى الرفق بأهل البدع؟

لكن هل معنى الرفق - كما يُصوَّر لنا - أن نكون رفيقين مع أهل البدع ومع العُصاة ولا يَرون مِنّا إنكاراً؟! لا، وإنما الرِّفق أن نكون ربانيين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنتذكر حالنا قبل الهداية، خاصة لمن كان فاسِقاً فهداه الله لهذا الدرب، فتتلطف بالإحسان إليهم، والدفع بالحسنى، ومجاملة إخوانك حتى تتألفهم، فيقبلوا هذا الحق الذي عندك،

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٨٤٥).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٧٩).
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٤).

لأنك أنت المحتاج إليهم، فإذا اهتدى؛ فكل أجره لك، فقد تموت أنتَ وأجورهم تكتب لك.

الثالثة: الصَّبر، من يَصبِر هو من يَعرِف الثمرة والأجر، فلو قيل للناس من يقِف بالصّفّ نُعطيه مبلغ كذا - خمسين ألف دينار مثلاً-، الناس مستعدة أن تقف من الصبح إلى الليل، وتَصبر وتتحمّل الأذى فيه، من بَردٍ أو حَرٍّ أو غُبار، لماذا؟ لأنهم يَعرفون ثمرة هذا التَّعب، وما يقابله من منفعة محسوسَة، وكذلك العبد إذا دَخَل في قلبه الحاجة إلى الأجر، وأن الصبر على هؤلاء العصاة ودعوتهم وتَحَمُّل الأذى منهم؛ يُعلي درجته عند الله عز وجل، يتغير الحال. إذاً كلَّما عَقِلنا الثمرة؛ صَبَرنا على دعوتنا.

لذلك الله تعالى وَصف أهل الإيمان في سورة العصر: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده، وجاء في بعض الآثار: (لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر، فقيهاً فيما ينهى عنه، رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه)[(١)]، هل لا بُدّ أن يكون المرء فقيهاً إماماً كي يأمر وينهى؟ لا، فإذا علِمت جزئية صغيرة من الدين فبلِّغها، فلا يلزم أن تكون إماماً في الدين حتى تُبلِّغ، فإذا بلَّغتَ ما تعلَمَه كُن رفيقاً به، صابراً على الأذى فيه، والآن ولله الحمد قلَّ الأذى، فلا أحد يأتيك ويضربك على قولك، ولكننا قصَّرنا.

القيام به يلزم جميع الناس

ولا نُضَيِّق الأمر فقط على العلماء، ولكنه على الجميع، كما يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: (من رأى منكم مُنكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه،

(١) ذكره في كتابه (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص٢٠-٢١).

فإن لم يستطع بقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[(١)] وهذا عامٌ لجميع الناس.

فكل شخص رأى منكراً عليه تغييره حسب استطاعته، والاستطاعة هنا الشرعية لا البَدَنية، **ولكن لا نرى جواز تغيير المنكر باليد** إلا من له سُلطة شرعية، يلجأ بعد ذلك إلى لسانه، إلى البيان، إلى الحجة، إلى الكتابة - فإنها من عمل اللسان-، فإن عَجَز عن هذا لظروف، أنكر بقلبه، وهذا ما بعده شيء.

وأنصحُ نَفسي وإخواني ألا نُغفل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لَحظة، **وأن نبدأ بأنفُسنا نأمُرها ونَنهاها**، وأن ننتقل بعد ذلك إلى مَن شِئنا من الناس، فما مِن أحدٍ إلا وتَجِدُ فيه شيئاً من التَّقصير، ولكن ليكن أمرُكَ أمرَ مَحبّة وأُخوّة، حتى يَقبل منك هذا الأمر.[(٢)]

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

(٢) ويقول الشيخ في موضع آخر: [تركُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **والمناصحة بَرَدَت عند الشباب**، وبذلك يبرد العِلم، لكن إذا أحيينا المناصحة والأمر والنهي، حيا العلم وقام، والمدارسة -كما قالوا- هي سِماد العلم، هي التي تثبته، فنحن حقيقة ما ينتشر مذهبنا إلا بالعلم، ولا يكون علم إلا بمناصحة، وبالتالي أنت مضطر لتغير المنكر أن تتعلم السنة من البدعة، وتعرف الحق من الباطل، الآن كثير من إخواننا للأسف الشديد قراءته ضعيفة، ومعلوماته مما يسمعه من الدواوين ومن المدارس، وهذا غير صحيح، فلا بد من تدريس كتاب (صفة صلاة النبي) لأنه في الحقيقة كنز من الكنوز، وتُقرأ مقدمته في ذم التقليد وموقف الأئمة منه، أنا واحد من الناس كل فترة أقرأ فيه أجد نفسي في جزئيات نسيتها، وكنا ندرس هذا الكتاب من أوله إلى آخره مراراً وتكراراً.

كنّا نرى سابقاً أنه مَن يشربُ قائماً كأنه ارتكب جريمةً، أما الآن فبَرَدت المسألة عندنا، ومثلها في «اللحى» ومثلها في «الإسبال»، ولذلك نحن نصحنا إخواننا دائماً أن يكون سَمتُنا المميز في منهجنا، **فالسَّلفية ليست فقط اعتقادُ أن الله في السماء، وإنما هي عقيدة وعمل وواقع**، وهذا كله من الأصول العامة في المذهب، وأنا أعزوه إلى **عدم التّناصُح**، فنرى الإنسان يُخطئ ولا ننصحه، **كما قال الإمام أحمد:**

=**إذا سَكتَّ أنت وسَكتُّ أنا؛ فمتى يظهر الحق؟!** فهذا التناصح هو الذي يُحيي الأمة، والناس بشر، يعتريهم ما يعتري البشر من مراحل ضعف وقوة، فإذا وجد المخطئ مِن إخوانه مَن ينصحه سراً، ويأتيه البيت قاصداً مناصحته؛ فستكون كبيرة عنده، فأنا أرى أن المسألة ليست بحاجة إلى كلمة مني توجيه وإنما المسألة أن يكون الأخوة كلهم يتناصحون، نقيم فيما بيننا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نحييه من جديد بيننا، فعِند ذلك تتغير عندنا الأحوال.

البركة حقيقة **في حِلَقِ المساجد**، والآن أنا ألاحظ أن كثيراً من المناطق ضعُفت فيها هذه الحلق، وتحولت إلى المجالس والدواوين، وفي الحقيقة يجب أن يُعاد للمساجد نشاطها القديم، تُقام فيها حِلَق العلم المنتظمة، ويلقى فيها شباب المنطقة إلقاء الدروس وتجميع الناس، **لأن هذا هو الذي نفع الله به الدعوة السلفية في البداية**، فكانت كل المساجد فيها حلق أسبوعية، وكان من باب النُّصرة أنه إذا كان درس أولئك يناصرونهم بتكثير سوادهم، بخلاف الدواوين فاجعلوها للأمور العامة الثقافية، وليست هي الأصل، فالأصل المساجد، فما من مسجد إلا ولنا فيه دعوة ونشاط ولله الحمد، وأكثر إخواننا ولله الحمد طلبوا العلم وتوسعوا فيه بهذا الطريق، فالمسجد والدرس فيه له هَيبة، ونحن غير ممنوعين من دروس المساجد، فنستطيع أن نُمارس دعوتنا في المساجد، فأنا أرى الاستمرار في المساجد هو الضروري.

نحن يُراد منا أمران: الأمر الأول: أن **نتعلَّم الدين**، إذا ما تعلّمنا الدين ما نستطيع أن ندعو إليه، كما قال جلَّ وعلا: (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك)، وهذا التعلُّم للدين واجب علينا، وأن نعلِّمه الناس، فأنتَ إذا عَلَّمتَ إنساناً أصول أهل السنة والجماعة تَضمن أنه لا يَميل، ولكن إذا صار معك مُتديناً وصلّى وصام دونَ أن يَفهم أصل منهج أهل السنة والجماعة؛ فأي شُبهةٍ تأتيه تَجُرّه، ولذلك لما جاءت الفِتن ما انجرف الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، والسبب كان عندهم يقين، وأرضيَّة يَقِفون عليها، كذلك الآن لما جاءت الفتن فمُعظم الذين تربّوا على طريقة المشايخ ومَشوا على دربِ العلماء ما انجرفوا، إذاً العلم عاصمٌ، لأن الإنسان قد يكون عنده علم الآلة وعلم الفِقه والتفسير، لكن ما عنده «منهج» يعتصم فيه، فهذا تُزلّه شياطين الإنس، فلا بُد إذاً أن نتعلّم العلوم الشرعية التي نستطيع أن نعبد الله بها، ولا بُدّ أن نتعلم المنهج الصحيح الذي يقينا الزَّلل، وأنا لا أقول على الكل أن يكون خبيراً في الفِرق، لكن على الأقل أن **يَعرف الأصول العامة لمنهج أهل السنة**، حتى لو أتاه أحدهم يريد أن يشوّش عليه، يقول هذا نَعرفه، فلا يُشوّش عليه، وقصة ابن مسعود مع اليهودي الذي شَوَّش على أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فلا بد أن يكون عندنا وعيٌ بمنهج أهل السنة والجماعة، منهج الاستدلال عندهم، منهج الفهم عندهم، أمّا جزئيات الدين فهذه تأتي تَبَعاً، فلا بد أن يكون عندنا منهجٌ واضح المعالم، وهذه كالأصل الذي يجب أن نبني عليه البنيان.

الأصل الثاني: لا بد أن ننظُرَ إلى هذه الأمة، لماذا فقط نَبكي بأن الرافضة فعلوا والعلمانيون فعلوا والإخوان فعلوا.. نحن ماذا فعلنا؟! كل الجرائد والمجلات إلا وفيها بريد القُراء، لو كلّ واحد يكتب رسالة ويرسلها، لكانت هناك أطنان من المقالات، فلو كنا ٥٠٠ شخص وكل واحد يكتب في كل يوم قُصاصة، لكان لديهم عدد كبير، لا تأخذ من الكاتب العادي أكثر من ١٠ دقائق ويرسلها، لو تتصورون لو خمسين أو ستين رسالة كلها تُنكر منكراً واحداً، لو نشروا خمسة منها بركة، لكن صِرنا

=غير مُبالين، لو رأينا خطأً أسرَعنا بالشكوى إلى أحد المشايخ! هذا ليس علاجاً، هذا حال أكثرنا، لا بُدّ أن ننظر ماذا نحن فعلنا؟ **فالصحابة كانوا يُطبِّقون (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده..)** وكلّنا نستطيع بلساننا، إذاً الثانية أن **نتحول إلى أمة آمرة ناهية**، ماذا فعلنا في مساجدنا؟! من مُناصحة ولين، وإهداء كتاب إذا لم يكن لديك قدرة بيان، إذاً يا أخوة لا بُدّ من أن نتحوّل إلى أمة مُغيّرة لواقعها، عند ذلك يصلح المجتمع، فإذا صلُحَ المجتمع ارتاح الناس، وارتاحت الحكومة.

فجماعة الجهاد والتكفيريين: لم يأتوا بأناسٍ من السماء، ولا من الشارع، يأتون إلى المساجد وإلى المصلين ويجتالونهم واحداً واحداً، وقد يكونوا يصلون معنا ولكن لا ننتبه، ونرى هذا الناشئ كان عاقلاً فصار ثورياً، لماذا؟ لأننا تركناهم فارغين، **نحن ما حَصّناهم، ما تكلمنا معهم بالدّليل والبرهان والمنهج،** فلا بُدّ أن تغيروا من عقولكم ليتغيّر واقعكم، نتحول إلى أمة تجتهد، وهذا يلزمنا.

وانظر كذلك إلى أيّ رافِضي: تجده يفهم في مثالب أبي بكر وعمر وعائشة وقصة السقيفة، يفهم الخطوط العامة للشُّبهات على الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وبالمقابل اسأل أي سُنّي تجده خاوياً ما عنده شيء! وهذا الرافضي العامي لم يتلقاها من مدرسة، وإنما أخذها من جماعته، تجده ما يصلي فاسق، ولكن إذا ذكرت عائشة سرد لك مثالبها، يحفظها حفظاً، فلماذا لا يكون لأهل السنة وعيٌ في فضائل الصحابة ومنزلة السّلف؟!] من (لقاء شباب القرين).

٢٢ المحــــاضرة الثــــانيــة والعشــرون:

تَزكِيَةُ النَّفس .. والتَّصَوّف

المحاضرة الثانية والعشرون

تَزكِيَةُ النَّفس .. والتَّصَوّف [(١)]

أرسل الله رسوله لتزكية الناس

قضية تزكية النفس هي في الحقيقة قبل أن تكون عند الصوفية أو عند غيرهم هي مطلبٌ شرعي، بمعنى أن الإسلام من مطالبه الأساسية ومن الأسس التي جاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليُقرها، ومن أجلها بُعث صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنما بُعثت لأتمم مكارم -أو صالح- الأخلاق)[(٢)]، وهي التي أخبر الله سبحانه وتعالى عن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢]، فأرسل الله سبحانه وتعالى رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هذه الأمة - الأميَّة العربية - وذلك ليزكيها ويرفعها وفق كتاب الله جَلَّ جَلَالُهُ وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الناس قبل مجيءِ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ينتشر عندهم الزِّنا والرِّبا وقتل النفس، وكانوا يَعدّون مَفاخرهم بقتل الناس وتيتُّم الأطفال، فلما جاء الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هؤلاء الناس زكّاهم ورَفَعهم، وجعلهم أمة قوية يخافُها الناس، كما يُخبر بذلك عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (**كنّا رُعاة أذِلّة، رعاةَ**

---

(١) أصلها محاضرة للشيخ بعنوان: (هل التَّصوف منهج تزكية؟).

(٢) أخرجه أحمد (٨٩٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٤٥).

إبـلٍ وشـاة، فأعزَّنـا الله بالإسـلام، ومـن يَبتَـغِ العِـزَّة بغيـرِ الإسـلام أذلَّـه الله)[١].

التزكية تُؤدي لإخلاص العبادة

فـإذاً مـن أهـداف الرسـالة وأسسـها تزكيـة الإنسـان، هـل ليكـون روحانياً فقـط؟ الأمـر الـذي مـن أجلـه زُكّـيَ هـذا الإنسـان هـو أن يَعبـدَ الله سـبحانه وتعـالى، فتزكيـة النفـس مَعـبرٌ إلى إخـلاص العبادة لله سـبحانه وتعـالى، وبالتالي يسـتحق أن يكـون عبـداً لله سـبحانه وتعـالى فيدخـل الجنـة، ولذلك الله سـبحانه تعـالى يخـبر أن مـن زكـى نفسـه فهـو مفلـح، ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩، ١٠].

فتزكيـة النَّفـس في ذاتهـا ليسَـت غايـة، والوصـول إلى قمـة الروحانيـات في ذاتهـا ليسـت غايـة، وإنـما الغايـة مـن وراء التزكيـة هـي: أن يَصِـل الإنسـان إلى درجـة مـن السُّـمو، فيتقبـل الطاعـة؛ فـيرضى عنـه الله سـبحانه وتعـالى؛ فيُدخله الجنَّـة، فـإذا نظرنـا إلى التزكيـة بهـذه النظـرة؛ عنـد ذلـك نقـف عندهـا طويـلاً، أمـا إذا زَعمنـا تزكيـة النفـس هـي الغايـة التـي نَنشُـد، والقمـة في الروحانيـات هـي الغايـة، فعنـد ذلـك يتغـير المسـار.

ولذلـك الله سـبحانه وتعـالى عندمـا أخـبر بأنـه ﴿بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾، وظيفـة هـذا الرسـول أنـه: ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾، ثـم قـال أن هـؤلاء النـاس كانـوا قبـل هـذا النبـي ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الجمعة:٢].

التزكية وسيلة لقبول الطاعة

إذاً تزكيـة نفـس الإنسـان وسـيلة إلى إصـلاح هـذه النفـس لتَقبـل، وتكـون مهيـأةً لقَبـول أوامـر الله سـبحانه وتعـالى، وهـي كـما يقولـون: اسـتصلاح

(١) أخرجـه الحاكـم في المسـتدرك: قصـة خـروج عُمـر إلى الشـام (١/ ٦١-٦٢) وصححـه ووافقـه الذّهبـي، والألبـاني في السلسـلة الصحيحـة (٥١).

الأرض لتقبل النَّبت فيثمر بعد ذلك، والنفس غير الزكية هي نفسٌ غير مُستصلحة، وبالتالي لا تُثمر عندها طاعة، ولا يستحِق صاحبها أن يكون من أهل الجنة.

فتزكية النفس لتكون مُتهيِّئة لقَبول دين الله سبحانه وتعالى، وكلّما زَكت نفسُ الإنسان وطَهُرَت وارتفعت رتبة عند الله سبحانه وتعالى؛ جاءها علاج آخر لتزكو، ولذلك لمّا سُئل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي الناس أشد بلاءً؟ قال: (**الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**)[(١)] وفي رواية أخرى: (**يُبتلى الرجل على حسب دينه**)[(٢)]، هذه التزكية التي يُفتن بها الرَّجُل على حسب دينه، هي التي تجعله ينتقل إلى مرحلةٍ أكبر؛ فيرضى عنه الله سبحانه وتعالى، ويمنحه مرتبة أخرى، فيكون مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مجلسه في الآخرة، كما جاء في الحديث الصحيح: (**إن أحبَّكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة: أحاسِنكم أخلاقاً**)[(٣)]، فمن حَسُنَ خُلقه، وزَكَت نَفسُه، واستقام على دين الله سبحانه وتعالى؛ كان مِن أَحبِّ الناس إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان من أقربهم منه مجلساً يوم القيامة.

وبمقدار ما تلقى نَفس الإنسان من فتن، ومن امتحانات من الله سبحانه وتعالى؛ تترقى هذه النفس، وبالتالي نجده يُقدِم على الطاعة، ونجده يُقدِم على فعل الخير، فهذه النفس قد يبلوها الله سبحانه وتعالى بأنواعٍ من الابتلاءات؛ ليُميّزها وليُمحِّصها.

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٨١)، والترمذي (٢٣٩٨)، وابن سعد (٨/ ٣٢٥) واللفظ له، وصححه الألباني في الصحيحة (١١٦٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن حبان (٢٩٢١).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٧٩١).

ولكن هذه التَّزكية كيف تكون؟

هـل بالإمـكان أن نَجتهـد فَنُفكِّـر في طريـقٍ يوصِـلُ الإنسـان إلى أن يكـون ذا شـفافية، أو أن يسـتفيد مـن تجاربِ الأمـم السـابقة، فيتعلـم منهـم الروحانيـات؟!

لا يسـتطيع أحـد أن يعـرف الجـواب **إلا عَـبر الكتـاب والسُّـنة**، ولذلـك الله جَلَّجَلَالُهُ يقـول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]، أنتـم لا تعلمـون طبائـع النـاس، ولا تعلمـون مـا يُصلِـح النـاس، ولا تعلمـون مـا يُزَكـي النـاس، ولا تعلمـون مـا يُفسـد النـاس، ولكـن الـذي يَعلـم هـذا كلـه الله سـبحانه وتعـالى، لمـاذا؟ لأنكـم لم تَخلقـوا هـذه النفـس ولم توجدوهـا بهـذا الشـكل، وإنـما الـذي أوجدهـا هـو الله سـبحانه وتعـالى، فلذلـك **هـو الـذي يَعلـمُ مـا يُصلحهـا ومـا يُفسـدها**.

الله جَلَّجَلَالُهُ هو الوحيد الذي يعرف ما يُصلح النفس

ومثـال ذلـك: الصيـام فرضـه الله سـبحانه وتعـالى طُهـرةً للنـاس، ولكـن أي صيـام هـذا الـذي يُطهِّـر النـاس؟ هـو الصيـام الشرعـي، فـإذا جـاء إنسـان وصـام صيامـاً غـير شرعـي؛ كان صيامـه هـذا لا يزكـي نفسـه، وإن صـارت نفسـه رقيقـة! ولكنهـا نفـسٌ - بتعريـف الـشرع - غـير زكيـة.

وعندمـا جـاء الرجـل الـذي امتنـع أن يُفطـر أبـداً ويصـوم الدهـر كلـه، مـن الثلاثـة الذيـن قـال أحدهـم لا أتـزوج، وقـال الآخـر أصـلي الليـل أبـداً! مـاذا كانـت النتيجـة؟ عَـدَّ هـذا النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مخالفـةً للديـن، مـع أن ظاهـره أمـر طيـب، ولذلـك عندمـا خَطـب النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للنـاس قـال: (إن أعلمكـم بـالله وأتقاكـم لـه أنـا)[1]، فمعنـى هـذا أنكـم لا تدَّعـون أنكـم

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

أتيتم بعِلم، **وإنما الذي يَعلَم على الحقيقة هو الرسول** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا فِعله.

إذاً ليس كل صيام يُزكي النفس، وليس كل قيام ليل يزكي النفس، لو خصص الرجل قياماً ليلة الجمعة لا تزكو نفسه، بل يأثم لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (لا تَخُصّوا ليلة الجُمعَة بقيام، ولا يومها بصيام)[(١)].

إذاً -يا أخوة- العبادة الشرعية **إذا أُتِيَت على غيرِ وجهها: لا تُزكي النفس**، ولا يقبلها الله سبحانه وتعالى، فكيف بغير ذلك من أفكار الناس! ولذلك الله سبحانه وتعالى عندما قال عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة:١٢٩]، والحكمة هنا: السّنَّة، فالطريق الشرعي الذي تزكو به النفس هو طريق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط لا غير.

ولذلك الله جَلَّجَلَالُهُ يقول لهؤلاء الذين يدّعون أنهم يحبون الله ورسوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، إذاً إذا كنت تريد الوصول إلى أن تكون مُحِباً لله؛ **إنما يجب أن تَتّبع النبي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالأمر ليس باختيارنا، وليس كما نَشتَهي، فليس لنا إلا طريقٌ واحدٌ؛ وهو طريق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذا وَضُحَت هذه القضية واستقامت؛ عند ذلك نأتي لنَسأل:

لماذا الناس تأتي بأشياء جديدة لتُزكي النفس؟

فيه احتمالات: إما أنهم يَظُنون أنهم قد جاءوا بأشياء ما كانت على عِلم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو أنهم قد علِموا مِن نفس الإنسان شيئاً

(١) أخرجه مسلم (١١٤٤).

جديداً ما علِمه الله ولا رسوله، وكلا الأمرين ضَلال، ليس فيه ثالث، لأن النفس هي النفس، ليس لها علاقة لا بصعود القمر ولا نزول الأرض، وإنما تُزكى نَفس الإنسان لتَقبل الطاعة.

فالذي جاء الآن بعبادات جديدة وأفكار جديدة وآراء جديدة، نسأله: هل اكتشفت شيئاً في النفس لم يكن معروفاً عند الله وعند رسوله؟! أو أنك قد تعلّمتَ من نفس الإنسان شيئاً ما كان عند الله معلوماً؟! فإذا قال: لا، نقول له: اتبع ولا تبتدع فقد كُفيت.

أمثلة من التزكية البدعية

ونأتي بأمثلة من الأفكار: الناس في الكوفة جاءوا ووجدوا أنهم لو سَبَّحوا بأيديهم، يقول بعضهم أنا أنسى عدد التسبيح -وهذا الكلام في عهد الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ- فقالوا إذاً نَجمَع حصى وكلما قال أحدنا (سبحان الله) رفع الحصى ووضعها، تجد أن منطوق العبادة لا جديد فيه وهو التسبيح، والتسبيح بعد الصَّلاة مشروع، **ولكن الوسيلة التي مارسوا بها هذه العبادة غير مشروعة**، بل المشروع أن تسبح بيدك كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: (ويعقِد التسبيح بالأنامل فإنهن مُستَنطَقات)[(١)]، وجاء من يُخبر ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ بهذا الذي حَصل، فجاء إليهم وأراد قَبل أن يناقشهم أن يقرر القاعدة -هل هم يتفقون معه عليها أم لا- فقال لهم: (**أأنتم أهدى أم أصحاب محمد** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ**!**) قالوا: أصحابُ محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، لأنه لا يملك العاقل إلا أن يقول هذا، فإذا تَقرر هذا، قال: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم، عليكم بالأمر العتيق)، ثم قال أحدهم وهذا هو بيت القصيد (والله يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا

(١) أخرجه أبوداود (١٥٠١)، والترمذي (٣٥٧٦).

الخير)، فقال لهم: (**وكم مِن مُريدٍ للخير لم يَبلغَه**)(١)، ليس كل من أراد الخير وَصَل، إلا إذا سَلَكَ طريقه، أنت قد تكون نيتك طيبة وصادقاً في المسار لهذه البلدة ولكن سلكت طريق بلدة أخرى! لا تَصِل، ولذلك الله سبحانه وتعالى جعل الطريق واحداً؛ وهو طريق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك قال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

إذاً -يا أخوة- الطريق إلى تربية النفس وتزكيتها واحد، وهو طريق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا أن يزعم هذا أنه قد جاء بشيء ما عرفه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! وعند ذلك نقول له: هذا الذي جئت به لا يُدخلنا الجنة، وإنما يدخلنا الجنة أن نتّبع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والدين قد كَمُل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، وعن سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (**قيل له: قد علَّمَكم نَبيّكم كل شيء حتى الخَراءَة!** قال: فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط، أو بَول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعَظم)(٢) أي حتى قضاء الحاجة، ما تَرَكَ شيئاً، ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**ما من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وأخبرتكم به، وما من شيء يباعدكم عن النار إلا وحذرتكم منه**)(٣)، الأمر قد بان، ولذلك قال الإمام مالك رحمه الله: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زَعَم أن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خان الرِّسالة).(٤)

---

(١) أخرجه أحمد (٣٣)، والترمذي (٢٢٣٧)، وابن ماجه (٤٠٧٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢).
(٣) أخرجه البغوي في شرح السنة (٤١١٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٨٦٦).
(٤) الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٤).

إذاً -يا أخوة- إذا كنا نريد أن نُربّي أنفسنا ونزكيها فلا يكون هذا إلا بكتاب الله جَلَّجَلَالُهُ وبسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ماذا نريد؟ أدعية، أحاديث كثيرة، فلو أن المسلم أتىٰ بكل الأوراد التي كان يأتي بها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يومه لأغنته لأن يلجأ إلى وِرد الشيخ الفلاني، وإلى ورد الكبريت الأحمر أو الأصفر!!

فما قاله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يكفي**، فلماذا نَتَّجِه إلى أقوال البشر؟! ولماذا يأتي بعد ذلك من يقول عن ورده -كالشاذلية- أنه يَعدِل القرآن ألف مرة! لماذا نترك الذِّكر الجلي الواضح: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، ونأتي لنَغوص في (هو هو هو)!! ماذا يَفقَه الإنسان من هذه؟! لو رآه من لا يعرف شيئاً لقال: هؤلاء ليسوا بعُقَلاء! لأنهم يتلفظون بشيءٍ غير مفهوم.

من أين لنا أن نترك الذكر الصحيح ونأتي في البيوت ليلاً ونَهزّ الرؤوس! ويُغمى على بعضهم، ويزعم أحدهم أنه رأى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!! إلى غير ذلك من الكلام، هذا كله موجودٌ عند المتصوفة، وبعضهم قال: أنه لا ينبغي أن تَذكُرَ الله إلا وصورة الشيخ أمامك، لأنك إن رأيتَه تذكَّرتَ الله، فعند ذلك تدعو أكثر! وبالغ الشاذلية - وهذا كله موجود في كتبهم - بأن الله جَلَّجَلَالُهُ لا يتجلى أكثر إلا في المرأة والولد الأمرَد!! ولذلك يُجلِسون النِّساء عندهم ليذكروا! هذا لا يُصلح النفس أبداً بل يُفسدها.

أنا أسألكم سؤالاً الآن: لو رأيتُم رجلاً، لم يَحضر صلاة الجُمعة مع المسلمين، ماذا تقولون عنه؟ تقولون أنه لا يُصَلي، انظر إلى (البَدَوي) الذي أقيمت الدنيا عليه، كل من كَتب عنه يقول: أنه جَلس على سطح بيته

وما كان يَحضر الجُمعة مع المسلمين! كيف غابت عنه الجمعة والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (مَنْ تَرَكَ ثَلاثَ جُمَعٍ تَهاوُنًا بِها؛ طَبَعَ اللهُ على قَلْبِه)(١) فكيف يكون وَلِياً لله؟!

إذاً قضية **طُهر النفس لا تكون إلا عن طريق الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما الصوفية فجاءوا بطريق آخر، جعلوا طهر النفس هو الجوع وهو شدة الذكر، تقول مليون مرة (الله الله الله) هكذا، من أين لهم هذا؟ ثم لماذا هم يفعلون هذا؟ قالوا: هل تريد أن ترى الله؟ -كما ذكر الغزالي في الإحياء- اصعد إلى منارة المسجد واجلس ثلاثة أيام تذكر الله فيها!! ويقول أيضاً: جاء رجل إلى بعض الصوفية وقال لهم: إني رأيت وسمعت من كلامكم كثيراً، ولكن ما دَخَل من هذا في قلبي شيء، يعني ما جاءني هذا الوجد والإلهام! قالوا له: إنك محجوب، قال: وما علاجي؟ قالوا: لا تستطيعه، قال: أستطيع، قالوا: لا تستطيع، قال: صِفْه، قالوا له: تحلق لحيتك وتأخذ سلة من جوز وتضعها في عنقك وتدور في حي فيه صبيان وتقول من أخذ جوزه يصفعني صفعة!! فهل هذه تزكيةٌ للنفس يا إخوة؟!(٢)

إذاً نحن نقول أن التَّصَوّف منهج غيرُ إسلامي لتزكية النفس، لماذا؟ لأن تزكية النفس تقوم على الكتاب وعلى السنة، ولكن **تكوينها عندهم يقوم على أساسِ أن هناك مُشَرِّعاً غير الله سبحانه وتعالى**، ونحن نُنادي

(١) أخرجه أبو داود (١٠٥٢)، والنسائي (١٣٦٩).

(٢) هذه ساقها أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين -المجلد الرابع- في طريق تربية المريد، كيف يتربى؟ (ش)، وفي بيانِ جملةٍ من أحوال المحبين ومكاشفاتهم، ثم قال أبو حامد معلقاً على هذه القصة (٤/ ٣٥٨): (فهذا الذي ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتل بنظره إلى نفسه، ومرض بنظر الناس إليه، ولا يُنجي من هذا المرض دواء، سوى هذا وأمثاله)!

بإفراد الله جَلَّجَلَالُهُ بالحُكم المُطلق في الحَياة، فلا نَجعل الشاذلي والجُنيد والغزالي يُشرِّعون لنا!! وقد بلغ أنهم إذا ذُكر الله سبحانه وتعالى يَشهَقون! ونحن نعلم أن المؤمن إذا سمع وقرأ القرآن يَخشَع ولا يَشهَق، ما سَمِعنا من الصحابة من كان يشهق أبداً.

إذاً تربية النفس لا تكون عن طريق الجُنيد، ولا عن طريق الغزالي، ولا عن طريق غيره، هؤلاء رجال عفا الله عما كان منهم، **كلامهم هل هو ضلال؟ نقول عنه ضلال، وأما ذواتهم فمتروكة لله سبحانه وتعالى،** وأما نحن فنُريد أن نعبدَ الله جَلَّجَلَالُهُ على طريقة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، هذه هي الطريقة التي رَفَعَت الصحابة فزكتهم، ولا طريقة غيرها تُنجي عند الله سبحانه وتعالى، فإذا تركنا هديه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأخذنا بهدي الناس، كيف نزكو؟!

التصوف لا يصلح منهجاً للتزكية

ولذلك أقول بأن **التَّصوف لا يَصلح مطلقاً أن يكون منهجاً لتزكية النَّفس،** تجدُ عندهم بعض الزُّهد، فهو موجودٌ في الإسلام، عندهم بعض الصلاة، موجودة في الإسلام، الشيء الطيب الذي عندهم؛ موجودٌ في الإسلام، فنحن لا نقول: ليس عندهم خير، فلا يوجد شر مطلقٌ لا خير فيه، حتى الأنظمة الشيوعية فيها بعض الأشياء الطيِّبة.

إذاً نأخُذُ بتعاليم الإسلام، وما كان عند المتصوفة من خطأٍ نَترُكه، أما أن نعتكف في المغارات لنزكي أنفسنا!! -كما ساقه شيخ الأزهر السابق عبدالحليم محمود[(١)] في كتابه عن الشاذلي- ويقول: وانتشِلني من أوحال

(١) **الشيخ عبدالحليم محمود:** ولد سنة ١٩١٠م بإحدى قرى الشرقية بمصر، وأخذ شهادته العالية بالأزهر، ودَرَس علم النفس وتاريخ الأديان بجامعة السوربون بفرنسا، وعُيّن عميداً لكلية أصول الدين، وأميناً عاماً لمجمع البحوث، ووكيلاً للأزهر، فَوَزيراً للأوقاف، ثم شيخاً

التوحيد وأغرقني في بحر وجودك!! هذا دعاء! يعني أصير أنا وأنت شيء واحد، ولذلك بعضهم سمع غراباً ينعق، فقال سبحان الله، لماذا؟ لأن عندهم (كا) هذه آلهة! كما قال شيخهم ابن عربي: وما الكلب والخنزير إلا إلهنا، وما الله إلا راهب في كنيسة!! انظر إلى الكفر.[1]

ويقول الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ [الإسراء:٨٢]، لم يقل مِن وِرْدِ البَدَوي ولا من وِرْدِ فُلانٍ من الناس.

إذاً -يا إخوة- يجب أن نَعلَم بأن هذه الأوراد وهذه الطُّرق لا تَصلح أبداً كمنهج لتزكية النفس، وإنما الذي يَصلح هو كلام الله سبحانه وتعالى، وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

=للأزهر، وله مؤلفات كثيرة منها: (التفكير الفلسفي في الإسلام)، (أوروبا والإسلام)، (ذو النون المصري)، (ابوالحسن الشاذلي)، وتُوفي رحمه الله سنة ١٩٧٨م. [ذيل الأعلام ١/ ١١٥]. وللشيخ عبدالله ردٌّ عليه بمقالة (أسئلة هادئة لفضيلة الشيخ..) نشرها بجريدة الوطن سنة ١٩٧٦م، انظر المجموع (٤/ ٤٣ و ١٠٢)، ثم ألف كتاباً أسماه (صوفِيّات شيخ الأزهر).

(١) يُنظر -كما ذكرنا سابقا- لكتاب (ابن عربي وموقف علماء المسلمين منه).

٢٣ المحاضرة الثالثة والعشرون:

مفهومُ الجِهاد

المحاضرة الثالثة والعشرون

مفهومُ الجِهاد

لا شك بأن الجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة وأنه لا يتوقف، هذه هي العقيدة التي يجب أن يعتقدها كل مسلم، وأنه يُجاهَد مع البرَ والفاجِر، كما عليه عقيدة أهل السنة والجماعة.

المقصود بالجهاد هنا

ونَقصد هنا بالجهاد ليسَ الدَّعوة، **وإنما الجِهاد أي القتال**، لأن الجهاد أحياناً يُطلق ويُراد به الدعوة إلى الله عز وجلَ، وأحياناً يطلق ويراد به القتال، ولذلك يجب أن نفهَم أن الأحاديث التي جاءت في فضل الجهاد -الذي هو القتال- يجب أن تَبقى على ظاهرها، ولا تُأوَّل لتُجعل في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، كما جاء في حديث (ما اغبرَّت قدما عبدٍ في سبيل الله فتمسه النار)[1] هذا في الجهاد، لأن في الأغلب كلمة (في سبيل الله) إذا جاءت في الكتاب والسنة فيُراد بها القتال، هذا هو الأصل، ولا تنتقل إلى معنى آخر إلا بقرينة وشواهِد.

إذاً الجهاد فريضةٌ ماضيةٌ مع البرَ والفاجِر، يعني قد يَحكم المسلمين رجل فاجر لكن يدعو إلى الجهاد، فيكون الجهاد مَعهُ لازماً مستمراً. هذه هي **المسألة الأولى**.

التهيؤ النفسي

المسألة الثانية: لا بُدّ من التَّهيُّؤ النَّفسي، حتى في مرحلة عدم وجود الجهاد، وذلك لحديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من مات ولم يَغزُ ولم يحدِّثْ

(١) أخرجه البخاري (٢٨١١).

نفسَـه بالغـزوِ؛ مـات عـلى شُـعبةٍ مـن نفـاقٍ)[١].

أنواع الجهاد

ونقصـد هنـا بالجهـاد أيضـا جهـاد الطَّلـب لا جهـاد الدفـع، لأنـه كـما تعلمـون أن العلـماء قسَّـموا الجهـاد إلى قسـمين: القسـم الأول وهـو الأصـل والأسـاس وهـو الـذي عليه النصـوص: ألا وهـو **جهـاد الطلـب**، وهـو جهـاد غـزو الكفـار في بلادهـم، والتوسـع إلى أن يصـل الإسـلامُ إلى المعمـورة كاملـة، هـذا يُسـميه العلـماء جهـاد الطلـب، أي تطلـب بـه العـدو.

القسـم الثـاني وهـو الجهـاد الطـارئ وهـو: **جهـاد الدفـع**، فـإذا احتَـلَّ كافرٌ بـلاد المسـلمين أو بلـد مـن بلـدان المسـلمين وَجَـب عـلى أهـل البـلاد هـذه أن يقومـوا قوَمـة رجـل واحـد في الدفـاع عـن أنفسـهم، ويجـب عـلى مَـن يَليهـم ومـن حَولهـم أن ينصُرهـم، مـا اسـتطاع إلى ذلـك سـبيلاً.

جهـاد الدفـع لـه أحـكام تختلـف عـن جهـاد الطلـب، جهـاد الدفـع لا يُشـترط فيـه إذن الحاكـم، ولا يشـترط فيـه إذْنُ الوالديـن، لأن الـكل يدافـع فيـه عـن نفسـه، أمـا جهـاد الطلـب فهـو عبـارة عـن اسـتعداد وتهيـؤ، وتجهيـز جيـش للغـزو في سـبيل الله سـبحانه وتعـالى، **وهـذا لا بُـدّ لـه مـن إمـام**، وهـذا الإمـام إمـا أن يَسـتَنفِر الأمَّـة كافـة، وإمـا أن يسـتنفر طائفـة، وهـذا الـذي يُسـميه العلـماء بفـروض الكِفايـة، فالجهـاد هنـا الأصـل فيـه أنـه فـرضُ كفايـة، إلا إذا عَـيّن الإمـام (وإذا اسـتُنفِرتُم فانفِـروا)[٢]، ولذلـك جَعلـوا الوظيفـة الأولى لأي حاكـم مسـلم هـو إمامـة الجهـاد.

إذاً يجـب عـلى كل مسـلم موجـود عـلى وجـه الأرض أن يكـون مُتهيِّئـاً،

(١) أخرجه مسلم (١٩١٠) باختلاف يسير، وأبوداود (٢٥٠٢) واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٣).

إذا دُعي إلى الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى أن يقول: سَمعاً وطاعة؛ ولذلك أجرُ الشَّهيد وفضل الجهاد له مبحث عظيم، لكننا نستعرض القضايا الجوهرية فيه.

المسألة الثالثة: هل فَرَض الإسلامُ الجهاد دفاعاً أم هجوماً؟

الأصل في الإسلام أن الجهاد فيه هجوم لا دفاع، لذلك من الغَلَط أن يكون في بلاد المسلمين وزراء دفاع فقط وإسرائيل عندها وزير حرب! يجب أن يكون في كل بلاد المسلمين وزير حرب غير وزير دفاع، لكن سبحان الله العظيم من تغير الأحوال.

معنى انتشار الاسلام بالسيف

والإسلام انتشر بحدِّ السَّيْف نعم، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (ونُصِرتُ بالرُّعب)[(١)] و(جُعل رِزقي تَحْتَ ظِلّ رُمْحي)[(٢)]. وإلا فما هو الإرث الذي بين المسلمين وكِسرى حتى يذهبوا ليُدافعوا عن أنفسهم فيه؟! فالمسلمون غزَوا بلاد كِسرى وقيصَر وإفريقيا وغزوا الهند والسِّند ولم يكونوا يدافعون عن أنفسهم، بل كانوا يَهجمون ويَغزون، (اغزوا تغنموا)[(٣)]، ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾ [التوبة:٤١].

لكن هل الناس يُرغَمون على الدخول في الإسلام؟ أبداً، يبقون على دينهم إلى أن يشاء الله عز وجل، لكن الناس من كثرة ما رأوا من خيرٍ وفضلٍ ونعمةٍ في الإسلام؛ دخلوا في دين الله سبحانه تعالى أفواجاً.

فلا بُدّ أن نُفرِّق بين إكراه الناس في الدخول في الدِّين، وبين فتح البُلدان لتَهيئَةِ الناس للدخول في الدين، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١).
(٢) أخرجه البخاري معلقاً تحت (باب ما قيل في الرماح) قبل حديث (٢٩١٤)، وأحمد (٥٦٦٧).
(٣) أخرجه البزار في مسنده (٤٨٩٩)، والطبراني في الأوسط (٨٣١٢).

تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقــرة:٢٥٦].

الفـرق أن النـاس مـن حُـكّام ومسـؤولين ومـن أنظمـة كافـرة **تَحُـولُ دون النـاس والإسـلام، فـالله عـز وجـلّ أمَـرَ المُسـلمين أن يكسِروا هـذه الحواجـز**، وأن يُحكَـم النـاس بالإسـلام، لأن الأرضَ أصلُهـا لله يورثهـا لعبـاده الصالحـين، مُلـكُ الأرض كلهـا مـن شرقهـا إلى غربهـا يجـب أن يكـون لأهـل الإسـلام، هـذه قاعـدة في ذلـك.

فـلا يجـوزُ للكافـر أن يَملِـك شـيئاً مـن الأرضِ أبـداً، بمعنـى أنـه **لا يجـوزُ أن تكـون لـه سُـلطة** عـلى أي بُقعـةٍ مـن أرضِ الدنيـا، وإنـما يجـب أن تَديـن الدنيـا لــ (لا إلـه إلا الله)، فـالأرضُ لله يورِثهـا سـبحانه لِمـن شـاء مـن عبـاده.

إذاً الإسلام يُريد أن يأخذ المُلْك من الكفار ويَجعلُه عند المسلمين.

أمـا آحـاد الكفـار فليسـوا مُرغَمـين أن يدخلـوا في الإسـلام، إن رغبـوا أن يكونـوا مسـلمين فأهـلاً، وإلا فيَدفَعـوا الجِزيَـة إن كانـوا مـن أهـل الكتـاب.(١)

المفهوم الصحيح

إذاً لَّـا نقـول الإسـلام انتـشر بالسَّـيف بمعنـى: أن السـيف كان وَسـيلة إلى فَتـح البُلـدان، لا بمعنـى أن النـاس أُكْرِهـوا عـلى الدخول في الإسـلام بالسـيف. فوضـح الفـرق.

(١) سُـئل الشـيخ عبدالعزيـز بـن بـاز رحمـه الله عـن ذلـك فأجـاب: (إذا يَـسرّ الله ذلـك وقـام أمـر الجِهـاد، ودَخَـل المسـلمون بـلاد الكفـر، فهـم أصنـاف؛ إن كانـوا يهـودًا أو نصـارى أو مجوسًـا يُقَـرَون بالجِزيـة، إذا أقـروا بهـا ولا يقاتلـون إذا سَـلَّموا الجزيـة، وهـي مـال يؤخـذ منهـم كل سَـنَة عـلى قـدرِ أحوالهـم، يَفرضهـا عليهـم ولي الأمـر نفعـاً للمسـلمين وإعانـة للمسـلمين، وإذلالاً لهـم، وهـم بهـذا قـد يَخضعـون للدخـول في الإسـلام بعـد ذلـك، أمـا إذا كانـوا وثَنيـين ليسـوا يهـودًا ولا نصـارى ولا مجوسًـا بـل أصنـاف أُخـر، فالمشروع عنـد أهـل العلـم أنهـم يُقاتَلـون: فإمـا الإسـلام وإمـا القتـال، ولا يُقَـرُّون بالجِزية(.ا.هــ [تسـجيل صـوتي مـن موقـع ابـن بـاز الإلكـتروني الرسـمي].

مثال جيد يُقرّب المسألة

مثالـه: لـو شـب حريـقٌ في المدينـة ثـم جـاء أهـل الإطفـاء ليُطفئـوا النـار، فقـام المسـتفيدون مـن الحَريـق ومَنَعـوا هـؤلاء، وقالـوا بلادنـا ونحـن أحـرارٌ فيهـا. مـاذا يفعـل هـؤلاء؟ يقاتِلـوا هـؤلاء النـاس ليُطفئـوا النـار التـي شَـبَّتْ في أولئـك النـاس.

فهكـذا النـار سـتحرق هـؤلاء النـاس في الآخـرة، **فالمسـلمون يأتـون ليَمنَعـوا النـاس مـن الدُّخـول في النـار، فيتصـدى لهـم طَبَقـة كافـرة مسـتفيدة مـن بَقـاء النـاس تَحـتَ عُبوديتهـا.**

فيـأتي المسـلم ليحطـم هـذه القيـود ويفتـح للنـاس، إن شـاءوا دخلـوا في الإسـلام وإن شـاءوا بقـوا عـلى دينهـم غـير مظلومـين.

وأخطـأ مـن يقـول: إن الجهـاد كان للدفـاع عـن النفـس، كـما أشـيعت هـذه النظريـة خاصـة في كتابـات الأفغـاني ومحمـد عبـده، وكثـيرٌ مـن أتباعهـم مِـنَ المتأخريـن الآن.

المسـألة الرابعـة: أن فريضـة الجهـاد في سـبيل الله تعـالى هـذه العبـادة العظيمـة ذات الفضـل العظيـم، الـذي قـال فيـه صلـوات الله وسـلامه عليـه: (مـا اغـبرَّت قدمـا عبدٍ في سـبيل الله فتمسـه النـار)[1] هـذا في الجهـاد وفي القتال، وفي المرابطـة في الثغـور: (عينـان لا تَمسّـهما النـار: عـينٌ بَكَـت مِـن خَشـية الله، وعـين باتَـتْ تَحـرُس في سـبيل الله)[2].

يجـب أن توضـع في موضعهـا الصحيـح، **فلا بُـدّ أن نعـرف أولاً أنهـا عبـادة، وأنهـا منضبطـة بضوابـط** العبـادات التـي نعـرف.

(١) أخرجه البخاري (٢٨١١).

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٣٩)، والطبراني في الأوسط (٥٧٧٩).

لكن كيف نُؤدِّي هذه العِبادة؟

فَـرضَ الله الحَـج وجعـل لـه طريـق اسـتطاعة، فالإنسـان الـذي لا يسـتطيع فليـس عليـه حـج، فالمـرأة التـي ليـس لديهـا مَحْـرم لا تحـج، إذاً كل مـا فرضـه الله سـبحانه وتعـالى وضـع لـه شروطـاً وضوابـط.

من شروط الجهاد

هـذه العبـادة وهـي الجهـاد لهـا شروط: **أن يكـون هنـاك إمـام**، لأن الجهـاد -كـما ذكرنـا- هـو عبـارة عـن فتـح للبلـدان، ونـشر للديـن، **لا لأجـل قتـال النـاس**، وأمـا قتـالُ المسـلمين فقـطٌ في الدفـع، كـما جـاء رجـل يسـأل النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ (أرأيـت لـو جـاء رجـلٌ يأخـذُ مـالي قـال: لا تُعطـه، قـال: فـإن قاتَلنـي قـال: قاتِلـه، قـال: فـإن قَتَلتُـه، قـال: هـو في النـار، قـال: فـإن قَتلنـي، قـال: أنـت في الجنـة)[1]، هـذا القتـال لا نسـميه جهـاداً بالمعنـى الشرعـي.

فالركيـزة الأولى للجهـاد هـي: أن يكـون هنـاك إمـام، هـذا الإمـام يسـتنفر النـاس، يعنـي يدعوهـم إلى الجهـاد وإلى الغـزو في سـبيل الله سـبحانه وتعـالى، ولذلـك لا بُـدّ أن يكـون الجهـاد فيـه غـزو وفيـه نظـام، **مـع الاسـتطاعة والقـدرة**، وعـلى هـذا سـار المسـلمون.[2]

هـذا الإمـام والحاكـم ينظـر في أحـوال بـلاده فيُنَظِّمهـا، ثـم ينظـر في أحـوال مـن يليـه مـن البلـدان، قـد تكـون البلـدان مسـلمة، ولكـن فيهـا مـن الـشِّرك والبِـدَع والضَّـلال والانحـراف مـا يَلـزم منـه أن تُحـارَب إذا لم تُسـلم.

كـما فعـل إمـام الدعـوة محمـد بـن عبدالوهـاب رحمـه الله، فإنـه كان حاكـماً مـع الإمـام ابـن سـعود رحمـه الله عـلى بـلاد، فلـما رأى مـا حولـه مـن النـاس

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٠).

(٢) أما ما يسمونه (جهاد الثورات)، فما عُرف عند المسلمين ولم يكن له إمام يُتبعُ أبداً. (ش)

لا يقيمون شرع الله عز وجل، وعندهم من القبور والبدع ما الله به عليم غزاهم، ليس لأنهم كفار، وإنما ليقيم شرع الله سبحانه وتعالى ويفتح البلدان.

إذاً الجهاد يكون بإمام وجيش وقدرة، هذا الشرط ضروري وأساسي، وعلى هذا ما نَعلمُ كتاباً فقهياً إلّا ويَذكُرَه.

أما اشتراط أن يكون الإمام (إماماً عاماً) للأمة بأجمعها، فهذا انتهى من الدنيا من عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما أصبح للدنيا وللعالم الإسلامي - منذ عهد تولي علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الحكم- إمامٌ عامٌ، وإنما إمامان وثلاثة وأربعة وخمسة!

ويأتي البعض ويُلبّس في هذا وينقل كلاماً لبعض العلماء[1]، ولكن بعد بتره! أنه لا يُشترطُ إمام عام، فيقول: إذاً العلماء يقولون لا يشترط للجهاد إمام!!

هل يشترط وجود الإمام العام؟

العلماء ما قالوا: لا يُشترط إمام، وإنما (الإمام العام) لا يُشترط وجوده، لأنه لا وجودَ له، **ولو اشترَطوا وجودَ الإمامِ العامِّ للجهاد؛ لعَطَّلنا الجهاد.**

ومعنى هذا أننا سنقول أن جهادَ عليٍّ ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومن بعدَهما جهادٌ باطل! هذا ليس بصحيح.

إذاً نحن نقولُ يُشترط له إمامٌ مُطاع، له سُلطة وحُكم، كما حَصل في الدَّولة الأَموية، ودولة بني العَبَّاس، والدولة الأموية في الأندلس، حيث

(١) مثل: صدّيق حسن خان، وعبدالرحمن آل الشيخ الذي يستندون بكلامه وكلام جماعته، هو نفسه قاتَلَ مع إمام، لم يقاتل من غير إمام! (ش)

كانت قائمة وتُجاهد وتَفتَحُ الثغور، وكذلك الدولة العُثمانية قائمة من جهة، ومعها دُويلات أخرى قائمة، الكُل يجاهد، هذا يُجاهد الروم من جهة، وهذا يُجاهد التَّتار من جهة، وهذا يُجاهد آخرين.

فَفَرِّقوا يا إخواني في هذا التلبيس وانتبهوا له.

فهم يأخذون كلامَ العلماء في اشتراط الإمام العام ويزيلوا كلمة (عام) هذه، **ويُحَرِّفوا فيها قليلاً؛ كي تُوافِق هَواهُم** وما يريدون!!

فالشرط الأول الأساس لهذا أن يكون للمسلمين (إمام)، ثم أن يُقرر ذلك بعد القُدرة ودراسة الطاقات.

متى يكون فرض عين؟

وإذا استنفر الإمامُ أحداً بعينِه وَجَب عليه بعد ذلك، كما المشهور في إحدى الغزوات عندما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانت ليلة باردة شديدة البرد: (من يَحرُسُنا وله الجنة..) (أنا أضمن له الجنة)[1] مرتين أو ثلاثاً، لم يقم أحد من شدَّةِ البرد والخوف، فهنا الأمر عام، فأصبحَ (كِفاية) ليس مُلزَماً به أحد، فلما ألزَمَ به واحداً من الصحابة قام، وأصبحَ هُنا في حَقِّه (فرضَ عين) يجبُ الوفاءُ به.

إذا استنفر الإمام قال: حي على الجهاد، ولم يُحدِّد، فهذا عام، لكن إذا حدَّدَ، صار فرضَ عين لَزِم على كل مَن حدَّد له الإمام أن يُجاهد معه، فمن تَخلَّف كان مُتَخلِّفا عن الجهاد.

الدعوة السلفية عبر تاريخها كان أئمتها مجاهدين بهذا المعنى، ولا يُعلم عن إمام من أئمة السلفيين عبر تاريخهم، من عهد الصحابة إلى اليوم إلا وهو مُجاهِد، وأعني جهاد القتال والسيوف، علاوة على جهاد اللسان.

(١) أخرجه مسلم مختصراً (١٧٨٨)، وأحمد بكامل القصة (٢٣٣٣٤).

مفاهيم مغلوطة عن الجهاد

يـأتي بعـد ذلـك جماعـة وطائفـة مـن النـاس تجتمـع في سِرداب أو في زريبـة مـن الزرائـب أو في مـكان مجهـول أو في جبـل، ويُقـرِّرون أن يَقتلـوا الحاكـمَ الفُـلاني أو الوزيـر الفـلاني، فيُنَفِّـذوا اغتيـالاً بسـبب شُـبهةِ تكفـير، هـذا يُسـموه الآن (جهـاد)!! هـذا ليـس بجهـاد دفـع ولا هـو جهـاد طلـب، فـلا تنطبـق عليـه صفـاتُ جهـاد الدفـع، ولا تنطبـق عليـه صفـاتُ جهـاد الطلـب، مثـل الذيـن قامـوا عـلى عثـمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلـك ثـورة الزِّنـج، والباطِنيَّـة عـبر تاريخهـا، ومـا عُـرف عـن الحشَّاشـين في «قَلعـة ألَمُـوت» في فـارس[١].

لأن جهـاد الدفـع أن يُغـزى المسـلمون في عُقـرِ دارهـم مـن قُـوةٍ خارجـه، فيَهَـبُّ النـاسُ للدِّفـاع عـن أنفسـهم، وجهـاد الطلـب أن يكـون المسـلم بإمامـه يُعلـن الحـرب، **فـلا توجـد حَـربٌ سريّـةٌ في الإسـلام**، الاغتيـالات كانـت محـدَّده بأمـرِ النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولظـروف خاصـة، لكـن كانـت الجيـوش والغـزوات واضحـة ويَعـرِف العـدو أنـه يُغـزى.

إذاً هـذا الـذي يسـمونه الآن جهـاداً، إنـما هـو نـوع مـن الفِكـر الباطنـي وهـو إفسـادٌ في الأرض، ولذلـك مـا نَعلَـمُ عالِـماً سَـلفيّاً في هـذا العـصر سَـمّى مـا جرى في مـصر والجزائـر وحتـى أيـام سـورية جهـاداً[٢]، لأنـه ليـس كل مـوتٍ جهـاداً.

---

(١) **الحشَّاشـون**: طائفـة إسـماعيلية، انشَـقَّت عـن الفاطميـين -والأصـح العُبيديّـين- لتدعـو إلى إمامـة نـزار بـن المسـتنصر بـالله، ومـن جـاء مِـن نسـله. أسسـها الحسـن بـن الصبـاح (٤٢٨ - ٥١٨ هــ)، الـذي اتخذ مـن قلعـة (ألمـوت) في فـارس مركـزًا لنـشر دَعوتـه وترسـيخ أركان دولتـه، وامتـدوا إلى بـلاد الشـام. وقـد تميـزت هـذه الطائفـة باحـتراف القتـل والاغتيـال لأهـداف سياسـية ودينيـة متعصبـة، وكلمـة الحشاشـين (Assassin) دخلـت بأشـكال مختلفـة في الاسـتخدام الأوروبي، بمعنـى القتـل خِلسَـة أو غَـدراً أو بمعنـى (القاتـل المحـترف المأجـور). ينظـر (سـير أعـلام النبـلاء ٢١/ ١٨٢)، (الموسـوعة الميـسرة)، (الاسـماعيلية تاريـخ وعقائـد) د.إحسـان إلهـي ظهـير رحمـه الله، (الحشّاشـون) برناردلويـس، تعريـب محمـد العـزب موسـى.

(٢) **مـا جـرى في مـصر**: بعـد ثـورة جمـال عبدالنـاصر وتوتـر العلاقـة مـع جماعـة الإخـوان وأحـكام الإعـدام التـي أصدرهـا عـلى الجماعـة سـنة ١٩٥٤م ومـا بعدهـا، ومـا كان في عهـد أنـور السـادات مـن معارضـة

أمـا مـا جَـرى للأفغـان[١] فهـو جهـادٌ نعـم، لأن النـاسَ غُـزوا في عُقـر دارهـم، فقامـت حكومـة مجتمعـة مـن الأحـزاب وأعلَنَـت الجهـاد، ومـا جـرى كذلـك في البوسـنة[٢] جهـادٌ نعـم، فهـذا الجهـاد جهـاد دفـع، وعليهـم النُّـصرة.

ولذلـك يجـب **ألا نُخـدَع بكثـرة الشِّـعارات**، والحـماسَ الـذي يَجعـل الإنسـان أحيانـاً لا يتصـور الأمـر، يقولـون: المسـلمون يقتلـون في الفِلبيـن .. المسـلمون يُقَتَّلـون.. ثـم يكـون بعـد ذلـك ضَيـاع أوقـات.

ولذلـك مـا أُعمِلـت الفِتنـة في بـلاد المسـلمين إلا ودَمَّـرت، كـما حصـل من عهـد عثـمان إلى يومنـا هـذا، ولذلـك كانـت مـن الصِّفـة الأساسـية للخـوارج أنهـم يَدَعُـون أهـل الأوثـان ويقتُلـون أهـل الإسـلام، مـا عُـرف عـن الخـوارج أنهـم سـلّوا سـيفهم عـلى مُشركٍ أبـداً! ولا جاهـدوا مـع إمـام أبـداً، وإنـما كل مـا يفعلونـه هـو القتـالُ في المسـلمين، ويُسـمون ذلـك أمـراً بالمعـروف ونهيـاً عـن المنكـر وجهـاداً!! **والفكـر القديـم هـو نفسُـهُ الجديـد بأسـماءٍ مُختلفـة.**

إذاً السَّـلفيون عـبر تاريخهـم وأئمتهـم وكُتُبِهـم وأحوالهـم يُقـرّون الجهـاد،

=شـديدة مـن قبـل الحـركات سـنة ١٩٨١م بـما سُـمي بإجـراءات التحفـظ، **ومـا جـرى في الجزائـر**: سـنة ١٩٩١م عندمـا نجـح الإسـلاميون تَقدُمهـم جبهـة الإنقـاذ في الانتخابـات البلديـة والتشريعيـة فرفـض الجيـش تسـليم السـلطة، **ومـا جـرى في سـورية**: سـنة ١٩٨٢م لمـا ثـارت الجماعـات الإسـلامية تَقدُمهـم جماعـة الإخـوان عـلى نظـام حافـظ الأسـد، فطـوَّق النظـام مدينـة حمـاة ووقعـت (مجـزرة حمـاة) وقُتـل وقتهـا الآلاف مـن النـاس.

(١) **حـرب الاتحـاد السـوفييتي عـلى أفغانسـتان**: دامـت ١٠ سـنوات وانتهـت في فبرايـر ١٩٨٩م. والشـيخ عبـدالله رحمـه الله لديـه معرفـة واطـلاع واسـع في شـؤون أفغانسـتان، فقـد كانـت لـه زيـاراتٌ ومراسـلات مـع الشـيخ (جميـل الرحمـن) رحمـه الله في ولايـة (كُنَـر) المتاخمـة للحـدود الباكسـتانية، ونشـاط جماعتـه (الدعـوة إلى القـرآن والسـنة)، كـما بيناهـا سـابقاً.

(٢) **الحـرب عـلى البوسـنة**: بـدأت في أبريـل ١٩٩٢ وانتهـت ١٩٩٥م بعـد توقيع اتفاقيـة دايتـون، مـن قبـل صربيـا وكرواتيـا عـلى مسـلمي البوسـنة العُـزّل، فقتلـوا أكثـر مـن ثلاثمائـة ألـف مسـلم -رحمهـم الله وغفـر لهـم-، باعتراف الأمـم المتحـدة.

بل ما نَعلَمُ أحداً كتب فيه مثل ما كتبه السَّلفيون، لكن ليس قتال المسلمين، بل جهاد الكفار.

والمسلم مأمورٌ أن يغض الطَّرف، وأن يكون ذليلاً عند أخيه المسلم، عزيزاً عند الكافر، أما أن تُقلَب الصورة فتعيش في بلاد الغَرب وأنت ذليلٌ لهم، ثم تُصَدِّر الفتوى لأن تكون عزيزاً في بلاد الكفار! هذا عَجيب.

ولذلك يجب يا إخواني أن يكونَ كلّ مسلم مهيّأ النفس إذا استُنفِر في أي يوم من الأيام في سبيل الله أن يكون جاهزًاً، وتحديث النفس هذا يكون بينك وبين الله، لا يَعرفه أحدٌ إلا الله سبحانه وتعالى.

فقد تجلس تُحاضر ساعة في الجهاد وفضله، وأنت لعلَّك لو دُعيت إلى أن تُنفق ديناراً في سبيل الله تَبخَل، لكن لا يَعلم هذا إلا الله وحده، يَعلم أأنت صادق في رَغبَتِكَ في الجهاد أم كاذب؟!

إذاً يجب أن نُوطِّن النفس، وأن نَقرأ في سِيَرَ الأولين وقَصَصهم عندما جاهدوا الكفار، فإن عَجَزنا، نُجهّز غازِيا، فإن عَجَزنا، نَدعو لِمن يُجاهد في سبيل الله.

ونحن نعتقد بأنه سيأتي اليوم الذي يُجاهدُ فيه المسلمون الجهاد الصَّحيح، ونَعتقد بأن المسلم إن كان صادقاً مع الله سبحانه وتعالى فإن الله سَيَصْدُقه، فإذا لم تُدْعَ إلى الجهاد فلستَ بآثم، وإذا لم تَستطع فلا يُكلف الله نفساً إلا وسعَها، لكن دُعيتَ للإنفاق في سبيل الله وأنت قادر فأنفِق.

وهنا مسألة: هل دَعوانا بأن الجهاد لا يكون إلا بإمامٍ هو تعطيلٌ عملي للجهاد؟

نقول: لماذا يجاهِد المسلمون؟ المسلم يجاهِد طلباً إلى أن يُعلي كلمة

الله سبحانه وتعالى، الأساس قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أمِرتُ أن أقاتل الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وأني رسول الله)[(١)].

لأن بعض الناس يقولون: إذا قُلتُم لا يكون جهادٌ إلا بإمام وتَمَكُّن، مَعناه لا جهاد، الله أعلم متى يأتي هذا الإمام؟!

نقول: اسأل نفسَكَ لماذا تُجاهِد أنت؟ هل فقط لِقتلِ الناس؟!

لأن الحاصل في الحركات الإسلامية التي تَدَّعي أنها تُجاهد، كلما رَبىٰ عندهم جمعٌ من الشباب، وصارَ عندَهم طائفة جيدة من الناس، ضَربوهم في حائطِ حاكم، فقتَلَهم، والنتيجة بعد أن يقتُلَهم يتصالحون هُمْ مع الحاكم!!

من تجارب الدعوات

خُذ التجربة السورية: فالدعوة الإسلامية في سورية قبل حوادث الثورة هذه من أبدع وأفضل ما يُمكن، والناس على خير، فدخلوا في متاهةِ الحرب، ثم بعد ذلك لَمّا صَفُّوا -أبادوا- الشَّباب الإسلامي؛ تَصالحوا مع الأسد!! وأصبحت الحركة الإسلامية في ميثاقِ صُلح مع الأسد! مقابل ماذا؟ أن يَخرُج زُعماء الحركة من السِّجن! والذين ماتوا وأُزهِقَت أرواحهم؟ ذهبوا لا قيمة لهم! حتى الدِّيَة ما حَصَلوا عليها!!

إذاً الشباب قُتّل، والميثاق وُقّع؛ حتى يَخرج زعماء حركة الإخوان من السجن فقط!!

كذلك الأمر في الجزائر: نفسها (جماعة جبهة الإنقاذ)[(٢)] دخلت في

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠).

(٢) **جبهة الإنقاذ**: هي حركة إسلامية جزائرية، تأسست عام ١٩٨٩م، برئاسة عباس مدني ونائبه علي بلحاج، وقد سبق إعلانها اجتماعات كانت مع (رابطة الدعوة) ترأسها: الشيخ أحمد

صراع، فلما اشتعلت البلاد جاء (عباس مدني) ليَصطَلِح مع السُّلطة! لكنه ما استطاع، ليس لأنه غير راغب، بل لأنه غير مُستطيعٍ أن يُسَيطر على الساحة، فَلَتَت الأمور! فَسَمّوا ذلك جهاداً!!

ومثله كثيرٌ في دنيانا، **حتى** في (كشمير) سَمّوه جهاداً، دخلوا في صراع، ثم يسعون بعد ذلك في مفاوضات مع الهند.

إذاً ليست القَضية في الجهاد أن أُقَتِّل الناس، فإذا أنا عاجز عن إقامة الدين في بلادي، فكيف سأقيمه في بلدٍ آخر!!

فلا بُدّ إذاً أن نَعلم أن الجهاد هَدَفُه أن تكون كلمة الله هي العليا، **فلنبدأ بإقامة مجتمع إسلامي أولاً من غير جهاد، فإذا أصبَحَ المسلمون على وَعي والتزام وعلى مكانة، عند ذلك هم سَيَحكُمون في بلادهم بالإسلام، وسَيُهيِّئُ الله سبحانه وتعالى لدينه مَن شاء.** [1]

=سحنون (من تلامذة ابن باديس رحمه الله)، ومحفوظ نحناح، وعبدالله جاب الله (وهما من جماعة الإخوان)، وعباسي مدني، وعلي بلحاج، ومحمد السعيد. فبرزت بعد هذه الرابطة عدة تيارات، كلها تسعى لنهضة الجزائر دينياً واقتصادياً ورفض التبعية الفكرية للمستعمر الفرنسي.

خاضَت الجبهة الانتخابات البلدية سنة ١٩٩٠م، وحققت الفوز، على إثرها قامت مظاهرات كبيرة تُطالب بالإصلاح، **انتهت بمصادمات دامية بإطلاق النار**، وفي نهاية سنة ١٩٩١م خاضت الجبهة انتخابات مجلس الشعب، وفازت بأغلب المقاعد، فباتت خطراً يهدد الغرب، وبدأت وسائل الإعلام حملة تشويه مركزة، فكان هدفهم عدم إتمام المرحلة الثانية من الانتخابات، وبعدها تم إلغاء الانتخابات وتَدَخّل الجيش ورفض تسليم السلطة سِلمياً للطرف الفائز، وشكَّل سلطةً مدعومة عسكرياً، وبدأ بإيداع أفراد الجبهة وغيرهم في سجونٍ نائية.

عبّاس مَدني: ولد سنة ١٩٣١م في (سيدي عقبة) جنوب شرقي الجزائر، ودرس في صغره بالمدارس الفرنسية (أيام الاستعمار)، ثم في مدارس جمعية العلماء، وتخرج من كلية التربية، وفي سنة ١٩٧٨م حصل على الدكتوراه في التربية من لندن، وسجن عدة أعوام. توفي رحمه الله في منتصف سنة ٢٠١٩م بدولة قطر، ودفن بالجزائر. [الموسوعة الميسرة ١/ ٢٣٩].

(١) يَرُدّ الشيخ عن شبهة تتردَّد: [وقالوا أيضا من الشبهات: أن **هذا طريق طويل إلى متى تُربي الناس وتجعلهم مُتبعين للسّنَّة؟ وأنهم يلتزمونها ويُصلّون ويفعلون، متى تقيم الدولة؟** نحن

لأن الكثـير مـن المفكِّريـن والحـركات الإسـلامية يجهلـون نقطـة مهمـة

=نقـول: ومَـن أمَرَنـا بإقامـة الدولـة؟! الله عـز وجـل أمرنـا بـماذا؟ أمَرَنـا بـأن ندعـو إلى دينـه، أهتـدَوا النـاس أم لم يَهتـدوا، ليـس لنـا مـن الأمـر شيء، أقامـت الدولـة أو لم تَقُـم، ليـس لنـا مـن الأمـر شيء، أنـا سـائلكم بـالله: هـل سيَسـألك الله عز وجـل أأقمـت الدَّولـة أم لم تُقمهـا؟ هـل توجـد آيـة واحـدة في القـرآن أو حديـثٌ يُكلِّـف كل فـرد بإقامـة الدولـة؟!

الدولـة مَطلـبٌ لا شـك فيـه، والسـعي لإقامـة خلافـة المسـلمين أُمنِيـة، وأنـه (مـن لم يغـزو ولم يحـدث نفسـه بالغـزو؛ مـات عـلى شُـعبةٍ مـن نفـاق) نعـرف هـذا، ولكـن نقـول: مـن سـيغزو؟ ومـن الـذي سـيجاهِد؟ هـل مـن كان عابـداً للقبـور! أم الـذي لا يـدري أيـن الله! هـل الـذي لا يعلـم أن الله عنـد البـدوي! أو أيهـما يغلـب الله أو البـدوي!! بعـض النـاس إذا جاءتهـم شِـدّة يذهبـون إلى الميرغنـي وإلى البـدوي وإلى فـلان يسـألون!!

إذاً النـاس الذيـن سـنُجاهد بهـم وقعـوا في الـشرك، **فتطهـير النـاس هـؤلاء أولى الآن**، الرسـول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقـول أن (لا نسـتعين بمـشرك) [أخرجـه مسـلم ١٨١٧]، كيـف يحمِلـون الدعـوة وهـم مُشركـون! إذاً كيـف سـتُقام بهـم دولـة! لا يمكـن هـذا، فالدولـة لا تُقـام إلا عـلى أكتـاف موَحِّديـن، **وأما المشركـون والقبوريـون فـلا يُقيمـون دولـة**، وحاوَلـوا في كل مـكانٍ حتـى في الأفغـان فَشـلوا، لماذا؟ لأن التوحيـد ضعيـفٌ عندهـم.

عمـر بـن الخطـاب يقـول لجنـوده المسـلمين: (إنكـم لا تغلبـوا عدوكـم بكثـرة العـدد والعُـدَّة، وإنـما تغلبونهـم بتقـوى الله)، وأول شيء مـن تقـوى الله مـا هـو؟ التوحيـد، قـال: (فـإن اسـتَويتم معهـم في المعصيـة غَلبوكـم بكثـرة العَـدد والعُـدَّة)، وأكـبر معصيـة الـشرك، فـإذا تسـاوى المسـلمون والمشركـون بالـشرك، فـإلى أيـن يذهـب نـصر الله؟! لا يـأتي.

ثـم الثانيـة أن هـذه الطريقـة التـي يقولـون عنهـا أنهـا طويلـة، انظـر **طريقتهـم طريقـة الانقلابـات** والفكـر السـياسي منـذ ١٩٢٠م إلى الآن، ودفـع المسـلمون ضحايـا بشريـة هائلـة بـالآلاف، والنتيجـة صفـر، ونأخـذ فنقـول جربتـم طريقتكـم ٨٦ سـنة، مـالٌ هائـلٌ ضـاع، وشـبابٌ ضاعـوا، وبـلادٌ دُمّـرت!! **جرِّبـوا طريقتنا وعـودوا للتوحيـد وتعلمـوا السُّـنة** والتزمـوا الديـن ٣٠ سـنة، وانظـروا بعـد ذلـك كيـف الله عـز وجـل يفتـح الدنيـا، فحتـى تحكُـم أن الطريـق فاشـل، وأنـتَ لـيس عنـدك وحـي وإلهـام، مـاذا تفعـل؟ تُجـرب هـذا وهـذا، تجـرب الطريقتـين، فعنـد العقـلاء أنهـم يجربـون فيقولـون هـذا أقـصر مـن هـذا، مثالـه: لـو اختلفنـا الآن في طريـق بـرّي وفيـه جادتـان، أحدهمـا طويـل والآخـر قصـير، فهـل يوجـد عاقـل يقـول: هـذا الطريـق لا يوصلنـا لأنـه أطـول! مـا يَحكـم عاقـل بالهـوى، وإنـما يسـلك هـذا الطريـق وينظـر فيـه، فـإذا جاءنـا عُقـلاء وقالـوا: يـا قـوم، الطريـق الـذي سـلكتم مـا أوصلكـم، فجرِّبـوا طريقنـا. الجـواب أن يقـول العقـلاء: مـا نـدري والله ولا نُغامـر، أو يقولـوا لنُجـرِّب، أمّـا أن يحكمـوا أنـه لا يصلـح أو لا يوصِـل، فهـذا ظـن.

ونحـن نقـول قـد أخـبر الرسـول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بـأن هـذا الطريـق طويـل، عندمـا خـطّ خطـاً مسـتقيماً وخـطّ خُطوطـاً يمينـاً وشـمالاً قصـيرة، ولكنهـا لا توصـل، وتـلا قولـه تعـالى: (وَأَنَّ هَـٰذَا

جداً: وهي **أن التَّمكين في الأرض مثل الرِّزق، ومثل الآجال، يأتي من فَوق لا من أسفل**، فَرَفعُ الذُّل عن المسلمين يأتي من السماء كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]، وقال: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أي اجتهدوا، ثم قال: ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك:١٥]، ولم يقل كلوا من كَدِّكم! فأنت تتعب وتشتغل وتجتهد ليل نهار وما في نتيجة، وهذا نائم تموت له جدة من رابع جد فيأتيه ورث، أرزاق يسوقها الله لمن يشاء.

وكذلك في الحُكم، كل يوم تسمعون حديث (إذا تبايعتم بالعينة،

=صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) [الأنعام:١٥٣]، فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما خط الخط المستقيم جعله طويلاً، **فنحن نعلم أنه طويل، ولكن لا يضرنا هذا، فنحن نبذل السبب، والله عز وجل يتولى النتائج**.

فإذاً لو قيل: هذا طريق طويل، نقول: طويل مشروع، **الأمد إذاً ليس بأمزجتنا**، وأن الدعوة إلى الله عز وجل إنما هي دين، ومعنى دين: أننا يجب علينا أن نسير فيه حيث أمرنا الله سبحانه وتعالى، والله تعالى ما أمرنا إلا أن نتبع رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل شيء.

وهذا الذي سار عليه الصحابة رضوان الله عليهم، فقد كان بإمكانهم أن يقوموا بانقلاب في يوم وليلة، يُداهمون أو يَقتلون عشرين أو ثلاثين من وجهاء قريشٍ بالليل، عند ذلك ماذا ستكون النتيجة؟ تصبح -كما يقولون- دولة إسلامية!! ولكن يحكمون مَن؟ يحكمون شيئاً ما تهيَّأ! **فهذه سُنّة الله سبحانه وتعالى أن يُهيأ الشعب أولاً**. وآتيكم بمثال: لو جاء الحاكم الآن وأصدَر أمراً بإغلاق البنوك الربوية، ولكن الشعب لا يُريد، ماذا يفعلون بهذا الحاكم؟ يخلعونه، لأنهم أتوا به بانقلاب! ولو جاء الوزير وصَدَّر قراراً بأن المُدَرِّسات يَرتدين اللباس الإسلامي، والمدرسات غير مُهيآت للشرع، ماذا ستكون النتيجة -كما هو حاصل الآن-؛ مُخالَفة للدين!، **فالعبرة إذاً ليست بالقوانين، وإنما العبرة فيمن يُطبِّق هذه القوانين**. فلا بُدّ إذاً أن نبحث عن الناس أولاً، وأن توجد الشعب المسلم الذي يريد دين الله سبحانه وتعالى، فلو الناس كلهم ملتزمون، ماذا يكون مصير البنوك؟ تغلق حالاً، لماذا؟ لأن الربا حرام عندهم.. الإنجليز أضربوا عن الحليب فأنقصوا سعره، إذاً الناس هي العلة، والحكومات تَعلم أن الناس لو أرادت الشيء لرَضَخت لهم، لأن الهَمَّ الأكبر للحاكم هو إرضاء الناس. إذاً **يجب أن توجِد أولاً الناس المسلمين الذين يريدون دين الله عز وجل**] من محاضرة للشيخ بعنوان: (الدعوة السلفية) وألقيت سنة ٢٠٠٦م تقريباً.

وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله) النتيجة (سَلَّطَ الله عليكم ذُلًّا)، هذا الذل كيف يُرفع يا رب؟ قال: (لا يرفعه عنكم) ما قال: حتى تقاتلوا حاكِمَكم! أو حتى تغتالوا أو حتى تثوروا! بل (حتى تَرجِعوا إلى دِينكم)[١].

لماذا يلجأ زعماءهم للغرب؟!

إذاً الذل الذي وضع على المسلمين **لن يُرفع عبر الحَركات الثورية،** لأن هؤلاء يُفتون بقتال المسلمين ويَلْجَؤون للغَرْب، والضحيَّة الشباب المِسكين، ولذلك انظر: **كلّ زُعماء الحركات الثَّورية الآن لاجئون عند الكفار!** لو عَلِم الكُفار أن هؤلاء يُشكِّلون خطورة لَما أبقوهم، يُسقونهم ويطعمونهم ويَصرِفون عليهم في بلادهم! هل الكفار أرحم بهؤلاء من المسلمين؟! لا، ولكنهم يَعلمون أن بَقاء هذه الرؤوس آمنة مُطمئنة في بلاد الكفار **حتى تُصَدَّر الفتاوى وتُهَيَّج الشباب** على تخريب بلاده[٢]،

---

(١) أخرجه أبوداود (٣٤٦٢).

ويقول الشيخ في موضع آخر: [تجد أن المسلمين الآن في أكثر أقطار الأرض يحاربون الله و رسوله بالشرك وعبادة القبور، وفي كل بلد (مصر والسودان وسورية وبنغلادش) عشرة إلى خمسة عشر ضريح يُعبد من دون الله، كيف يأتي نصر الله لهؤلاء الذين يحادون الله ورسوله!

وما يجري الآن في فلسطين، ومن عشرين سنة نقول: يا جماعة أوقفوا هذه المهزلة وراجعوا أنفسكم، لكن ما مِن مجيب! ولذلك كل الجماعات الإسلامية في فلسطين -أنا أقول هذا عن عِلم- ما طبعت عشر كتبٍ في التوحيد ضد الشرك] من محاضرة بعنوان: (السلفيون والجهاد).

(٢) وقد كتب الشيخ عبدالله سلسلة مقالات هامة سنة ٢٠٠٤م في جريدة الأنباء، بين فيها أن الجماعات التي تدعو لجهاد الكفار دون ضوابط، وإلى تعميم التكفير، بأن **أفكارهم مهَّدَت لعمليات إجرامية وإفسادية في عدة بلدان إسلامية، ولخص الشيخ مظاهر تلك الأفكار في عشر مسائل،** منها: إحياء مذهب الخوارج في الحاكمية على يد سيد قطب والمودودي ومن تبعهما، تَبَنّي مذهب الخوارج في إنكار المنكر على المنابر، تَبني بطلان العهد والأمان لكل ذِمِّي في بلاد الإسلام، أحدثوا مبدأ الموازنة حمايةً لمشايخهم، تشجيع المظاهرات، التَّقليل من شأن علماء الأمة الكبار، تلميع المشايخ غير السلفيين ليتعلق بهم العامَّة، الحِقد والرغبة في الانتقام، وغيرها، أنصح بقراءتها، انظر المجموع (٤/ ٤٠٣-٤٣٠).

لكن للأسف الشباب لا يَعقِلُ هذا، وإلا فمتى كانت بريطانيا وفرنسا وأمريكا حريصة على الإسلام؛ حتى تُبقي من يَسُبُّها ليل نهار في بلادها بل ويُنفَق عليه!! لا بُدّ أن نُدرك هذه الأمور بعقولنا.

إذاً نقول: أن الحُكْمَ يأتي هِبة من الله ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٥٥]، ما قال وعد الله عز وجل من أقام الدين واجتهد: يُمكّن نفسه!

كل آيات التمكين اقرؤوها تجدوا: أن المُمَكِّن هو الله ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الحج:٤١]، **إذاً المُمَكِّنُ مَن؟ الله عز وجل**، الذُّل لا يرفعه حتى (تَرجِعوا إلى دينكم).

إذاً هذا الذي نَسمَع ونَرى إنما هو لتضييع مجتمعات المسلمين وتأخير الصَّحوة، ولذلك لو تَعمل إحصائية بعدد الشباب الذين قُتلوا منذ أن بدأت حركة الإخوان في قِتالها في مصر إلى يومنا هذا؟ لوجدتَ أنه يُساوي جيشاً يمكن أن يُغزى به بلاد الكفر! وكم من الأموال صُرِفت على لا شيء![(١)]

(١) [تصوَّروا -يا إخواني- أن كل الجماعات السياسية في عالمنا العربي والإسلامي والتي تُريد أن تُقيم الحُكم، **ما وضعت شَكل الحُكم الذي تُريد**! يعني كيف تَحكم؟! إلى اليوم ما عندهم تَصوّر، لا الإخوان ولا التبليغ ولا التحريريين عندهم تخطيطٌ في هذا، ولا الأفغان، ولا حتى المجاهدين في كشمير والفلبين، ما هو شَكل الدولة -نظرياً- الذي يُراد أن تقوم، ليس لديهم شيءٌ مكتوب! ولذلك الأفغان اختلفوا: هل ديمقراطية، أم جمهورية، هل تكون انتخاباً؟! ما وجدوا لها جواباً حتى اليوم! ما هو شكل علاقتهم لو حكموا مع بقية الأمم.

وأما السلفيّون فليست عندهم مُشكلة؛ لأنهم ما جاءوا من فراغ، وما نشؤوا من وسط مجهول، وإنما نحن أمة متوارثة، بتاريخها وتجاربها، وبالتالي عندما يُسأل السلفيون: ما شكل الدولة التي تريدون؟ فيقال **وفق كتب الفقه التي عندنا**، ولا نحتاج إلى تفكير المفكرين في هذا العصر.

فالفَرق إذاً بين السلفيين -الذي يُقال عنهم أنهم ما يفهمون السياسة- وبين السياسيين في عصرنا هذا، أن هؤلاء الناس لا هُم قادرون أن يُرجعوها إلى الأصل القديم، ولا هُم قادرون

لمـاذا كل ذلـك، لأنهـم أعْرَضـوا عـن الـصِّراط المسـتقيم، أعْرَضـوا عـن الديـن الصحيـح الـذي نَـزَل مـن السـماء، عـن الجهـاد الصحيـح، فوَصَلـوا إلى مـا وَصَلـوا إليـه.

ثـم يَئِس النـاسُ مـن ذلـك، فـإذا يَئِس النـاس مـن الديـن وأهـل الطاعـة تَحقـق لأعـداء الله مـا يريـدون، ومـن يلاحـظ كيف النـاس في فـترة السـبعينيّات والثّمانينيّـات مُندفعـة للإسـلام، ويلاحـظ الآن في مرحلـة التسـعينيّات كيـف النَّـاس بـدأت تذبُـل في تأييـد أهـل الحـركات الإسـلامية، خاصـة الحـركات الدعويـة الجِهاديـة، **فالنـاسُ كلـما اسـتَبَشَروا بِنمـوذجٍ؛ شُـوِّهت سُـمعَته.**

ندعـو إلى أن يكـون الجهـاد الصحيـح القائـم عـلى العِلـم الصَّحيـح وعـلى العمـل، بعـد أن يُصبـح المسـلم مُسـلماً حقيقيـاً، وأن يَحكُـمَ بـشرع الله عـز وجـل، وأن يأتيـه حاكـمٌ يُقيـم شرع الله عـلى نفسـه أولاً، ثـم بعـد ذلـك عـلى غـيره، أمـا أن يكـون بيتُـه خَرِبـاً، ثـم يسـعى إلى إصـلاح بيـوت النـاس! فهـذا جنـون.

ونـرى أنـه لا بُـدّ أن يكـون للجهـاد إمـامٌ؛ لِمـا فيـه مـن حِفـظٍ لأنفسِ

=أن يُعطوها أصلاً جديداً، ولذلك يتخبَّطون.

وخـذ مثـلاً (قضيـة فلسـطين)؛ بعضهـم يـرى الصلـح يجـوز، وبعضهـم يـرى الصلـح حـرام، بعضهـم يـرى الجـواز ولكـن ليـس وقتـه الآن، كلام مضطـرب لا يقـوم عـلى عِلـم، وأمـا السـلفيون فقـد ذكـروا في كل كتبهـم عـبر التاريـخ بـأن الصُّلـح مـع الكفـار جائـز بشروطـه وضوابطـه وقوتـه وضعفـه، كلامٌ علمـي مرتبـط بالفقـه، ولا يحتـاج إلى فلسـفات جديـدة، ولذلـك لمـا أفتـى الشـيخ عبدالعزيـز بـن بـاز وغـيره، مـا أفتـى مـن فـراغ، ولا جلـس يفكـر: يـا تـرى أنـا مـن أيـن أجيـب هـذه المسـألة؟! فالقضيـة موجـودة في الكتـب.

فالفُروقـات إذاً بـين السـلفيين وغيرهـم، أن **السـلفيين يقومـون عـلى أصـولٍ صلبـة وتاريـخٍ طويـل**، أمـا هـذه الجماعـات الآن والتيـارات السياسـية إنـما جـاءت لتُدَغـدِغ العواطـف وتُشـغلَ النـاس، فأَخرَجوهـم في مظاهـرات، ومـرةً في ثـورة، ومـرةً في مُحاولـة انقـلاب، وثالثـة في صُلـحٍ مـع حاكـم، ثـم بعـد ذلـك النتيجـة مـا هـي (مكانـك راوح)!!] مـن محـاضرة للشـيخ بعنـوان: (لمـاذا فهـمُ السـلف).

الناس، ولأموال الأمَّة، ولشبابها، وتوجيههم إلى الوُجهة الصَّحيحة بأن يكونوا دعاةً مسلمين حقيقيين، فإذا رأى الله سبحانه وتعالى فينا الأهلية والصِّدق؛ مَكّن لنا، رَغماً عن الدنيا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،

ملحق بعنوان

لمحاتٌ مِن حياةِ الشَّيخ

أبي مُعاوية عبدالله بن خلف السَّبت

رحمهُ الله وغفر لهُ ولوالديه وللمسلمين

المُتوفَّى سنة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

ومعها:

بواكير الدَّعوة السَّلفيَّة في الكُويت

جمعُ وترتيب

بدر أنور إبراهيم العنجري

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ-٢٠٢١م

مقدمــــة

لا يخفى لأيّ مطَّلع على تاريخ الكويت وخاصة في الناحية الدينية فترة نهاية السِّتينيّات وأوائل السَّبعينيّات من ظهور وإحياء الدعوة السلفية -علماً أن هذه الدعوة لم تَغِب عنها سابقاً، فقد **كان غالب عُلماء الكويت ينتهجون منهج السلف الصالح** عقيدة وسلوكاً[(١)]، ولكن مَرّت بها فترة ركود وضعف- حيث قام رجالٌ حملوا راية هذه الدعوة المباركة رغبةً بنشر الإسلام المصَفَّى مما أُدخل فيه، من بِدَع وشركيات وانتشار للأحاديث الضعيفة والمكذوبة على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ومن هؤلاء -بل من أبرَزِهم- الشيخ أبو معاوية عبدالله السَّبت** رحمه الله رحمة واسعة.

ولا يُنكِر أيّ مُنصِفٍ -عاشَ تلك الفترة- ما لِهذا الرَّجل وبذله الكبير مِن أثرٍ في سبيل انتشار هذه الدعوة، وهذا ما لمستُه جلياً مع كل

---

(١) وهُم كثير فمنهم: الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن فيروز (١٦٦١-١٧٢٢م) وهو أول قضاة الكويت، الشيخ خالد بن عبدالله العدساني (١٨٢٩-١٩٠٠م) مفتي الكويت وقاضيها في وقته، الشيخ محمد بن عبدالله الفارس (١٨١٨-١٩٠٨م)، وقد أمَّ المصلين في الحرم النبوي بشهر رمضان سنة ١٨٩٢م، وأخذ عنه الشيخ عبدالله الخلف الدحيّان (١٨٧٥-١٩٣١م) وهو شيخ الكويت في وقته، الشيخ عبدالعزيز بن أحمد الرشيد (١٨٨٧-١٩٣٨م)، الشيخ أحمد عطية الأثري (١٩٠٣-١٩٦١م)، الشيخ عبدالعزيز قاسم حماده (١٨٩٤-١٩٦٢م)، الشيخ يوسف بن عيسى القناعي (١٨٧٩-١٩٧٣م)، الشيخ عبدالوهاب بن عبدالله الفارس (١٩٠١-١٩٧٥م)، الشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري (١٩١٤-١٩٧٩م)، الشيخ عبدالله بن محمد النوري (١٩٠٥-١٩٨١م)، الشيخ محمد بن سليمان الجراح (١٩٠٢-١٩٩٢م). يُنظر للاستزادة كتاب (علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون) عدنان سالم الرومي، وكتاب (علماء من الكويت على منهج السلف) د. دَغَش العجمي، وكتاب (عقيدة علماء الكويت) خالد فلاح العازمي.

مَـن قابلتـه وتحدثـتُ معـه عـن الشـيخ رحمـه الله.

وأحببـتُ -وفـاءً لـه- أن أَعـرِضَ شـيئاً مِـن سـيرته وحياتـه، مُلخِّصـاً جُـزءاً ممـا ذُكـر سـابقاً في مُقدمـة «المجمـوع»[(١)] وهـو قليـل، ومُضيفـاً إليهـا مما **جمعتُـه مـن لقـاءات ومقابـلات** -مـع بعـض مُعاصريـه ومِمَّـن شَـهِدوا بدايـة الدعـوة في الكويـت- لم تُذكـر سـابقاً وهـو الأغلـب، عـلاوة عـلى **مـا وجدتُـه في بعـضِ دُروسـه ولقاءاتـه**.

واجتهـدتُ -قـدرَ الوسـع- عـلى جمـع مـا تناثَـرَ مـن هـذه المقابـلات وتلك الـدروس، مـع مـا تتضمّنهـا مِـن ذِكـر بعـض المواقـف والأحـداث والأسـماء -ولم أسـتوعب بـلا شـك-، ومـا فيهـا مـن بواكـير وبدايـات الدَّعـوة السَّـلفية في الكويـت.

وسرتُ في عَمَـلي هنـا بالطريقـة نفسـها -كـما ذكرتهـا في مُقدّمـة كتـاب «**ملامـحُ أهـلِ الحديـث**»- مـن: تفريـغ المسـموعات كتابـةً ومراجعـةً، والإبقـاء عـلى نصِّهـا قَـدْرَ المُسـتَطاع، إلا مـا دَعَـت الحاجـة إلى تغيـيره وتعديلـه: مـن تصحيـح لُغَـوي، أو إبـدال كلمـة عاميّـة بفَصيحَـة، مـع حـذف التَّكـرار وربـط الفَقَـرات ببعضهـا، بإضافـة حـرف أو كلمـة للربـط بينهـا، وتنسـيق النّـص بوضـعِ علامـاتِ الترقيـم، وتَشـكيل مـا أَشْـكَلَ قـراءةً، وتمييـز النـصِّ المُهـمّ، وجمـعِ مـا اتّفَـقَ مَوضوعـاً وافـترَق مَوْضِعـاً، تقديـماً وتأخـيراً، مـع صعوبـة ترتيبهـا لتَداخُـل الموضوعـات وتأريـخ الأحـداث بدِقَّـة.

(١) وقـد تـم ذكـر سـيرته في مُقدمـة (مجمـوع كتـب ورسـائل الشـيخ عبـدالله السـبت رحمـه الله) الـذي طُبـع في أربـع مُجلّـدات سـنة ٢٠١٩م بتقديـم الشـيخ د.صالـح الفـوزان حفظـه الله، التـي بلغـت خمسـون صفحـة، حيـث تـم الاقتصـار فيهـا عـلى أهـم مراحـل وأحـداث حياتـه، **مستمدة مـن مقابـلات عِـدة**: مـع الشـيخ نفسِـه، ومـع أصدقائـه ومُحبيـه ومـع ابنـه معاويـة، وهُـم يزيـدون عـن خمسـين شـخصاً، وكانـت أغلـب هـذه اللقـاءات سـنة ٢٠١٥م.

وكثير **مما ذكرتُه من كلام الشيخ عبدالله** رحمه الله هو كما جاء في «لقاء شباب القرين» الذي أُجري بمكتبته في الشارقة بتاريخ ٥ رجب ١٤٣١هـ الموافق ١٦/ ٦/ ٢٠١٠م، و«أسئلة منوّعة» منهم كذلك بتاريخ ١٧ رجب ١٤٣٠ الموافق ٩/ ٧/ ٢٠٠٩م، **وما أوردتُه من كلام غيره** فهي مِن خلال مقابلتي معهم شخصيّاً، إلا ما ذكرتُ خِلافه فأُبيّن مَصدره.

شاكراً جميع الأخوة والمشايخ الأفاضل الذين خصَّصوا جزءاً من أوقاتهم وتفضَّلوا عليَّ بمقابلتهم أو مراسلتهم لإثراء مادة سيرة الشيخ وحياته رحمه الله تعالى وعن بدايات الدعوة، ولعلَّ هناك الكثير مِمَّن لديه إضافة أو ملاحظة أو تعديل أو استدراك، فيُسعدني ويشرفني التواصل معه.

كتبه:

بدر أنور إبراهيم العنجري

B_alanjery@hotmail.com

الثاني من شهر رجب ١٤٤٢هـ - ١٤/ ٢/ ٢٠٢١م

لمحات من حياة الشيخ أبي معاوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ

نشأتـــه

- هـو عبـدالله بـن خلـف بـن عبـدالله بـن محمـد السـبت، يرجـع نسـبه إلى قبيلـة النصوريـين، مـن بنـي خالد، سـكن جـدّه في «عَينـات» إحـدى القرى العربيـة بسـاحل فـارس، وأخوالـه عائلـة الحوسـني، الذيـن اسـتوطنوا في الإمـارات والبحريـن.
- ولـد في منطقـة «شَرْق» بمدينـة الكويـت، وذلـك يـوم الاثـنين ١٧ مـن شـهر رمضـان ١٣٦٦هـ، الموافـق ٤/ ٨/ ١٩٤٧م.
- تـوفي والـده وكان عمـره ١٢ عامـاً، فتحمَّـل المسـؤولية صغـيراً، وصـار يرعـى شـؤون والدتـه وأَخَواتـه، ولعـلّ ذلـك كان سـبباً في تأخُّـر زواجـه.

نظرةٌ عن الحياة الدينية آنذاك

- يقـول الشـيخ رحمـه الله في لقـاءه: (بدايـة السِّـتينيّات تعتـبر بدايـة نهضـة التَّديّـن، تجـد أن أغلـب مَـن يعمـر المسـاجد هـم كبـار السـن، أما الشـباب فهـم آحـاد.

كثـير مـن النـاس يظنـون أن حَملـة الدّعـوة السـلفية هُـم مـن بَـدأ نَـشرَ التوحيـد في الكويـت، وهـذا غـير صحيـح، فعمـوم الحنابلـة وكثـير مـن الشـافعية الموجوديـن في البـلاد عقيدتهـم سـليمة، وهـم عـلى توحيـد وسُـنة، وإن كانـت تأتيهـم البـدع جهـلاً، وإلا فعمـوم النـاس كانـوا عـلى العقيـدة الصحيحـة، وكانـوا عـلى رغبـة في اتبـاع سُـنة النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلـك لا بُـدّ أن نُفـرّق بـين دعـوة السَّـلف وطريقتهـم والعقيـدة

السلفية، وبين جماعة الدعوة السلفية، فنحن بدأنا هذه الدعوة وتجميع الناس، ولكن عقيدة السلف موجودة قديماً .. [1]، حتى الكاتب المشهور عبدالعزيز الرشيد كان يُسمّي نفسه في كتاباته بـ «السَّلفي» [2]، فعقيدة السلف موجودة عند عوام الناس.

فلذلك ما وجدنا صعوبة في طرح هذه العقيدة للناس، ولا أذكرُ أن أحداً جاءنا يُناقش مثلاً في قضية «استواء الله على العرش»، إلا من المدرِّسين الذين جاءوا من مصر أو الشام أو غيرهما، ممن يعتقدون بعقيدة الأشاعرة، حتى نحن ما اضطررنا في بيان مسألة العرش إلا لما أنكر بعض المدرسين ذلك، فكتبنا رسالتنا «الرحمن على العرش استوى»، أما عموم

---

(١) كان أهل الكويت على الفطرة السليمة، وعلى ديانة وصلاة، فقد زار الكويت مؤرخ رحالة وعالم فقيه عام ١٧٧٢م وهو **الشيخ «عبدالرحمن السويدي»**، وسجل مشاهداته فقال: (الكويت بلدة على ساحل البحر.. دخلتها وأكرمني أهلها إكراماً عظيماً، **وهم أهل صلاح وعفة وديانة**، وفيها أربعة عشر جامعاً وفيها مسجدان، والكل في أوقات الصلوات الخمس تملأ من المصلين، أقمت فيها شهراً؛ لم أُسأل عن بيع وشراء ونحوهما، بل أُسأل عن صيام وصلاة وصدقة، **وكذلك نساؤها ذوات ديانة في الغاية**، وقرأت فيها الحديث في ستة جوامع، نقرأ في الجامع يومين أو ثلاثة فيضيق من كثرة المستمعين، فيلتمسون مني الانتقال إلى أكبر منه، وهكذا استقر الدرس في جامع ابن بحر، وهو جامع كبير على البحر) من كتابه: تاريخ حوادث بغداد والبصرة، ص٤٥، طبع وزارة الثقافة بالعراق.

ويقول **الطبيب «بنيجس»** الذي يُعالج المرضى في الكويت -ضمن الإرسالية التبشيرية الأمريكية- عام ١٩١٥م: (لا بُدَّ من القول أن **الإسلام في الكويت هو قلعة حصينة لدى الأهالي**، فعندما تتمَشَّى قُرب الساحل ستُشاهد جميع الرجال الموجودين داخل السُّفن يؤدون الصلاة، بل إني رأيت الأولاد الصغار يؤدون الصلوات بحرص وخشوع، لم أر مثله مِن قَبل، **وبجانب ذلك نَجِد المساجد غاصَّة بالناس**، وفي أثناء زيارتي لأحد الرجال.. لعلاج أحد أطفاله، وجدتُ في بيته **مَدرَسة تتعلم فيها البنات الصغيرات القرآن**، وفي كل مكانٍ في المدينة نجد **حماسةً عظيمةً وكبيرة للقِيام بالواجِبات الدينية**، وتُؤدى من الجميع بتقوى وورع) من كتاب (القوافل رحلات الإرسالية الأمريكية في مدن الخليج العربية ١٩٠١-١٩٢٨م) ص٩٩. بواسطة كتاب: (الكويت بعيون الآخرين، د. يوسف عبدالمعطي، ص١٣٦، ١٤٧) ط. مركز البحوث والدراسات الكويتية.

(٢) حيث يقول الشيخ عبدالعزيز الرشيد مُعرِّفاً عن نفسه لابن سليمان مبعوث فيصل الدويش: (أنا عبدالعزيز آل الرشيد حنبلي المذهب سلفي العقيدة..). تاريخ الكويت ص ٢٥٨ ط. دار مكتبة الحياة، بيروت.

الناس في المساجد فكانوا على الفِطرة وعلى العقيدة الصحيحة.

وهذا يجب أن يَفهمه الناس، **فلم يكُن منتشراً في البلاد الشرك والبدَع والضَّلالات، ثم أتيناها نحن وجعلناها سَلفية! هذا غير صحيح**، حتى أن الضَّريح المشهور «الخَضِر» أو «قَدَم الخَضِر» الذي كان في جزيرة فيلكا، ما كان يزوره إلا الرافضة، والقليل جداً ممن تأثَّر بالخطِّ الصُّوفي، فلم يكن الناس في ذلك الوقت متأثرين بالأضرحة أو بالشِّرك، **ونحن سَعينا مع بعض الناس لإزالته، وأزيل بحمد الله**، ولذلك لما أُزيلَ لم تحدُث ضَجّة، كما لو أُزيل قبر في بلادٍ أخرى.

وحتى الصوفية الذين لديهم توسُّل بغير الله و«مَدد يا رسول الله!!» هم طائفة قليلة، محصورين في منطقة معينة والحمد لله، كان تأثيرهم قليلاً، وهم أنفسهم ما كانوا يُظهرون هذه العقائد.

والناس ما كانوا يُعادون أو يُنكرون السُّنة جهلاً، مثل قضية التراويح ثماني ركعات، وصلاة العيدين في المصلى.

إذاً نحن ما جئنا ننشر عقيدة جديدة بين الناس، فهم كانوا على توحيد ودين صحيح، ينقُصهم تطبيق سُنّة النبي ﷺ، يعني كثير من الناس متساهلين في مسألة اللحى ومسألة الإسبال، يرون بالمذهب المشهور صلاة العشرين ركعة في التراويح، حتى أن من يُصلي ثمان يُطرد من وظيفته.

إذاً الدعوة السلفية موجودة في الكويت ونحن جئنا وتبعناها، ولما بدأنا في مسجد العبدالجليل أو عبدالله الخلف أو ابن حنبل في الفيحاء ما وجدنا من الناس صُدوداً، كان الناس عندهم جهل في مسائل معيَّنة في التوحيد، ومسائل في الفقه، **وكان دورنا أننا جمّعنا الشباب والناس لنشر وإحياء هذه الدَّعوة**، بل وَجدنا الترحيب مِن مختلف المناطق الداخلية والخارجية وعموم مناطق البادية -كما جرى العُرف في هذا الاصطلاح-، فكانوا على مذهب الحنابلة وطريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عموماً).

بداية تديُّنه

- شرحَ الله صَدره للتَّديّن والاستقامة سنة ١٩٦٥م وكان عمره ١٨ سنة، بدايةً مع جماعة التبليغ، يقول الشيخ: (كُنّا في البداية **مع جماعة التبليغ** سنة ١٩٦٥م، لأن في ذلك الوقت لا توجد إلا **جماعة الإخوان** وكان لهم جمعية الإصلاح في المرقاب «أم صِدّه» عند مجمع الوزارات حالياً، وكان لهم نفوذ وقوة ومنزلة، ومعظم المدرسين المصريين -بعد ضرب عبدالناصر لهم كلهم انتقلوا إلى الكويت والسعودية- ومعظم أئمة المساجد كذلك منهم، وكان هذا واضحاً، وفي المقابل توجد جماعة التبليغ في مدينة الأحمدي قبل أن ينتقلوا إلى صبحان، وبقايا من **حزب التحرير** ليس لهم تأثير أو وجود، فلا توجد راية اسمها السلفيون.

والإخوان خاصة في منطقة الخليج ليسوا جميعاً أهل بدع وعلى عقيدة باطلة، فمنهم على عقيدة التوحيد وعلى عقيدة السلف، **ولكنهم في المنهج خالَفونا**، وفي ذلك الوقت ما كان يُعرف المنهج، وما كان الناس تُفرِّق في هذا.

ثم لمّا جاءت حرب ١٩٦٧م وجدنا جماعة التبليغ يُنكرون الجهاد، ثم وجدنا عندهم مسألة العِلم بالأصول السِّتة -وهذه بداية الفُرقة-، فهم يرون أن البحث فقط في عِلم الفضائل، يعني دراسة في فضل الصلاة وفضل الصيام وفضل الدعوة، لكن كيف تُصلي؟ يقولون: لا، هذه مسائل خلافية، لا ندخل فيها!! ولذلك تجد عندهم -مثل الإخوان- جميع أطياف العقائد متوفرة عندهم، لأنهم لا يدخلون في هذا التفصيل، لأن هذا يُفرّق الناس عندهم!!

وجماعة التبليغ -فيما أعلم ومن باب الإنصاف- عندهم إخلاص

في مذهبهم، وعندهم عزيمة لا تَفتر، وعندهم يَقين أن هذا الطريق هو الصَّواب، ولذلك يُضَحّون بكل ما عندهم، **ونحن استفدنا منهم**: الجُهد، وهو الذي حرَّكنا، فهم يربّون في الإنسان همَّ الدين وخدمته، ومَن يقرأ حياة الصحابة تدبُّراً -وأنا أدعو الشباب **خاصَّة لمن عنده تمييز في النصوص**: أن يَقرأ كتاب «حياة الصحابة» - يربّي فيه الجُهد وأن يحمِلَ همّ الدين، والآن كثيرٌ مِن الدُّعاة للأسف يسمونهم «دُعاة مكاتب»، ما عندهم الرَّغبة في أن يَنزل للشارع، أمّا هُم يُربون فيهم مثل حياة الصحابة، يربون أنه لو جاء أحدٌ من الناس وضَرَبك تقول له: جزاك الله خيراً، ما تنتصر لنفسِك، بل تنتصر للدِّين.

وفي سنة ١٩٦٧م عَقَدنا العزم وتركناهم[١]، وكان عددنا ١١ أو ١٣ شخصاً، فبدأنا بالجلوس في مسجد ابن حنبل ولا ندري ماذا نفعل، ولكن تعلّمنا أن نبذل الجُهد، فبدأنا بقراءة كتاب «فقه السنة» للسيد سابق، وكتاب «كشف الشبهات»، و«كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

ثم انتقلنا إلى مسجد عبدالله الخلف، ثم إلى مسجد العبدالجليل، ثم إلى مسجد القادسية «بجانب مركز الشباب»، ثم إلى مسجد صلاح الدين في الخالدية، ثم توسعنا قليلا قليلاً، وأعطونا الأوقاف غرفة في مسجد العبدالجليل، تكون مقرَّ دعوةٍ لنا).

(١) وكانوا قد جعلوه مسؤولاً عندهم، **وبعد سنتين تركهم** لأسباب منها: اعتقادهم تعطيل الجهاد، وضَعف الاهتمام بالعقيدة، وتأثره بكتابات الشيخ الألباني في (مجلة التَّمدّن الإسلامي) التي كانت تَصِله من سورية.

مع أهله وأبنائه وأقاربه

- تزوَّج الشيخ سنة ١٩٨٠م وعمره ٣٣ سنة، من أم معاوية وهي من أسرة الهولي، وتجمَعه بها قَرابة مِن جهة أخواله، ورُزق منها بخمسة أولاد وبنتين، وكان الشيخ معروفاً عند أهلها قبل زواجه، كما قالت عنه: «كنا نسمعُ عن شيخ من عائلتنا له هيبة بين الأهل، وكان والدي يُحبّه كثيراً، وله مكانةً خاصة عنده». وتقول: «كان رحمه الله لا يحب الكلام في أمور الدعوة الداخلية مع أهل بيته، أقصد أنه كان لا يخبرني عن مشاكل الدعوة».

- كان رحمه الله مميزاً في علاقته معهم؛ فهو الأب الذي يعطف على أبنائه، والمعلم الذي يُوجّههم ويُربيهم، والداعية الذي يُرشدهم إلى الخير، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، أسَّس بيته على طاعة الله عز وجل، وحب الصلاة، ومصاحبة الأخيار.

- **كان لا يغضب على أولاده إلا على تفويت الصلاة**، وخاصة صلاة الجمعة -كما يُحدث بذلك ابنه معاوية-، فكان يغضب بشدة ويضربُ أحياناً.

- يحدثني أخي أحمد الحوسني -نَسيبه وابن خاله-: (كان الشيخ **يجمع كل العائلة** -مع وجود من هو أكبر منه سِناً- ولكن علاقته بأسرته وعائلته الأوسع قوية، ويعتبر رأسهم ويرجعون له في أي أمر هام وأي مشكلة، ويُقدّم على الجميع، ويُصدِّرونه في المجالس، وهو مُقدَّرٌ بينهم بشكلٍ كبير).

- ويقول أيضاً: (**من شِدّة حُبّه لأحفاده**، لما كنتُ أبيتُ مع زوجتي

في بيت الشيخ نهاية الأسبوع، أحياناً يصيح ولدي في الليل، مباشرة يَطرق الباب يسأل عنه، يقول: أذهب به إلى الطبيب، فكان يُحبّهم ولا يتحمّل تركهم يبكون، وكان يُفرد التمر ويلينه لهم ويُشربهم القهوة).

- أحياناً يتَّصِل على ابنه معاوية ونسيبه ويخرج معهما إما على غداءٍ أو عشاء، وأحياناً يحجز غُرفاً في أحد فنادق الإمارات -أيام العيد- لجميع أبنائه وبناته ليُدخل السُّرور عليهم، خاصة الأيام التي كان لا يستطيع الخروج من الإمارات، وكان يخرج للنزهة في البر أو البحر مع جميع الأهل.

- كان يَمدح زوجته في كل مناسبة، ويُقدّرُ صنيعها وصبرها معه، حيث تركت أهلها في الكويت وعاشت معه في إمارة الشارقة.

- كما أن **علاقته** كانت مميزة **مع والدته** - رحمها الله -، يقول معاوية: (فقد كان مُنكسراً خافضاً جناحه لها، يخدمها في كل شؤونها وأمورها، مُلَبِّياً لما تحتاجه ولو صَغُر).

- **ومن بره بأمه**، مرة أتى الشيخ لشباب الجهراء -أيام الشيخ عبدالعزيز الهَدَه رحمه الله- في شقة بمكة، فلما انتهى الدرس ضيَّفوه على العَشاء، فقال: اعذروني أنا أتعشى مع أمي.

- **وأما مع أرحامه وأقاربه**؛ فقد كان واصلاً لهم بشكل دائم، حريصاً على لَمِّ شَملهم ووحدة كلمتهم، وكان مرجعاً في الإصلاح بينهم وحل مشاكلهم، وكانوا يقدرونه ويُصَدِّرونه المجالس مع وجود من هو أكبر منه سناً.

- كان يَعقد **جلسة أسبوعية لأسرته**: يُلقي درساً عليهم مدة ربع ساعة،

ثـم يَحفظـون سـورة مـن القـرآن، فقـرأ معهـم عشريـن بابـاً مـن صحيـح البخـاري، ثـم انتقـل إلى قـراءة الرسـائل الصغـيرة، وكان يُعطـي أحـد أولاده الكتـاب ليقـرأ، ثـم يُعلِّـق الشـيخ بـما يـسّر الله لـه.

دراسته النّظامية وعَمَله ومسكنه

- أكمل دراسته للمرحلة المتوسطة -متأخِّراً- حيث كان عُمره ٢١ سنة، في مدرسة ابن رشد بمنطقة الفيحاء «بالفترة المسائية»، ثم دَرَس في ثانوية كيفان وتخرَّج منها سنة ١٩٧٢م، ثم التحق بالكُليّة العربية في لبنان وتخرَّج منها سنة ١٩٧٧م، وحصل منها على الشهادة الجامعية «البكالوريوس» في اللغة العربية، ثم حَصَل على درجة العالمية «الماجستير» انتساباً من الجامعة الإسلامية في باكستان سنة ١٩٨٥م، في تخصص الفِرق والمذاهب، والتحق ببرنامج الدكتوراه إلا أنه لم يُكمِله.
- عمِل الشيخ رحمه الله باحثاً -قبل التحاقه بالكُليّة- في مكتبةٍ تابعة لوزارة التربية.
- اشتغل الشيخ **ببعض التّجارات البسيطة**، فلم يَعمل في القِطاع الحكومي، ولم يرث مالاً أو عقاراً، حيث تشارك مع بعض أصدقائه في شراء مزرعة في منطقة «الوفرة»، ثم أخرى في «العبدلي»، فزرع فيها وصارت مصدر دخل له زمناً يسيراً، ثم نقلها إلى بعض مزارع في السعودية في دِثير والقِرنة «المحمديّة قرب الدوادمي» وفي مِغيب[(١)]، وتوجه زمناً لتربية الإبل ثم تركها لّما رأى أنها تورث الكِبر في

(١) كان الشيخ يُشارِكُ البعض في التجارة (مثل شراء أرضٍ او مَزرعة بالسعودية)، وهم يعتمدون عليه فيها، ظناً منهم كما كانوا يعتمدون عليه في الدعوة، فبعد ذلك يتَّهِمونه بالتقصير حال الخَسارة، وهي في الحقيقة ليست أكبر هَمّه -كما ذكرنا- وإنما همُّه الدعوة.

ويُحدثني أحد الفُضلاء الذين تشاركوا مع الشيخ في هذه المزارع، وأراد الشيخ إرجاع مال حصّته إليه، فقال: «يا شيخ هذه تجارة، ربح وخسارة، والآن المزرعة خسرت بسبب أن الماء نزل ولم تُمسِكه الأرض، وما حَصَل من الشُّركاء خطأ في مطالبتهم للمال، فردَّ عليّ الشيخ: أنا لا أحب أن يتكلَّم أحد أني أخذتُ ماله». رحمه الله كان حريصاً على إبعاد أي شُبهة عنه، وعلى عدم خسارة صُحبة إخوانه.

النَّفس، فاتجه لتربية الأغنام، **وفي كل ذلك لَمْ تكن هذه التِّجارات شُغله واهتمامه**؛ وإنما كان يحاول من خلالها سدَّ احتياجات بيته وأهله، والتي في الحقيقة لم يُوَفّق في كثير منها، ولكنه لم يُقصِّر على أولاده بشيء، ولم يشعروا أبداً بأنهم أقلَّ من أقرانهم.

- حتى أن مزرعته أو مُخيّمه يصير كأنه مركزاً للدعوة والدروس الأسبوعية، كما يحدثني ذلك أكثر من شخص عاصر تلك الفترة، وكان رحمه الله يصطحب أهله وأصدقاءه لهذه المزارع ويكرمهم كثيراً، ويحرص على إدخال السرور عند ضيافة الناس، فكان كريم الطبع ينفق بسخاء رحمه الله.
- تَنقَّل في سُكناه بالكويت من منطقة شَرق إلى الفيحاء ثم إلى النّقرة ثم إلى القادسية ثم عاد إلى الفيحاء قطعة ٩، وكان زواجه فيه.
- **انتقل الشيخ من الكويت إلى إمارة الشارقة مرتين: الأولى** سنة ١٩٨٧م بسبب التضييق عليه وأذيته من بعض خصومه بالدعوة، ثم رجع إلى الكويت سنة ١٩٩٤م لأسباب عدة منها: تغلغل أصحاب الفِكر القُطبي «السروري» في صُفوف السلفيين وفي جمعية إحياء التراث، فسَعى إلى تمييزهم وإبعادهم، وكان يقول: (كنت أذهب لشاطئ «بحر البِدع» أتأمَّل كيف أُرجِع الجمعية بعدما دخلها هؤلاء)، وقد لقي منهم الأذى والتشهير في المجالس والصُّحف .. مكث ثلاث سنوات، ثم غادَر إلى الشارقة **للمرة الثانية** ولم يرجع، مع كثرة تردده لزيارة الكويت بين فترة وأخرى عندما تُتاح له الفُرصة.

من صِفاته

- تميز الشيخ رحمه الله بسعة الصدر، وحِدّة الذكاء، وبرِّه بوالدته، كما تميز بالتواضع وخفض الجَناح للكبير والصغير، كما حدَّثني غير واحد: أن الشيخ كان يأتيه في المَطار ليُقِلّه -إذا بَلَغه مَقدمه، ولو كان بعُمُرِ أبنائه- ويضيّفه عنده.
- لم يكن ليَفخر على أحدٍ بشيء، أو يَمُنّ عليه، وكان كثيراً ما يقول: «ما نَزال في مرحلة الطلب».
- كانت شخصيته محبوبة، فيها بَساطة طبيعية، تُحبه مِن الوَهلة الأولى -كما يُحدثني بذلك الشيخ سعيد عَمّاش وغيره-، وكان سَهلاً بسيطاً، سَمحاً في تعامله، لا يطلب أكلاً معيناً بل يتناول ما هو موجود.
- كان كثيراً ما يؤاكل الفقراء والمحتاجين في مكتبته، ويجلس معهم، وينظر في أخبارهم، ويسأل عن أحوالهم، ويَقضي حوائجهم.
- تميز رحمه الله **بالجود والكرم**، ويشهد له منزله في منطقة الفيحاء -أيام السبعينيّات والثمانينيَات- حينما كان يزوره الشباب من كل مكان، ويضيّفهم بما هو موجود لديه دون تكلّف، وكان لا يَعرف الأكل لوحده منفرداً، يُحب المشاركة، وكان الضيوف ينامون عنده في بيته بالقادسية والفيحاء، فاتصف بالكرم على قِلّة ذاتِ اليد.
- تَشهدُ له مكتبته العامرة ومنزله المضياف في الشارقة، حيث كان يُصِرّ على ضيوفه وزائريه أن يسكنوا عنده ليُكرمهم ويضيّفهم، -وأذكر طلبه ذلك منّا في كل زيارة إليه-، وأحياناً يأتيه الضيف فيحجز له في إحدى الفنادق على حسابه الخاص، ناهيك عن **كفالته لطلبة العلم**

والدُّعاة الذين يَفِدون إليه مِن شتى بقاع الأرض، وكلّ مَن زاره رأى بعينه تنوّع الجاليات الذين يكفلهم من بلدانٍ عدة.

- ومن **كرمه**: لما كُنّا صغاراً -كما يحدثني أحمد الحوسني- ننتظر قدوم الشيخ في يوم العيد عندنا في خورفكان، لأنه كان أكثر شخصٍ يعايدنا.
- كان لا يرُد سائلاً قط، فما سأله أحد إلا وجاد عليه ولو باليسير.
- يتميز الشيخ عبدالله -كما يصفه بذلك الكابتن عادل البرجس-: أنه سريع البديهة، ذكيّ لّماح، يَفهم مقصود الكلام سريعاً، عنده مقدرة عجيبة على الحفظ، لَما يقرأ المعلومة يتذكر أين قرأها، علاوة على فَهمه لما يقرأ بما يتجاوز السُّطور، لأن بعض الناس تقرأ ولا تفهم، أو تفهم نِصف الكلام.
- يحدثني الأخ محمد بن ناجي القناعي عن الشيخ فيقول: (من صفاته: **سرعة البديهة**، والتخصص بالفرق الإسلامية، وكان يفك ألغاز الكتب الصَّعبة، أذكر أني كنت أقرأ من الطحاوية وأَشكَلَ عليّ بعض الأمور، فكان يشرحها لي وهو يقرأ كتاباً آخر في الوقت نفسه، وكان يربط بمسائل تكون قد مرّت عليه قرأها من كتبٍ سابقة).
- ويحدثني الأخ أنور بن سَلامة: (كان الشيخ **يَسعُ الجميع ويحتويهم**، ويجلس مع الصغير والكبير، والجاهل والعالم، مَرِنٌ في تعامله، لا يَغضب، صبوراً مما يأتيه مِن خصومه، ولا يَردّ الإساءة بالإساءة، ولا يُظهر التَّسخط والتَّشكي، كريمٌ جداً).
- ويقول الشيخ عبدالوهاب السّنيّن عن الشيخ أبي معاوية: (عرفته دؤوباً على عمله، حريصاً على إخوانه، ناصحاً مُجِداً مجتهداً، لم يتوانَ

أو يتهاون عن النصيحة في يوم من الأيام، لا يثأر لنفسه أبداً، بل كان مِقداماً شُجاعاً قويًّا في الحق، لَا يخشى أحداً بقدر خشيته الله .. عرفته **كريماً جواداً**، مُطلِقاً يده في ميادين الخير، يسقي جوده قريباً كان أو بعيداً، لا يرجو من ذلك جزاءً أو عطاءً، وإنما يرجو ثواباً مِن ربّ البشر .. الذي يعرف الشيخ ويعرف بيته في الفيحاء؛ كان بيته مفتوحاً ٢٤ ساعة، ويحدثني أحدهم: أن الشيخ طلب منه أن يأتي بالعَشاء لضيوفه الذين أتوا من خارج الكويت في الساعة ١٢ ليلاً) [١].

- وكذلك يروي أحد الأخوة الأفاضل موقِفاً حصل أمامه -وكان مرافقاً للشيخ حينها- يقول: كنا مرة ذاهبين لصلاة المغرب في الشارقة بمنطقة المرقاب، فرأى رجلاً من البُلوش -يَعرفه الشيخ- عَفيفاً يعيل أسرته ولا يَملك قوت يومه، وكان عند الشيخ **خمسة آلاف درهم** فأعطاها إياه، سبحان الله فأتته رسالة على الهاتف أن شخصاً من أهل الخير حوَّل له في حسابه المخصص للتَّبرعات ١٥ ألف درهم -وحسابه هذا كان يعرفه أهل الخير في الإمارات والكويت والسعودية حيث كان ينفق على فقراءِ طلاب العلم-، ويقول: (لو عندي هذه الملايين راح أنفقها في أسبوع)، فالدينار ليس له قيمة عنده في تأليف القلوب.

- ويحدثني أحد الأخوة عن **نظرة الشيخ تجاه مَن يسأله مساعدة**: أرى أن الشيخ **يتملّكه شعور نحو أي قضية** أكبر من طاقته، وكذلك كان يظُن بالناس خيراً، وهم لا يُوفونه حقّه من المال، وكان الشيخ بحُكم مكانته ومعرفته بشتى دُعاة العالم؛ كان يُعطي أحياناً ما عنده من مالَ

(١) في لقاء أذيع ببرنامج (موكب النبلاء) على قناة المعالي، بتاريخ ١٦/ ٩/ ٢٠١٢م.

-وهـو مخصـص لجهـةٍ أخـرى- مـا تحتاجـه مجموعـة ثانيـة حـالاً، وفي نيتـه تغطيـة هـذا المبلـغ حـال توفـره بعـد أيـام، -وقـد ينتقِـده ويلومـه البعـض لأجـل طريقتـه هـذه-.

وأحيانـاً يدفـع مِـن مالِـه الخـاص **لحاجـات النـاس** ولطـلاب المكتبـة والمسـاعدات، وإذا أتتـه الأمـوال مـن تُجـار الكويـت أو الإمـارات أو مـن جمعيـة الـتراث يسُـد هـذا النقـص أو العجـز الـذي دفعـه.

- والشـيخ مـا عُـرف بثـراءٍ، ولا بـإسرافٍ، ولا حُـبٍّ للـمال، ومَـن نَظَـر إلى الأمـوال التـي تُسـلّم لـه -لثقـة النـاس بـه- بإمكانـه أن يجمـع الملايـين، ولكنـه عـاشَ عـلى الكَفـاف.

- ويحدثنـي د.أحمـد الشـيحه: (أن أحـد المشـايخ تأثـر بدعـوة الشـيخ أبي معاويـة وصـار يقـرب أكثـر منـه، فلـما عَـرَف صاحبـه أنـه قـد قـرب مـن دعـوة الشـيخ، صـار هـذا الصاحـب -وهـو شـيخ كذلـك- يتكلـم عـن الشـيخ أنـه يـأكل أمـوال النـاس وغـير مُؤتمـن!، فسـأل بومعاويـة عـن صحـة هـذا الـكلام، فقـال لـه بومعاويـة: اجمعنـي بـه، فاتصـل عـلي الشـيخ وقـال إني قـادم للكويـت، فلـما وصـل أخـبرني بالأمـر وأنـه يريـد مقابلـة هـذا الـذي تكلـم عـن شَـخصِه، فجلسـنا معهـم -وهـم كبـار مشـايخ السـلفيين غـير خـطِّ الجمعيـة- فجلـس الشـيخ صامِتـاً، فبـدأ الحـوار مِـن ناقـد الشـيخ، وقـال كلامـاً طويـلاً عـن نقـده في جمعيـة الـتراث وليـس في شـخصه، فقـال لـه الشـيخ بومعاويـة: أنـا لم آتِ لأجـل هـذا الموضـوع، وقـد تكلمنـا عنـه مـراراً، ولكنـي جئـت لأجـل موضـوع آخـر وهـو: تفضّـل يـا فـلان «المتأثـر بدعـوة الشـيخ»، وبالفعـل قـال: نعـم نُقـلَ لي أن فـلان «الناقـد» قـال عـن الشـيخ كـذا وكـذا .. ممـا يمـس عرضـه وأمانتـه، فجـاء هـذا «الناقـد» وقـال ان الموضـوع اكـبر مـن ذلـك وأن القضيـة

هـي فِكـر وليـس أشـخاص .. وفي كل ذلـك الشـيخ سـاكت، فلـماّ عَـرف أن هـذا ليـس عنـده شيء، أنهـى الحـوار، واعتـذر هـذا الناقـد).

- كان **لا يتحـرّج مـن التوقـف عـن الفتـوى عنـد عـدم اسـتحضار الجـواب،** يحدثنـي أحـد إخـواني أنـه كلـما اتصـل بـه -وهـو في الإمـارات- وسـأله عـن مسـألة فقهيـة وكان لا يعـرف جوابهـا، يقـول لـه: دعنـي أراجعهـا ثـم أخـبرك بالجـواب، وأحيانـا يقـول: لا أعلـم الجـواب، أمـا مسـائل العقيـدة فـكان يجيـب عليهـا مبـاشرة.

- ومـن صـور **وفـاء الشـيخ** وبـرّه بأبنـاء الدعـوة السـلفية، أنـه أتـى بأبنـاء الشـيخ جميـل الرحمـن -أمـير الجهـاد الأفغـاني السـلفي في كُنَـر، الـذي قُتـل غِيلـةً[١]- إلى الامـارات، حيـث يَعملـون بتوصيـةٍ مـن الشـيخ لـدى شركات مـن تُجّـار الإمـارات.

- لا يَـردّ مـن خلـف السـتار والأبـواب، **فـلا يخشـى المواجهـة** لبيـان الصـواب، واتصـل مـرةً عـلى طـارق السـويدان أمامـي -المتحـدث أخـي أنـور العنـزي- فقـال لـه: ذَكـرتَ في برنامجـك «الوسـطية» كـذا وكـذا -حيـث تكلـم في برنامجـه عـن حريـة الـرّدة وأنـه ليـس فيهـا نـص شرعـي!- فناصحـه وبـين لـه ..

- **لا يُقيـم عـداواتٍ شـخصية مـع أحـد،** يُحدثنـي الأخ أنـور نقـلاً عـن الشـيخ: أنـه نَـزل في مطـار لنـدن «هيثـرو» ورأى الداعيـة أحمـد القطـان والداعيـة أبوبـدر عبـدالله المطـوع -وكانـوا قـد لبسـوا بنطـالاً وكرفتّـه- والشـيخ مرتديـاً لباسـه المعتـاد، فقـال لهـم: لـو أنكـم التزمتـم بلباسـكم

(١) وهـو رئيـس (جماعـة الدعـوة للقـرآن والسـنة) إحـدى فصائـل المجاهديـن آنـذاك، أوردتُ نبـذة عنـه سـابقاً بحاشـية كتـاب (ملامـحُ أهـلِ الحَديـث).

الإسلامي -لأنهم أوقفوهم بالتفتيش- لما احتجتم ذلك، وكفاكم فخراً أنكم شيوخ دين ورمز حزبي .. ثم اجتمعوا للصلاة بالمصلى، يقول الشيخ: فقدموني فرفضتُ، وقلتُ حديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (لعن الله مَن أمّ قوماً وهم له كارهون ..)[1] فقالوا: مَعاذ الله، فقال: حزبكم يَكرهُني. مما يدل على **صَراحة الشيخ**.

- وموقف آخر حصل بينه وبين يوسف الرفاعي -وقد كانا على غيرِ وفاق- فرآه بالطائرة فسلَّمَ عليه، فقال يوسف: تُسلِّم عليّ! فقال له الشيخ: لا زلتَ مسلماً (يُمازحه).

- فإذا كانت تلك **أخلاقه مع مُخالفيه**؛ فلك أن تتصور دماثة خلقه مع موافقيه ومحبيه، فكان يألف ويُؤلف، وكان حسن المعشر، من ينظر إليه ينظر إلى الوقار والاحترام.

- **لم يربط الناس بشخصه بل بالدليل وبالعُلماء**، يحدثني الشيخ حمد الأمير: (كان يُعلمنا الارتباط بالدليل وليس بشخصه، ولا يُملي عليك أفكاره لتلتزمها، وإنما يبين لك ما عنده لتفهمه، وأنتَ تختار الصواب، وكان يقبل منّا المناقشة، وأحيانا نُخطِّئُه، فيَقبلُ ذلك). ويقول: (لما زرته في مرضه الأخير قلت له: نحن تعلمنا على يديك التوحيد والاتباع، وما أنسى كلامك: دندِنوا حول التوحيد والاتباع).

- ومن حرصه على **ترسيخ مفهوم التزام الدليل وعدم التقليد**، مرَّة بعد أن ألقى درساً في منطقة الرميثية، استنكر عليهم: أنتم سلفيون ولم تسألوني عن الدليل فيما أقول!!

---

(١) أخرجه أبوداود (٥٩٣)، والترمذي (٣٥٨).

- يحدثني الشيخ محمد بن يوسف -إمام وخطيب جامع ثرمداء- عن مشاهداته لما كان يزور الشيخ عبدالله في الشارقة، فيقول:

(**ما رأيته غاضباً مرةً، ولا عابساً، ولا رافعاً للصوت**، كان يقول للعامل إذا أخطأ: أصلَحَكَ الله، وكان يُمازح العُمّال عندَه ويُدخِل السُّرور في نُفوسهم ..

كان حريصاً على أولاده؛ فجعل لهم مَن يُقرِئهم القرآن، .. يأخذ أهله مرّة بالشَّهر أو يزيد يستأجر فندقاً؛ للترويح عنهم، ويأخذهم للسُّوق ويجلس في زاوية يقرأ كتاباً معه أو يكتب، فلا يُضيّع وقته أبداً، .. كانت له رحلة سنوية في رمضان للعمرة «يسكُن جِهَة مَحبس الجِن»، .. عنده موظف خاص للانترنت ومتابعة المواقع والأخبار العربية والعالمية «لديه إلمام بأخبار العالم»، ..

أرى فيه **نَفَسَ الشيخ ابن باز** رحمه الله، يؤنِسُ أضيافه: فكان يأخذني بالسيارة للإمارات كلها، ضيَّفَني مرَّةً «مدة أسبوع» في فُندق على حسابه، .. كان **يُحافظ على وقته**: يجلس للناس، ويُفتي بالهاتف، وكثيراً ما يتورَّع في الفَتوى، يسألني إذا كنتُ بجانبه في الفِقهيّات، .. يُحب التأمل والتَّفكُّر والأنس بالله، كان يجلس أمام البحر بالساعات يتأمّل.

انتفعتُ منه نفعاً عظيماً في **مسألة المناهج ومعرفة الرجال**، إذا تكلّم لا يَسُبُّ ولا يَشتُم ولا يُسيء في الكلام البتَّة، **عاقلاً في كلامه وصاحب رِفق**، وكان صاحبَ دُعابة غير متكلَّفَة، .. الشيخ **مرتّبٌ جداً بجدوله**: بين قراءته وأهل بيته وأضيافه وكتابته، بارك الله له في عُمره ووقته .. والذي استقر عندي أن الرَّجل عنده اطلاع كبير جداً على الكتب، حتى كأنه قرأ أغلبَ كتب مكتبته).

- ويقول عن **صِفَتِه الخَلقيّه**: (ليس بالطّويل ولا بالقصير، ربعة في ذلك، واسع النحر، عَظلاً وليس سَميناً «كبير الأعضاء»، وجهه منيرٌ مستديرٌ، كثّ اللحية، وكان يَخضِب بالحُمرة الداكنة المائلة للسواد، ثم تَرَك ذلك آخر حياته، دائماً يلبس البياض والغترة البيضاء، وما رأيته يوماً لبس هِنداماً متبذّلاً، وكان يُحب الطيب وخاصةً دُهن العود).
- كان الشيخ ابن باز يقول للشيخ أبومعاوية دائماً: «اشفعوا للناس»، وفعلاً كنا دائماً نَرى الشيخ **لا يرى حاجة عند إنسان إلا ويشفع له**، وتجد شفاعاته لقبول الطلاب في الجامعة الإسلامية، وكان **يَفرح بتفريج كُرَبِ الناس**.
- ويذكر لي أخي أنور: (كان أيّ طالب كويتي في الجامعة يتعثّر في مادة عند دكتور، يتصل عليه الشيخ مباشرة -**شفاعة حَسَنة**- يقول له ابننا فلان .. فكان لا يتردد في ذلك مع أحد، حتى في البلديات ووزارات الدولة ..).
- ويحدثني الشيخ محمد السنيّن: (الشيخ عبدالله -ولا أزكيه على الله- منذ عرفتُه **لم أشعُر أو أرىٰ فيه حُبّ الظهور، أو الرِّياء، أو التَّصنُّع، أو حُب المدح أبداً**، لذلك أسأل الله أن يَجعل مأواه مع المخلصين، لأني أجد الإخلاص في عَمَله وفي دعوته وفي حرصه على الناس، وفي الشفاعات، لا تجدُ مكاناً له فيه جاه عند أحد؛ ويحتاج إنسان إلى واسطة؛ إلا ويَسعىٰ له).
- له علاقات كثيرة بالناس، يعرف التجار والأغنياء ويتواصل معهم لخدمة أمور الدعوة، علاوة على صِلته الكبيرة بأهل العلم.
- **ومن المواقف التي تدل على تورّعه**، وعدم استغلاله موارد الدعوة،

يحدثني الشيخ عيسى مال الله: (لمّا انتقل الشيخ في سكنه إلى القادسية استأجر وانيت «حافِلة» لنقل الأثاث، فقلت له: الشباب عندهم وانيت بوقَمارتين، فقال لي: **لا يأتي أحد ويتَّهمني أنني أستغل الجماعة في أموري الخاصة ..**)

- **ويقول:** (ليس لديه ما يُسمى اليوم بـ «تصفية حسابات»، ولا يُدخِل الخلاف الشَّخصي في الخِلاف الديني والعداوة الدينية، ومنها توصيته للسلفيين بإعطاء أصواتهم في انتخابات مجلس الأمة ليوسف الرفاعي لما تَرشَّح بالفيحاء، حيث كان يناقشه في صوفيَّته، لكنه كان أفضل المرشحين الموجودين مِن بين قوميين ويساريين، وكذلك توسطه عند الشيخ ابن باز لعبدالرحمن عبدالخالق لأجلِ تراجعاته[١]، حيث كان **حريصاً على وحدة السلفيين ..**)

- **ويقول:** (كان يبتعد عن أيِّ منصب، ولا يُحب شهرة أو بروزاً، ولو أراد لَتَزَعَّم في الكويت، ولَوَضَع له كرسياً ومنصباً في جمعية التراث مثلاً، بل إنَّ غَيره تَسلّق بالسَّلفية وصار له كرسي، وهو لا يساوي شيئاً!).

- **عُرف عن الشيخ في مُناقشاته:** بقوة الصّبر وتحمّل الطرف الآخر، والقُدرة على المحاورة والنقاش، ورَجاحة العَقل، وسعة الاطلاع، والقُدرة على الفهم، يصحب ذلك خلقٌ راقٍ، هادئ بالمناقشة لدرجة أنك لا تستطيع استثارته، ولا ينفعل إذا وُجِّهت إليه النصيحة، كما أن لديه قدرة على الإقناع، مُنظّم ومُرتّب.

- وكان **واسع الصدر طويل البال** مع إخوانه، ليس إذا لم يسمعوا له

(١) ولكنه بعد ذلك تبين له بوضوح منهج الشيخ عبدالرحمن وإصراره على فكره، وردَّ عليه في عِدة مواضع وكتب.

يتركهم، دائماً يقول: ولكنكم قومٌ تستعجلون، لا تتعَجَّلوا إخوانكم..

- وأما **مع مخالفيه**: فكان واسع الصدر معهم، لا يَرُدّ على مَن يُهاجمه لشخصه، أو يُخطئ في حقه، ويقول: «**فمن عَرف نفسه؛ لا يضره كلام الناس**»، فإن اضطر إلى الرد، فإنك تجد الأخلاق والأدب في الرد على من ينتقده، ولهذا لا تجد ردوداً كثيرة في كتبه أو مقالاته؛ إلا ما كان رداً علمياً ينتفع منه الناس، ويرى أن إشغال الناس بالردود لا تنفع؛ إلا إذا كان دفاعاً عن الإسلام أو عن قضيةٍ إسلامية.
- **واتصف رحمه الله بالشجاعة والثبات على الحق**، وقوة الحجة، ودِقة المناظرة، ومن المواقف التي لا تُنسى -كما أرسلها لي مكتوبة الشيخ بدر الفيلكاوي- أن مناظرةً جَرَت بين الشيخ أبي يوسف عبدالرحمن عبدالصمد رحمه الله[1] واثنان مِن سادات الرافضة، يقول: (فجلسنا

(١) **الشيخ عبدالرحمن عبدالصمد**: ولد سنة ١٩٢٧م في «عنبتا» شرق طولكرم التابعة لمحافظة نابلس في فلسطين ، وهو من أسرة عربية أصيلة نزحت من مكة تسمى عائلة الفقهاء، حفظ القرآن وتلَقّى علوم اللغة العربية صغيراً في بلدته، ثم هاجر من فلسطين إلى سورية مروراً بلبنان، واستقر في حلب عام ١٩٤٤م، وتزوج منها، ثم هاجر إلى السعودية، ورُزق من زوجته ثلاثة أبناء هم يوسف وعبدالله وعبدالعزيز، وأربع بنات. من مشايخه: عالم حلب الشيخ محمد الياقطي، والشيخ محمد نسيب الرفاعي، والإمام المحدث محمد ناصر الدين الألباني، رحمهم الله، وتعرف على سماحة العلامة عبدالعزيز ابن باز رحمه الله، والذي زكاه لإكمال دراسته في الجامعة الإسلامية بالمدينة، ثم عاد إلى سورية ليكون إماماً وخطيباً وداعيةً إلى الإسلام النقي من الخرافات، مما عرضه لمحن وقضايا كيدية، نجا منها بفضل الله، فاضطر على إثرها للمغادرة والاستقرار في الكويت عام ١٩٧٥م، واتصف رحمه الله بالزهد والتواضع ورفضه مناداته بالشيخ، وتفضيله مناداته بكنيته، وطلبه الحق فلا يخاف في الله لومة لائم، وكانت له فراسة في الأشخاص والوقائع قلّما تُخطِئْ، ويَكره تقديس الرجال والتَّحزّبات، توفي بمدينة «ملبورن في أستراليا»، مساء الخميس ٢/ ٦/ ١٩٨٨م، وكان ذهابه تلبيةً لدعوة من الجمعية الإسلامية الأسترالية لإقامة دورات شرعية في المهجر. ومن مؤلفاته: (أسئلة طال حولها الجدل) وهو من أشهر كتبه، (قضاء الصلوات الفائتة عمداً واجب أم لا؟)، (الرد على من قال بالبدعة الحسنة)، (التوسل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته)، (المولد النبوي سنة أم بدعة؟)، (صلاة التراويح إحدى عشرة ركعة أم عشرون؟)،

الجلسة الأولى معهم وقد استمرت أكثر مِن ثلاثِ ساعات، ثم جَلَسنا معهم في الجلسة الثانية -في بيت الشيخ أبي يوسف- واستمرت كذلك ثلاث ساعات تقريباً، ولم نَخرج معهم بنتيجة، ثم قَدِم إلينا الشيخ عبدالله السبت يزور أبا يوسف، **فَدَخَل وتحوَّلت المناظرة من الشيخ أبويوسف إلى الشيخ عبدالله**، فما **استمرّت نِصف ساعة حتى انهزموا وتَرَكوا المناظرة**. وقد حضرها كلٌّ مِن: د.سليمان معرفي، د.أمير الحداد).

- يُحدثني الأخ محمد الدّعيج: (كنتُ أعمل بوزارة المواصلات، وكان معي الشيعي عبدالله فيروز[1]، وكنت أتناقش معه بخصوص الرافضة، ومرةً أتاني يريد مناقشةً موسعةً، فقلت له: ما رأيك أن تأتي بسيِّدكم وأنا آتي بشيخ، وما عندي إلا الشيخ عبدالله السبت حينها، وبالفعل وافق الشيخ وحَضَر لمناقشة المعمم الشيعي -وكان معنا أخونا علي بهبهاني- **وأتى الشيخ عبدالله بـ ١٥ مسألة عقلية لمُحاججةِ مذهب التشيُّع**، وأذكر منها سؤاله: هل الحَسَن والحُسين معصومين؟ فقال المعمم: نعم، فقال الشيخ: طيب، واحد منهما قاتَلَ والآخر صالَحَ، أيهما المصيب؟! فاندهش المعمم، وقال هذه قضية طويلة، ثم أتى

=(المسلم هل يُلزم بتقليد المذاهب الأربعة؟)، بالإضافة إلى نحو ٢٠٠ تسجيل صوتي شملت محاضراته وخطبه، واقتنى (مركز المخطوطات) -الذي يرأسه ويديره الشيخ محمد الشيباني- مكتبة الشيخ بويوسف سنة ١٩٨٩م بجميع موادها بشرائها من ابنه يوسف، وتضم نحو ٥٠٠ كتاباً. حَظِيت كتب الفِرق والنِّحَل بمساحة واسعة منها خاصة حقبة الخمسينيات إلى السبعينيات الميلادية. [ينظر مجلة (تراثنا) التابعة لمركز المخطوطات بتاريخ ١٤/ ٤/ ٢٠١٨م، وتسجيل مرئي في اليوتيوب عن سيرة الشيخ، للشيخ محمد هشام طاهري، وكتاب صهر الشيخ: إبراهيم السَّاجِر بعنوان: (المقتصد من سيرة الشيخ أبي يوسف عبدالرحمن عبدالصمد(، وتتمة الأعلام (١/ ٢٨٣).

(١) وهو نفس الشخص الذي ناقشه د.عثمان الخميس، في أشرطة مسجلة متداوَلة.

ببقيـة المسـائل، وكان المعمـم يَحيـدُ عـن الإجابـة ..).

- وكان لديـه نقاشـات عِـدة مـع شـخصيات معروفـة مثـل: نقاشـه مـع **إسـماعيل الشـطي** في الجهـراء، مـا يقـارب سـنة ٧٨م، وكان الموضـوع عـن التكفـير والهجـرة،[(١)] ونقاشـه مـع **أحمـد القطـان**، ونقاشـاته مـع **يوسـف الرفاعـي**، وكلهـا مُسـجَّلة، يخـبرني الأخ عـادل البرجـس: (كان الشـيخ عبـدالله يذهـب لبيـت يوسـف الرّفاعـي «الصـوفي» يُناقشـه، ولكـن يوسـف كان سريـع الغضـب، وأحيانـاً يطردنـا مـن بيتـه، ويقـول: أنـتَ تُعلمنـا ديننـا!، .. وكان الشـيخ يناقـش **عبدالواحـد أمـان** «المحامـي» في ديوانيتـه، نقاشـاً علميـاً بالأدلـة، ولكنـه كان متعصبـاً للإخـوان، وكان الشـيخ عبـدالله مُطلـع جـداً، ولا أحـد يسـتطيع محاججتـه ..).
- **عُـرف الشـيخ في دروسـه**: بسـهولة العبـارة، ووضـوح المفاهيـم، ودقّـة الألفـاظ، وقِصَر الجُمـل، والوصـول بـأسرع طريقـة، والشـجاعة بالطـرح، وقُـوة الحُجّـة، وواقعيـة الأمثلـة، وتمتـاز موعظتـه بأنهـا واضحـة دون تهويل أو حمـاسٍ زائـدٍ عـن الحاجـة.
- وكان يهـاب صعـود منـبر الجُمعـة، يقـول الشـيخ -كـما يخـبرني البرجـس-: (أنـا مُسـتعد أن أتكلـم ٢٤ سـاعة **ولا أخطـب** أو أقـفُ عـلى المنـبر خطيبـاً).
- ويحدثنـي الشـيخ خالـد قـزار الجاسـم: (كان للشـيخ ميـزة: أنـك لـمّا تدعـوه لإقامـة درس؛ لا يهمـه عـدد الحضـور، ولا يشـترط أمـراً، ولا يسـأل مَـن يَحضر، لأنـه يعـرف نفسـه صاحـب حُجـة وصاحـب رسـالة، ولا يُعيقـه

(١) ومنهـا ردوده في الصحـف عـلى إسـماعيل الشـطي عـن (مفهـوم الخِـلاف والفُرقـة) سـنة ١٩٧٨م، وعـن (السـلفية المفـترى عليهـا) سـنة ١٩٧٩م، وعـن (مفهـوم الجهـاد في الإسـلام) في مقالـة سـنة ٢٠٠٥م، انظـر المجمـوع (٤/ ٨٦، ١٨١، ٤٣١). وردّه عـلى أحمـد القطـان في محـاضرة «وقفـات مـع داعيـة».

مكان الديوانية، وأحياناً يُقيم في اليوم ٣ إلى ٤ دروس .. ومن مميزاته: أنه **واضح في طرحِهِ وفي منهجه**، ليس عنده غُموض، وحتى المخالف يحترمه لأنه غير مدلِّس وغير كذّاب، وليس له وجهين أبداً، ويَعرفون أنه إذا ناظَرَ فبقصدِ النَّصيحة .. وله ميزة أيضاً أشاهدها فيه: ما أن يَعرف أن منطقة ما **فيها شخصٌ سلفي إلا ويتواصل معه**، طاقة جبّارة، فيه حُرقةٌ للسلفية، لا يُريد أن يخذِل أيّ سلفي .. في كل منطقة في العالم عندما تسأله عن الدُّعاة السلفيين هناك؛ تَجِده يعرفهم ويُسمّيهم ويَعرف تاريخهم، .. **ولم أسمع أن الشيخ تراجع عن شيءٍ من قضايا المنهج**).

- ويقول: (كان الشيخ **يتصبَّر في مرضه** بعد عودته من سفر العلاج، **ولا يُظهر الألم، بل كان يتحسَّر أن المرض صدّه عن الدُّروس**).
- يقول د. بسام: (كان الشيخ في مرضه الأخير أحياناً يطرح سؤالاً فِقهياً على من حَضَر لزيارته؛ كي يشارك الجميع، ولا يكون الحديث فقط للسؤال عن حاله).
- ويُحدثني الشيخ صلاح الدين مقبول عن الشيخ أبومعاوية: (له طريقة مختلفة في الدروس بحُكم معرفته الواسِعَة بالسلفيين في العالم وأحوال الجَماعات، كان **يتكلم بِكلام مختصر؛ جامع للفوائد، مانع من الزوائد**، واضح لا لَبسَ فيه ولا غُموض، مُدّة درسه لا تتجاوز ٢٠ دقيقة غالباً، كانت دروسه يعيش فيها الأحداث، وليست خارج المعاصرة، يدخل في المعمعة كما يُقال، فردَّ على شيخ الأزهر، وفتنة جهيمان[1] ..).

(١) كانت هناك مناقشات مع أتباع فكر «جهيمان» مثل: عبداللطيف الدرباس وجابر الجلاهمة

- كان **يُنظِّم وقته** بشكلٍ كبير ودقيق، يستغل وقته جيداً، كان يتصل بالشخص ويطلب مرافقته الى المسجد الفلاني ويستغل وقته بالطريق معه، ومن صور ذلك أيضاً: حججت مع الشيخ عبدالله –يخبر بذلك أحد مرافقيه– فكان حريصاً على وقته: بعد الفجر درس منهجي في مَنسك ابن تيمية، وبعد العصر دروس عامة، وأثناء تنقّله يقرأ كتاب «شرح السنة» للبغوي.

- **دائم التركيز في دروسه على قضايا المنهج السلفي وضرورة التزامه،** وقضايا العقيدة، وأهمية فهم السلف للأدلة، وأنها النَّجاة مِن الهَوى.

- كثيراً ما يُذَكِّر الشيخ في بداية دروسه على: **أهمية تجديد النِّيَّة،** واستشعار إخلاص العمل لله وحده، سواء في العبادة أو في الدعوة أو في حضور مجالس العلم وغيرها.

- يحدثني د.عادل المطيرات: (كانت أخلاق الشيخ: السَّهل الممتنع، البساطة في الأسلوب، الابتسامة لا تُفارق مُحيّاه، لا أذكر أن للشيخ حِقداً على أحد، كان صدره سليماً على إخوانه، وحتى على المخالف، نعم يَنتقد لا شك لكن بعلم وبدون سبٍّ أو شَتم أو يُخطِّئ عليهم، **كان غاية في الأدب والأخلاق**.. كانت له نظرة مستقبلية كبيرة، أنا أذكر سنة ٨٣م يقول الشيخ: ذهبنا إلى مشايخ السعودية كالشيخ ابن فوزان وغيره، وكان يُحدّثهم عن بعض الجماعات وما كانوا المشايخ ذلك الوقت يُعيرون لهذا الموضوع اهتماماً، فكان عنده بُعد نظرٍ في قضايا المنهج الدَّعوي، سواء عند السلفيين أو عند الجماعات .. لم يكن

=سنة ٧٩م، وكانوا ينعَزِلون في البر؛ لاستدلالهم بأحاديث العُزلة، والصلاة في النعال في المسجد، وتقطيع الجوازات لأن فيها صورة، علاوة على تأثّرهم بفكر التكفير.

الشيخ مُفتياً، **ولكنه كان طالب علم وداعية بمعنى الكلمة**، ما أتذكر أني جلستُ معه جلسةً إلا عن العلم والمشايخ).

- تميز بحرصه على إخوانه، **ودوام المناصحة لهم**، ومن المواقف ما حدثني به الشيخ عدنان عبدالقادر: (أن الشيخ اتصل بي ليلاً وقد بَلَغَه أنني استدللت بأثر قول ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض»، وأنني رفعته للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فأخبرته أني ذكرته موقوفاً وليس مرفوعاً، وأنه بحكم المرفوع، وقد ذكره ابن تيمية في عدة مواضع وابن القيم)، فكانَ الشيخ رحمه الله يتواصى بالحق، ويتثبّت من الخبر.
- وكذلك ذكر لي محاولة الشيخ ثَنيَه عن الردود في مسألة «صيام الست من شوال»، رغبةً في **تضييق الخِلاف** وعدم اتساعه، فلماّ عَلِم أنه ردٌّ علمي دون تجريح لأحد، وعَزمي على الردّ، قال: إذاً توكل على الله.
- كان **حريصاً في الدِّفاع عن عقيدة السلف وعلمائهم**، يحدثني أبو عمر محمد هادي: (أخذ الشيخ عبدالله كتاباً لعادل عزيزة -دكتور في دُبي- أساء في صفات الله تعالى وذَكَر أن ابن كثير أشعري!، فأخَذَ الكتاب وأعطاه للشيخ عبدالرزاق العباد حفظه الله، وقال له: خُذ دافع عن عقيدتك، وفعلاً ردَّ عليه الشيخ عبدالرزاق رَدًّا جميلاً، وفوراً طَبَعَه الشيخ عبدالله ووزَّعه في المكان الذي انتشرت مقولة الدكتور فيه بكلية جمعة الماجد بين الطلاب والطالبات).
- ويُضيف قائلاً عن دعوة الشيخ: (ما كنتُ أشعر أنه يُميّز قوماً عن غيرهم، أو جنسية دون غيرها، هذا إماراتي أو هذا كويتي، نشعر أنه يُعامل الناس أمةً واحدة، يحترم طلاب العلم صغاراً كانوا أو كباراً

.. أتاه شابٌ نيبالي فجلس معه الشيخ طويلاً يحثُّهُ على الدعوة -وكان أبوه شيخ قبيلة- وعربيته ضعيفة، وكان الشيخ صابراً عليه، فما كنت أرى من الشيخ عبدالله إلا **دعوةً عالميةً**، ﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾، .. وكانت قراءته كثيرة متنوعة عريضة، في مختلف الفُنون).

- كان كثيرٌ مِن الأخوة **الشباب يحرصون على زيارته**، ومن ذلك ما أرسله لي الأخوان د.نصف العصفور ود.عبدالعزيز العيدان لّما التقوا بالشيخ مع بعض الأخوة سنة ٢٠٠٩م في الشارقة، فدوَّنوا بعض الفَوائد والمشاهدات التي التَمسوها منه رحمه الله: (إنصاف الشيخ في نَقدِ المخالف، انتشار الشيخ دَعوياً في جميع البُلدان، احتكاك الشيخ مع الطلاب خصوصاً ومع الكُل من جميع الطبقات والأعمار، عدم التكلّف في أي شيء، عدم استحقار أيّ عملٍ يخدم الدّعوة، كلام الليل والنهار واحد فلا يمحو بعضه بعضاً، الصَبر على العمل الدَّعوي مع كثرة مَن يَشتكي منه، أهميّة تدوين التاريخ الدّعوي، لن يُصلِحَ البلاد إلا أهل البلاد أنفسُهم، بذله الجاه الخاص والعام، أثرُ الأخلاق في نجاح الداعية).

- يخبرني د.أحمد: (الشيخ يصنع هدفاً ويَسعى له ببطء .. وضوح خط الشيخ يوجِد عند البعض صعوبة في تقبُّلِه، أرى أنه أحد أعمدة الدَّعوة السَّلفية في العالم، والغَريب والعجيب أن الشيخ مع وضوح منهجه نجده يتعامل مع مُخالفيه بعدلٍ ولا يَظلم، حتى تجد أن عدوّه بالمنهج والفكر يلجأ بعد الله إلى الشيخ إذا ضاق به الحال، ومنهم محمد سُرور .. فالشيخ لا يَستَعدي الدولة مثلاً عليك أو يَستعدي مسئولاً عليك

.. كان لا يُـمارس علينا دور الآمـر الناهـي، ولكـن **الناصـح المُقنع**، الشـيخ صاحـب **فكـرة الشـيخ الزائـر**، حيـث كتـب المسـودة الأولى بخـط يـده لإحيـاء الـتراث، **وفكـرة إنشـاء معهـد تأهيـل الدعـاة** في بنغلاديـش، كان الشـيخ يقـول: اجعلـوا **الركيـزة الداعيـة وليـس المبنـى**، وأشـار علينـا أن يكـون لنـا داعيـة أو أكثـر مكفـولاً في كل دولـة فيهـا عمـل، وكثـير منهـم كان قـد درس في مكتبـة الشـيخ في الشـارقة).

- يحدثنـي الشـيخ محمـد السـنيّن: (في جميـع جلسـاتي معـه لم أسـمع منـه كلمـةً تُعـاب، لا غيبـة ولا لمـز بالنـاس، وهـي شـهادة الله مُطّلـع عليهـا، وهـذه كلمـة تُقـال كثـيراً في السِّـيَرَ وتراجـم العلـماء ..

- مـن أبـرز مزايـاه **الثبـات والاسـتقرار عـلى المنهـج والمبـدأ**، لا أعـرف أنـه في يـوم مـن الأيـام تراجـع أو تذبـذب في المنهـج، وهـو صبـور، تـرى الصـبر في سـلوكه، ومـن المواقـف التـي تـدل عـلى ذلـك، حـدث موقـف مـن أحـد أصحـاب النزعـة التكفيريـة أن سَـبَّ أمـير الكويـت الشـيخ جابـر رحمـه الله، فانـبرى لـه الشـيخ عبـدالله وردَّ عليـه وبـيّنَّ أنهـم مُسـلمون ولا يجـوز تكفيرهـم، وأن الأمـير صاحـب صـلاة وديـن، وزَجَـر هـذا الشـخص، وكان في وقـت يريـد الخـروج والسـفر مـن الكويـت، لظُلـم وَقَـعَ عليـه .. فـكان ثابتـاً، لم يَحِـد أو ينحـرف، وحتـى أنـه لم يسـكت أو يفّـرح بكلامـه، وحُـقَّ لغـيره أن يَسـكت آنـذاك ..

كانـت **قضيـة الدَّعـوة مثـل سَريـان الـدّم في العُـروق، في روحـه ودَمِـه**، لا يسـتغني عنهـا نهائيـاً في أيّ لحظـة، لذلـك هـو داعيـة في كل مـكان، فبمجـرد ذهابـه للإمـارات أنشـأ مبـاشرة دعـوةً وعمـلاً.

- كنـا نُصـلي **التراويـح** في سـطح بيـت «العَمهـوج» بالخالديـة، يُصَـلّي بنـا

هشام العصفور وعماد عبدالرحمن من أهل الفيحاء رحمهما الله، وكان -أبومعاوية- هو شيخنا، يُلقي الخاطِرات بعد الركعات الأربع، تتميز أنها **مُختصرة قصيرة، كلماتها لا يَستغني عنها التَّعبير**، بل يحتاجها السِّياق والنص، ليس عنده حشو، ولا يُردد العِبارات ولا المترادِفات، وكل عبارة لا تكاد تُسقط منها حرفاً، والوصول إلى الغاية، فكان الشباب يُحِبُّون دَرسه لأجل ذلك.

- بعد قُدوم الشيخ من الإمارات سنة ١٩٩٥م **صَدَر تعميمٌ من وزارة الأوقاف** لأئمة المساجد في منعه باسمه من إلقاء الدروس والمحاضرات في المساجد، والعجيب أنهم علَّلوا ذلك المنع بهذه الأسباب: أنه صاحب حُجة، وقوي الإقناع، وله أسلوب جذاب، ويخشون أنه يؤثر على الشباب!
- أرى أنه أول من فَضَحَ أصحاب الفِكر السُّروري، وكان يُحذِّر منهم حتى عند علماء السعودية، وكلّ مَن تكلَّم عنهم فهو على إِثر الشيخ عبدالله.
- كان الشيخ يقول لي: «**ليس لي كثير صيام وصلاةٍ وقيام، ولكن أرجو الله أن يتقبَّل مِنّي في أمور الدَّعوة والشَّفاعات**»، كما قال عبدالله بن المبارك رحمه الله: ما ارتفع مالكٌ بكثرة صلاةٍ أو صيام، ولكن بسريرةٍ وخبيئةٍ في قلبه، والخبيئة هي نوع من الإخلاص وصِدق اليقين).ا.هـ
- وأوردُ جُزءاً مما كتبه الشيخ فيصل قزار الجاسم عن الشيخ بومعاوية -وقد أرسلها لي مكتوبة- فقال: (إن وفاة الشيخ عبد الله بن خلف السبت رحمه الله ثُلمةٌ في الإسلام لا يَسدُّها شيءٌ ما اختلف الليل والنهار، فقد كان الشيخ رحمه الله **عَلَماً من أعلام الدعوة السلفية**، ورمزاً من رموزها، وداعية مِن دُعاتها الذين لم يحيدوا عن منهج

السلف في الدعوة، رغم كثرة التقلبات والتغيرات في الدعوة والدعاة، .. وقد عرفت الشيخ رحمه الله عن قُرب، كما عرفته من خلال كتبه ومقالاته، **فرأيته جبلاً شامخاً** في الدعوة إلى الله وفق منهج السلف، ولقد امتاز الشيخ رحمه الله بعدة أمور قَلَّما توجد في غيره، وأنا أُجملها في الآتي:

الأمر الأول: إلمامه بمنهج السلف، ومعرفته التامة به، وإلا فإن بعض من يدّعي اتباع منهج السلف لا يعرفه على الحقيقة، أو قد تخفى عليه بعض جوانبه، .. **الأمر الثاني**: ثباته على المنهج السلفي، رغم كثرة التقلبات والتغيرات في واقع الدعوة والدعاة، وهو علامة على رسوخه في المنهج، وإخلاصه في دعوته، **الأمر الثالث**: حرصه على الدعوة، وبذله العظيم فيها، .. حتى قضى عمره كله في توضيح منهج السلف والدعوة إليه، **الأمر الرابع**: معرفته العظيمة بالمناهج المخالفة لمنهج السلف، ودقة تمييزه بينها، **الأمر الخامس**: وضوحه في الدعوة، فكان كل من يتعامل مع الشيخ ويعرفه، أو يقرأ له، لا تخفى عليه سلفيّته، ولا يرتاب في معتقده ومنهجه، **الأمر السادس**: ذبّه عن منهج السلف، .. شديد الغيرة على المنهج السلفي، فكان لا يسكت عمّا خالفه، بل يكتب، ويناظر، ويناصح، ويصدع بالحق لا يخاف في الله لومة لائم، **الأمر السابع**: تبنّيه منهج الإصلاح بحقّ، .. وإلا فإنّ كثيراً من الدُّعاة يدّعي الإصلاح كلما ذُكِرَت له بعض الانحرافات فيمن يعمل معهم في الدعوة، لكنَّ دعوى الإصلاح منه مجرد دعوى لا حقيقة، **الأمر الثامن**: تواصله مع العلماء ودُعاة السنّة في مختلف دول العالم، وهذا مما يحتاجه طالب العلم والداعية، **الأمر التاسع**: تميز الشيخ رحمه الله بسعة صدره في الدعوة، ورفقه بالمدعوين، فلا تكاد تراه غاضباً، **بل كان على الدوام مُبتسماً**،

منشرح الصدر، عظيم الصبر، على الرغم من شِدّة ما قاساه وعاناه من إخوانه في الدعوة فضلاً عن مخالفيه، وهذا مما جعل كثيراً من الشباب يلتفون حوله، ويحبون قربه، ويتشوَّقون إلى مجلسه).

- وكتب أيضاً مقالة منشورة(١)، لما زار الشيخ في الشارقة بصحبة مجموعة من الشباب، أورد جزءاً منها: (فمن فضل الله تعالى أن يسّر لي زيارة خاطفة إلى الشيخ عبدالله السبت في الشارقة، وهي الزيارة التي كانت تُراودني منذ فترة طويلة؛ .. وزيارة الشيخ عبد الله السبت لها طعمٌ خاص، ومذاق فريد تجعل منها زيارة ليست كغيرها من الزيارات، وهذا أمرٌ يستشعره كل من ذاق طعم هذه الزيارة، ونال شرف الجلوس مع الشيخ، وتبادَلَ معه أطراف الحديث عن الدعوة السلفية وهمومها، **ولَعَلّي أُجمِل هذه المعاني الفريدة** في هذه الزيارة بما يلي:

أولاً: أنها زيارة تربطك بالدّعوة السَّلفية المباركة؛ فإن رؤية الشيخ -حفظه الله ورعاه- تُذَكِّرك بالدعوة السلفية المباركة، لاشتهاره بها وبالدعوة إليها والحديث عنها والسعي الحثيث لنشرها والدفاع عنها، فجهوده العظيمة في القيام بهذه الدعوة المباركة لا تكاد تخفى على أحد، وكيف لا يكون كذلك وهو أحد أقطاب الدعوة السلفية المعاصرة وأحد مؤسسيها؟! **ثانياً**: أنها ترفع مِن هِمّة الزائر في الدعوة إلى الله والعمل لهذا الدين؛ .. لم يزل ولا يزال يعمل ويجتهد اجتهاداً منقطع النظير قَلَّ أن تراه في الشباب السلفي فضلاً عن بعض الكِبار والمخضرمين ..، **ثالثاً**: أنها زيارة تُحيي روح التَّمايز السَّلفي، والذي كان شِعاراً لهذه الدعوة لكونها دعوة قائمة على الحق واتباع السلف، تميز بين الحق والباطل، .. وهذا التمايز السلفي

(١) نشرت بمجلة الفرقان بتاريخ ١٢/ ٧/ ٢٠١٠م بعنوان: (فوائد سِت في زيارة الشيخ عبدالله السبت).

لدى الشيخ أصبح اليوم ضعيفاً إن لم يكن مفقوداً عند بعض السلفيين من طلبة العلم، فضلاً عن عوامهم، حتى أضحى ظاهرة تحتاج إلى دراسة وعلاج، .. فزيارة الشيخ السبت -حفظه الله- تحيي فيك روح الانتماء لهذه الدعوة المباركة، والافتخار بها، والعاملون اليوم في حقل هذه الدعوة السلفية بحاجة إلى إعادة النظر في طرق تربية الشباب وتأهيلهم، والاهتمام بتأصيلهم وتثقيفهم بهذه الدعوة المباركة، وإطلاعهم على أصولها ومعالمها وميزاتها وخصائصها، **رابعاً**: زيارة الشيخ تُظهر لك أهمية الثَّبات على هذه الدعوة السلفية، فالشيخ -حفظه الله- منذ أن عَرَفه أصحابه والناس؛ منذ أكثر من أربعين سَنَة وهو كما هو لم يتغيّر، لم يصبه ما أصاب كثيراً من الدعاة من الفتور في الدعوة، ولم يطرأ عليه نوع تلوّن ..، **خامساً**: زيارة الشيخ تُعزِّز في قلب الزائر عظمة هذه الدعوة السلفية المباركة في ائتلاف قلوب أصحابها، وإن تناءت بهم الديار واختلفت الأجناس والأعراق، فمكتبة الشيخ في الشارقة لا تكاد تخلو من الشباب السلفي من مختلف أقطار العالم، الأسود والأبيض، العربي والعجمي، يجمعهم الانتماء لهذه الدعوة والولاء لها، وقد صدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ قال: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»، فمكتبة الشيخ هي بمنزلة جامعة مصغرة للسلفيين تُظهر التراحم والتواد والتعاطف والتلاحم الموجود بين السلفيين. **سادساً**: زيارة الشيخ تُذكرك بأن هذه الدعوة المباركة تقوم أولاً على العلم قبل البدء بالعمل والدعوة، فالشيخ يستقبل في مكتبته كثيراً من المسلمين من أرباب الجاليات المختلفة، ويُشرف على تعليمهم وتثقيفهم ..؛ ليكونوا دعاةً سلفيين بعلمٍ لا بجهل ..). أ.هـ.

بداية دعوة الناس

- يقول الشيخ رحمه الله عن فترة السبعينيّات: (كان تركيزنا على **الأمراض الموجودة** في ذلك الوقت، تعليم الصلاة، التحذير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، التركيز على الجانب العقائدي، فطَبَعنا كتاب «**تطهير الجَنان**» للشيخ أحمد بن حجر عليه رحمة الله، هذا أول ما طَبَعناه، وطبعنا مُذكرة «**الرحمن على العرش استوى**»، ثم بدأ الناس يأتون إلينا، لأننا نختلف عن الإخوان، فكان عندنا تعليم، وعندنا وضوح رؤية في العقيدة.
- **المشاكل التي واجَهَتنا في ذلك الوقت**: مسألة التقليد والتعصُّب المذهبي، ومسألة التراويح وهي تعتبر جوهرية، والأحاديث الضعيفة.

في ذلك الوقت جاء شيخٌ سوداني «حَسَن طنّون» فكان أشهَرَ واعظٍ جاء إلى البلاد، وكان النّاس تحضر له أفواجاً، فالمسجد في رمضان كان يمتلئ، وفي الحقيقة -وهي شهادة حق فيه- كان له دور في عَودة الشباب للدّين، فقد أوتي قدرةً في الحفظ والخطابة هائلة، وفي الترغيب والترهيب، ما رأينا مثلها، لدرجة أنه كان يُبكي الناس، فانتشرت في المساجد موجة الشباب، **وكان لنا دورٌ في ربط هؤلاء في منهج وطريقة السلف في التعليم**، لأن «حسن طنّون» يرحمه الله لم يكن حريصاً على مسألة صِحّة الأحاديث، فيورد الأحاديث الضعيفة والموضوعة والقصص.

- كان يأتينا «السيد سابق» رحمه الله، ودروسه لا يحضرها إلا نحن آحادا، فنقول له: يا شيخ لماذا لا يحضر عندك الناس؟ فقال: لا أستطيع أن آتي بقصص «طنّون».

- ثم جاء الشيخ «حَسَن أيوب» إلى البلاد، وهو أشعَريٌّ متعصب لمذهب الأشاعرة -وهو أسوأ من «طنّون» الذي ليس عنده تعصّبٌ لمذهب-، وكان يرى أن مذهب الرافضة توحيدٌ خالص! وذَكَر هذا في كتابه «تبسيط العقائد الإسلامية» (١)، ويرى أن كل المذاهب الأخرى على حق وعلى توحيد!، ورددنا عليه في ذلك الوقت.

- وكان من **أسباب إقبال الناس إلينا**؛ هم الإخوان المسلمون، فهم دَفَعوا الناس إلينا من خلال ذمِّهم لنا، وذِكرنا عند الناس بكلام سيء، فصار الناس يسألوننا عن ذلك ليتأكدوا، فَيرَوْنَ خِلافه.

- ثم ارتكب الإخوان **حماقةً أخرى** بأن أتوا بالشيخ **عبدالرحمن عبدالخالق** إلى مسجد العبدالجليل لِيُدرِّس كتاب «فتح الباري» (٢)، وكان قصدهم أن نتأثَّر به **ونأتي إلى جماعتهم**، ويأخذوا الأربعة أو الخمسة الذين معنا، لكن الله عز وجل قَلَب المسألة، فصار من يأتي الدرس من الناس، نأخذهم وندعوهم بعده، ثم بعد فترة ألغوا الدرس، لأنهم رأوا أن الخَسارة أكثر من الربح، والحمد لله.

- وهنا أمر مهم يجب أن تَفهَموه في الدعوة، **قليل جداً مَن تأثَّر بالدَّعوة مِن خلال المناقشات**، وإنما الذي يأتي بالناس **هي العَلاقات والمعارف**، وهذا الأمر قديم، فلمّا أسلم أبوبكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ذهب إلى أصدقائه، إلى عثمان وإلى بلال وأتى بهم، فمن يريد أن يُكثِّر مِن سَوادَ

(١) كما ذَكَر ذلك عن فرقة (الاثنا عشرية) أن روح عقيدتها تتميز بأن: (دينهم التوحيد المحض بالنسبة لصفات الله) ص٣٠٣ ط. دار الندوة الجديدة.

(٢) وكان هذا الدرس سنة ١٩٧١م -كما نقلنا ذلك سابقاً-، وفي سنة ٧٢م ألقى الشيخ عبدالرحمن محاضرته عن (الصوفية) في جمعية الإصلاح وقبلها في مسجد العَلبان بكيفان، وفي سنة ١٩٧٣م انضم إلى الجماعة السلفية.

أهل الدعوة، يبدأ بأصدقائه، أما مسألة أن تأتي بواحد تناقشه فهذا تأثيره قليل).ا.هـ.

- كانت أبرز **القضايا التي يطرحها** الشيخ ويحرص عليها طوال دعوته: تقرير التوحيد والتحذير من الشرك، وتعظيم السُّنة، ومحاربة التقليد والتَّعصّب للأشخاص أو المذاهب الفقهية، وحرصه على اتباع الدليل، وبيان ما يناقض ذلك عند الجماعات أو التيارات المخالفة لهدي السلف الصالح.

- تميَّز الشيخ بمنهجه السلفي **واعتزازه به**، وظهور شخصيته السلفية، فلم يكن الشيخ ضَبابيّاً في دعوته، بل **كان واضحاً جداً**(١)، بعيداً عن الخَفاء، فما يقوله للعامّة هو نفسه الذي يقوله للخاصّة، فلا يُظهر قولاً ويُخفي آخر.

- يذكر أحدهم: كنت أحضُر الدروس وأناقش ولم يسألني أحد: مَن أنا، فعَرفتُ حينها أن هؤلاء الناس ليس عندهم ما يُخفوه، أو يخشَون ظهوره، وأن ضمائرهم مُرتاحة.

- كان الشيخُ مرتبطاً بشكل كبير بالدعوة، بل إن بعض الناس -في نهاية السبعينيّات- كانوا يُطلقون على السلفيين مُسمّى «السبتيّين» نسبة إلى الشيخ عبدالله السبت، وكانت هذه على سبيل التَّقليل مِن شأنهم، والصّدِّ عنهم، ولله الأمر مِن قبلُ ومن بعد.

(١) وكما قال الشيخ في كتابه «بل هو الفِرية»: (وأما أنا فسائر على دربي مُظهِراً السنّة بالحِكمة والموعظة الحسنة، ومحارباً هذه الأفكار الفاسدة، وأصدقُ وصفٍ لما أنا عليه؛ ما كتبه العلّامة محمود شاكر في «أباطيل وأسمار»: «**وأنا امرؤٌ لا أُحِبُّ الهَمس والدَّندنة في الآذان سِراً**، ولا أُحِب الأناجي الخَفيّ بالإثم والعدوان تحت ستارٍ مِن الظُّلمة، وأكرَه مَن يدور باللائمة مِن مَجلسٍ إلى مجلس، غير مُعالِن ولا مُصرِّح. فَمِن أجلِ ذلك كتبتُ هذا، لأهتِك هذا السِّتر البغيض إلى النفوس الصحيحة، **ولأبيّن لمن لم يَعرفني، نهجي الذي أسيرُ فيه، مُعلِناً بلا جَمجمة ولا استخفاء**، فمَن شاء أن يلومَ بعد ذلك فليَلُم ما أحبَّ اللوم، **فإني مُؤدِّيها على النهج الذي لا تَزِلُّ بي فيه مداهنة أو تلويح**، ولا تحبس خطواتي فيه مخافة أو تهديد أو مناجاة بالإثم والعدوان»). (المجموع ٢/ ٨٥).

من نشاطه ومواقفه في الدعوة

- كان الشيخ يزور المساجد ويُقيم الدروس بعد الصلاة، بهمةٍ عالية جداً -كما يحدثني بذلك أبوخالد عبدالله الخالد المشاري رحمه الله- ويقول: «كان الشيخ أبا السلفية حينها، وصاحب مبدأ، انتفعت الكويت بهذه الدعوة بسبب هذا الرجل، ومجموعة من الشباب، .. اتَّسعت الدعوة في أغلبِ مناطق الكويت، فكان الشيخ يزورهم ويُشرف عليهم ويُوجِّههم، ويمدهم بالكتب الشرعية».

- **ومن المواقف التي تُبرز ثقته بالله**: -كما يحدثني د.سليمان معرفي- يقول الشيخ رحمه الله: «لَمّا كُنت في المرقاب أتاني بعض جماعة الإخوان وقالوا لي: نحن خلال سنتين سنَقضي على جماعتك، فقلت لهم: ونحن خلال سنتين سيتضاعف عددنا بإذن الله».

- **كان حريصاً على الطلاب بالخارج**: عندما كان يزور الطلاب المبتعثين في أمريكا أو بريطانيا أو في مصر أو غيرها، ينصحهم بترك القيل والقال، وأهمية العلم الشرعي، وتخصيص وقت باليوم أو بالأسبوع لقراءة كتاب، مثل تفسير ابن كثير وتفسير السِّعدي، ورياض الصالحين، وكتاب التوحيد، ويحثهم أن العلم لا بد له من صبر، وكان يقول لهم: **قليل يوقِظ خير من كثير يفِر**.[١]

- يحدثني الأخ علي بهبهاني: (كان الشيخ يحرص علينا أن نكون مجموعة في أمريكا؛ لنحافظ على بعض، وكانت لدينا مجلة «الهجرة» تصدر في كليفلاند، وكان يكتب فيها: أنور بن سَلامة، عبدالرحمن المطوع، د.أمير الحداد، بعد

(١) كما في (لقاء مفتوح بأمريكا ج١) بولاية دنفر.

ذلك سالم الناشي وغيرهم، **وكنا نَستكتب الشيخ أبا معاوية فيها**، واشتهر عندنا كتاب الألباني «صفة صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» وكتاب «فقه السنة»).

وكانوا قبل ذلك يُشاركون في مجلة «الأمل» التي تصدرها جماعة الإخوان هناك، ثم لما أصدَروا مجلة «الهجرة» اتهموهم بالانفصال والانشقاق عنهم.(١)

- يُخبرني م. عبدالرحمن المطوع: (كان الشيخ مستمعاً جيّداً، تحليلاته دقيقة بناءً على معرفته بالجماعات، قليل الغضب، حريصاً على دعوة الناس، وخاصة من يتوسم فيه الخير .. وصار الشيخ **مُوجها للشباب في أمريكا**، وكان قد كوّن (مجموعة بَحثية) لمعرفة طرق البحث الفِقهي، وممن أذكر الأخ أسعد العصيمي والأخ حمد الأمير).
- ومن **حُسن تواصله**: كان الشباب السلفيون من مختلف مناطق الكويت يتشَوَّقون لزيارته في الشارقة، مَحبةً له، **فيقومون برحلاتٍ إليه**، وإن لم يتيسر أجرَوا **اتصالاً هاتفياً** معه، ليستفيدوا من دروسه، خاصة في قضايا المنهج.
- ويحدثني أخي د. حمد الفهد -وكان قد دَرَس بالشارقة، وتردد على الشيخ كثيراً في سنواته الأخيرة، وكان معه في أمريكا للعلاج بضع أسابيع- فيقول: (تميّز الشيخ بصراحته، وأنه رجل صادق لا يتصنّع ولا يتكلّف، .. أراه **كثير القراءة**، بعد صلاة الفجر يقرأ من كتاب

(١) كان من شخصيات الجيل الأول والثاني من جماعة إخوان الكويت الذين دَرَسوا في أمريكا واستقبلوا الشباب هناك وأداروا تجمعاتهم: طارق السويدان، فؤاد العمر، مبارك الدويلة، محمد الشايع، ناجم الناجم، عادل الصبيح، بشير الرشيدي، إبراهيم الخليفي، وليد الحساوي. وكان لبعض السلفيين مناقشات معهم آنذاك.

«**سِيَرَ أعلام النُّبلاء**» ساعة يومياً، وقبل نومه يقرأ في التاريخ «أظنه **عيون الأخبار**»، .. أكرمُ مَن رأيت، **لا يردّ أحداً من الناس، ويحرص على قضاء حوائجهم** باستمرار، حتى وهو لا يملك المال حالاً؛ إلا وتجده يُعطي ويقول: ربك يفرجها، فكانت ثقته بالله كبيرة، .. ما يُشعرك أنك ثقيلٌ عليه، أو أن الوقت تأخر، .. يتحاور معك في موضوع قد أشبَعَه بالكلام مع غيرك، كأنه يتكلم فيه أوّلَ مرة، تجده مُلِمّاً بالتاريخ، كان يتأكد من بعض المعلومات حالاً في الوقت نفسه، إما بالاتصال على شخص أو من خلال الكتب .. رجلٌ موسوعي، يعرف معلومات عن كلّ شيء، وإذا لم يعلم يُصرِّح بعدم العِلم، **فلا يتحرَّجُ مِن قول**: «**لا أعلم**، أُراجع المسألة ثم أُجيبُك»).

- يُكمل د.حمد: (أحياناً عِدة أراهُ يبحث في مسألةٍ فقهية - تطرأ عليه - ساعة أو أقلّ مع الشيخ بوعلي .. دائماً يَنصحنا بالناحية الدعوية، وأن يكون لنا دور توجيهي في محيطنا وبين أهلنا، .. لديه **نظرة مستقبلية**، ودائماً يُخطّط للمصلحة العامة، وليس لمصلحته الشخصية، كان يتصل ليطمئن عليّ -وأنا في طريق العودة إلى الكويت بالسيارة- ثلاث مرات).

- كان الشيخ مع صديقه عبدالرحمن الجريوي رحمهما الله لمّا يذهبون للأحمدي في بداية التدين، يمشون لركوب الباص في شارع الصحافة، وكانوا يجلسون في الباص في مكانين مختلفين يتحاورون عن «فِقه الصلاة» كي يُسمِعوا العُمّال في الباص ليستفيدوا.

- يقول الشيخ: (كنا **نتمَيَّز عن غيرنا بالاهتمام بالعِلم والأخذ بالدَّليل**، حتى أني أذكر أن إخواننا الأئمة المصريين من أراد أن يخطب الجمعة

في مسجد أحمد بن حنبل، كانت وزارة الأوقاف توصيه أن يتأكد من أحاديثه، فكان شبابنا يتوزعون في المساجد وأي خطأ يَصدر عن الإمام بعد الصلاة يُنَبِّهوه، وأذكر موقفاً لأخينا «علي الحبيل» وكان عمره ١٢ سنة تقريباً، وكنّا قد دَرَسنا في «تطهير الجَنان» حديث «لولاك لولاك ما خُلقَت الأفلاك» وأنه حديثٌ موضوع، والصوفية تدندن عليه وأن من أجلِ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلق الله كل هذا الكون، والشيخ «حسن طنون» يرحمه الله حاطب ليل، لا يُميّز بين الأحاديث، فصلى في مسجد العبدالجليل وأتى بهذا الحديث[(١)]، فتصدّى له بعد الدرس أخونا علي فقال له أن هذا الحديث موضوع، فغلظ عليه الشيخ ونهره وكيف تخاطب المشايخ! فانزعج أخونا «علي»، فانتصرنا له، وفي اليوم التالي ذهبنا لدَرسه في كيفان، وكذلك قد ذكر فيه أيضاً بعض الأحاديث الضعيفة، فوقفنا له بعد الدرس وبيّنا ضعف هذه الأحاديث، وأنكرنا عليه صنيعه مع أخينا، وأنه كيف تُبكي الناس وأنت تكذب على رسول الله؟!)

- ويعلق الشيخ عن هذه القصة: (وكان لهذا الإنكار دور كبير في تعريف الناس بمنهجنا وطريقتنا، فمعظم الناس الملتفّون حول الشيخ حَسَن -وكانوا كثيراً ما يقارب الـ ٣٠٠ شخص مُتعجّبين: مَن هؤلاء الذين يُخطِّئون الشيخ!- فأتونا بعد الدرس يسألوننا ما معنى: حديث

(١) ويحدثني الأخ **علي الحبيل** عن ذات هذه القصة: «لما قرأتُ كتاب (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة) لشيخ الإسلام، قرأتُ حديث (.. أسألك يا رب بجاه محمد) أنه موضوع، فسألت الشيخ بومعاوية عن معنى: موضوع! فقال: أي مكذوب على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسبحان الله في نفس اليوم سمعت هذا الحديث وقد استدل به شيخ -وهو حسن طنون- يُحدّث على جواز التوسل بجاه الرسول فأنكرتُ عليه، فنَهرني حتى بكيت. ثم لمّا عَلِم الشيخ عبدالله ذهب في اليوم التالي لأحد دروسه وبعد الدرس نَصَحه..».

موضوع؟ وحديث لا أصل له؟ وكيف يُخطئ الشيخ؟! وكنا نشرح لهم، ومن أراد التعلُّم يأتينا مسجد العبدالجليل في الفيحاء).

- يقول الشيخ: (لما جئتُ إلى السودان سنة ١٩٧٢م طلبوا بناء مسجدٍ صغير، فجلسنا مدةً لا نَعرف كيف نجمع له الأموال، لكن الآن مئات المساجد لأنصار السُّنة في السودان .. والسودان تجربة لمجموعة ظلمت الشيخ «الهَديّة»، وقد تَعرَّضَ وهو شابٌّ للأذى والقتل وسرقة أولاده، تعرّض لأذىً لا يعلمه إلا الله، وبعدها يأتي شباب صِغار يتهمونه بأنه مبتدع! كلام ما يستقيم). وبيّن وقتذاك أن منهج حسن الترابي فاسد.[١]

- وزار **السودان** مرة أخرى سنة ١٩٧٨م، يحدثني مرافقه أبوعبدالملك: أن الشيخ ألقى في جامعة الخرطوم ثلاث دروس عن التوحيد، في الممرات الخارجية بمكبِّر الصوت، وعيناه في الأرض؛ لوجود النساء، وألقى محاضرات في «أسبوع العقيدة» في الجامعة.

ويقول: سافرت معه إلى الخرطوم وسكنّا مع الملحق الثقافي الديني السعودي «طاهر» في عمارة الملحق، ووفر لنا كل شيء، والتقينا بالشيخ الهديّة رحمه الله في بيته.

- وكان الشيخ رحمه الله **لا يتأخر في إنكار المنكر**، فإذا رأى المجلس قابلاً لتوضيح الخطأ بيّنَه وأنكره في لحظته، يُحدثني أحد الإخوة أنه صلى العصر بمسجد أحمد بن حنبل بالفيحاء، وبعد الصلاة قرأ الإمام من كتاب «رياض الصالحين»، وأخذ يقرأ حديثاً ويشرحه، والشيخ عبدالله

---

(١) من (لقاء مفتوح بأمريكا ج٥).

مستندٌ على إحدى سَواري المسجد، وبينما الإمام يقرأ الأحاديث وإذا هو يقرأ حديثاً ضعيفاً، فردَّ الشيخ عبدالله بصوته الشَّجي الجَهوري بمقام الإقرار: الحديث ضعيف، فتلعثم الإمام قليلاً، وأثبتَ كلام الشيخ وانتقل إلى حديثٍ آخر.

- ومن المواقف التي تبرز هَمَّه الدَّعوي، يحدّث أحد الأخوة فيقول: لما كنتُ في زيارة للشيخ رحمه الله **وهو في مركز الرعاية التلطيفية** - في مرض موته - رأيت فيه همة عظيمة لداعية لم يكن يرى أنه في مرضٍ سيوقفه عن الدعوة والعمل في سبيل الله، لكنه كان يتحدث معي عن مشاريع للدعوة في أوروبا وأهمية البذل لهم، فكنت أتعجب منه أنه لم يلتفت إلى مرضه وحاله، وكان منشغلاً بأهمية المواصلة في الدعوة.
- ويقول أيضاً: حينما أخبرت الشيخ أنني زُرت **منطقة خينان** في الصين، سألني عن أحوالهم، وعن المناهج التي يدرسونها، فتعجبت أن غالبهم كانوا تلاميذ تحت يده حينما كان في الشارقة.
- ومن همّتِه في ذلك: كان الشيخ يتمشى قليلاً في ممر الجناح -في المركز التلطيفي-، فرأى الغُرفة بجواره فيها بعض الشباب، فقال لمرافقه: لو نعمل لهم دَرساً خفيفاً.
- من المواقف أنه ذَكر حديثاً وبعد الدرس أخبره أحد الشباب أنه حديث ضعيف، فعاتبه الشيخ، وقال: لماذا لم تخبرني أثناء الدرس، حتى لا أكون سبباً في ضَلال الحُضور!، وبالفعل أخبرهم في الأسبوع المقبل عن ضعف هذا الحديث، وبيَّن أن من الواجب بيان ذلك أثناء الدرس لمن كان عالماً.

- ويحدِّث أحد الفضلاء: في يوم من الأيام سمعتُ شخصاً يقرأ القرآن الساعة الثانية ليلا -وكنت قد بِتُّ في مكتبة الشيخ بومعاوية- فسألتُ هذا الرجل: مِن أين أنت؟ وكيف عَرفت الشيخ عبدالله؟ فقال أنا من المغرب في قريةٍ نائِيَة، وأدعو في صلاتي لأربعة: الشيخ ابن باز والشيخ الألباني ولشيخي في المغرب وللشيخ عبدالله السبت، فسألته: ولماذا الشيخ عبدالله؟ فقال نحن فقراء في قرية ولم نعرف السَّلفية لو لم يرسل إلينا الكتب.

فسألت الشيخ عن هذا المغربي، فقال لي: (والله ما أعرفه، أنا أُرسل الكتب لكل مكان لعلَّها تُصيب). وكان قد أتى الإمارات لأخذِ سندٍ في القراءات من شيخ سوري، فالتقى بالشيخ في الشارقة، ثم طلب من الشيخ إعانته للذهاب إلى المدينة النبوية لأخذ السَّنَد من الشيخ «الحذيفي»، فوافق الشيخ واشترط أن يُدرِّس بعد ذلك في اليمن في مركزٍ سيتم بناءه.

- **كان صريحًا وليس عنده محاباة لأحد**، فمرة تكلّم في المخيَّم عن مَقولة وليست حديثاً عن الرسول ﷺ منتشرة بين الناس، فقال صديق له: رواه مُسلم، وقصده أنه رواه أحد المسلمين «من باب المزحة»، فغَضِب الشيخ وقال: هذا تلبيسٌ على الناس؛ لأنهم يظنون أن الإمام مسلم رواه في صحيحه!

- ومرةً: أتى رجل صوفي من باكستان للمكتبة في الشارقة، وطلب من الشيخ مساعدات من الزكاة، فقال له الشيخ: لا أعطيكم، أنتم تحاربون الوهابية في بلادكم، فتغيَّر لون الرجل وخَرَج، فعاتبه بعض الإخوة، فقال لهم: لا أخاف في الله لومة لائم. وهذا من حرصه على تنقية الدعوة الصافية مما ألصق فيها.

- ويخبرني أخي أنور العنزي: كان الشيخ **يهتم بالشباب كثيراً**، مرة أخبرناه أننا خرجنا من الكويت بالسيارة إلى الإمارات، فاتصل علينا الساعة الثانية ليلاً، فكان يحسب الوقت لنا وقال: (ما أحببت النوم قبل الاطمئنان عليكم، وغداً غداؤكم عندي).

- ويقول: (كان الشيخ يقول: «شوفوا الشباب من جامعة الشارقة والعدد الذي تريدونه وقولوا للطبّاخ يستعد، وحياكم الله في المكتبة بأي وقت، وإذا تريدون أعمل لكم درساً أو كلمة؛ حاضر»، أكرم من رأت عيني).

- ويقول: كان الشيخ يحفظ خريطةً خلف مكتبه، فمرةً أتاه طالب أوزبكي وقال له: أمي لديها أرض هناك، وتُريد بناء مسجد عليها، وليس عندهم مال، فقال له الشيخ: راجعني يوم الاثنين -وكان يوم الجمعة آنذاك-، فلما جاء قال له: (أبشرك أرسلنا الدعاة هناك وعاينوا الأرض وقدّروا التكلفة، وبإذن الله المسجد سيُقام، ثم قال له: اتصل عليهم للتأكد من بناء الأساسات)، فكان يُحافظ على أموال المسلمين، حتى أن الطالب استغرب من الموافقة والسُّرعة والترتيب.

- من عِبارات الشيخ التي **كان يُرددها** ونَسمعها منه مِراراً: (يا رب عفوك ورضاك)، (ما كان لله يبقى)، (نعيبُ زماننا والعيبُ فينا .. وما لزماننا عيبٌ سِوانا)، (ما عِندنا شيءٌ نُخفيه عن الناس، فمذهبنا بالليل هو مذهبنا بالنهار، أما الآخرون فيتلَوَّنون)، وإذا ذُكر له أحد السلفيين تكلّم عليه يقول: (إخواننا بَغوا علينا)، ويقول: (تقلّدتُ مقولة الإمام أحمد: «إذا لم تُظهر الحق أنت ولا أنا، فمتى يظهر الحق؟!» فلا بد من الصَّدعِ بالحق).

تعرّفه على العلامة الألباني رحمه اللّه

- يقول الشيخ: (تعرَّفتُ على الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، عرفنا عليه «عبدالعزيز العدساني» والد يوسف، وأعطاني «مجلة التمدّن الإسلامي» وفيها كتابات الألباني، وكان العم «إبراهيم الزايد» يتردد إلى سورية، فأعطيناه رسالة للشيخ الألباني؛ حتى يُعطينا منهجاً نَسير عليه).[(١)]

- راسل الشيخ الألباني مدة ٥ سنوات قبل الالتقاء به، فبدأ مراسلته سنة ١٩٧٠م تقريباً، والتقاه سنة ٧٥م، كما يُخبر الشيخ: (**وأنا قابلته في أواخر سنة ٧٥م**، وأخذ بتوجيهي إلى أنْ تَوفّاه الله عزَّ وجل).

- ثم التقاه ثانية سنة ٧٧م في دمشق، كما يُخبر بذلك الشيخ محمد علي طفّي الحلبي وقد التقاه وتعرّف عليه هناك.

- ثم زاره كذلك سنة ١٩٨١م برفقة زوجه أم معاوية، ومجموعة من الأخوة، يحدثني الأخ محمد بن ناجي فيقول: (سافرتُ مع أبومعاوية وعبدالله الخُضري **لزيارة الشيخ الألباني** في سورية سنة ٨١ م، بعدها توجهنا إلى مِصر لزيارة الشيخ **مُحب الدين الخطيب** في الدار السلفية، والهدف من الرحلة هو لُقيا العلماء، وجَلب الكتب السَّلفيّة).

- أحبَّ الشباب السلفيون **الشيخ الألباني**؛ لتعلّقهم بدراسة كتبه والاطلاع على مقالاته -وكان الشيخ عبدالله له الدور البارز في ذلك-، فأرادوا الالتقاء به والجلوس معه، فلما اجتمع مجموعة منهم في لُبنان -كما ذكر ذلك لي د.خالد الصالح وأبوفهد فيصل

---

(١) من لقاءٍ مكتوب لبعض الإخوة مع الشيخ في الشارقة بتاريخ ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٩م.

الياقـوت-: في صيـف عـام ١٩٧١م خَرجنـا مـن بُحَمـدون(١) **وانطلقنـا إلى دِمَشـق** -بالسـيارة- وهـم: خالـد الصالـح، عبدالوهـاب السّـنيّن، فيصـل الياقـوت، عبدالرحمـن الجاسـر، يوسـف الرشـيد، عـادل الفـلاح، **وقابلنـا الشـيخ الألبـاني في المكتبـة الظاهريـة**، وتعرَّفنـا عليـه، وكان مـسروراً بنـا، وزرنـاه كذلـك في بيتـه -مجلـس لـه بـاب خارجـي- وقـام بضيافتنـا.

ويكمـل د.خالـد: (وزُرتـه مـرة أخـرى بعـد عـودتي مـن حَلَب، وتناقشـت معـه في بعـض المسـائل الفِقهيـة التـي كان مفتـي بـيروت حينهـا يُفتي بهـا ..).

فكانـت **رحلـة سريعـة** عفويـة مـن الشـباب حينهـا -غـير مرتَّـب لهـا مسـبقاً- حيـث كانـوا أقـرب إلى دمشـق، فأحبـوا لقيـة هـذا العـالِم الكَبِـير.

- ثـم رأى الشـيخ عبـدالله ابتعـاث أحـد الأخـوة إلى **العلامّـة الألبـاني**، لوجـود بعـض الأسـئلة التـي يرغبـون بمعرفـة جوابهـا، فيقـول الشـيخ: (كان أول اتصـال مـع الشـيخ نـاصر الألبـاني رحمـه الله أننـا أرسـلنا أخونـا جاسـم العـون بوعبدالعزيـز -الله يوفقنـا معـه لطاعتـه- إلى سـوريا في ذلـك الوقـت، وبـيّن لـه أننـا شـباب بادئـين دعـوة، فـماذا نُسـمّي أنفسـنا؟ فاقترح أن نُسـمّي أنفسـنا بـ«السـلفية»، ثـم صـارت مُناصحـة في بعـض المسـائل ..).
- ويخـبرني أبوعبدالعزيـز **جاسـم العـون**: (اقـترح عـلي أبومعاويـة أن أسـافر إلى الشـيخ الألبـاني -وهـذا في سـنة ١٩٧٤م-، وأذكـر أنـه كانـت لدينـا مسـألة فقهيـة وهـي «زكاة المـرابي»، ولدينـا ألـف دينـار -وقتهـا كثـيرة-، وأعطانـا الشـيخ عُمـر الأشـقر كتابـاً للشـيخ الألبـاني، تعريفـاً ومسـاعدة لبعـض الأخـوة في سـورية، وبالفعـل سـافرتُ لوَحـدي إلى دِمشـق،

(١) وهـي بلديـة في لبنـان تبعـد عـن العاصمـة بـيروت مسـافة ٣٥ كيلـو، حيـث يكثـر فيهـا السـياح الكويتيـون فـترة الصيـف.

والتقيت بالشيخ في المكتبة الظاهرية فجَلست معه من بعد العصر إلى المغرب، وقد وَضَعَ حَبلاً مُعلّقاً عليه قُصاصات أوراق المخطوطات، ثم بعد الصلاة أخذني معه إلى بيته وضيَّفني بعَشاء).

- وكذلك سافر إليه كلاً من **الشيخ حاي الحاي والشيخ محمد الشيباني**، فيقول الشيخ حاي: (في سنة ٧٦م قال لي الشيخ عبدالله: هناك عالم مُحدِّث كبير في سورية وهو الشيخ الألباني، والتقينا به في اللاذقية مدة ١٥ يوماً، ليل نهار، وكان معي محمد الشُيباني، وكانت التكاليف كلها على الشيخ أبومعاوية). [١]

(١) ذكره في لقاء برنامج (موكب النبلاء).

بين الطَّلب والتَّدريس والتأثّر بالعلماء

- لم يتتلمذ الشيخ عبدالله رحمه الله على شيخ مباشر، بحُكم أن الكويت ليس فيها مشايخ وعلماء مشتهرين في ذلكَ الوقت -عدا الشيخ محمد بن الجراح رحمه الله وقد كان حنبلياً، وليس له طلابٌ كُثر-[١]، وإنما كان يقرأ كثيراً، ويسأل المشايخ باستمرار عن أي أمر استشكل عليه، وقد استفاد مِن عِدّة مشايخ، فيقول: (**درستُ الكتب لِوَحدي،** واستفدتُ من الشُّروح وغيرها، ثم درّست هذا في مساجد الفيحاء، .. **وأكثر من استفدت منه الشيخ محمد الأشقر** رحمه الله، حيث لازمته فترةً طويلة)[٢].

- تَرَكَت كتابات الشيخ الألباني رحمه الله الأثر الكبير في قلب الشيخ عبدالله رحمه الله **حتى استقرَّت السَّلفية ومفاهيمها** لديه، وكانت المراسلات عديدة بين الشيخين حول المسائل المنهجية، وكان يقول: (**نَعترف أنه من أول من تعلَّمنا عليه السلفية الصحيحة عبر اتصالاتنا وكتبنا، .. فالحقيقة نحن خاصة تأثرنا مباشر في فَهم السَّلفية من الشيخ ناصر**، وخاصة محاربتنا للبدع والأحاديث الضعيفة؛ لأنه هو كان المُبّرز في ذلك الوقت، واتصالنا معه قديم، فهو يعتبر - بحق -

(١) يقول الشيخ عبدالله: (كان خلافنا مع الشيخ محمد بن جراح رحمه الله **فقط في مسألة التراويح،** وكان حنبلياً، ولا أعلم أنه كان على غير طريقة السلف، والشيخ د.وليد المنيس يعتبر بالفعل من تلاميذه)، وقد ألَّف د.المنيّس كتاباً حافلاً بعنوان (**عالم الكويت وفقيهها وفرضيها الشيخ محمد بن سليمان آل جراح، سيرته ومراسلاته وآثاره العلمية**) بيَّن فيه مراسلاته مع علماء نجد وخاصة الشيخ المحقق عبدالرحمن السعدي وكثرة مخاطباته وأسئلته معه، مما يظهر توافق الفكر، ومع الشيخ عبدالله بن حميد، وكذلك مع الشيخ ابن باز يعزيه بوفاة الشيخ ابن حميد، رحم الله الجميع وأسكنهم الفردوس الأعلى.

(٢) مِن مقابلةٍ معه بمجلة (المجدد) بدورة الإمام محمد بن عبدالوهاب الشرعية سنة ١٤٢٧هـ..

أبـا الدعـوة السـلفية التـي نَحـنُ مِـن نِتاجهـا).[(١)]

- ويقـول أيضـاً: (**جالسـتُ الألبـاني كثـيراً**، وأخرَجنـا كتبـاً كثـيرة وقتهـا، **وتأثـرتُ بالشـيخ ابـن بـاز بالأخـلاق، والألبـاني بالجَلَـد**، .. والتقيت بالشيخ عبيـدالله الرَّحمـاني مؤلـف «مرعـاة المفاتيـح شرح مشـكاة المصابيـح» وكان فيـه جَلَـدٌ في التأليـف، فتأثـرت مـن الموقـف الـذي رأيتـه فيـه مـن الناحيـة العمليـة). ويقـول: (كان الشـيخ ابـن بـاز يقـول لي: لا تـترك بـذل الجـاه).[(٢)]

- ويقـول الشـيخ: (وفي الحقيقـة اسـتفدنا كلنـا مـن الشـيخ -عليـه رحمـة الله- مسـألة **إحيـاء السـنة في قلوبنـا، والصَّـدع بالحـق**، وقُـل الحـق ولا تُبـالِ، وهـذه أهـم فائدتـين عظيمتـين **اسـتفدتها شـخصياً** مـن الشـيخ بويوسـف عبدالرحمـن عبدالصمـد عليـه رحمـة الله، فتجـدون كل دروسـه القديمـة في الحـث عـلى السـنة مـع بسـاطته، والثانيـة المثابـرة، فتجـده وهـو كبـير في السـن يأتيـك مـن الوفـرة إلى الديـرة يُلقـي درسـاً ثـم يعـود ليـلاً، كان عنـده مثابـرة وجهـد عليـه رحمـة الله، .. صحيـح أنـه لم يَجلـس لتدريـس كتـب معينـة، ولكـن كلّ دروسـه تـدور بهـذا الفَلَـك، ولـه كتـاب جميـل اسـمه «أسـئلةٌ طـالَ حولهـا الجَـدَل»).

- يقـول الشـيخ: (كان **أول كتـاب نقـرأه** في العقيـدة ونتدارسـه كتاب «كشـف الشبهات»).[(٣)]

---

(١) لقـاء مجلـة الفرقـان، العـدد (٩٤)، انظـر المجمـوع (٤/ ٣٢٥). ومـن ذلـك كتـب الشـيخ عبـدالله بعـض المقـالات القديمـة **يدافـع فيهـا عـن العلامـة الألبـاني** رحمـه الله، فكتـب (لمـاذا كل هـذا الهجـوم عـلى الألبـاني؟) في جريـدة الـرأي العـام سـنة ١٩٨٠م، وأخـرى سـنة ١٩٨١م بعنـوان: (مـاذا تريـد مجلـة المجتمـع مـن الألبـاني؟)، انظـر المجمـوع (٤/ ٢٢١، ٢٣٠).

(٢) من لقاءٍ مكتوب لبعض الأخوة مع الشيخ في الشارقة بتاريخ ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٩م.

(٣) من اللقاء السابق.

- كان الشيخ رحمه الله يُكثر من مطالعة كتاب «صفة صلاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، خاصة مقدمته في تركِ التقليد وذم التعصّب المذهبي، وكان يقول: (وأنا لاحظتُ أن الأخوة ما قَرأوا مُقدمة كتاب «صِفة صلاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» للألباني، أو مضى على قراءتها مدةٌ طويلة، وأنا أحرص على إعادة قراءته كل بِضعة أشهر، فأجد فيه علماً وفهماً قد فاتني فيما مضى).[١]

- وانتشر الكتاب آنذاك حتى صارَ عُمدةً عند السلفيين في ذلك الوقت، فكانت صلاة السلفيين مميزة عن غيرهم، مِن تراصِّ الأقدام ووضع السّترة وتحريك الأصبع في التشهد، وخاضوا نقاشات مع الناس بسبب ذلك.

- وكان الشيخ يقول: (كنا نَدرس «صفة صلاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ونحفظها كما نحفظ الفاتحة، وكنا نختم الكتاب ثم نُعيده من جديد، وكذلك كتاب «كشف الشبهات» و«كتاب التوحيد»، ولذلك الجيل الأول أغلبهم طلبة علم، يعرفون النُّصوص ويعرفون الأدلّة، فلذلك مَزِيَّةُ الدعوة السلفية **أنها دَعوة عِلم، وبه تقوم**، فلذلك ينبغي من شباب المناطق التركيز على «عِلم المتون»، لا «عِلم المحاضرات العامة» ودروس الدواوين، فهذه ثقافة، أما الذي يبقى هي دروس شرح كتب العلم، وأرى حالياً انتشار الدورات -الشرعية المكثفة- فهذا هو الباقي).

- كان الشيخ يُقيم درساً في العقيدة في مسجد التركيت في الخالدية، ودرساً في شرح أحاديث «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان» في مسجد العلبان في كيفان، ويشرح في الفقه من كتاب «فقه السنة» للشيخ سيد سابق، لأنه كان بعيداً عن تقليد المذاهب.

(١) من محاضرة للشيخ بعنوان: (المذهبيّة).

- كان **غالب وقته كتابه في يده،** فكان رحمه الله يقرأ بنهم كبير، حتى أن المجلد الكبير لا يبقى في يده أكثر من ثلاثة أيام، وقد رأيت في مكتبته رفاً يحمل اسم الكتب التي تنتظر دورها للقراءة.
- يقول الشيخ: (**القراءة أثّرت فيَّ كثيراً**، وكنت أقرأ كتب محمد بن عبدالوهاب قراءة العاشق. وقرأت في التاريخ كثيراً، وفي كل ليلة قبل النوم أقرأ في «سِيرَ أعلام النُّبلاء» ورقة أو ورقتين، حتى وصلت إلى المجلد السابع، حتى استخرجت كتباً كثيرة).(١)
- يحدثني الشيخ عدنان عبدالقادر: (كنتُ أرى **تعليقات الشيخ** على كتاب «المُحلَّى» لابن حزم بالقلم الرصاص، .. كان الشيخ حريصاً على كتاب «العواصم من القواصم»، لأن المناهج الدراسية بالمدارس كانت تُدرِّس هذه الأمور، فتذكر ان عثمان يولّي أقرباءه، وأن معاوية وعمرو بن العاص اتخذوا الحيلة مع علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ جميعاً).
- ويقول الشيخ محمد السنيّن: (كان له طريقة في بدايات الدعوة: إعداد بحوث في موضوع معين، مثل علوم القرآن، وكان **يطلب منا عمل بحوثٍ فِقهية،** وأذكر أني قدّمتُ بحثاً في سُؤر الحيوان، مِن أقوال المذاهب وبحث الأدلّة، والتركيز أو الاقتصار على حكم الشيخ الألباني للأحاديث).
- ويحدثني الشيخ حمد الأمير: (أتذكر مجلساً في بيت بوخالد الخالد **مناقشةً** بين الشيخ الألباني وعبدالرحمن عبدالخالق وعمر الأشقر

(١) من لقاء مكتوب لبعض الأخوة.

وعبدالرحمن عبدالصمد وعبدالله السبت، عن موضوع صلاة المتخلف عن الجماعة الأولى، حيث **تعلّمنا فيها أدب الحوار**).

- لما زار الشيخ **أبوبكر الجزائري** رحمه الله الكويت؛ استضافه الشيخ أبومعاوية عنده بالبيت، وكذلك سكن عنده الشيخ **محمد عيد عباسي** -تلميذ الألباني- في زيارة خاصة، وكان قد تعرّف عليه عند الشيخ الألباني في سورية، وكذلك استضاف الشيخ **سليم الهلالي** في بيته.
- للشيخ علاقة قوية وخاصة بالشيخ «محمد مال الله» -صاحب المؤلفات المعروفة في الرد على الرافضة-، وبينهما صلة قرابة «ابن عمة الشيخ».
- زاره الشيخ عبدالرزاق العباد البدر سنة ٩٥ أو ٩٦م في مكتبته بالشارقة، وألقى درساً في موضوع «فتنة تصنيف الناس» مما أثاره الشيخ رَبيع، وحضرها أغلب المخالفين، لأنه متَّفَقٌ عليه بين الطرفين.
- للشيخ عناية **بمواضيع تهذيب النفس**، فقد كان يقرأ في الإحياء للغزالي، ثم تركه لانحرافاته العقدية، فاتجه إلى كتب ابن القيم ومنها إغاثة اللهفان، ومدارج السالكين، فعلت همته لتهذيبه وأسماه «بُغية القاصدين»، خاصة لما طبع وانتشر كتاب «تهذيب مدارج السالكين» لمحمد الراشد وهو نفسه عبدالمنعم العزي، الذي أظهر الإمام ابن القيم كأنه صوفي.
- يقول الشيخ عبدالرحمن السليم رحمه الله: (يتميز الشيخ في **فَهمِه التَّام** لقضايا الاعتقاد والمنهج، بل **لم أجد انتقاداً ولا مرةً واحدة مِن كبار العُلماء على عقيدة ومنهج الشيخ عبدالله**، -حتى أن الشيخ ابن باز كان يُخصص لنا يوماً للكويتيين كل أسبوع أيام دراستي في الرياض-،

بـل تجـد ثنـاء العلـماء عليـه كالشـيخ ابـن بـاز وابـن عثيمـين والفـوزان والعَبّـاد).

- ويقـول كذلـك: (لمـا وَصَلَـت رسـالة الشـيخ بومعاويـة «الرحمٰـن عـلى العـرش اسـتوى» لنـا في الريـاض؛ انبهرنـا مِـن فرحـة الطـلاب بهـا، حيـث أن بـاب الأسـماء والصفـات فيـه تـزل أغلـب الفـرق والطوائـف، فأثبتـت هـذه الرسـالة ثبـات عقيـدة الشـيخ، ولـه رسـائل في الـرد عـلى شـيخ الأزهـر، وعـلى القبوريـين .. ولديـه نظـرة شـمولية في كيفيـة النهـوض بالأمّـة). [١]

- ومـن **الكُتـب التـي دَرَّسـها** الشـيخ أبومعاويـة كذلـك وقرأهـا في مجالسـه بشـكلٍ عـام: «الأدب المفـرد» للإمـام البخـاري، و«كتـاب الإيـمان مـن صحيـح مسـلم»، و«فقـه السـنة» لسـيّد سـابق، و«إحيـاء علـوم الديـن» للغـزالي مـع التنبيـه عـلى زلاتـه، و«العواصـم مـن القواصـم» لابـن العـربي المالكـي، و«العقيـدة الطحاويـة»، و«منهـاج السـنة» و«رفع الملام»، ورسـالة «الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر»، و«الحُسـبة»، وجـزءاً مـن «اقتضـاء الـصراط المسـتقيم» كلهـا لشـيخ الإسـلام ابـن تيميّـة، وشَرحَ بعـض أبـوابِ أحاديـث «اللؤلـؤ والمرجـان فيـما اتفـق عليـه الشـيخان»، وبعـض أحاديـث «بلـوغ المـرام»، وجـزءاً مـن «تفسـير البغـوي»، و«الموافقـات» و«الاعتصـام» للشـاطبي، و«أصـول السـنة» للإمـام أحمـد، و«اعتقـاد أئمـة الحديـث» للإسـماعيلي، و«شرح السُّـنة» للبغـوي، و«شرح السـنة» للبربهـاري، و«اختصـار علـوم الحديـث» لابـن كثـير، وكتـب الشـيخ محمـد بـن عبدالوهـاب، وغيرهـا كثـير، عـلاوة عـلى إقامـة الـدورات الشرعيـة

(١) في لقاء برنامج (موكب النبلاء).

والـدروس العامـة في المسـاجد والدواويـن.

- وكان رحمـه الله يقـرأ أيضـاً في عِـدّة مجـالات غـير علـوم الشريعـة، فـكان يهتـم بـالأدب والتاريـخ والسِّـيَرَ الذاتيـة للمصلحـين والمؤثريـن والرؤسـاء وغيرهـا، مهتـماً بالثقافـة العامـة.

- كانـت علاقتـه بالشـيخ **د.صالـح آل الشـيخ** قويـة، يُشـارك معـه في بعـض المؤتمـرات، وكان يسـأله أن يرشـح لـه بعـض الدعـاة في بعـض البلـدان، ومـرةً اتصـل **الشـيخ صالـح** عليـه -وكان الشـيخ عبـدالله يومئـذٍ في زيـارة دعويـة بأمريـكا سـنة ٢٠٠١- فأرسـلَ لـه دعـوة للمشـاركة في **مؤتمـر بالدّنـمارك** -وكان أغلـب المشـاركين مـن جماعـة الإخـوان المسـلمين- فأعطـوا الشـيخ ورقـةً عـن الطهـارة -ظنـاً منهـم أنهـم ضَمِنـوا ألا يتكلـمَ عـن المنهـج والعقيـدة-، توجـه الشـيخ أبومعاويـة إلى السـفارة هنـاك لأخذ التذاكـر للسـفر، فلـما جـاء وقـت مداخلتـه قـال: أنـا أعتـبُ أن المحـاضر تكلَّـم عـن الطهـارة الحِسـيّة ولم يتكلـم عـن الطهـارة المعنويـة! .. ثـم تكلّـم أن عـلى العبـد أن يعـرف ربـه وصفاتـه وأسـماءه، والطهـارة المعنويـة أولى مـن الطهـارة الحسـية .. **فتبسـم الشـيخ صالـح لصَنيعِـه وفِطنَتِـه.**

- ويخـبرني أبوعمـر محمـد هـادي: (كان الشـيخ عبـدالله يقـول لي: كلـما ذهبتُ إلى الريـاض زُرتُ **الشـيخ بكـر أبوزيـد** رحمـه الله وتغدَّيـت عنـده، وكذلـك الشـيخ **صالـح الفـوزان**، والشـيخ **صالـح آل الشـيخ** حفظهـما الله).

- تميـز الشـيخ رحمـه الله **بكثـرة تواصلـه مـع العُلـماء، ودعـاة السُّـنة في مُختلـف دول العـالم**، وهـذا ممـا يحتاجـه طالـب العلـم والداعيـة، فقـد أدرك الشـيخ أهميـة ذلـك وضرورتـه، وكـم عانـىٰ رحمـه الله في هـذا الأمـر لمـا كان بعـض الدعـاة يسـعى إلى فصـل الدعـوة عـن العلـماء، والتزهيـد فيهـم تصريحـاً أو

تلميحاً، فوَقَف الشيخ لهم ودعا للارتباط بالعلماء، والحث على ذلك، وهذا الارتباط والتواصل من أهم ما تحتاجه الدعوات؛ لأن الدعوة لا تكون إلا بالعِلم، **ولا بُدّ أن يكون الموجِّهون للدعوة والمرشدون لها هم العُلماء لا أهل السياسة أو غيرهم**، فكان رحمه الله يرجع إليهم ويسألهم مشافهة ومكاتبةً في كل ما يتعلق بالعلم والدعوة والمنهج.

- **فمن أولئك العلماء**: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، فكان كثيراً ما يتردد عليه ويسأله ويستفتيه ويحرص على لقائه في مجالسه الخاصة والعامة، وكان الشيخ ابن باز يُقدِّره ويسمع منه، وكان إذا أراد أحد طلاب العلم تزكيةً من الشيخ ابن باز؛ فإن عَلِم أنه من الكويت طلب منه تزكية من الشيخ عبدالله السبت أولاً حتى يُزكيه الشيخ ابن باز رحمه الله.

- ومما اشتُهر وشَهده الكثير: أنه ما من أحد يأتي للشيخ ابن باز ويخبره أنه من الكويت؛ إلا ويسأله عن الشيخ عبدالله السبت وتبليغه السَّلام، وإذا اتصلت به «جمعية التراث» إلا ويسأل عن الشيخ عبدالله، رحمهما الله.

- وكتَب د.محمد الشويعر -مدير مكتب الشيخ ابن باز رحمه الله- مقالة نُشِرت[(١)] بعد وفاة الشيخ أبو معاوية توضح علاقته بالشيخ الإمام عبدالعزيز بن باز رحمهما الله، فمما جاء فيها:

(.. توطَّدت الصلة بينهما، وطالما تناول الطعام عند الشيخ في مكة أو الرياض والطائف - رحمهما الله وجمع بينهما في مستقر رحمته وجنته - وإن

(١) نشرت بمجلة الفرقان بعنوان «الموت حق»، بتاريخ ٢٥/ ٩/ ٢٠١٢م.

المرء مع مَن أحب .. **حيث ارتاح له الشيخ كثيراً**، وقد تابعت الجلسات معه والشيخ والأسئلة ؛ لأن أكثر حديثهما رحمهما الله كان عن أخبار العالم الإسلامي، وهموم المسلمين، في كل مكان، ومع ذلك لم يتناول شيئاً غير الحديث عن العلماء الذين يعرفهم الشيخ عبدالله، والحديث في الكتب مطبوعة ومخطوطة، وما ينشر عن أوضاع المسلمين وأخبارهم التي تُذاع في كلِّ مكان، وتهم كل مسلم، ومنها المؤلم الذي يقابل بالدعاء، لعل يفرج كربات المسلمين أينما حلوا، لكنّ الإنسان لا يملك إلاّ التوجّع والدعاء.

وكان الشيخ ابن باز -رحمه الله- **يستأنِسُ برأي الشيخ عبدالله في ترشيحه وتزكيته لبعض الدُّعاة في العالم، على حساب الشيخ ابن باز رحمه الله**).

ويقول أيضاً: (وأخونا أبومعاوية عبدالله بن خلف السبت -رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه جنة الخلد- قد عرفتُه منذ زمن، وكان **صادقاً في محبّته وأُلفته، عفّ اللسان، ولا يرمي بهمومه على الآخرين**، بل هو مع طموحه راضٍ بما قسم الله له.

وكان أول لقاءٍ بيني وبينه في بيروت، عندما كنت أدرس وأطلب العلم التربويّ، في المعهد أو المركز الإقليمي، وفي وقتها كنت حديث عهد بالعمل التربويّ والتّعليميّ.

وكان اللقاء الأول والتّعارف الأخويّ، في مكتب ومكتبة الشيخ: زهير شاويش، من رجال سورية الذين هربوا منها بعد الثورات، فكان لِقاءً أخوياً، تعارَفَت به القلوب، وتمازجت الأفئدة والأرواح.

فعرفت في أبي معاوية، **الوضوح، ودماثة الخُلُق، وتقارب الرؤى،**

.. وأبومعاوية قد بان لي من ذلك اهتمامه بالكتب والبحث العلمي، وصدق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «الأرواح جنود مجنّدة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»، **فتآلفت القلوب** من ذلك الوقت لله وفي الله، ولم يدخل فيها حّب الدنيا والتكاثر، فكان كلّما مرّ بالمملكة أول ما يبدأ بلقائي، وزرته مرّة في الكويت.

وكان واضحاً في حديثه، مُؤدباً في عرضه للأمور، **صادقاً في عاطفته الدّينيّة، مع تحسُّسه آلام المسلمين في كل مكان**، وكان يعرض عليّ بعض الأمور التي تحتاج الشفاعة، فكانت رابطة الدّين هي الوشيجة فيما بيننا وبينه، تعاون وألفة وأخوّة، بدون تبادل مصالح.

.. ومن أدب الشيخ عبدالله خلف السبت، وحُسنِ خُلُقه وطيب مجلسه، **أنني لم ألمس منه تناولاً، ولم أعرف أنّه تَناول سيرة أحدٍ بالقدح أو عرضها، أو تزلّفاً بالمديح**، ولم يَشْكُ إليه أو يطلب وساطة فيما أعلم، لكنّه يملك التّوجع لحالات بعض الأفراد، الذين يبثّون شكواهم إليه، ويُفْصِحُ بذلك، وقد أبدى لي نوعاً من ذلك، وعرضتها على سماحة الشيخ غفر الله لهما، فأعان الشيخ بما يملكه، آخذاً من قول الشاعر:

فلا بُدّ مِن شَكوى إلى ذي مُروءَةٍ ... يُواسيك أو يُسلّيك أو يَتوجَّعُ

والتوجع كان يُعبر عنه بالدعاء بما فيه الخير للمسلمين أفراداً أو جماعات.

وأعرف عنه عِفّة اللسان في شؤونه الخاصة مما يرغّب الناس فيه ومحبّته؛ تطبيقاً لحديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، للرجل الذي سأله عن عمل: يحبّني الله، ويحبّني الناس فقال له: «ازهد في الدنيا يحبّك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبّك الناس».

ورغـم مـا يمـرّ بـه مـن أزمـات، ومشـكلات، فإنّـي لم **ألحـظ عليـه تبرُّمـاً ولا شَـكوى** ..، **فهـو لم يَـرمِ مُشـكلاته عـلى الآخريـن، بـل يتحمّلهـا في نفسِـه**، .. ونرجـو مـن الله لـه الفـوز برضـوان الله وجنتـه، التـي عَرضُهـا السّـموات والأرض، أُعـدّتْ للمتّقيـن، وأنْ يكـون مـع الفائزيـن بهـذا). ا.هــ.

- ويحدثنـي أبـو عبدالمحسـن خالـد العبدالمحسـن: (مـن مواقـف شـيخنا الشـيخ أبي معاويـة عبـدالله السـبت رحمـه الله ورفـع درجتـه وتجـاوز عنـه، كان في يـوم مـن الأيـام في بيتـه بالفيحـاء -وكنـا نـزوره يوميـاً تقريبـاً، بعـد صـلاة العـصر وبعـد العشـاء، وهـذا سـنة ١٩٨٤م تقريبـاً- دخلـتُ عليـه، وإذا برجـلٍ نَجـدي شـايب كبـير في السـن، أبـرَص، يلبـس دشداشـة بيضاء وشـماغ أحمـر، وجَلسـنا نتقهـوى، وبعدهـا اسـتأذن الرجـل وقـال: السـلام عليكـم، فقـال الشـيخ أبومعاويـة: أتعرفـون مَـن هـذا؟ قُلنـا: لا، والله مـا نعرفـه، فقـال: **هـذا الشـيخ ابـن غديـان**، فتعجَّبنـا، فقـال: أنـا مِثلكـم، أتـاني فجـأة وضرب البـاب وأخـبروني أن هنـاكَ رجـل ينتظـرك بالخـارج، فأدخلتُـه ورحَّبـتُ بـه وقهويتـه، ثـم سـألته: مَـن حضرتـك؟ فقـال: **عبدالله ابـن غديـان**، عضـو اللجنـة الدائمـة للإفتـاء، فتفاجـئ الشـيخ! وألَـحَّ عليـه بالغَـداء فوافـق .. يُسـتفاد مـن ذلـك: بيـان **مكانـة الشـيخ عبـدالله عنـد أهـلِ العلـم**، ومعرفتهـم بـه).
- زكاه الشـيخ **أحمـد بـن حجـر آل بوطامـي** البنعـلي رحمـه الله، شـيخ قطـر، فقـال في مقدمـة كتابـه «تطهـير الجَنـان»: (فـما أن ظَهَـرَت الطبعـة الأولى لرسـالتي «تطهـير الجنـان والأركان عـن درن الـشرك والكفـران» في شـهر ذي القعـدة سـنة ١٣٩٠هــ إلا وتقبلهـا الكثـيرون مـن القـراء الأفاضـل، وحـازت لديهـم القبـول والرضـا والاستحسـان. وقبـل نفـاد نسـخها

بقليل، سَعىٰ أخونا في الله الفاضل الشيخ عبدالله بن خلف السَّبت الكويتي، **أحد الدُّعاة إلى الدين القَويم، والتَّمسك بالوحيين، ونبذ ما عَداهما**، إلى إعادة طبعها ثانية، وطَبَعها أحد المحسنين بالكويت في شوال سنة ١٣٩٢هـ».

- يقول أ.د. **عاصم القريوتي**[١]: (رحم الله أخانا الشيخ أبا معاوية عبدالله السبت رحمه الله، ولقد رأيت في زيارتي له في مرضه -قبل شهرين من وفاته- **حرقته على تفرّق المسلمين، وغيرته على الدين**، فاللهم ارحمه).
- وأرسل لي الشيخ **سليمان الخراشي** رسالة مكتوبة[٢]، يقول فيها: (رحم الله الشيخ عبدالله السبت «أبومعاوية»، كنت معجباً بأشرطته التي كنت أشتريها من التسجيلات في مدينة الرياض، وكان صوته الرَّخيم يلذ مسمعي. اتصلت به بعد سنوات لما علِمت بدار الفتح التي يُشرف عليها لعله يطبع كتبي، وخاصة (فهمي هويدي في الميزان)، فوافق، إلا أن «جمعية إحياء التراث» لم تُوافق، رُغم محاولاته، لأنهم لا يُريدون أن يَختَطّوا خط الردود، وهم مَعذورون في هذا الموقف. زُرته في الإمارات فوجدتُه مريضاً، فجلست معه قريباً من الساعة؛ تناقشنا في عِدّة مواضيع ..).
- يقول الشيخ بدر البدر: يكفي الشيخ عبدالله السبت شرفاً أن الدعوة السَّلفية بالكويت قامت على أكتافه، وكانت لا تُعرَفُ إلا به.

(١) في تغريدة كتبها بحسابه في موقع (تويتر)، وهو أستاذ السنة النبوية بجامعة الإمام محمد بن سعود.

(٢) بتاريخ ١٢/ ٣/ ١٤٣٦هـ الموافق ٢/ ١/ ٢٠١٥م.

- وكتب الشيخ **عَوّاد فريحان السعيدي** رحمه الله مقالة نُشرت فقال: (.. وحضرت له درساً في مخيم الجهراء على طريق المطلاع، وكان الشيخ عبدالله السبت يتحدث عن التَّمسُّك بالسنة والحرص على منهج السلف، **كان كلامه سَلساً**، ولم يكن يبحث عن غريب اللغة؛ ليبهر به السامعين، أو يذكر غريب القصص؛ ليبلغ به إعجابهم، **كان حديثه مباشراً ومُقنِعاً مُدعماً بالأدلة والبراهين، وآتاه الله حُجَّة بالغة،** فما أذكر أحداً ناقشه إلا اقتنع برأيه أو تبيَّن للحاضرين قوة قوله.

كان - رحمه الله - **هَمزةَ الوصلِ مع الجماعات السلفية في العالم كله،** ويُتابع أخبارهم، ويراسِل الدعاة، كما كان يهتم بطلاب البُعوث في المعهد الديني؛ ليكونوا دعاةً في بلادهم.

قبل سنواتٍ قال لي أحد المشايخ الكبار من السنغال: إن للشيخ عبدالله السبت فضلاً كبيراً عليّ في التوجه للعقيدة السلفية والدعوة إليها. كما كانت له صلات بالعلماء السلفيين كهيئة كبار العلماء ولا أعرف أحدهم رد عليه أو انتقده في قول.

وفي أوائل التسعينيات مَرّت السلفية بمخاض عسير كاد يحرف مسيرتها عن معين السلف الصالح إلى التأثر بمقالاتٍ الجماعات الأخرى وأفكارها، فقيّض الله الشيخ عبدالله السبت وبعض إخوانه في «جمعية إحياء التراث الإسلامي» للسَّير بالسفينة إلى برّ السلام، من خلال كتابه «منهج الجمعية في الدعوة» الذي عُرض على الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله فقَرَّر الموافقة عليه والحث على الالتزام به؛ لأنه تقرير لمنهج السلف. وخالف بعض الإخوة بعض ما جاء فيه، وقرَّروا ترك الجمعية، وكوّنوا كياناتٍ وجماعات أخرى.

سوف **نذكرك يا أبا معاوية** بين إخوانك وأحبابك وطلابك ولن ننساك، وسوف تبقى أقوالك وتوجيهاتك السلفية تَصدح في آذاننا وأسماعنا، ونذكرك في دعائنا وسجودنا، ولن يموت ذكرك يا شيخنا، ولن تنقطع أعمالك بمشيئة الله، فكم من سُنّة أحييتها، وكم من داعية وجَّهته، وكم من دعوة دعمتها، وقوّمت طريقاً، رحمك الله رحمة واسعة). (١)

- وهذه رسالة من **أحد الأخوة المغاربة** -وقد مكث فترة يُدرّس في مكتبة الشيخ- يقول: (مما أذكره أن الشيخ الفاضل عبد الله السبت رحمه الله **كان متواضعاً بشكل غريب** بالنسبة لمن في منزلته، وبالنسبةِ لقومه، ومن ذلك أني راجعته مرة في مسألة لُغوية حين كلّفني بمراجعة بعض مؤلفاته، فقال لي رحمه الله: أنتم أدرى مني بهذه الأمور، فاكتب يا شيخ تعليقاتك وملاحظاتك، وسأثبتها في الطبعات القادمة بعد مراجعتها، وكان مِن تواضعه: **جميل الإصغاء وحسن الإنصات**، يستمع إليّ ثم يناقشني بأدبٍ عالٍ، رغم أنه شيخي، فما ناداني قط إلا بالشيخ المغربي، ومن أوجه تواضعه: لاحظتُ عليه حين إقامتي عنده أنه يستضيف الضيوف كل جُمعة، ويأتي ببعض أولاده، ولا يَشرع في الطعام إلا إذا جلسَ الجميع على السُّفرة، مِن طبّاخ وسائق وحارس وطلاب بين الضيوف وبين أولاده، وسمعتُه مرةً ينادي -وقد شَرَع بعضهم في الأكل- أين إخواننا الأندونيسيين؟ وكان يقصد بعض عُمّاله رحمه الله، والمجلس فيه رجال الأعمال والشيوخ، بصراحة كان نموذجاً مثالياً في التواضع للمؤمنين، يتمثل قول الله ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ .

ومن تواضُعه وحبّه للمسلمين وسعيه في نفعهم: أنه كان يوصيني

(١) من مقالة له نشرها بمجلة (الفرقان) بتاريخ ١٧/ ٩/ ٢٠١٢م.

بتدريس عُمّاله في المكتبة وروادها، كما كان يوصيني بابنَيْهِ، من غير فرق، بل إن الشيخ يأتي بابنيه أحياناً لأراجع معهم، وخصوصاً الصَّغير، وإذا وجدني في درسٍ مع عُمّاله تركني وانصرف لمكتبه.

وأذكر كذلك أنني رتبت له -مدة إقامتي عنده- لِقاءً هاتفياً مع بعض طلبة العلم المغاربة، فاستفسروه في مسائل مختلفة، وسُجِّل اللقاء ليُنشر، وكان من سؤالاتهم أن طلبوا منه الكلام على داعية سلفي، للشيخ عليه ملاحظاتٌ في المنهج، ولما خُتِم اللقاء، قُلتُ له بأدب: شيخنا الفاضل حبذا لو حذفتم نشر هذا الجَواب عن سؤال إخواننا عن الشيخ «فلان»، فالعِبرة حصلت بجوابكم للسائلين، أما نشره لا فائدة تحته، غير توسيع دائرة الخلاف، فما زاد رحمه الله على أن قال لي: نحذِفه يا شيخ).

بواكير نَشأة الجَماعة السَّلفية في الكويت

- يحدثني د.خالد الصالح -وقد دوَّن هذه الأحداث-: (في منطقة الفيحاء وبالتحديد قطعة ٦ الممتلِئَة بالشباب، يتعرف أخونا عبدالرحمن الجريوي رحمه الله على شابٍّ يكبره بـ ٣ سنوات، وهو **أخونا عبدالله السبت** رحمه الله -كما يُخبرني عبدالرحمن بذلك-، وكان عبدالرحمن دائم الفرِح، والابتسامة لا تُفارقه، .. وكانت جماعة التبليغ تزور هذا المسجد «أحمد بن حنبل»، فالتقوا بهم وذهبوا معاً إلى مسجد التبليغ «عمر بن الخطاب» بالأحمدي، وقد أخذوا منهم في البداية فكرة زيارة البيوت ودعوتهم للصلاة بالمسجد وقد تحمَّسوا لهذه الطريقة ..).
- ويحدثني الأخ أبوعبدالعزيز بدر الصفران: (تعرفتُ على الشيخ أبومعاوية يوم الخميس ٢٥ يناير سَنة ١٩٦٨م -وكان قد كتبها الشيخ عبدالله في بعض أوراقه وأرسلها لي ابنه مُعاوية-، وبعدها أصبحنا أصدقاء من أول يوم، التقيتُ فيه بالمرقاب، وكان بيتنا هناك مقابل مسجد الحَمَد، الذي كان يخطب فيه الجُمعة الشيخ مصطفى زربول[1]).
- وضمن حواري معه **عن سبب تَبَنّي الشيخ عبدالله السَّبت للعقيدة والدعوة السلفية في الكويت**[2]، **وما بواعِث أو مُقدّمات لقيامها،**

(١) اطلعت على رسالةٍ كتبها الشيخ **مصطفى أحمد زربول** سنة ١٣٨٢هـ الموافق ١٩٦٢م موجهة إلى العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، يُظهر فيها كبير فضل الشيخ عليه وأنه سبب هدايته (القَريبة)، ومدى شوقه للُقياه في المدينة النبوية وحضور دروسه في الحرم النبوي. انظر كتاب (الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء ص٦٣٢) إعداد الشيخين: محمد الموسى ومحمد الحمد.

(٢) ويخبرني بدر الصفران: كان الشيخ أبومعاوية وهو في مرضه الأخير يقول لي: يا بدر، لازم تكتب

فيقـول:

كنـتُ مـع «عبـدالله» نُفكِّـر ونتناقـش أنـه إن لم توجـد دعـوة غـير دعـوة «جماعــة الإخــوان المســلمين» و«جماعــة التَّبليـغ»، فإنهـم سيُسَـيطِرون عـلى عقـول شـباب العـالم الإسـلامي، وهـذا سـيكون دمـاراً للأمـة، لسَـبَبين:

- **السـبب الأول**: أن «الإخــوان المســلمين» لا يحملـون دعـوةً حقيقيـة للاسـلام، بـل دعوتهـم دعـوةٌ سياسـيةٌ، أخـذوا الإسـلام وسـيلةً لبلـوغ الهـدف، وقـد لا يكتشـف ذلـك الشـاب منهـم إلا بعـد دهـرٍ مـن عُمـره، وأنـه يسـير عـلى حلـمٍ وليـس صوابـاً.

وخشـينا في ذلـك الوقـت أن يَكـره النـاسُ الإسـلام نتيجـةً لممارسـات الإخـوان، فلابـد ألا تأخـذ هـذه الجماعـة حُرِّيتهـا، ويجـب أن نـأتي بفكـرٍ آخـرَ غـير هـذا الفكـر الموجـود لديهـم.

- وكنـتُ قـد خالطـتُ «جماعـة الإخـوان» في جمعيـة الإصـلاح -ومقرهـا كان في أم صـده- قرابـة خمس شـهور، مـن شـهر ٨ سـنة ٦٧م، وكذلـك «عبـدالله» كان قـد خالطهـم، وكان «عُمـر الدَّايـل» مديـر جمعيتهـم حينهـا، فكنـت أزور المكتبـة فيهـا ومعـي صديقـي إبراهيـم اليوسـف.

- وبعـد هزيمـة سـنة ٦٧م (حـرب يوليـو)، كان الإخـوان يشـمَتون بــ «جَمـال عبدالنـاصر»، ويقولـون هـذا غضـبٌ مـن الله عليـه، وكنـا نُحـب

=بداية تأسيس دعوتنا السلفية في الكويت، كي يعرف الجيل القادم جهود الأخوة في الدعوة، وعن سبب قيامها، **وأننا لسنا بدعوة جديدة، وإنما هي امتداد لدعوة السَّلف**، فقلت له نرجو أن يكون العمل الذي ابتدأناه خالصاً لوجه الله تعالى، **وليس مِن مَغنم الدعوة أن تكون لأحدٍ الرِّيادة، وإنما مَغنم الدعوة أن نرى الدعوة تنتشر**، والحمد لله الهدف الذي نُريده تحقق في انتشار الدعوة في الكويت وخارجها، وجهود الأخوة الأوائل أثمَرت بتوفيق الله تعالى.

«جمال» حينها -وأغلب الكويتيين يحبونه كذلك-، فكتبتُ ورقة في الجمعية: «الإخوان المسلمون عُملاء الاستعمار»، وكنتُ أريد إثبات أن «جمعية الإصلاح» تبعٌ للإخوان، ولما رأى الورقة أحدهم قال: هذا غير صحيح وأخذ يُدافع، فلما خرجنا قلت لصاحبي: هل صدَّقت أنهم منهم.

- وبعدها تساءلنا: هؤلاء ضَرَبهم جمال عبدالناصر، فلماذا يضربهم لو لم يريدوا الحُكم؟!، فصراعهم معه للدنيا، وليس صراعاً لأجلِ الدِّين! علاوة على تكفيرهم له، فكيف يُكفِّرونه وكنتُ أرى أنه يصلي ويصوم ويذهب لأداء العُمرة!

فقُلنا هذه مصيبة **إذا تزعَّموا غداً أمرَ المسلمين**؛ فإنهم سيُكفِّرون من يُخالفهم، وكنا نعرف هذا الأمر عند النقاش معهم، فيقولون: أليس الحُكّام أباحوا الرِّبا وشُرب الخمر، أليس ذلك تحكيمٌ لغير شرع الله؟! والآية تقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، فهل الشريعة عندهم تُطبَّق؟ وهل الحدود تُطبَّق؟! فإذا كان هؤلاء الحُكّام كفار، فيجوز حينئذٍ قتالهم، وحينها تكونُ مجاهداً بنظرهم! وهذا فكرهم من تلك الأيام إلى اليوم، تغيَّر الأسلوب والفِكر واحد.

- وكنا يومها -مع صِغر أعمارنا- نقرأ كثيراً، قد قرأنا كتاباً لحَسَن البنّا وأظنه «رسائل الدعوة»، وهو معروف ومتداول عندهم، فلم أجد فيه شيئاً يُذكر ذا قيمة، فأيّ واحد يستطيع أن يأتي بمِثله، فيه حماس ولكن لم يكن فيه علمٌ، وقرأنا كذلك كتاباً لسيِّد قُطب «معالم على الطريق».

ولما نجلس معهم ما نجد عندهم العلم الشرعي، فقط كُتب البنّا وسيّد، وعندهم تنظيم (الأسرة)، وشَعُرنا تجاههم **بالغُموض**، وأذكر أني ناقشت أحدهم وقد استَدَلَّ بحديثِ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَن ماتَ وليسَ في عُنُقِهِ بَيْعَة، ماتَ مِيتَةً جاهِليّة)، وأن الحُكام الآن لا يستحقون البيعة، فسألته عمن يستحقها؟ هل هو شخص مجهول!

وفي نفس الوقت كنا نقرأ عن فكر الإلحاد وكان منتشراً، وعن التَّشيُّع، والشّيوعيّة، وقد أعطاني «عبدالله» كتاب «البيان الشُّيوعي» لماركس وإنجلز، وكان ذلك شهر ٩ سنة ٦٨م، ولو لم يَكن عِندي خلفيةٌ إسلاميةٌ لـصِرت شيوعياً، لِقُوة الطرح والأسلوب فيه بدرجة كبيرة، .. فقرأنا عن تنظيم الشيوعيين وأسلوبهم، وكأن هؤلاء «الإخوان» يستخدمون نفس الأسلوب، مع اختلافٍ بالصورة الإسلامية، والشّيوعيّون يَحملون الفكر الملحد، حتى لدرجة أننا قُلنا: هل يُدير هذين التَّنظيمين شخصٌ واحد؟!

فكان هدفهم: تكوين أفرادٍ مطيعين لهم طاعةً عَمياء، لا يَسألون ولا يُعارضون، فرأينا ذلك كأنه تَعبيدٌ للناس لشيءٍ ما.

- **السبب الثاني**: لما كنّا نذهب إلى جماعة التبليغ بالأحمدي -وكنا نركب المواصلات مع رشيد عبدالإله-، كنا نقرأ من كتاب «حياة الصحابة» للكاندهلوي، وفيه ذكر أحداثٍ غريبة -وكنت قد قرأت بعض قصص الأساطير مثل: السِّندباد، وجلفر في بلاد العمالقة، وألف ليلة وليلة-، فكأنها تُشابه هذه القصص، ففيها الكثير مِن الخَيال!

فكنا نتسائل: هل هذا الكلام صحيح أم لا؟ ونعرف أن المعجزات للأنبياء، وكذلك تُذكر الأحاديث الغريبة التي لا يستطيع العقل استيعابها،

وكنا لا نعرف حينها أن هناك حديثاً صحيحاً وآخر ضعيف مردود.

فرأينا أن هؤلاء الناس طيبين ونيتهم صادقة، ولكن مصادر العلم لديهم لا نَعرفها، علاوة على تركهم السياسة تماماً، فقُلنا أن الإسلام عظيم، وليس كما هم يفعلونه من «دَروشة»، فكيف سينتشر؟! وخاصة أن المعنويات كانت متحطّمة تماماً بعد هزيمة ٦٧م، فقلنا إن هؤلاء: قد يريدون الحق ولكن قد لا يَصِلون إليه.

فكانت هذه نوعاً من المقدمات، **وكان هذا الحَديث الذي يدور بيني وعبدالله سنة ٦٨م.**

- وفي شهر ٨ من سنة ٦٨م جلسنا بقَهوة كيلوباترا بالمرقاب -بجانب بيت التمويل الرئيسي حالياً-، نُفكِّر ونَتناقش: فقال لي عبدالله: الإخوان منهجهم سيء، والتبليغ طيبين ولكن لن يصلوا إلى شيء، **فلابد أن نُنشِئ جماعة**، ليس فيها فِكر «الإخوان»، ولا شَطَحات «التبليغ»، فكانت هذه الجلسة بداية التَّفكير في الانفصال عنهم، وأن نَضع لنا منهجاً .. فلا هؤلاء يَصلُحون، ولا أولئك، فالتبليغ لن يقودوا المسلمين، والإخوان سَيرَكبون على ظهور المسلمين حتى يصلوا إلى هدف الدولة.
- ووضَعنا لأنفُسنا منهجاً **نركز فيه على الصَّحيح من الأحاديث**، وقلنا نتمسَّك بصحيحي البخاري ومسلم فقط، لأن الأمَّة اجتمعت عليهما، وكل حديثٍ يأتينا في غيرهما نَرُدّه، وكانت هذه بداية التفكير.

ولم يستمر هذا الأمر طويلاً، فتساءلنا بعدها: لماذا البخاري ومسلم صحيحين؟ فبدأنا نقرأ عن معنى الحديث الصحيح والضعيف، فعرفنا أن

هنـاك عِلـماً باسـم «**مُصطلـح الحديـث**»، وكان عبـدالله أفهَمنـا فيـه، فبدأنـا في قـراءة بعـض الكتـب في ذلـك.

في ذلـك الوقـت كنـا نحـضُر درسـاً للشـيخ عمـر الأشـقر يـوم الثلاثـاء بـين المغـرب والعشـاء بمسـجد الحَمَـد، وللشـيخ عبدالرحمـن عبدالخالـق درس في منطقـة حـولي، وكان أغلـب الحضـور مـن جماعـة الإخـوان.

- **ابتدأنـا مـع الشـيخ عبـدالله السـبت في مسـجد الإمـام أحمـد بـن حنبـل رحمـه الله سـنة ١٩٦٨م شـهر ٩ تقريبـاً، بـدرسٍ أسـبوعي في قـراءة كتـاب «فقـه السـنة»** للسـيد سـابق، وكذلـك كتـاب «إحيـاء علـوم الديـن» للغـزالي، ولمـا عَرفنـا أن فيـه تصوّفـاً وخُرافـات تركنـاه، وكان يحضـره: أنـا، وخالـد الخضـير، وعِـماد عبدالرحمـن رحمـه الله –وكان يُحفّظنـا القـرآن–، ويوسـف الجريـوي، وعـلي العمـر، .. وبعدهـا سـافر أخونـا عبدالرحمـن الجريـوي لدراسـة الهندسـة، ثـم بـدأت تتطـور الأمـور.
- بعـد **سَـنتين** إلا قليـلاً انتقلنـا مـن مسـجد أحمـد بـن حنبـل **إلى مسـجد العبدالجليـل**، لأن وزارة الأوقـاف خصَّصـوا لنـا غرفـة فيـه، تكـون كالمقـر لنـا: للنقـاش والبحـث الشرعـي وفيهـا مكتبـة، نقـرأ ونجتمـع فيهـا بـكل وقـت.

وتوسَّـعت الدعـوة أكثـر ولله الحمـد، وممـن أذكـر مِـن أخواننـا: عبـدالله العمـيري رحمـه الله بالعديليـة، وجاسـم العينـاتي وسـليم السـليم رحمـه الله بالنزهـة، وغـازي الرشـيدي رحمـه الله بالروضـة، ومحمـد الشـيباني بكيفـان، وسـليمان مَعـرَفي).

- ويقـول د.خالـد: (وفي صيـف عـام ١٩٦٨م أي بعـد سَـنَةٍ مـن الإحبـاط

-بعد حرب إسرائيل على أمة الإسلام في نكسة شهر ٧ سنة ١٩٦٧م (حرب يوليو) وقد دَخَل الوَهن في القلوب- **تجمَّع معهم في مسجد الفيحاء** قِلّة من الشباب، وتعرَّفوا على مجموعة من الشباب في قطعة ٧ بالفيحاء هم: خالد الخضير وعادل النشمي وفيصل الياقوت، وكان عبدالله السَّبت -الذي يبلغ من العمر ٢٢ عاماً- قد تعرَّف على الأخ مساعد العبدالجادر من منطقة الشامية -وكان هو وخالد الخضير يقودان السيارة بأنفسهم-.

- وبعد ذلك تعرّفوا على يوسف الجريوي -أخو عبدالرحمن- والذي التقى بي وبالأخ عبدالرزاق السالم عند محطة باص رقم ١٧ المقابلة لقطعة ٦، ودعانا لمحاضرة للشيخ محمد الأشقر -والذي كان يعمل أميناً لمكتبة الأوقاف، وهو محدِّثٌ على منهج السلف- يُلقيها في مسجد العبدالجليل، وكان هذا في يوليو ١٩٦٩م، **وهناك تعرَّفنا على الأخوة جميعهم**، وربما يكون هذا اللقاء الأول فاتحة خير لنا جميعاً .. وفي نفس العام في شهر ٩ **تعاهَدنا على أن تكون الجماعة مُنظَّمة**، والتي اقترح أخونا عبدالله السَّبت تسميتها «الجماعة السَّلفية»، وكانت الجماعة مكونة -مع من سَبَق ذِكرهم- من: عبدالله السبت، مساعد العبدالجادر، خالد الصالح، خالد الخضير، عادل النشمي، فيصل الياقوت، عبدالله الخُضري، عبدالرحمن الجاسر، **كانوا النواة الأساسية**، وأما أخونا عبدالرحمن الجريوي فلم يتواجد في تلك الفترة كثيراً، وأخوه يوسف قد غادر إلى الولايات المتحدة لاستكمال دراسته.
- وأذكر من إخواننا كذلك: بدر الصفران، عبدالله العميري، جاسم الشريدة، عادل المطوع، والذي دعا أخوه عبدالرحمن المطوع، وسُرعان

ما بدأت حركة الشباب تزداد، وفي **أقلَّ مِن سَنَة** صار عدد الشباب يفوق الخمسين، منهم: عبدالوهاب السّنيّن، يوسف الرشيد، عادل البرجس، غانم النجار، مرعي المرعي، محمد العمهوج، وغيرهم.

- ثم بدأ بعد ذلك بعض الأخوة الذين يكبروننا سناً منهم: بدر العبيد، جاسم العون، عبدالله الخالد، وقد كنت أُدرِّس البعض دروساً في التجويد، حيث كنت مُهتماً بذلك.

- وفي صيف عام ٧٠م اجتمعنا حوالي ١٠ أشخاص بطلب من الأخ عبدالله السبت على شاطئ البحر ليلاً، بناءً على طلب الأخ مساعد العبدالجادر، وهناك أخبرنا أنه قرر تركنا والالتحاق بجماعة «الإخوان المسلمين»، التي بَدَأت تنشط بين الشباب -وكانوا قبل ذلك يُركِّزون ويهتمون فقط بدعوة كبار السن-، حيث لاحظوا إقبال الشباب على الجماعة السلفية .. وشعرنا في ذلك الوقت بالتهديد الذي تُشكِّله جماعة الإخوان، لأنها كانت تتواصل مع شبابنا وتدعوهم لتركنا، مثل بوسالم مساعد العبدالجادر وهو بدوره دعى أخونا عادل الفلاح إليهم ..

- فقُمنا بعدها **بتكثيفِ الحَلَقات في المساجد**، وتعلَّمنا «أصول العقيدة» عند الشيخ محمد الأشقر، وتلقَّينا بعض الدروس من أخيه الشيخ عمر الأشقر رحمهم الله، وفي اللغة «ألفية ابن مالك» عند شيخ مصري بمسجد بالشامية -ولازلت أحفظ أول أبياتها-.

- ثم بدأت الدعوة بازدياد، وتواصلنا مع الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق -وكنا ننظُر إليه أنه محسوبٌ على الإخوان، ولكن شَعرنا أنه صار يقترب مِنّا أكثر-، ثم ازدادت حلقات التعليم، وكان هناك حلقة يُشرف عليها الأخ عبدالله السبت أسبوعياً في مسجد عبدالله الخلف

بقطعة ٤، وأخرى كنت أشرف عليها في مسجد أحمد بن حنبل، وأدى ذلك لدخول العديد من الشباب منهم: عبدالرحمن الجوهر، وحاي الحاي).

- ويقول بدر الصفران: (في سنة ٧٠م بدأنا نُفكِّر أنه لو مات الانسان فَعَن ماذا سيُسأل؟ عن عقيدته، **فإذا كان اعتقاده صَحيحاً يَنجو،** ويومئِذٍ قد ظهر الشيخ «حسن أيوب» في حولي بمسجد العُثمان، والداعية «حسن طنّون» الخطيب المفوَّه، فكنا نحضر لهم ونسمَع مِن الجميع ..
- فبدأنا نقرأ في التوحيد والشِّرك ومظاهره، فقرأنا كتاب «تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد»، وكنا نحضر دروس المشايخ: عمر الأشقر وعبدالرحمن عبدالخالق ومصطفى زربول، فكانوا يتكلَّمون عن التوحيد ضمن دروس التفسير، وليس مِن ناحية منهجية تأصيلية.
- وصِرنا نقرأ من كتاب «المِلل والنِّحَل» للشَّهرستاني، و«الإبانة عن أصول الدِّيانة» وقد قرَّرنا دراسته على جميع الشباب، كي نرفع من مستواهم العِلمي، ونبين أن الشيخ أبوالحسن الأشعري رحمه الله رجع عن معتقده إلى العقيدة الصحيحة، وهذا الكتاب يُوضِّح ذلك.
- فكانت هذه الدُّروس عن الفِرَق ونشأتها ومواضع اختلاف أهل السنة معها؛ **تُعطي الدَّارس تَصوراً ووضوحاً في المنهج.**

فوضعنا منهجاً تأسيسياً لدراسة الكتب في العقيدة والحديث، وبعدها مَن أراد التَّوسع له ذلك.

- وفي سنة ٧١م تقريباً اشترينا كتاب «**المعجم المفهرس لألفاظ الحديث**

النبـوي» مـن «مكتبـة المثنـى» في بغـداد، بمبلـغ ٢٠٠ دينـار كويتـي، و«عبـدالله» هـو الـذي أتـى بـه، وكان هـذا الكتـاب عندنـا هـو العُمـدة في تخريـج الحديـث.

- ثـم عَرفنـا أن هـذا الـذي ندعـو إليـه يُسـمى «السَّـلفية»، وفرحنـا لما عَلِمنـا أن هنـاك مَـن سَـبَقنا إليهـا، وأننـا لم نـأتِ بدعـوةٍ جديـدة مبتَدَعـة، فالعقـل والمنطـق السَّـوي سـيوصلك إلى نفـس النتيجـة، مـع إرادة الوصـول للحـق).
- ويقـول د.خالـد: (وفي عـام ٧٢م وكنـت في الصـف الثالـث الثانـوي، بدأنـا نُركّـز جهودنـا عـلى المناطـق الخارجيـة -وإخواننـا مـن البـدو في الجهـراء وغيرهـا عندهـم الديـن بالفطـرة-، فبـدأت الأعـداد تكثـر، حتـى لم نكـن نعـرف كل الوجـوه التـي تتَّصـل بالدعـوة بفضـل الله، لأن الترتيـب زاد دِقَّـة، **وقـد تحمَّـل كثـيراً مِـنَ العمـل أخونـا عبـدالله السـبت، وفي الحقيقـة كان مجتهـداً** في العلـم والدعـوة، كان لا ينـام الليـل لأجـل ذلـك، وكان بيتـه في الفيحـاء وحَـوَلّي يأتيـه الـزُّوار باسـتمرار، **كان عمـدة أساسـية في** تأسـيس الدعـوة السـلفية.
- وقـد تـم تكليفـي بدراسـة للتوفيـق مـع جماعـة الإخـوان المسـلمين، لحرص السـلفيين عـلى جمـع كلمـة المسـلمين، ولكـن الأخ عبـدالله السـبت لم يُوافـق عـلى ذلـك؛ حيـث لم يثـق بهـم إطلاقـاً، واجتَمعنـا معهـم في بيـتٍ بمنطقـة العُمَريـة، فجلسـتُ معهـم جلسـتين؛ لتقريـب وجهـات النظـر، إلا أني شَـعُرتُ أنهـم ينظـرون إلينـا بفوقيـة، وغيرهـا مـن أمـور، واتضـح أن رأي عبـدالله السـبت هـو الصَّـواب ..
- وأذكـر في سـنة ٧٢م أتانـا محـاضراً في «ثانويـة كيفـان» الشـيخ حسـن أيـوب - مِـصريٌّ يكـره السـلفيين بشـكلٍ كبـير، أشـعريٌّ ومـن الإخـوان، وطبعـاً

الإخـوان مـا عندهـم مشـكلة مـع الأشـعري أو المسـيحي أو غـيره-، حيث تكلَّـم في مَـسرح الثانويـة في رمضـان، وكنـا طلابـاً سـلفيين حاضريـن، فلـماّ أجـاب عـن سـؤال: حكـم الـشرب حـال الأذان؟ فقـال: أنـت لـو في بـؤك (فَمِـك) ميـه (مـاء) ارميهـا، وكان عندنـا معرفـة في الحديـث، فكتبـتُ لـه ورقـةً فيهـا حديـث النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إذا سـمعَ أحدُكُمُ النِّداءَ والإنـاءُ عـلى يـدِهِ، فـلا يَضعـهُ حتّـى يقـضيَ حاجتَـهُ منـهُ) فقرأهـا العريـف، فأجـاب الشـيخ: **أنـا بقـول للجاهـل الـذي سـأل السـؤال، أن الحديـث دَه عليـه مائـة ألـف طعنـة!!** والحديـث قـد صححـه الشـيخ نـاصر الألبـاني، فواجهتـه بعـد اللقـاء وقلـت لـه: هـذا الحديـث صحيـح، فقـال: أنـت السـائل؟ أنـت جاهـل!، فقلـت لـه: أنـتَ لا تفهـم بالحديـث شـيئاً، وصـار بيننـا نقـاش كبـير، حتـى أن الطلبـة والمدرسـين حاولـوا تهدئـة الأمـر، حتى انتـشر الخـبر: أن السـلف يهاجمـون الشـيخ حسـن أيـوب!

- وأذكـر أننـي وعبدالـرزاق السَّـالم رحمـه الله كنـا نُخـرِّج أحاديـث صحيـح مسـلم عـلى شرح النـووي بذكـر موضـع الحديـث بالجـزء والصفحـة، حيـث عملنـا فيـه مـدة سـنتين بالعطلـة الصيفيـة، ثـم وجدتـه -كـما هـو وعليـه عملنـا- في مسـجد أحمـد بـن حنبـل قبـل أن يُهـدم ويُجـدد)[١].

(١) ويضيـف د.خالـد: (وفي سـنة ٧٣م قـرَّرت اسـتكمال دراسـتي، حيـث التقيـت صُدفـة **بـالأخ عنيـزي العنيـزي** الـذي تربطنـي بـه صلـة قرابـة، وأقنعنـي بالالتحـاق بكليـة الطـب بالاسـكندرية، لأن هنـاك شـباباً واعـداً، وفِعـلاً صرت أتابـع الشـباب بالاسـكندرية، وكنـت نائبـاً لرئيـس اتحـاد الطلبـة باسـم الجماعـة.. وهنـاك تعرفنـا عـلى الأخ أحمـد باقـر، .. وشَـهدنا بدايـات الدعـوة السـلفية في الإسـكندية، وكنـا نطبـع لهـم كتـاب «صفـة صـلاة النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» للألبـاني، ولم يكونـوا يَعرفونـه قبـل ذلـك، والكتـاب انتـشر بيـوم وليلـة، وأذكـر أننـا جمعنـا مبلغـاً مـع مجموعـة مـن الشـباب مـن أموالنـا الخاصـة لطباعـة الكتـاب بكميـات كبـيرة (مائـة ألـف نسـخة)، وأخذنـا إذنـاً مـن الشـيخ الألبـاني، بحيـث لمـا يُبـاع الكتـاب يرجـع صاحـب المكتبـة مـا دفعنـاه، ولكـن للأسـف باعهـا بأغـلى مـن التكلفـة، ولم يرجـع أموالنـا..

- ويخبرني الصَّفران: (وفي سنة ٧٣م شنَّت «جماعة الإخوان» حملةً علينا، بدعوة شبابنا إليهم، لتفتيت دعوتنا وإبعاد الناس من حولنا، .. فبدأنا بترتيب أمورنا أكثر، **وأقَمنا دَرساً يومياً بعُطلة الصيف،** بديوانية أخينا خالد الربيعة جزاه الله خيراً بالفيحاء، وأدخلنا بعضاً من الأمور الترويحية التي تسهم بجَذبِ الشَّباب يومئذٍ؛ كالمسابقات الثقافية وكرة القدم وألعاب الكنز وغيرها، وأذكر ممن كان معنا من الأخوة: عدنان العيدان، مساعد الدعيج، بكر النعيمي وأخوه عُمر، أحمد الجيران، عُمر السَّالم أخو عبدالرزاق رحمه الله، وغيرهم).

- وعند لقائي بالأخ فيصل الياقوت يقول: (في بداية السبعينيات صار يُسمع اسم «عبدالله السَّبت»، فبدأت «جماعة الإخوان» يتحركون ويخططون للقضاء على هذه الجماعة والمجموعة الجديدة -والتي لا يريدون قيامها ويرون أنهم لابد وأن يكونوا الوحيدين في الكويت- وصاروا يَخشون هذا الشخص الذي سيأخُذ الشباب منهم، ولذلك **بدأوا بحضور دروسنا** والمشاركة في النقاش، وأذكر ممن كان يحضر: خالد المذكور وعجيل النشمي -وكانوا حينها طلاباً في الجامعة- وعبدالله العتيقي، ثم صاروا يُقيمون دروساً في مساجدنا؛ لاحتوائنا وجذبنا إليهم.

- ومن الأساليب التي اتخذوها كذلك هي **إلحاق بعض شبابهم إلى مجموعتنا**؛ محاولةً منهم للتأثير علينا، ومن ذلك أذكر أنني **سافرت**

=طبعاً بعد سنة ٧٥م كبُرت الجماعة وتوَّسعت، وانضم أناسٌ كُثر، **وأستغرب لمن أتى للجماعة بعد ذلك ويقول أنني مُؤسس!** حتى أنا أتيتُ للجماعة في بدايتها التنظيمية وليس التكوينية، أي بعد الأخوة الخَمسة بسَنَة).ا.هـ

الحـج -وأظنهـا سـنة ٧١ أو ٧٢م- مـع أخـي مسـاعد الدعيـج **بحملـة ثانويـة صـلاح الديـن** وناظرهـا يومئـذٍ العـم حمـود الرومي[١]، ومعنـا كذلـك أخونـا سـليمان معـرفي -حينهـا كان مدرسـاً بالتربيـة- وأذكـر أحمـد القطـان -وأظنـه قـد تعـرَّف عليهـم في هـذه الرحلـة- والأخ فيصـل التـمار، وكان في الحملـة الشـيخ طايـس الجميـلي وعبـدالله العتيقـي، فهـم يحاولـون في هـذه الرحـلات جـذب الشـباب إليهـم.

علـماً أن عبدالعزيـز المطـوع رحمـه الله لـما كان في مـصر لغـرض التجـارة، **هـو الـذي تأثَّـر وأتـى بفكـر الاخـوان وشـخصيات منهـم إلى الكويـت**، وأثَّـر عـلى أخيـه بوبـدر عبـدالله المطـوع، وكان أهـل الكويـت يُحِبـون أي أمـرٍ دينـي، ولا يعرفـون عـن دعـوة الإخـوان وفكرهـم شـيئاً).

- ويُحدّثنـي الأسـتاذ جاسـم العـون: (بعـد شـهور مـن معرفتـي بهـم -سـنة ١٩٦٩م تقريبـاً-، أخـبرني عبـدالله السَّـبت أننـا نَـود ترتيـب الجماعـة -وهـم ليسـوا حزبـاً وإنـما جماعـة دَعَويـة-، فاختَرنـا عبـدالله السـبت يكـونُ مسـؤولاً علينـا، وكان عهـد -نتعاهـد أننـا ندعـو إلى الله ونجتهـد في هـذه الدعـوة، وليـس هنـاك سـمعٌ وطاعـةٌ فيـه- ..
- ثـم بعـد فـترة -تقريبـاً سـنة ١٩٧١م- أُثـير خـلافٌ بـين الشـباب: أننـا نريد تغيـير المسـئول، وأن عبـدالله يتفـرّد بالقَـرار، فحاولـتُ التّوصّـل معهـم إلى حَـل، فقـال لي عبـدالله: أنـا لا أريـد هـذه المسـئولية، وأنـا شـخص علمـي أتفـرغ للعِلـم، وهُـم الذيـن اختـاروني للمسـئولية، ورشَّـحَني عبـدالله والجماعـة أن أكـون مسـئولاً عليهـم، واتخـذتُ مجلسـاً، لكـي لا يتكـرر الخطـأ في التَّفـرّد بالقـرار، وكان عبـدالله قريـب منـي ومستشـاري العِلمـي،

(١) ثانوية صلاح الدين بالمرقاب، وحمود الرومي الذي ترأس بعد ذلك جمعية الإصلاح الإجتماعي.

وسمّيناه «مجلس شورى»).

- ويقول: (كان التقاؤنا بالشيخ ابن باز في المدينة المنورة -وكان رئيس الجامعة الإسلامية- قبل التقاءنا بالشيخ الألباني، وكانت المدينة هي مَعقِل السلفيين ومنبع العلم في كل زوايا المسجد النبوي، كان المشايخ صالح العراقي وأبوبكر الجزائري وحمّاد الأنصاري والشنقيطي وغيرهم).

- يقول الشيخ محمد الشيباني: (كنا نذهب لمناطق البدو ونلقي الدروس والكلمات بعد الصلوات، والناس تحب هذه الطريقة اكثر من مناطق الحضر، وكنا نذهب للجامعة مع طارق العيسى وعبدالله السبت لمناقشة بعض اللبراليين، وكان أبومعاوية يناقش الشيعة كذلك).

- ويقول الشيخ عبدالوهاب السّنَيّن: (كنا نذهب للمساجد نلقي الدروس ونتعرف على أهل المسجد، ونستقطب من نستطيع استقطابه **لحضور المقر الكبير** وهو المخيم .. وكان للشيخ عبدالله مرونة وسهولة في التَّحرك، لما يسمع بأي نشاطٍ معادٍ للدعوة يسعى لصده). [(١)]

- مِنَ الكتب التي تكررت مُدارستها عند السلفيين حتى بين الذين سافروا للدراسة في أمريكا ومصر وغيرها: «صفة الصَّلاة» للألباني، و«فِقه السُّنة» للسيد سابق، لبُعده عن المذهبية واختصاره.

- يخبرني د.وائل الحساوي: (كان الشيخ **يحرص على الاتصال علينا للقيام لصلاة الفجر**، وكان الشخص الذي يريد القيام للصلاة ولا يستطيع، يتّفق مع إخوانه بإلقاء حبلٍ من نافذة داره خارجاً، ويربطه

(١) في لقاء برنامج (موكب النبلاء).

برجله، ليأتي أحدهم فيسحبه ليوقظه) وهذه من صور الحرص على التواصي بالطاعة في بدايات الدعوة.

- كان بيت الأخ بدر العبيد في حولي بداية السَّبعينيّات من الأوائل الذين فتحوا بيوتهم للسلفيين -وكان بيتاً مؤقتاً لما ثمنوا البيوت-، فكانت تُقام فيه دروس ونشاط النساء، وكان أهله معهن.
- يقول الشيخ عيسى مال الله: (كانت الفترة الأولى تقريبا سنة ١٩٧٣م فترة عِلمية، وكان عندنا **مكتبة للمطالعة** بداية كانت في بيت «عبدالرحمن الدعيج» بالخالدية، ثم انتقلت في بيت «براك البرجس» بالخالدية، وكنا نقرأ -وليست لدينا منهجية محددة- في مسند الإمام أحمد وفي الطحاوية وفي الأصول الثلاثة، وكان عندنا نَهَمٌ في طلب العلم، وكذلك في الدعوة، حتى لدرجة أنه إذا صلّى شخصٌ جديد في المسجد لا يُترك حتى يُدعى، إما من السلفيين أو من الإخوان، حيث كانت المساجد حيّة، ليست كما هي الآن).
- ويقول: (من أهم **صفات الشيخ التي استفدناها**: عدم تضييع الوقت بدون دعوة، الاهتمام بالأشخاص في دعوتهم دعوةً شخصية، والاعتناء بهم وعمل طلعات خاصة بهم، كان يهتم بالبُعوث بالمعهد الديني -ومنهم سليمان السنغالي حيث كان سبباً في نشر السلفية في بلاده-، لا يوجد ولاءٌ لمنطقة معينة إنما العمل لأجل مصلحة الدعوة، لأن البعض لا يرضى بالخروج من منطقته، بحُجة أنه اعتاد على صَحبِه).
- يقول الشيخ: (كانت الدعوة السلفية في بدايتها مَغرَماً، والآن أصبحت مَغنَماً)، لم يكن لها أتباع، وليس عندهم مكان لا في مجلس الأمة ولا البلدي، بل وهناك دعواتٌ مضادّة لها، حسن أيوب «أشاعرة» وكذلك

هيتو في المنطقة العاشرة أغلبهم أتباع له، وحسن طنّون «صوفية»، وكذلك معهد الإيمان الشرعي الذي أسسه يوسف الرفاعي، وجماعة التبليغ في صبحان، وجماعة الإخوان وجمعيتهم الإصلاح.

- خاض السلفيون مناقشات ومعارك **لإقامة صلاة التراويح** إحدى عشرة ركعة -كما صلاها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وكانت المساجد تُصليها عشرون ركعة، فتجمعوا لصلاتها في عدة أماكن -بعد أخذ الأذونات الرسمية-: في ثانوية الأصمعي -على القار (الاسفلت) الحار- وبيت «العمهوج» بالخالدية، وفي بيت مساعد العبدالجادر، وفي هيئة التطبيقي بالعديلية، وبعدها في مدارس النجاة الخاصة بمنطقة السُّرة.

ولا شك أن مخالفة الناس لسُنّة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه المسألة -وفي المسائل الفقهية عموماً- ودون قصد وتعمّد المخالفة وإنما بسبب الجهل، **ليس مُسوّغاً في اعتزالهم**، بل ينبغي الصبر مع بيان الحق بدليله، ولكن قد يُعتَذَر لهم وخاصة في هذه الفترة التي كانت بداية تديّن الشباب وانتشار مفهوم ترك تقليد المذاهب الفقهية، فكان التمسك بالسُّنة قويًّا ظاهراً عليهم.

- ويخبرني الأخ أبوبكر الهَدّار: (كان لنا درس خاص وعددنا خمسة في بيت الشيخ أبومعاوية بالقادسية يلقيه الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق من كتاب «قطر الندى» في النحو .. وكانت من أقدم الدواوين في منتصف السبعينيّات ديوانية أخونا أبومعاذ محمد الشيباني بكيفان يوم الثلاثاء، وديوانيتي بالعبّاسية -جُزءٌ من منطقة جليب الشيوخ-، ويقام فيها كل يوم اثنين درس يُلقيه بالتبادل الشيخ أبومعاوية والشيخ عبدالرحمن

رحمهما الله، وكانت تمتلئ بالحضور، تقريباً ٣٠ شخصاً، ثم صرنا نُقيم الدرس في مسجد «التوحيد» بالقرب من بيتي، وبعد العِشاء نرجع للديوانية، وكان الشيخ **أبويوسف عبدالرحمن عبدالصمد** رحمه الله يشرح فيه من كتاب «**شرح عمدة الأحكام**» لابن دقيق العيد، وكذلك الشيخ عبدالحميد أبوالريش رحمه الله في النحو، ثم تحول وقتها إلى يوم الأربعاء وكان الشيخ أبويوسف يشرح من «**كتاب التوحيد**» للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وكان يأتينا من الوفرة ونرجعه آخر الليل، وأحيانا نَبيت عنده، -وكان الشيخ يخطب الجمعة في جامِعها الوَحيد، ويَسكن أهله وأبناؤه معه-، واستمر بإلقاء الدرس في ديوانيتي إلى أن سافر إلى «أستراليا» للدعوة، وتوفي هناك، .. وكان هناك درسٌ أسبوعيٌ للنساء في بيت والد أخينا أحمد باقر في المنصورية).

- ويقول: (كنت أزور الشيخ أبا معاوية بالمستشفى، وصادف أن رأيت الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق زائراً له، وكان قبلها يتحدث معي الشيخ أبومعاوية بشكل طيب، ولكن كانت حالته تسوء بعض الأحيان حتى أنه لا يستطيع أن يتكلّم، فلما أتى الشيخ عبدالرحمن وبصحبته فريد القبندي، لم يحدث بينهما أي نقاش أو حديث، وقرأ بعض الأدعية المعروفة لزيارة المريض، وكانت هذه زيارته الثانية، وأما زيارته الأولى فقد كان معاوية موجوداً ولم يحدث بينهما أي شيء، وما أُشيع من طلب العفو أو الاعتذار أو المسامحة مِن أيّ طرفٍ للآخر هو غير صحيح).

- في سنة ١٩٨٢م وبعد أحداث حَماة في سورية انتقل **الشيخ الألباني** إلى «زهير الشاويش» في لبنان، ثم ذهب إلى الشارقة، ومكث بها مدة

٦ شهور تقريباً -على كفالة الشيخ سلطان القاسمي- وكانت ابنته تعيش مع زوجها هناك، **ثم جاء إلى الكويت** ومكث بها ١٤ يوم تقريباً (١)، **وسَكَن عند الشيخ أبي معاوية في الفيحاء**، وألقى بعض

(١) ويَروي الشيخ عصام هادي -بصوته مُسجَّلًا وهو أحد تلامذة الشيخ الألباني رحمه الله- عن قصة خروجه من سورية، فيقول: (خَرَج الشيخ الألباني من سورية خروجاً طبيعياً مع زوجته «هِبَة الله» عبر الحُدود، ومَكَث في الأردن واشترى أرضاً وبنى عليها بيتاً، وكان يتردَّدُ في ذلك الوقت على مكتبة «أحمد عطية» بحُكم الجِوار، ولأن مكتبة الشيخ لازالت في سورية، وبعد مكوثه في عَمّان رغِبَ طلابه أن يُواصل دروسه، وبعد إلحاحٍ وافق، على أن تكون الدُّروس في بيت الشيخ أحمد عطية، وبدأ في شرح كتاب رياض الصالحين، فحَضَر هذا الدرس أعداد كبيرة من الشباب السلفيين، مما أثار الأجهزة الأمنية، ولأنها لا تعرف كثيراً عن الشيخ ودعوته، فقَرَّروا تسفيره إلى سورية -وكان قد ألقى درسين فقط-، **فدخلها كذلك طبيعياً** وبات في بيته ليلتين، وفي الليلة الثالثة نَصَحَهُ خُلَّص أصحابه أن يُغادر إلى **لبنان**، فنزل ضيفاً عند الشيخ «زهير الشاويش»، ثم سافر **مِن بيروت إلى الشارقة**.. وبعد قيام ثورة الخميني في إيران وحرب العراق ضد إيران، وقَفَت الأردن مع العراق، وأحبَّ «جلالة الملك الحسين» أن يتعرَّف أكثر على فِكر الشيعة، فذكرت له الأجهزة الأمنية **الشيخ محمد ابراهيم شقرة «أبومالك»** -وقد كان يُحذِّر سابقاً من فكر الشيعة ومن هذه الثورة التي لن تَفتح القُدس ولن تَنصر الإسلام أبداً-، فاستدعاه الملك في مجلسٍ حضره جلالة الملك ورئيس الوزراء ومدير المخابرات ووزير الداخلية ووزير الخارجية وبعض أكابر الدولة، فقال جلالة الملك لخالي «أبومالك»: حابين يا شيخ تحكيلنا أيش هم الشيعة والثورة الإيرانية؟!، فتكلم بكلامٍ سُرَّ به الملك سُروراً كبيراً، وقال هذه المعلومات أول مرة نسمعها، حتى أن خالي قال للملك: وأقول أن بعض المسؤولين في الدولة أخطؤوا حينما سَمحوا بإطلاق أقلام بعض الصَّحفيين تمجيداً ومَدحاً لهذه الثورة؛ قبل الرجوع إلى أهل العلم وسؤال المختَصِّين عنها، فقال بعض الحُضور: لا، ما أخطؤوا، فردَّ عليه الملك: بل أخطؤوا، وأيَّد خالي في كلامه، ثم في نهاية المجلس قال الملك: هل لك حاجة أقضيها لك، فقال خالي: أمَّا لي فلا، وأما لغيري فنعم، **فحدَّثه عن الشيخ الألباني وعن دعوته وما يَفتري عليه خصومه، وأنه أُخرج من البلد، وأرغبُ بعودته**، فبعدما سَمِع ذلك جلالة الملك رحمه الله، تَوجَّه لوزير الداخلية ومدير المخابرات وقال: رتِّبا أمرَ عودة الشيخ إلى الأردُن، فأبرَقَ خالي إلى الشيخ الألباني أن تهيَّئ واستَعِدَّ للقدوم، **وفعلاً قَدِم الشيخ من الإمارات إلى عَمّان بالطائرة** -وما يُشاع غير هذا فغير صحيح-، ورتَّب الجهاز الأمني مع الشيخ أنه لا يجلس للتدريس في المساجد، ولا يعقد الدروس أو يَحضر التَّجمعات لأجل ذلك، وحتى في بيته لا يَستقبلُ إلا عدداً مُحَدَّداً -وكان الشيخ قد وَضع لافتةً عند باب بيته: أنه لا يستقبل إلا عدد كذا، فهذا سببها، فهي فُرِضَت عليه، وليست من شيمته ولا أخلاقه-، وبعد ذلك قال لي خالي: سَعيتُ مرةً أخرى -بعد مُدَّة- عند

الـدروس في عـدة مجالـس «ديوانيـات»، ومـن ذلـك زيارتـه لشـاليه العـودة والهمـلان في الدوحـة، وكانـت لـه محـاضرة في بيـت الأخ «بوعبدالعزيـز فيصـل المسـلّم» بالفيحـاء قطعـة ٩، حيـث حضرهـا عـدد كبـيرٌ مـن النـاس، وكذلـك ألقـى محـاضرة كبيرة للنسـاء في بيـت والـد «أحمـد باقـر» بالمنصوريـة، وأذكـر أني كنـتُ مـع بومحمـد ناظـم المسـباح -والمتحـدث أبوبكـر الهـدّار- برفقـة الشـيخ الألبـاني وقـت إلقائهـا، وأرادت «وزارة الأوقـاف» أن يُلقـي الألبـاني محـاضرة في مسـجد العَلبـان فَرَفـض، لأنـه لا يُحـب المحـاضرات العامـة، وأذكـر أن أبا معاويـة أولَمَ في بيتـه عـلى شرف الألبـاني ودعـا فيهـا الوزيـر الحَمضـان).

- ويحدثنـي الأسـتاذ أحمـد باقر فيقـول: (تعرفـتُ عـلى الأخ عبدالله السـبت في صيـف ٧١م، كنـا نلتقـي يوميـاً، وكنـا نُصـلي الجمعـة عنـد الشـيخ مصطفى زربـول، في مسـجد الحَمَـد بالمرقـاب، وكان يزورنـا في بعـض الطلعـات، .. كنـا حينهـا مجموعـة صغـيرة لا تتجـاوز ٢٠ شـخصاً، وأسـبوعياً في الصيف نذهـب للبحـر[١] «نصـف يـوم»، والشـتاء بمخيـم العقيلـة، .. كان عبـدالله

=مديـر المخابـرات «الباشـا» أنـه لابـد أن يسـتفيد النـاس مـن الشـيخ الألبـاني..، فـرد عليـه: مسـألة أن يَعـود للتَّدريـس وأن يجتمـع النـاس عنـده، هـذا مـن الصعـب السـماح بـه في هـذه الظـروف، **لكـن عنـدي مَخـرَجٌ لكـم**، وهـو أن يُدعـى الشـيخ إلى طعـام ويُوَجَّـه لـه أسـئِلة، ونحـن نغـض الطَّـرف عـن ذلـك، فنقـول أنـه دُعـي لطعـام فسُـئِل هـذا العـالِم فأجـاب، وهـذا أمـرٌ لا يعرفـه كثـيرٌ مـن النـاس، أنهـم يـرون -خاصـة في أشرطتِـه القديمـة- أن الشـيخ لا يلقـي دروسـاً وإنـما يُجيـب عـلى الأسـئلة فقـط، وفي آخـر حياتـه غُـض الطَّـرف عـن بعـض محـاضراتٍ ودروسٍ ألقاهـا رحمـه الله، والمـرة الوحيـدة التـي رأيـتُ الشـيخ الألبـاني أعطـى فيهـا درسـاً في مسـجد «بالمفـرق» وكنـتُ معـه إلى هنـاك، ثـم صـارت مضايقـات آخـر حياتـه وأنهـم سـيخرجوه، ولكـن لم يتـم ذلـك). نقلتـه بتـصرف يسـير.

(١) كان الشـيخ يحـرص عـلى توطيـد العلاقـات بـين الشـباب مـن خـلال هـذه الرحـلات والنُّزهـات، فيخـبرني غـير واحـد أن الشـيخ كان يخـرج معهـم للبحـر للحَـدَاق (صيـد السـمك)، وأحيانـاً ينامـون عـلى الشـاطئ، ويتخللهـا الحديـث في قضايـا الدعـوة، وكان الشـيخ يُدخـل مفاهيـم السُّـنة فيهـا، ومـن هـؤلاء: عـلي بهبهـاني، عبـدالله الشـلفان، بـدر الحوطـي، رحمهـا الله، محمـد الشـيباني، أحمـد الحذيفـه،

يُشجِّعنا على إلقاء الدُّروس، وعملت دروساً بمسجد العبدالجليل، وكان مقراً لنا في ذلك الوقت، وعبدالله **يجلس بمكتبة المسجد بشكل يومي**، .. زاد العدد بشكل كبير بعد ذلك، وكنتُ لما أرجع للكويت في الإجازة -وكنت حينها أدرس بالاسكندرية- أجد الأعداد تتضاعف، .. «عبدالله» عنصر جذّاب جداً فكان الشباب يُحبونه **ويُقبلون على الدعوة السلفية لحُبّهم له**، وكان نشيطاً في جَمع العُلماء والالتقاء فيهم).

- يقول الشيخ حاي: (**بَدأَت الدعوة في** منطقة الفيحاء فالقادسية وكيفان والخالدية، وكان عددنا قليلاً جداً، ثم انتشرت الدعوة بعد ذلك في الصليبيخات والجهراء وغيرها).

- ويقول: (في منطقة الفحيحيل انفصلت مجموعة عن «محمد حسن هيتو» فكلّفوني الأخوة أذهب هناك مع الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق في مسجد صغير على البحر، فلما دخلنا وجدنا الشيخ **فلاح إسماعيل** والشيخ **يوسف الحَجّي الفيلكاوي** وغيرهم قُرابة العشرين شخص، لِحى ولكن إزارهم يمس الأرض، فألقىٰ الشيخ عبدالرحمن درساً في التوحيد، وكنت أسألهم: هل عندكم سؤال؟ فلا أحد يسأل! حتى أن الشيخ عبدالرحمن بعد ذلك قال لي: أنا لن أذهب، أنت اذهب وأعطهم دَرساً .. وقد كان منهجهم صوفياً -كما علّمهم هيتو ذلك- أنهم لا يَسألون الشيخ شيئاً، سَلِّم له دون اعتراض.

حتى قالوا لي: بودنا أن نلتقي بالأخوة لنَعرف ما هي السَّلفية؟!

وقد كان مِمن التقى معهم: الشيخ عبدالله السبت والشيخ عبدالرحمن

=وائل الحساوي، علي الصباح، عيسى مال الله، عادل البرجس، بدر العبيد، محمد السنين، ومنهم من يخصه الشيخ مع إخوانه بطلعات لمكانته ومحبته عنده.

عبدالخالق وعبدالله الخالد وجاسم العون.

حتى فتح ديوانيته **أخونا يوسف الحَجّي** في الفحيحيل، وأعلنها صراحةً انفصاله عن «هيتو»، وكنتُ أُحاضِرُ فيها وغيري من المشايخ).(١)

- ويحدثني الشيخ يوسف الحَجّي: (كنا في البداية مع الشيخ حسن هيتو، ونذهب كذلك مع جماعة التبليغ، وكنا نحضر في «معهد الإيمان» في المنقف، الذي أسَّسَه يوسف الرفاعي، وكان «هيتو» مديراً له، ثم انتقل في السكن إلى منطقة الصباحية، فاستمرينا معه بحضور دروسه قرابة ٣ سنوات، وبعدها تركناه وانتقلنا للدعوة السلفية -سنة ٧٢ أو ٧٣م تقريباً-، وكان معي الشيخ فلاح اسماعيل مندكار رحمه الله .. **ولعلَّ سبب توجُّهنا للدعوة السلفية** هو كثرة تحذير «هيتو» لنا بعدم الاستماع للسلفيين أو الجلوس معهم أو قراءة كتبهم، لأن فيها تسميماً للأفكار -خاصة كرهه الكبير للشيخ الألباني-، فصار لدينا ردَّة فِعل، بأن نذهب لهؤلاء ننظر ما عندهم، وبالفعل تواصلنا معهم وجلسنا -أنا والشيخ فلاح- في بيت الأخ بوخالد الخالد رحمه الله في الرميثية، وحضر اللقاء الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق رحمه الله والأخ عبدالوهاب السنين، فبيَّنوا لنا ما هي هذه الدعوة .. فالتزمنا معهم بعدها في الدروس وحضور مخيم العقيلة).

- ويقول: (بدأت أول ديوانية سلفية بالمنطقة العاشرة في بيتنا في الفحيحيل، ثم توسعت علاقتنا مع الشيخ عبدالله السبت رحمه الله، ومع الشيخ أبويوسف عبدالرحمن عبدالصمد رحمه الله، وكان عددنا في البداية ٢٥ شخص تقريباً .. حَضَرنا دروساً كثيرة للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق

(١) في لقاء له منشور في (اليوتيوب) عن الشيخ أبومعاوية وبدايات الدعوة، بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ٢٠١٢م.

بمسجد العلبان في التفسير، ودروساً كثيرة للشيخ عبدالله السبت، وللشيخ حاي الحاي، وكانوا يُحاضرون عندنا كذلك في الديوانية، وكذلك الشيخ ناظم والشيخ عبدالجبار سالم، **وكانت الديوانية عندي تمتلئ بالحضور** ولله الحمد، حتى كانوا يجلسون في الخارج، كلهم مِن أهل الفحيحيل، وبعدها قرَّرنا أن نفتح في كل منطقة ديوانية، في الرقة، وفي المنقف، وفي الصباحية).

- حرص السَّلفيون على **اجتماعهم بشكل دَوري**، حيث كانوا يجتمعون أسبوعياً في مخيّم بالبرية، فكان أول مخيم لهم في منطقة «**كبد**»، ما يقارب سنة ٧١م مُكون من خيمتين متلاصقتين ٤ × ٤ متر، وكان الحضور ما يقارب ٣٠ إلى ٤٠ شخص، يحضرون أسبوعياً كل خميس، من الفيحاء والخالدية والقادسية وكيفان، ثم انتقلوا بعده بسَنَةٍ إلى مُخيّم «**صبحان**» خلف المطار، ثم بعده بسَنةٍ أو سنتين انتقلوا إلى مُخيّم «**العقيلة**» ويُسمونه كذلك «العِزالة» -ومكانه حالياً منطقة أبوفطيرة- فكان من ابتدأه بوأحمد الهاجري والشيخ عبدالله ومجموعة، واشتهر بدرس يوم الخميس مع إفطار الصائمون، وكان يحضره العدد الكبير من السلفيين ومن غيرهم بمختلف مناطق الكويت، حتى حَضَره بعض رموز الجماعات الأخرى. وبلغ عدد زُوّاره في البداية ١٠٠ شخص ثم ازداد سريعاً إلى ٣٠٠، ثم وصل إلى ٨٠٠ شخص، وخصّصوا يوم الجمعة للعوائل، خيمة للنساء وأخرى للرجال.
- وفي سنة ٨٠م -بعد أحداث جهيمان- نَصَبوا مُخيّم «**الجهراء**» بالرحيّة «أمغَرَه»، وكان المخيم للتَّرويح والتقاء الإخوان ورفع المعنويات، فبعد صلاة العصر يلعبون كرة القدم، والمغرب يقيمون دَرساً شرعياً، وبعده وجبة العَشاء.

- كانت إقامة الدروس في المخيم في بداية الأمر تتوزع بين الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق والشيخ عبدالله السبت، ويَحرصون على استضافة الشيخ عبدالرحمن عبدالصمد والشيخ عُمر الأشقر، ويلقي البعض دُروساً بين فينة وأخرى مثل الشيخ حاي الحاي والشيخ محمد الشيباني، ويُشجِّعون بعض الإخوة حينها لإقامة الدروس، أمثال: محمد بن ناجي القناعي وعبدالله الخُضري ود.خالد الصالح وغيرهم.

- يحدثني الأخ البرجس: (كنا نذهب إلى منطقة «بر الأدعمي»، بعد خط الوفرة القديم، وكان برنامجنا: المحافظة على الصلوات، دروس، حفظ قرآن، وبعد العشاء مُساجلة شِعرية، وكانت بيني وعبدالله السبت ويوسف الرشيد البدر، كانت فيها مُتعة وسَمَر ومزحة وثقافة وتقويمٌ للسان .. كان عبدالله السبت يطبخ لنا، ولا يَرضى أن يكون أميراً في المخيم، ممكن يُوجّهنا فقط، وفيها تدريب الشباب على المسؤولية، وإقامة الدروس.

فارَقَنا الأخ مساعد العبدالجادر رحمه الله وتبِعه الأخ عادل الفلاح، وكان يقول لنا: لازم تُرتّبون أموركم لما رأى ترتيب الإخوان وتقسيماتهم وانصِياعهم للأوامر.

كانت تحصل أحياناً شِدّة في المناقشات مِن قِبَل بعضِ الإخوة، فإذا كان عبدالله السبت حاضراً فإنه يَبترها من بدايتها، وتتوقف احتراماً له، وكذلك أيضاً إذا حَضَر الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق لِوَقاره).

- وكان **حريصاً على دعوة الشّباب**، يقول البرجس: (كان الشيخ عبدالله يحثّنا على دعوة الشباب من أعمارنا -وكان عمري ١٧ سنة حينها-

فننصب المخيم مدة أسبوعين في «عطلة الربيع» شهر فبراير، نُحاول من خلاله تربية الشباب على المحافظة على الصلوات، وتعلّم العِلم بشكل مُكثّف، والتدرّب على التحمّل والقيام لصلاة الفجر، حتى أنه كان يستيقظ قبل الأذان بساعة، في البرد كي يشب الدُّوّة «يوقِد الحَطَب والفَحم» ويُسخِّن عليها الماء، لأجل الوَضوء، فكان حريصاً على الشباب ورعايتهم، كان يصل العدد ١٥ شخص تقريباً).

همومٌ وأمنيات .. لمعالجة أسباب تفرُّق السلفيين

- مما لا شك فيه أن جَمع الكلمة وتوحيد الصَّف؛ مَطلب شرعي عند المسلمين، وخاصة إذا كان ذلك بين أصحاب الدَّعوة الصحيحة ومن يحملون همَّ نشرها وتبليغها بين الناس، فإن اختلفوا بشكل ظاهر بل وتفرقوا وتعادوا؛ فإن الضَّرر الأكبر هو **ضعف قبولهم عند الناس**، وتصير جهودهم مُشتَّتَة ..

- وعند لقائي د.خالد الصالح تطرقنا للحديث عن بعض **أسباب تَفرُّق السلفيين فيما بينهم**، حيث يَرى أن سبب ابتعاد بعض الأخوة عن الجماعة: هو أن المنهج **صار أقرب أكثر للناحية السياسية** -ولَعلَّ الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق رحمه الله كان له التأثير في ذلك، فهو مُتأثِّرٌ بفكر الإخوان، لأنه قد تَربّى عليه، وقد أتى مع السلفيين بعقلية الإخوان-.

- علاوة على **مسألة التَّفرد بالرأي** من مجموعة قليلة جداً ممن يعتبرون أنفسهم القُدامى!، دون اعتبارٍ للأكثرية، وصار **السياسيون هم الذين يتكلمون باسم الجماعة السلفية ويتزعَّمونها**، وصارت هناك مثل الطبقية كما يُقال.

- وتجد أن بعض الأخوة الأفاضل الصالحين ممن يُحسَنُ بهم الظن؛ لم يبتعد أحدهم عن الجماعة ولكنه غير مُستعدٍ أن يقف أمام التيار، بل يحاول المسايسة دون تغيير للأفضل، وفي الحقيقة هذه الخِلافات وابتعاد المصلحين جَعلَت بعضَ مَنٍ يترأَّس فيها ممن لا يستحق.

- ويَرى أن الحُكومة لما رأت تَجمُّع السلفيين الكبير أنها **تحتَضِنهم**، حيث

صارت أعدادهم بالآلاف -ولله الحمد-، خاصة في مناطق الجهراء والأحمدي والفحيحيل، وصار عندهم مجلس شورى سِري، ولجنة للانتخابات، وجمعية خيرية، وهذا دليل على أن الحكومة راضية عنهم .. **ودخل بالجماعة** مَن كان مِزاجه مُختلِفاً، بعيداً عن الاهتمام بالعلم الشرعي والدعوة، **وصار مسؤولاً** فيها!

- ويقول: (والمفترض -كما هو رأي الشيخ الألباني وغيره- **ألا يكون** للسَّلفيين حِزبٌ [١]، **وألا يكون لنا أمير، إنما نجتمع للتنسيق، ولا يوجد سر، بل نكون واضحين**، فنحن **حركة تغيير عامَّة** كما يُقال، وليس منهجاً سياسياً، ولا نُريدُ تغييرَ حاكم، نحن **نريدُ تغيير القِيَم كي تتوافق مع ما شَرَعَه الله**، هذا الأساس، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾، وهم يقولون هذا نظرياً ولكن التطبيق بعيد.
- وتجد **أن المصالح الشخصية** والجماعية هي أساس اختيار المرشحين، ونرى أنهم استفادوا كثيراً، منهم من صار يملك الشَّركات، ومنهم من صار ذا منصب، ومنهم .. حتى للأسف صار البعض يمدح ويدافع عن بعض المسؤولين **للحصول على منافع!**، والذي يضايقني التَّنافس الشَّديد فيما بينهم).
- ويرى المشكلة (أنه قد صار **كل واحدٍ يرى في نفسه كبيراً !** حتى ضَعُف التَّسامح في قبول الآخر، فنحتاج إلى **نُضجٍ لاحتواء جميع السلفيين**، والهدف هو أن نلتقي عند الله «اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه»،

(١) ومن ذلك يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله فيما يتعلق بالتَّحزُّب: «**أوصيكم بالابتعاد عن هذه الحِزبيات** التي نَجَمَ بالشّر ناجمها، وهجم ليفتِك بالخير والعلم هاجمها، وسَجَم على الوطن بالملح الأُجاج ساجِمُها، إنّ هذه **الأحزاب كالميزاب، جَمَعَ الماء كَدَراً وفرّقه هَدَراً، فلا الزُّلال جَمع، ولا الأرض نَفَع**». عيون البصائر (٢/ ٢٩٢).

ندعو إلى الله تعالى بالتي هي أحسن، .. **نتمنى أن يأتي من الشباب الآن مَن يَتبنَّى هذا الشيء**، يأخذون بمبدإ الشيخ ناصر الألباني رحمه الله، بأن تكون الدعوة عامَّة، ليس لها أمير أو بيعة، التعاون مطلوب، والاجتماع للدعوة والتعليم والتدريب على أساليب الدعوة مطلوب كذلك).

- وفي السياق نفسه، يُحدثني الأخ بدر الصَّفران عن بعض **أسباب تفرُّقهم**:

(لما دخل إخواننا السِّياسة ضاعت الهوية، فلا تجد السَّلفي يعرف الفَرق بين منهجه ومنهج غيره مِن الجماعات .. وتَرى أن الأمور تغيرت لما دخلنا «مجلس الأمة»، حيث نظرتنا كانت في البداية هي دَعم الأفضل، وليس **مُنافسة الناس على الدنيا، فلا يَستوي احترام الناس لَكَ حال منافستهم عليها كما لو تركتها**.

فكان الناس العَوام مِن مرشحين وناخبين يزوروننا -رغبة في الحصول على أصواتنا- فنطلب منهم مواقف شرعية حال فوزهم، فيوافقون عليها -كما حدث لنا ذلك في اتحاد الطلبة بالاسكندرية-، فكانوا يَقبلون شروطنا لدَعمهم، ويَقبلون دعوتنا السَّلفية، لأننا لا نُنافسهم في أمور الدُّنيا[1].

(١) ومن ذلك ما قاله الشيخ عبدالحميد بن باديس رحمه الله -وقد شاهد هذه البرلمانات، وخَبرَ حالها وعاين آثارها- في وصيةٍ له: «.. أما الأمور الحُكومية وما يتصل بها **فَدَعوها لأهلها، وإياكم وأن تتعرَّضوا لها بشيء**، .. ولو أَرَدنا أن ندخُلَ **الميدان السِّياسي** لَدَخلناه جَهرًا، ولَضَربنا فيه المَثَل، بما عُرف عَنّا من ثباتنا وتضحياتنا، ولَقُدنا الأمة كلها للمطالبة بحقوقها، ولكان أسهل شيءٍ علينا أن نسير بها على ما نَرسمه لها، وأن نبلغ من نفوسها إلى أقصى غايات التأثير عليها، فإن مما نَعلمه ولا يَخفى على غيرنا أن القائد الذي يقولُ للأمَّة إنك مظلومةٌ في حقوقك، وإنني أريد إيصالك إليها، يجدُ منها ما لا يجد مَن يقولُ لها: **إنك ضالَّة عن أصولِ دينك**

فالدخول في السِّياسة أضعَفَ الدَّعوة بشكلٍ كبير، ومن المعلوم عندنا أن الوصول للسُّلطة أو المنصب **ليس هَدَفاً عندنا**، فإذا مات الإنسان لن يسأله الله عز وجل هل وَصَلتَ السُّلطة أم لا؟!، وإنما هل أنتَ على التوحيد والعبادة، وعلى منهج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة أم لا.

- **ولعل** من أسبابها كذلك: **حُظوظ النَّفس، فبعضهم يُحِب أن يُرى مكانه**، وأحياناً المشكلة في: حُبِّ الظهور، أو حب الزَّعامة، أو حب المنصب.

- وكذلك من أسباب التَّفرق: أنه **لا يوجد احتواء للشباب**، خاصة لمن يُخالف في الأسلوب والطريقة، وليس في الاعتقاد والمنهج، **والبعض يُلَبِّس الخِلاف الشَّخصي بالمنهجي!**، وأغلب الخلافات هي في الأسلوب والوسيلة، **وهذا الأمر لا يوجِب أن يكون سَبباً للفُرقة**، لكن بعض إخواننا لا يُفَرِّق بين المنهج وبين الوسيلة والأسلوب، والشِّدَّة سَبَبها الجَهل، فصار البعض -لِقِصَر نَظَره- عنده الوسيلة والأسلوب هي المنهج الذي يُحارب لأجله!، كالاختلاف في اختيار مرشحٍ ما في الانتخابات).

- وضمن الموضوع نفسه، ومما حدثني به الأخ فيصل الياقوت: (كنا في أواخر السبعينيات نتفق مع أحد المرشحين لدعمه -بعد تصفية الأفضل منهم وخاصة المُصلِّين- **بشرطِ الوقوف مع القَضايا الشرعية**، فيوافِق .. فكانوا ينظرون أن هؤلاء السلفيين أهل دين وليسوا أهل

=**وإنني أريد هدايتك**، فذلك تُلَبِّيه كلها، **وهذا يقاومه معظمُها أو شَطرُها**، وهذا كله نَعلمه، ولكنّنا اخترنا ما اخترنا لِما ذَكرنا وبَيَّنا، وإنّنا فيما اخترناه بإذن الله لَماضون، وعليه متوكِّلون».
جريدة الصِّراط السَّوي (١٥/ ٤) رمضان ١٣٥٢هـ.

سياسة، فكانوا يحترموننا ويقدروننا .. فنحن هدفنا الدعوة، وليس المناصب، ولَسنا كغيرنا عندهم: خلية شرعية، وأخرى سياسية!، يفعلون ما شاؤوا، فمنهجنا يختلف عن منهجهم.

- ونصحتُ مرةً أحد الأخوة لما أراد النزول للانتخابات، وأن هذا المجال غير نظيف، وانظر لغالب مَن دخل فيه من إخواننا، كانوا قدوة لكنهم تغيَّروا، فقال لي: في الفوز بالكرسي قوة لنا، فقلت له: **الله سبحانه هو القوي وهو الذي يُقوينا** .. فكنّا ندعم المرشح العامي والذي يعلم أنه إن تغيَّر طرحه ولم يلتزم الوقوف مع القضايا الشرعية؛ فإنك لن تُجدِّد الثقة به في الانتخابات القادمة، وستتَّجِه لغيره، فحينها سيُعدِّل مَساره .. وكذلك ترى حتى في «العمل التَّعاوني» و«العمل النَّقابي» فيه سلبيات، **وليس فيه أثر إيجابي للدعوة أو لدينك**، بل حتى الجماعة لا تُعينك، فكانت تشغلنا كثيراً على حساب تربية أبنائنا والاهتمام بهم).

- ويقول: (كانت هناك **بادِرة** من بعض الأخوة: **لاحتواء مَن يترك الجماعة السلفية**، في بيت عبدالله الخالد رحمه الله في الرميثية، وكذلك أبومعاذ الشيباني كان له دور في ذلك، ولكنها للأسف لم تستمر .. فالواجب هو احتواؤهم والجلوس معهم والاستماع لهم -على أقلِّ تقدير-، لأن هذا الاستماع قد يحل أغلب المشكلة، بامتصاص غضبه، ومعرفة أسباب تَركه، والنظر -جِديًّا- فيها؛ هل هذه الأسباب صحيحة أم لا، مع تقبل النصيحة، والاعتراف بالخطأ إن وقع).ا.هـ.

فكرة تأسيس «جمعية إحياء التراث»

- يقول الشيخ: (لما جاء عام ٨٠م فكّرنا مع بعض الأخوة أن نُنشِئ معهداً لتدريس العلوم الشرعية، واقترحنا تسميته «**معهد إحياء التراث الإسلامي**»، ووضعنا له نظاماً وأهدافاً، فلما نَجَح الأخوة في برلمان سنة ٨٢م اقترُحَ علينا أنه بَدَل أن يكون مَعهداً يصبح «جمعية» -وكانت يومئذ لا توجد جمعية دينية إلا «جمعية الإصلاح»، فجَمع الأخوة بعض الأسماء لتأسيسها ثم وافقت وزارة الشؤون على إنشائها، ونسأل الله أن تكون الجمعية على اسمها لإحياء التراث الإسلامي، فبدأت الجمعية بالعمل والدعوة والاتصال بالسلفيين بالخارج، علماً أن اتصالنا بالسلفيين خارج الكويت قديم، مثل أنصار السنة في السودان، وأنصار السنة في مصر، وأهل الحديث في الهند، والسنغال. لكن تأسيس الجمعية صار كياناً نستطيع أن نُخاطِب من خلاله.

ثم رجع إخواننا متخرجين من «الجامعة الإسلامية»، وفُتِحت «كلية الشريعة» بالكويت، ودخل فيها الكثير من الشباب، وصار عندنا دكاترة وطلبة علم كثير ولله الحمد).

- كان الشيخ يرأسُ اللجنة الثقافية بالجمعية، وقد أتى بفكرةِ أوّل مؤتمرٍ لها -كما يُحدثني بذلك م.عبدالرحمن المطوع- بعد تأسيسها وهو (**التراث الإسلامي كيف نُحييه**)، حيث تضمَّن محاضراتٍ عدة منها: (تراثنا القرآني) و(تراثنا الحديثي) و(تراثنا الفقهي)، وتم استضافة الشيخ **عبدالمحسن العباد** حفظه الله وغيره، وأقيم في جامعة الكويت حيث كان حضور الناس فيه كبيراً، ثم **تحوَّلت فكرة المؤتمر إلى «المخيّم الرَّبيعي»** سنة ١٩٨٣م، واستمر قيامه سنوات عدة، ثم انتقل إلى فرع الجمعية بالجهراء، وكان دَورُ الشيخ ورأيه دائماً حاضِراً في اختيار الضُّيوف والتّشاور معه.[(١)]

---

(١) ومن أهم **فوائد هذه المخيّمات**: أنها تجَمَع السلفيين في الكويت وتُكثِّر مِن سوادِهم، وتُشعرهم بالقوة

الشيخ أبويوسف عبدالرحمن عبدالصمد رحمه الله(١)

- يقول الشيخ عبدالله: (الشيخ **عبدالرحمن عبدالصمد** رحمه الله أتانا مُتأخراً في سنة ٧٥م، وصار إماماً في العُمَرية في مسجد الحَمضان، ثم لأمور أخرى نَقلناه إلى الوفرة -بموافقة الأوقاف وليس قصداً منهم لإبعاده- وكانت لدينا وجهة نظر أن البادية أنفع له من الحاضِرة، وكنّا نريد تنشيط الدعوة في الوفرة والبادية، طبعاً كانت يومئذ فيها أُمّة من الناس، ليست مثل الآن خالية، حتى أن «الحَمضان» وهو وكيل بالأوقاف غير راضٍ بانتقاله إلى الوفرة، يقول: الشيخ نفع الله به في مسجدنا).
- كان الشيخ أبومعاوية يزور الشيخ أبويوسف أسبوعياً، وكان السلفيون يذهبون له زُرافات ووِحداناً، كان له دور عظيم في إحياء السُّنة في قلوب الشباب، والصَّدع بالحق -كما ذُكر سابقاً-، وكانت علاقة الشيخ أبي معاوية بالشيخ أبي يوسف قوية وثيقة، فإذا احتاج أمراً اتصل مباشرة به حتى كأنه لا يعرف غيره. كما يخبرني بذلك الشيخ فيحان سرور الجَرمان.
- كان الشيخ عبدالرحمن عبدالصمد رحمه الله طيِّبَ المعشر، بعيد التّكلُّف، كبير التواضع، حتى إنه لا يُحب أن يناديه أحد بـ«**الشيخ**» وإنما بكنيته «أبويوسف»، وإذا ناداه أحد بالشيخ، يرد عليه مباشرة بـ:

=المعنوية، علاوة على التقاء العلماء والمشايخ من خارج الكويت، وتُحيي ارتباط الشباب بالعلماء.

(١) وقد تقدم ذكر **نبذة عن حياة الشيخ**، وللاستزادة ينظر مجلة (تراثنا) التابعة لمركز المخطوطات بتاريخ ١٤/ ٤/ ٢٠١٨م، وتسجيل مرئي في اليوتيوب عن سيرة الشيخ، للشيخ محمد هشام طاهري، وكتاب صهر الشيخ: إبراهيم السَّاجِر بعنوان: (المقتصد من سيرة الشيخ أبي يوسف عبدالرحمن عبدالصمد)، وتتمة الأعلام (١/ ٢٨٣).

«الشيخ أبوك وجدك»، من باب الملاطفة والمزحة علاوة على نبذها، وكان لا يربط الطلاب بشَخصِه، بل بالمنهج والسُّنة.

- ويقول الشيخ عبدالله: (كان **للشيخ عبدالرحمن عبدالصمد** رحمه الله دور عظيم عند الشباب في إحياء السُّنة، فكان لا يُغادر شيئاً من أفعال الشباب خَطَأً إلا وينتقده، وكل دروسه فيها حثّ على السنة، وفيها حياة، **وفي الحقيقة استَفَدنا كلنا** من الشيخ -عليه رحمة الله- مسألة **إحياء السُّنّة في قلوبنا، والصَّدع بالحق،** وقُل الحق ولا تُبالِ، وهذه أهم فائدتين عظيمتين **استفدتُها شخصياً** من الشيخ أبويوسف عبدالرحمن عبدالصمد عليه رحمة الله، فتجدون كل دروسه القديمة في **الحث على السنة مع بساطته،** والثانية **المثابرة،** فتجده وهو كبير في السن يأتيك من الوفرة إلى الديرة يُلقي درساً ثم يعود ليلاً، كان عنده مثابرة وجهد عليه رحمة الله، .. صحيح أنه لم يَجلس لتدريس كتب معينة، ولكن كلّ دروسه تدور بهذا الفَلَك، وله كتاب جميل اسمه «أسئلةٌ طالَ حولها الجَدَل»).

- ويقول: (كان بداية عملنا مع أهل البادية عن طريق رجلين: فهد بن عيد القحطاني رحمه الله، وسالم بن ناهض السهلي، تركوا التبليغ ودخلوا معنا في الدعوة السلفية، وكانوا في منطقة العقيلة، فنقلنا الشيخ عبدالرحمن عبدالصمد لمنطقة الوفرة، وفيها خِيارُ مَن عَرَفنا مِن العِتبان، أمثال: شِليل العتيبي، حزام رحمه الله، أنور المقاطي، والناهض، وبدأنا دعوة سلفية في وسط البادية في الوفرة، .. وكان الشيخ أبويوسف نفع الله به كثيراً في الوفرة).

- وذكر الشيخ أن ممن كذلك كان لهم نشاط كبير في الدعوة، الأخوة:

أبوجَهَز الحَربي، وعرار الدُّوسري، وعبدالغني الدُّوسري رحمه الله.

- يخبرني الشيخ يوسف الحجي: (كان الشيخ عبدالرحمن عبدالصمد يحضر عندنا باستمرار، كان له درس أسبوعي كل يوم أحد في مسجد الميع في الصباحية، فكنا نحضره ثم نأخذه بعد ذلك كي يلقي عندنا درساً في ديواننا بالفحيحيل، ثم نرجعه إلى بيته بالوفرة .. **فكان ذا هِمَّة؛ ما رأيت شيخاً بنشاطِه مع كِبَرَ سِنّه، وكان أكرم الناس مع قِلَّة ذات اليد**).

- ويقول: (قبل وفاة الشيخ بيوم اتصل عليَّ يستشيرني في إجراء العملية في أستراليا، وكان قد دَخَل المستشفى جَرّاء حادث سيارة، وقد كان بسيطاً حيث تكسَّرت بعض ضلوعه، وكانوا سيُخرجونه، ولكن جاءه طبيب وأخبره أنه لابد أن يجري عمليةً الآن، بسبب انسداد شرايين القلب -وكانت هي الخُدعة-، وفي هذه العملية قُتِل. وقد تأكدتُ وأخبرني مَن حضر جنازته في أستراليا أنهم رأوا لسانه قد قُطِع مِن بلعومه، ووُضِعَ عليه أوراق لتثبيته، وأخبرهم طبيب مسلم أنه مقتول، حتى أنهم تَوقَّفوا حينها عن الصلاة والدفن، وهَمُّوا برفع قضية، إلا أنَّ الطبيب غيرَّ كلامه بعد ذلك، وأظن أن ذلك مِن فِعل «الأحباش» الصوفية، لأن الشيخ كان يُحذِّر منهم ويردُّ باطِلهم).

تشجيعه على طلب العلم

- كان يُحث الشباب للدراسة الشرعية في جامعات السعودية -منذ أيام السبعينيّات وما بعدها-، ويسعى للشَّفاعات في قَبولهم، فقد **حدَّثني والدي** حفظه الله أن الشيخ أتى له بالقَبول سنة ١٩٧٥م من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وقتذاك، مع مجموعة مِن الإخوة.

- يقول الشيخ: (وفي تلك الفترة لم يكن عندنا طلاب علم كثر ومشايخ، فبدأنا **نُرتّب للأخوة الذهاب إلى الجامعة الإسلامية في المدينة**، وهناك أفواج هائلة ذهبت للدراسة في أمريكا في ذلك الوقت، وفي مصر كذلك، ولكن بعض إخواننا الحمد لله تَحمّس للدراسة في المدينة، وكان هذا أول بدايات الغَيث، وكانت علاقاتنا بالمشايخ ضعيفة، حتى تعرفنا على الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، وفيما أذكر أننا طلبنا منه كتباً، فسأل عن العدد، وكان عددنا قليل، فأعطى لكل واحد مجموعة كاملة من الفتاوىٰ وفتح الباري وغيرها الكثير، لدرجة أننا جبناها بـ هاف لوري «سيارة نقل كبيرة» من الرياض(١)، فالشيخ عبدالعزيز أوّل مَن أعطانا كتباً، وجعلنا نُكَوّن في بيوتنا مكتبات، وأنشأنا **مكتبة عامة في مسجد العبدالجليل في الفيحاء**، وصار هو مقرّنا نجلس فيه، وصار كل واحدٍ يأتينا من المناطق؛ يجلس في هذا المكان).

- انتقلت هذه المكتبة مِن «مسجد العبدالجليل» إلى ديوان الأخ صالح النفيسي بضاحية عبدالله السالم، تقريباً سنة ١٩٧٣م، ثم انتقلت إلى ديوانية الأخ خالد الربيعه بالفيحاء -وكانت بها مكتبة باسم «زيد بن

---

(١) ويقول الشيخ في مناسبة أخرى: (أخونا بدر الشمروخ ذهب للسعودية وجاب تريله «سيارة كبيرة» من الحكومة بالكتب، وعرفنا السلفية أكثر).

ثابت» وتسجيلات «السَّارية»-، ثم بعد ذلك آلت الكُتب إلى مكتبة «مسجد الإمام أحمد بن حنبل» حالياً.

- ويحدثني الشيخ عدنان: (كان الشيخ يُواعد ويَجمع المشايخ في المخيّم يوم الخميس، كالشيخ محمد الأشقر والشيخ عمر الأشقر والشيخ عبدالرحمن عبدالخالق والشيخ مصطفى زربول .. وكان يُعدّ لنا الجوائز إذا حَضَرنا، ومرةً قلتُ له أريد كتاب «شرح السُّنة» للبغوي، وبالفعل أعطاني إياه .. وكان يطبع الكتب السلفية الصغيرة -مثل كتب الألباني وعلي الخشّان- كي يقرأها للشباب، **وكان يَحرص على كلِّ شريطٍ جديد للشيخ الألباني يصل، يسمعه بالسيارة مع الشباب** .. وكان للشيخ درس في بيته في حولي «منهاج السنة» لابن تيمية، كنتُ أذهب مع الأخ إبراهيم الصالح).

- يقول الشيخ عبدالله عن بداية الدعوة: (بدأنا نُفكّر في العمل العلمي، فاجتهدنا أن **نُشغل الشباب بتخريج الحديث** كاملاً من «إحياء علوم الدين» -لأن الحافظ العراقي يأتي ببداية الحديث ولا يُتمّه كاملاً-، فننقل متن الحديث كاملاً وتعليق العراقي عليه في بطاقات، ولا تزال هذه البطاقات محفوظة عندي إلى الآن، فكان هذا أوّل عملٍ علمي يقوم به الشباب لنقل التخريج.

ثم **تَنَشَّط بعض الشباب لخُطبة الجمعة**، خاصة لما استلم وزارة الأوقاف الأخ يوسف الحجي رحمه الله، فتح للكويتيين باب الإمامة، فسَجَّل بعض الشباب للإمامة، وكنا نصلي عند أخينا هشام العصفور رحمه الله بمسجد سعد بن أبي وقاص وكان حافظاً ..).

- ويقول الشيخ د. محمد المغراوي: أذكر مرةً التقى برجل من الجنوب

«اسـمه جـبران»، وكان لديـه علـم بالعربيـة، فقـال لـه الشـيخ عبـدالله: بودِّنـا نَـدرس عنـدك «قطـر النـدى»، وكان عُمـر الشـيخ قُرابـة الخمسـين، فـكان لديـه الرغبـة في طلـب العلـم دائـماً رحمـه الله.

كيف كان الشيخ يقضي وقته؟

- يبدأ يومه بعد صلاة الفجر بالأذكار ثم بتناول القهوة أحياناً عند أمه، وغالباً لوحده إلى طلوع الشمس، ثم يغفو قليلاً إلى الساعة التاسعة أو العاشرة، ثم يخرج إلى عمله سواء في مكتبته وهو الغالب، أو في أموره الأخرى، ويرجع إلى بيته ظهراً -كما تروي ذلك زوجه أم معاوية-، وفي المساء يرجع إلى المكتبة ليتفقَّد أحوال الطلاب، ويستقبل الوفود، فحياته رحمه الله كلها في الدعوة، فالزوار والوفود لا ينقطعون عنه -وهذه حاله سواء في الكويت أو في الشارقة، بل كانت الأولوية لزواره في مجلسه، حتى أنه يلغي رحلة عائلية بسبب ذلك.
- يقول نسيبه أحمد: كان الشيخ يستقبل يومياً ٥ أو ٦ مكالمات خارجية: إما استفتاء أو مشورة أو متابعة مشاريع.
- ومن همته وإشغال وقته بالدعوة: رأيناه **في جلسةٍ واحدة** يُكلم أهل الصين، ويجمَعُ أموالاً لأهل الأهواز، ويبني مسجداً في اليمن، ويُتابع الدعوة في الهند.
- اهتم الشيخ بالدعوة الإلكترونية، فأنشأ موقعه الخاص وأسماه «**أهل الحديث**» سنة ٢٠٠٥ تقريباً، وبعد سنوات أُغلق، وأنشأ موقعاً لدعوة الجالية الصينية الموجودة في الإمارات، وخاصة في دبي «السوق الصيني».

مكتبات سلفية

- كان الشيخ عبدالله شغوفاً بالعلم، فساهم في تأسيس «**مكتبة الحكمة**» سنة ١٩٧٠م، مع مجموعة من إخوانه منهم: بدر العبيد وعادل النشمي وجاسم الشريدة، والأخ بدر العبيد هو الذي أدارها ورتَّبها، فكان يَشتري الكتب من «دار القلم» بخصم ٢٠٪ ويبيعها بخصم ١٠٪، ليجذب الناس للمكتبة. وكانت «مكتبة المنار» موجودة قبلها بـ ١٠ سنوات تقريباً، ويديرها عبدالواحد أمان.

- وبعدها بسَنةٍ أو سنتين أسس الشيخ «**الدار السلفية**»، حيث كانت بدايتها في بيته ومِن مساهمات من الشباب، ثم صارت تجارية، فاستأجر مَحَلًّا خلف المجلس البلدي بالمرقاب «الإدارة»، ثم في منطقة حولي «المعرض»، حيث توسعوا فيها بجلب الكتب، فأتوا بها من بيروت ومصر والعراق من مكتبة المثنى ببغداد.

- وكان للدار السلفية دورٌ كبيرٌ جداً بتوفير الكتاب الإسلامي، لأنه في ذلك الوقت كانت هناك صعوبة في الذهاب للسعودية ليست كالآن، كذلك تسجيلات «**السَّارية**» ثم صار اسمها «**اللُّجين**»، حيث كانت تُسجِّل كل المحاضرات الدينية في المساجد والديوانيات.

- يقول الشيخ: (طبعنا رسائل الدعوة السلفية، منها كتاب «منزلة السُّنّة» و«القضايا الكلية»، ورسالة علي الخَشَّان «وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة وخطر التقليد»، رسائل صغيرة طبعناها في الدار السلفية، هذه كانت بداية العمل الدعوي العلمي، وكان لها تأثير كبير بين الناس في ذلك الوقت بفضل الله عز وجل).

- ويخبرني د. بسام: (لما أسَّس الشيخ عبدالله «**الدار السلفية**» كان **همُّه المشاركة في مَعرض الكتاب السَّنوي**، لأنه لا يحق الدخول في المعرض إلا من خلال وجود ترخيص مكتبة، فكان رحمه الله **يستغل هذا الأمر بنُصح الناس في المعرض، وتوجيههم للكتب النافعة** في العقيدة وغيرها، فكان دائم المشاركة وحريصاً على التواجد في هذه المعارض).
- ولمّا سَكَن الشيخ إمارة الشارقة ساهم بتأسيس «**دار الفتح**» سنة ١٩٩٣م، مع صديقه أبوعمر جُنيد خوري والأخ خلفان المزروعي، فيقول أبوعمر: (في البداية كانت تُراودني فِكرة، وهي إنشاء دار نشر، عرضتها على الشيخ فرحَّب بالفِكرة، وبدأتُ بإصدار الترخيص، **وتَولىٰ هو الدور العِلمي فيها**، وترأّس مكتب التحقيق في دار الفتح، وانطلقَت بعد ذلك بعَمَلِها، فأصدَرنا خلالها الكثير من الكتب ولله الحمد) (١).

(١) والعناوين التي صدرت باسم (**دار الفتح**) بالشارقة كثيرة فمنها: **في مجال العقيدة**: (اعتقاد أئمة أهل الحديث) لأبي بكر الاسماعيلي، (الحَيدة: المناظرة الكبرى بين أهل السنة والفِرق الضالة) لعبدالعزيز بن يحيى الكنّاني، (الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية) لعبدالرحمن السعدي، و(القواعد المثلى في صِفات الله وأسمائه الحسنى)، و(شرح لمعة الاعتقاد)، و(تقريب التدمرية) كلها لابن عثيمين، و(الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق) لمحمد تقي الدين الهلالي، و(شرح العقيدة الطحاوية) لمحمد الخميّس، و(البدعة: ضوابطها وأثرها السيء في الأمة) لعلي محمد الفقيهي، و(تطهير الإعتقاد عن أدران الإلحاد) للأمير الصنعاني، و(تطهير الجَنان والأركان عن درن الشرك والكفران) لأحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي، و(منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات) لمحمد الأمين الشنقيطي، و(كتاب التوحيد) لصالح الفوزان، و(أركان الإسلام والإيمان وما يجب أن يعرفه كل مسلم عن دينه) لمحمد بن جميل زينو.

وفي السُّنة: (أحاديث الصحيحين بين الظن واليقين) لحافظ ثناء الله الزاهدي، و(منزلة السنة في التشريع الإسلامي) لمحمد أمان الجامي.

وفي الرّدود وتصحيح الأخطاء: (الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام) لصالح الفوزان، و(بيان

- ولِدَت «دار الفتح» عملاقةً سنة ١٩٩٣م، فَصَدر عنها في فترة وجيزة أكثر من ٤٥٠ عنواناً خلال سنتين، ووزّع أكثر من ٥٠٪ من مطبوعاتها في إفريقيا وآسيا وأوروبا عن طريق «جمعية دار البر» بدبي، و«جمعية

=مخالفة الكوثري لاعتقاد السلف) لمحمد الخميّس، و(تنبيهات على رسالة محمد عادل عزيزة في الصفات: ردٌ على كتابه عقيدة الإمام الحافظ ابن كثير من أئمة السلف الصالح في آيات الصفات) لعبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، بتقديم عبدالله السبت، و(نظرات في كتاب: صفة الغرباء، للشيخ سلمان العودة) لصلاح الدين مقبول أحمد، و(تنبيهات على أخطاء نزهة المتقين شرح رياض الصالحين في العقيدة) لمصطفى الهوساوي، و(الرد على: حكم الإسلام في التوسل بالأنبياء والأولياء لمحمد حسين مخلوف) لمحمد خليل هراس، و(منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحِكمة والعقل) لربيع بن هادي المدخلي، و(التحقيق والكشف والإيراد في بيان أخطاء الحَدّاد) لصالح سِندي.

وفي الرد على الصوفية: (كيف اهتديت إلى التوحيد والصراط المستقيم) لمحمد بن جميل زينو، و(كنت قبورياً) لعبدالمنعم الجدّاوي، و(حقيقة التصوّف وموقف الصوفية من أصولِ العبادة والدين) لصالح الفوزان، و(مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري على ضوء الكتاب والسنة) للشيخ ابن باز والفوزان والسَّدلان، جمع عبدالله محمد الرفاعي، و(معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة) لعبدالسلام البرجس.

وفي الفقهيات: (القواعد النورانية الفقهية) لشيخ الإسلام ابن تيمية، و(تاريخ مشروعية الصلاة مع الجماعة وحكمها وفضلها) لعبدالغفور عبدالحق البلوشي، و(أسئلة طالَ حولها الجدل) لعبدالرحمن عبدالصمد، و(صفة وضوء النبي ﷺ) لفهد الشويّب.

وفي مجال الطَّلب: (تحفة طالب العلم: وسائل تلقي العلوم الشرعية وآدابها) لضياء الدين رجب، و(جزء فيه تشحيذ الهمم إلى العلم) لمحمد الشيباني.

وفي الدعوة والأخلاق والرقائق: (الشيخ محمد بن عبدالوهاب المجدد المفترى عليه) لأحمد بن حجر البنعلي، و(الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة: تجربة ذاتية) لمحمد تقي الدين الهلالي، و(مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لصلاح الفرد والمجتمع) لمحمد بن جميل زينو، (المرتضى في تهذيب كتاب جنة الرضا في التسليم لما قدره الله وقضى) لمحمد بن عاصم الغرناطي، تهذيب أبي عماد السخاوي، و(الدعاء) لعبدالله الخضري، و(أهوال القيامة) عبدالملك الكليب، و(الإسلام دعوة الحق والخير وكيف شُوّه جماله) لمحب الدين الخطيب.

وفي التاريخ: (الدر المصون بتهذيب مقدمة ابن خلدون، ومعها المدخل إلى مقدمة ابن خلدون) هذبها: ضياء الدين رجب. **وقد أعاد الشيخ طباعة كثيرٍ من الكتب التي كان قد طبعها سابقاً في (الدار السلفية) بالكويت.**

إحياء التراث» بالكويت وغيرها، وفي عام ١٨/ ٤/ ٢٠٠٩م أصاب الدار حريقٌ هائل، مما أدى إلى توقّف نشاطها.

• يحدِّثني الأخ أبوعمر محمد هادي الاسلامبولي الشامي[١] -وقد عَمِل مع الشيخ في مكتبته بالشارقة عِدَّة سنوات- فيقول: (سَمَّى الشيخ عبدالله مكتبته بـ «دار الفتح»، فقلتُ له: هذه تسمية الشيخ **مُحب الدين الخَطيب! فقال لي: هو كذلك، أنا سَمّيتها تيمُّناً بمحب الدين،** وقال: إن السلفيين ينتسِبون إلى مُحب الدين الخطيب وإلى رشيد رضا، وإن «الإخوان» يحبون أن يقولوا: نحن جذور محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، ويقول الشيخ: نحن السلفيين أول من أصدَرَ مجلةً في العالم الإسلامي وهي مجلة «المنار»).

وفعلاً هي مجلة سلفية، وصاحبها الشيخ رشيد رضا، الذي لم يكن يوماً ما مع «الإخوان»، وهذه المجلة فيها مقالات من العالم كله.

• ويقول أيضاً: (كان الشيخ عبدالله يوعِزُ إلى بعض الأشخاص في المكتبة أن يجمعوا مادةً في موضوع ما، ويُشرِف هو عليها، ولا يضع اسمه عليها، لعدة اعتبارات في الجَمع والموضوع، **حيث يهمه نشر الدعوة وتبيين الحقائق،** ويستفيد من فكرة بعض الكتب ويعدّل عليها ويُعيد صياغتها، مثل كتاب الأخ «كاظم حبيب» في الرد على «فصل الخِطاب في تحريف كتاب رب الارباب!»، فأخذ الشيخ استهلاله الجميل، وأشرتُ عليه بدمج فصولٍ من كتاب الشيخ إحسان إلٰهي ظهير

(١) ويخبرني أبوعمر محمد هادي: أن «الشيخ محب الدين الخطيب» هو ابن عم والدته، وهي ابنة الشيخ أمين الخطيب ابن عم مُحب الدين، الذي هو خال الأديب «علي الطنطاوي» وزوجة علي الطنطاوي من آل الخطيب كذلك، وقد استقر أمر الطنطاوي على السلفية ومات على ذلك رحمه الله.

«الشيعة وتحريف القرآن»، وطُبع بدار الفتح، وغيرها من الكتب).

- **مكتبته الخاصة:** لما استقر الشيخ رحمه الله في مدينة الشارقة؛ نقل مكتبته إليها، فكانت مُنطلق دعوته هناك، وكان أكثر الطلاب فيها هم من أهل البلد، وتميزت بحركة ونشاط من قبل الشباب؛ مما جعل الجماعات الأخرى تضيّق نشاطه.

ثم اشترى بيتاً آخر أصغر من الأول سنة ١٩٩٩م في حي «المرقاب»، ونقل المكتبة إليه، وأوقَفَه لله بما فيه، يحوي مَجلساً وأربع غُرف، يلقي فيه دروسه ويستقبل ضيوفه.

جامعة مُصغّرة

- حرص الشيخ رحمه الله على إحياء دور هذه **المكتبة** الشرعية، فبدأ **بتطبيق فكرة عظيمة**، وهي استقبال واستقدام طلاب العلم الشرعي من مختلف دول العالم، وبخاصة من آسيا الوسطى، من غير تكليفهم بشيءٍ من المال، فيُؤمِّن لهم المسكن والمطعم، على أن يمكثوا فيها مدة شهرين أو ثلاثة لدراسة العربية والعلم الشرعي، فيكونوا دعاةً للإسلام إذا رجعوا إلى بلدانهم، **فاستقبل مئات الطلاب ولله الفضل والحمد**، وجعل أحد المشايخ -وهو الشيخ محمد علي طفّي من تلاميذ العلامة الألباني- يُدَرِّسهم اللغة والتوحيد والفقه، والشيخ عبدالله يُدَرِّسَهم أحياناً قضايا المنهج والعقيدة، وكان يأتي صباحاً ليتفقّد أحوالهم يومياً، ويعطيهم المكافآت تشجيعاً لهم، وأحياناً يُفطِر معهم إن وسعه الوقت، وكان عددهم ٦ - ١٠ طلاب، يتغيرون كل فَترة.

وكان يقول دائماً: «نحن نريد للطلاب تعليماً نافعاً وتربية صالحة، **ولا نُريد شُهرة ولا سُمعة**».

- وكان الشيخ إذا رأى في الطالب تميّزاً؛ مدَّدَ مُدّة إقامته فوق الشهرين، زيادة في تعلمه، وإذا رأى زيادةً بالنبوغ جعله يتوظف بأجرٍ في إحدى المراكز في البلاد، ثم يرجع داعيةً في دولته.

ومنهم **الداعية يوسف الصيني**، وكان مِن أنبغ الدُّعاة، أرسله الشيخ إلى السوق الصيني في دبي ليدعوهم، وجعل فيه إفطاراً يومياً في رمضان -بعد أخذ الموافقات الحكومية-، فأسلَمَ على يديه العديد منهم «٥٠

ألـف»، حتـى أن مجموعـةً مِـن كبـار تُجـار السـوق الصينيـين أرادوا الإسـلام واشـترطوا حُضـور الداعيـة يوسـف -وكان حينهـا في بلـده-، فجـاء به الشـيخ مـن الصـين، وكان مُجيـداً للغـة العربيـة، ومسـئولاً عـن المركـز الإسـلامي في السـوق الصينـي.

- كانـت **تأتيـه الوفـود والضيـوف** بعـد كل صـلاة جمعـة؛ يسـمع أخبارهـم وأسـئلتهم، ويكتـب التوصيـات لهـم، إمـا بالدَّعـم أو التزكيـة لتُجـار الشـارقة ودبي والكويـت، وبعدهـا يـولِم الغـداء لجميـع الحُضـور.
- كان الشـيخ يُقيـم **درسـاً يـوم الاثنين** مـن كل أسـبوع، **وإفطـاراً للصائمـين** يومـي الاثنـين والخميـس يحـضره مـا يقـارب ٣٠ شـخصاً، وفي شـهر رمضـان يحـضر الإفطـار يوميـاً مـا يقـارب ٧٠ شـخصاً، وغالبهـا مـن تبرعـات المحسـنين.
- مـن فائـدة معرفتـه وخبرتـه في الدعـاة مـن مختلـف البلـدان، تجـد أن أغلـب اللجـان القارّيّـة «بجمعيـة الـتراث» كانـوا يستشـيرون الشـيخ عـن الدعـوة والدعـاة في هـذه البلـدان بصفـةٍ مُسـتمرة.
- غالـب مكتبـة الشـيخ الخاصـة بعـد وفاتـه نُقلَـت إلى اليمـن، بعنايـة رفيقـه «أبوعبدالملـك محمـد عبدالواحـد»، وقـد كان الشـيخ يسـعى لإعـداد مركـزٍ لطـلاب العلـم هنـاك.

من نتاجه العِلمـــــي

- طَبـع الشـيخ كتابـه الأول سـنة ١٩٧٦م وكان بعنـوان: «**الرحمـن عـلى العـرش اسـتوى**» إثباتـاً للعقيـدة الصحيحـة في صفـات الله تعـالى، ورداً منـه لما كان يتداولـه بعـض المعلمـين في المـدارس مـن تأويـلٍ لهـذه الصفـة وغيرهـا.
- طُبـع للشـيخ ٢٣ كتابـاً، منهـا كتابـان في **السـبعينيّات**، وثلاثـة في **الثمانينيّات**، وقـد كَتَبهـا في الكويـت، أمـا البقيـة وهـي عَـشَرَة في **التسـعينيّات**، وثمانيـة في **الألفـين**، ففي الشـارقة.
- جُمعـت محاضراتـه الصوتيـة، حيـث بلغـت **٤٢٠ محـاضرة تقريبـاً** مـع حذف المكـرر منهـا، وكثـير منها منشـور في الموقـع الإلكـتروني الشـهير «يوتيوب»، ولعلّهـا تُجمـع وتنـشر كلهـا قريبـاً في موقـع إلكـتروني باسـمه.
- أول مقالـةٍ نشرهـا -فيـما نعلـم- كانـت سـنة ١٩٧٢م في مجلـة البـلاغ، ثـم توالـت المقـالات في عـدة صحـف ومجـلات محليـة ودوليـة، وأشرف عـلى صفحـة أسـبوعية في جريـدة «الـرأي العـام» الكويتيـة مـدة عامـين، وكان يكتـب أغلـب مقالاتهـا ومواضيعهـا، وقـد جُمِعَـت جُـلّ مقالاتـه في «**مجمـوع كتـب ورسـائل ومقـالات الشـيخ عبـدالله بـن خلـف السـبت**» في المجلـد الرابـع، وهـي تزيـد عـن ١٨٠ مقالـة.
- كتبه المطبوعة (مع تأريخ طبعتها الأولى)

١. الرحمن على العرش استوى (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م)

٢. صلاة الجماعة (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)

٣. صوفيَّات شيخ الأزهر (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)

٤. الإسبال (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)

٥. بغية القاصدين من كتاب مدارج السالكين (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)

٦. وقفات مع عبدالرحمن عبدالخالق في كتابه أصول العمل الجماعي (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)

٧. المرأة المسلمة بين الأصالة والتقليد (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)

٨. العَواصم من تلبيس على المتعلم والعالم (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)

٩. الأمة بين الآمال والواقع (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)

١٠. الطريق إلى وحدة المسلمين (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)

١١. الطريقة السلفية لإصلاح الأمة الإسلامية (التثقيف والتعليم) (١٤١٥هـ - ١٩٩٦م)

١٢. الشَّخصية المسلمة بين التميز والتحيز (١٤١٦هـ - ١٩٩٧م)

١٣. دعوة للتأمل (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)

١٤. ضرورة التناصح بين الدعاة (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)

١٥. بل هو الفِرية (١٤١٩هـ على مراحل من ١٩٩٧ - مارس ١٩٩٩م)

١٦. حُكم العمل الجماعي في الإسلام (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)

١٧. الهوية الإسلامية بين الأصالة والتقليد (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)

١٨. الخوارج فتنة العصر (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م على مراحل)

١٩. هَمَسات دعوية (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)

٢٠. خواطر دعوية (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)

٢١. هذا بيانٌ للناس (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)

٢٢. مسائل مَنهَجية (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)

٢٣. الأخطار الداخلية التي تهدد وحدة الأمة الإسلامية (٢٠٠٩م)

وأغلب كتبه ورسائله طُبعت عِدّة طبعات، ثم جُمعت كلّها في ذلك «**المجموع**» الذي طُبع في أربع مجلدات سنة ٢٠١٩م، وتم كتابة نبذة تعريفية عن كل مؤلَّف، في مقدمة هذا المجموع.

- وأخرج الأخ أبوعمر جُنيد خوري كتاباً بعنوان «**مقالات مختارة في المذاهب والأفكار السَّائرة في العصر الحديث**» وهو مقالات متنوعة بأقلام كُتَّابٍ عِدَّة، كان قد قرأها الشيخ عبدالله السبت رحمه الله على مَرِّ سنين، واستحسن موضوعاتها -بغَضِّ النظر عن التوجه العام لكاتبها-، حيث تناولت تعرية بعض أفكار الفِرق أو الجماعات التي تتبنى عقيدة المظلومية كالرَّوافض، أو تدَّعي مَظلومية الاضطهاد الحُكومي كالإخوان، أو تُناقش رد شبهاتٍ شوَّهت قيم الإسلام، أو أَلصَقت جوانب مظلمة لأعلام المسلمين، فتجمَّعت هذه المقالات -في مجلدٍ كبير- عند الأخ جنيد، وأحبَّ إخراجها وطباعتها ليعُمَّ نفعها.

الشيخ وشُبهة التحزّب لجمعية التراث

- عندما كان الشيخ عبدالله رحمه الله يُدافع عن «جمعية إحياء التراث» **فدِفاعه ليس عن حَمِيّة أو عَصَبِيّة أو تَحزُّباً لها أو إقراراً لأخطائها.**

فمن قوله عن الجمعية: (.. ولكن هل عندهم أخطاء؟ نعم عندهم، فلو كان عندهم ٥٠٪ أخطاء، فنُحاول نُصَحِّح ونُقوِّم الـ ٥٠٪ الأخرى، **فنقول اقبَلوا الصَّحيح، وقَوِّموا الخَطأ**، لكن يُقَوَّم الخطأ بالنَّقلِ والعقلِ والفَهم، فنأتي بالمسألة الخطأ ونقوِّمها من باب النصيحة، فليسَ كل ما خالف رأيي فهو خطأ، فأنا لي أخطاء، وقد أراهم مخطِئين وهم يروني مُخطِئاً، لكني -من فضلِ الله- **أُمارس مع إخواني في «الجمعية» المناصحة،** ونحن كلنا في سفينةٍ واحدة.

وأمرٌ آخر وهو أن مَن يتَّهمَهم بالحزبية هو واقع في أسوأ منهم، وإنما أقول هؤلاء إخواننا ونحن منهم، فهل نذهب مع المبتدعة؟! وسبحان الله أرى مِن هؤلاء -الذين يتهموننا بالحزبية- ليناً مع المبتدعة وشِدّة على السلفيين، وهذا انقلاب مفاهيم!

فأنا أقول -يا إخواني- لا يَصرفنا الشيطان في التَّحريش فيما بيننا، فعلينا أن نجتهد وندعو إلى الله عز وجل ونُضَحّي بأوقاتنا ومالنا، وإذا رأينا خطأً شرعياً واضحاً بيّناً عندنا فيه برهان؛ ناقَشْنا فيه، أمّا آراؤنا واجتهاداتنا فهي تتغير ليل نهار). (١)

- ويقول: (وبعض الإخوة شَوَّشوا **وقالوا إن هذه الجمعية حِزبيّة**، وأنها

---

(١) من محاضرة بعنوان: (سؤال وجواب).

لا تُساعد السلفيين (١)، وهذا افتراء: أحياناً يكون في البلد الواحد سلفيون، ويأتي شخص سلفي يشذّ عنهم ويَعمل مَدرَسة، ثم يأتي ليَجمع تبرعات، فهذا لا نساعده لأنه يشقّ صف السلفيين ويشتتهم، فيذهب عند بعض المشايخ كالشيخ ربيع وغيره ويقول أنهم رفضوني - ويزيد من عنده:- لأنني لستُ مِن حزبهم وطلبوا مني بيعة وأنا ما رضيت!، فيُصدَّق ويكون كلامه دليلاً وبرهاناً!، وهذه حصلت معنا في السودان، وحصلت في الهند، وفي مناطق كثيرة، لأننا لا نُريد شق السلفيين في بلاده، لأننا علِمنا أننا لو ساعدناه قد يكون سبباً في تَفرّق جماعته السلفية في بلاده، وأجَبْنا على بعض هذه الشُّبَه في كتابِنا «هذا بيانٌ للنّاس».

- وأنا أستغرب من الشيخ «علي حسن» في انتقاده للجمعية، وهو يقول أنه قد زكاها كبار العلماء: الشيخ ابن باز والألباني وابن عثيمين والفوزان والعبّاد، فما قيمة آحادِ الناس إذا لم يُزكوها، وأنا قلتُ لهم: ايتوني بعالِم واحد -غير الشيخ ربيع- من شرقِ الأرض وغربها تكلَّم في الجمعيةً، لا يوجد، فإذا قارنّا عشرة مدحوا وواحد ذم، فأظن العشرة أولى بالاتباع، خاصة إذا كانوا أعلم وأكبر وأفهم وأكثر سُمعة بين الناس.

(١) ولما سألتُ الشيخ عيسى مال الله: **أن البعض يتهم (إحياء التراث) بأنها تدعم غير السلفيين في الخارج؟** قال: جزء من هذا الكلام صحيح، لأن كثيراً ممن يُدير العمل في الخارج ليسوا طلابَ علم وإنما إداريون، وقد لا يعرفون منهج الأشخاص بشكل دقيق، ولأن بعض السلفيين هناك قد لا يصلح أبداً للإدارة أو في التعامل مع الناس، وتختلف الأولويات من دولة لأخرى، والأمر الآخر قد يختلف تقييم الشخص من رجلٍ لآخر، وكذلك قد يكون هذا الشخص أحسن الموجود هناك، **إلى أن نوجد بديلاً عنه، ومن الخطأ البدء من الصفر، والإصلاح أو التغيير يأتي بتدرّج.**

- وتَتَبَّعوا ما يقوله حزب **«ألاّ حزب»** ليس لديهم شبهة واضحة المعالم، عندهم مبرات وعندهم عمل جماعي، وعندهم جمع تبرعات، وعندهم تأييد للانتخابات، كل ما هو موجودٌ هنا موجودٌ عندَهم، وأنا ناقشتهم وقلتُ لهم مِراراً: **أن الكلام الشَّفوي والجَعْجَعَة التي ليس وراءها طائل ما تَنفعنا بشيء، أعطوني دليلاً، أما القَصص وتتبُّع الكَبَوات، ووجود الأخطاء، لا يخلو منها أحد.**

- وحتى أخونا «علي حسن» تكلَّم علينا كثيراً، وعنده «مركز الألباني» ويأتيه دعم، وعنده مجلس إدارة، مَن عيَّن مجلس الإدارة؟! وعنده نظام، ويجمع تبرعات، إيش الفرق مع جمعية التُّراث؟ يُسميه تعاون دعوي، نحن نُسمي عملنا كذلك تعاون دعوي، يعني العبرة المسميات!

- لا شَكّ أن «جمعية التراث» أزعَجَت الإخوان، وانظروا إلى عَمَلِها مُنفَردة تُساوي مُعظم الجمعيات الأهلية، وهي **الجمعية شبه الوحيدة التي تدعم السلفيين في العالم**، إلا بعض الأفراد وبعض الجِهات في السعودية، وهي الوحيدة الواقِفة في وجه التكفير والتفجيرات وتَصدَع بكتُب ومؤلفات في الدفاع عن العقيدة، ولعل أبرَزها «مكتبة طالب العلم الثامنة»، كلها تعالج قضايا الغلو والتطرف، وبعِدّة لُغات، ايتوني بجمعية واحدة سواء في السعودية أو في الشرق أو الغرب قامت بمثل هذا العمل الذي تقوم به الجمعية بمواجهة فكر الإرهاب والتكفير والخوارج، لا يوجد.

- حتى أنني قلتُ **لجماعة الشيخ ربيع وفلاح**، ما دَورُكم العلمي والكتب التي ألَّفتموها أو نشرتموها ضد هذه الطوائف؟! الوحيدة

التـي تُؤلِّـف وتنـشر وتـوزّع كتبـاً **عـلى مسـتوى العـالم** ضـد كل أوجـه الانحـراف هـي «إحيـاء الـتراث»، وتتبَّعـوا كلّ أشرطـة الشـيخ «ربيـع» لا تجـد بحثـاً في هـؤلاء إلا جَعجعـة عـلى «الإخـوان المسـلمين»، وهـذا «فـلاح إسـماعيل» مـا عنـده شيء إلا هـذه المسـألة، فليسـت القصـة هـي سـب الجماعـات، إنـما مـاذا فعلنـا بتنظـيرٍ علمـيٍّ سـليم ضـد هـذه الأفـكار؟

- وللأسـف هـؤلاء النـاس يُجعجِعـون دون برهـانٍ ولا دليـل، وبعـض الشـباب يُصدِّقونهـم، وتجـد أن **البعـض لا يُريـد أن يَعمـل فيتّخـذ مـن هـذا ذَريعـة**، فيقـول المشـايخ تكلمـوا في الجمعيـة وأنـا أُفضّـل ألا أكـون معهـم، فهـو أصـلاً لا يُريـد أن يعمـل ولا يريـد أن يشـتغل، مثـل: الـذي لا يُصـلي فلـما ذَهـب للمسـجد وجـده مُغلقـاً، فقـال: أتَـت مِنـك يـا جامـع!
- ولذلـك أنـا أقـول إن **الجمعيـة** مَحسـودة في أعمالهـا، وكثـيرون جـداً يتكلمون دون برهـان، إمـا هـوى وإمـا أهـداف أخـرى لا نعلمهـا، لكـن حقيقـة هـي ليسـت معصومـة مـن الخطـأ، يمكـن نحـن نعلـم مـن أخطـاء الجمعيـة وأخطـاء الأخـوة الإداريـين فيهـا مـا لا يعلمـه غيرنـا، لكـن **نحـن نـرى التسـديد والمقاربـة والدَّفـع حتـى تمشي السـفينة**. فالأخـوة غـير معصومين، ولكـن الأخطـاء تَضيـع في بحـر الحسـنات التـي يعملونهـا.
- وأنـا مـرة أتـاني أحدهـم يزعُـم أنـه مـن **ربـع فـلاح**، فقلـت لـه اكتـب في ورقـة واحـصر كل الانحرافـات المنهجيـة العقائديـة في جمعيـة الـتراث، وأنـا مُسـتعد أن أُرسـلك للشـيخ الفـوزان أو العبّـاد حفظهـما الله، فـما قـال أنـه لا يجـوز، فأنـا أتعهـد لـك أنـه يُـزال، ولكـن الأخطـاء موجـودة، والنـاس كلهـا أخطـاء، يعنـي «دار الإفتـاء» خاليـة مـن الأخطـاء؟! و«الجامعـة الإسـلامية» خاليـة مـن الأخطـاء؟! لا يخلـو الأمـر، فالانحـراف شيء

والخطأ شيء آخر، .. هذا لمن يُريد الحق، أمّا مَن يُريد الهوى أو يتكلم كلاماً (عائِماً) فلن تصل معه لنتيجة.

- **الشيخ ربيع قال لي: اترك الجمعية**، قلت له: أنا مُستَعِد، ولكن ايتني بفتوى من الشيخ ابن باز -وكان حياً يومها- أن البقاء في هذه الجمعية لا يجوز، سأطيع الشيخ عبدالعزيز، فقال لي: ما يُعطيك.

- فأنا أقول لا نتصيّد أخطاء الناس، ولو ننظر إلى أخطاء بعض المشايخ، مثلا الشيخ ربيع -هدانا الله وإياه- تزكيته لفالح الحربي، ففي فترة من الفترات صار فالح الحربي إماماً في الجرح والتعديل، وهذا مُسجَّل، فلما اختلف فالح مع الشيخ ربيع لهوى لا لشيء، فلا ندري نُصدِّق إمام الجرح، أم نُصدِّق الشيخ ربيع؟!

- وهم يُلَبِّسون، وأنا أذكر أنه جاءنا مرة أخونا **محمد بن هادي المدخلي** وقال لي: إذا كنتم لستم حزبيين فاجعلوني أُقيمُ درساً في جمعية التراث، فقلتُ له أضمن لك المحاضرة، ولكن ما الذي ستتكلم فيه، فقال: أنا أتكلم بما أريد، فقلت له لا يمكن، لأننا جمعية مُرخَّصَة مِنَ الدولة، ويُمكن أن تَقول شيئاً يضرنا، لأنه في المقابل أنني لو جئت المدينة في بيتك هل تسمح لي أن أتكلم في الرافضة النّخاولة؟ لا تسمح، لأنك ترى أنني أُسبِّبُ لك فتنة، فلم يَقبَل، فأشاعت مجموعة من شباب «فلاح» أن الشيخ مُنِع من إلقاء محاضرة في إحياء التراث! فهذا تدليس، فالأخوة عندنا وافقوا بهذا الشرط، وهو مطلبٌ منطقي).ا.هـ.

- وذهب أبو معاوية **للشيخ ربيع** في بيته بالعوالي بمكة -بعد الفتنة بالمدينة-، فقال له: ماذا استفدنا مِنَ الفِتنة؟ صار الطلاب يُبدِّع

بعضهم بعضاً، ويُفسِّق بعضهم بعضاً، ويُخرج بعضهم الآخر من السَّلفية! فقال: ما أردنا ذلك، فقال له: كنتَ سبباً في ذلك.

- ويقول الشيخ عبدالله: (**كثيرٌ من الأخوة والمشايخ السلفيين في الكويت غير منتسبين للجمعية** وليس لهم نشاط فيها، ولكنهم إخواننا **ونُحبهم ويحبوننا**، فليس لازماً أن كل شخص يكون منتسباً في الجمعية.

- وأنا لا أعرفُ أن الأخوة المنتسبين إلى جمعية التراث عندهم انحرافٌ منهجي أو عقائدي، **ولو عَرفنا لقَوَّمناه**، ولا نَسكُت عنه، أما أخطاء في بعض مسائل فقهية فهذه تَحصل، وليس عند «مجموعة فلاح وحمد» أخطاء منهجية أو عقائدية، وهذا ما نَدين الله به ولا نُجامِل به، وإنما الذي نراه هي أهواءٌ تحرَّكت فدمَّرت، وهذا لا نُخفيه.

- **والشيخ ربيع أتانا في «جمعية التراث»** وجَلَس مع مجلس الإدارة، ولم يذكر لنا خطأً منهجياً أو عقائدياً، ما عدا أخطاء في كتب الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق القديمة، وتبرأنا منها [(١)]، والإنسان غير معصوم من الخطأ، كان عندنا نوع من (الغَبَش) في مجموعة أفكار، والحمد لله رب العالمين بصَّرنا الله فيها، ومذ بصرناها إلى اليوم لم يأتِ لها ذِكر، وهذا دليل صدق الأخوة فيما ذهبوا إليه.

- ولذلك أنا ذكرتُ في كتاب «**الطريق إلى وحدة المسلمين**» أنه لا يمكن أن تُوحِّد المسلمين إلا إذا عَرفتَ لماذا اختلف المسلمون، اعرف سبب الخلاف، حتى تَعرِف التَّجميع). ا.هـ.

(١) وكذلك ما صدر باسم «لجنة البحث العلمي» بإحياء التراث، وكان فيها د. عبدالرزاق الشايجي حيث طَبعت بعض الرسائل المخالفة بمشورة الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق رحمه الله.

- ويقـول الأخ أبوعمـر محمـد هـادي: (وفي الحقيقـة كان الشـيخ صافيـاً في سـلفيته، وكان يقـول لي: **إذا رأيـتَ السَّـلفي يَكـذب فاعلـم أنـه حِـزبي،** فالسَّـلفي ليـس في دينـه تَقيّـة، وليـس في دينـه مـا يُخفيـه، (ليلهـا كنهارهـا لا يزيـغ عنهـا إلا هالـك)، وظهـر ذلـك عندمـا عَلِـق مـع الشـيخ عبدالرحمـن عبدالخالـق، فبقـي الشـيخ عبـدالله ذَهَبـاً، وثبـت مـع العلـماء، ولم يتغـيَّر ويتحـيرَّ، ويـومٌ هنـا ويـوم هنـاك).
- وبـيَّن الشـيخ عبـدالله في كتابـه «**حُكـم العمـل الجماعـي في الإسـلام**» الموقف الشرعـي مِـن قِيـام الجماعـات الدعويـة، ونَقَـل مـا جـاء في «منهـج جمعيـة الـتراث»: «ونـرى إقامـة جماعـة سـلفيَّة واضِحـة الأهـداف، إنما هي وسـيلة لخدمـة الديـن والعمـل عـلى رعايـة مصالـح المسـلمين، وتقديـم الخـير لهـم، وليـس ذلـك مِـن الحِزبيَّـة التـي نهـى الـشرع عنهـا .. ونـرى أن الأصـل الأصيـل في الدعـوة: **الظهـور والعلنيـة**»[١].

ثـم قـال الشـيخ مُعلِّقـاً: «ونـرى لِزامـاً أن ينـأى العمـل الجماعـي عـماَّ شـابَهُ مـن فعـل الأحـزاب؛ **مـن أخـذِ البَيعـة والعَهـد، ومـا جـرَّ ذلـك مـن تحـزُّب مقيـت؛ كان سـبباً في تفريـق الأمـة**، وعقـد ألويـة الـولاء والـبراء عـلى أسـاس الحِزبيـة الضَّيِّقـة، بـل يجـب أن يكـون العمـل الجماعـي السَّـلفي نموذجـاً يُحتذى بـه **مـن الظهـور والوضـوح وتـرك التَّحـزُّب** لغـير العقيـدة الصحيحـة والمنهـاج الحـق»[٢].

- **سـائل يقـول: هنـاك مـن يزعـم أن «جمعيـة إحيـاء الـتراث» بدعيـة، وأن لهـا فروعـاً فيهـا مخالفـات منهجيـة، والقاعـدة تقـول: أن البـدع غَلّابـة، وأن مَـن**

---

(١) صفحة (٤٤)،الطبعة الرابعة ٢٠١٨م.

(٢) انظر المجموع (٢/ ١٧٩).

كان سُـنّيّاً ولـه مخالفـة واحـدة فهـو مُبتـدع، فـما القـول في ذلـك؟

فقـال: (أولاً: لا يُوافَـق أن مَـن كان سُـنّياً ولـه مخالفـة يُعـد مُبتدِعـاً، هـذا القـول ليـس صحيحـاً، وهـذا ابـن خزيمـة إمـامٌ في التوحيـد، عنـده في العقيـدة بعـض الأخطـاء، فـلا نقـول أنـه مُنحـرف في العقيـدة، السُّـنّي يبقـى سـنياً وتُعالَـجُ أخطـاؤه، الجمعيـة بعمومهـا جمعيـة سـلفية بشـهادة العلـماء، وحتـى الفـروع التـي ذكرتَهـا فيهـا كثـير مـن السـلفيين، وفيهـا بعـض النـاس لنـا ملاحظـات عـلى سـلوكهم، فالقـول أن الواحـد إذا أخطـأ في زاويـة عـم الباقـي، قـول ليـس بصحيـح، وإلا فهيئـة كبـار العلـماء فيهـا أنـاسٌ محسـوبين عـلى تيـاراتٍ أخـرى، فهـل نقـول أن هيئـة كبـار العلـماء كلهـا مُخالفـة؟! وحتـى أن بعـض العلـماء كالشـيخ صالـح الفـوزان حفظـه الله زكّـى كتابـاً للصـاوي، والصـاوي معـروفٌ أنـه أكـبر سروري جهـادي تكفـيري، فهـل نقـولُ أن الشـيخ صالـح هَلَـك لأنـه زكّـى كتابـاً لشـخصٍ هالـك، لا يقـال هـذا القـول.

فأنـا أقـول لا تؤخـذ الأمـور بعموميّـات، وإنـما تُؤخـذ بآحـاد، والأمـور لا تُعالـج بفتـاوى، وإنـما تعالـج بطريقـة الدعـوة، وإلا مـا مِـن أحـدٍ إلا ووقـع في شيءٍ مـن هـذا، فـلا نسـتطيع أن نهـدم كلَّ عملـه بسـبب زاويـة مـن الزوايـا.

فبعـض النقـاط نحـن نعلـم أن فيهـا تقصـيراً، وبعـض الفُـروع قـد تتصرّف خطـأً، مخالِفـةً منهـج الجمعيـة، لكـن الأصـل أن الجمعيـة بـما فيهـا مـن مشـايخ وطـلاب علـم هـي عـلى درب أهـل السـنة والجماعـة، أمـا الـذي ينتقـد لـو بحثـت فيـه تجـد أن عنـده مـن العـوج أكثـر مما عنـد الجمعيـة، ونحـن لا نـرى أن الأفـراد معصومـين، وإنـما نقـول عندهـم أخطـاء والأخطـاء تُعالـج، لكـن القـول أنهـا بِدعيـة لا دليـل عليـه، وإلا لِمَ تعامـلَ معهـا العلـماء).

- **هل صحيح أن هناك «بيعة» في «الجمعية»؟ وأن مشايخ الجمعية يَنهون عن مُجالسة أي شيخ يخالفها؟**

فقال: (أولاً: لا توجد بيعة فيما نعلم، وبيعةُ خِلافة وحُكُم -كما عند الإخوان- فَغَيرُ موجودة، واسأل كل مُنتسبي «الجمعية»، ونحن نعرف الجمعية منذ نشأتها إلى اليوم، وأما أنّ مشايخ الجمعية ينهون عن الجلوس مع من لا يوافقها، هذا افتراء، إلا شخص يَسُب، وأنت اليوم لو أن أحداً يَسُبّك فلن تجلس معه، وإذا رأيتَ أخاك يذهب إليه تقول له: اتركه؛ مُزعج يَسُب، فنرى أن الأخوة الذين يسبوننا ليل نهار نرى أن أبسط حق لنا أن نقول اتركوهم لا تشغلونا معهم، نحن ما فتحنا الباب عليهم ورددنا، لكن بقيَّة الأخوة الذين لا يسبون وإن خالفونا؛ الكل يجلس معهم، هذا أخونا الشيخ حمد العثمان -وفقنا الله وإياه للطاعة- ما نُهي أحد من الجلوس معه، لأنه ما يأتي منه إلا خير، قد يكون له ملاحظات وله وجهات نظر نحترمها، لكن ما نُهي أحد من الجلوس معه، أما واحد يسبك ليل نهار ثم تقول للناس اسمعوا له! هذا جنون، وهذا الأخ علي حسن عبدالحميد وسليم الهلالي وغيرهم لهم كلام في الجمعية، لكن إلى الآن يُدعَمون في «مركز الألباني» من الجمعية، ويُدعَون إلى الكويت، فالكلام على إطلاقه ليس صحيحاً.

فكثير جداً من الأخوة ليسوا من جمعية إحياء التراث، لكن لهم وجودهم وأماكنهم، يُدعمون ويُساعدون، فأرى أن هذا القول مفترٍ وقول باطل ليس له أساس.

حتى أني قلت للشيخ مقبل رحمه الله: أنت عندك عمل جماعي، بدليل أن عندَكَ مسؤول طلاب، ومسؤول مالية، ومسؤول يجمع تبرعات من

الخـارج، إذاً مـا العمـل الجماعـي غـير هـذا؟!

نحـن نرفـضُ العَمـل الـسِّري التنظيمـي الـذي عنـد الجماعـات الأخـرى، لكـن العمـل في الكويـت مفتـوحٌ مثـل الشـمس، ومُرخـص مـن الحكومـة، وتعلـم الحكومـة كل تفاصيلـه.

أليسـت «هيئـة كبـار العلـماء» فيهـا عمـلاً جماعيـاً؟! و«دار الإفتـاء» أليسـت عمـلاً جماعيـاً؟! كلهـم لهـم نِظـام ولهـم اجتماعـات ورُؤَسـاء، إيـش الممنـوع فيـه؟! مـا في أحـد يعمـل وليـس عنـده عمـل جماعـي، وهـذا «مركـز الألبـاني» في الأردن أليـس عمـلاً جماعيـاً؟! مَـن عَـيّن مجلـس الإدارة؟ مَـن سَـمح لهـم بجمـع تبرعـات؟ الفـرق بيننـا وبينهـم: أننـا لا نخـاف مِـن أحـدٍ، **ولا نخشـى الإرهـاب الفكـري**، يقـول علينـا الشـيخ «ربيـع» كلام، نَـرُدُّ عليـه، يقـول علينـا «عـلي حسـن» كلام، نَـرُدُّ عليـه، ندعـو إلى الله عـز وجـل عـلى طريقـة أهـل العلـم، **أمـا إذا جاءنـا كلامٌ مـن العلـماء الكبـار نَقِـف**، أمـا مِـن أقراننـا أو مِمـن دوننـا فـلا نَقِـف.

وأنتـم الآن قَدِمتـم في رحلـة[١]، هـذا عمـلٌ جماعـي، رحلـة منظمـة منضبطـة، تُسـميه تنظيـم أو ترتيـب إداري، سَـمِّه مـا شِـئت، لا يهـم، وهـؤلاء أسـميهم جماعـة حـزب «ألا حـزب»، كلهـم واقِعـون فيـه، ولكنهـم يتهربـون، يعنـي الشـيخ ربيـع مـا عنـده موقـع انترنـت، مـا عنـده أنـاس تكتـب، يقـول لهـم اكتبـوا كـذا ولا تكتبـوا كـذا، إيـش الفـرق؟ الفـرق أننـا نعمـل في إطـار مكشـوف مثـل الشـمس، وهـم يعملـون مـن تحـت الدّواعيس).ا.هـ

- يُخـبرني أحـد الأخـوة نقـلاً عـن الشـيخ عبـدالله يقـول: أتيـت **اليمـن** وهـي

(١) وهُم بعض الأخوة الشباب مِن منطقة القرين.

غارقة في التخلّف خاصة بعد انضمام القسم الشمالي بالجنوبي، فقلت للشيخ مقبل: لو أنكم أنشأتم جمعية خيرية أو تحت وزارة الشئون وتكون أنشطتكم منتظمة، ويأتيكم مَدد ومساعدة من «جمعية إحياء التراث» ويكون عملكم جماعياً ولكي يكون تحويل الأموال مرتباً ومن جهة رسمية إلى جهة رسمية، فرفضَ الشيخ مُقبل ذلك؛ لأن فيها تَحَزُّباً!

- وبعض طلبته أيّدوا فِكرة الشيخ أبا معاوية فقالوا له: كيف الطريقة؟ ثم أنشَؤوا «جمعية الحِكمة اليَمانية» سنة ١٩٩٠م، فلما رأى الشيخ «مُقبل» أن الطلاب انحازوا عنه وأنشأوا هذه الجمعية قال: جاء عبدالله السبت وفرّق السلفيين بماله، حتى قال في بعض الأشرطة: لن يُغرينا عبدالله السبت بدنانيره ولن يَغُرّنا. [١]

- **هل مِنَ الممكن جَمع كل السلفيين؟**

فقال: (ممكن إذا نُزِعت منها الأهواء، لأنني قلتُ لكم سابقاً أنه ليس بيننا وبين مجموعة الأخ «فلاح» و«حَمَد» خلافٌ عقائدي أو منهجي، فلما تأتي تفصفص المسائل كلها لا تجد أنه بيننا خلاف في عقيدة أو في منهج، فهم لا يَرون الخروج ونحنُ كذلك، وهم لا يرون المظاهرات ونحن كذلك، هم لا يرون العمل الفوضوي ونحن كذلك، هم لا يرون الانتخابات تجوز للضرورة ونحن كذلك، وإن كان هم في الانتخابات لهم وجهين: إذا راحوا السعودية هاجموا الانتخابات وأنها لا تجوز، وفي الكويت عملوا في الانتخابات، نحن ما عندنا وجهان، وأنا سمعت شريطاً للأخ فلاح ينكر الانتخابات، والواقع في الفحيحيل أنه يمارس الانتخابات،

(١) وطبعاً هذا في بداية الأمر، وقد يكون بعض أفراد الجمعية تغير، أو فيها من انتهج فكراً مخالفاً.

وأنا تتبعتُ المسألة فما وجدتُ شيئاً، إلا أنهم مُصرِّون على أننا حزبيين!، ما هو وجه الحزبية ما ندري؟ وأنتم اسألوهم، وأنا مُستعد أن أُصلِح. وهذه هي الطريقة الوحيدة لأن نجمع السلفيين).

- **أحدهم يسأل: لماذا لم تُصدِر الجمعية «بياناً» بالبراءة من الشيخ عبدالرحمن وفِكره؟**(١)

قال: (أولاً: أننا نرى الهُدوء في السياسة والدَّفع بالحُسنى، والصبر على الناس أولى، لا نُريد أن ندخل الناس في متاهة، ونحن لسنا من أنصار «البيانات»، والواقع العملي ومنهج الجمعية الذي صَدر يُفيد خطَّ الجمعية، لأنك لا بُدّ مِن أن تحسِب حسابات الفتن والناس، مثل ما ترك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إقامة الحد على ذلك المنافق الكبير في المدينة لاعتبارات أخرى، فأحياناً يترك الإنسان أشياءً لاعتباراتٍ أخرى، يراها هو وقد لا يراها غيره، والسياسة التي مورِست مع الوقت تَظهر ثمرتها، فليس المطلوب الإعلان وإخراجُ بيان، وإنما المطلوب أن نستحوذ على إخواننا، ممن تأثَّروا به، أو الصورة غير واضحة عندهم، وهذا أنفع، فنكسب أحسن مما نَخسر، هذه هي وجهة النّظر).

- **ومما يُظهر مكانة الجمعية** ودورها، ما يخبرني به الأخ خالد العبدالمحسن: (لما خَفّضَت السعودية الميزانية -أيام الملك فهد رحمه الله- في أغلب قطاعاتها، ومن ضِمنها إدارة البحوث -التي يرأسها الشيخ ابن باز رحمه الله-، وكان عندهم كفالة لكثير من الدعاة في العالم، أرسل الشيخ ابن باز لإحياء التراث برسالةٍ لكفالة كثير من هؤلاء الدعاة، وحقيقةً **تكفلت الجمعية** بذلك).

(١) سيأتي الحديث عن موقف الشيخ عبدالله تجاه الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق رحمهما الله.

الشيخ وجماعة الإخوان

- يحدثني الأخ الفاضل خالد العبدالمحسن: (كان للشيخ عبدالله بُعد نظر: فكان يُحذّر من انتشار منهج الإخوان في السعودية، وكان يقول هذا لبعض المشايخ منهم الشيخ الفوزان، والفوزان يقول له: هذا فقط عندكم وليس عندنا .. حيث إنهم لم يكونوا واضحين في السعودية ولم يكن لهم نشاط محدد، فكان يقول له: هؤلاء الآن هم طلاب المشايخ في الصباح، وفي المساء هُم يُربّون الشباب على مناهج أخرى.

ظهرت هذه **الطبقة الثانية** من مشايخ السعودية بعد تحرير الكويت، حيث ظهرت أفكارهم أكثر، وقد تأثروا من دكاترة الجامعة المصريين والمدرسين الذين أتوا بعدما طردهم جمال عبدالناصر من مصر فاستقبلتهم السعودية، فصاروا قادة في العمل الدعوي، فكان الشيخ عبدالله يُنبه المشايخ منهم ..).

- ألّف الشيخ **محمد بن سيف العجمي** رحمه الله من مشايخ الجهراء كتاباً مُوَفَّقاً ذاع صيته بعنوان: «**وقفات مع كتاب للدعاة فقط**» سنة ١٩٨٨م، وهو ردٌّ على كتاب الداعية جاسم مهلهل الياسين، وكان المؤلف متأثراً بالشيخ أبي معاوية، وقد اطلع على هذا الكتاب وأثنى عليه قديماً الشيخ «مُقبل» والشيخ «رَبيع»، وكان الكتاب من أوائل الكتب المُحذِّرة والكاشِفة لمنهج «جماعة الإخوان المسلمين» وبيان موقفهم من مسائل التوحيد والتَّشيّع والتَّصوف وغيرها، علماً أن الشيخ «صلاح الدين مقبول» ساعده حينها في إعداد مادته.

- **يقولون: إن الخِلاف مع الاخوان خلافٌ سياسي!** فقال الشيخ

أبومعاوية: (هذا كلام مُغرض يُريد أن يُشَوِّش، أو جاهلٍ بالتاريخ، نحن بدأنا صراعنا مع الإخوان في السبعينيّات، والسياسة ما أتت إلا في الثمانينيّات، وكثير من إخواننا يرون أن دخول البرلمانات يضيّع الوقت، وفي عام ٨١ اتفقنا مع الاخوان ألا ينزل أحد منا أو منهم، ولكن الاخوان التفوا علينا، وأن نبحث عن العاقل الذي ينصر الإسلام والسُّنة فيُدعم، فلما التفّوا علينا اضطر الأخوة أن يُنزلوا الأخوين جاسم العون وخالد بن عيسى، وبالعكس لما بدأت السياسة خَفّت حِدّة خلافنا مع الإخوان).

- **هل نتعاون مع الإخوان في البرلمان؟**

قال الشيخ: (الأصل أننا نمشي في دربنا، فإن وجدنا أنه من المصلحة العامة أننا نتعاون مع طائفة من الطوائف غير الرافضة، فلا حرج في ذلك، على اعتبار أن الضرورة تقدر بقدرها، لكن الأصل -سواء عمل تعاوني أو طلابي أو سياسي أو إغاثي- أننا نشتغل لوحدنا، وبالتجربة ثبت للأخوة كلهم أنه ما كُنا فيه منفردين كان نفعه علينا وعلى المسلمين أكبر، مما إذا كنا مجتمعين فيه معهم، لكن إذا وجدت مصلحة فهذه تُقدر بقدرها، ولذلك أنا قلت في رسالة أن الأصل عندنا **التمايز لا التجانس**، حتى لا نُحمَّلَ جريرة غيرنا، إذا أخطئوا يقولون الإسلاميين!، ولذلك نحن لما سمينا أنفسنا بأهل الحديث في أول أمرنا، وبالسلفيين في آخر أمرنا؛ للتمييز).(١)

(١) **وسأل بعض الإخوة الشيخ عن بدايات جماعة الإخوان في الكويت والسعودية، فمما قاله:** كان عبدالله عقيل العقيل (الزبيري)، وعبدالعزيز المطوع (صاحب وكالة فولفو)، هم **الذين بدأوا دعوة الإخوان في الكويت**، قابلوا «حَسَن البَنّا»، فكانوا متصلين بمصر وليس لهم دعوة بالكويت، وهذا قبل الستينيّات الميلادية، وكان الذي يُدير العمل: العقيل وعمر الدايل. وصار

ومما تجدر الإشارة له: ما أدركناه من رأي الشيخ في السياسة: أنه يرى ألا يدخل «طلبة العلم» في السياسة، ويُحبذ دعم السلفيين للمتعاطفين، وإذا دخل السلفي للمجلس لا بُد أن تكون له مجموعة من المستشارين الشرعيين والاجتماعيين والاقتصاديين، لكن يُرمى هكذا! هذه مضيعة له وللسلفيين، لا بد أن نشتغل بالدّعوة، أما السياسة فتأتي لاحقاً تَبَعاً، لكن إشغال الشباب والمناطق بالسياسة فهذه مَضيَعَة (كان يُرددها كثيراً رحمه الله).

ويقول: (وكما قُلنا مِراراً أن الانتخابات لن تُعيد لنا الخلافة، وإنما هي لدفع شر، لأنه لو ما دَخل الأخوة المجلس، قد ينفرد الإخوان وبقية الطوائف في كلِّ شيء، ونَضيع نحن، **فعلى الأقل هؤلاء يسُدّون عنّا**

=«العقيل» مستشاراً بالأوقاف وكان أزهرياً.

ثم تديّن مجموعة من الناس منهم «عبدالرحمن السميط» و«عبدالواحد أمان» وجعلوه أميراً على الجماعة، وله السمع والطاعة، وكانوا خمسة أشخاص تقريباً، وكثر عددهم بسرعة شديدة، ولم يرضَ «عبدالله العقيل» أن يكون «عبدالواحد» هو الأمير لأسباب.

ودخل «بوبدر عبدالله المطوع» ودعَمَهم بقوة، وهو رجل له كلمة مسموعة عند الإخوان، ثم غيروا «عبدالواحد أمان» وأظنه صار إما جاسم مهلهل أو محمد حيدر الرحماني.

عبدالمنعم العزي كتب في مجلة «المجتمع»: إن أي إخواني يخرج من الجماعة: (فلن نُصلي عليك ولن نستغفر لك)!

الإخوان في السعودية: حاولوا فتح خط أيام «الملك عبدالعزيز» رحمه الله، حيث سافر إليه «حسن البنا» بنفسه، فقال له الملك: كلنا إخوان، وأنا مندوبكم للمملكة. ذكاءً منه لردّهم.

ثم لما اختلفوا مع «عبدالناصر» في الخمسينات وتركوا مصر، دخلوا السعودية أيام «الملك فيصل» رحمه الله، وكان بينه وبين عبدالناصر حرب، فحاول «الملك فيصل» استخدامهم في حربه، ولم يكن أكثر السعوديين حينئذ عندهم شهادات، فتمكن المصريون في السعودية بذلك الوقت، وصاروا مدرسين في كل مكان، وصار لهم نفوذ، وأسسوا مؤسسات مثل «رابطة العالم الإسلامي»، ثم تأسست الجامعات، وكانوا متمكنين فيها، وكذلك مراكز الدعوة والتوعية وغيرها.

من رؤوسهم: عبدالله التركي، ومناع القطان، والمطرودي (وكيل وزارة الأوقاف حينها)، وعوض القرني، وناصر الزهراني، وسعد البريك، سعود الفنيسان (يرأس التنظيم كله في الرياض).

شَراً، بقـدر مـا يسـتطيعون، وأنـا فصّلتـه في درسٍ سـابق).[(١)]

(١) **وللفائـدة يُحدثني** الشـيخ د.محمـد بـن عبدالرحمـن المغـراوي في ثنايـا حديثـه عـن الشـيخ أبومعاويـة والربط بـين الدعـوة والسياسـة فقـال: (أنـا في تَصَـوّري أن الدعـوة السـلفية في الكويـت حصـل فيهـا خَلـط، لأن الدعـوة أساسـها العلـم لا السياسـة، ومـن يقـول إنـه يمكنـه أن يتحكّـم، أو أنـه **يَدعـو ويَدخـل سِياسـة ويُعلِّـم فهـو مُخطـئ**، فالسياسـة تجُـرّ كالجَـرَب، فيهـا تنـازلات واختـلاط موازيـن، والسياسـة أغلبهـا كـذب، وهـي مُخالِفـة للحقائـق).

وفي هـذا الصَّـدَد **أنقـل كلامـاً هامّـاً لشـيخ كبـير قـد شـاهد وجـرّب الانتخابـات البرلمانيـة في بلـده** وهـو الشـيخ محمـد نـاصر الديـن الألبـاني رحمـه الله حيـث **يُوضِّـح أثرهـا السـلبي عـلى الدعـوة**، جـاء في لقـاءٍ جَمَعـه بالشـيخ د.صالـح آل الشـيخ في سـورية وكان بتاريـخ ٢١/ ٨/ ١٩٨٩م: [**السـائل -وهـو د.صالـح-: موضـوع الاتجـاه السـلفي العـام في الكويـت لأن أمـره في الحقيقـة يهُمّنـا جميعـاً**.. أُحـب أن أوضِّـح أولاً بعـض الأشـياء التـي سَـمِعتُها وبعـض الأشـياء التـي شـاهدتُها. الشـيخ: متـى كُنتـم؟

السـائل: في الحقيقـة أنـا حـضرتُ مؤتمـر في أمريـكا لــ (جمعيـة الكتـاب والسـنة) يرأسـها الأخ محمـود مُـراد، حـضرتُ المؤتمـر المـاضي، والـذي شـهدته أن المؤتمـر يـكاد يكـون الإخـوان في الكويـت مـن **الشـيخ عبدالرحمـن عبدالخالـق** وبعـض الشـباب وكـذا يـكاد يكـون يُسَـيطِرون عليـه، عـلى الاتجـاه.

والـذي لاحظتُـه أيضـاً في المؤتمـر أنهـم يَعرضـون فيـه السَّـلفية **بصـورة حِزبيـة، بحيـث أنهـا شِـعار يُقابل شـعار الإخـوان**، لا أنهـا منهـج تـام يُـراد الاقتنـاع بـه، سـواء كان إخوانيـاً مـن اقتنـع بـه أو تبليغيـاً أو غـير ذلـك، فهـذا الاتجـاه الآن إذا اسـتُمِرَّ فيـه **سَـيَقلِب الدعـوة إلى دعـوة حِزبيـة**. الشـيخ: **وهـو كذلـك**.

السائل: وستكون دعوة إخوانية حزبية، إلا أنها لها صورة سلفية.

الشيخ: نحن نُسمّيها **دعوة إخوانية مُطعَّمة بالسَّلفية**، تطعيم.

السـائل: فـما أدري شـيخ ودنـا لـو تَدَخَّلـت في مثـل هـذا الأمـر، يعنـي تحَـدّه، لأن هـذا يجنـي عـلى الدعـوة ككل، لأنـه سـيكون يومـاً مـا الإخـواني مثـلاً أو التبليغـي أو **الشـخص العـادي في الشـارع يَكـره السَّـلفية لكراهَتِـه لهـذا الحِـزب المُمَثَّـل فيـه، وهـذا سـوف يـضر الدعـوة ككل**. مثـلاً تجـد عندهـم -وهـذا شـاهدته مـن بعضهـم- مـا تجـد عنـده التـزام بالسُّـنن، تجـد عنـده تخلّـف عـن الصلـوات مثـلاً في الجماعـات أو كـذا، مثـلاً مـا تجـد الالتـزام في ملبسـه، في هيئتـه، وهـذا معنـاه أنهـم أَخَـذوا السَّـلفية إذاً **بمنظـار الشـعار الـذي يُـراد بـه إقامـة دولـة، أو الحَظـوة بمقاعِـد في البرلمـان، أو مقاعـد في الـوزارة، أو شيء مـن هـذا**.

كنـتُ تكلمـتُ يـا شـيخ مـن بـاب عـرض الموضـوع مـع «الشـيخ عبدالرحمـن» في المؤتمـر، لأنـه وُجـه سـؤال -أنـا كنـت ألقيـتُ محـاضرة- وَوُجِّـه سـؤال: **مـا حُكـم الدُّخـول في البرلمانـات** في الـدول التـي تحَكـم بغـير مـا أنـزل الله، أو تُقِـرّ الـشرك في أراضيهـا؟ فـكان الجـواب: أن الـبراءة مـن المشركـين واجبـة، وأن الدُّخـول معهـم في هـذا مَعنـاه دخـول معهـم في توطيـد أركان الدولـة التـي تقـوم عـلى هـذه الهيئـة، واسـتمريت في بعـض الـشيء في هـذا الموضـوع حتـى انتهـى، وتكلَّـم «الشـيخ عبدالرحمـن» معـي في

=الموضوع، وغَضِبَ يعني شيئاً من ذلك، وقال: أنا استَفتيتُ عُلماء أكبر وكذا.. فقلت: يا شيخ عبدالرحمن هذه إخوانية! ما نَعرِفها سلفيّة، قال: وهل يَضُر أن يكون هذا من الحَق الذي عند الإخوان، الإخوان معناه أنه ليس معهم حقٌ أبداً؟! إذا كان هذا عندهم مِنَ الحَقِّ فنحن نأخذ به.

قلت: يا شيخ **الضَّرر مِن هذا؛ أنه لن يأتي أحدٌ بعد ذلك إخوانياً أو تبليغياً أو غيره ويمكن أن يكون سلفياً، لأنها ستكون مُقابلة.**

وهذا جرَّ -حتى في آخر المؤتمر السابق- أحد إخواننا في مصر وتكلم بكلمة قال فيها: (وكان بعض مشايخنا يقول لا يَدخل الجنة إلا سَلَفي) بهذا الإطلاق! ما عقَّب الشيخ عبدالرحمن باعتباره أكبر الموجودين!، فاستأذنتُ في التَّعقيب وعقَّبت عليه، **وبيَّنتُ بطلان هذا الإطلاق،** ومن الأشياء التي بُينت واستحسنها بعض الإخوة الموجودين: .. أنتم الآن **تُمثِّلون السلفية بحِزب، معناه تقولون أنه لا يدخل الجنة إلا مَن كان مِن حزبنا أو مِن جماعتنا، وهذا التَّعقيب أحرجَ بعض الموجودين**.. الكويتيون هم الذين أصابهم الحَرَج، الأخ المصري قام وشَكَرني أمام الملأ، وقال هذا كلام حق، أنا ما قصدتُ يعني العبارة بالجميع..

الشيخ: نحنُ على كل حال دعوتنا دائماً كنا نقول منذ سنين طويلة: **مِن مَزيّة الدعوة السلفية أنها تَجمع الأحزاب كلها ولا يَجمعها حزب واحد، لأنها دعوة عامّة لا تنتمي إلى شخص ولا إلى جماعة واحدة،** وإنما هي تَجمع المسلمين جميعاً على أساسٍ مِن كتاب الله ومِن سُنّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السُّنة الصحيحة.

نحن نقولُ هذا مِن زمن بعيد جداً، ولا شك أن الانحراف الذي قد يُصيبُ بعض الجماعات له سببان اثنان في اعتقادي، السبب الأول وهو الأهمُّ: **نفسيّ**، للوصول إلى مآرب يعني أغراض دنيوية مَحضة، والشيء الآخر: قد يكون يعني بسبب **ضعفِ الشخص في العِلم** أي في الكتاب والسنة، وفي طريقة الدعوة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ونحن كُنا نَرى منذ عشرات السنين أن بعضاً أو أفراداً من «الإخوان المسلمين» كان عندهم استعداد لتقبّل الدعوة السلفية على أنها يعني فكرة وعقيدة، يعني ليس مكلفاً المعتقِد لها بأن يكون داعية إليها، فهو يكون سلفياً في شخصه فقط وليس بالنسبة للمجتمع الذي هو يحياه ويعيش فيه، ولذلك فَهُم في الحقيقة -كما لمستُ ذلك منذ عشرات السنين- الذين يَدعون بألسنتهم إلى محاربة الذين يقولون بفصلِ الدين عن الدولة، فهُم واقعون في هذا الفصل من حيث يشعرون أو لا يشعرون، لأنهم أنا أتكلم بطبيعة الحال عن الإخوان المسلمين ثم مَن **حذا حذوهم وقلّدهم في دعوتهم السياسية مع شيء من الخلط لهذه الدعوة بالدعوة السلفية**، ولذلك فنحنُ من زمن بعيد وبخاصة في هذه الآونة القائمة الآن، ولعلك عرفتَ ذلك أنه هنا الشعب مُعرَّض الآن لما يسمون بالانتخابات، لعلك سمعت هذا؟ فمن مواضيع الساعة كثرة السؤال عن رأيي في الانتخاب أو ترشيح المسلم لنفسه أن يكون منتخَباً.

=**فأنـا أجيـب منـذ القديـم أجيـب بهـذا الجـواب، ولا أزالُ مُقتنِعـاً بـه**، فأقـول: نحـن لا ننصـحُ أحـداً مـن المسـلمين أن يكـونَ نائبـاً في البرلمانـات هـذه، لما هـو معلـوم مِـن أنهـا لا تحكـم بـما أنـزل الله كمبـدأ عـام، ثـم بصـورة خاصـة أنهـم يُحلَّفـون أيمانـاً غـير شرعيـة عـلى تأييـد شـخصيات أو نظـام غـير إسـلامي.

وأنـا أعـرف مـن كثير ممـن يتبنـى الدَّعـوة السـلفية بأنـه يـرى أنـه لا مانـع مِـن دخـول هـذه البرلمانـات، وكأنـه يتبنـى القاعـدة التـي هـي ليسـت قاعـدة إسـلامية، وهـي التـي **تقـول بـأن: الغايـة تُـبرر الوسـيلة**، فهـو يـرى أن هـذا الدخـول وإن كان مُحاطـاً بالتعـرض لكثـير مـن المخالفـات الشرعيـة، لكـن هـذا الدخـول لا بـد منـه زعمـوا؛ لأنـه بذلـك يمكـن تطويـر الحيـاة البرلمانيـة.

فأنـا حينـما أُسـأل أقـول: لا أنصـح مسـلماً أبـداً أن يُرشـح نفسـه ليكـون نائبـاً في برلمـان مـن هـذه البرلمانـات، لأنـه بَـدَل أن يُصلِـح سيُفسَـد هـو مـن قِبَـل الجُمهـور الـذي هـو يَحيـاه ويعيشـه، ولا يسـتطيع أن يقـف أمامـه؛ لأن التيَّـار أقـوى منـه.

لكـن مِـن جانـب آخـر أقـول: بأنـه **إذا نـزل بعـض المسـلمين** مـن الذيـن لم يَقبلـوا هـذه النصيحـة، أنزلوا قوائـم ببعـض المرشـحين مـن الإسـلاميين، **فأنـا أرى أنـه لا مانـع مِـن انتخابهـم واختيارهـم؛ مـن بـاب دفـع المفسـدة الكـبرى بالمفسـدة الصُّغـرى**، لكـن لا نُريـد أن يكـون هـؤلاء كبـشَ الفـداء، أن يَعرضـوا أنفسـهم للفتنـة، وبخاصـة أنهـم -أو أعنـي بعضهـم- قـد جرّبـوا الحيـاة البرلمانيـة سِـنين طويلـة قديمـاً عندنـا في سـورية، مثـل الدكتـور السِّـباعي -لعلـكَ سـمعتَ بـه-، ومحمـد المبـارك وأمثالِهـم، وهنـا أيضـا حتـى «حـزب التحريـر» تـورَّط سـنة مـن السـنين، رشَّـح بعـض أفـراد حزبـه ثـم لم يتمكَّنـوا مـن أن يُصلحـوا شـيئاً، **كذلـك نفـس المصيبـة وقعـت في إخواننـا في الكويـت**..

ولذلـك فنحـن نُخالـف هـذا الاتجـاه تمـام المخالفـة؛ لأنـه أولاً: **لا يمكـن الجَمـع بينـه وبـين الدعـوة السـلفية عَمَليـاً**، وثانيـاً: لأنـه سـتكون النتيجـة -كـما أشرتَ أنـتَ آنفـاً- إلى أن **تُصبـح الدعـوة السـلفية دَعـوة حِزبيـة مُقَوقَعـة عـلى نفسِـها**، محصـورَة ببعـض الأفـراد، وسَـوف تُسـتَغل أعتقـد مـن ناحيتـين: سـوف تَسـتغل الحُكومـات مـن الـرؤوس **لتحتَـوي هـؤلاء الأفـراد باسـم أنـه هـذول جماعـة سـلفيين، ثـم هُـم أنفسُـهم -إلا مـن عَصَـمَ الله وقليـل مـا هـم- سَيَسـتَغِلّون مناصبهـم للوصـول إلى مـآرب شَـخصِيَّة، إلى وظائـف عاليـة ونحـو ذلـك**، وكـما يُقـال بهـذه المناسـبة: والتاريـخ يُعيـد نفسـه، فهـؤلاء «الإخـوان المسـلمون» مَـضى عليهـم نحـو نصـف قـرن مـن الزمـان، وهـم يتخبطـون في السياسـة، ثـم لا شيء وراء هـذه السياسـة؛ **لا عِلـم ولا تربيـة أخلاقيـة ولا شيء**، بـل كـما نقـول نحـن في سـورية، عـلى التعبـير السـوري: (مكانـك راوح)، يعنـي فيـه حركـة ولكـن مـا فيـه تقـدّم.. فهكـذا **إن لم نقـل بأنهـا في تأخّـر، لأن «الانتـماء الحـزبي» مِـن مَفاسِـدِه إيقـاعَ الحزبيـين في الغُـرور والعُجـب بالدعـوة**، فينصَرِفـون بسـبب ذلـك عـن العمـل الحقيقـي بالإسـلام وللإسـلام، **لهـذا نحـنُ مـا نـرى أبـداً هـذا الاتجـاه الـذي تَوجَّـه إليـه بعـض إخواننـا السـلفيين هنـاك في الكويـت**.

ولعلَّـك شَـعرتَ بـأن هنـاك جَماعـات كثـيرة مـن إخواننـا مـا يَرضَـون عـن هـذا الاتجـاه، ولذلـك فأنـا

=أعتقـد -والله أعلـم- وهـذا لا يمنعُنـا مـن أن يَعمـل كل مِنّا اسـتطاعته في الدعـوة إلى المنهـج السـلفي العِلمـي الصحيـح والتربـوي، **وأن اتخـاذ ذلـك حزبـاً هـو ليـس مـن الدعـوة السـلفية في شيء.**

السـائل: الآن -حفظـك الله- ذكـرتَ عـن الدخـول في البرلمانـات بعبـارة قلـتَ حفظـك الله: أنـا لا أنصـح، فهـل يُفهـم مـن هـذا الجـواز؟

الشـيخ: لا، أنـا لا أُجيـز، لأن الديـن النصيحـة هـذا لا يُنـافي، **أنـا لا أجيـز لمسـلم**، لكـن قصـدي مـن كلمـة «لا أنصـح» أنني لا أسـتطيع أن أفـرِضَ رأيـي عـلى أحـد، **هـذا أسـلوبي في المُحادثـة**. لا أسـتطيع أن أفـرِضَ عـلى إنسـان، لكـن أُبـدي لـه رأيـي، وأُبـدي لـه نصيحتـي. وأقـول يعنـي أنـا شـخصياً الآن بـما عنـدي مـن اعتقـاد مُسـتحيل -إذا ربنـا عصمنـا وحفِظنـا أن أرشِّـح، لـو كان لي شـعباً يعنـي يُرشّـحني ونحـن منبـوذون عندهـم- مسـتحيل أن أقبَـلَ مثـل هـذا الأمـر، لأن الحقيقـة أن يكفينـا -بَـلاش كلام كثـير- قـول الرسـول عليـه السـلام: (ومـن أتـى بـاب السـلطان افتُتِـن)، فهـذا هـو مـن أبـواب السـلطان الـذي فيـه فتنـة كبـيرة، والواقـع أكـبر شـاهد عـلى ذلـك، **فأنـا لا أجيـز أبـداً للمسـلم أن ينتسـب إلى البرلمـان**، لكـن قـد يقـول إيـش دليلـك؟ بَلِـف وأدور وأصـول إلى آخـره، لكـن كثـير مـن النـاس بِدهُـم (يُريـدون): «قـال الله، قـال رسـول الله، لا يجـوز دخـول البرلمـان»، نحـن نقـول لهـم -يمكـن في كثـير سـمعت- يـا أخـي العلـم كلـه ليـس بهـذا الوضـوح، فيـه هنـاك اجتهـاد واسـتنباط (لَعَلِمَـهُ الَّذِيـنَ يَسْـتَنْبِطُونَهُ مِنْهُـمْ) هـو خـاص بأهـل العلـم. قَصـدي مـن كلمتـي السـابقة هـو هـذا إن شـاء الله]. سلسـلة الهـدى والنـور برقـم (١٠٠٣)، كـما رقمـه بذلـك (أبوليـلى الأثـري) في موقعـه الإلكـتروني (دعوتنـا)، وقـد جمـع فيـه تسـجيلاته لـدروس ولقـاءات العلامـة الألبـاني رحمـه الله.

وفي سـؤال آخـر وُجِّـه إلى الشـيخ الألبـاني عـن مظاهـر الحزبيـة في الكويـت، فمـا أجـاب: [.. نعلـم أن الاشـتغال اليـوم بالسِّياسـة اشـتغال يَـصرف القائمـين عـلى الدعـوة عـلى هاتـين الركيزتـين، ألا وهمـا التَّصفيـة والتربيـة، فالإشـتغال بالسياسـة يـصرف القائمـين عـلى هـذه الدعـوة مقرونـة بهـذه التصفيـة والتربيـة عـما هُـم في صـدَدِه.

فالدعـوة السـلفية في الكويـت مِـش يمـرون في دور تحـزَّب، لا، فقـد دخلـوا وانتهـى الأمـر، مـن يـوم أجـازوا لأنفسِـهم كـالإخوان المسـلمين دائـماً وأبـداً، وكحِـزب التحريـر في بعـض أدوارهـم، **حينـما سـوَّغوا لأنفسـهم باسـم الإصـلاح أن يدخلـوا في البرلمانـات القائمـة** -مـا نقـول عـلى الكفـر بـالله ورسـوله وبالإسـلام جُملـة وتفصيـلاً- وإنـما عـلى الأقـل نقـول هـذه البرلمانـات القائمـة عـلى مُخالفـة الشريعـة في جوانـب كثـيرة وكثـيرة جـداً، فحينـما أباحـوا لإخوانهـم أن يُنتخبـوا وأن يَنتخبـوا ويدخلـوا في البرلمـان هـذا الـذي لا يحكـم بـما أنـزل الله، حتـى صـار منهـم مَـن كان وزيـراً، لهـذا نحـن نقـول إن الدعـوة السـلفية هنـاك أخـذت طـوراً سياسـياً آخـر..

ولذلـك فنحـن نُريـد مِـن إخواننـا الذيـن يشـتركون معنـا في الدعـوة إلى الكتـاب والسـنة، وعـلى منهـج السـلف الصالـح في كل الأراضي الإسـلامية، **أن يُؤسِّـسوا قبـل أن يشـتغلوا بالسِّياسـة**]. سلسـلة الهـدى والنـور (٧٢٥)، ألقـاه بتاريـخ ١٢/ ٣/ ١٩٩٣م.

قصة انتشار الفِكر «السُّروري» في الكويت

- يقول الشيخ: (لا نَعلَمُ قبل احتلال صدام غيرَ خطٍّ سلفيٍّ واحد، فلم يكن هناك تيارات: لا سلفية علمية، ولا ما يسمى بـ «السرورية»، كانوا قِلّة محصورين مع بعض الفلسطينيين يتَّبعون الشيخ «حسن أيوب»، ولا نعلمُ لهم في أوساط الكويتيين نشاط، فلا نعلم

=وجاء في لقاء آخر، رداً على سؤال: [**لا ننصح إخواننا السلفيين في أرض الله الواسعة في كل بلد إسلامي أن يعملوا عملاً سياسياً**، ولو كان هذا العمل نابعاً من أنفسهم، فضلاً عن أن يكونوا فيه أو في هذا العمل تبعاً لغيرهم، ما ننصح بهذا أبداً، ذلك **لأن العمل السياسي يحتاج في الحقيقة إلى مقدمات كثيرة**، واتخاذ أسباب جمَّة، ليتمكن هؤلاء الذين تأسسوا وتربوا على هذا المنهج أن يقوموا بالسياسة الشرعية، وفيما نعلم كل الأجواء في البلاد الإسلامية اليوم لا يوجد فيها جماعة، ولنَقُلها لفظة قرآنية «أُمَّة» تكتَّلت وتجمَّعت على هذا المنهج الإسلامي الصحيح، ولم يبقَ لديهم ما ينقصهم مِنَ القيام بالواجبات الشرعية إلا العمل السياسي، لا نعلم أن طائفة أو جماعة أو أمة توجد اليوم على وجه الأرض أنه لا ينقصها إلا العمل السياسي، العمل السياسي في اعتقادي إنما يأتي بعد زمن، واستعداداتٍ جمَّة، تقوم بها الطائفة المنصورة التي جاء ذِكرها في الحديث المشهور المتواتر..].

إلى أن قال: [**أن الاشتغال بالعمل السياسي قبل أن تَتَهَيأ الجماعة أو الأمة له سيكون صارفاً لهم عن** المضي في منهجهم في الدعوة إلى الكتاب والسنة وتربية الأمة، ليس المقصود فقط الدعوة، ليس المقصود فقط القول، وإنما المقصود القول والعمل به، لما نعلم به من الترغيب والتحذير كتابا وسنة من القول دون العمل، والعِلم دون تطبيق لهذا العلم، كما قال تعالى في الآية المعروفة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)، **لذلك فالاشتغال بالعمل السياسي قبل أن تصل الأمة أو الجماعة إلى مَرحلة هذا العمل السياسي ستكون عاقبة أمره أن تنهار الدعوة وأن ترجع القَهقرى**، ورُبَّ ناس لا يقتنعون بهذه النظرية مِن الناحية العلمية، وحسبهم أن يلقوا نظرة سريعة في بعض البلاد الإسلامية التي وَقَعَت فيها بعض الأعمال السياسية، فكان عاقبة أمرهم لم يكن ذلك رشداً، ولم يكن توفيقاً، بل كان عاقبة أمرهم القهقرى والرجوع إلى الوراء في الدعوة، فقد كانوا ماضين في دعوتهم كما يأمر الشرع، **وإذا بهم بسبب النهوض المفاجئ بعملٍ سياسي؛ لتكون عاقبة أمرهم وعاقبة نهضتهم أن رجعوا القهقرى**، ولذلك كان مِن بعض الحِكَم التي تُذكر عن بعضهم قولهم: (من استعجل الشيء قبل أوانه ابتلي بحرمانه)، وهذا أمر طبيعي جداً قبل أن يكون أمراً شرعياً]. سلسلة الهدى والنور (٧٢٠)، ألقاه سنة ١٩٨٩م.

غير الإخوان والتبليغ وحزب التحرير والسلفيين، وكانت الحمد لله **المخيمات الربيعية** تُقام، والعلماء يأتون والنشاط قائم، والجمعية تُمارس عملها، وخاصة في الجهاد الأفغاني، وفي فلسطين، وفي السودان.

بعد كارثة «صدّام» تحركت ما سُمّي بالسُّروريّة (١)-وذكرت ذلك في شريط أن محمد سرور **انشقَّ سَنَة ٧٥م عن الإخوان** في السعودية وبعد انتقاله إلى الكويت ظلّت محصورة في الإخوان، وليس لنا نحن علاقة بها-، وبعد الاحتلال وظهور سَلمان وسَفَر كقُوة في العالم الإسلامي، هذه جعلت شبابنا في الكويت يتأثّرون فيهم، فكان سَلمان -قبل الاحتلال- يُلقي محاضرات في الدّوحة «بالكويت»، وكنا نَرُدّ عليه بلُطف، لأن التيّار كان قويًّا ضِدّنا، خاصة في تفسيره لـ «لا إله إلا الله» على طريقة المودودي

---

(١) **ومما قاله الشيخ في لقاء آخر**: («محمد بن سرور» سوري ذَهب للسعودية مع زوجته المدرِّسة، وصار مُدرّساً كذلك، ودرَّس سلمان العودة في بريدة المرحلة المتوسطة.

التنظيم السوري للإخوان يرأسه مصطفى السِّباعي، وقد انقسم الاخوان إلى قسمين: قسم متأثر بالسنة بسبب الألباني كزهير الشاويش وعصام العطار، والقسم الصوفي كعبدالفتاح أبوغدة، وتولى الرئاسة عصام العطار بدعم من «علي بن أحمد بن ثاني»، فصار التنظيم السوري متأثراً بالسُّنة، ثم غادر عصام إلى ألمانيا بعد المضايقة وعمل مركزاً، ثم ابتعد عن التنظيم بعد مدة، وترك مجموعة منهم «محمد بن سرور» الإخوان، وكان له أتباع منهم سلمان العودة، فتركوا الإخوان عام ٧٥م بحُجة موقفهم من الشيعة والعلويين.

كان أمير الإخوان في السعودية «مناع القطان»، وقد ساهم في إخراج «محمد سرور» إلى الكويت، وهو بدوره قد جعل محمد قطب -أخو سيد قطب- هو الواجهة، وكان يراهن على تحويل خط الكويت إلى خط «محمد قطب»، إلا أن «منّاع» أتى باثنين من مصر لإقناع «عبدالله المطوع» لمبايعة «التنظيم الدولي» واستطاعوا على ذلك، لمدة شهر، حتى لا ينخرط مع «محمد قطب».

ثم قام إخوان الكويت بتسفيره إلى ألمانيا، وتمكّن مِن أخذ مُعظم طلاب «حسن أيوب» المتأثر بالصوفية.

وخاف «عصام العطار» من تولي محمد سرور، فلديه أسلوب وعقلية وكان يريد مكان عصام. ثم انتقل من ألمانيا إلى بريطانيا وأنشأ «مجلة السنة» في برمينغهام، وفيها سبَّ الحُكام والدول. ثم انتقلت «مجلة السنة» إلى السعودية باسم «المنتدى الإسلامي» وأصبح أمينه خالد الفواز).ا.هـ.

«أي لا مُطاع إلا الله»، **فبعد الاحتِلال هي بداية الانتشار** السروري في الكويت.

- أنا ذكرتُ في أكثر من محاضرة -خاصةً محاضرة «نظرات في واقع الحركات الإسلامية المعاصرة»- سلّطنا فيها الضوء على «القُطبية» أو ما يُسمى بـ «السُّروريّة»، ثم بعدها بدأ الكثيرون يتكلمون في المسألة، وهذا كان أثناء العدوان العراقي وقبل التحرير، -ولا نُسمِّيه «غزو» لأنه مصطلح شرعي جميل كغزوات النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-، وهذا العُدوان كما سمّوها أم الفضائح في كل شيء، فكان فاصلة، **وكانت الحركات الإسلامية متهيئة أنها تستفيد مِن صدّام**، فلو أراد أن يجمعَ مليون مجاهد من المغرب العربي لاستطاع، خاصة «علي بلحاج» و«جبهة الإنقاذ»، حيث مشت معه بقوة.
- والذي يَظهرُ لي أنه **كان يُراد بـ «الدعوة السلفية» أن تنتهي**، لأن اليهود والنصارى لا تهمّهم الحركات الإسلامية الأخرى، ومن يقرأ التقارير التي تنشر في الدول الكافرة؛ وكيف أنهم **يَرون أن الدعوة السلفية هي الخطر الأكبر**، وكيف أنهم يساعدون المد الصوفي، ويُساندون مدّ الإسلام المتحرر، وطرح التنسيق بين اليهود والنصارى والمسلمين، **كل هذه إرهاصاتٌ لأن يجتمع الكفر كله ضدّ دَعوة التوحيد.**
- ولماذا **الكويت مُستهدَفَة**؟ لأنها على صِغَر حجمها، إلا أنها **تُعتبر أكثر دولة في العالم تدعم الحركات السلفية السُّنيّة**، وحتى الحركات الإخوانية في الكويت لا تستطيع أن تدعم التَّصوّف الشِّركي أو الانحراف الشركي في الخارج، لأن هناك رقابةً من الناس، فأرادوا -كما يُقال- أن يجفِّفوا منابع الدَّعم الذي يصِلُ للجمعياتِ السَّلفية في

الخارج، آلاف الكتب والدعاة، وتجفيفه يعني قَطع المنبع، ولكن الله تعالى أراد شيئاً آخر.

وأنا أعتقدُ جازماً أن الله نصرَ البلاد بفضلِه ثم بمعونة ضُعفاء الموحِّدين ودعائهم في كل مكان، فلا نَذكر بلداً وقعت فيه كارثة وانبرى المسلمون في الدنيا: فقراؤهم وأيتامهم ومدارسهم يدعون له، لأنهم كلهم تضرَّروا، وكان هذا فضل الله عز وجل.

واعتقد جازماً أنه كان المراد في فترة العدوان العراقي **أن تتغير خارطة المنطقة، ويضيع الإسلام الموجود في السعودية والكويت، وهو التوحيد السلفي**، وإلى الآن هو مُستهدف بقوة في كل الأبحاث التي نقرأها، ولذلك عندما تنظر للمحطات الفضائية تجد أن الذي يُطرح باسم «الإسلام» هو إسلام مُشوّه، وخاصة الآن قد تُوّج الفساد بتعيين صوفي محترق كشيخ للأزهر، وهذه ما جاءت اعتباطاً، جاءت لتُؤصل هذا الوضع الفاسد.

- نحن نعتقد أنه يجب أن يَعي المسلمون -خاصة حُكّامهم- بأن **السلفية هي الصّاد**، فما مِن دعوة تَصُدّ الناس عن الانقلابات وعن التَّفجير وعن التَّكفير إلا دَعوة السلفيين، **هي الدعوة الوحيدة التي تصدّ كل تياراتِ التكفير والضلال والخوارج**، وتُدافع عن حُكامِها في الدنيا، لا يوجد غيرهم، صحيح أن هناك من ادعى السلفية كذِباً كما في المغرب والجزائر وبعضِ بلاد الأفغان، لكن هذا معروف أنه كذبٌ وزورٌ وافتراء.
- إذاً هذا الواقع جعل «**الخَط القُطبي**» ينمو بقوة، وكان يُهيئ نفسه لأن يكونَ البديل الإسلامي، ويقابله الخط الإخواني، ولكن الحمد لله رب العالمين قد مَشَتِ الأمور على غيرِ ما يُريدون.

- بالنسبة لنا كسلفيين لا شَكّ أن هذا **كان دَرساً لنا في التَّمحيص**، لأن هذه الأحداث مَحَّصت مَن كان في قلبه غِشّ وخداع، فأصبحت الدعوة السلفية في الكويت كالمدينة تَنفي خَبَثها، وخرجت لنا ما يُسمى بـ «الدعوة السلفية العلمية»! وهذه تُريد مظاهرات وثورات وأحزاباً، ولكن الله فَرَزَها، ففي هذه الأحداث فُرِزَ مَن يَنتسِب للسلفية جَهلاً أو هوىً، وبقي السلفيّون القُدماء الذين التفوا حول العُلماء ومَشَت السفينة بحمد الله، فهذا شر ولكن أيضاً جاء فيه خير.
- وبعدها لا شَكَّ أن الإخوان أو السروريين وَجَدوا أن هذه المسألة وهذه الغنيمة ما أصبح لهم فيها سَهم، ضاعت وأَكَلَها الآخرون، واتجهوا -بعد أن كانوا حرباً على الرافضة- إلى التوفيق مع الرافضة والنصارى!، كما حدث في باخرة فك الحصار عن غزة[(١)] حيث فيها مسلمون ونصارى ويهود ولا دينيون، وكيف يُقبل أن يُصلي نصراني كافر مع المسلمين؟! وهذا لم يأت عبثاً، إنما جاء من إفرازات فكر القرضاوي والإخوان؛ أنه ليس بيننا وبين النصارى مشاكل، وإنما الأمر فيه سعة، واتفاق حضارات، فهذه الإفرازات الآن تُدعم بقوة، **وصارت في العالم الإسلامي كل التيارات مجتمعة لحرب دعوة التوحيد**، والحمد لله السلفيون في العالم رتبوا أمورهم وساروا على درب علمائهم.
- من أشهر الكتب المعاصرة التي حذّرت من فكر الرافضة كتاب: «وجاء دور المجوس»، وقد طُبع متأخراً باسم محمد سرور، والحقيقة

(١) وهو «أسطول الحرية الأول» الذي انطلق بشهر مايو ٢٠١٠م من جنوب أوروبا وتركيا، بمشاركة مجموعة كبيرة من الناشطين الحقوقيين والسياسيين والصحافيين مسلمين ونصارى وغيرهم، لرفع الحصار الذي فرضته دولة الاحتلال الإسرائيلية على أهل غزة من سنة ٢٠٠٧م.

هـي مـا يخبرنـا بهـا الشـيخ أبو معاويـة أن: (كتـاب «وجـاء دور المجـوس» وَصَلَنا الكويـت وهـو عبـارة عـن فصـول ومباحـث متفرقـة مـن مشـايخ وطلبـة علـم سـعوديين، وأكمـل «محمـد سرور» بعـض المباحـث، وأكملتُ أنـا بعضهـا، ولمـا تـم الكتـاب تشـاوَرنا في اسـمه، فاتفقنا عـلى أن نُسَـميه: عبـدالله محمـد الغريـب، فأنـا عبـدالله وهـو محمـد وكلانـا غريـب). ومـن قـرأ الكتـاب يَعـرف أسـلوب كل مبحـث، وطريقـة الـكلام والاسـتدلال تختلـف مـن مبحـث لآخـر، كـما نقـل ذلـك لي الأخ أنـور العنـزي.

- أنـا أعتقـد أنـه يجـب **عـلى السـلفيين أن يُدركـوا أنهـم مُسـتهدفون**، وأن تلميـع واحـدٍ مثـل «محمـد عـمارة» أو «عمـرو خالـد» و«فهمـي هويـدي» مـا جـاءَ عَبَثـاً، وإنـما جـاء لإيجـادِ بدائـل، وإيجـادِ رمـوزٍ غـيرَ رموزنـا، لأنكـم تُلاحظـون أن في فـترة نشـاط «الحركـة السُّرورية» كانـوا يريـدون إبـراز رمـوزٍ مثـل الأخ «سَـلمان» والأخ «سَـفَر»، حتـى يحلـوا مَحـلَّ العلماء!، وكانـوا يقولـون عـن العلـماء: هـؤلاء مسـاكين مـا عندهـم إلا مسـائل الحيـض والنفـاس!، وكَتَـبَ سَـفَر رسـالة بذلـك سـمّاها «كشـفُ الغُمّـة عـن علـماء الأمـة»، وكان الفاصـل أن العلـماء الكبـار كلهـم وَقَفـوا عـلى موقـفٍ واحـد وهـو تأييـد الاسـتعانة بالكافـر؛ لدفـع الـذي هـو أشرّ منـه، وهـؤلاء لم يجـدوا لهـم شَـعبيّة، وكانـت هـذه كفيلـة بإنزالهـم، لذلـك اضطـرّوا أن يجامِلـوا الحُـكّام نهـاراً، ويُفتـوا بمذهبهـم ليـلاً!
- والآن يُـراد بالأمـة أن تتجـه إلى هـؤلاء النـاس «بالمفكّريـن الجُـدد»[١] الذيـن تُلَمِّعهـم المحطـات الفضائيـة، هـذا الواقـع، **ونحـن نـرى أن عـلى السـلفيين**

(١) يُراجع للاستزادة ما ذكره الشيخ من بيان منهجهم وأهدافهم ورموزهم في كتاب (ملامح أهل الحديث).

أن يَلتَفّوا حول مشايخهم حتى يُفَوّتوا الفُرصة؛ ولا يَجعلوا هؤلاء يكونوا نماذج للأُمّة.

- نُلخِّص الأمر، أن الاجتياح العراقي أتى بأمور:

الأمر الأول: كان مهيأً أن تُزال هذه الدَّعوة كلها، والله خيَّب آمالهم.

الثاني: ثم صار فَرزٌ للدعوة السلفية في الكويت بالذات، والسعودية وغيرها، بين السلفيين حقيقة وبين المدغوشين، لأنهم في السابق لم يكونوا يُصرِّحون، بعد ذلك صرَّحوا بكل شيء.

الثالثة: أن يحلّوا مكان العلماء الكبار، وأن يجعلوا الناس تتجه لهم، كما ذكروا ذلك في البيان الذي سمّوه «بيان العلماء الأربعة» في ذلك الوقت.

- الآن جاءوا إلى عَوامِّ الناس بمشايخ حليقين، وعندهم كل شيءٍ حلال، وهُناكَ دعوة في مصر إلى التقارب الشيعي السُّني، والتقارب النّصراني الإسلامي، ونسأل الله أن يُعيننا على تفويت الفرصة عليهم.

- لو نظرتم في أدبيّاتِ «حزب الإخوان المسلمون» كلها ما تجدون هجوماً على حزب البعث في العراق، أو البعث في سورية، إلى اليوم، بل **كل قيادتهم كانوا يؤيّدون صدّام ضِد الكويت**، وهذا معلومٌ في البيان الذي صَدَّرَه الإخوان في مصر، لأنه كان أملهم أن «صدّام» يدخل في الساحل، و«الملك حسين» يدخل في الحجاز، و«علي عبدالله صالح» يدخل من الجنوب، وتتوزّع البلاد، ومن يقرأ بيان الإخوان فترة الاجتياح العراقي يُدرك ذلك، ومنذ كانوا الإخوان إلى اليوم لم يصدر منهم ذم أو بيان ضد القذافي أو بعث سورية أو بعث العراق، إلا في المرحلة التي تحاربوا فيها ضد بعث سورية ثم لمّا اصطلحوا سَكتوا،

بعـد مـا ذبـح كل الشـباب الإسـلامي في سـورية وقضـوا عليـه وأدخلـوه السِّـجن، واطمأنـت نفوسـهم، تصالحـوا مـع البعـث السـوري!!، لكـن مـا عندهـم الأدبيـات التـي تُهاجـم وتُبـين، كـما عنـد السـلفيين، هـذا تاريـخ، ومـن يقـولُ غـيرَ ذلـك؛ قُـل لـه أظهِـر لنـا كتابـاً أو ائتنـا بنـشرة أو بيـان).

الشيخ عبدالرحمن والجماعة السلفية

انتقاله إلى الكويت:

- يحدثني أحد الأفاضل -وقد كان مُلازماً ومصاحِباً مدة ٢٠ سنة للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق رحمه الله في السابق-: (كان الشيخ عبدالرحمن يذهب وهو طالب في المدينة المنورة مع المشايخ «ابن باز والألباني» إلى الهجر والقُرى، وكان الشيخ ابن باز -رئيس الجامعة الإسلامية آنذاك- يجعله يُقدّم للمشايخ في المحاضرات، وكان يُحبه، ثم ظهرت مجموعة الشدّي -وكانت متشددة ترى تغيير المنكر باليد- وفي مرة كسَّروا محلات الملابس التي تعرض بالفاترينات مُجسمات للإنسان، زاعمين أنها أصنام ويجب إزالتها، فحصلت آنذاك مظاهرة وتكسير، فحضر الأمن وشكلت لجنة للتحقيق، فحققوا مع الشيخ عبدالرحمن وكان وقتها بالمسجد، وقد سمِع صوتهم وتكسيرهم، فلما حقَّقوا معه فقال: لم أكن معهم، ولكنكم أخطأتهم في سِجنهم، واعترض على قرارهم، فعلى إثرها سحبوا جنسيته، وأخرجوه من السعودية،[(١)] وخيروه بين قطر والإمارات، فذهب إلى قطر، فلم يسمحوا له بدخولها، وقالوا للكابتن خذه معك إلى الإمارات، وكان له صلة

(١) وقد فصَّل القول في **حادثة التكسير والسِّجن** الشيخ عمر الأشقر رحمه الله في كتابه (صفحات من حياتي ص٧٠) حيث سُجن هو ومعه الشيخ عبدالرحمن مدة أربعة أشهر تقريباً، وقد اتهموا زوراً أنهم من حزب التحرير، وبيّن أنهم أنكروا ولم يرضوا بتغيير المنكر باليد، ثم أرفق رسالة من الشيخ عبدالرحمن إليه يحكي ويُفصِّل فيها ما جرى له في التوقيف والسجن.

بتاجر من أم القيوين أو رأس الخيمة، فاستخرج له جوازاً ولزوجته وابنته وهو في الطائرة -حتى أنه استغرب! وقد يرجع ذلك أن بعض زعماء القبائل والوجهات كانت تُعطى لهم الجوازات لأتباعهم-، فقال لهم أريد الذهاب للكويت -وكان قد رأى رؤيا ثلاثة أيام أنه يركب قطاراً متجهاً للساحل عند مسجد وعلى بابه حمامتان، ففسرها بأنها الكويت -، فاستقبله أحد كبار السن، ومن الغد ذهب به للأوقاف ليتعيّن إماماً، كل ذلك على نيّة الرجوع للإمارات).

- انتقل الشيخ عبدالرحمن رحمه الله إلى الكويت سنة ١٩٦٥م، فتعيّن إماماً بالأوقاف، ثم صار مدرساً بوزارة التربية لمادة التربية الإسلامية، وكان يسكن حولي ثم القادسية، فكوَّن له دعوةً وهو بالتدريس.

بداية تواصله بالمجموعة السلفية

- كان يحضر دروسه الإخوان والسلفيين، وكان يخطب في مسجد بالشويخ على شارع الكندادراي، ثم بمسجد الجامعة، وكان يركز في دروسه عن التوحيد ونبذ البدع والأخذ بالدليل.
- يقول الشيخ عبدالله: (في سنة ٧٠م كنتُ أحضر دروس الشيخ عبدالرحمن في النقرة -وكان وقتها مع الإخوان-، ودروس الشيخ عُمر الأشقر، ونُصلي عند الشيخ مصطفى زربول).
- في سنة ٧١م أتى الإخوان بالشيخ عبدالرحمن لمسجد العبداالجليل ليُدَرّس كتاب «فتح الباري»، وكان مقصدهم أن يتأثّر السلفيون به وينظموا إليهم -كما ذَكرنا ذلك سابقاً-.[١]

(١) وأنقل ما ذكره الشيخ عبدالله في كتابه «بل هو الفرية» (المجموع ٢/ ٩٦) عن علاقة الشيخ

- وفي سنة ٧٢م ألقى الشيخ عبدالرحمن محاضرة في جمعية الإصلاح بعنوان: «الفكر الصوفي في الكتاب والسنة» وقد كان حاضراً فيها يوسف الرفاعي، يردّ على الشيخ ويناقشه أثناءها، فلم يُعجبه ذلك فخرج منها، والسلفيون كانوا يَحضرون لدروسه فشموا منه رائحة السلفية وحذَّروه من الإخوان، وأشاروا عليه إقامة هذه المحاضرة، وكان قد ألقاها قبل ذلك في مسجد العلبان بكيفان.
- كان يتم استضافة الشيخ عبدالرحمن لإقامة الدروس، وكان المعرّف له هو الشيخ أبومعاوية، حيث كان متفرغاً للشباب في تجميعهم للتعليم وترتيب الرحلات وإقامة المخيمات وغيرها، وفي سنة ١٩٧٣م سعى الشيخ عبدالله إلى إنضمام الشيخ عبدالرحمن إلى الجماعة السلفية.
- وكما يقول الشيخ حاي: (في سنة ٧٣م أتانا الشيخ عبدالرحمن

=عبدالرحمن بجماعة الإخوان وانتقاله إلى السلفيين، فقال: (.. ذلكم أنه عندما قَدِم مِن السعودية إلى الكويت حَوالي عام (١٩٦٢م) كان بعناية الإخوان -وهذا يَعرفه كل مَن عاش تلك الفترة- ومكث معهم حتى عام (١٩٧٣م) لفترة لا تَقِل عن تِسع سِنين في جمعية الإصلاح.

كان في تلك الفترة مُوجِّهاً لهم، ومستشاراً وشيخاً، وله صَولة وجَولة؛ وهذه حقيقة يعرفها الإخوان القُدماء، وكذلك قبل مجيئه إلى الكويت كان في المدينة على صِلةٍ بهم وطيدة، وكان والده رحمه الله من الإخوان.. **وهُم الذين جاؤوا به إلى مسجد العبدالجليل في الفيحاء، ليُلقي دَرساً في «البخاري» حتى يُسيطروا على الشباب**، والكل يعرِف ذلك، وأن الشيخ ما ترك الإخوان إلا حوالي عام (١٩٧٣م) بعد خِلافه مع عبدالمنعم العِزي، .. وكنا في المرحلة التي تَحوَّل فيها من الإخوان إلى السلفيين **لم نكن نُدَقِّق كثيراً، وكنّا نُحسن به الظَّن**، والغريب -إلى اليوم- ونحن نتساءل: ما دام أنه كان مُربياً لدى الإخوان، مسموع الكلمة، مُتَّبعاً فيهم، عندما تركهم ولجأ إلينا فلِمَ لم يَتبَعه أحد من شباب الإخوان؟!! وهذا سؤال مُحيِّر، إذ أنه الآن عندما ترك السلفيين تِبعه أتباعٌ وطلاب، فلماذا لم يحصل شيء من ذلك مع الإخوان، فهل هناك أمرٌ دُبِّرَ بليل؟!

ثم جاءت التحوّلات التي أظهر فيها الشيخ مذهبه القديم، وهو «الترقيع بين الجماعات»، وبعد هذه الفترة عاد الشيخ لإخوانيته، كما وصفه بذلك المحدث الألباني رحمه الله، فبهذا يكون قد انكشف لنا السِّر الذي جعله لا يجلب أحداً مِن طُلابه).اهـ.

عبدالخالق، وكان أكبرنا سِنّاً، فاستلم زمام إقامة الدروس، والشيخ عبدالله السبت سلّمه ذلك بحُكم أنه أعلم وخرّيج الجامعة الإسلامية، وقد تتلمذ على الشيخ الألباني، **ولم نكن نعرف عنه ما يدعو إليه بعد ذلك)**.[(١)]

- **ومن الإنصاف** القول أن الشيخ عبدالرحمن له بصمات وجهود في التعليم وفي الدعوة في الكويت وخاصة قبل الاحتلال العراقي، **ولكن بعد ذلك تغيّرت الأمور وأظهَرَ الشيخ منهجاً مختلِفاً**، حينها ردَّ عليه الشيخ عبدالله السَّبت بعدة كتبٍ ومقالات ومناسبات -وسيأتي بيانها-، وأظهرت «الجمعية» منهجها الدعوي المغاير لمنهج الشيخ عبدالرحمن.

تغيُّر أحوال الشيخ عبدالرحمن

- يُخبرني مَن كان ملازماً للشيخ عبدالرحمن سابقاً: (لا أستطيع أن أقول أن الشيخ عبدالرحمن كان يُضمر شيئاً وأنه لم يترك الإخوان حقيقة، فالنيَات عندَ الله، **لكنه تغيّر بعد تحرير الكويت**، وبعد وفاة ابنه بحادثٍ أيام الغزو، وكذلك ذهاب زوجته أم عبدالله لمصر، وأحداث الجزائر قبل الغزو، حيث لما رَجَع -وكان معه طارق العيسى ومحمد الحُمود- قال: ستكون هناك دولة خلافة، بسبب ما رأى من إقبال الناس على الدين وانتشار أشرطة المشايخ، ولما ذَهَبت مجموعة من الجزائريين إلى الشيخ الألباني يستفتونه -بعدما أُلغيت الانتخابات التي فاز بها الإسلاميون- نَصَحهم بعدم الخروج بالسِّلاح، فغَضِب الشيخ

---

(١) في لقاء له منشور في الموقع الالكتروني (اليوتيوب) بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ٢٠١٢م.

عبدالرحمن ولم يَرضَ بذلك ..، وكذلك تواصله مع سَلمان العودة وسَفَر الحوالي عن طريق همزة الوصل رياض الخليفي، **فلعلّ هذه الأحداث كانت سبباً ورَدَّة فِعلٍ في تغيّر منهجه).**

• أوشَكَت «اللجنة الدائمة» أن تُخرج بياناً أو رَداً على الشيخ عبدالرحمن، وكان الشيخ عبدالله -بنيةٍ صافية، وسريرةٍ خالصة لجمع الكلمة، ورجاءً في تَراجُعه- حينها يُدافع عنه عند العلامة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمهم الله جميعاً، حيث كان الشيخ عبدالرحمن **يرى**: أن بعض المنتسبين إلى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله زعموا أن كل من أسَّسَ جماعة للدعوة والجهاد فهو خارجي مُعتزلي، وأنهم أعطَوا الحاكم صفات الرب سبحانه وتعالى، وأن العلماء في السعودية في عماية تامة وجهل تام عن المشكلات الجديدة، وأن سلفيتهم سلفية تقليدية لا تساوي شيئاً!، وأنه لا يجوز بتاتاً أن نوقع العقوبة الشرعية قبل إزالة أسباب الجريمة، وأن تعدّد الجماعات والأحزاب ظاهرة صحيّة، وجواز الدعوة للمُظاهرات.[١]

---

(١) كما جاءت (**ملاحظات على بعض كتب الشيخ عبدالرحمن بن عبدالخالق**) بتاريخ ١٤/ ٨/ ١٩٩٤م في مجموع فتاوى الشيخ ابن باز، جمع د.الشويعر (٨/ ٢٤٠-٢٤٤): [من **عبدالعزيز بن عبدالله بن باز** إلى حضرة الابن المكرم صاحب الفضيلة **الشيخ عبدالرحمن بن عبدالخالق**. وفقه الله لما فيه رضاه وزاده من العلم والإيمان، آمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد وصلني كتابكم الكريم المؤرخ ١٤١٥\٣\٨هـ بيد الأخ الكريم ع. خ. س، وصلكم الله بحبل الهدى والتوفيق، وجميع ما شرحتم فيه كان معلوما.

ولقد سرّني كثيرا ما ذكرتم فيه من التزامكم بما درج عليه سلف الأمة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأتباعهم بإحسان، إلا ما قد يقع خلاف ذلك من خطأ أو نسيان، كما سرني أيضا رغبتكم وحرصكم على إيضاح ما نسب إليكم من الأخطاء لترجعوا عنها إن صح صدورها منكم.

وسرني أيضا عفوكم وصفحكم عمن أساء إليكم وطلبكم الأجر من الله عز وجل في ذلك.. إلى آخر ما أوضحتم في رسالتكم، وكان وصولها إلي بعد انتهاء مجلس هيئة كبار العلماء في دورته

=الثانية والأربعين المنتهية في الثلاثين من شهر صفر سنة ١٤١٥هـ، ومتى رأينا الحاجة إلى عرضها عليهم في المجلس عرضناها عليهم في الدورة القادمة إن شاء الله.

وإليكم بيان ما لاحظته عليكم من خلال كتبكم الآتية أسماؤها: الأول: أصول العمل الجماعي، الثاني: الخطوط الرئيسية لبعث الأمة الإسلامية، الثالث: وجوب تطبيق الحدود الشرعية، الرابع: مشروعية الجهاد الجماعي، الخامس: الوصايا العشر، السادس: فصول من السياسة الشرعية، السابع: ما لاحظناه بالشريط المعنون بـ(المدرسة السلفية).

أولاً: قلتم في كتابكم: (أصول العمل الجماعي) ما نصه: إن بعض **المنتسبين إلى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب** رحمه الله زعموا أن **كل من أسس جماعة للدعوة والجهاد فهو خارجي معتزلي**. - كما زعموا أن النظام ليس من دين الله، وأن التحزب ليس من الإسلام.

- كما زعمتَ أن بعض هؤلاء التلاميذ المنتسبين للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله **أعطوا للحكام المعاصرين حقوقا لم تُعط للصِّدّيق ولا للفاروق**، ولا عرفها المسلمون في كل تاريخهم، ولا دوَّنها - حسب علمكم - عالم موثوق في شيء من كتب العلم، وهو أنه لا يجوز أمر بمعروف ولا نهي عن منكر إلا بإذن الإمام، ولا يجوز رد عدوان على ديار الإسلام إلا بإذن السلطان، وهؤلاء **أعطوا الحاكم صفات الرب سبحانه وتعالى**، فالحق ما شرعه، والباطل ما حرَّمه، وما سكتَ عنه فيجبُ السكوت عنه، وعندهم أن ما أهمله الحاكم من أمر الدين ومصالح المسلمين فيجب على أهل الإسلام إهماله والتغاضي عنه حتى لا يغضب أمير المؤمنين. (انظر أصول العمل الجماعي ص ١٠، ص ١١) انتهى ما ذكرتم.

ولا نعلم أن أحداً من أتباع الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قال هذه المقالة التي ذكرتم، فأرجو بيان الكتاب الذي نقلتم منه ذلك، أو الشخص الذي بلغكم ذلك، وإلا فالواجب بيانكم خطأكم فيما نقلتم، وأن ذلك شيء لا أصل له، وأنه قد اتضح لكم عدم صحة هذه المقالات عن أحد من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، مع التثبّت مستقبلاً في كل ما تنقلون، وأن يكون الهدف بيان الحق والباطل مع عدم الحاجة إلى بيان ذلك الشخص المنقول عنه إلا عند الضرورة التي تقتضي بيانه.

ثانياً: قلتم في الشريط المسمى: (المدرسة السلفية) ما نصه: إن طائفة **العلماء في السعودية في عماية تامة وجهل تام عن المشكلات الجديدة**.. وأن **سلفيتهم سلفية تقليدية لا تساوي شيئاً**. انتهى.

وهذا قول باطل؛ فإن العلماء في السعودية يعرفون مشاكل العصر، وقد كتبوا فيها كثيرا، وأنا منهم بحمد الله، وقد كتبت في ذلك ما لا يُحصى، وهُم بحمد الله مِن أعلم الناس بمذهب أهل السنة والجماعة، ويسيرون على ما سار عليه السلف الصالح في باب توحيد الله، وفي باب الأسماء والصفات، وفي باب التحذير من البدع، وفي جميع الأبواب. فاقرأ إن كنت جاهلا بهم مجموعة ابن قاسم (الدرر السنية)، وفتاوى شيخنا محمد بن إبراهيم رحمه الله، واقرأ ما كتبنا في ذلك في فتاوانا وكتبنا المنشورة بين الناس.

=ولا شك أن ما قلته عن علماء السعودية غير صحيح، وخطأ منكر، فالواجب عليك الرجوع عن ذلك، وإعلان ذلك في الصحف المحلية في الكويت والسعودية، نسأل الله لنا ولك الهداية والرجوع إلى الحق والثبات عليه، إنه خير مسئول.

ثالثاً: ذكرتم في كتابكم: (خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية) ص ٧٢، ٧٣ ما نصه: إن دولنا العربية والإسلامية بوجه عام **لا ظلّ للشريعة فيها** إلا في بعض ما يسمى بـ: الأحوال الشخصية، وأما المعاملات المالية والقوانين السياسية والقوانين الدولية، فإن دولنا جميعها بلا استثناء خاضعة لتشريع الغرب أو الشرق، وكذلك قوانين الجرائم الخلقية والحدود مستوردة مُفتراة... إلخ ما ذكرتم ص ٧٨.

وهذا الإطلاق غير صحيح، فإن السعودية بحمد الله تحكم الشريعة في شعبها، وتقيم الحدود الشرعية، وقد أنشأت المحاكم الشرعية في سائر أنحاء المملكة، وليست معصومة لا هي ولا غيرها من الدول.

وقد بلغني أن «حكومة بروناي» قد أمر سلطانها بتحكيم الشريعة في كل شيء، وبكلّ حال، فالواجب الرجوع عن هذه العبارة، وإعلان ذلك في الصحف المحلية في المملكة العربية السعودية والكويت، ولو عبرت بالأكثر لكان الموضوع مناسبا؛ لكونه هو الواقع في الأغلب، نسأل الله لنا ولك الهداية والتوفيق.

رابعاً: قلتم في كتابكم: (وجوب تطبيق الحدود الشرعية) ص ٢٦ ما نصه: ٣- إزالة أسباب الجريمة قبل إيقاع العقاب: وبعيداً عن التعصب والجهل نقول: **لا يجوز بتاتا أن نوقع العقوبة الشرعية قبل إزالة أسباب الجريمة**، والإعذار إلى الجانح والجاني، فقد يكون في ظل الاحتكار والظلم، وضياع التكافل الاجتماعي، ووجود الأثرة، وحب النفس.

أقول: قد يكون في ظل مجتمع هكذا عذر لمن يلجأ إلى السرقة، ومن انحرفت نحو الزنا والبغاء؛ لتعول ولدا، أو أما عجوزا، أو أبا مريضا، وأظن أنه من السَّذاجة والجهل أيضا أن نُعاقب الزاني ونحن نسمح بكل ألوان الفسق والفجور، والدعوة إلى الخناء، ولذلك فليس من العقل والحكمة أبدا أن تُطبّق الحدود الشرعية الخاصة بالجرائم دون إزالةٍ حقيقية لأسباب هذه الجرائم.. إلى آخر ما ذكرتم ص٢٧.

فأقول: إن هذا الكلام بعيد عن الصواب، مخالفٌ للحق، ولا أعلم به قائلاً من أهل العلم، إلا ما رُوِيَ عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من التوقف عن إقامة حد السرقة في عام الرمادة، وهذا إن صحّ عنه فهو محَل اجتهاد ونظر. والنصوص من الكتاب والسنة صريحة في وجوب إقامة الحد الشرعي على مَن ثَبت عليه ما يوجبه.

فالواجب عليكم الرجوع عن هذا الكلام، وإعلان ذلك في الصحف المحلية في الكويت والسعودية، وفي مؤلف خاصٍّ يتضمن رجوعكم عن كل ما أخطأتم فيه.

ولا يخفى أن الحق قديم، كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَ، فالرجوع إليه

=خير من التمادي في الباطل. وفقنا الله وإياكم لما في رضاه، وأعاذنا جميعا من أسباب سخطه.

خامساً: دعوتكم في كتابكم: (مشروعية الجهاد) ص ٢٨، ٣٧، ٣٩، وكتابكم: (الوصايا العشر) ص٧١، ص٤٤ إلى تفرق المسلمين إلى جماعات وأحزاب، وقولكم: **إن هذا ظاهرة صحية.**

ولا يخفى أن هذا مُصادمٌ للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، مثل قوله سبحانه: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقوله سبحانه: (إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) الآية، في آيات كثيرة في هذا المعنى.

وقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: (إن الله يرضى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم). في أحاديث كثيرة في هذا المعنى.

فالواجب عليكم الرجوع عن ذلك، وإعلانه في الصحف المحلية، وفي الكتاب الذي أوصيناكم به آنفا في بيان ما رجعتم عنه من الأخطاء.

سادساً: ذكرتم في كتابكم: (فصول من السياسة الشرعية) ص٣١، ٣٢: أن من أساليب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في **الدعوة: التظاهرات** (المظاهرة).

ولا أعلم نصاً في هذا المعنى، فأرجو الإفادة عَمّن ذكر ذلك؟ وبأي كتابٍ وجدتم ذلك؟

فإن لم يكن لكم في ذلك مستند، فالواجب الرجوع عن ذلك؛ لأني لا أعلم في شيء من النصوص ما يدل على ذلك، ولما قد علم من المفاسد الكثيرة في استعمال المظاهرات، فإن صحَّ فيها نص فلا بد من إيضاح ما جاء به النص إيضاحاً كاملاً حتى لا يتعلق به المفسدون بمظاهراتهم الباطلة.

والله المسئول أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يُصلح قلوبنا وأعمالنا جميعا، وأن يجعلنا من الهُداة المهتدين، إنه جواد كريم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته].ا.هـ

وفي رسالة أخرى: حول شرعية المظاهرة:

[من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الابن المكرم صاحب الفضيلة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالخالق. وفقه الله لما فيه رضاه ونصر به دينه، آمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد وصلني كتابكم الكريم المؤرخ ١٤/ ٤/ ١٤١٥هـ وسرني كثيراً ما تضمَّنه من الموافقة على ما أوصيتكم به، فأسأل الله أن يزيدكم من التوفيق، ويجعلنا وإياكم من الهُداة المهتدين، إنه جواد كريم.

وما ذكرتم حول المظاهرة فقد فهمته وعلمت ضعف سند الرواية بذلك كما ذكرتم؛ لأن مدارها على إسحاق بن أبي فروة وهو لا يحتج به، ولو صحت الرواية فإن هذا في أول الإسلام قبل الهجرة وقبل كمال الشريعة.

ولا يخفى أن العمدة في الأمر والنهي وسائر أمور الدين على ما استقرت به الشريعة بعد

- فجَلَسَت مجموعة من الشباب مع الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق يحاولون معه أن يتراجع -حتى أنهم قَبَّلوا رأسه-، وبعد أيام قال: أتراجع إلا عن واحدة، وهي بما يتعلق بأتباع محمد بن عبدالوهاب! فقالوا هذه أهمّها، وبعد محاولاتٍ معه تَراجع، وأخرجت الجمعية رسالة الشيخ عبدالرحمن بتراجعاته، وكتب ذلك في جريدة الشرق الأوسط.

- **وفي الحقيقة** يرى الناظر لمنهج الشيخ عبدالرحمن رحمه الله وفي واقعه العَمَلي؛ أنه مُتمسِّكٌ بآرائه، والدليل أنه لمّا أعاد طبع كتبه في مجموعةٍ متكاملة، أثبت كل المواضع التي انتقدها عليه الشيخ ابن باز رحمه الله ولم يُغيّرها أو يُعدّلها![1] **الأمر الذي أدّى إلى تغير نظرة الكثير من السلفيين نَحوه**، علاوة على **ما انتشر مُسجَّلاً من كلام الشيخ الألباني** رحمهُ الله عنه؛ مِن أنه كان من «جماعة الإخوان المسلمين» ثم تَوجه للمنهج السَّلفي حين دراسته بالجامعة الإسلامية، **ثم رجع وتغيّر**

=الهجرة، أما ما يتعلق بالجمعة والأعياد ونحو ذلك من الاجتماعات التي قد يدعو إليها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كصلاة الكسوف وصلاة الاستسقاء، فكل ذلك من باب إظهار شعائر الإسلام وليس له تعلق بالمظاهرات كما لا يخفى.

وأسأل الله أن يمنحني وإياكم وسائر إخواننا المزيد من العلم النافع والعمل به، وأن يُصلح قلوبنا وأعمالنا جميعا، وأن يُعيذنا وإياكم وسائر المسلمين من مُضلات الفتن ونزغات الشيطان، إنه خير مسئول. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته]ا.هـ.

(١) وقد نقلنا هذه المواضع من فتوى الشيخ ابن باز، وكان قد تعهد في بيانٍ نشره في جريدة (الشرق الأوسط)، ونشرته (جمعية إحياء التراث). وفي سنة ٢٠٠٨م أعادَ طبعَ جميع كتبه في مجموع، بإشراف شركة بيت المقدس للنشر والتوزيع، **ولم يتراجع عن هذه المواضع في طبعته الجديدة**: انظر (٥/ ١٨٣) أصول العمل الجماعي، (٥/ ٥٦٠) وجوب تطبيق الحدود الشرعية، (٥/ ١٦٨و١٧٦) مشروعية الجهاد الجماعي، (٥/ ٦٥١) الوصايا العشر، أما في كتابه (فصول من السياسة الشرعية) فقد أزال لفظة (المظاهرة)، ولكنه في الحقيقة لم يُغير رأيه فيها، بدليل ما كتبه بتاريخ ١١/ ٨/ ٢٠١٣م ونُشر في موقعه الإلكتروني وفي غيره، لما عُزِل رئيس جمهورية مصر «محمد مرسي» تجمَّع الناس في الميادين، وجَّه رسالة بعنوان (إلى الأمة المصرية العظيمة في يوم من أيامها المجيدة) يحثهم على الاستمرار في هذه الانتفاضة.

منهجه، ومنها توجيهه للسلفيين نحو العمل السِّياسي.(١)

(١) **جاء في لقاءٍ طويل** جَمَعَ «ناصر العُمر» بالشيخ «الألباني»، سنة ١٩٩٢م تقريباً، وقد كان الحديث عن منهج «سَلمان العودة» وهل هو من الإخوان؟ فمما جاء فيه، قال الشيخ: [أنا أضرب لك الأن مثلاً مِن إخواننا السلفيين، أنا مِثلك أقطعُ بأنه ليس إخوانياً، ولكنَّ منهجه إخوانياً، وهو سلفي، ولا أعتقد أنك تعرفه جيداً وهو عبدالرحمن عبدالخالق! السائل: أعرفه.

الشيخ: جيد، هذا تلميذي في الجامعة الإسلامية، ويوم كان، كان إخوانياً، وإذا صحَّ التعبير بأنه (تَسَلَّف) هناك في الجامعة، وكان مِن خِيرت الشباب الواعين للدروس وللمناهج وإلى آخره، أنا أقول كما تقول أنتَ في سَلمان هذا، ليس إخوانياً، **لكن منهجه منهج الإخوان المسلمين**، كيف ذلك؟ أولا: هو تَحزَّبَ وتَكتَّل -أي عبدالرحمن-، ألا تعرفون هذا! السائل: بلى.

الشيخ: **هذا التَّحزب وهذا التَّكتل ليس على المنهج السلفي الذي نحن ندعو إليه**، أليس كذلك!

الشيخ: إذاً إن كان سَلمان المبحوث عنه الآن في هذه الكلمة وفي غيرها، نقول عنه إنه ليس إخوانياً، ونحن صادقون، **لكن ذلك لا يُخرجه عن أن يكون منهجه منهج الإخوانيين**، هنا الحذر الآن، أنه هو ليس إخوانياً، لكن منهجه منهج الإخوان المسلمين، فأنا أسألك الآن:

هل تَشعرون منه أنه يُكتِّل الناس ويُكتّل الشباب ويُحمِّسهم على مثل ما يُحمِّسُ «الإخوان المسلمون» أعوانهم وأصحابهم إلى آخره؟، قلتُ في جلسة سابقة بأن منهج الإخوان: «كتِّل ثم ثقِّف، ثم لا شيء» ما فيه إلا التكتل الأعمى، لا ثقافة ولا شيء، بدليل **وكاد يمضي قرن من الزمان على الإخوان المسلمين في مختلف البلدان، وهم على النظام العسكري، «مكانك راوح»**، لمِ؟ لأن منهجهم هكذا يوحي إليهم، فهم لا يتقدَّمون لا عِلما لا عقيدة لا سلوكاً، كما هم تماماً، لا يمكن أن تجد أخاً من الإخوان المسلمين ينهج منهج السنة ظاهراً على الأقل، تجد أحدهم يتشبَّهُ بـ«حسن البنا»، يأخذ مِن لحيته ويجعلها كما يقول بعض الفقهاء الحنفية في كتب الأحناف، وكما يفعل الأعاجم أو المغاربة، فهم يَهتمّون بالاقتداء بحسن البنا، ولا في بالِهم الاقتداء بسيِّد الأنبياء صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالآن هل هناك شيء من هذا التَّكتل وهذا التجميع للشباب؟ **هذا وقع في الكويت** قبل أن تقع الواقِعة عليهم، فانشغل «عبدالرحمن» ومَن حَوله عن تثقيف الجماعة وعن تعليمهم وعن تربيتهم تربية إسلامية، **وهذا مِن سبب هذا التَّحزّب، وهذا التكتل، وهذا من آثار الحزبية العَمياء**، تَسمعون الآن المشكلة التي تُحزن قلب كل مسلم ما وقع فيه إخواننا في الجزائر، إخواننا في الجزائر عندهم حَمَاس للإخوان المسلمين، لكن ما عندهم أبداً «ثقِّف ثم كتِّل»، وإنما كتَّلوا وجَمَعوا حولهم ملايين، لكن أكثرهم لا يَفقهون، أكثرهم لا يَعلمون إلا هذه حرارة الشباب، نريدها دولة مسلمة (ومن استعجل الشيء قبل أوانه ابتلي بحرمانه) كما تعلمون.

فإذاً -بارك الله فيكم- ليس مِن الضروري أن نُنزه إنساناً ما بشَخصِه أن يكون إخوانياً، **لكن**

=المهم أن **نُنَزِّهَهُ مِن أن يكون مَنهجُه منهج الإخوان المسلمين**، «الإخوان المسلمون» رؤوسهم لا تجدون فيهم سَلفيّاً، كما قلتُ لك عن **عصام**، هو سلفي في عقيدته، لكن لا يدعو، بينما نحنُ نعرف عن **سَلمان** وكل إخواننا ما شاء الله يدعون للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، **لكن إذا تسرَّب إليهم منهج الإخوان المسلمين، من حيثُ التَّكتيل والتَّجميع**، فحينئذ كبِّر على المنهج السلفي، وأنه سيُصبح نسياً منسياً..]. سلسلة الهدى والنور (٦٠٠ب).

وجاء ردٌ للشيخ الألباني على رسالة وُجِّهت إليه، فقال: [فقد كتبَ الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق حفظه الله خِطاباً وُجه إلي بتاريخ: ١٢ جمادى الأولى سَنة عشر وأربعمائة وألف (١٤١٠هـ)، يَذكر فيه أن هُناك شريطاً مُسجَّلاً جاء فيه على لساني أنني قلتُ في الأخ عبدالرحمن: «**مَيَّعَتهُ السِّياسية وأفسَدَتهُ الحِزبيَّة**»، فيرجو الشيخ عبدالرحمن في خطابه المشار إليه أن أردَّ على هذه الكلمة التي نُسِبَت إليّ، وبناءً على رغبته **أمليتُ ما يأتي**:

(بسم الله الرحمن الرحيم، لقد استمعت إلى شريطٍ مُسجل مِن صوتِ أخينا الفاضل الشيخ مقبل بن هادي اليماني جزاه الله خيراً، ثم إلى كلماتٍ بعض تلامذته المؤيِّدين لكلامه، **وأنا المدعو محمد ناصر الدين الألباني** أضم صوتي إلى أصواتهم جميعاً، ولا أجد في كلماتهم ما يستدعي الوقوف عندها أو النظر فيها، إلا ما جاء منسوباً إلي أنني قلتُ في أخينا الفاضل عبدالرحمن عبدالخالق: أنه **متأثر بفِكر الإخوان المسلمين**، ثم تميع وميع شبابه -نسأل الله أن يهديه-، فهذا كلام لا أذكر الآن أنني تَلَفَّظتُ به هكذا بهذا الحرف، إلا إذا سمعتُ صوتي مسجلاً به في شريط، ولا أقولُ هذا تحفظاً أو تهرباً من المسئولية، فإنني في الواقع أرى أن **التَّكتل والحَماس** في تكتيل جماعة السلفيين في الكويت خاصة، أنهم **يسيرون على خُطى «الإخوان المسلمين»** قديماً وحديثاً، **وتكتيل الشباب المسلم دون العِناية بتثقيفهم الثقافة الإسلامية القائمة على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح**، كما هي دعوة كل المسلمين المنتمين إلى هذا المنهج الإسلامي الصحيح، ولذلك **فإني أخشى ما أخشى أن ترجع الدعوة السلفية في الكويت** وفي بلاد أخرى قد تتأثر بهذا التَّكتل أو التَّحزّب الجديد، **وترجع القهقرى**، ويتمثَّلون في دعوتهم خُطى جماعة الإخوان المسلمين ذاتها التي أشرتُ إليها آنفا، وهي القائمة على قول بعضهم: (**كَتِّل ثم ثَقِّف**)، **ثم لا شيء بعد ذلك إلا التَّكتل والتَّحزُّب**، وأكبر دليل على ذلك أنه قد مضى على جماعة الإخوان المسلمين ستون عاماً ولم يشاهد مِن أثر دعوتهم فيهم أنها أنتَجَت عالماً واحداً بين صفوفهم، يرجع الناس إليه لمعرفة أمور دينهم، وعلى النهج المذكور آنفاً، ولذلك فنحنُ نريد أن يظل إخواننا السلفيون في الكويت وفي كل بلاد الإسلام يعنون بالتَّثقيف وليس بالتَّكتيل، لأن هذه هي دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل والأنبياء كلهم، ثم ينشأ بعد ذلك التجمع المنشود والتكتل المرغوب.

لذلك فنحن نقول خلاف ما قيل آنفا نقول: (ثقِّف ثم كَتِّل)، والتثقيف لا يمكن أن يتحقق فعلاً بوجود عالم أو اثنين أو ثلاثة في الألوف المؤلفة ممن يستجيبون استجابة عامة للدعوة السلفية، ويكتّلون تكتيلاً حزبياً، فإذا لم يكن في هذه الجماعة عَشرات العلماء المتمكنين من العقيدة الصحيحة والعلم الصحيح؛ **فسوف تنقلب الجماعة فيما بعد إلى جماعة: لا عِلم ولا تربية**

=**على العلم الصحيح**، خِلافاً لدعوتنا المباركة القائمة على: **التصفية والتربية**، لهذا فأخشى ما أخشاه أن يَنقلب وضع الجماعة السلفية حينما يُعنون بالتَّكتل دون التثقيف، إلى جماعة أخرى لا صلة لها بالدعوة الصحيحة.

وكأني ألْمس أثراً لهذا الانشغال؛ مِن كلام أخينا عبدالرحمن عبدالخالق نفسه في بعضِ رسائِله كقوله في رسالته (المسلمون والعمل السياسي) حيث قال (صفحة ٢١): (ولا شك أيضاً أن مِن أخطاء المنهج الأول أنه يفرض أقوالاً في الدين لا دليل عليها، كتحريم الجَماعة والحِزب.. إلى آخره)، لأنه من الواضح أنه لا يعني تكتّل المسلمين على جماعة واحدة وحِزب واحد، لأن مثل هذا من الأمور التي يَشترك في الدعوة إليه كل الإسلاميين، بل المقصود مِن العبارة السابقة ولو جاءت بلفظ الإفراد «الجماعة والحزب»، الجماعات والأحزاب وحينئذ يقع المحظور المشاهد اليوم بين الجماعات والأحزاب كلها، كما أشار أولئك الإخوان في شريطِه المشار إليه آنفاً، وهنا يَصدق عليهم جميعاً قوله تبارك وتعالى: (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) ونحن نُريدها حزباً واحداً كما قال الله تبارك وتعالى: (فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ).

ومن ذلك قول الأخ عبدالرحمن -هدانا الله وإياه- في نفس الرسالة في الصفحة الخامسة والستين، وبعد كلام ينقض بعضه بعضاً في نظري، قال جازماً: (فلا يستطيع مسلم أن يمارس تجارة ولا زراعة ولا صناعة ولا عملاً، **إلا بأن يرتكب بعض الحرام** مما فرضه الواقع المخالف للدين)، وحينئذ أليس في هذا القول إقرار لواقع المسلمين اليوم الذين يتعاملون بكثير من المعاملات الرَّبوية المنافية لقول الله تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)؟ ثم أليس في هذا القول القَضاء المبرم على رسالة الأخ عبدالرحمن التي سررت بها كثيراً حينما قرأتها وأمعَنتُ النظر فيها ألا وهي: (القول الفصل في بيع الأجل) فإن أكثر التُّجار اليوم يتعاملون بهذا البيع، لقد وجدت تناقضاً بيِّناً بين هذين القولين، وما إخال ذلك إلا أنه **من آثار هذا التَّكتل الحِزبي والعمل السياسي؛ الذي يَفرض عليهم أن يَقعوا في بعض المخالفات الشرعية، لذلك قيل: بأنه لا يستطيع مُسلم العمل إلا أن يرتكب بعض الحَرام**).

هذا ما أملَيتُه، ثم أسمَعني بعض الإخوان شريطاً سَجِّلت فيه أسئلة مِن أحد الإخوان السودانيين حول الرسالة المذكورة: (المسلمون والعمل السِّياسي) فيه قولي عن الأخ عبدالرحمن: أظن أنه حرَّفته السياسة، فهذا القول **أعترف به**، لأنني سمعته من صوتي وفي الشريط المذكور ما يُؤيد ذلك، وفيما تقدم آنفا ما يلتقي معه، وهذا لا ينفي عندي أن الأخ عبدالرحمن -حفظه الله- **لا يَزال معنا في الدَّعوة السلفية، وإن كان مُنشَغلاً بالعمل السياسي**، وكل ما هناك إنما هو الخَشية مِن الانحراف عنها، ولا سيما وقد ظهر في الجو بعض النُّذر كما تقدم، كما أنني لا أُسمي الذين ينتقدونه في بعض تصرفاته وليس في عقيدته، أنهم من الحاقِدين والحاسدين للدعوة السَّلفية، ويحاولون قطعَ الصلة التي بيننا وبين الأخ عبدالرحمن، كيف ونحن جميعاً سَلفيون، ومِن كَمال دعوتنا والحمد لله التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولو اشتدَّ الناصح في أسلوبه أحياناً، فأرجو الله تبارك وتعالى لنا ولكل الدعاة الإسلاميين السَّداد والتوفيق لأقوَمِ

- وبَعَث لي أحد المشايخ بخبرٍ عن الشيخ عبدالله السبت أنه يقول: التقيتُ بمحمد سرور زين العابدين، فقال لي: يا شيخ عبدالله! وإن كنتُ أخالِفك في المنهج، لكني أُحِبّك لاستقامتك، وإني أُخبرك بسرٍّ مِنَ الأسرار: إن تنظيم الإخوان المسلمين هُم الذين كلَّفوا الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق بالعَمَلِ بينكم باسم السَّلفية، حتى يَدخل بينكم ويُؤثِّر فيكم.
- ويحدثني أحد الذين شهدوا بدايات الدعوة في الكويت وتغيُّر أحوال الشيخ عبدالرحمن، وهو عبدالله الخالد رحمه الله، فيقول: (كان عبدالرحمن عبدالخالق يحمل أفكار سيّد قطب، مندسٌّ بالجماعة السلفية، يُريد تفتيت الجماعة، لكن بأسلوبٍ هادئ وبطولِ نَفَس، وقد أثَّر على الكثير من الشباب وخاصة في المناطق الجنوبية، وأبومعاوية وَقَفَ حَجَر عثرة أمام مشروعه، .. عبدالرحمن عبدالخالق حرَّض على أبي معاوية الكثير، وفتح عليه كثيراً من المشاكل في الكويت وفي الإمارات).

محاولات الشيخ عبدالله لِثَني الشيخ عبدالرحمن، ثم الردّ عليه

- **كانت هناك محاولات** كما ذكرنا لثنيه عن بعض آراءه، ومنها أن الشيخ عبدالله تلك أيام وفي بدايات ظهور آراء الشيخ عبدالرحمن المخالِفة؛ عندما كان يُسأل عنه يقول: هي اختلاف وتباين وجهاتُ نظر[(١)]؛ رغبةً ورجاءً في لَمِّ الشمل وتوحيد الصَّف ورجوع الشيخ، ومع ذلك

=طريق]. سلسلة الهدى والنور (٢٠٠)، ألقاه ١٩٨٩م.

(١) كما قال ذلك في مقابلته مع مجلة الفرقان اليمنية، بشهر مايو ١٩٩٥م، انظر المجموع (٤/ ٢٦٨).

ردَّ عليه بعدة مناسبات ومنها:

- كتب الشيخ عبدالله ورقاتٍ أسماها: «**وقفات مع عبدالرحمن عبدالخالق في كتابه العمل الجماعي**»[(١)]، وذلك سنة ١٩٩٣م، وفيه بيان خطأ الشيخ في إيجابه الانتماء للجماعات، وشدَّته على السلفيين والرفق مع غيرهم، ومسألة في الإجماع، وإغفاله البِناء العلمي للأمَّة قبل الجهاد بالسيف، ومسألة عن عدم جواز مخالفة الحاكم لرأي جمهور الأمة مِن الرَّعِية، وغيرها.
- وقد كان الشيخ عبدالله حينها يسعى لرجوع الشيخ عبدالرحمن، ولكن في نهاية سنة ١٩٩٥م تقريباً صار الأمر أكثر وضوحاً في استمرار الشيخ عبدالرحمن وتمسكه بآرائه، وعدم رجوعه حقيقة.
- كتبَ مقالة في جريدة المسلمون بعنوان «**كلمة حقٍّ أُريدَ بها باطل**»[(٢)]، رداً على كتاب الشيخ عبدالرحمن «**الصِّراط**»، وأنه يحمل في طياته **انحرافاً منهجياً في قضايا الحُكم والجهاد والموقف من الفِرق**، وبين في مقالته أوجه التشابه بين الخوارج السابقين بخوارج العصر، وأن الحاكمية التي يُنادون بها؛ ليتوصلوا بها إلى تكفير الحُكّام ومن ثّم استحلال الخروج وسَفك الدِّماء.
- فتولى بعض السُّفهاء من أصحابِ الأقلام في بعض الصُّحف الكويتية حينها الرد على الشيخ عبدالله والتَّهجم على شخصه ورَميه بسوء الألفاظ واتهامٌ بالنِّيات، فلم يَردّ عليهم الشيخ تسفيهاً لهم.[(٣)]

---

(١) انظر المجموع (٢/ ٥٧-٨٠).

(٢) العدد (٦٣٥) بتاريخ ٤/ ٤/ ١٩٩٧م. راجعها في المجموع (٤/ ٣١٥).

(٣) ويقول الشيخ عبدالله -في لقاء أجرته معه مجلة الفرقان سنة ١٩٩٨م- لما سُئِل عن سكوته

- ثـم قـام الشـيخ عبدالرحمـن بالـرد بمقالـة في نفـس الجريـدة «المسـلمون»، فأتـى الشـيخ عبـدالله بفتـاوى العلـماء الكبـار واسـتكتب عـدة مشـايخ مـن مختلـف البُلـدان للـرَّدّ عـلى مَـن يزيـد قسـماً رابعـاً للتوحيـد وهـو الحاكمية، ونَـشَر ذلـك بالجريـدة نفسـها (العـدد ٦٣٩).
- ثـم نَـشر الشـيخ عبدالرحمـن كتابـاً بعنـوان «**نقـض الفِريـة**» سـنة ١٩٩٧م، وفيـه اتهامـه للشـيخ عبـدالله أنـه يُطالـب بـرأس الشـيخ عبدالرحمـن! وأنـه جعلـه مـن الخـوارج، عـلاوة عـلى تكفـيره!، وفي الكتـاب مغالطـات في مفهـوم الحاكميـة، والدعـوة إلى تعميـم التكفـير، وفيـه تزويـرٌ للتاريـخ بأنـه لم يكـن مـن الإخـوان، وأنـه هـو مـن ابتـدأ الدعـوة السـلفية في الكويـت، بـل ونسـبَ الفضـل لنفسـه، وغيرهـا مـن أمـور.
- فـردَّ عليـه الشـيخ عبـدالله السـبت -بعـد ثـلاث سـنوات وبـيـَّن سـبب ذلك فيـه- بكتـاب أسـماه: «**بـل هـو الفِريـة**»، فيـه بيـان الخَطَـل الـذي رمـاه بـه الشـيخ عبدالرحمـن، وردّ عـلى أباطيلـه في فريتـه، وبـيـَّن فيـه وأوضَـحَ كثـيراً مـن تلـك التُّهَـم والأباطيـل المنهجيـة والتاريخيـة.
- ثـم نَـشَر سـنة ٢٠٠٣م كتابـه الـوافي «**الخـوارج فِتنـة العَـصر**» وفيـه الـرد عـلى الفِكـر القُطبـي، وبيـان مفهـوم الحاكميـة، ورد الشـبهات حولـه، ورمـوز هـذا الفكـر، وخطورتـه وأسـبابه، وصفـات الخـوارج.

=وعـدم ردّه عـن بعـض المقـالات الهجومية عليـه: (النقـد عـادة لا بُـد لـه مِـن وجـود، فـإن كان النَّقـد في ذات الإنسـان كالسَّـب والتهويـل، فالـذي نَعرفـه مِـن هَـدي أهـل العلـم: تركـه، **فنحـن نـرى بـأن كثـيراً مِـن الذيـن يتكلَّمـون الآن مـن الخـير تجنُّبهـم اتقـاء فُحشـهم، ومثـل هـؤلاء فـإن إشـغال النـاس بالـرَّدّ عليهـم نَـرى أنـه لا ينَفـع ولا يُفيـد، لأنـه ليـس فيـه دفـاع عـن الإسـلام**، ولا دفـاع عـن قضيـة إسـلامية، وبالتـالي آثرنـا ألّا نَخـوض فيـه، أمَّـا لـو كانـت المسـألة رداً عِلميـاً مِـن مُنصِـف، فـلا شـك أننـا سـنُجيب عليهـا). انظـر المجمـوع (٤/ ٣٢١).

- **وأخـيراً** كَتَـب الشـيخ عبـدالله رحمـه الله قبـل وفاتـه بعـض الـرُّدود ولم ينشرها، وأعطانا نسخة منها [١]، وقال لَعلَّها تخرج بعد مماتي، وفيها مبحثٌ يَحمِل عنوان: «**فصلٌ في التطبيقات العَمَلية لدُعاة الحاكمية في تكفير حُكام وشعوب الأمة الإسلامية**»، وبيّن فيه رأيه بِفكر الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق بما يتعلَّق بالتَّكفير، وذكر بعض المواضِع التي انتقدها مِن كُتُبه -ومنها موضِعين سَبَق وانتَقَدهما في كتابه «بل هو الفِرية»-، وهو ما يلي:

(إن تكفير الأمَّة وحُكّامها على وجه الخُصوص، والذي يقوم على عدم البرهان مِن الله ورسوله على فهم السَّلف الصالح؛ هو الذي أعلَنَه الخوارج وأشاعوه ونَصَروه، بل وحاربوا من أجله، ولم يُعرف عن طائفةٍ مزَّقت الأمة بالسيف وقتلت أهل الإيمان وتركت أهل الأوثان قبل الخوارج، ومذهب الخوارج وهو هذا الفكر الفاسد الضال؛ **الذي يخبو فترةً ثم يُعاود الظهورَ من جديد**، كلَّما توفرت له الظروف والأسباب، ونَفَخَ فيه أهل الزيغ؛ ليوقدوا نار الفتنة في الأمة المسلمة، كلَّما وجدوا الأمة مُستقرة مطمئنة، ساعية للرُّقي وراجعة لدين ربها، تقوم دوائر الضلال بتنفيذ هذا الفكر وإتمامه وتهيئة الأسباب له؛ **لتنشُره من جديد**.

وهكذا كان عندما بدا في الأمة بوادر العودة لهذا الدين، وآب الشَّباب لكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مسترشدين بهدي الأئمة الأعلام؛ أزعجَ ذلك دُعاةَ الضلال، فأشاعوا في الأمة مذاهب الباطنية والتَّكفير، حتى لم يُترَك أحدٌ من الأمة، إلا وقد ناله شيءٌ منهم.

ولستُ متعرضاً لأعمال الضلال الأخرى فهذا له حديث، وإنما

(١) كان ذلك شهر ٩ سنة ٢٠١٠م في مكتبته بالشارقة.

سأركز البحث على من أحيا فِكر الخوارج في هذا العصر، ومن تلقَّفَ ذلك وأظهره للأمة.

ومما لا يشك فيه أحد مِن العُقلاء العارفين لدينهم، أن الذي أحيا هذا الضلال وأشاع فكر الخوارج إنما هو: **سيد قطب وأبو الأعلى المودودي**.

ثم جاء مَن بعدهم مَن تَزَعَّمَه وأحياه في الوقت الراهن؛ مثل عبدالرحمن عبدالخالق وصلاح الصاوي ومحمد سرور وآخرون، لكن هؤلاء برزوا في ذلك المنهج وأظهروه ..).

(عبدالرحمن عبدالخالق وأقواله في التَّكفير:

دَرَجَ عبدالرحمن عبدالخالق في كتبه في المراحل الأولى على سَردِ قضايا «الحُكم بغير ما أنزل الله» والتكفير عموماً، **دونَ الدُّخول في التَّفاصيل، كل ذلك لأنه كان يَلبَس السَّلفية، ويعيش في وسط الجِسم السَّلفي**، خاصة عندما تَرَكَ «جماعة الإخوان المسلمين» في الكويت عام ١٩٧٣م والتحق بالسلفيين.

لكن القول بالتكفير -خاصة للحُكَّام- قديمٌ جداً، **ولا يُخفي هو تأثُّره بآراء «سيد قطب»، بل هو الناشر لها والمدافع عنها في الكويت**، وكذلك انتقاصه من العلماء السلفيين المعاصرين معروفٌ ومُلاحظ، ومَن ينظر لرسالته «خطوط رئيسية» وهي طُبعت أوائل السبعينيات، وكذلك كلامه على الشنقيطي، ونظرة سريعة للكتب القديمة؛ تجد أن «الحاكمية» هي المُسَيطرة عليها، والتكفير هو السائد، لكن بإجمال، وإن كان يُفصِّل ذلك كما هو في كتابه «الحد الفاصل»، إلا أنه يرجع للإجمال.

حتى إذا جاءت أم المعارك العراقية «أعني: احتلال الكويت»؛ **كَشَفَ عن مذهبه ورَفَع عقيرته بآرائه**، وصَرَّح بالمكنون، وباحَ بالذي لم يكن يَبُوح به مِن قَبل في العَلَن شيئاً، وفي لقاءه مع أحبابه ورُوّاده الكثير.

فهل هو تغيُّرٌ طرأ وتأثُّرٌ منه بالأحداث التي لحقت الاحتلال والثورات، سواء في الجزائر أو مصر وغيرها، **كل ذلك مُحتَمل**.

فالشيخ إذن يُقرِّر في كتبه «مسألة الحاكمية» ويُدندِنُ عليها، **لكن الحقيقة الثابتة أنه يُقرر تكفير الحُكام مطلقاً خاصة في هذه الأيام**، وهذا سيظهر لك بجلاء عندما نأتي لسَردِ أقواله والتعليق عليها، والإنسان يعتبر ما يقرره آخر الأمر هو العُمدة، والناسخ أو الموضح لما سَبَق.

قال في كتابه «**الأصول العلمية للدعوة السلفية**» (٤/ ٧٦)[١]: «ثالثاً: الإيمان بأن الله وحده سبحانه وتعالى وليس لأحد سواه حق التشريع للبشر في شئون دنياهم كما قال جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ﴾ [الرعد: ٤١] وكما قال سبحانه: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]. فالتشريع حق للرب جل وعلا؛ فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، والدين والمنهج والطريق والصبغة هو ما شرعه الرب جلَّ وعلا. واعتداء سلاطين الأرض وملوكها ورؤساؤها على شرعة الله؛ بتحليل ما حرَّم، وتحريم ما أحل: عدوانٌ على التوحيد، وشرك بالله، ومنازعة له في حقه وسلطانه جل وعلا. وأكثر سلاطين الأرض اليوم وزعمائها؛ قد تجرؤوا على هذا الحق، وتجرؤوا على الخالق الملك سبحانه وتعالى؛ فأحلوا ما حرم، وحرّموا ما أحل، وشرعوا للناس بغير شرعه؛ زاعمين تارة أن

(١) وقد عدّلتُ أرقام الصفحات لتتوافق مع «مجموعة كتبه» التي طُبِعت سنة ٢٠٠٨م.

تشريعه لا يُوافق العصر والزمن، وتارة أنه لا يحقق العدل والمساواة والحرية، وأخرى بأنه لا يُحَقِّق العزة والسيادة. **والشهادة لهؤلاء الظالمين بالإيمان عدوانٌ على الإيمان، وكفر بالله سبحانه وتعالى. ونأسف إن قلنا: إن سواداً كبيراً مِن الناس قد أطاعوا كبراءهم فيما شرعوا لهم مِن شرع مُخالف لشرع الله سبحانه وتعالى، وكثير من هذا السَّواد يُصلي ويصوم -مع ذلك- ويزعم أنه من المسلمين**». ا.هـ

قلتُ: ونحن لا نُهمل أمر التشريع ولا نَسمح لأحدٍ أن يعبث بدين الله ويُبدِّل شرع الله .. **لكن كان يَستطيعُ أن يُفصِّل ذلك لو كان على جادَّةِ السَّلف**، إذ إنَّه ليس كل مَن شَرَّع غير شرع الله يَعتقد هذه العقيدة في الشريعة، فهُناك آخرين، كان الأولى أن يُفَصِّل، **لكنه أغفَلَ ذلك بل عَمد للتَّعميم**.

قوله: «يُصلي ويصوم مع ذلك ويزعم أنه من المسلمين» تحتاج لبيان منه وإيضاح، فهل يراه كافراً، وهذه طامَّة، حيث ينطبق هذا القول على عامة الشعوب الإسلامية.

وها هو أيضاً يَسير على سُنَّتِه السابقة ألا وهي التَّعميم، **فيقول (٤/ ٧٧) في الكتاب نفسه:**

«والمنهج السَّلفي يأخذ هذه القضايا جُملةً، ويُطهر قلوب أتباعه من الشرك فيها جميعاً، **لأننا نعتقد أن مَن مات وهو يدعو غير الله؛ لم يكن مِن أهل الجنة**، ونعتقد أيضاً أن بعض التحريف لمعاني الصفات والأسماء؛ شركٌ بالله وكفر به، وإن كان بعضه لا يبلغ ذلك، **ونعتقد كذلك أن مَن حَكَم بغير ما أنزل الله؛ فهو كافر، ومن اعتقد أن لأحدٍ من البشر أن يشرع للناس في شؤون معاشهم ودنياهم دون الرجوع إلى شرع الله والالتزام به والسير**

بمقتضاه؛ **فقد عَبَدَ غير الله وأشرك به شركاً جلياً**؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]». ا.هـ

قلتُ:

١) فهو هنا تراه يتخبَّط بين الأمور، ويقع في قولٍ لا ترى أنه سُبِقَ إليه، ألا وهو قوله: «**وإننا نعتقد أن من مات وهو يدعو غير الله لم يكن من أهل الجنة**»، فالحكم عليه أنه ليس من أهل الجنَّة هذا غلو، بل للأمر ضوابط، خاصة في دعاء غير الله، والإنسان قد يفعل الكفر لكن لا يُحكَم عليه أنه ليس من أهل الجنة.

٢) وهو في مسألة «التَّحكيم» يُطلق القول بالكفر دون ضوابط أو تقييد أو تفصيل!

فالذي استَقرَّ عِندي أن «عبدالرحمن» يَرى تكفير الحُكَّام، ولا تَستعجل -رحِمك الله- مُدافعاً، وإنما تَبصَّر وانظر لهذه النُّصوص، ثم لاحظ أنه بَتَرَ أقوالَ العلماء ودلَّس، ولو كان لا يَرى التكفير لَسَعى لِحَشدِ الأدلة على ذلك، **لكن سَعى على العكس؛ وهو البَتر والتَّزوير والإيهام**، ولا يلجأ إلى ذلك إلا مَن كان يعتقد تلك العقيدة ويُريدُ تقريرها.

وهذه أقوال الشيخ من كتابه «**أصول العمل الجماعي**» (٥/ ٢٠٥):

«ولا شك أن هذا الواقع اللا استثنائي الذي تعيشه الأمة ليس هو الأصل في تاريخنا، ولا هو المشروع في كتاب الله وسنة رسوله، **ولا شك أن الرضى بذلك رضى بغير حُكم الله، وإقرار ذلك عن طمأنينة القلب كفرٌ مُخرجٌ من دين الله**، لأنه في حقيقته إقرار ببقاء أمة الإسلام ضعيفة

مستكينة، يطؤها أعداء الله، ويحكم فيها بغير حكم الله وشريعته».ا.هـ

ويقول (٥/ ٢١٠): «ولا يحتاج أن نستفيض في الواقع المعاصر، فكل زاوية فيه تُدمي القلب، وتعصر النفس ألماً على أمة الإسلام، التي أصبحت أُمماً، **والتي يتحكَّم فيها اليوم اللُّصوص المتغلِّبة الذين أصبَحَت أموال المسلمين ودماؤهم وأعراضهم نهباً لهم، والذي أصبح دين الله عندهم هدفاً وغرضاً يُرمى بكل نبل، ولا شك أن الرِّضا بهذا الواقع كُفرٌ وردَّة، والركونُ إليه نفاق وظلم**، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾، وأي ظلم أعظم مِن الصَّدِّ عن سبيل الله، وإشاعة الفاحشة في بلاد الإسلام، والعمل لتكون كلمة الله هي السُّفلى، وإعلاء كلمة الكفر والباطل ..، وما الواقع المُعاش إلا كذلك؟».ا.هـ

قلتُ: وتعليقنا بإيجازٍ شديدٍ هو:

١) إن مُجرّد الرِّضا بالواقع الكافر لا يعني أن الراضي كافراً، ولا بُدَّ من التفصيل، فقد يكون متَّبِعاً هواه، إلى أمورٍ أخرى مُقرَّرة عند أهل العلم.

٢) ليست الدول الإسلامية يتحكَّم فيها «اللُّصوص المتغلِّبة»، فهذه نظرة سوداوية، ولا فرق بينها وبين ما نَسمع مِن الثُّوار؛ بإطلاق القول: أن جميع الحُكَّام يُحاربون الإسلام، يلزمه الوزراء والوجهاء .. وهذا قولٌ فاسد، وهذا الشُّعور عندما يَستقِرُّ في أذهان الشباب -وهي نفس مقولة اليساريين وغيرهم- تجعله يسهل له القبول لأي مذهب ثوري، وينخرط مع تلك الجماعات الثورية، **فالشيخ بهذه الأقوال الفاسدة يُهَيِّئ عقول الشباب للثورة والخروج، وهذا أثره بارز في**

طلابـه وأتباعـه في الكويـت، بعـد تحولـه لهـذا الفِكـر الفاسـد، وأن مَـن دَرَسَ عنـده -وهـو عـلى مذهـب السـلف- فقـد هَجَـره.

هـل الشـيخ يَـرى تكفـير الحُـكام مُطلقـاً؟ أي تكفـير كل مَـن لم «يَحكـم بـما أنـزل الله» دون تفصيل؟!

الـذي ظَهَـر لي مـن كتابـات الشـيخ الأخـيرة أنـه يـرى ذلـك للأدلـة التاليـة:

- أنـه عنـد بحثـه لموضـوع «الحُكـم» لم يُفصِّـل ولم يَسـتَثنِ، ومعلـوم أنـه في وقت فتنـة، والقضيـة في هـذا العـصر مُضطربـة، ونقـل أقـوال العلـماء المحتملـة بـل والقديمـة؛ **تَجعلُنـا نُرجِّـح أنـه يَـرى التكفـير، مـع أن مـن نقـل عنهـم هـذا؛ لهـم أقـوال مُفصَّلـة واضحـة** .. فلـماذا صَرَفَ النَّظـر عنهـا؟! فلـو كان يـرى التفصيـل الـذي عليـه أئمـة الدعـوة السـلفية لفصَّـل ونَقَـل مـا يزيـل اللَّبـس، ولـو في موضـع، وأجمَـلَ في موضـعٍ آخـر، وكتبـه الأخـيرة شـاهدة.
- وانظـر لمـا كَتَبَـه في كتابـه «**مشروعيـة الدخـول في المجالـس التشريعيـة**» (٥/ ٤٥١): «جمهـور النـاس وسـوادهم مـا زال عـلى الإسـلام: نحـن نعتقـد أن البـلاد الإسـلامية وشـعوبها مـا زالـت عـلى الإسـلام، ومـا زال سـواد النـاس وجمهورهـم يريـدون تحكيـم شريعـة الله فيهـم، **وإنـما يَحـول دون ذلـك اللُّصـوص المتغلِّبـة، والمنافقـون مِـن الحُـكام الذيـن يُظهـرون الإسـلام، ويُوالـون أعـداء الله في الحكـم بغـير مـا أنـزل الله، ولا شـك أن منهـم مَـن يُعلـن صراحـة عـداءه للإسـلام وشريعتـه، ويُعلـن صراحـة عـدم صلاحيـة الإسـلام للعـصر، ومثـل هـذا لا يَشـك أحـدٌ في كفـره وخروجـه مـن الديـن**. وسـواء كان هـذا أو ذاك فـإن الجهـاد والدعـوة يجـب أن يكـون في وضـع الأمـر في نصابـه، وتمكـين أهـل الإسـلام،

والذيـن لا يريـدون بشريعتـه بديـلاً مـن حكـم الشـعوب الإسـلامية.

ومعنـى مـا سـبق أننـا لا نقـولُ بكفـر المجتمعـات والشـعوب الإسـلامية، ولا نقـول أن الجهـاد يجـب أن يبـدأ مِـن الصِّفـر حتـى تتميـز الصفـوف بـين جيـل إسـلامي ومجتمـع كافـر، كـما يقـول بعـض الدعـاة، وقـد بينـا فسـاد هـذا الاعتقـاد في مواطـن عديدة».ا.هـ

قلــتُ: فهـو في هـذا النـص **فـرَّقَ بـين الشـعوب وبـين حُكَّامِهـا** مـن العنـوان، فالشـعوب مسـلمة والحُـكام كفـار منافقـون لصـوص، يحولـون بـين الشـعوب والإسـلام!

بـل قـال في الكتـاب نفسـه (٥/ ٤٤٩): «.. **وكل مَـن حَكَـم غـير متقيِّـد بأمـر الله وشَرعـه فهـو طاغـوت، وكل مَـن رضي بحكـم غـير حُكـم الله وهـو يعلـم مناقضتـه لحُكـم الله فهـو كافـر**، ولا طاعـة لمخلـوق في معصيـة الخالـق، **والأخـذ ببعـض الدِّيـن وتـرك بعضـه اختيـاراً كفر**».ا.هـ

فَهَـل بعـد هـذا القـول الصَّريـح يحتـاج الأمـر إلى توقُّـف؟! بـل هـذا النـص يكفِّـر حتـى الشـعوب لأنهـا راضيـة، **واشـتراط العلـم فقـط ناقـص، فهُنـاك موانـع أخـرى غـير الجهـل، لكنـه لم يُفَصِّـل، وهـو هنـا يقـول بقـول أخطـر حتـى مِـن قـول الخـوارج، لأنـه يـرى أن مَـن تـرك بعضـاً مِـنَ الديـن كان كافـراً، وهـذه جُـرأة عظيمـة مـا أظـن أحـداً سـبقه إليهـا.**

والمفهـوم العـام: أن الحُـكَّام كفّـار، أمـر مفـروغٌ منـه عنـده، وإنـما الخِـلاف في الشُّـعوب، وكـم أودُّ أن أكـون مخطئـاً، لكـن النَّـص لا يحتمـل إلا هـذا المعنى، ولـو كان الشـيخ يَـرى مـا يـراه علـماء الدعـوة السـلفية؛ لَصَـدَع بمحاربـة هـذا الفكـر وكشـف عـن أتباعـه، لكـن نُلاحـظ أنهـم خُلَّـصُ صَحبـه وخِيارهـم

لديه، وعلاقاته مع «محمد سرور» في لندن وغيرها، لا تحتاج لشرح ..

بل إن أتباعه في الكويت يُصرِّحون بالتكفير وهو لهم راضٍ، وهذه مقالات «حامد العلي» في جريدة الوطن شاهدة على ذلك، وحتى لا تظن أنه فهمٌ خاصٌّ لي؛ أنقل إليك فَهم شخص آخر، ممن تلوَّثوا بهذا اللَّوثة، وهو صديق الشيخ إنه الدكتور صلاح الصَّاوي، **قال في كتابه «الثَّوابت والمتغيّرات»** ص٩٢:

«ويقول الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق: وهذا الحُكم لا خلاف فيه بتاتاً، أعني كفر مَن ردَّ حُكماً من أحكام الله الثابتة في كتابه أو على لسان رسوله، خاصة إذا كان هذا الرَّدُّ مُعَللاً بأن هذا التشريع لا يُناسب الناس، أو لا يُوافق العصر، أو أنه وَحشية، أو غير ذلك، لأن حقيقة عيب التشريع هي عيب المُشَرِّع، والذي شرَّع هذا وحكم به هو الله سبحانه وتعالى، ولا يَشُك مسلم في أن عيب الله أو نسبة النقص أو الجهل له؛ كفر به وخروج عن ملة الإسلام. ولذلك فالأمر الأول الذي ينبغي أن يتعلمه الذين يردون هذا الحُكم، أنهم ليسوا من جماعة المسلمين، ولا ينتمون إلى هذه الأمة أصلاً، إلا أن يُعلنوا توبتهم ورجوعهم إلى الله سبحانه وتعالى».ا.هـ(١)

وتعليقنا على هذا القول: هو نفس التعليق السابق، لكن سُقت فَهمَ الصاوي لأنه أقرب للقَوم مني، وهو صديق لعبدالرحمن وزمرته.

وإليك المزيد من الأقوال:

يقول في كتابه «**القضايا الكليَّة**» (٤/ ١٨٨) وهو كتاب تأصيل:

---

(١) وقد جعله الصاوي في كتابه تحت عنوان: (**أن التولي عن الحُكم بالشريعة كالتكذيب بها سواء، كلاهما كفر أكبر**). وانظر هذا النقل إلى كتاب (وجوب تطبيق الحدود الشرعية ٥/ ٥٥٩).

«ونشهد ونؤمن أن لله الخلق والأمر، وأن الحكم له وحده، وأنه هو الذي يشرع لعباده ويأمر وينهى، وأن من نازع الله في شيءٍ من ذلك فقد أشرك. ونشهد أن كل مَن أطاع سيّداً أو أميراً أو حاكماً في غير طاعة الله؛ **مُريداً لذلك راغباً عن طاعة الله فهو كافر مشرك**، وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».ا.هـ

قلتُ: فهو في كتابه الذي جعله أصولاً، وقعَّد فيه القواعد؛ يُقَرر هنا التكفير عامة، **ولم يَستَثنِ أو يُفَصِّل**، فانظر إلى قوله: «مريداً لذلك راغباً عن طاعة الله فهو كافر».

ومعلوم أن لهذا تفصيلاً في مَظانِّه لدى أهل العلم، فانظر لذلك في «الطحاوية»، **ولو كان الشيخ يرى عدم التكفير لكان وَضَعَ قيداً هنا أو فَصَّل**، خاصةً والمقامُ مقامَ تقعيدٍ وتأصيل، **لكنه مولعٌ دائماً بالتَّعميم، وهذه هي عادة أهل الأهواء كما قال الأولون.**

ويقول الشيخ في كتاب «**مشروعية الجِهاد الجَماعي**» (٥/ ١٦٢):

«بل أن هؤلاء قد سلَّطوا سَفَلة الناس وأشرارهم، ورفعوهم إلى أعلى المناصب، فعاثوا في الأرض فساداً، حيث دمَّروا اقتصادها، وهَدموا أخلاق أبنائها وبناتها، وأهانوا كل كريم نافع في مجتمعه، ورفعوا كل لئيم مرتشٍ لِص. وهكذا نصب هؤلاء الحُكَّام أنفسهم حرباً لله ورسوله والمؤمنين، يصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجاً، بل أقاموا في بلاد الإسلام شُعباً للمخابرات تحمل اسم (شُعبة مكافحة النشاط الديني)!!

فانظر كيف تُستخدم أموال المسلمين ومقدَّراتهم وثرواتهم للصَّدِّ عن سبيل الله، ومحاربة الله في بلاد الله. وهكذا انقلبت الموازين فتحوَّلَ الحاكم

والإمام والخليفة مِن أن يكون عبداً لله؛ يُقيم الصلاة ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويَحرس الدين، ويحمي حِياض المسلمين، إلى أن أصبح عدواً لله، يُحارِب الله ورسوله والمسلمين، بمالِ الله وأموال المسلمين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».ا.هـ

ويقول في (٥/ ١٦٩) من الكتاب نفسه:

«وأين ذلك الإمام الذي يجب أن يُنتظر إذنه ومشورته؟ أروني في العالَم كله الذي نعيشه اليوم إماماً يستحق هذه الكرامة؟! ويجب على الجماعة المسلمة القائمة بالحق الظاهرة عليه المحاربة لأعداء الله؛ أن تأخذ إذنه ومشورته قبل أن تقوم بعملها الذي تعمل؟!».ا.هـ

قلتُ: وقل لي أيها العاقل المُنصِف **هل يَصدُر هذا القول مِن رجلٍ لا يرى أن حُكام المسلمين كفارٌ؟!** أو في قلبه ذرَّة توقير لهم، ثم مَن يستفيد من هذا الكلام سوى شُذّاذ الآفاق، ولَيته خصَّصَ أو استثنى لهان الأمر، **ولكن كعادته يُطلق القول تعميماً**، فهل هذا قول مَن لا يَرى رأي الخوارج، فما الفرق بينه وبين دُعاة التكفير؟! ثم ماذا يستفيد الشباب الناشئ مِن هذا التعميم سوى الحِقد على حُكَّامه، ويعيش في عصر المؤامرة، وبالتالي يكون مُهيَّئاً لأي مُفسدٍ يريد منه أن يثور، أو يقوم بمظاهراتٍ أو نحو ذلك.

إن الشيخ لو كان لا يَرى هذه الأفكار الفاسدة لاستخدم أساليب أهل العلم، مِن نقلِ النُّصوص والتعليق عليها، بأسلوبٍ عِلمي خالٍ مِن التشنّج.

ولكن هذه هي أساليبهم، فقارن بين قوله هذا ومقالة «محمد سرور»

في مجلـة «السُّـنّة»، تـرى أمـراً واحـداً يجمعهـا ألا وهـو: التَّهويـل والتَّضليـل.

إني أرجــو مــن الذيــن لا يَزالــون يُحســنون الظــن؛ أن يَســمعوا إلى **مجموعـة خُطَبِـه في رمضـان ١٤٢٠هــ وسـمَّاها «الحُكـم بغيـر مـا أنـزل الله»، وخاصــة الشريــط الأخيـر**، ليُدركــوا كَيــف اســتطاع أن يَخــدَع الجميـع، ولأن الكثيـر لا يسـتطيع أن يصـل لهـذه الأشرطـة، أسـوقُ لكـم نقـولات مـن شريطـه الأخيـر ..(١)

---

(١) وذكر أغلب هذه الخطبة، ولِطولها جعلتها في الحاشية:

حيث يقول في الخطبة الأولى بعد الحمد والصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«يـا أيهـا الأخـوة الكـرام لّمـا كان الله سـبحانه وتعـالى هـو الـرب الـذي لا رب سـواه، خالـق الخلـق وحـده سـبحانه وتعـالى، وأنـه هـو الملـك سـبحانه وتعـالى، وأنـه هـو الإلـه وحـده سـبحانه وتعـالى، فهـو إلـه أهـل السـماوات وأهـل الأرض، وهـو الـذي في السـماء إلـه وفي الأرض إلـه، فهـو رب العالمـين سـبحانه وتعـالى، خلقهـم ورزقهـم وتـصرف فيهـم سـبحانه وتعـالى، وأنفـذ فيهـم حُكمـه، فـلا حُكـم إلا لـه سـبحانه وتعـالى، حكمـه الكـوني القـدري، فـلا يكـون إلا مـا يشـاء، ومـا يريـد سـبحانه وتعـالى، حكمـه في خلقـه نافـذ، لا رادَّ لـه ولا مُعقِّـب لـه سـبحانه وتعـالى، وهـو مالكهـم والمتـصرف فيهـم سـبحانه وتعـالى، وهـو إلهـم وحـده لا إلـه للعالمـين إلا هـو سـبحانه وتعـالى، ثـم لمـا كان الله سـبحانه وتعـالى خلـق الخلـق ليُعبـد سـبحانه وتعـالى.

الخلـق كلـه في السـماوات والأرض الجـن والإنـس الملائكـة وغيرهـم كلهـم مخلوقـين لعبـادة الله سـبحانه وتعـالى، فهـو الإلـه وحـده لـكل مـا خلـق سـبحانه وتعـالى، ليـس لمخلـوق إلـه إلا هـو سـبحانه وتعـالى، فهـو خالـق كل شيء، ورب كل شيء، والقاهـر فـوق عبـاده سـبحانه وتعـالى، لا شريـك لـه لا في ربوبيتـه ولا في ملكـه، فـلا يملـك أحـد معـه شـيئاً ولا في التصريـف، لا يملـك أحـد لنفسـه نفعـاً ولا ضراً إلا بإذنـه سـبحانه وتعـالى، لمـا كنـا نحـن البـشر خلقنـا الله تبـارك وتعـالى عالمـاً مـن هـذه العـوالم التـي خلقهـا الله تبـارك وتعـالى، وخلقنـا الله لعبادتـه، وقـد شـاء سـبحانه وتعـالى أن تكـون هـذه العبـادة تصديقـاً لخـبره وإنفـاذاً لأمـره تعبَّـد الله تبـارك وتعـالى البـشر لأن يصدقـوا خـبره سـبحانه وتعـالى، فـما قـال الله تعـالى فصِـدق، فـلا يعلـم الغيـب إلا هـو سـبحانه وتعـالى، فـما حـدث بـه خلقـه مـن هـذا الغيـب فهـو خـبر صـادق لا شـك فيـه ولا ريـب فيـه، وكان كل تكذيـب خـبره كفـر بـه سـبحانه وتعـالى، وقـد بينـا شـعباً كثـيرة مـن شُـعب هـذا الكفـر في بـاب الخـبر، كل مـن رد خـبر الله تبـارك وتعـالى فأنكـر البعـث أو النشـور أو الجنـة أو النـار أو حسـاب الله سـبحانه وتعـالى وعقابـه فهـذا قـد كفـر بـالله تبـارك وتعـالى، فـالله لا يقـول إلا حقـاً ولا يقـول إلا صدقـاً، ثـم إنفـاذ أمـره سـبحانه وتعـالى، فـالله تبـارك وتعـالى تعبَّـد عبـاده بالأمـر والنهـي، أن يأمرهـم وأن ينهاهـم سـبحانه وتعـالى، يأمرهـم بـما

=يشاء وينهاهم عما يشاء سبحانه وتعالى، الحكم له وحده سبحانه وتعالى، وهو الرب الحكيم سبحانه وتعالى، لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر، بهذا اقتضت حكمته سبحانه وتعالى، وكان الله تبارك وتعالى قد أرسل إلى العالمين عبده ورسوله محمداً صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، انفرد هذا النبي بفضيلةٍ عن سائر الأنبياء والرسل، وذلك أن الله سبحانه وتعالى أرسله إلى الناس كافة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، ثم إن الله سبحانه وتعالى ختم به النبيين فلا نبي بعده، أرسل الله سبحانه وتعالى رسولاً نذيراً للناس كافة، وبشيراً لمن أطاعه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ منذ وقته وإلى قيام الساعة، لا رسول بعده، ثم أجرى الله سبحانه وتعالى على لسانه كلماته أخبار الله تبارك وتعالى، وأمر الله تبارك وتعالى وأنزل الله تبارك وتعالى هذه الكلمات مكتوبة مدونة، كتاب كتب في السماء نزل على قلب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حفظه النبي، بثه في الناس أمر بكتابته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، أراد الله تبارك وتعالى له الحفظ والصيانة إلى أن يشاء الله تبارك وتعالى إنهاء هذه الرسالة من الأرض، فيعود الكتاب إلى الله تبارك وتعالى كما بدأ القرآن من الله تبارك وتعالى، بدأ وإليه يعود، فإنه في آخر الزمان تمر الملائكة فتمحو كل آياته و سوره، ويُمحى من الصدور، ولا يبقى إلا شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة، أجرى الله تبارك وتعالى على قلب نبيه صلوات الله وسلامه عليه وعلى لسانه هذا القرآن، وأنزله الله تبارك وتعالى مشتملاً للأمرين:

الأخبار، والأحكام. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأحكام، ولم يجعل الله تبارك وتعالى لا لرسوله ولا لهذه الأمة المتبعة لهذا النبي خياراً في أن يأخذوا هذا القرآن أو يضعوه، بل أمرهم سبحانه وتعالى بأن ينتهجوه وأن يطبقوه وأن يقوموا به وأن ينفذوا أحكامه، يصدقوا أخباره وينفذوا أحكامه.

ففي باب الحكم قال الله تبارك وتعالى لرسوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾، ولم تأت آية، ولم يأت حكم في هذا الكتاب الكريم إلا وقد صدره الله تبارك وتعالى وذيله وذكر فيه أنه أمر قاطع واجب، هذا مما أوجبه الله تبارك وتعالى، وأنه منه سبحانه وتعالى، ثم بين الله تبارك وتعالى ثواب المطيعين وجزاء العاصي كقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ. وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وقال: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقال: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ

=مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

وقال في المواريث بعد أن بيَّنها، ونهى عن أكل مال اليتيم، قال: (تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)، وقال في الطلاق: (تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

وقال: (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ).

والقرآن كله على هذا، يبين الله تبارك وتعالى فيه أن هذه الأحكام من عنده سبحانه وتعالى، وأنها هداية ونور، وأنها نزلت بعلمه سبحانه وتعالى وبمقتضى الحكمة، ثم إن الله تبارك وتعالى حذَّر رسوله وحذر المؤمنين به أن يميلوا عن صغير أو كبير من هذه الأحكام، فقال لرسوله: (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ).

وقال لرسوله أيضاً: (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا).

وهذا كثير جداً في القرآن؛ أن الله تبارك وتعالى بين أنه إنما أنزل حُكمه ليطاع، وأرسل رسوله ليَحكم بما أمره الله تبارك وتعالى، وليطاع هذا النبي فيما يحكم به في الصغير والكبير، فقال: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ).

إذا جاء أمر الله وأمر رسوله فإنه لا يحل لمؤمن أن يختار غير أمر الله وأمر رسوله، (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) يعني (الخيار) في أن يختار أن يأخذا حكم الله وحكم رسوله أم لا !!

(وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) فبين أن حكم الله واجب وحكم النبي واجب وذلك لأنه يحكم بحكم الله تبارك وتعالى فقال: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ) وقال: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصا الله).

وقال جل وعلا: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ) مبينا أن هذه سنته وشرعته سبحانه وتعالى أن يأمر فيُطاع، فلا خيار لأحدٍ في أن يأخذ أو يدع، وبين سبحانه وتعالى أنه كما أن أخباره صدق، ولا يحل ولا يجوز، **وأن من رد شيئاً من أخباره فقد كَفَرَ، صغيراً أو كبيراً، كذلك الأمر في أوامره وأخباره، فبين أن أوامره وأحكامه شيءٌ واحدٌ، وأن مَن ردَّ شيئاً منه صغيراً أو كبيراً فقد**

=**كفر، وأنه ليس العبرة بالكم وإنما العبرة بالطاعة والاستسلام**، فالدين عند الله هو الإسلام، والإسلام لا يكون إسلاماً صحيحاً إلا إذا كان إسلاماً كاملاً، في الصغير والكبير، فلا بد من الإسلام لله سبحانه وتعالى في الصغير والكبير، سواء كان هذا الصغير من أمور الحلال والحرام، أو من شأن الكبير في العبادة أو في غيرها، **بل لا بد من الاستسلام الكامل لحكم الله تبارك وتعالى، وبيَّن الخروج عن حكم الله تبارك وتعالى ولو في شيء واحد هو خروج عن الدين كله.**

فقال سبحانه وتعالى في شأن تحريم الميتة بعد أن حرمه الله تبارك وتعالى، وألقى الشيطان ما ألقى من الشبه على قلوب المشركين، ليجادلوا أهل الإيمان في أنهم لم يأكلون شاةً ذبحوها، ولا يأكلون شاةً قتلها الله؟! فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، **وإن أطعتموهم أي في تحليل ما حرم الله تبارك وتعالى؛ إنكم لمشركون، ولم يَقُل عاصون أو ظالمون أو فاسقون، بل قال إنكم لمشركون، والشرك ذنب لا يغفره الله أبداً لأحد**، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، لما كان الأمر على هذا النحو كان الاستسلام لأمر الله سبحانه وتعالى وشرعه واجب وفرض، وأنه لا خيار لأحدٍ في أن يخرج عن حكم الله وعن أمره، ولذلك كان من شُعب الكفر أولاً: **أن يفتري العبد على الله تبارك وتعالى فيحل أو يحرم أو يحُدَّ حدوداً أو يشرع تشريعاً لم يشرعه تبارك وتعالى.**

وهذا أعظم الإثم والإفك، وذلك أن هذا الطاغوت يناصب ربه العداء، ويضع نفسه موضع الرب الإله، الرب المشرع الملك، الذي له الأمر سبحانه وتعالى، فمن قال هذا حلال وهذا حرام، ومن وضع نفسه موضع الرب تبارك وتعالى في التشريع فهذا مفترٍ على الله تبارك وتعالى، كافر به، وهذا أعظم شُعب الكفر، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

فأعظم الإثم وأكبر الضلال وأكبر الكفر: أن يفتري العبد على الله تبارك وتعالى، فيحل أو يحرم أو يشرع أو يظن أن له حقاً فيها، بل لا حق لمخلوق في أن يشرع إلا بشرع الله تبارك وتعالى، ولذلك نعى الله على المشركين وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ ثم بين الله تبارك وتعالى أنه لولا أنه جعل للعقوبة موعداً لعجَّلها عند هؤلاء المفترين قال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ يعني: لولا أن الله تبارك وتعالى قد أجَّل الفصل إلى يوم الفصل؛ لقُضِيَ بينهم، أي في هذه الدنيا، وذلك أن هذا إثم عظيم، ينبغي معاجلة العقوبة لأهله، ولكن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾.

وتعليقاً على كلامه بإيجازٍ هو:

١) إن هـذه الخُطـب جـاءت لـشرح قضيـة «الحُكـم بغـير مـا أنـزل الله»، واسـتمرَّت لأسـابيع عِـدة، وكانـت الخُطـب كلهـا تُركِّـز عـلى وجـوب التَّحاكـم لله ولرسـوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهـذا حـقٌّ لا مِرية فيـه ولا يُجـادل فيـه مُسـلم- **وتَقريـر أن مَـن لم يحكـم بـما أنـزل الله فهـو كافـر، وهـذا هـو الـذي يحتـاج لبيـانٍ وتفصيـل**، حيـث فصَّـل العلـماء مراتـب مَـن حَكَـمَ بغـير حُكـم الله.

٢) آخـر خُطبـة وهـي الموجـز لمـا سَـبَق، والمقـررة لـه، **ذَكَـر فيهـا القـول**

الأمـر الآخـر وهـو: **أن يحكـم الحاكـم بغـير شرعـه، لا يـشرع هـو ولكـن يحكـم بغـير شرعـه، فهـذا ظـالم كافـر فاسـق**، بحكـم الله تبـارك وتعـالى، فـإن الله قـد نعـى عـلى اليهـود والنصـارى أنهـم شرَّعـوا لأهوائهـم، ثـم كذلـك مـن اتبعوهـم شرعـوا بـما حكمـوا، (بـما شرع بـه) يعنـي شـياطينهم، فقـال سبحانه وتعـالى: (وَكَيْـفَ يُحَكِّمُونَـكَ وَعِنْدَهُـمُ التَّـوْرَاةُ فِيهَـا حُكْـمُ اللهَّ ثُـمَّ يَتَوَلَّـوْنَ مِـنْ بَعْـدِ ذَلِـكَ وَمَـا أُولَئِـكَ بِالْمُؤْمِنِيـنَ (٤٣) إِنَّـا أَنْزَلْنَـا التَّـوْرَاةَ فِيهَـا هُـدًى وَنُـورٌ يَحْكُـمُ بِهَـا النَّبِيُّـونَ الَّذِيـنَ أَسْـلَمُوا لِلَّذِيـنَ هَـادُوا وَالرَّبَّانِيُّـونَ وَالْأَحْبَـارُ بِـمَا اسْـتُحْفِظُوا مِـنْ كِتَـابِ اللهَّ وَكَانُـوا عَلَيْـهِ شُـهَدَاءَ فَـلَا تَخْشَـوُا النَّـاسَ وَاخْشَـوْنِ وَلَا تَشْـتَرُوا بِآَيَـاتِي ثَمَنًـا قَلِيـلًا وَمَـنْ لَمْ يَحْكُـمْ بِـمَا أَنْـزَلَ اللهَّ فَأُولَئِـكَ هُـمُ الْكَافِـرُونَ).

ثـم يقـول الشـيخ: فالُمـشرِّعُ كافـر، والحاكـم بغـير شرع الله كافـر، ثـم المتحاكـم إلى غـير شرع الله كافـر، وإن كان في الصغير)ا.هــ. ثـم سـاق الآيـات الأخـرى مـن سـورة المائـدة..» إلى آخـر الخطبـة الأولى.

الخطبـة الثانيـة: الحمـد لله وحـده والصـلاة والسـلام عـلى الرسـول محمـد، سـيد الأولـين والآخريـن، الـذي بلـغ الرسـالة وأدى الأمانـة ونصـح للأمـة، وجاهـد في الله حـق جهـاده، حتـى أتـاه اليقـين مـن ربـه، فصلـوات الله وسـلامه عليـه، **أرجـو أن تكـون هـذه الخطبـة ملخصـاً وخاتمـة لمجموعـة الخطـب التـي بدأناهـا في هـذه الشـعبة مـن شـعب الكُفـر، وهـي شـعبة (الحكـم بغـير مـا أنـزل الله)**، والحكـم بغـير مـا أنـزل الله: جـزء مـن هـذه الشـعبة، **وإلا فتشريـع غـير تـشرع الله، والحكـم ثـم التحاكـم إلى غـير تشريـع الله، كل هـذا داخـل في هـذا الأمـر**، أسـأل الله تبـارك وتعـالى أن يردَّنـا نحـن المسـلمين إليـه ردًّا جميـلاً، وأن يرفـع عنـا إصره، والأغـلال التـي كتبهـا سـبحانه وتعـالى عـلى مـن قبلنـا، وأن يردنـا إلى الديـن كلـه، عمـلاً بـه، وإيمانـا بـه، أسـتغفر الله لي ولكـم مـن كل ذنـب فاسـتغفروه، اللهـم اغفـر للمسـلمين والمسـلمات والمؤمنـين والمؤمنـات الأحيـاء منهـم والأمـوات، إنـك سـميع قريـب مجيـب الدعـوات، اللهـم اغفـر لنـا ذنوبنـا، وإسرافنـا في أمرنـا، وثبـت أقدامنـا، وانصرنـا عـلى القـوم الكافريـن، أقـول قـولي هـذا، وأقـم الصـلاة».

الفَصل في التكفير -وكما مرَّ عليك- دون تفصيل أو إعذار، وهذا يُعتبر هو مذهبه الأخير، والناسخ لما سبق كله، لأسباب:

أ- إن الخُطبة الأخيرة جاءت مُقرِّرَة لخُطبٍ سابقةٍ في نفس المعنى، ولو كان يرى التفصيل لفصَّل؛ إذ يَسَعه ذلك .. وهو **في جميع الخُطب لم يُفصِّل أو يَستثني**.

ب- إن مذهب **الإنسان هو الأخير مِن أقواله**، وهو هنا لم يُلحق قوله ذلك بأيّ قولٍ آخر يزيل اللَّبس.

ج- لاحظ أنه توسَّعَ في الشرح؛ حتى يجعل المُستَمِع تَختلط عليه الأوراق، خاصة عندما **يُكثِر مِن سَردِ النُّصوص العامَّة؛ ويُقرِّرُ بعد ذلك ما يُريد!**

د- لا يصح أن يقول: أنا فصَّلتُ في مكانٍ كذا قبل عشرِ سنوات، أو أنا أقصد كذا!، إذ يُمكنه بيان قصده قبل أن يُناقَش.

هـ- إن محاضرته حول «الإرجاء» والتي ألقاها في الإمارات، وهي منشورة، **اتهم فيها مشايخ الدعوة السَّلفية بأنهم مُرجئة، وذلك لأنهم لا يُطلِقون التَّكفير مِثله**.

و- ثم أصدَرَ كتاباً باسم «البرهان على أن تارك العمل اختياراً فاقد لأصل الإيمان»، وفيها يُقرر نَفس المذهب الذي لخَّصَه في خُطبة الجُمعة، بل توسَّعَ في التكفير، ولنا مع كتابه هذا وقفة أخرى.

وبعد، فإني أرجو أن أكونَ وضَّحتُ مذهب الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، وأن هذا قديمٌ عنده، ولكنه الآن صرَّح بما لم يَكن يُصَرِّح به،

وأما أتباعه فقد كَشَفوا الغِطاء، وقالوا بها لم يَشأ أن يقوله هو باسمه. وفي هذا بيانٌ وعِبرة لمن اعتبر، وتَرَكَ تقليدَ الرِّجال، والحقَّ التزم).ا.هـ المبحث الذي عنونه الشيخ (فصل في التطبيقات العملية لدعاة الحاكمية)

- **وسُئل الشيخ عبدالله: هل صحيح أن الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق هو من أسَّسَ «جمعية التراث»؟ وهل صحيح أن «منهج الجمعية» يوافق منهج الشيخ عبدالرحمن؟**

فقال: (هذا قول إما مُغرض أو جاهل، الشيخ عبدالرحمن ليس من مؤسسي الجمعية، وأتانا والجماعة قائمة[١]، والجمعية تأسست متأخراً في سنة ٨١م، والدعوة قبلها قائمة في كل مناطق البلاد، والقول بأن منهج عبدالرحمن هو منهج الجمعية هو قولُ مُغرض، **كتابه «الصّراط» رُفض، أما «منهج الجمعية» مُعتمدٌ من المشايخ**، ولا أظن واحداً ينظر إلى الشمس يزعم أن الجمعية تتبع الشيخ عبدالرحمن، هذا كله افتراء، قديماً نعم كان موجوداً، **قبل أن يَظهر ما فيه من خطأ وزلل فِكري**، لكن بعد عُدوان صدّام وظهور جماعة «السرورية» بقوة، وانجرافه في مسألة الحاكمية، **أخذنا منه موقِفاً، وقُضي الأمر، والدَّندنة على هذه المسألة كأن الإنسان ما عنده إلا هذه!**، أين حالياً منهج عبدالرحمن المسيطر في الجمعية؟!!

ولكن يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، وكَون الشيخ عبدالرحمن درَّس الكثير من الناس، وله دور في إصلاح كثيرين، **فإذا أُكرِمَ من ناحية الدنيا؛ فلا عَلاقة له بالمنهج، لأن الله أمرنا ألا ننسى الفضل**

(١) ويقول الشيخ عبدالله في كتابه «بل هو الفرية» بعد بيان علاقة الشيخ عبدالرحمن بالإخوان: (نحن كنا جماعةً سلفيةً، ونَشَرنا رسائل الدعوة السلفية بالتعاون مع السلفيين في سوريا، وكان لنا كيانٌ قبل أن يأتينا الشيخ مِن الإخوان).ا.هـ المجموع (٢/ ٩٧).

بيننا، ففي الدُّنيا قد يُكرم الإنسان لاعتباراتٍ أخرى، أما منهَجِيًّا فالحَزمُ واجب).

- **ما نصيحتكم لإخوانكم السلفيين؟**

يقول الشيخ عبدالله رحمه الله: (أولاً أنصحُ نفسي وإخواني أن نَعلم أن هذه الأمة بحاجة إلى جهودنا، وإلى مذهبنا ودعوتنا، **ونحن أوقاتنا قصيرة، فإذا شغلناها بالقيل والقال، والفتن والردود؛ ضاع الوقت**، وإنما نحن -كما يقول ابن القيم، الظبي أسرع من كلب الصيد، ولكن الكلب يصطاده من كثرة التفاته، ولو انطلق ولم يلتفت ما أدركه الكلب-، فنحن الآن في جهادٍ عظيم، فعلينا أن ننطلق ولا نلتفت، ولا يُشغلنا هؤلاء، لأنهم كل يوم يرمون علينا فتنة، وكل يوم يرمون علينا مشكلة.

فأنا أنصح إخواني أن يتَّجهوا إلى العلم وإلى الدعوة وإلى إصلاح النفس، فإذا جاء شيء من هذه التّرهات صدّوها، مثل الذي يمشي وجاءه كلبٌ يلحقه رَماه بحِجارة ومشى، أما الانشغال بالقيل والقال والفِتن، **فهي تُشغل القلوب، وتُؤخر عن طلب العلم، وتُضعف الدعوة إلى الله عز وجل.**

الأمّة مِن شرقها إلى غربها بحاجةٍ إلى منهج السَّلف، بحاجة إلى أناسٍ يحملون هذا العلم يبلِّغونه للناس، فلنجعل هذا هو ديدننا وهذا هو هَمَّنا، ونشتغل بالعِلاج قبل أن نشتغل بالدواء، وأنا أعتقد أننا لو انشغلنا بالعِلم والدعوة؛ لَسَقَط هؤلاء في أماكنهم). ا.هـ.

من آثار جهود الشيخ عبدالله الدعوية

- أسهم في **إحياء عددٍ مِنَ السُّنن العامة المهجورة**، منها صلاة العيد في المصليات المفتوحة والساحات، ومنها صلاة التراويح إحدى عشرة ركعة -كما ذكرنا ذلك سابقاً-، كما صلاها النبي ﷺ، فقد اعتاد الناس صلاتها عشرين ركعة، فلم يكن أحد من أئمة المساجد في ذلك الوقت يصليها إحدى عشرة ركعة، ثم صارت بتوفيق الله ثم بدعوة السلفيين تدريجياً أمراً مقبولاً بل شائعاً جداً في كل المساجد ولله الحمد.
- أسهم في **تأسيس حملاتٍ للحج في الكويت تهدف إلى تطبيق السُّنة**؛ ومن ذلك المبيت في مزدلفة إلى طلوع الفجر، خلافاً لما اعتادته الحملات من الخروج عند منتصف الليل، ومنها عدم الذهاب إلى المدينة المنورة، لارتباط ذلك في أذهان الناس أن الحج لا يكمُل إلا بزيارتها.
- فكانت البداية سنة ١٩٧٧م بحملة «سالم الناهض السهلي»، واستمرت لمدة سنتين، ثم جاءت بعدها حملة «خالد الربيع»، ويحدثني الأخ خالد الربيع أن الشيخ ومعه عبدالله الرجعان وبدر الحوطي وبوخالد الخالد رحمهم الله، هم من كان لهم الدور الأول في تأسيسها.
- يخبرني العم أبووليد خالد الرّبيع: (الشيخ عبدالله أنشأ مكتبة **بديوانية الرِّبيع بالرّقة** -ق٧ أول بيتٍ للدعوة في المنطقة العاشرة-، وأتى **بالكتب** والرفوف من الدار السلفية، لإقامة الدروس والبحث العلمي، كان الشباب يحضرون يومياً للبحث والمناقشة، وهناك درس أسبوعي يحضره المشايخ، ثم في الفحيحيل بيت يوسف الحجي، ثم

انتقلت لمسجد في الفنطاس .. ما أنفقتُ ديناراً على الديوانية، كلها من خلال الشيخ رحمه الله).

- ويحدثني د. بسّام الشّطي عن جهود الشيخ في الدعوة، فيقول: (معرفتي بالشيخ عبدالله رحمه الله منذ عام ١٩٨٠م، حيث كنتُ حريصاً على حضور لقاءاته مع الشيخ بويوسف عبدالرحمن عبدالصمد -يومين في الأسبوع تقريباً-، حيث كانا يتباحثان عن قضايا الدعوة السلفية، وعن بعض القضايا الفقهية، فكان أبومعاوية يُحب الجلوس مع الشيخ **أبويوسف**؛ لتوافق الأفكار ..
- ومن ناحية أخرى كنتُ ألتقي به -لما كنتُ طالباً- في ديوانيةٍ أسَّسناها في انتخابات «الإتحاد الإسلامي» بالفحيحيل في «بيت يوسف الحجي»، وكان الشيخ حريصاً أن يَسمع الأسئلة والمحاورات، ويتناقش معنا عن نزولنا .. وكان في الحقيقة يُعطينا جُرعاتٍ من الصبر، وحلولاً لبعض المشكلات التي تقع مع بعض الجماعات، .. وكان يُجيب علينا بنفسٍ طيبة مُنشرحة، وبأسلوبٍ واضح).
- ويقول: (كان الشيخ عبدالله في موسم الحج يحرص أن أرافقه في لقاءه الخاص مع الشيخ صالح الفوزان بمكتبه، حيث يسأله عن المستجدات، وعن جديد الكتب، وأذكر أني ذكرتُ للشيخ الفوزان أن كتابه «مجموعة الخُطب» فيه بعض الأحاديث الضعيفة وبعض الألفاظ التي تحتاج إلى تنقيح، فقال لي الشيخ الفوزان: اكتبها لي وأنا أتقبّلها).
- ومِن نظرته إلى الدعوة: (أتانا الشيخ عبدالله السبت في مصر -أيَّام دِراستي سنة ٨٨م- مع زوجته وأبناءه، وسألتُه: ما أكثر أمرٍ فعلتَه

وندِمتَ عليه؟ فقال: ضيَّعت وقتي في الهِند، كُنت أعتقد أن الدَّعوة في الهند ستُغيّر العالم كلَّه، ووجدتُ أن **التغيير الحقيقي هو في مصر**(١).. وبالفعل شكَّل جمعيةً هناك -بالتَّشاور مع الأخوة في «جمعية أنصار السُّنة»- وأقام عِدة أعمال كبيرة دعوية مع بناء المساجد وحفر الآبار، .. ومما أشرتُ به عليه: أن طلبة البُعوث في الأزهر -الذين يأتون إلى مصر- مساكين يحتاجون رعاية، وأنه لابد أن يُخصَّص لهم مجموعة من طلبة العلم يعلِّمونهم التوحيد، مع توفير المواصلات، والمكافآت لتشجيعهم على حضور هذه الدروس، لأنهم سيكونون دعاةً ومؤثرين عند تخرُّجهم ورجوعهم إلى بلدانهم، وبعضهم قد يكون سفيراً أو وزيراً.

فقال لي الشيخ: فكرةٌ طيبة رائدة، ومباشرةً تَواصل مع الشيخ «صفوت نور الدين» رحمه الله لترتيب الأمور، وأذكُر أنه كان يأتي ببعض الدَّعم من «الشيخ سلطان القاسمي» حفظه الله لتعليم الطلاب).

- وكان **الشيخ حريصاً على حلِّ مشكلاتِ الطلاب والنزاعات بين الدُّعاة**، فيقول د.بسام: (وكان بين فترةٍ وأخرى يحثني على متابعتهم وحل مشكلاتهم، وأذكر أنهم كانوا يريدون شحن كتبهم إلى بلدانهم،

(١) يقول الشيخ: (اشتغلتُ في الهند أكثر من ثلاثين سنة ولم أجد ثمرة)؛ لقلة نشاطهم، أما في مصر لما تَبْني مسجداً وتُؤسس فيه دعوة سلفية، تجد أن المنطقة بعد فترة صارت سلفية، وعلى إثرِ هذا تجد أنهم ينطلقون خارج بلدهم، **فلا تكاد تجد بلداً في العالم إلا وفيه مصريين**، وطبيعة المصري أنه إذا تَديَّن والتَزَم تجد عنده إخلاصاً وغيرةً على دينه، فهو ناقلٌ للدعوة في أي مكانٍ يُهاجر أو ينتقل إليه، وعلاوة على ذلك تجد أن مصر تُغذي العالم بـ: أئمة المساجد والمؤذنين، وتغذيهم بالمعلمين في المدارس، وكذلك تغذي العالم العربي من الناحية الإعلامية، فتجد تأثيرها في القومية والشيوعية والحركات الإسلامية وقضايا المرأة، وحتى في التأليف والكتابة لهم تأثير كبير، **فلأجلِ هذه الأسباب رأى الشيخ أن التغيير يبدأ من مصر**.

فتكفَّل الشيخ بذلك، على أن يشحنهم عبر البحر لقلة التكلفة، وكان بعض المتزوجين لديهم مشاكل مالية، فكان حريصاً أن يرسل الدعم لحل هذه المشكلات، لأنه رأى أن الدعوة هناك ناجحة ومثمرة.

- وكذلك كان **يَسعى لِحَلِّ النِّزاعات** بين فُروع «جمعية أنصار السُّنة» بمصر، فإذا حَدَثَت بينهم مشكلة -وهُم يفضلون طرفاً ثالثاً من الخارج للتَّحكيم بينهم- اتصلوا بالشيخ عبدالله؛ لما تميَّز به مِن احترام بينهم، وقبول منهم، وله باعٌ في حلِّ المشكلات.

وأذكُر موقِفاً لشخصٍ أتانا من منطقة «السيد البَدَوي» وعَرَض علينا إعادة بناء مسجد عندهم كان فيه «أضرِحَة»، بحيث نَبنيه بناءً خالياً من الشِّركيات، فاتصل الأخ عبداللطيف القناعي بالشيخ عبدالله السبت -يرحمهما الله- وأخبَرَه بالأمر، وأن هناك مَن يستطيع أن يوفِّر الجو المناسب كي يَقبل الناسُ بإعادة بناء المسجد دون أضرحة، فكان ردُّ الشيخ أن نُبادر ونُقدِم لإزالة هذا المنكر العظيم، وفي الحقيقة كنّا نواجه مشكلتين: الأولى مع وزارة الأوقاف، والثانية مع المصلين من كبار السن، لصعوبة التغيير عندهم، ولكن -ولله الحمد- تم هدم المسجد القديم ليلاً، ومعالجة الأمر مع الأوقاف، من أننا لا نريد شيئاً إلا بنيان المسجد فقط، واشترطنا عليهم أن يُقيم أحد دعاة أنصار السنة درساً أسبوعياً في المسجد، فوافقوا، وكنا أحياناً ندفع الأموال لبعضهم من باب دفع الضرر وإزالة هذا المنكر، فكان هدف الشيخ هو البناء العلمي وتعليم الناس.

- **أُعجِبَ الشيخ بفكرة «دعوة الوافدين»** طلاب البُعوث، وكانوا في المعهد الديني عندنا بالكويت، وكان الشيخ «طايس الجميلي» هو

المسؤول عنهم، أما إخواننا السلفيين فللأسف لم يلتفِتوا ويهتموا بهم، فحاولنا أن نطرق الأبواب والدخول عليهم، ولكن الشيخ طايس[(١)] كان قد أغلق الأبواب، فبعد محاولاتٍ استطعنا الدخول عليهم، خاصة عند الرجال أما النساء فالأمر يصعب، وكان **الشيخ عبدالله يجلس مع الطلاب كل يوم جمعة** في رحلاتٍ برية وغيرها، واستطعنا ولله الحمد التأثير على كثير منهم، وصار بعضهم داعيةً مكفولاً من «جمعية التراث» في بلده.

- وكان الشيخ عبدالله هو **هَمزة الوصل مع علماء السعودية**، وأذكر أني لما التقيت بالشيخ محمد السّبيِّل -إمام الحرم المكي سنة ٧٩م- سألني: من أين؟ فقلت من الكويت، فقال لي: كيف حال الشيخ عبدالله السبت؟ وحتى لما أزور الشيخ الحذيفي -إمام الحرم النبوي- كان يسأل عن الشيخ عبدالله، فكان هناك اتصال وثيق معهم، **ولما كانوا يسألون عن الشيخ عبدالله كأنهم يقولون كيف هي أحوال السلفيين في المنطقة**.

- وكان الشيخ رحمه الله يحرص أينما ذهب **على إنشاء مكتبة**، وأذكر أنه لما أتى «منطقة الرقة» أنشأ أمرين: الأول: حملة حج سلفية (وهي حملة وليد الربيع)، والأمر الثاني: تجهيز ديوانية وبداخلها مكتبة، وهو الذي تحمل تكاليفها كاملة، وخصص كل يوم ثلاثاء يُقيم فيها درساً.

(١) وهو خطيب في مسجد العلبان بكيفان، وقد كتب الشيخ عبدالله مرةً رداً عليه لما ساق في إحدى خُطبه بعض قصص الطرق الصوفية، فبين الشيخ مخالفتها في مقالة نشرت سنة ١٩٧٨م، انظر المجموع (٤/ ٧٧).

- حتى إن الشيخ لما انتقل إلى الشارقة كان له **فتح دعوي**، حيث أعانه حاكم الشارقة، وفتح له المساجد لإقامة الدروس، وكان له برنامجاً دينياً في تلفزيون الشارقة، وكان يقبل تزكيته لقبول الطلاب في الجامعة، ولكن بعد ذلك تحركت الوشاية عليه من قبل المناوئين وخاصة الصوفية في الإمارات الأخرى، حتى أتت ضغوط، فتم إيقاف الشيخ من كل أنشطته، عدا المكتبة وألا يجلس مع الإماراتيين.
- سألته عندما سافر إلى الإمارات: لماذا وضعتَ مكتبةً هناك؟ فقال: «تذكُر ما فعلناه مع الجاليات والطلاب البُعوث في مصر، كانت فكرتك التي أرشدتني للاهتمام بهم وبتعليمهم؛ كي يكونوا دعاةً في بلدانهم».
- كان الشيخ صاحب ابتسامة، وكلماته محددة، حريصاً ألا يجرح أحداً بقول أو فعل، وإذا سمِع كلاماً وتطاولاً عليه، دائماً يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، نسأل الله أن يغفر لنا وله.
- كان يقول: إننا أخطأنا في بداية دعوتنا **بعدم الاهتمام بالدعوة النسائية**، فكان يحثّنا على تعليم النساء؛ لأنهم مربيات أجيال المستقبل.
- وسَعى الشيخ عبدالله مع إخوانه إلى إزالة «قبر الخضر المزعوم» في جزيرة فيلكا بالكويت، حيث يذكر لي الأستاذ أحمد باقر عن قصة ذلك: (أذكر في فترة منتصف السبعينيات عملنا رحلة وكنا ثلاثة: أنا والأخ عبدالله السبت والأخ حمد الياسين إلى جزيرة فيلكا، ونمنا على «اليال» الشاطئ، وذهبنا لنرى ما يُسمى بالخضر، فتفاجئنا كلنا من وجود مبنى دائري من اسمنت غير مسوّر، والسقف كان على شكل قُبّة، من «جينكو» ألواح حديد، فيها فراغات، والقُبّة عليها

علامـاتٌ ملونـة، وفي المنتصـف **هنـاك صنـم لجسـدٍ ورأس** «غـير واضـح المعـالم»، عـلى كتفـه كانـت توضـع حَلويـات.

وبعـد صـلاة الفجـر كنـا نُصـوّر فوتوغرافيـاً، ورأينـا عجبـاً: رجـل جـاء بابنـه وعمـره أربـع سـنوات فوضعـه بجانـب الصنـم وأخـذ بحلـق رأسـه بالمـوس، ورأينـا رجـلاً مـع عائلـة وقـد أتـوا بخـروف ونَحَـروه عنـد الصنـم، ورأينـا نِسـاءً معهـم بخـور، وكان هنـاك تجويـف فوضعـوا مبخـرة صغـيرة داخـل التجويـف، فجلسـنا نهـاراً كامـلاً نُشـاهِدُ ونُصـوّر.

وبعـد أن رجعنـا أخـذ الصـور «عبـدالله السـبت» إلى رئيـس المجلـس البلـدي في ذلـك الوقـت الأخ عبدالعزيـز العدسـاني، فلـما رأى الصـور أرسـل الكرّافـات -بعـد أسـبوع تقريبـاً- ومسـح هـذا المـكان وسـاواه بـالأرض، والأخ أحمـد الحصّـين بعـد سـنتين قـال: أعطـوني الصـور كـي أضعهـا في كتـابي، وهـو «جزيـرة فيلـكا وخُرافـة أثـر الخـضر فيهـا»).[1] وقـد طبَعَتـه الـدار السـلفية بالكويـت.

- كان الشـيخ يشـحن الكتـب ويرسـلها مـع الشـباب مـن الكويـت إلى الإمـارات، وخاصـة مـن الـدار السـلفية، قبـل انتقالـه للشـارقة.
- بـدأ دعوتـه الفِعليـة **في الشـارقة** سـنة ١٩٨٨م تقريبـاً، وخصَّـص المكتبـة مـكان الانطلاقـة، وكان فيهـا نشـاط كبـير جـداً، مـن محـاضرات وزيـارة مشـايخ، ومَبيـت لبعـض الطـلاب، ثـم أقـامَ المخيـمات الدعويـة، وكان الحضـور كبـيراً، مـا يقـارب **الألـف شـخص**، وكان المجـال مفتوحـاً

(١) وقـد يكـون **للشـيخ أحمـد الحصـين** دورٌ كذلـك مـن جهـة أخـرى في نفـس الوقـت في إزالـة هـذا القـبر، فنسـأل الله أن يجـزي خـيراً كل مَـن أعـان أو سـعى لإزالـة مظاهـر الـشرك ونـشر التوحيـد، والله لا يُضيـع عمـل المحسـنين.

بشكلٍ كبير للدعوة، ولم يكن هناك تضييق آنَذاك، مع وجود جمعية الإصلاح للإخوان، وجمعية الدعوة للتبليغ.

- يخبرني الشيخ ابن يوسف: (تكلّمتُ مع مدير دائرة الأوقاف بالشارقة فقال: الشيخ أبومعاوية كفانا بالدعوة الشيء الكثير، وأثنى عليه ثَناءً عَطِراً).

- ويخبرني أخي أحمد الحوسني: (في سنة ١٩٩٢م أُقيمَ أكبر مخيم في **منطقة المنامة** التابعة لإمارة عجمان بالإمارات، حَضَروه بالآلاف، ومشايخ من السعودية، والشيخ بومعاوية كان هو مَن نظَّمه، وله محاضرات فيه، مدته أسبوع وكان به مبيتٌ وولائم، ويتخلله أنشطة رياضية، .. وفي سنة ١٩٩٤م أنشأ الشيخ «مركز الإمام الشافعي لتحفيظ القرآن الكريم» في **خورفَكّان**، وبعد فترة زادوا عليه «وتعليم السنة» بشكلٍ رسمي، ثم انتقلنا سنة ١٩٩٩م لمقرٍ آخر للمركز في خورفكان، .. وفي سنة ٩٨م فتحنا «مركزاً لتحفيظ القرآن» في **منطقة العين** باشراف الشيخ بومعاوية، وتوقف بعد سنوات بسبب خلافٍ مالي لبعض الشباب هناك ..).

- ويقول: (أقيمت محاضرة في مسجد جامعة الإمارات في **منطقة العين**، ألقاها الشيخ سنة ١٩٩٦م وقت «فِتنة تصنيف النّاس» لما أثاره الشيخ رَبيع، وقد حَضَرها المؤيد والمخالف، حيث لم يكتبوا اسم الشيخ كاملاً «فقط عبدالله بن خلف» وكان مقصوداً، .. بعد **انتشار صيت مكتبة** الشيخ في الشارقة وفي العين -وهي من شِقّين إماراتي وعُماني «البريمي»-، فقام نشاطٌ سلفي في عُمان مِن أثر دعوة الشيخ).

- يخبرني الشيخ علي الكاسبي -من المشايخ السلفيين في عُمان-: (الشيخ

بومعاوية زار عُمان مرتين: مرة بمسقط ومرة بجَعلان، عَرّفه **بالإخوة العُمانيين** الأخ صالح الراسبي، .. كان الشيخ يتفقد أحوالهم باستمرار، وكان يرسلهم ويزكيهم للدراسة في الجامعة الإسلامية بالمدينة، أكثر من ٣٠ شخصاً، .. كان يلتقي بهم في بيته للاطمئنان عليهم، وكان يرسل لهم «مكتبات طالب العلم» بكثرة، يربطهم دائما بالمشايخ الكبار كابن باز وابن عثيمين، وكان الكرم والهمة في تبليغ الدين أكبر هَمِّه، وكان يقول لهم لا تدخلوا بنقاش ومجادلة مع التبليغ والإخوان والإباضية؛ لأن لهم قوة، والحِكمة تقتضي ذلك، .. مُنع الشيخ مِن زيارتهم واللقاء بهم حتى في الشارقة)، وأوذِيَ في ذلك رحمه الله.

- **يحرص الشيخ أينما حلّ أن يكون له تأثير ودعوة إلى الدِّين الصافي**، فلما انتقل إلى الإمارات سنة ١٩٨٧م؛ كانت «**جمعية دار البر**» قائمة بجهود بعض تُجّار دبي وأعيانها مثل سلطان بن خليفة الحبتور وغيره -كما أخبرنا بذلك الأخ جنيد خوري-، ولم يكن لها نشاط منذ إنشائها سنة ١٩٧٧م إلى تسع سنوات، فلما انضمت مجموعة من الشباب السلفيين منهم جنيد خوري وعبدالقادر الريّس، التقوا بالشيخ عبدالله حينذاك ورتَّبوا نشاطهم فيها وأرشدهم إلى طريقة عمل جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت، وتولى الشيخ في «جمعية دار البر» **جانب الدروس والتَّعليم** وإيصال المنهج السليم إلى الناس، علماً أن انضمامه لم يكن بشكلٍ رسمي، **إلا أنه كان الواجِهة الفِعلية للدعوة السلفية في الإمارات**، وقد كتب الله له القبول في البلد، فوصلت دعوته إلى جميع طبقات المجتمع، وقد رحَّب به الكثير من أعيان البلد من أمثال محمد مير هاشم «أبا فهد»، وهو بدوره قام بإيصال الشيخ رحمه الله إلى حاكم الشارقة الشيخ سلطان القاسمي حفظه الله.

- ألقى مجموعة من الحلقات في تلفزيون الشارقة ببرنامج «دنيا ودين»، أيام الاحتلال العراقي سنة ١٩٩٠م وما بعدها عن التوحيد وخاصة في أسماء الله وصفاته، وكذلك ألقى في التلفزيون السعودي عِدّة حلقات سنة ٢٠٠٢م تقريباً عن خطر فِكر الخوارج.

- اجتهد الشيخ رحمه الله كذلك من خلال رحلاته لإيصال المنهج الصحيح للناس، فسافر إلى عدة دول لأجل هذه الغاية، ومنها سفره إلى باكستان -أواخر الثمانينيّات أيام الحرب الأفغانية- للالتقاء بقيادات الجهاد والبُلوش في بيشاور، **ولقاؤه بالشيخ جميل الرحمن** رحمه الله، فكان الشيخ عبدالله يُلقي محاضرة وبعدها يتم التشاور معه في شؤون الجماعة ومشاكلها الشرعية لا العسكرية ولا التنظيمية، فليس له دورٌ فعلي من الناحية التدريبية، بل دوره **ينحصر في تأصيل المنهج السلفي**، فكان بمثابة مرجعهم لفهم المنهج، وبيان خطر التَّصوف والشركيات التي كانت تسود بلاد الأفغان.

- **وأحياناً كان الشيخ يزور بعض قيادات الجهاد مثل «حِكمتيار وسَيّاف» من باب المجاملة**، ومرة كنا -كما يروي ذلك رفيقه في الرحلة جنيد خوري- في مأدبة عَشاء عند «عبد ربّ الرسول سَيَّاف» وكان **عبدالله عزّام** موجوداً معنا على هذه المائدة، فجلس عزّام أمام الشيخ عبدالله -وبحُكم معرفة الشيخ بالإخوان المسلمين عَرَف عزام وهو لم يعرفه- فكلَّمَه وهو لم يعرفه، فَسَألني عبدالله عزام بعد النقاش الذي دار بينهما، مَن هذا الشيخ؟ فقلت له هذا الشيخ عبدالله السبت، فتغيَّرت نبرته، وقال للشيخ: سمعتُ عنك، وكررها أكثر من مرة، ثم قال خيراً، ووجهه مُصْفَرّ، ثم جَلَسا يتناقشان والشيخ رحمه الله

يحاول أن يُقنعه في ضلال منهج الإخوان، ولكن لا حَياة لمن تُنادي، ثم صار النقاش عن أسامة بن لادن، ومسائل كثيرة متعلقة في الجهاد آنذاك. وبعد إعلان مقتل الشيخ جميل الرحمن رحمه الله لم يذهب هناك مرة أخرى.

- وكذلك زار الشيخ بلوشستان لتفقّد المشاريع والمدارس والمساجد هناك، وكانت علاقته بهم بإرسالهم إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم يتم مساعدتهم عن طريق «جمعية إحياء التراث» أو «جمعية دار البر» أو بعض المحسنين.
- وزار أيضاً الجمهوريات الإسلامية «بعض دول الاتحاد السوفييتي»، فكانت البلاد بحاجة كبيرة إلى المساجد والمدارس وغيرها، وكان الشيخ يقوم بإلقاء الدروس والمحاضرات، وتَنَقّلنا -كما يروي ذلك رفيقه جُنيد- بين كثير من الجمهوريات، وكان استقبال الناس لنا برحابةٍ وأُنس، وأحياناً يصل عدد المصلين في المسجد ما يقارب «العشرين ألف» مصلٍّ، فإذا رآنا الناس -بحكم لباسنا الخليجي- توافدوا للسَّلام علينا، فنأخذ قرابة ثلاث ساعات ونحن وُقوف، وتكررت زيارة الشيخ لتلك البلاد مع كثير من الأصحاب مثل طارق العيسى وخلفان المزروعي وغيرهم.

وكان الوضع في ذلك الوقت -بداية التسعينيّات- يمثّلُ بدايةَ انطلاقةٍ للدعوة، خصوصاً بعد التّحرر مِن النِّظام السابق، حيث كان الشيخ يجري النقاشات مع مشايخ تلك البلاد، **والذين قد تأثر كثير منهم بالمنهج السلفي** وصار يدعو له ولله الحمد، وكان للشيخ دور في إنشاء فرع «لجمعية دار البر» بترخيصٍ رسمي في أوزبكستان، ثم بعد سنوات

تـم إغلاقـه مِـن قِبَـل المخابـرات الأوزبكيـة.

- سـافر كثـيراً إلى الهنـد -برفقـة زوجـه- حيـث كان يـزور الجامعـات والمـدارس السـلفية هنـاك ومراكز الأيتـام، ويلقـي المحـاضرات والدروس، وسـافر كذلـك إلى بعـض دول أوروبـا وأمريـكا ومـصر ولبنـان وغيرهـا، وكان يحـرص عـلى الالتقـاء بالدعـاة السـلفيين في كل بلـد.

- كان الشـيخ أبومعاويـة حريصـاً عـلى **جمـع كلمـة الشـباب السـلفي وتوحيـد صفوفهـم**، وإن وقـع خـلاف فإنـه **يسـعى لتضييقـه ولا يُوسّـع دائرتـه** سـواء في الكويـت أو بـين السـلفيين خـارج الكويـت، ومنـه مـا جـرى في بنغلاديـش، يحدثنـي د.أحمـد الشـيحه فيقـول: (بحكـم أني كُنـت في «لجنـة تفريـغ الدعـاة»، فأجـد أن الشـيخ يَعـرف كل سـلفيي العـالم، **سـافرتُ مـرة معـه إلى بنغلاديـش**، واسـتقبلنا أحـد الدعـاة لجمعيـة الـتراث، فـأراد أن يُضيّفنـا عندهـم، فقـال الشـيخ: أُفضِّـل الاقامـة بفنـدق، فـردّ عليـه أن هنـاك فُندقـاً انجليزيـاً وآخـر يابانيـاً، فقـال الشـيخ نذهـب لليابـاني، فلـما وصلنـا قـال للشـخص: تعـال إلينـا بعـد ٤ سـاعات، وقـال لي أنـا سـأنام وأسـتحم وأنـزل بعـد ٤ سـاعات – وكلّ منـا في غرفـة خاصـة– وبالفعـل وجدتـه باللـوبي بعـد ٤ سـاعات وهـو يـشرب قهوتـه – فـكان مرتبـاً بجدولـه–، طبعـاً هنـاك مبلـغٌ مخصـصٌ مـن الجمعيـة لليـوم ٣٠ د.ك والفنـدق ليلتـه ٥٠ د.ك، فدفعهـا الشـيخ مِـن جَيبـه.

فقـال لي بعـد ذلـك: هـل تعـرف سـبب مجيئنـا لبنغلاديـش؟ فقلـت: نعـم لبعـض المشـاريع البِنائيـة نعملهـا، فقـال: نعـم، ولكـن هنـاك موضـوع أكـبر؛ وهـو إصـلاحٌ بـين جماعـة التوحيـد «عبدالصمـد السـلفي وأسـد الله غالـب» وبـين أهـل الحديـث «عبـد البـاري السـلفي»، **نُحـاول نوقـف هـذا الـصِّراع**، وهـذا سـبب جلـوسي في هـذا الفنـدق، لكـي لا أُحسـب عـلى طـرفٍ

دون طـرف، وأنهـم كلهـم سـلفيون ونعمـل معهـم، ولكـي نذهـب للاثنـين **بشـخصيةٍ مسـتقلة لكـي يَقبلـوا منـا**، -وهـذا مـن فطنتـه وحُسـن تدبـيره-، فوجدنـا أن القضيـة في الأمـوال والأمـلاك وتسـجيلها بأسـماء البعـض وليـس باسـم الجمعيـة عندهـم ..

وقـال لهـم أبومعاويـة: اليـوم أريـدُ أن نَصـلَ إلى وقـفِ الـصِّراع الظاهـر في الصحـف، وليـس إلى اتفـاقٍ كامـل، فكتبنـا مذكـرة تفاهـم بينهـما، ومما يُظهـر حِكمـة الشـيخ أنـه قـال لي: لنُشـعِرِ الأخ عبدالبـاري أننـا لسـنا فقـط نأخُـذ منـه وإنـما نُعطيـه كذلـك، فكَفَلنـا عَـشرةً مِـن الدُّعـاة عنـده، وسـبحان الله كانـت هـذه الخطـوة سـبباً كبـيراً في حـل كثـيرٍ مـن الخلافـات بينهـم.

فـكان حَـلُّ الخلافـات بـين السـلفيين مهـماًّ جـداً عنـد الشـيخ وهدفـاً رئيسـاً، فـكان الشـيخ **رجـلاً عمليـاً وليـس تنظيريـاً** كـما هـو حـال البعـض، فانظـر إلى هـذه الخطـوات لكـي يحـلّ المشـكلة.

فالشـيخ رأى أن الحـل صعـبٌ وطويـل، فهـو خطـى خُطـوة نحـو الاتفاق، وأراد التأثـير في الجيـل الثـاني لكـي يُنهـي هذا الـصراع).

- تميَّـز الشـيخ بعلاقاتـه الطيبـة مـع الجميـع، **حريصـاً عـلى ألا يقطـع الوصـل مـع أحـد**، حتـى لـو اختلـف معـه، وكان يقـول: لا بـد أن يكـون بينـك وبـين المخالـف لـك شـعرة لا تخسره، حتـى ولـو كان يُخالفـك في الاعتقـاد والسُّـنّة، لأنـه قـد يـأتي يـوم ويهتـدي عـلى يديـك.
- وكان الشــيخ عندمـا يُجيـب سـائلاً **ينظـر لواقعـه مـع مراعـاة المصلحـة والمفسـدة** في ذلـك، فيحدثنـي أحـد المشـايخ: أن سـائلاً مِـن بـلاد أوروبـا سـأل الشـيخ عبـدالله وأخـبره: أنـه عندنـا مركـزٌ إسـلاميٌّ تديـره مجموعـة

من جماعة الإخوان، ولا يوجد غيرهم، فقال له: **كُن معهم**، مع علمنا بمنهج الشيخ تجاههم، ولكنهم الآن في واقع هذا السائل أفضل الموجود في محيطه.

أثره على بعض الدُّعاة

- يقول الشيخ حاي: (من مِنّة الشيخ عبدالله عليّ: أنه سَألني ما رأيك أن تكون خطيباً للجمعة؟ فقلت خطيب! فأخذني مع الشيخ ناظم، فأدخَلَنا على الوزير يوسف الحجي، فطلب منه تعييننا خُطباء، فوافق مباشرة ولله الحمد .. وقد كان أول لقاء لي مع الشيخ عبدالله السبت رحمه الله عام ١٩٦٩، عندما وفَّقَني ربي أن أُصلي في مسجد الإمام أحمد بن حنبل في الفيحاء، فأحضر حلقته العلمية، حيث رحَّب بي، ومن ذلك الوقت حرصت على دروسه في مسجد الشيخ عبدالله الخلف الدحيان بالفيحاء، وكان يشرح كتاب «الاعتصام» للحافظ أبي إسحاق الشاطبي).[(١)]

- وذكر لي الشيخ صلاح الدين مقبول: (سمعتُ بالشيخ عبدالله في الهند سنة ١٩٧٥م بأنه شيخ سلفي بالكويت، **وأحببتُه قبلَ أن أراه،** فأنا سبقته في حبي له، قبل حُبّه لي، .. التقيتُ به سنة ١٩٨٢م في مكتب له في شارع فهد السالم مع أخي بومصعب سعيد عمّاش السعيدي، وكان قد أشار عليّ وأنا أدرس في الجامعة الإسلامية الأخ الشيخ بدر البدر أن أزور الكويت بعد الدراسة، وسهَّل إجراءات التأشيرة للدخول الأخ الشيخ فلاح ثاني السعيدي، .. **وكان الشيخ بومعاوية السبب في الوَساطة لعَمَلي إماماً في الأوقاف،** عَرَفناه رجُلاً ذا خُلق، وذا سماحة، ولا يشمئز من المناقشة، طويل البال، تعرّض للأذى والمضايقات من الجماعات، ومن داخل الصَّف، والأنبياء تعرَّضوا لأشدّ من ذلك، .. **حَرص** على أن يَطبع كتابي «دعوة شيخ الإسلام وأثرها في الحركات

(١) في لقاء برنامج (موكب النبلاء).

الإسلامية المعاصرة»، في دار الفتح، ولأجل ألا يَخسر الناشر الأول، فلم يتم الأمر، وطَبَع كتابي «نظراتٌ في كتاب صِفَة الغُرباء لسَلمان العودة» وكنتُ قد كتبته في دِلهي أيام الاحتلال العراقي على الكويت، وكان يُشجّعني على الكتابة في الأمور الحاضِرة، فرحمه الله رحمة واسعة).

- ويحدثني الشيخ خالد قزار: (لا أُخفيك أن بصمة المنهج السلفي أخذناها من الشيخ عبدالله السبت، كقضية الرجوع لفهم السلف، والتركيز على الحديث الصحيح، والتركيز على التوحيد .. وحَدَثت فجوة في الحقيقة لمّا تَرَك الشيخ الكويت، وعالجها بكثرة زياراته .. وكان الشيخ **حريصاً جداً على جمع الكلمة بين السلفيين**، ولم يكن من عادتِه التَّنفير، وإذا سَمِع أن فلاناً أخذ موقفاً معيناً؛ زاره وجَلَسَ معه).

- وكان يوصي بالعلم دائماً، يُحدث الشيخ حاي الحاي[1] فيقول: (كان الشيخ أبومعاوية يوصينا بالعلم، حتى قال لي: «يا حاي أُريدكَ أن تُحيط بسنّة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وكان فضله عليّ كبيراً، وفي عُنُقي دَينٌ عظيم له).

- ويزيد: (كان يُدَرّسنا الفِقه خاصة أبواب الطهارة والصلاة من كتاب «فقه السُّنة»، ويعلمنا المنهج السلفي، ويأتينا بالمشايخ من السعودية وغيرها، وكنت أتمثّل بأبياتٍ قالها الإمام ابن القيم عن شيخه ابن تيمية في نونيته:

يا قوم والله العظيم نصيحة	مِن مُشفق وأخ لكم مِعوان
جرّبت هذا كله ووقعتُ في	تلك الشباك وكنت ذا طيران

(١) في لقاء له منشور في (اليوتيوب) بتاريخ ١٥/ ٩/ ٢٠١٢م.

حتـــى أتـــاح لي الإلـــه بفضلـــه	مـن ليـس تجزيـه يـدي ولسـاني
حـبرٌ أتـى مـن أرض حـرّان فيا	أهــلا بمــن جــاء مــن حــرّان
فــالله يَجزيــه الــذي هــو أهلــه	مِـن جَنَـة المـأوى مـع الرّضوان
أخـذَت يَداه يـدي وسـار فلم يرم	حتـــى أراني مَطلــع الإيــمان).

- يحدثنـي أحـد الأخـوة وقـد كان حـاضراً لّمـا زارالشـيخ أحمـد الأمـير الشـيخ أبومعاويـة في المستشـفى -أيـام مرضـه الأخـير- يقـول لـه: (والله مـا عَرفنا السَّـلفية ولا المنهـج ولا العِلـم وكتـب أهـل العلـم إلا عـن طريقـك، كنـا مـع الإخـوان ضائعـين، ونقـرأ لــ«كارل ماركـس» و«لينين» و«طه حسـين»، ولا عَرفنـا «المنهـج السـلفي» إلا مِنـك، جئتنـا مسـجد الخلـف والبسـام وعرفتنـا عـلى كتـاب البغـوي والاعتصـام للشـاطبي والأصـول الثلاثـة والقواعـد الأربعـة، شـابت لحانـا عـلى هـذا المنهـج، يعلـم الله أني شرحـت «كتـاب التوحيـد» أكثـر مـن ٣٠ مـرة، ومثلـه كتـاب »الأصـول الثلاثـة»، وأفسِّـر القـرآن، وأشرح المواريـث، والفضـل لله ثـم لـك) والشـيخ يـرد عليـه: (ذلـك فضـل الله وحـده) والشـيخ حَمَـد يبكـي.
- يحدثنـي الشـيخ حمـد الأمـير: (كنـا نجتمـع للتباحـث في الأمـور الفقهيـة: أنـا ومحمـد السّـنين وحـاي الحـاي ويُحـدد لنـا مَوَاضيـع نبحـث بهـا، ويومـاً لمناقشـتها، وممـا أذكـر بحثـاً للشـيخ السـنين «ولـوغ الكلـب في الإنـاء» وأقـوال أهـل العلـم، وكان بحثـي «عـن المنـي والمـذي والـودي»، والشـيخ كان يأخـذ موضوعـاً يبحـث بـه معنـا).
- **ومـن أثـره في انتشـار الدعـوة في بعـض المناطـق**، مـا حدثنـي بـه -برسـالة مكتوبـة- الشـيخ سَـعيد عَـماّش السـعيدي حفظـه الله يقـول:

(كان دور الشيخ عبدالله السبت مِحورياً حين نَقَل الدَّعوة من المدينة إلى منطقة الجهراء[١]، وذلك حيث تم الاتصال معه عن طريق الأخ حمد الأمير والأخ فلاح ثاني، حيث كنّا الثلاثة أكثر حماساً؛ لأننا تأثرنا بالجماعات الأخرى أكثر، حيث كنا نحضر دروس الشيخ حسن أيوب رحمه الله في السالمية، ثم دروسه في مسجد العثمان بالنقرة، فكان حماسنا مُفرطاً، وفي ليلة من الليالي وبعد العِشاء حَضَر عندي الأخوان حمد الأمير وفلاح ثاني، وخرجنا من البيت وكانت مناقشة بيننا، فأخبراني أن هذا المنهج الذي نحن عليه ليس الذي نُريده، **ولا بُدّ من الاتصال بشيخٍ اسمه «عبدالله السبت»** الذي تَعَرَّف عليه الأخ حمد، وسَمِع دروسه في مدينة الكويت، وبعد ذلك حضر الشيخ عبدالله رحمه الله لدرسٍ أسبوعي في مسجد عبدالله الخلف بالجهراء، ودرس كل يوم اثنين في ديوانية حمد الأمير والديوانيات الأخرى.

بعد ذلك قامت علينا الشائعات من الجماعات الأخرى لفعلنا هذا، وهو الانفصال عنها، ولكن والحمد لله تعالى استقام العود، فكانت الدعوة السلفية شجرة مباركة، وَقَفَت أمام تلك الجماعات بكل قوة وصلابة.

فأحبَّها الناس في المنطقة، وذلك لمنهجها الواضح الذي لا يُنكره العقلاء من الناس، لأنه يوافق الفِطرة السليمة، ويحارب البدع والخرافات التي كانت، مثل القراءة على الأموات والخَتمات وغيرها.

---

(١) ومن أوائل السلفيين في الجهراء: حمد الأمير، سعيد عمّاش السعيدي، فلاح ثاني السعيدي، عبدالعزيز الهده، علي دخيل، محمد سيف العجمي (صاحب مُؤَلَّف: للدعاة فقط)، عبدالكريم فرحان، عرار الدوسري، عبدالغني الدوسري، حفظهم الله، وغفر لمن تُوفي منهم..

وأقول إنَّ في رَقَبة كل سلفي اليوم وخاصة في الجهراء دَيناً له، نسأل الله أن يجزيه عنّا جنات النعيم، ويبارك في عِلمه وذريته). ا.هـ

- وكتب الشيخ أبومعاذ محمد الشَّيباني مقالة بعنوان: (ورحل الشيخ عبدالله السبت)[1]، ومما جاء فيها: (من **أوائل المؤسِّسين للدعوة السلفية الوسطية في الكويت**، أوائل السبعينيات، جهوده مشكورة في ذلك، مع العنت والعناد والمشاكلة والضدية، لكن ذلك كله **لم يُثنِه عن الاستمرار في بيان دعوةٍ كانت مطمورة**، منذ عهد الشيخ الداعية عبدالعزيز الرشيد، **فما إن بدأ «الشيخ عبدالله» في إحيائها وبعثها من جديد؛ حتى قامت الدنيا ولم تَقعد.**

زاد عدد المدعوين إلى هذه الدعوة المتجدِّدة، وبدأت تكثر أعدادهم يوماً بعد يوم، حتى أصبحت حقيقةً واقعة، لها دورها في الحياة الدعوية والسياسية والاجتماعية والعلمية في الكويت، **وكانت الركيزة الأولى في انطلاق الدعوات السلفية الأخرى في العالَمين العربي والإسلامي بل والغربي**، تمدّهم وتُعينهم، وتُقيم مساراتهم في الأمور كلها.

كان هذا الرجل هو الركيزة الأولى التي لم تتراجَع أو تجزع في دعوتها؛ حتى استَقام عودُها، وما نَراه اليوم مِن جهودٍ فهي مِن بَركاتِ هذا الرَّجُل، والرَّعيل الأول الذين كانوا معه، يُناصر بعضهم بعضاً، في المضي فيما أرادَ مِن بيان فقه الكتاب والسنة الصحيحة، وما كان عليه سلف الأمة من الخيرية والعلم والاتباع).

- **ومن آثار إحسانه**، ما يرويه لي -برسالة مكتوبة- الشيخ **عبدالحق بن**

(١) نُشرت في جريدة القبس بتاريخ ١٠/ ٠٩/ ٢٠١٢م.

ملا حقي التركماني حيث يقول: (عرفت الشيخ الراحل عبدالله السبت رحمه الله وغفر له منذ أواخر سنة ١٩٩٢م، حيث زوَّدني أحد الإخوة في **بغداد** بتسجيلٍ صوتي لمحاضرةٍ له بعنوان «السُّرورية»، وكانت الدعوة السلفية في العراق تمرُّ بمحنةٍ شديدةٍ، نتيجة التضييق والملاحقة الأمنية، وكان الحصول على شريطٍ صوتي أو كتاب مصوَّر مثل اكتشاف كنز ثمين، فذهبت بالشريط إلى مدينة كركوك، وبدأت مع إخواني هناك بنسخه وتداوله بين الخاصة من إخواننا في كركوك وتكريت والموصل وغيرها، **فحصل للشريط انتشارٌ كبير جدًّا، وانتفع الشباب به أيما انتفاع**، بحيث لمّا بَعث محمد سرور بن نايف زين العابدين دُعاتَه إلى العراق خلال تلك السَّنة أو بعدها بقليل، وكان أسس لأتباع حزبه ما يسمى بـ «الاتحاد الإسلامي العراقي»، فكان يُرسل أحد أبرز أعضائه المقيم في إسطنبول للدعاية للتنظيم وضَمِّ الشباب إليه، ففشل فشلاً ذريعًا، **حيث كان لدى الشباب السلفيين حصانة قوية ضِدَّه**، وأصبح ما سموه بالاتحاد الإسلامي العراقي في خبرِ كان.

وبعد أن ضاقت الأحوال عليَّ في العِراق أَمنيًّا وصِحيًّا؛ خرجتُ إلى الأردن ثم تركيا، وكانت حالتي الصحية تستوجب الانتقال عاجلاً إلى دولةٍ أوروبية للحصول على العلاج. والتَقَيت في إسطنبول بإخوةٍ أفاضل من العراقيين الذين سبقوني في الهجرة مِن العراق، وكانوا حريصين على مساعدتي، **فأخبرني أحدهم بأن الشيخ عبد الله السبت موجود في تركيا**، وأنه سيعرض عليه الموضوع. التقيت بالشيخ في بهو فندق -لا أذكر اسمه ومكانه- وأخبرته بقصة الشريط وأثره في العراق، وشَرَحَ له صاحبي حالتي الصحية، وحاجتي إلى مبلغٍ لتكاليف السفر، فاهتم الشيخ

بالموضوع، ووعد خيراً، وبعد عودته إلى الكويت بنحو شهر؛ أرسل لحساب الأخ المبلغ المطلوب.

فَوْرَ وصولي إلى «السّويد» أرسلتُ للشيخ رحمه الله -بالفاكس- رسالة شكر وامتنان، ثم لم يتيسر لي الاتصال به، والتواصل معه، **لكني بقيت وفيًّا له بحسن الدُّعاء في ظهر الغَيب، وبذكرِ جَميلهِ وإحسانه**، أحسن الله جزاءه).

ثم يذكر أنه اتصل بالشيخ بعد سنوات وجدّد شكره وامتنانه له، فرد عليه الشيخ وقال: «**مساعدتي لك حُبًّا لأهل السُّنة، ونُصرة لأهلها، وليس فَضلاً**».

ثم يقول: (وأعتقد أن الشيخ رحمه الله - وإن لم يتميّز بالعِلم الواسِع- لكن **تميَّز بالفَهم الصَّحيح للمنهج السلفي، وبثباته واستِقامته عليه، وبوضوحِه وصراحتِه، وعدم تلوّنه وتقلّبه**، وأظن أنه بهذه الصفات كَسَبَ قلوبَ كثيرٍ من الشباب في الكويت وأَثّر فيهم، فلا زلتُ أسمع منهم ذِكراً طيباً عنه، وثناءً عطِراً، أسأل الله تعالى أن ينفعه بما قدَّم للدعوة السَّلفية، ويجعله من أهل الجنة والنعيم المقيم). ا.هـ

- ويخبرنا أحد الأفاضل: كنتُ في زيارة للسودان في «منطقة الأبيض» وكان هناك وزيرٌ للتربية عرف أني من الكويت، فسألني: هل تعرف الشيخ عبدالله السبت؟ قلت له: نعم، فقال لي: أنا لما كنت طالباً بالثانوية في الخرطوم وكان عندي كتاب «الرحمن على العرش استوى» ولديّ سؤال مُلِحّ، فرأيت رجلاً كويتياً فسألته هل تعرف الشيخ عبدالله السبت؟ فقال: نعم، فقلت: أريد سؤاله عن هذا الكتاب، فقال: أنا عبدالله السبت! فلما انتهى من قصته، اتصلت بالشيخ

وسألته عن فلانٍ هذا، فقال: (نعم أعرفه التقيت به في الخرطوم في السبعينيات)، فلما رجعت إلى الشارقة سألت الشيخ بومعاوية: كيف عرفتَهم وذهبتَ للخرطوم؟! فقال: (أوصاني وعرّفني عليهم الشيخ أحمد ابن حجر شيخ قطر رحمه الله).

- ومن **آثار دعوة الشيخ** على الناس، هو **بلوغ محاضراته إلى بريطانيا** حيث تأثَّر بها شابٌّ من أصولٍ صومالية مقيم في «شرق لندن» اسمه عبدالكريم حاج يوسف، وقد كان صحافياً سابقاً وكان صوفياً يعتنق الطريقة النقشبندية، في مسجد التقوى، فلما استمع هو ومن معه إلى دعوة الشيخ عبدالله السبت إلى السلفية عبر الكاسيت والإنترنت، وجدوها دعوة إسلامية صافية، فلما سمعوا عن الدورات التي يقيمها الشيخ في مكتبته في الشارقة، عزموا وذهبوا إليه، فاستقبلهم الشيخ، ومكثوا نحو شهرين، وكان عددهم ثلاثة، حيث أخذوا دروساً في اللغة العربية والعقيدة، ومنهج السلف الصالح، والفقه والحديث، ويقول: قبل زيارتي لم أكن أستطيع تركيب جملة عربية ولو واحدة، لكن بعد عودتي تمكنت من إلقاء خطبة الجمعة كاملة باللغة العربية بحمد الله، كما كان موضوع خطبة عيد الأضحى عن التوحيد، وذكر أنهم بعد عودتهم من الرحلة بَدءوا تدريس كتب العقيدة والتوحيد في مسجدهم في بريطانيا.
- وكذلك ما شهدته -ومعي بعض الإخوة- بعد ما صلَّينا في أحد مساجد بروكسل «بلجيكا» التقينا رجلاً باكستانياً يعيش هناك، فَسَألَنا: مِن أين أنتم؟ فقلنا له: من الكويت. فكان أول سؤال: كيف حال الشيخ عبدالله السبت! وكان وقتها في المستشفى، فتأمّل أثر دعوة

الشـيخ رحمـه الله وانتشـارها ومحبـة النـاس لـه.

- ويحدّثنـي أحدهـم أنـه زار **إحـدى مُـدُن شرق آسـيا**، وقـال: صلّيـت بمسـجدٍ وبعـد الصـلاة ألقـى الإمـام درسـاً، فلـما انتهـى سَـلّمت عـلى الإمـام وكان يعـرف العربيـة، فلـما عـرف أنني مـن الكويـت سـألني عـن الشـيخ عبـدالله السـبت، **وقـال لي أن الشـيخ دَعَـمَ هـذا المركـز**، وكان لـه تواصـل معـي لمـا كُنـت أدرس بالجامعـة الإسـلامية بالمدينـة، فـكان يُثنـي عـلى الشـيخ.

مرضه ووفاته

اكتشف الشيخ أنه مُصاب بالسَّرطان في الكِلية وانتشر في الحوض والعمود الفقري، لما أجرى فحوصات أثناء رحلته الدعوية إلى ماليزيا في أكتوبر ٢٠١١م، ثم غادر في فبراير ٢٠١٢م إلى الولايات المتحدة، ومكث فيها «شهرين» يتلقى العلاج، لتطور الطب لديهم، والمرء مأمور ببذل الأسباب، ثم رجع إلى الشارقة وزار الكويت وأدى مناسك العمرة، وفي نهاية شهر إبريل رجع إلى الولايات المتحدة، ومكث شهر وأسبوعين، وعندها قرر الأطباء أن حالته لا يمكن علاجها.

فرجع إلى الكويت ومكث ما يقارب الشهرين في «مركز الرعاية التلطيفية» بمنطقة الصَّباح الصحية، وزاره الأصدقاء والمحبون.

ثم رجع الشيخ إلى بيته في **الشارقة** في العشر الأواخر من رمضان، وبقي إلى أن توفاه الله في تمام الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف ليلة الجمعة، التاسع عشر من شهر شوال عام ١٤٣٣هـ، الموافق ٧/ ٩/ ٢٠١٢م. ونسأل الله أن تكون من حسن الخاتمة، فقد قال رسولنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَن ماتَ يومَ الجمعةِ أو ليلةَ الجمعةِ وقيَ فتنةَ القبر). (١)

- يُحدثني حمد الفهد عن أيام مرضه: (سافر الشيخ إلى أمريكا مرتين «هيوستن»، وهو هناك كان يتّصِلُ على الشباب من مختلف مناطق أمريكا، تفاجأت بعد يومين أن الشيخ قد التقى بمجموعة من الدعاة المغاربة والسوريين وغيرهم في ردهة «لوبي» الفندق؛ يتباحث معهم أمور الدعوة، ويأخذ منهم أخبارهم، ويَستذكر معهم هَمَّ الدعوة

(١) أخرجه الترمذي (١٠٧٤)، وأحمد (٦٦٤٦)، وصححه أحمد شاكر.

بـكل جِدّيَّـة، ولم يمنعـه مرضـه مـن ذلـك.

- وحتـى في سـفرته الثانيـة في نفـس المستشـفى -وقـد كان أكثـر تَعَبـاً وعـلى كـرسيٍّ مُتحـرك- كان يُقابـل الشـباب عِـدّة لقـاءات ويسـمع أخبارهـم، ويوصيهـم بالارتبـاط بعلـماء السـعودية، والعجيـب أنـه هـو الـذي كان يَتَّصِـلُ بهـم، ويحـرص عـلى مجالسـتهم، وكان يسـتمتعُ بذلـك، ومـع مرضـه **كان بيـده كتـابٌ يقـرأ فيـه**، .. كانـوا يعالجونـه بالكيـماوي ولكـن لم يسـقط شـعر لحيتـه أو رأسـه، **لا يظهـر تعبـه ولا عجـزه ولا تسـخطه**، ولا يظهـر حتـى أنـه يُريـد المغـادرة، .. مـن همتـه وهـو في مرضـه: كان يسـتَعدل في جلوسـه قليـلاً لكـي يُلقـي درسـاً لمـن حَـضَر عنـده، حتـى إنـه يرتـاح قليـلاً أثنـاء الـدرس ثـم يُكمـل).
- صُـلّيَ عـلى الشـيخ بعـد صـلاة الجمعـة في **مسـجد الصحابـة بالشـارقة**، وشَـهِد جنازتـه خلـقٌ كثـير، حيـث إن **مسـاحة المسـجد كانـت تَسَـع لخمسـة آلاف مصـلٍّ**، وصـار النـاس يصلّـون عـلى الأرصفـة خـارج المسـجد، ودُفِـن في مقـبرة الشـارقة.
- يخـبرني أخـي أنـور: (أعظـم جنازتين رأتهـا عينـي جِنـازة الشـيخ عبدالعزيز الهَـدَه، وجِنـازة الشـيخ عبـدالله السَّـبت رحمهـا الله، ورأيـتُ كلّ مَـن حـضر كان مكلومـاً وكأنـه فقـد أبـاه أو أمّـه، وكانـت المقـبرة تَعُـجّ بخلـق كثـير لا يعلمهـم إلا الله، وبقـي النـاس إلى صـلاة العـصر يدعـون لـه عنـد قـبره).
- ويُكمـل: (ومـن المواقـف التـي أثّـرت فيّ وقتهـا: أن الإخـوة لمـا همّـوا بدفـن الشـيخ وانشـغلوا بالدَّفـن؛ رفعـوا القـبر أكثـر مِـن شـبرين، فتحـدث الشـيخ د.عزيـز فرحـان العنـزي -مديـر مكتـب الدعـوة السـعودي في دُبي- بقولـه: «اخفِضـوا قـبر الشـيخ، لأنهـا السُّـنة، **والسُّـنة هـي مـا كان**

يدعو له الشيخ رحمه الله»، فأخفضه الشباب).

- يقول الشيخ عبدالرحمن السليم رحمه الله: (مقولة الإمام أحمد «بيننا وبينكم الجنائز»، وخاتمة السُّني رأيناها في وفاة الشيخ عبدالله، تجد له القبول بين أهل العقيدة والعلماء كلهم يُثنون عليه خيراً ويدعون له).[(١)]

- ومن علامات حُسن الخاتمة أيضا أنه **تعرّق كثيراً عند وفاته**، بل وعند إخراجه من الثَّلاجَة ما زال العرق يبدو على جِسمه، كما في الحديث: (موت المؤمن بعرق الجَبين)[(٢)]، ووجهه كان أبيض مُنيراً، وعندما غُسّل لم يخرج من جوفه ولا حبّة خَبَث.

- توفي الشيخ رحمه الله وعمره ٦٥ سنة، قضى منها ٤٣ سنة في الكويت، و٢٢ سنة في إمارة الشارقة.

- وكان **مما أوصى به قبل موته: (وإني لأرجو من كلِّ أخ له مَظلمة عندي أن يغفرها لي، وأوصي الإخوة حَمَلة الدَّعوة السلفيةً: الصَّبر والتآخي والإخلاص ..)**.

- يقول ابنه معاوية: شارَكَنا العزاء عدة شخصيات لها مكانة اجتماعية وسياسية من الكويت والإمارات، وتلقينا اتصالات: من مكتب مفتي عام السعودية، ومكتب وزير الأوقاف الشيخ صالح آل الشيخ، والشيخ عبدالرزاق العباد البدر، ود.محمد الشويعر مدير مكتب الشيخ ابن باز رحمه الله، وغيرهم، وأتتني اتصالاتٌ من عِدة دُول،

---

(١) ذكره في لقاء برنامج (موكب النبلاء).

(٢) أخرجه النسائي (١٨٢٧)، والترمذي (٩٨٢).

حتـى مـن تشـيلي ومدغشـقر.

- فرحِـمَ الله جَلَّجَلَالُهُ الشـيخ أبـا معاويـة، وجَـزاه عـن الأمّـة خـير الجـزاء، ورَفَـع درجتـه في عليـين، مـع الأنبيـاء والصديقـين والصالحـين، وجمعنـا بـه في الفـردوس الأعـلى بمنّـه وكرمـه وفضلـه.

رؤى في الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

- ومما يُستأنس به ما حدَّثني به أحد الأخوة في **رؤية رآها في المنام** وأخبرَ بها الشيخ آخر حياته، يقول: رأيت كأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء مسجد العَلبان -أحد مساجد منطقة كيفان- واجتمع عليه الناس، وكنتُ ممن حَضَر لأتشرف برؤيته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وكنتُ أرى نوراً يشع من تجاهه**، وكان الناس محتشِدين عليه، ولا أستطيع رؤيته من بُعد، فلمّا تمكّنت من مجاوزة الجُموع لأنظر إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فإذا هو الشيخ عبدالله السبت**. فرد عليه الشيخ وقال: الله المستعان.

- وكذلك ما حدثني به الشيخ محمد بن يوسف -خطيب جامع ثَرمداء- في رؤيا رآها د.عدنان المرابحي - وقد سَكَن عند الشيخ أشهراً في مكتبته، ودرَّس فيها دروساً في النحو، وكان قد دَرَّس في بعض جامعات العراق، وكان الشيخ يُجِلّه- أنه **رأى الشيخ عبدالله في مكانٍ واسع كلّه أشجار**، وهو يجلس خلف تُفاحةٍ كبيرة جداً، ويتكلم معي من خلفها، فأقول له: أين أنت؟ فيقول: أما تَراني، ثم يُخرج رأسَه من خلفِ التُّفاحة ويَضحَك، ويسألني عن حالي، ثم يقول: ما الذي أتى بك؟ قلت له: جئت أسألُ عنك، فيقول: **أنا بخيرٍ ونعمةٍ كبيرة، ووجههُ يَشعّ نوراً**، ثم صَحَوتُ على أذانِ الفجر.

يقول ابن يوسف: وهي على ظاهرها، لأنه في دارِ حق، ولا يقول إلا حقاً.

- ويقول أيضاً: (رأيت فيه رُؤيا؛ أذكر أننا جئنا للمسجد وقد قَدَّمني

الشيخ للصف الأول، وكان هو في الصف الثالث، وقد عَبّرتُها في وقتها: أن الشيخ عبدالله قد بَلَغَ الدرجة الثالثة وهي «درجة الشهداء» والله أعلم، لأن الدرجة الأولى الأنبياء، والثانية الصديقين، والثالثة الشهداء، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩]، وكذلك عبَّرتُها: أن الله نفعني به في أمور تقدّمتُ بها؛ لأنه أمسَكَ بيدي وقدَّمني ..).

قصائد قيلت في رثاءه

- **قصيدة كتبها الأخ: كهلان عبدالله الجبوري،** في رثاء الشيخ عبدالله السبت رحمه الله. (السبت ٢٩ شوال ١٤٣٣ هـ- الموافق ١٥/ ٩/ ٢٠١٢م)

يقول فيها:

على قَدَرِ الأحزانِ تجري المَدامعُ ... وتأتي الرَّزايا مُظلماتٌ بَواقِعُ
ويَنسى فؤادُ المرءِ ما كان قَبْلها ... ويَبْقى حَريصُ القوم للسنِّ قارعُ
ويَشتَدُّ فينا الحُزنُ حتى يَمَلَّنا ... ويَنجابُ ما ينجابُ بَل هو راجعُ
إذا ما قضى الرحمنُ أمراً فإنَّما ... هو القَدَرُ المحتومُ لاشكَّ واقعُ
فلا شِدَّةٌ تأتي وإن تَكُ ذَرةٌ ... لها دونَ ربِّ العرش أيدٍ تُمانِعُ
مَضى قَدَرُ الرحمنِ فينا فَعَمَّنا ... فأينَ يكونُ الجاهُ ما ذاكَ نافعُ
خَضَعْنا لأمرِ اللهِ واللهُ غالبٌ ... وليس لأمرِ اللهِ إن جاءَ مانعُ
لَهُ الحُكمُ في الدَنيا على كُلِّ نَسْمَةٍ ... وما ثَمَّ في الأخرى خَليلٌ وشافعُ
سوى صَفْوةِ الخِلّانِ كان ولاؤُهم ... على السُنَنِ اللائي اجتبَتْها الشَّرائعُ
رُزِئنا بفَقْدِ السَّبتِ شيخاً مُعَلِّماً ... أصاخَتْ له في الخيرِ منّا المَسامعُ
قَضى في كتابِ اللهِ والسُنَنِ التي ... أتَتْ عن رسولِ اللهِ دَهراً يُقارِعُ
ويَدعو إلى التَّوحيدِ في كُلِّ مَحْفَلٍ ... ومَنْ عَلَّمَ التَّوحيدَ لا شَكَّ ضالِعُ
وما كان هَيّاباً شَحيحاً بنَفسه ... إذا جاءَ مكروهٌ من الأمرِ هالِعُ
يَرُدُّ على الباغينَ من كُلِّ نِحْلَةٍ ... ويَصْرَعُهُم بالحَقِّ والحَقُّ صارِعُ
وتَلقاهُ طُولَ اليومِ للعلمِ ناشِراً ... وفي سُرَرٍ بالليلِ تالٍ وراكِعُ
لقد زارَنا أيّامَ كُنّا شَبيبَةً ... وحَبَّبنا في الشَّيخِ منهُ التَّواضُعُ
وجالَسَنا لأياً ليَروي شُجونَهُ ... وليس كَمَن تُغريه فينا المَطامعُ
وَعَظْتَ وَربِّي واجْتَهَدْتَ وإنَّما ... يفوزُ بإذنِ اللهِ مَن هوَ طائعُ
عليكَ سلامُ اللهِ في كُلِّ لحظةٍ ... بِعَدِّ نُجومِ الليلِ وهي لَوامِعُ
وأستودِعُ الرحمنَ خِلاً فَقَدْتُهُ ... فَثَمَّ وَربِّي لاتضيعُ الودائعُ

- **قصيدة في رثاء** «شيخ الدعاة عبدالله بن خلف السبت رحمه الله تعالى»، بقلم الشيخ: **خالد جمعة الخراز**، الجمعة ٢٠ شوال ١٤٣٣ هـ (بعد يوم من وفاة الشيخ)

أَعَبدُ الله غَيّبك التراب ... وتبكيك المحافِل والرِّحاب
فَكم أعيا السؤال رجالَ علم ... وعندك دائما عرف الجواب
كأنك إذ رَحلتَ غَدَوتَ نَجماً ... له نورٌ إذ ما القَومُ غابوا
فجُهدك ماثلٌ في القُرب دوماً ... ورُغمَ البُعد ذِكرُكَ مُستطاب
ولولا أن يكونَ الموتُ حقٌ ... لعاتبتُ وهل يُجدي العِتاب
ولكن المنايا لا تحابي ... وهل في ذاكَ للمَرءِ ارتياب
عَرفتُكَ داعياً للحقِّ دَوماً ... ومَن يَدعو إلى حَق يُجاب
فمُذ كنّا صغاراً كنتَ شيخاً ... تُعلّمنا الهداية والكتاب
وتَحكي سُنّة المختارِ فينا ... وتَصدع بالحَقيقة لا تَهاب
وتسقينا العُلومَ ألذَّ شيءٍ ... لَعَمرك منكمُ طابَ الشَّراب
كم أعدَدْتَ للبِدْعيّ سَيفاً ... يُوَلّي هارباً وله اضطراب
أعبدُ الله إن تَرحَل فإنّا ... على دَرب النبيِّ ومن أنابوا
لكَ الله فكم ربَّيتَ جيلاً ... فهُم ذِكرى وللذِّكرى احتجابُ
فأدعو الله بالرَّحمات تترى ... كهطلِ الغَيثِ أنزلهُ السَّحاب
دعاء من جموعٍ كنتَ فيهم ... خطيبًا نافعاً نعمَ الخِطاب

- **وللأخ عبدالله فهد الحسينان، رثاء في الشيخ عبدالله السبت رحمه الله، قاله بعد يومين من وَفاته:**

وترجّل العَلَمُ الذي قد كان لي ... شهماً جَواداً واثقَ الخُطُواتِ
بالمنهجِ السّلفيِّ شقّ طريقَه ... مرفوعَ رأس مُقْدماً بثَباتِ
كم أفحمَ البدعيَّ في صَوْلاتِهِ ... وبِنَصلِه قدْ صَوَّبَ الشُّبهاتِ

الشيخُ (عبدالله) واراهُ الثَّرى ... ومصيرُ كلِّ عباده هو آتي
الدمعُ لا يَروي نفوساً قد ذَوَتْ ... يا نبرةً ستظلُّ في زَفَراتي
يا نعْمَ ذاكَ الصَّوت كم في نُصحه ... إصلاحِ ذاتِ البينِ بعد شَتاتِ
سَنَظلُّ جيلاً نَقتَفي من شمسه ... سنَظلُّ لا ننساكَ في الخلَواتِ
ستظلُّ أنصحَ منْ رأيتُ على الثَّرى ... علمٍ وحلمٍ ناصِعُ المرآةِ
ستظلُّ للأخيارِ زَهراً عابقاً ... ستظلُّ يا (ابن السَّبتِ) شوكَ عِداتي
عَبْرُ الحياة كثيرةٌ لكنني ... في فَقدكم لا تَنطفي عَبَراتي
ذَهبَتْ بقيّتُنا فمن يَخْلُفُ لنا ... سَلَفاً يسدُّ الثُّلْمَ والهَفواتِ؟
إلا سِواكَ إلهنا ونصيرَنا ... أبرِمْ لنا عَلَماً على المشكاةِ

- **وله رثاء آخر، قاله بتاريخ ٢٠/ ١٢/ ٢٠١٤م**

لله مَرجعنا إنْ أسرعَ الفزَعُ ... والموتُ كأسٌ سنرويه ونجترعُ
فَقْدُ الأكارمِ قَبْضُ العلمِ مَوْئلُه ... بهِمْ تغورُ مناراتٌ وتَمتَنعُ
أبا معاويةَ بنَ السبتِ كنتَ أباً ... وكنتَ سيفَ الهدى إنْ راجتِ البدعُ
قد انطلقتَ من (الفيحاءِ) مُحتَسباً ... والآنَ نوركَ في الأقطارِ يتَّسعُ
إذا تكلمتَ صمصاماً لذي لَدَدٍ ... لا تَنطوي في رُباكَ الزيغُ والخُدَعُ
من ذا يجاريكَ في سَمْتٍ وفي خُلُقٍ ... وإنْ صدَعتَ قَتامُ الجهلِ ينقشعُ
بكَ التَّصوفُ والإرجافُ قد نُبذوا ... بكَ الخوارجُ والإرجاءُ ترتدعُ
نعم رحلتَ ومازالتْ مآثرُكُمْ ... تجوبُ كلَّ بقاعِ الحقِ تنْتفعُ
نعم فَقَدْناكَ شَهْماً ثابتاً جَبَلاً ... وما تَزَعْزَعْتَ رغمَ الريحِ تقتلعُ
نعم رأينا صُنوفَ الجهلِ تحذرُها ... وفتنةً لأولي الأبصارِ تنتزعُ
إنْ كانَ فَقْدُ الألى ثُلْماً ومَكْلَمَةً ... فكيفَ في زمنِ الأوباشِ تَضْطرعُ؟!
إنَّا نُصبِّرُ نفساً تكتوي حِمَماً ... أنَّا على العهدِ في ذكراكَ نرتَفعُ
رُحماكَ ربي به ما نَسْمةٌ بُرئتْ ... في زُمرةِ الحقِّ والأخيارِ يجتمعُ
مع النبيِّ ومَنْ في رَكبِه ثَبتوا ... ربّاهُ رُحماكَ كلَ الخلْقِ تتَّسِعُ

ما يُستفاد من هذه اللَّمَحات:

حاولتُ تلخيص بعض ما يُستفاد -بعد جمع هذه المقتطفات والوَمَضات- من سيرة الشيخ أبومعاوية رحمه الله، وما صاحبها مِن نشأة الجماعة السلفية في الكويت، فمنها:

١- الدعوة السلفية ومضمونها هي **ليست دعوة جديدة** أو مبتَدعة على أهل الكويت، فقد كان مشايخ الكويت يُظهرون ذلك ويَدعُون لماهِيَتها من نشر التوحيد ونبذ الشرك بأنواعه والتمسك بسُنّة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمثال المشايخ: محمد بن فيروز ومحمد الفارس وعبدالله الدّحيّان وعبدالعزيز الرشيد ويوسف بن عيسى وغيرهم رحمهم الله جميعاً، فلما نادى بها الشيخ أبومعاوية عبدالله السبت ومن معه في أواخر الستينيات لم يجدوا معارضة كبيرة، لأنهم أحيوا ما كان معروفاً سابقاً، ونشَّطوها من جديد.

٢- من خلال سَرد هذه الأحداث وبعض المواقف نتعرَّف على رجالٍ -ومن لم نأتِ بذكرهم أكثر ولا شك- **كان لهم فضل** وجُهد في نشر الدعوة، حاولنا تسليط شيءٍ من الضوء عليهم -ولا يضيعُ عند الله شيء-؛ فنستفيد من خبرتهم ونظرتهم مع حسن الدعاء لهم.

٣- كانت الدَّعوة سابقاً محورها **المسجد**، مقر اجتماعهم وتباحثهم، لما له من مكانة نفسية في ديننا، علاوة على الالتقاء بأهل الخير المصلِّين، ودعوتهم بمختلف الأساليب، وكانت **المكتبة** فيه هي ملاذ الشباب آنذاك وأُنسهم، في البحث والتَّعلُّم.

٤- اتصف الشيخ رحمه الله بعدةِ **صفاتٍ حَسَنة**، في نفسه وفي تعامله مع أهل بيته ومع الناس، ينبغي لمن عرفها -وقد رآها الكثير ممن

خالطه- أن يتذكر أنها ليست بعيدة المنال فيتخلّق بها، حيث كانت **سبباً في محبة الكثير** من الشباب له.

٥- لعل أبرز ما تميز به الشيخ رحمه الله -علاوة على الكَرَم- أمرين عظيمين: أحدهما هو **همته الكبيرة** في نشر الدعوة السلفية، والتي لم تنقطع إلى آخر أيام عمره، رغم تنقلات المسكن وترصُّد المناوئين لِثَنيه عنها، فكُنّا نتعجَّبُ مِن عطاءه وبذله وقد تجاوز عمره السِّتّين سَنة، والثانية: **لا يُظهر فضلاً لنفسه على غيره**، ولا يطلب لنفسه حقاً مِن أحد، وفضله في الدعوة يعرفه القاصي والداني، ولا يُشعِر صغيراً أو كبيراً أنه أعْلَم منه أو أَفْهَم منه، بل كثيراً ما يُسأل فيُجيبُ أنه لا يعلم أو سيَنظُر في المسألة، ولا يُصَغِّر مَن أمامه، ويَتَحاوَر ويَتَناقش بكل احترامٍ -مع مَن هو بعُمر أبنائه- دون تَسفيهٍ أو تقليلٍ مِن شأنه.

٦- تأثَّرَ أبومعاوية كثيراً بالشيخ الألباني خاصة **بترك التقليد والتَّمسك بالدليل** وبقضايا المنهج السلفي، وكذلك بالشيخ ابن باز خاصة **بتعامله مع الناس والشفاعة لهم وتفريج كُرَبهم**، وأحبَّ شخصية محب الدين الخطيب وكتبه، وكتابات محمود محمد شاكر، وتقي الدين الهلالي، وقَبلهم كتب الصنعاني والشوكاني رحمهم الله جميعاً.

٧- في الحقيقة مَن يتأمَّل حياة الشيخ يرى أن الدعوة والسعي لنَشرها احتلت أغلب تفكيره، وكان **هَمَّه الأكبر** هو إيصال الدعوة السلفية الصافية لأكبر قدرٍ من الناس، فهذه رحلاته إلى الهند ودول شرق آسيا وأفغانستان ومصر وبعض أوروبا وأمريكا، ما هي إلا لأجلِ تحقيق ذلك، وحتى عندما لم يَستطع السَّفر، **بدأ باستقبال الوافدين**

في مكتبته وتعليمهم، علاوة على إنشاء مكتبة لطباعة الكتب ونشرها، والمشاركة في معارض الكتاب التي تجمع مختلف البلدان، **فتراه يُنشِئ عَمَلاً دعوياً** في كلِّ مكانٍ يَستقر فيه، أو يَصِلُ إليه.

٨- لا بُدَّ لمن يريد الحق أن يوسِّع مداركه، ولا ينقاد لصوت الأكثرية، فليس بالضرورية أن تكون حقاً، ولا يكون ذلك إلا **بتلَقِّي العلم الشرعي** المؤصل المتدرِّج، على مشايخ وعلماء يختصرون له العلم والوقت، مع كثرة القراءة والاطلاع، ويَظهر ذلك مِن ترك الشيخ أبومعاوية لطرائق الجماعات في بداية تديُّنه.

٩- على الشباب السلفيين **الالتفاف حول أهل العلم** والمشايخ الربانيين، **فهُم أصحاب الرِّيادة والرأس فيها**، لا أن يَنساقوا خلف أهل السياسة ويكونوا تَبَعاً لآرائهم، فالدعوة لم تَقُم إلا على العِلم والعُلَماء، وكلما زاد الارتباط بالعُلَماء مضموناً لا شكلاً؛ كان ذلك أكثر تحصُّناً للشباب من الأفكار الخاطئة إفراطاً أو تفريطاً.

١٠- هذه الدعوة تُربي أتباعها على التَّمسُّك بالدليل **دون تقديس للأشخاص**، فكلٌّ يُؤخذ من قوله ويُرد، إلا رسولنا محمد ﷺ، فلا عِصمة لأحدٍ من العلماء والمشايخ -مع تقديرهم وإنزالهم منزلتهم-، فإذا ما خالف الشيخُ منهجَ الرسول ﷺ والسلف الصالح رضوان الله عليهم فلا عِبرة بقوله هذا، ولا يُتابَعُ عليه.

١١- من خلال معرفة بدايات قيام الدعوة السلفية، **يجد الناظر ضمن أسباب قيامها** هو إنكارها لسلوك بعض الجماعات: كفرض الرأي، والتفرُّد بالقَرار، والاجتماعات السِّرية، والتَّحزُّب الذي يكون فيه

الشخص المنتمي إليه أقرب من غيره، وليس على أساس العقيدة والمنهج الصحيح، فقد يُتَغافل عن أخطاء الشخص المنتمي دون غيره.

١٢- أهمية التَّعرّف على **تاريخ نشأة الجماعات**، للربط بين مواقف الحاضر بالماضي، ومدى علاقتها وعداؤها لهذه الدعوة.

١٣- **الدَّعوة غيرَ مَحصورة** في جهة أو مكان أو جمعية، فكل من أراد الدعوة لا يلزمه -لا شرعاً ولا عُرفاً- الانتماء لمجموعة أو جمعية، مع أن توحيد الصفوف والعمل الجماعي أفضل ولا شّك، خاصة إن كان بعيداً عن مزالِقه: كالحزبية والسِّرّية، **فالدعوة مفتوحة عامة** لجميع فئات المجتمع، الصغير والكبير، الذكر والأنثى، الغني والفقير، العربي والأعجمي، **شاملة لكل نواحي الحياة**، فأبواب الخير واسعة، فمن الناس مَن يفتح الله تعالى له في مجال العلم والتعليم، ومنهم في الإغاثة ومساعدة المحتاج، ومنهم في الدعوة الإلكترونية، وغيرها كثير.

١٤- وجدتُ أن **الروح المعنوية** كبيرةً عند الأوَّلين، وثباتهم على هذا المنهج الصحيح، وإن حصل فُتور -عند بعضهم- في ناحية العمل والدعوة، إلا أن الهدف العام والرؤية واضحة لديهم.

١٥- لعل الناظر في بدايات الدعوة -خاصة في السبعينيات والثمانينيات- يَجِد أن التَّمسُّك بالسُّنة قويًّا ظاهراً على السلفيين، خاصة في ظِل وجود تيارات إسلامية مُخالِفة أو يَسارية، وقد يَراه بعض الناس **شيءٌ من الشِّدة والحِدَّة** في الدعوة وفي تغيير المنكر، مما أثَّر على قبول بعض الناس لهم، خاصة في المسائل الفِقهية التي يسوغ فيها الخِلاف، فمن مظاهره آنذاك: اعتزالهم الناس في صلاة التراويح؛ لأن المساجد كانت لا تصليها إحدى عشرة ركعة كما صلاها النبي

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويصلونها عشرين، وهذا الأمر قد لا يكون **مُسوّغاً لاعتزالهم**، بل ينبغي الصبر مع بيان الحق بدليله، ولكن يُعتَذَر للسلفيين وهم في تلك الفترة حيث كانت بداية التديّن، وانتشار مفهوم ترك تقليد المذاهب الفِقهية، وتعظيم اتباع السُّنة في نفوسهم، وهم مجتَهِدون إن شاء الله، بإصابة أجرٍ أو أجرَيْن.

١٦- لا بُدَّ من **النَّظر جدِّياً لأسباب تفرّق السلفيين** ونفرة بعضهم لبعض، فإن على الجميع -وخاصة المشايخ وأهل الرأي والعقل الراجح- أن **يتداعوا لِعلاجها**، لتَفويتِ الفُرصة على المفسدين -فِكرياً أو دُنيَوياً، وقد يكون مُندَسًّا بينهم- الذين لا يُريدون انتشار دعوة التَّوحيد والسُّنة، وأن يُشغَل السلفيون فيما بينهم..، فالواجب أن **يَسعى المُصلحون** لوضع الحلول الواقِعيَّة، مع كامل الوضوح والشفافية، على مائدةٍ مستديرةٍ دون نظرةٍ فوقية أو خطابٍ مترفِّع، مِن جميع الأطراف، مع محاولة التَّجرُّد من حظوظ النفس والدنيا، ونرجو الله تعالى أن يتحقق ذلك ويكون قريباً.

١٧- مما تَدَاعى له كثير مِمن قابلتُهم، ومِن غيرهم، **أهمية إعادة النَّظر في قضية دُخول السلفيين أنفسهم بالمعترك السِّياسي**، وجعلها أحياناً من الأولويات والمهمات التي يُحارب عليها، بل تجد أن المشتغل بالسياسة والمهتم لها؛ هو المبرَّز بين صفوف الجماعة، **أكثر مِمن يَشتغل بالعِلم وطلبه والتَّعليم وبَذله**، ومن المعلوم أن ذلك ليس مما قامت عليه الدعوة السلفية، والمُشاهَد -للأسف- أن **غالبَ أسباب** تفرّق الصَّف وتنافر النفوس بين السلفيين هي: في قضايا السياسة وانتخابات مجلس الأمّة، وليست في قضايا العقيدة والمنهج، وعند التَّأمّل ووضعها في

ميزانهـا الصحيـح -مـع إبعـاد المصالـح الشـخصية والخاصـة التـي شـابَتها- تجـدُ أن **كِفَّـة سـلبِيّاتها عـلى الدعـوة ترجـح** عـلى إيجابِيّاتهـا.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،،

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،

فهرس العناوين

الملحق:
لمحات من حياة الشيخ أبي معاوية رحمه الله

❊❊ ❊❊ ❊❊ ❊❊ ❊❊